مجلة علمية صناعية زراعية

انشئها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد الثلاثون

الجزء الثالث

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

مارس (آذار) سنة ١٩٠٥

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXX

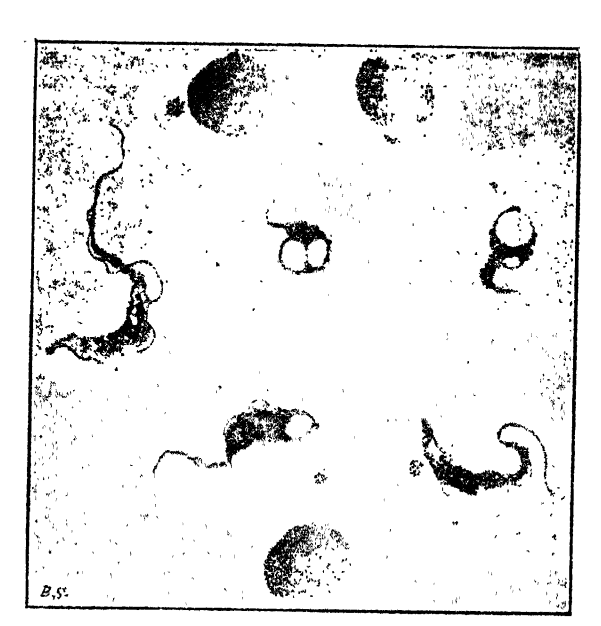
No. 3, March 1905

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.

المرض بمرض النوم يوهم السامع بخلاف الواقع فان النوم لا يعتري المريض الاَّ في آخر درجة من درجات المرض وقد لا يعتريهِ مطلقاً بل يصاب بمس في قواهُ العقلية بدلاً من النوم

واهم اعراض هذا المرض تضخم الغدد اللمفاوية وخصوصاً العنقية منها في اوائلهِ اما درجة الحرارة فقلما تختلف حينئذٍ بل تسير على قياس واحد ثم تعلو فجأة وتعود فتهبط وهكذا حتى تهبط اخيراً الى ٩٢ فارنهيت ويموت المريض . ثم قال ان نحو ٧٠ في المئة من اهل الجهات التي فشا مرض النوم فيها مصابون بهذه العلة في اوائلها وهؤُلاء اما ان تشتدَّ العلة عليهم ويعتريهم النوم واما ان تصيبهم علل أُخرى كذات الرئة فيموتوا بها واما ان يزمن معهم المرض وربما شفوا منهُ اخيراً

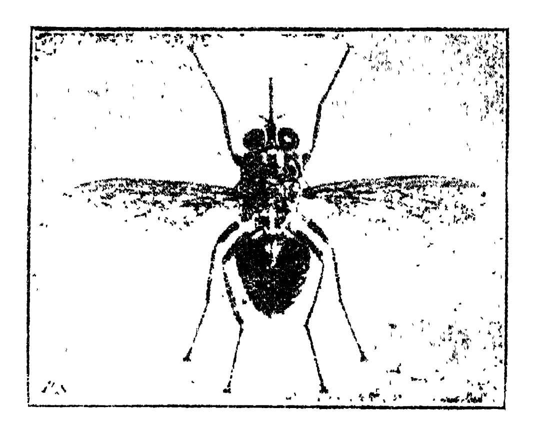


الشكل الاول

واستطرد من ذلك الى الكلام على سبب هذا المرض فوصف الطرق التي اثبتت اللجنة بها ان سببهُ حويوين لا يرى الاَّ بالمكرسكوب وهو يشبه العوَم في هيئتهِ كما ترى في الشكل الاول . وعرض صورة هذا الحويوين مكبرة كثيراً وشرح كيفية تكاثرهِ بالانقسام واثبت انهم لقحوا القرود بدم فيهِ هذا الحويوين فاصيبت بمرض النوم وان هذا المرض علة من علل الجهاز اللمفاوي في الجسم

وانتقل الى ذكر الواسطة التي تنقل العدوى بهذا المرض من شخص الى شخص فقال انها

ذبابة من الذباب المعروف بالتستسي وهذا الذباب انواع منها نوع يلسع الدواب والمواشي فيقتلها وهو غير ذبان مرض النوم فهذه الذبان تشبهُ ذبان البيوت كما ترى في الشكل الثاني ثم وصفها وعرض صورها مكبرة وعرض ذباباً منها ومن انواع التستسي الاخرى مصبرة وعرض ايضاً بيوضها مجففة وشرح كيفية نقلها للعدوى بامتصاصها دم المريض الذي فيهِ حويوين المرض وادخالها اياهُ في اجساد الاصحاء بلسعها اياهم واوضح كيفية اثبات اللجنة لذلك بطرق يضيق المقام عن ايرادها وقال ان معظم لسع هذه الذبابة يكون نهاراً حيث يجول الناس نهاراً للبيع والشراء والاخذ والعطاء. وانهم ارسلوا الاولاد لالتقاط ذبان منها وربوها وجربوا تأثير



الشكل الثاني

لسعها للقرود بعد امتصاصها دم المرضى من البشر فكان القرد يصاب بالمرض بعد ذلك بست ساعات او ١٢ ساعة او ٢٨ ساعة والمرجح انهُ لا يصاب بعد خمسة ايام كأن الحويوين يفقد قوتهُ فيها بعد تلك المدة. ولا يعدي الانسان بهِ غير القرد من انواع الحيوان. ثم عرض صورة قرود أُصيبت بهِ بعد ما عرض صور اناس مصابين بهِ فكان ظاهر تأثيرهِ في النوعين متشابهاً تشابهاً كلياً انتهى

اما من حيث علاج هذا المرض فقال الدكتور ستفنس في جريدة ناتشر ان لا علاج لهُ على ما يُعلَم حتى الآن لان كل الادوية التي استُعملت لم تنجع في المرضى والغالب انهم يموتون بهِ عولجوا او لم يُعالجوا فيجب ان توجَّه العناية الى الوقاية منهُ. والوقاية سهلة لان الذبابة التي تنقل عدواهُ تقيم في الغابات الملتفة وقلما توجد في الاماكن الخالية من الاشجار. هذا وقد بحثنا في كتب العرب لنرى ما ذكروهُ من امر هذا المرض فلم نقف الاَّ على الفقرة المذكورة آنفاً وقد نبَّهنا اليها حضرة عباس افندي حمدي احد مشتركي المقتطف

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثلاثين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٢

مرض النوم

مرَّ الكبتن جريج بالقطر المصري عائداً من قلب افريقية حيث ذهب للبحث عن مرض النوم وقد خطب في مدرسة قصر العيني الطبية في هذا الموضوع في الرابع من شهر فبراير فاستهل الخطبة بذكر تاريخ هذا المرض وقال انهُ اول ما وُصف بانهُ مرض قائم براسهِ في غرب افريقية كان سنة ١٨٠٣ . والظاهر انهُ اراد بذلك ان الاوربيين الذين دخلوا افريقية لم يذكروهُ قبل تلك السنة لان علماء العرب ذكروهُ قبل ذلك بمئات من السنين . قال ابن خلدون في تاريخهِ عند ذكر ملوك السودان ان الملك جاطه الذي كان تجار مصر يترددون الى بلدهِ "اصابتهُ علة النوم وهو مرض كثيراً ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصاً الرؤَساء منهم يعتادهُ غشي النوم عامة ازمانهِ حتى يكاد ان لا يفيق ولا يستيقظ الاَّ في القليل من اوقاتهِ و يضر صاحبهُ و يتصل سقمهُ الى ان يهلك ودامت هذه العلة بجاطه مدة عامين اثنين وهلك سنة ٧٧٥ هـ" . وهذا نصٌّ صريح على ان مرض النوم كان معروفاً عند العرب منذ نحو خمس مئة وخمسين سنة وان العرب سموهُ علة النوم وكان منتشراً حيث هو منتشر الآن

ثم أبان الخطيب ان لجنة الجمعية الملكية اكتشفت السبب الحقيقي في انتشار هذا المرض واكتشفت وسائط انتشارهِ ايضاً في اوغندة سنة ١٩٠٣ فوجدت انهُ طرق اوغندة بفتح طرق التجارة اليها فأُصيب اول انسان بهِ فيها سنة ١٩٠١ ثم فشا باهلها فاهلك منهم مئة الف نفس منذ ذلك الحين ويموت بهِ الآن الف نفس منهم كل شهر

ثم وصف المرض فابان مكان انتشارهِ على الخريطة فاذا البلاد التي ينتشر فيها واقعة على الضفاف الشمالية من بحيرة فكتوريا نينزا حيث الاشجار كثيرة والظل وارف . واسم هذا

تحمل سلاسل الجبال العظيمة فناءت بحملها وهبطت الجبال الى جوف الارض

على ان هناك مذهباً ثالثاً احدث من السابقين وهو ان جوف الارض مملوء غازًا وان غاز الحديد الذي فيهِ اصلب من الفولاذ على سطحها وذلك بسبب شدة الضغط عليهِ ويحيط بالغاز مواد سائلة تكوّن غلافاً رقيقاً لهُ وحول الكل القشرة الجامدة وقد لا يزيد سمكها على ٢٥ ميلاً او ٣٠ . ورأى اصحاب هذا المذهب في الزلازل الحديثة ما يدلُّ على صحتهِ

وقد بحث ليوي وبويزه في هذا الموضوع بلا غرض ولا هوى وبنيا بحثهما على الصور الفوتوغرافية التي صوّرا القمر بها فسلّما بان القمر كان في سالف الزمن سائلاً وان هناك آثارًا تدلُّ على انتقالهِ من حال السيولة الى حال الجمود ولكنهما لا يعلمان ما اذا كانت الحرارة فيهِ تزيد بزيادة العمق وما اذا كان مختلف الكثافة وانما يريان في تلك الصور امورًا تدلُّ على ان جمودهُ بدأ من سطحهِ كما بدأ جمود الارض على مذهب الجيولوجيين

ثم ان اختلاف المرتفعات والمنخفضات على سطح القمر اعظم من اختلافها على سطح الارض والناظر اليها يرى فيها آثارًا تشبه الآثار التي يحدثها سائل متحرك في جدران الاناء الذي يحتويهِ وتدل على انبثاقهِ منهُ وفيضانهِ على الارض التي حولهُ وجعلها سهلاً منبسطاً في اطرافهِ قطع من الجدار الذي انبثق السائل منهُ . ومنها الشقوق الكبيرة في جوانب بعض الجبال وهي تدل على ان جوانب تلك الجبال انثغرت او انشقت لانها كانت غير ثابتة . ولا يعلل ما يُرى من التموّج في سطح واسع جدًّا من الارض ومن انتقال بعض الاجسام الكبيرة من جهة الى اخرى كسقوط قمة جبال الابنين وانقداد الصخور الكبيرة من جبال القوقاس وتكوُّن الاودية القائمة الجدران بين جبال الالب الاَّ بان تلك الجبال كانت تخوماً لبحر من المواد السائلة

وفي هذه الصور امور اخرى واضحة تدلُّ على ان جمود القمر بدأ من الخارج الى الداخل وعليهِ قال العالمان المذكوران انهُ بعد ان تكوَّنت قشرة رقيقة في القمر اخذ السائل يتقلص الى الداخل رويدًا رويدًا حتى انفصل عن القشرة فحدث فراغ بينهما امتلأ غازًا ولما كان شديد الانضغاط منع القشرة من الانخساف ولكنهُ لم يكن كافياً لمنعها من الانكسار عند فوران السائل الداخلي . فلما فار لاسباب لا تعرف انكسرت القشرة عند اضعفها فانخسفت وخرج السائل من الداخل فافضى ذلك الى حدوث الدوائر العظيمة المتدرجة التي ترى في الانحاء القطبية حيث كان الجمود على اسرعهِ . اما في الانحاء الاستوائية حيث قوة المدّ وقوة الدفع عن المركز على اشدها فان فوران السائل احدث ما تسمى ببحور القمر . والصور تدل على ان ذلك تكرر خمس مرات وكان كلُّ مرة اخفَّ من الاولى بسبب تكاثف القشرة فالبحر الاول اوسعها

٣ بناء الارض والقمر

اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ السر ارتشبلد غيكي الجيولوجي فاقتطفنا منها ما يأتي

اتجهت انظار الجيولوجيين في السنين الاخيرة الى القمر فدرسوا وجههُ لعلهم يبلغون من ذلك الى العلم بكيفية نشوء الاجرام السموية وارتقائها وخصوصاً الارض اذ معرفتنا من هذا القبيل قليلة جدًّا . فان معظم الذين بحثوا في هذا الموضوع يذهبون الى ان القمر كان في سالف الحقب كتلة سائلة كما كانت الارض وان كثرة براكينهِ تدلُّ على انهُ طرأ عليهِ ثوران داخلي لا يعدُّ ثوران الارض شيئاً مذكورًا في جنبهِ فكانت الحمم والغازات تنبعث من جوفهِ الى سطحهِ كما يحدث عند ثوران براكين الارض. ولكنَّ قوماً آخرين من العلماء يقولون ان القمر تكوَّن من تجمع الشهب والنيازك التي كانت تحيط بكرة الارض وان براكينهُ لم تنشأ عن انقذاف الحمم والغازات من جوفهِ بل عن سقوط النيازك والرجم التي انقضت عليهِ من جوّ الارض. فكانت تصل سطحهُ مائعة او غازية من شدة الحرارة فتصهر الاماكن التي تسقط فيها

وآخر المباحث في هذا الشان ما عرضهُ الفلكيان الفرنسويان ليوي وبويزه على اكادمية العلوم الباريسية فانهما وجَّها الانظار الى الصور الفوتوغرافية الحديثة التي صوَّرا القمر بها وما تدلُّ عليهِ من الادوار التي تقلبت الاجرام السموية عليها وهي تنتقل من السيولة الى الجمود وفي جملتها الدور الذي بلغتهُ الارض والدور الذي بلغهُ القمر في اثناء ذلك الانتقال

اما من جهة الارض فهناك مذهبان متناقضان . فمعظم الجيولوجيين يقولون ان جوف الارض مؤَلف من مادة مصهورة بردت رويدًا من الخارج الى الداخل وان قشرتها الجامدة رقيقة بالنسبة الى حجمها . ولكن بعض العلماء الطبيعيين يقول ان القشرة التي تكونت اولاً عادت فانكسرت وصهرت وان جمود الارض الحالي بدأ من مركزها واخذ يمتد الى سطحها حتى جمدت كلها ما عدا بقعاً متفرقة تستمد البراكين منها مقذوفاتها. وان المواد التي هي اكثف من غيرها واصعب ذوباناً تجمعت حول المركز واما التي هي اخفُّ من غيرها واسهل ذوباناً فقد ارتفعت وتجمعت قرب سطحها

وبنى الجيولوجيون مذهبهم على ادلة كثيرة منها انهُ لا يمكن البراكين ان تقذف ما تقذف من المواد المصهورة ما لم يكن باطن الارض او الجزء القريب من سطحها سائلاً . واما العلماء الطبيعيون فيبنون مذهبهم على اسباب رياضية لم تثبت صحتها . فمن اعتراضاتهم على مذهب الجيولوجيين انهُ لو كان باطن الارض سائلاً لبات عرضة للمدّ والجزر مثل ظاهرها ولارتفعت قشرتها او هبطت تبعاً لذلك . ومنها انهُ لو كان سائلاً ما استطاعت قشرة الارض الرقيقة ان

" اذا لم يكن بك علة موروثة عن اجدادك فسرُّ طول العمر ان تعيش على حسب القوانين التي سنها الله وانغماس الشاب في ملاذ الشباب انما هو السبب الحقيقي في معظم الشرور والبلايا التي ترافق هذا العمر . ولست انام في ساعة محدودة ولكنني انام غالبًا الساعة الثانية عشرة وقلما انام سبع ساعات . ولا اترك للهموم مجالاً في نفسي فاذا عراني همٌّ او غمٌّ سرّحتهما بما في وسعي . وهذا مما يبعد العلل والاسقام ويشرح الصدر ويجعل الشيخ ابن الثمانين يشعر بنشاط الشباب وقوتهِ . ولست ادخن وانا اعتدل في طعامي وشرابي واجتنب شرب المسهلات ما امكن "

وقال السر وليم هجنس رئيس الجمعية الملكية وعمرهُ ٨١ سنة ما يأتي

" اني اقلل من اكل اللحم جدًّا واكثر من اكل اللبن وما طبخ بهِ . واشرب القهوة وملعقة صغيرة من الهوسكي الجيد ممزوجة بالماء البارد . ولم ادخّن قطّ وانام نحو تسع ساعات في الليل وافضل الاكل ثلاث مرات في اليوم . والرياضية في الخلاء مفيدة ولكنّ احوالي الحاضرة تمنعني منها وخير الوصايا للأكل ان يقلل الانسان من اكل اللحم ويستعيض عنهُ باللبن والارزّ وما اشبه "

وقال السر وليم درنكووتر " لست من اكلة المواد النباتية بل آكل اللحم على انواعهِ . وآكل اربع مرات في النهار ولكنني اعتدت اخيرًا ان ازيد عليها بعض اللبن والكعك ليلاً . وطعامي صباحًا سميذ مطبوخ باللبن وسمك ولحم مقدّد وبيض واشرب القهوة . وغدائي لحم وبطاطس وشاي وملعقة من الهوسكي . وعند الساعة الخامسة اشرب فنجان شاي وآكل معهُ بعض الخبز المحمص . واتعشى الساعة السابعة ونصفًا وعشائي من شوربة وسمك ولحم وحلوى وفاكهة واشرب بعض الخمر . ولست ادخّن البتة . وكنت اركب الخيل واخرج للرياضة كلّ يوم تقريبًا ولكنني انقطعت عن ذلك منذ عشر سنوات واقتصرت على الخروج للنزهة ماشيًا او راكبًا مركبة وعلى لعب الالعاب الخفيفة مساءً مثل البلياردو وما شاكل . وانام الآن سبع ساعات من الساعة ١١ مساءً الى ٦ صباحًا ونحو نصف ساعة في النهار . وعمري الآن نحو ٩٣ سنة "

والاستاذ جون مايور استاذ اللغة اللاتينية في كلية كمبردج سابقًا وعمرهُ الآن ٨١ سنة يختلف عن الذين تقدم الكلام عليهم في انهُ من آكلي الاطعمة النباتية فانهُ امتنع منذ سنة ١٨٧٨ عن اكل اللحم وشرع في تجربة الاطعمة النباتية والصيام فلم يذق سمكاً ولا لحمًا منذ ذلك العهد الى الآن . وكذلك امتنع عن الشاي والقهوة والشكولاتا وغيرها من المشروبات الحارة وعن المسكرات والمخدرات والمسكنات والمنبهات وسائر الادوية . وقد يشرب اللبن ولكنهُ قلما يذوق ما يصنع منهُ مثل الزبدة والجبن وغيرهما وقلما يذوق البيض ايضًا . وقد سئل عما يأكلهُ عادة فقال " اشرب صباحًا فنجانًا من مرق الخضر المسلوقة بالماء وآكل بعض الفاكهة الخضراء مثل البطيخ

والخامس اضيقها وبين حدّ الواحد والآخر منها مسافة عدة الوف من الامتار . فلو بدأ الجمود من الداخل لكانت النتيجة على خلاف ما نراها الآن فلم نرَ سوى آثار البحر الخامس او احدث البحور ولم يظهر اثر الثوران على سطح القمر

وخلاصة رأي هذين العالمين مؤيدة لآراء الجيولوجيين اي ان الارض والقمر اخذا يجمدان من السطح الى المركز وانهما لا يزالان يجمدان الى الآن

طول العمر

صدر في بلاد الانكليز مجلّة جديدة اسمها المجلة العظيمة اقترحت على جماعة من الشيوخ ان يخبروها بما يظنون انهُ كان سبباً لطول عمرهم وقد اقتطفنا ما يأتي ممَّا اجابوها بهِ

قال اللورد جويدر وهو اكبر اعضاء مجلس الاعيان الانكليزي سنًّا لان عمرهُ الآن نحو ٩٥ سنة ان السبب لطول عمرهِ امتناعهُ عن التدخين وكثرةُ الرياضة في الخلاء والاعتدال في الاكل والشرب قال "ولست من الذين يقولون بوجوب الامتناع عن اكل اللحم والاقتصار على اكل الاطعمة النباتية بل اني آكل من جميع اصناف اللحم بلا استثناء . وطعامي في الصباح الآن بعض الخبز واللبن وكنت آكل قبلاً من جميع ما يقدَّم لي . وغدائي لحم وخضر وصنف من الحلوى واشرب معهُ قليلاً من الهوسكي ممزوجة بالماء . وفي وقت شرب الشاي اشرب فنجاناً من الشاي وآكل بعض الكعك والفاكهة . وعشائي خبز وزبدة وشكولاتا ووقتهُ الساعة الثامنة وكنت اتعشى قبلاً عشاء ثقيلاً مثل الغداء . وكنت معتدلاً في شربي ولم امسَّ الدخان قط اما من جهة الرياضة البدنية فاني كنت أكثر منها ولم اقتصر على نوع واحد من انواعها . وكنت انهض من النوم الساعة السادسة صباحاً ولكنني الآن ابطئ في النهوض ومتوسط نومي عشر ساعات في اليوم

وسئل اللورد نلسون من اعضاء مجلس الاعيان ايضاً وعمرهُ ٨٢ سنة فقال "كنت مصاباً بسوء الهضم وانا صغير السن حتى بلغت السادسة من عمري فتمتعت بعد ذلك بالصحة التامة . ومنذ نحو عشرين سنة أُعطيت جرعة كبيرة من الستركنين فظهرت عليَّ اعراض السم ولزمت الفراش زماناً حتى قال طبيبي اني لن استطيع المشي بعد ولكنني لبثت اجهد النفس وانا لا اكلُّ حتى صرت استطيع الخروج للصيد وامشي اربعة اميال او خمسة في اليوم. وما زالت هذه عادتي منذ عدة سنوات" . الى ان قال

العصبيَّة

(تابع ما قبلهُ)

العصبية الدائمة الخلقية تتفاوت درجتها وتختلف قوتها بحسب مراتبها النفسيَّة فاساسها الانانية ومنها الروح السارية فيها ثم بعدها العصبية للاسرة ثم للعشيرة ثم للقبيلة ثم للامة ثم للنوع ثم للجنس. وكلما بعدت ضعفت والجنسية اضعف الجميع. هذا اذا تركت للفطرة دون تأثير للعوارض الخارجة الطارئة ولكن هنالك اسباباً تجعل المؤخر مقدماً والبعيد قريباً فربما يُذهب المرء نفسهُ ذبًّا عن امتهِ ووطنهِ او اسرتهِ وقبيلتهِ وهذا من الافراط فيها ولكنهُ محمود المغبة مشكور النقيبة قام عليهِ حفظ اصل النوع وبهِ اعتلت الفضيلة فاذا اختل مثل هذا تضعضع الكيان واضطربت الاكوان

لما تأصلت الغيرة الدينية في نفوس الاوربيين في القرن السادس للهجرة وتوجهت ابصارهم تلقاء فلسطين منبع اشعة النصرانية وعلموا ما يلاقيهِ الزائرون من العناء والاعنات كانت اقل نفحة من انفاس بطرس الناسك تذكي نار عصبية اندفع منها اتيٌّ عظيم على الشرق والشرقيين سال لهُ سيل الدم العرم يصلون حر النار لانقاذ البيت المقدس والمذبح المقدس والقبر المقدس من ايدي المسلمين

عصبية مذهبية ملية في غايات سياسية اذكاها امثال بطرس من زائري بيت المقدس المحرضين الهمم لانقاذهِ. صوَّروا للخاصة والعامة صوراً مختلفة متناهية في الفظاعة مثلوا بها حال المسلمين والاسلام في الارض المقدس صوراً اكبرها الوهم واعظمها الفكر وبرهنتها العصبية فتناقلتها بينهم الالسنة وتنقلت في الاحاديث فظهرت لديهم بمظهر الحقيقة على ابين مثال ولم تكن اختبارات عقلاء المهاجمين لاحوال المسلمين كافية لمحو تلك الصور من الاذهان لاسيما والخاطبون بتأييدها دائبون في الدعوة اليها حتى اذا خمدت الجذوة وانطفأت الشعلة ووضح بعض الحق وارتقت العقول تراخت العصبية وقلت الفائدة فلم يبقَ لذلك التأثير الهائل من الخاطبين اثر يبعث الحروب ويجر الويلات ولكنهُ نمق اثار وشي في الافكار من العصبية بقيت تصور لهم المسئلة الشرقية بصورها المختلفة

قلنا ان العصبية اذا تجاوزت حدها الى افراط وتفريط كانت مذمومة المغبَّة وخير احوالها ما انتهجت فيهِ الطريق الوسط ولكن لابدَّ لما في ذلك من مسيطر وقوة حاكمة عليها تراعي فيها الاحوال وتصرفها كيفما شاءت وتلك القوة هي العقل وهو قد تتسلط عليهِ امور تقيد اطلاقهُ

والموز وبعض الفاكهة المطبوخة مثل التفاح والخوخ والشايخ. وغذائي يتألف من الخضر المطبوخة والفاكهة. وعشائي من شوربة الخضر والخبز الاسمر والمعكرونة والطماطم المحشوة والفطر وما اشبه ذلك. وآكل احياناً بعض الفطائر معها. ولست الآن في حاجة الى الرياضة لبساطة طعامي. واستيقظ صباحاً الساعة الرابعة وعيناي لا تكلاّن من اصغر الحروف وسمعي لا يزال حادًّا. واقرأ خمس ساعات او ستًّا بصوت عالٍ كلّ يوم وهذا مما يأول الى حسن الصحة في اعتقادي "

ومما يهمّ ذكرهُ في هذا الصدد ان طعام الاستاذ مايور خالٍ من المواد التي تحدث الحامض اليوريك في الجسم. والحامض اليوريك سمٌّ من السموم التي تدخل الجسم وتحدث الامراض فيهِ فتجنب اكل المواد التي تحدثهُ يجيد الصحة ويطيل العمر

وكثيرون من الذين عمَّروا طويلاً اقتصروا على شرب اللبن واكل الجبن وهما المادتان الحيوانيتان الوحيدتان اللتان لا اثر للحامض اليوريك فيهما. والبلغاريون يكثرون من شرب اللبن فلذلك كثر المعمرون بينهم وهم يحمضون لبنهم قبل شربهِ بترويبهِ ومتى راب اللبن تكوَّن فيهِ الحامض اللبنيك وهو قاتل لبعض المكروبات التي تعيش في المعى الغليظ على ما يقول الاستاذ منتشيكوف. وعندهُ ان الشيخوخة مرض معدٍ يمكن معالجتهُ مثل سائر الامراض

اما كون اللبن الرائب يحتوي مكروبات تحسن الصحة فامر اثبتهُ الاختبار ويجب ان يبقى اللبن اسبوعين في الاناء ليختمر ويحمض ثم يؤكل

وألف الدكتور كيث كتباً في اطالة العمر قال في احدها ما يأتي

" اتناول صباحاً فنجاناً كبيرًا من الشاي والقشدة واربعين درهماً من الخبز الاسمر وقليلاً من السمك واقلّ منهُ من اللحم المقدَّد وبعض الزبدة والمربى. وغذائي فنجان من الشكولاتا اذا كان الهواءُ باردًا والاَّ فكاس من اللبن تسع نصف رطل وسبعين درهماً من الخبز وبعض الزبدة والمربى. واذا لم يكن عندي لبن اكلت قليلاً من الجبن مكانهُ. واتعشى الساعة السابعة مساءً وعشائي شوربة عدس وبطاطس وجزر وبازلاً وهلمَّ جرًّا او شوربة سمك وقليلاً من السمك وراس بطاطس وشيءٌ من الخضر. واذا لم يكن عندي سمك اكلت لحم ضان او طير او ارنب مرة او مرتين في الاسبوع ولا يزيد ما آكلهُ كلّ مرة على ٣٠ درهماً ثم آكل قليلاً من الحلوى او الفاكهة. وفي الشتاء آكل بدلاً من الفاكهة والحلوى شيئاً من الكرفس والجبن او الزبدة. وفي الصيف اقلّل اكل الخبز والزبدة "

وخلاصة ما تقدم انهُ يلزم لطول العمر الرياضة في الخلاء والاعتدال في الاكل والشرب

يصدع الوازع بهدايته وشريعته حين يرى الضلال غالبًا والشقاء حاكمًا فلا يزال في وعد ووعيد وبشرى وانذار حتى يستضيء بمشكاة هديهِ جماعة ممن فتح الله قلوبهم للايمان به فيستقيمون على سنة ولكن منهم من اخذ اليقين بالباب معرفتهِ فتراءى له الحق باجلى مظاهره فنبذ سنتهُ الاولى وعاداتهِ وعصبيتهُ حتى تمحى من صحيفة ذهنهِ او كادت ويقينهُ يدافعها عنهُ الى ان يدفع شرها وتقوم في نفسهِ عصبية جديدة للحق وللهادي اليهِ ومنهم من ضعف يقينهُ شيئًا عن دفع مغالبة سننه القديمة وعاداتهِ وعصبيتهِ الاولى فكان بهِ نزعة لحالتهِ الاولى وعاداتهِ وتقاليدهِ القديمة ولا يزال يرمقها في افعالهِ واقوالهِ من طرفٍ خفي ويقرب اليها من حيث لا يشعر حتى اذا طال الامد وسار المقتدون بهِ على منوالهِ وضحت تلك النزعات وظهرت تلك التقاليد في مظاهر اجلى في الخلف منها في السلف فتسترجع العوائد القديمة او ما يقاربها وترسخ بدعًا ثابتة فيقل اثر الاصلاح الذي صدع بهِ ذلك الوازع الكريم وتجلي عادات مظهرها الديني والدين منها براء. بهذا وذاك تتأصل البدع وملكاتها في النفوس وتستطيل بتقلص ظل الهداية ويعود الدين غريبًا كما بدأ ويستحكم التقليد

هذا هو الشأن في كل امة وملة ما لم يقم من رجالها سائرون في سنة الاصلاح على النهج السوي الصراح لا تثنيهم عن عزماتهم نزعات تلك العصبية ولا تقليدات تلك العظمة

نشأت المدنية في العرب وهم في خلة يتوارثونها خلفًا عن سلفٍ وهي العصبية القومية والتباهي في العشيرة فلما ظهر الاسلام احل محلها العصبية الملية لمكان الحاجة اليها فهذبتها مهذبات الوحي وثقفتها مثقفات النبوَّة. ولما انقضى عصر النبوة وتلاهُ زمن الخلفاء الراشدين سارت الامة على الطريق المسنون اللاحب ولكن كان سيرًا مع فتور يطرأ وشذوذٍ يحصل كلما بعد المدى عن زمن الوحي حتى رجع حكم الامة الى الملك العضوض وترعرعت الفتن وعلت جذوتها تراجعت تلك العصبية القومية بما بقي لها من الآثار والنزعات في النفوس وتنوسي التثقيف الديني وذهب التهذيب الشرعي والقت الامة مقاليدها الى اولي العصبية منها غير ناظرة الى استجماعهم الشروط المطلوبة من الصلاح والاهلية خلا صبابة كصبابة الاناء من آدابها وتهذيبها وارتفع بالتدريج حق السيطرة والمراقبة المخول للامة على حاكميها واستبدُّوا بالرأي والعمل وضربوا على يد كل معترض او ناشدٍ بالله في نصيحتهِ كما قتل من نصح احد خلفاء بني امية اذ قال لهُ وقد اطال خطبة الجمعة اطالةً كادت تذهب وقت الصلاة الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك. وقبلها وضع الحجاب وغلقت الابواب وعلقت الستور ورفع عبد الملك بن مروان سوطهُ على يد كل مذكّرٍ لهُ بالمعروف او ناهٍ عن منكر. والعصبية تسهل كل امر من ذلك وتقعد كل قائم ولم

من عادات وشهوات وملكات بكيفيات نفسيات فيصدأ من هذه الطوارق ولا صيقل لهُ الاَّ التهذيب والتعليم والقدوة الحسنة . والقدوة قائمة على اتمها في الاصاغر بالنسبة الى الاكابر وفي العامة بالنسبة الى الخاصة . عنيت بالخاصة من بيدهم ازمة الامور في الحل والعقد والتربية والتعليم يقيمون العصبية الصالحة في هؤلاء حيث يسلكون منها النهج الصريح ويتلبسون بالمبدإ الصحيح فينسج المقتدون بهم على منوالهم وتأخذ العصبية الحقة حقها من النجاح . لا اقول بانحصار التربية فيمن ذكرت بل اقول بلزومها لهم وانهم احق بها واهلها. منزلة الاكابر في النفوس من الجاه والنفوذ وبسطة العيش والقوة هي مطمح انظار من دونهم يتعلق بها جل اهوائهم فبهم يتشبهون وبمثلهم يتمثلون كي يعدوا في عدادهم ويذكروا بينهم سنة جارية وحالة متبعة . فاذا سلك الكبراء طريقاً تبعهم فيهِ غيرهم ان خيرًا فخير وان شرًّا فشرٌّ (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) لم تشذ بقوم عن نهجهم السوي غير العصبية الجائرة التي يسوقها الافراط والتفريط وانك تجد في العصبية قبل تجاوزها حدها كيانًا محفوظة واموراً متناسقة مستقيمة فاذا جاوزت حدها حصدت ما كانت جنتهُ قبل ادراكهِ فيذهب هشيماً تذروهُ الرياح . وان الامة العربية لما ظهر فيها الاسلام ودعا في تعاليمهِ وشريعتهِ الى التآخي والتناصر في دفع المكاره واستجلاب المنافع قامت العرب امة حية تسعى لكيانها الديني بطريق لا يضر بل يحفظ لها كيانها الاجتماعي وضربت منها العصبية في النفوس فحفظوها فاستقامت لها الاحوال وانتظم المعاش وصعدت في رقيها حتى اصبحت المالكة ذات السلطة المطلقة . وللدين وآدابهِ الصحيحة وتعاليمهِ القويمة فيها المقام الاول وهو بعدُ في جدتهِ لم تشبه البدع والاهواء بشوائبها ولم تدنسهُ الاباطيل بخزعبلاتها حتى اذا القت الرئاسة مقاليدها للداعين اليهِ والقائمين بنشرهِ قام فيهم جماعة لم يثقفهم التهذيب باصولهِ ولم يستمسكوا من عرى الدين بشيءٍ وكثير ما هم فتراجع سيرُ الناهضين في رقيهم ووقفت حركتهم شيئًا فشيئًا واخذت القدوة تمثل اعمال اولئك بصورة مستحسنة تفتن الناظرين اليها فيسيرون على نهجهم بعاداتهم وتقاليدهم فمسخوا كثيرًا من القواعد الدينية وشوهوا بعض محاسنهِ وتراموا اولاً فاولاً في بيداء البدع بين آفن يرى بالرئاسة دون مالهُ من الحق وذي سلطة دينية يأمل ان تتخذ اعمالهُ واقوالهُ حجة . فشذوا بذلك عن الآداب الدينية والقواعد الدينية الصحيحة حتى تكوَّن مع طول الزمن وترامي المدة بدعٌ اذهبت نضرة الدين والقوم سائرون في طريق القدوة لرؤسائهم حتى تفاقم الامر واستعظم وتشوهت الحقيقة بندوب البدع وتملكت العصبية من طريق القدوة في نفوس حرجة لا تفقهُ غير التقليد

بنشر لغتهم في الاقطار حتى كانت ضواحي الهند والسند وربوع مرو وخراسان وهي لباب العجمة مقرًّا لائمة اللغة العربية وعلمائها ومنبتًا لفضلائها ولما ان ضعفت السلطة العربية وفشلت الدولة العباسية دولتها الكبرى فترت همة المسلمين في هذا السبيل فانحلّت تلك العصبية وحل محلها عصبيات مختلفة فابعد ذلك الاتصال بين اجزاء الامة وافرادها واوهى التفريق عزها

فالعصبية خلق طاهر وخلة كريمة وهي مرقاة النجاح وسلم السعادة اذا اخذت طريقها الحق وانتهجت سننها العادل واخذت التربية والفضيلة زمامها وتولتا قيادها يغضان طماحها ويردان جماحها فلا تركب الشطاط ولا تألف الانحطاط وخير الامور الوسط (ومن قيد بالفضيلة قاد السعادة)

النبطية احمد رضا

قوانين الصحة في المشرق

من مقالة تليت على المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج وطبعت في مجلة ادنبرج الطبية

بقلم الدكتور يوحنا ورتبات احد اعضاء ذلك المجمع

ليس علم حفظ الصحة من العلوم الحديثة فان اسمهُ الهيجين يذكرنا بالعصر الذي كان اليونان والرومان يعبدون فيهِ الاهة الصحة هيجينيا بنت اسكولابيوس. واقدم من ذلك قوانين الصحة التي وضعها المصريون القدماء قبل التاريخ المسيحي بخمسة آلاف سنة او اكثر. ثم ان الاسراب التي اكتشفت في جزيرة كريت حديثًا وظهر انها تساوي في اتقانها ما بني من نوعها على قواعد العلم الحديث (وتاريخها ٣٠٠٠ سنة قبل المسيح) وقوانين موسى التي سنها لليهود وأدرجت في سفر اللاويين ومقالة بقراط في الهواء والماء والمساكن واطناب ابن سيناء في الكلام على تدبير الصحة في ما كتبهُ — كلُّ ذلك يدلُّ على المنزلة الرفيعة التي كانت للقوانين الصحية في عيون اطباء الاقدمين. والمثل اللاتيني القائل ان "العقل السليم في الجسم السليم" يقابل قول العرب "العافية تاج على رؤُوس الاصحاء لا يراهُ الاَّ المرضى"

ولقد صال ملاك الموت وجال في القرون المتوسطة فلم يبقِ ولم يذر وما ذلك الاَّ لعدم العناية بقوانين الصحة من مأكل وملبس ومسكن فكان فيهِ عظة وعبرة للعالمين. على ان الناس لم ينتبهوا لقوانين الصحة الانتباه الكافي الاَّ منذ عهد هفلند فشرعوا حينئذٍ في جمع مبادىء هذا العلم وتطبيقها على حاجات الافراد والبيوت والامة فكانت النتيجة استئصال

يكن من ثمة عاقل يجسر ان يتفوه ببنت شفة ضد المستبدين حتى تلاشت هذه العصبية بطبيعة هذا الاستبداد وقامت دونها اخرى تقاومها وتعارضها واخذ مسودة العراق قلوب السواد الاعظم غير انهُ بقي حثالة من العصبية الاموية قامت بها دولة الداخل في الاندلس وما زالت تحيا وتموت بالعدل والاستبداد حتى تلاشت وحل محلها غيرها كما كان مع العباسيين وقد تقدَّم ذلك كلهُ

قلنا ان النفع الذاتي والانانية سائقان الى النعرة مؤسسان للعصبية مقومان لها فاذا تقلص النفع اثر في اثرها واذهب من حشاشتها . وكلما بعد النفع وطرأ الضر تراخت العصبية فاذا دام هذا حلَّ محل الحب كره ونفور . ولهذا كان الاستبداد في الدولة سبباً لبطلان عصبيتها ونفور النفوس عنها فتنقطع امها وتنقسم على نفسها والنفس بالطبع مسوقة لجلب المنافع ودرء المفاسد فهي تريد دفع المضرة بكل طريق ترى امامها مفرًّا من الذلة فتنازع السلطة المستبدة سلطانها وقد كان اوهى امرها ونكث فتلها الاستبداد ولا يقعد بها وهي في تلك الحال عن مثل هذه غير خوف يبطئ بهمتها فاذا كان تألُّبٌ واتحاد وعصبية اخص واقوى لم يبقَ من الخوف ما يدفع الهمم عن تطلب المصلحة ودفع الجور وتتمكن العصبية التي هي اخص منهم وبعبارة اخرى ان العصبية بانواعها اذا وقع منها قسم بدافع سارت النفس منها الى نوع آخر حيث لا تخلو نفس من عصبية

حب الاستقلال وتطلب العز من مقتضيات الانانية وهو في الحقيقة من العصبية القومية لجميع الاحاد وكما ان العصبية تكون لشخص في الامة والعشيرة تكون للمجموع الكلي من حيث هو مجموع فتجعل حكمها وامرها كلهُ شورى وهذا اول الفطرة وغاية التمدن فاذا انحلَّت عصبية الرئيس فإن بقي لغيرهِ من الاشخاص عصبية جمعت حولهُ ذويها ونهضت بهم وان لم تكن رجعت الامة الى مجموعها وبعبارة اخرى رجعت الى انتظام هيئتها لادارة امرها فتحكم نفسها بنفسها ومنهُ الجمهورية

من آثار النفع الذاتي المؤسس على العصبية التضام والتلاحق والاجتماع حيث يبعث الفة تأنس بها النفس وتستوحش لبراحها فيحصل في قلب كل من المجتمعين الفة وبالتالي عصبية ولهذا كان الشتات في الامة وعدم الاتصال بين اجزائها موجباً لانحطاطها بفقدان عصبيتها فاذا بقي لها جهة جامعة بقي لها من العصبية بقدر ما تقتضيهِ تلك الجهة فالامة الاسلامية كان لها وئام وارتباط شديد ما دام لها اشتراك في اللغة يعني انها كلها ترمي الى اختيار لغة القرآن والسنة فلها بهذه الوحدة قوة في عصبية . ولقد كان العرب في دولتهم يؤبدون عصبيتهم

من قوابل غيرهنَّ خلفًا عن سلف

الولادة — الام والولد . يلد النساء في الشرق على كرسي الولادة . وقد ذُكر هذا الكرسي اول مرة في سفر الخروج وذلك قبل التاريخ المسيحي باربعة عشر قرنًا فتجلس المرأة فيهِ عند الولادة ولعلَّ ذلك اصلح من اضطجاعها على جنبها الايسر الاَّ اذا كانت نحيفة البنية او اصابها نزف . وحوادث النزف الخطرة او الموت عند الولادة نادرة جدًّا والغالب ان النفساء تتعافى سريعًا وسبب ذلك انتظام شكل الحوض في النساء الشرقيات وصحة بنيتهنَّ وشدة تقلص رحمهنَّ وقت الولادة

ومتى ولد الطفل قُمط بالقماط وهذه العادة قديمة جدًّا ذُكرت في سفر حزقيا ص ١٦ ع ٤ وهي وإن تكن مخالفة لحكم العقل الاَّ انها لا تعوق نموَّ الجسم ولا تمنع حسن تكوينهِ كما تشهد بذلك بنية اجسام الشعوب الشرقية . و يشير كتاب العرب بتنظيف انف الطفل وقطر الزيت في عينيهِ ويلقم ثدي امهِ حالاً وقد تستفيد الام من ذلك لانهُ يهيج فيها انقباض الرحم في حالة النزف . ومدة الرضاع سنتان على الغالب والتلمود ينهى المرأة التي يموت زوجها مدة الرضاع من الزواج ثانية قبلما يبلغ عمر طفلها ٢٤ شهرًا . واذا حملت المرضع قالوا ان لبنها يصير يضرُّ الطفل وامهُ وجنينها فيفطم اذا كان قد بلغ السن الذي يفطم فيهِ والاَّ اعطي لمرضع ترضعهُ . ومن المشهور ان الشرقيين يفضلون الذكور على الاناث وسبب ذلك ان ولادة الذكور كانت تزيد العائلات والقبائل قوة وسطوة في الازمنة الاولى التي كان يكثر فيها الغزو وشنُّ الغارات وكان الحكم للسيف والقوة . وفي التوراة والقرآن اشارات كثيرة الى ذلك . اما البنات فقد قال التلمود فيهنَّ انهنَّ قد يُغْوَيْنَ حين يكبرن او يتزوجن زواجًا لا يرضاهُ اهلهنَّ او يكنَّ عقيمات او يُطلقن فيعدن الى بيت والديهنَّ . وقال الشاعر العربي

اذا ما المرءُ شبَّ لهُ بنات عصبن برأسهِ إبة وعارا

وكان من عادات عرب الجاهلية ان يئدوا البنات ايام الجدب الى ان جاء الاسلام وابطل ذلك

الختان — الختان عادة قديمة جدًّا جرى المصريون القدماء عليها واقتبسها منهم اليهود والعرب وغيرهم من امم المشرق . وهو عند اليهود فرض دينيٌّ اما المصريون وغيرهم فكانوا يختتنون للتطهير . قال هيرودتس ان المصريين القدماء كانوا يختتنون حرصًا على النظافة واعتقادًا ان النظافة خير من الجمال . وكان عرب الجاهلية يختتنون و بقوا كذلك بعد الاسلام . والقبط والاحباش يختتنون الى هذا اليوم على ما اظن

شافة البرص شر الامراض من اوربا عموماً وقطع دابر الطاعون والكولرا وحمى التيفوس والجدري وهبوط متوسط الوفيات العمومية هبوطاً يذكر. بقي ان نعلم ما هو تأثير الاكتشافات الحديثة ومباحث العلماء عن اصل الامراض الحلمي في منع الامراض واطالة الاعمار

الاطباء والقوابل — اقدم الاشارات الى الاطباء في التاريخ هو ما جاء من ان احد ملوك المصريين القدماء كتب مقالة في التشريح . وكان اطباء المصريين كهنة يقيمون في الهياكل ويتفرغ كلٌّ منهم لدرس نوع خصوصي من انواع الامراض المختلفة . واقتبس الاسرائيليون مدة عبوديتهم في مصر كثيرًا من مواليهم. وقد كثر ذكر الاطباء والادوية في العهدين القديم والحديث. وأمر التلمود اليهود باحترام الاطباء ودفع اجورهم ونهاهم عن الاقامة في بلد ليس فيهِ طبيب. وترجم العرب في عهد الخلفاء العباسيين كتب ارسطوطاليس وبقراط وجالينوس الى العربية وتبارى علماء الاسلام والنصرانية في درس الفلسفة والطب . فبنيت المستشفيات في جميع المدن الكبيرة وأوى اليها اشهر الاطباء في ذلك العهد والتفَّ حولهم تلامذة درسوا الطبَّ عليهم ونالوا الشهادات منهم . ولا يزال في دمشق الشام آثار دار للمجانين وملجإٍ للقطط المريضة والضالَّة واخرى للبُرص يظنُّ انها بنيت من عهد نعمان السرياني

واشهر اطباء العرب الشيخ ابن سيناء عاش في اوائل القرن الحادي عشر والَّف كتاب القانون فطبع في رومية سنة ١٥٩٣ اخذًا عن النسخة العربية . وترجم الى اللاتينية من نسخة خطية سنة ١٤٩٨ ثم طبع بها مرارًا وبقي زمنًا طويلاً حجة يرجع اليها في الطب . وهو جعبة حاوية لجميع ما عرف عن صناعة الطب منذ نشأتهِ الى عهد المؤلف. ومن مشاهير اطباء العرب الرازي وهو اول من كتب عن الحصبة والجدري . واشتهرت مدارس الطب التي بناها العرب في الاندلس فأمها الطلبة المسيحيون في القرون الوسطى من جميع بلدان اوربا

وفي البلاد العثمانية الآن والقطر المصري خمس مدارس للطب أُنشئت على الاسلوب الحديث يدرس التلامذة فيها اربع سنوات . وبعض منتهي هذه المدارس يقصدون كليات الطب الشهيرة في اوربا حيث يتمرنون على العمل بادارة مشاهير الاساتذة

وفي كل من الاستانة والقاهرة مدرسة لتعليم التوليد وهما حديثتا العهد والتعليم فيهما بسيط يقتصر على تدبير حوادث الولادة الطبيعية واستعمال بعض مضادات الفساد . وهما خاصتان بالنساء ويمتحن طالبات الدخول في القراءة والكتابة والحساب ويحضرن بعض الخطب ويدرسن كتابًا صغيرًا في هذا الموضوع . ومدة درسهنَّ ستة اشهر. على ان عدد اللواتي درسن في هذه المدرسة لا يزال قليلاً ومعظم القوابل من اللواتي تعلمن صناعتهنَّ

بالصحة وكذلك الحيوانات القذرة كالخنزير او التي لحمها عسر الهضم كالارنب . وقد حرّم القرآن أكل الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع ولكن اشدّ التحريم في الدينين واقع على لحم الخنزير فانهُ رجس عند اليهود والمسلمين لقذارتهِ ولحم الخنزير مضرٌّ في الاقاليم الحارة وقد يصاب آكلهُ بمرض التريخينا . بل قد رأيت كثيرين اصيبوا بهذا الداء من اكل لحم الخنزير البري . ويحرم على اليهود والمسلمين اكل الدم اعتقادًا انهُ مركز الحياة وان اكلهُ مضرٌّ بالصحة . وعليهِ فاليهود ينقعون اللحم بالماء نصف ساعة قبل طبخهِ ويملحونهُ حتى يزول منهُ كلُّ اثر ظاهر للدم . وحاخامو اليهود لايكتفون بتفسير قول التوراة " لا تطبخوا جديًا بلبن أُمهِ " حرفيًا بل يقولون انهُ لا يجوز ان يؤكل اللحم مع اللبن او ما يصنع منهُ كالزبدة والجبن وما اشبه بل يجب ان تكون الفترة بين الطعامين ست ساعات . وليس هناك من سبب صحي لهذا التحريم ولكن ابن ميمون احد اطباء اليهود وفلاسفتهم قال انهُ جرت عادة بعض الوثنيين ان يقدموا اللحم واللبن ممزوجين الى اصنامهم فمنع اليهود من اكلهما معًا لهذا السبب

واليهود يبالغون في التحوُّط والتدقيق عند انتقاء اللحم للطعام فيعينون رجالاً خبيرين يفحصون الذبائح فاذا اشتبهوا انها مريضة نبذوها والاَّ طبعوها بطابع معلوم . فما كان منها سليمًا سموهُ كاشير وما كان سقيمًا سموهُ تاريف والمرجح ان هذا هو السبب في قلة الذين يصابون بالسل بينهم . وهم يحرّمون اكل الثرب (شحم الامعاء) وشحم الكلى لاسباب دينية ونعم ما يفعلون لان هذا الشحم عسر الهضم جدًّا

قلنا ان الاصابات بالتدرن الرئوي قليلة بين يهود المشرق ولا يعلم ان كان السبب في ذلك عنايتهم بانتقاء اللحم السليم لطعامهم او امر آخر مثل سكنهم في احياء خصوصية تمنعهم من الاختلاط بغيرهم . فان كان الاول فهو من الاهمية بمكان لاسيما وان الخلاف قائم بين كبار الاطباء على ما اذا كان ميكروب الحيوانات يعدي الانسان

اما مواد الطعام التي يأكلونها كالخبز واللحم والسمك والطير والخضر والاثمار واللبن والسمن والبيض فلا تختلف عما يؤكل في اوربا و يعدون الخبز واللحم قوام الحياة ولكنهم يحسبون ان الاكثار من اكل اللحم غير صالح ولاسيما للشبان والشيوخ ويفضلون السمين على الهزيل والصغير على الكبير و يقولون كُلِ الفواكه في ابانها

ولكن اكثر طعام الفقراء من الخضر المطبوخة بالزيت والاغنياء يأكلون الزيت في طعامهم ايضًا وهو مفيدٌ للصحة ومغذٍّ ومن الاحاديث النبوية " كلوا الزيت وادّهنوا بهِ لانهُ من شجرةٍ مباركة " وينعت الزيتون في القرآن بالشجرة المباركة لما لهُ من الفائدة الجزيلة فخشبهُ متين

واهمُّ فوائد الختان انهُ يقلّل خطر العدوى بالامراض التناسلية كالزهري . ثم ان المختونين اقلُّ تعرُّضاً لبعض الامراض التي يصاب بها الغُلف كما هو معلوم

الزواج — لا يزال اليهود والمسيحيون والمسلمون يجرون على سنّة الزواج المتضمنة في الشريعة الموسوية من حيث التحريم والتحليل . وتزوج الرجل باخت امراتهِ بعد موت امراتهِ محلَّل والتلمود يمدحهُ جدًّا لانهُ يدعو الى سعادة العائلة وخير الاولاد الذين ولدوا من الام الاولى ولكن اليهود لا يميلون الى زواج الرجل من بنات اخيهِ او اختهِ او عمهِ اعتقادًا منهم ان النسل يجيءُ ضعيفاً بخلاف المسلمين فان الزواج ببنات العم كثير بينهم . والكنيسة الارثوذكسية تذهب الى ابعد مما تذهب شريعة موسى اليهِ في امر تحريم الزواج وتحليلهِ فهي تحرم الزواج الى الدرجة السابعة بحجة ان ذلك ادعى الى اصلاح النسل فضلاً عن انهُ يقرّب بين العائلات البعيدة في النسب ويصلها بصلة القربى والصداقة

واليهود والمسلمون يفضلون الزواج الباكر والتلمود يحتم على الذكور والاناث بالتزوج في سن الثامنة عشرة او قبلهُ ولكن اليهود كثيرًا ما لا يراعون هذه القاعدة . وعندهم ان الزواج الباكر ينقذ الشبان والشابات من العادات القبيحة ويؤول الى تحسين الصحة والنسل . ثم ان تعدد الزوجات بينهم والطلاق قليلان . فالحاخامون لا يحللون الطلاق الاَّ في احوال نادرة كما لو اصاب المرأة مسٌّ من الجنون او مرض عضال . ويحللون للرجل التزوج بامرأة ثانية اذا كانت امرأتهُ الاولى عاقرًا ولا يشاء ان يطلقها

ويكثر الصرع والجنون والبله بين العائلات اللبنانية العريقة في النسب لاقتصارها على التزوج فيها مدة طويلة . ولا ريب ان ذلك يضرُّ بالنسل بدنيًّا وعقليًّا . وينسب المسلمون العاهات البدنية التي توجد في الاطفال حين ولادتهم الى اسباب لا يعلمها الاَّ الله . اما بعض اليهود فينسبونها الى الوراثة او سوء سلوك الوالدين والتلمود ينسبها الى تأثير النجوم والابراج وكان هذا الاعتقاد شائعاً في العصور المتوسطة غير ان اليهود الذين يقولون بتناسخ الارواح يحسبونها قصاصاً على خطية سالفة ولعلَّ هذا هو مراد اليهود في سؤالهم عن الرجل الاعمى الذي شفاهُ المسيح حين قالوا اهذا اخطأ ام ابواهُ حتى ولد اعمى . ودروز لبنان يذهبون هذا المذهب ويقولون ان هذه هي الطريقة الوحيدة لاظهار عدل الله في عبادهِ

الطعام — لا يزال اليهود متمسكين شديد التمسُّك بشريعة موسى من حيث الطعام الطاهر والنجس . وكان عند المصريين القدماء شيءٌ مثل ذلك . والظاهر ان هذا التمييز بين الطعام الطاهر والنجس بني على اسباب صحية فحرّم اكل جوارح الطير وكواسر الوحش لان لحمها مضرٌّ

وقد كتب ابن سيناء فصلاً ضافي الاذيال في الماء ذكر فيهِ اموراً كثيراً مما في كتب الهيجين الحديثة عنهُ مثل مصادرهِ المختلفة وصفاتهِ وانواع التربة التي يتخللها والتغير الذي يطرأ عليهِ في اثناء جريهِ واشار بشربهِ مصفًى عديم الطعم والرائحة وبغليهِ اذا اشتبه فيهِ وبالامتناع عن شربهِ اذا كان راكدًا . وقسمهُ الى فاضل ورديء ومدح شرب ماء المطر اذا كان جديدًا. ونهى عن شرب الماء مجرورًا بانابيب الرصاص لانهُ يفضي الى آلام في البطن وقال ان شرب الماء الراكد الناقع يسبّب امراضًا في الكبد والطحال والامعاء تنتهي بالاستسقاء ووصف شرب الماء الحارّ للمغص والقبض والصرع والسويداء وغيرها من الامراض العصبية لانهُ يطهّر المعدة والامعاء . وقال ان الماء العكر يسبّب الحصى واعتقال الامعاء

ومن قواعدهم ان الماء يجب ان يشرب على مهل كما يؤكل الطعام وان لا يكون باردًا جدًّا ولا يشرب والمعدة فارغة والجسم متعب وان يملأ ثلث المعدة طعامًا وثلثها شرابًا ويترك الثلث الثالث للهواء . وان تغطّى آنية الشرب

الاشربة الروحية — يُصنع في الشرق نوعان من الاشربة الروحية وهما العرق والخمر والغالب ان الخمر تحتوي على كثير من الكحول لكثرة السكَّر في العنب السوري. وتصنع الخمر الآن على الطريقة الفرنسوية وهي حينئذٍ اقل كحولاً و يفضّل الاهلون البرندي الفرنسوي على العرق الاهلي ولكن العرق الاهلي الجيد انقى من البرندي بكثير . والغالب ان تشرب الخمور الآن ممزوجة بالماء كما كانت تشرب في زمان اليونان والرومان • وقد حدّد التلمود النسبة بينهما وهي واحد من الخمر الى اثنين من الماء

والخمر ممنوعة في القرآن مثل الميسر لانها " رجس من عمل الشيطان " وعليهِ لا يشربها مسلم ديّن . لكنَّ اليهود يشربونها عمومًا . والحاخامون يمدحون الاعتدال في شربها بعد سنّ الاربعين. ومن اقوالهم ان الخمر المعتقة مفيدة للشيوخ • اما السكر فيختلفون فيهِ فمنهم من يحرّمهُ ومنهم من يتساهل فيهِ فلا يحرّمهُ الاّ عند الصلوات الثلاث نهارًا فيبقى الليل كلّه للشرب . ومن الغريب ان المصريين القدماء حرموا السكر في الاثنتين والاربعين وصية التي كانت عندهم ولا ذكر لهُ البتة في الوصايا العشر ولا في اسفار موسى الخمسة وقلما ذكر في العهد القديم مع ان اليهود اقتبسوا كثيرًا من عاداتهم عن المصريين

غير ان السكر ليس من المنكرات الكثيرة الشيوع في البلاد الحارّة كما هو في اوربا وخصوصًا البلدان الشمالية منها ولكنهُ آخذ في الازدياد يومًا فيومًا . واطباء العرب يحذرون من الافراط في الشرب لانهُ مجلبة لامراض الكبد والاستسقاء والسكتة الدماغية والموت

وثمرهُ يأْكلهُ الغني والفقير على السواء وزيتهُ يطبخ بهِ ويستعمل في صناعة الصابون ولم يكن عندهم ما يستضيئون بهِ غيرهُ قبل استعمال زيت البترول. وقد اطنب ابن سيناء في فائدتهِ في الجروح والبثرة الخبيثة والذئب الاكال والقوباء واستعمالهِ مقيئاً بعد شرب السم او مسهلاً في المغص والادهان بهِ في الآلام العضلية والعصبية كما مدح السر جيمس سمسن استعمالهُ مرهماً تدهن بهِ اجسام الاطفال الذين يكونون ضعفاء البنية. ويظهر لي اني رأيت منهُ فائدة في ذلك. وجاء في التلمود ان اكل الزيت يشحذ القريحة . ويهود اوربا يعتقدون ان اخوانهم المشارقة يفوقونهم دهاء وذكاء لكثرة ما يأكلون منهُ

ومن القواعد الصحية المذكورة في كتب اليهود والمسلمين ان قليلاً من الملح قبل الطعام يهيج القابلية ويساعد على الهضم . وانهُ يجب الامتناع عن الاحاديث التي تجلب الكآبة على الطعام وان تكون اللقم صغيرة وتمضغ جيداً وان تكون كمية الاكل معتدلة وان يقوم الآكل عن الطعام قبل ان تمتلئ معدتهُ وان يأكل صباحاً قبل الشروع في العمل وان النوم الهني يعقب العشاء الخفيف وانهُ لا يجوز ادخال طعام على طعام وان النهم مجلبة للاسقام وتدبير الطعام خير الامور لمعالجتها . ومن امثال الشرقيين انهُ لا يجوز للشيخ ان يقلع عن عادة قديمة ولا ان يعتاد عادة جديدة

الماء — لما كانت كثرة الماء لازمة كلَّ اللزوم في البلدان الشرقية حيث الهواء حارٌّ جافٌّ فلذلك ترى اكثر المدن مبنية قرب الانهار . ثم ان العيون والآبار والصهاريج كثيرة والاولى منها تفضل على البقية لنقاوة مائها وقلة تعرضهِ للاقذار وقد عني الرومان بان يكون الماء غزيراً نقياً بدليل ما بنوا من القناطر والقنوات في جميع انحاء سورية لجرّ الماء . وفي سنة ١٨٧٥ نالت شركة انكليزية امتيازاً بجرّ الماء من نهر الكلب الى بيروت فسلمت المدينة بذلك من الكولرا على حين ان البلاد المحيطة لم تسلم منها . وقد تتفشى الحمى التيفويدية فيها ولكنها نادرة خفيفة الوطأة عادة فيها سوى مرة واحدة وذلك سنة ١٨٩٥ حين اشتدت وطأتها

اما مصر فانهُ ليس عند اهاليها ما يستقون منهُ سوى النيل وماؤُهُ كدر بالطبع ولكن معظم الاهالي يشربونهُ بعد تصفيتهِ بالازيار ومن رأْي كوخ ان هذه الطريقة كافية لتصفيتهِ من ميكروبات الامراض . ولكن الفلاحين وهم معظم الاهالي يشربونهُ كما هو بلا تصفية فلذلك ترى اكثرهم مصابين بالبلهرتسيا. وقد قال الدكتور هارلي ان هذه الدودة تدخل مجرى البول عند استحمام الاهالي بماء النهر. ولكن الارجح انها تدخل الجسم مع ماء الشرب. ومن الامراض الخطرة المسببة عن شرب الماء غير النقي الدوسنطاريا وكثيراً ما تفضي الى تكوّن خرّاج في الكبد

البيوت — تختار الاراضي الجافة الصلبة لبناء المنازل عادة وتبنى بحيث تتعرض غرفها للشمس بعيدة عن المستنقعات والاماكن الرطبة. وسكن الجبال عندهم من وسائل الصحة والنشاط والشجاعة والجمال . وهندسة المنازل على مثال آثار المنازل التي وجدت في بمباي ومن احسن القواعد الاجتماعية عند المسلمين مراعاة حرمة الجوار والمثل العربي يقول اسأل عن جارك قبل دارك

على ان نزح المراحيض لا يعنى بهِ كما هو الواجب فلذلك كثيرًا ما تنشأ الامراض عن هذا الاهمال . ولكنهم اخذوا يجرون على النظام الحديث في ذلك

دفن الموتى — من عوائد الشرقيين القديمة دفن الموتى حالاً بعد موتهم فان ذلك يقلل ابواب العدوى ويخفف لوعة الحزن على الميت ولعل السبب الاعظم في ذلك ان لا يرى اهل الميت ما يطرأ على جثتهِ من الانحلال السريع في الاقاليم الحارة فيزيد ذلك كرب نفوسهم ويثير اشجانهم

واليهود والمسلمون يغسلون موتاهم بالماء والصابون ويطيبونهم احيانًا بالطيوب ثم يكفنونهم ويدفنونهم في قبور عمقها ٥ اقدام على الغالب

شعر البارودي

كان الشعر الى فجر القرن الخامس كأنما يتخطى روضة فينانة أخذ من جانبها الى ما يقابله فكان في مبتدئهِ ذلك الحائط الخشن مما هو كالسور والحياطة لما وراءهُ وذلك عصر البداوة على تقلبات اللغة فيهِ فان غاية ما كان من امر الشعر يومئذٍ ان يترقرق على الالسنة الفاظًا عذبة واكثرهُ كشجر السرو لهُ رواءٌ وما لهُ ثمر . وللعرب في ذلك عذرهم الذي لا يُدفع ما دامت تلك ارضهم وذلك مقدار ما تناولوهُ من بساط العيش وما تقلبوا فيهِ من اعطاف العمران

غير ان السماء بما ينزل منها وما يعرج فيها وما تنير بهِ كانت لا تزال مرمى ابصارهم ومطرح اشعتها فلم يعدموا جهة ينفذ منها النسيم الى افئدتهم فيختلج فيها خاطر رائع او وصف بديع . وكذلك ما خلق الله بينهم من مَهوَى القلوب ومسرح الابصار . وما احسب شاعرًا كان اشهر فيهم من فارس يصف حربًا او بليغ ينعت سربًا او متوجع يشكو قلبًا

وما زال الشعر يتخطى من تلك الروضة وكل جيل منهُ يقف من الظل والماء والرياحين عند ما لم يجد سلفهُ من صنوف ذلك حتى خرج آخرهُ من الجانب الثاني واذا هو بالطلول في المدائن والدِمَن في الرياض والبُرى تقعقع بين الكؤوس والاباريق والهجير يشوي الوجوه في ظل الورد والرياحين الى غيرها مما احالهُ عن وضعهِ وخفضهُ بعد رفعهِ وجعلهُ وخمًا ثقيلاً لا

الفجائي . ولعلَّ حاخامي اليهود يريدون من امتداح شرب الخمر باعتدال بعد الاربعين تثبيط العزائم عن شربها قبل ذلك السن خشية ان تمسي عادة يصعب الاقلاع عنها لان سن الاربعين هو السن الذي يصحو المرء فيهِ من سكر الشباب

النوم — يقول اطباء العرب ان النوم يتغلب على جميع انواع التعب ويفيد في النزف والاسهال وينفع الشيوخ كثيرًا ويشيرون بالنوم الباكر والقيام البكر (والتلمود يعين ثماني ساعات للنوم) وعدم النوم والمعدة ممتلئة او فارغة . ويقولون ان احسن اوقات النوم مساء بعد العشاء بثلاث ساعات او اربع وانهُ يجب على النائم ان يضطجع على جنبهِ الايمن اولاً ثم على الايسر لان ذلك يسهل الهضم اما النوم على الظهر فيجلب الكابوس وتعب الدماغ وغيرها من العوارض ويصفون للارق الاستحمام بالماء الحار قبل النوم والاكثار من صبهِ على الرأس واكل الخس اقتداء بجالينوس . وزيت الخس يستعمل في ايامنا دواء للارق

والقيلولة الشائعة في الشرق وجنوب اوربا مفيدة للصغار والشيوخ والمرضى ولكن يجب ان تكون قصيرة المدة . والتلمود يعين مدتها وهي ٦٠ نَفَسًا ولكن اذا أُفرط فيها آلت الى الضرر بالهضم والى الارق ليلاً . ومن الاحاديث النبوية "قيلوا فان الشياطين لا تقيل"

اللباس — أخذ الشرقيون يستبدلون الثياب القديمة الواسعة بالملابس الضيقة الحديثة ولا ريب ان لبس العمامة مفيد للصحة لانهُ يقي الرأس من حر الشمس . وما يلبسهُ البدو على رؤوسهم يغطي الجبين والقسم الاعلى من العمود الفقري . اما الطربوش فعلامة الجنسية العثمانية ولكنهُ غير صالح . والمنطقة من ملابس الشرقيين الضرورية وهم يعتقدون انها تقوي الجسم عند العمل البدني وتدعم البطن وفي التوراة اشارات كثيرة اليها . والخف القديم والحديث لا كعب لها وهما يريحان القدمين ولا يسببان نمو المسامير فيهما ولكنهما لا يصلحان للمطر والوحل . والقميص من اهم اجزاء اللباس والظاهر ان الصليبيين اقتبسوهُ عن العرب ومنهُ كلمة chemise الافرنجية . ولا يزال كثيرون من اليهود يطلقون سوالفهم عملاً بامر التوراة وعلامة لجنسيتهم والتلمود يأمر النساء بقص شعورهنَّ ولبس الشعر العارية لكي لا يغوى الناس بجمالهن ولكن نساء اليهود في اوربا ابطلن هذه العادة

النظافة — يعنى اليهود والمسلمون بنظافة ابدانهم ولاسيما قبل الصلاة . ويغسلون ايديهم قبل الطعام وبعدهُ ولكن النظافة الدينية شيء والنظافة البدنية شيء آخر وقد لا يجتمعان فان اليهود معروفون بقذارة ابدانهم وملابسهم ومساكنهم ولكن المسلمين على ضدّ ذلك . ويقول العرب "ان النظافة من الايمان" بدلاً من قول الانكليز اي النظافة بعد الايمان

مطروح العبارة الى حيث تثير القلوب ولو ان الله اعطاهُ مع ذلك خيال حكيم كالمتنبي او غيرهِ لكان اشعر من سمعت اذنٌ شعرهُ . وانا وان كنت أُجلّ الرجل لحسن صحبتهِ ولطف محادثتهِ وبشاشة محضرهِ وادبهِ غير اني في كتابتي عنهُ لا اكون كذلك الاعرابي الذي بلغ من حبهِ ان يرى الشمس على حائط من يهوى احسن منها على حيطان جيرانها . .

وللسبب الذي قدمتهُ لم يكن شاعرنا كامل التصرف في فنون المعاني وان كان اشعر من جميع معاصريهِ بلا مراء غير انهُ أتم ذلك النقص بما اتقن من جمال الصنعة وبديع الرواء فلو انك جرَّدتَ اكثر معانيهِ من الفاظها وما أحاطها بهِ من الصياغة لرأيت مالا ينفرد بهِ بل ما ربما انفرد بغيرهِ سواهُ . اليك مثلاً قولهُ في التذكر

يا ذكرة أبصرتُ في مرآتها صور التمني
علقت حبالة خاطري فيها بمكحول اغنِّ

ففي البيتين من حسن الصنعة وحذقها ما يأخذ بالقلب ولكن النَّفَس قد هبط في البيت الثاني وانقطع في اخرهِ وسكن القلب فجأة لان الشعر في ذلك غير تام

وبعضهم يرى مثل ذلك من اجمل الكلام اخذاً بقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني في حد البلاغة انها ليست في اللفظ ولا في المعنى ولكنها في الاسلوب . ويفهمون من الاسلوب انهُ مجرى الكلام وسياقهُ ولكني لا أدري كيف هذا والاسلوب لا يسوقهُ غير المعنى فالبلاغة في الحقيقة هي التصرف في المعاني المنصرفة الى الاغراض وذلك يتناول الالفاظ لان المعاني لا تقوم بغيرها و يتناول الاسلوب لانهُ طريق تلك المعاني التي تنصرف فيها

اما نمط البارودي في النظم فهو غاية ما دارت لهُ الالسنة . عذوبة تكاد ترشف وجزالة تلعب بالنفس وسلاسة يستريح في ظلها القلب وتستنشق نسيمها الكبد فهو الغدير اعذب ما يسكن والمرآة اصفى ما تكون واشدة رغبتهِ في ذلك النمط وانصرافهِ اليهِ بجملتهِ جعلهُ المرجع في اختيار ما اختارهُ من شعر الشعراء في مجموعاتهِ التي سماها باسمهِ فحيث انتهى الى اللفظة الممتلئة رواءً اسرع فاقتطفها بقلمهِ . كنت ذات عشية عندهُ فرأيت الى جانبهِ جزءًا من ديوان مهيار الديلمي فتناولتهُ وجعلت اقرأ قصيدة كان قد علَّم ما اختارهُ منها وجملة ذلك أبيات فسألني أن أعرِّفهُ رأيي فيما أختارهُ منها فلم اذكر لهُ غير بيت واحد كان فخم المعنى ولم تكن تلك القصيدة مما يضيءُ فيهِ ذهن مهيار فضحك رحمهُ الله . وكذلك جرى في تلك المجموعات

وكان يقدم أبا تمام على المتنبي فسألني في ذلك مرة فقلت ان الذي ذكرهُ نقَّاد الكلام ان المعاني المخترعة لابي تمام ثلاثة بعد ان عدها بعضهم ثلاثين والمتنبي وان كان قد افتضح في سرقاتهِ

يساغ ولا يهضم . ولكن تلك العصور لم تخلُ من الانفاس العذبة فان ايام الصيف بما يمل من طولها و يذيب الادمغة من حرها لا تخل بنفحة يخفق بها منديل الاصيل او يهتز لها ذيل السحر . ومن تلك النسمات كان شعر البارودي رحمهُ الله على حين لم يكن في مصر الاَّ النكباء والسموم فقد كان صاحب الوقت بزعم اهلهِ محمود افندي صفوت وهو قد اخذ لواءهُ من الدرويش وانضوى اليهِ مثل الليثي والبخاري والابياري وابو النصر والنديم ومجدي ورفاعه وسواهم

وان قُصارى ما يكون من ابرعهم شعرًا وابدعهم صنعة اذا نفض رأسهُ وزاد في حركة قلبهِ وضرب على جبهتهِ بكلتا يديهِ ان يعطس ببيت فيهِ نكتة من البديع اكثر ما تكون من نحو حسن الاخذ والتضمين والاقتباس الى ما يماثلها. وكان ابتداء الشاعر في تلك الايام ان يأخذ عن الطبقات الدنيا فينشأ منها اذا كان موفقًا او يكون ادنى بحكم الطبع . ولكن البارودي كان من صفاء الفطرة ونقاء الذهن وكمال الاستعداد ونصيحة اهل البصر بحيث وجد السبيل فابتدر الغاية

ومن اعجب امرهِ ما تراهُ فيما كتبهُ عنهُ الشيخ حسين المرصفي منذ ثلاثين سنة وهو استاذهُ قال : " انهُ لم يقرأ كتابًا في فن من فنون العربية غير انهُ لما بلغ سن التعقل وجد من طبعهِ ميلاً الى قراءة الشعر وعملهِ فكان يستمع بعض من لهُ دراية وهو يقرأ بعض الدواوين او يقرأ بحضرتهِ حتى تصور في برهة يسيرة هيآت التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والمخفوضات حسبما تقتضيهِ المعاني والتعلقات المختلفة فصار يقرأ ولا يكاد يلحن . قال وسمعتهُ مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين فقلت لهُ في ذلك فقال هو كذا في قول فلان وانشد شعرًا لبعض العرب فقلت تلك ضرورة وقال علماء العربية انها غير شاذة . ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدًا شريفها من خسيسها واقفًا على صوابها وخطإها مدركًا ما ينبغي وفق الكلام وما لا ينبغي " اه . وهذا ليس باعجب من أمر الشاعر ابن حمدان المعروف بالخباز البلدي فقد كان اميًّا وكان الشعراء يذهبون اليهِ في مخبزهِ يتلقون عنهُ و يساجلونهُ وشعرهُ مع ذلك اطروفة نادرة كقولهِ من ابيات

اقلُّ ما بيَ من حبيك انَّ يدي اذا دنت من فؤادي كاد ينضجها

وقولهُ

يا ذا الذي اصبح لا والدٌ لهُ على الارض ولا والدهْ
قد مات من قبلهما آدم فاي نفس بعدهُ خالدهْ
ان جئت ارضًا اهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدهْ

وعلى ما رأيت من كلام المرصفي جاء شعر المترجم مونق الرويّ متلائم النسج حسن المعرض

أَلم تعلمي ان الثواء هو التَّوى وان بيوت العاجزين قبورُ
ذريني ارِدْ ماء المفاوز آجناً الى حيث ماء المكرمات نميرُ
فان خطيرات المهالك ضُمَّنٌ لراكبها ان الجزاء خطيرُ
ولما تدانت للوداع وقد هفا بصبريَ منها أَنَّةٌ وزفيرُ
تناشدني عهد المودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغيرُ
عييٌّ بمرجوع الخطاب ولفظهُ بموضع اهواء النفوس خبيرُ
تبوّأ ممنوع القلوب ومهدت لهُ أذرع محفوفة ونحورُ
عصيت شفيع النفس فيهِ وقادني رواح لِتَدْآب السُّرى وبكورُ
وطار جناح البين بي وهفت بها جوانح من ذعر الفراق تطيرُ

فلا تجد احسن من وصفهِ نطق الصغير في قولهِ (عييٌّ الخ) . وقال البارودي على روي قصيدة الشريف "لغير العلا مني القلا والتجنب"

سواي بتحنان الاغاريد يطربُ وغيريَ باللذات يلهو ويلعبُ
وما انا ممَّن تأسر الخمر لبهُ ويملك سمعيهِ اليراع المثقبُ
ولكن اخو همٍّ اذا ما ترجحت بهِ سورة نحو العلا راح يدأبُ
بعيد مناط الهم فالغرب مشرقٌ اذا ما رمى عينيهِ والشرق مغربُ
لهُ غدوات يتبع الوحش ظلها وتغدو على آثارها الطيرُ تنعبُ
خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة عليَّ يداً اغضي لها حين يغضبُ
فلست لامر لم يكن متوقعاً ولست على شيء مضى اتعتبُ
اسير على نهج يرى الناسُ غيرهُ لكل امرىء فيما يحاول مذهبُ
واني اذا ما الشك أظلم ليلهُ وامست بهِ الاحلام حيرى تشعَّبُ
صدعت حفافي طرَّتيهِ بكوكب من الرأي لا يخفى عليهِ المغيَّبُ
وبحر من الهيجاء خضتُ عجاجهُ ولا عاصم الاَّ الصفيح المشطَّبُ
تظل بهِ حمر المنايا وسودها حواسر في الوانها تتقلَّبُ
توسطتهُ والخيل بالخيل تلتقي وبيض الظبى في الهام تبدو وتغربُ
فمازلت حتى بيَّن الكرُّ موقفي لدى ساعة فيها العقول تُغيَّبُ
لدن غدوةً حتى اتى الليل والتقى على ساطع من غيهب النقع غيهبُ

ثم انتقل من هذا الوصف الرائع الى وصف اللهو والقنص والتغلغل في الملذات وعلى ذلك

الاَّ ان لهُ ما ليس لابي تمام وذلك في بعض معانيهِ على ان كليهما قد تعثر في الفاظ كثيرة . فقال ولكن شعر ابي تمام اجزل وصنعتهُ اوضح واتم . ونسيت يومئذٍ ان اذكر لهُ أن بعض الاعراب سمع قصيدة ابي تمام "طلل الجميع لقد عفوت حميدا" فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها أشعر من جميع الناس واما ان يكون جميع الناس اشعر منهُ

وانا ذاكر طرفاً من شعرهِ ونتفاً من بدائعهِ وهو قليل كما اخبرني رحمهُ الله فقد ذكر لي من اشهر انهُ لا يتجاوز ثلاثة آلاف بيت . قال من قصيدة يعارض بها النواسي في قولهِ "أجارة بيتينا ابوكِ غيورُ"

تلاهيت الاَّ ما يجنُّ ضميرُ ... وداريت الاَّ ما ينم زفيرُ
فيا قاتل الله الهوى ما اشدهُ ... على المرء اذ يخلو بهِ فيغيرُ
تلين اليهِ النفس وهي أبية ... ويجزع منهُ القلبُ وهو صبورُ
اطال عليَّ الليل حتى ملاتهُ ... وعهدي بهِ فيما علمت قصيرُ
ألا فرعا الله الصبى ما ابرهُ ... وحياً شباباً مرَّ وهو نضيرُ
اذ العيش افواف ترف ظلالهُ ... علينا وسلسال الوفاء غزيرُ
واذ نحن فيما بين اخوان لذة ... على شيمٍ ما ان بهنَّ نكيرُ
تدور علينا الكأس بين ملاعب ... بها اللهو خدنٌ والشباب سميرُ
فألحاظنا بين النفوس رسائل ... وريحاننا بين الكؤوس سفيرُ
عقدنا جناحي ليلنا بنهارنا ... وطرنا مع اللذات حيث تطيرُ
وقلنا لساقينا أدرها فانما ... بقاء الفتى بعد الشباب يسيرُ
فطاف بها شمسية لهبية ... لها عند الباب الرجال ثؤورُ
اذا ما شربناها اقمنا مكاننا ... وظلَّت بنا الارض الفضاء تدورُ

وهذا البيت على ما تراهُ من الرونق والحسن هو بيت القصيدة وانا اغتفر لهُ ما فيهِ فقد تقدم انهُ نشأ على الحفظ ومن كان ذلك مبدأهُ فقلما يسلم من مثل هذا فان البيت لأعرابي كان سائحاً فوقع اليهِ ان امرأتهُ تزوجت فقال من ابيات

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت ... فظلت بي الارض الفضاء تدورُ

ويحسن بي توفية للفائدة ان اذكر هنا ابياتاً من قصيدة لابن دراج الاندلسي المشهور المعروف بالقسطلي قالها في معارضة قصيدة النواسي المذكورة ومنها يخاطب امرأتهُ

راجعت فهرس آثاري فما لمحت بصيرتي فيهِ ما يزري بأعمالي

ومن قولهِ في الغزل

هل من فتىً ينشد قلبي معي بين خدور العين بالاجرعِ
كان معي ثم دعاهُ الهوى فمر بالحي ولم يرجعِ
فهل اذا ناديتهُ باسمهِ يفيق من سكرتهِ او يعي
فانتِ ياعصفورة المنحنى بالله غني طربًا واسجعي
وانتِ يانسمة وادي الغضا مري بريّاك على مضجعي
وانتِ ياعين اذا لم تفي بذمة الدمع فلا تهجعي

واست أخشى ان اقول انهُ لم يكن واسع الحيلة في هذا النوع من الشعر الاَّ ابيات مبثوثة في تضاعيف اقوالهِ. ولهُ من قصيدة يصف النجوم

أرعى الكواكب في السماء كأن لي عند النجوم رهينة لم تدفعِ
زُهر تألق بالفضاء كأنها حببٌ تردد في غدير مترعِ
وكأنها حول المجرّ حمائم بيض عكفن على جوانب مشرعِ
والليل مرهوب الحمية قائم في مسحهِ كالراهب المتلفعِ
حسب النجوم تخلفت عن امرهِ فوحى لهن من الهلال بأصبعِ

ولما سبقت اليهِ بشارة العفو عنهُ في سيلان بقي بين الشك واليقين فذكر هذا التردد في بيت يقال انهُ امير شعرهِ وهو

أُحسُّ في قلبي دبيب المنى والمح الشبهة في خاطري

والبيت حيث تراهُ من تصوير الوجدان ودقة الوصف . وكنت سألتهُ مرةً ان يوقفني على شيءٍ من شعرهِ الحديث فقال . ان عنترة يقول " هل غادر الشعراء من متردمِ " وهذا عيبٌ علينا (كلمتهُ بحروفها رحمهُ الله) ولذلك شرعت في نقض قصيدتهِ ثم انشد ابياتًا مطلعها

كم غادر الشعراء من متردم

يقول منها في وصف مصر

هي جنة الحسن التي زَهراتها حور المهى وهزار أيكتها فمي

وهذا ما اتسع المقام لاختيارهِ من ذلك الدر النظيم وامتد النفس لذكرهِ من امر ذلك الرجل العظيم والله المسئول ان يجزيهُ عن اللغة واهلها باحسن مما أحيا من فضلها

طنطا مصطفى صادق الرافعي

اكثر قصائده المطلقة

وقال من الفخر كلمة أُخرى في روي قصيدة ابي فراس "اراك عصي الدمع شيمتك الصبر"

واني امرؤٌ لولا العوائق اذعنت ... لسلطانهِ البدو المغيرة والحضرُ
من النفر الغرّ الذين سيوفهم ... لها في حواشي كل داجية فجرُ
اذا استلَّ منهم سيدٌ غرب سيفهِ ... تفزَّعت الافلاك والتفت الدهرُ
لهم عُمُدٌ مرفوعة ومعاقل ... والوية حمر وافنية خضرُ
ونار لها في كل شرق ومغربٍ ... لمدرع الظلماء السنة حمرُ
تمدُّ يدًا نحو السماء خضيبة ... تصافحها الشعرى ويلثمها الغفرُ
وخيل يرجُّ الخافقين صهيلها ... نزائع معقود باعرافها النصرُ
معوَّدة قطع الفيافي كأَنها ... خدارية فتخاء ليس لها وكرُ
اقاموا زمانًا ثم بدَّد شملهم ... اخو فتكات بالكرام اسمهُ الدهرُ

ومن سحرهِ الحلال هذه الابيات يصف بها الحرب قالها منذ ثلاث وثلاثين سنة

اذا نحن سرنا صرَّح الشر باسمهِ ... وصاح القنا بالموت واستقتلَ الجندُ
فانت ترى بين الفريقين كبَّة ... يحدث فيها نفسهُ البطل الجعْدُ
على الارض منها بالدماء جداول ... وفوق سراة النجم من نقعها لبدُ
اذا اشتبكوا او راجعوا الزحف خلتهم ... بحورًا توالى بينها الجزرُ والمدُّ
نشلُّهم شلَّ العطاش وَنَتْ بها ... مراغمة السقيا وماطلها الوردُ
ونقع كلج البحر خضت غمارهُ ... ولا عاصم الاَّ المناصل والجرْدُ
صبرت بهِ والموت يحمرُّ تارة ... وينغلُّ طورًا في العجاج فيسودُّ
فما كنت الاَّ الليث انهضهُ الطوى ... وما كنت الاَّ السيف فارقهُ الغمدُ
صؤولٌ والابطال همس من الونى ... ضروبٌ وقلب القرن في صدرهِ يعدو
فما مهجة الاَّ ورمحي ضميرها ... ولا لبة الاَّ وسيفي لها عقدُ

ولهُ من ابيات

اصبحت لا أَستطيع الثوب اسحبهُ ... وقد اكون وضافي الدرع سربالي
ولا تكاد يدي تجري شبا قلمي ... وكان طوع بناني كل عسالِ
فلو تراني وبردي بالندى لصق ... حسبتني فرخ طير بين ادغالِ
غال الردى أبويهِ فهو منفردٌ ... في جوف خضراء لاراعٍ ولا والي

على عزمهِ هذا وارسل رسالة برقية الى طرابلس يقول فيها لعامل التلغراف "ارسل الي تفصيل نكبة فكتوريا وانا ادفع الاجرة مهما كانت" فجاءهُ الجواب صباح اليوم التالي ان "ليس عندنا تفصيل" وعاد فارسل رسالة اخرى يقول "استأجروا مركبًا وأتوني بالتفصيل وانا ادفع لكم مئة جنيه" فجاءهُ الجواب "ارسلوا المال اولاً" وما زال يرسل الرسائل وتأتيهِ اجوبتها حتى انفق قدرًا طائلاً على ذلك وبقي ساعتين يفاوض البنوكة حتى رضي احدها ان يرسل الحوالة بالمال المطلوب . وفي صباح اليوم الرابع من النكبة جاءهُ خبر مفصّل عن غرق البارجة فارسلهُ الى جريدتهِ فنشرتهُ ولم تكن جريدة غيرها من جرائد اوربا او اميركا قد ذكرت شيئًا من ذلك

القصة الثالثة . مخبر جريدة صار صانع خياط

لما زار قواد البوير بوثا ودي وت ودلاري مدينة لندن بعد عقد الصلح قام اصحاب الجرائد يسعون الى مقابلتهم فلم يتسنَّ لهم ذلك . ولكن صاحب جريدة جمع بعد الجهد الجهيد جميع ما استطاع من حركات القواد وروحاتهم وغدواتهم فعلم ان احدهم سيأتي دكّان خياط من خياطي المدينة في يوم معلوم ليخيط لهُ بذلة فدعا احد مخبريهِ وقال اذهب الى الخياط الفلاني واطلب منهُ ان يسأَل القائد ما تراهُ من المسائل وأتني بعمود ننشرهُ في الجريدة والخياط صديقنا وهو يساعدك

فذهب المخبر لساعتهِ الى دكان الخياط واطلعهُ على غرضهِ فقال لهُ الخياط خذ قلمًا وقرطاسًا فاذا جاء القائد آخذ انا قياسهُ وتكتبهُ انت كأَنك من صنّاع المحل واسأَل القائد ما تشتهي من المسائل فتسمع اجوبتهُ وتدوّنها وانت تكتب القياس . ولم يمضِ الاَّ القليل حتى جاء القائد واوصى الخياط بصنع بذلة جديدة لهُ فشرع الخياط يأخذ الاقيسة والمخبر واقف على جانب وقلمهُ وورقتهُ في يديهِ . فقاس اولاً طول ذراعهِ وقال "٢٥" فردّد المخبر ذلك ثم ناول الخياط الورقة ليعيد نظرهُ عليها فتناولها وقال للقائد جرت عادتنا ان نعيد النظر على ما يكتب من القياس خشية ان يقع غلط . ثم نظر اليها وقرأ فيها سؤالاً كان المخبر قد كتبهُ عليها وهو "اسأل القائد رأيهُ في المستر تشمبرلن" ثم ردّ الورقة الى المخبر واستأنف القياس وسأل القائد في اثناء ذلك عن المستر تشمبرلن فأجابهُ بما حضرهُ والمخبر يكتب ذلك . ثم قال الخياط "٤٠" فقال المخبر "٤٠" وسلم الورقة اليهِ فنظر فيها وقرأ سؤالاً آخر وهو "سلهُ عن رأيهِ في لندن" واعاد الورقة اليهِ . وما زال بهِ يسأَلهُ ويجيبهُ حتى انتهى من القياس فودعهُ القائد وانصرف . وفي اليوم التالي نشرت الجريدة حديث القائد فدهش لهُ كل من قرأهُ وعرفت حيلة صاحب الجريدة في الوصول اليهِ

السبق في الصحافة

حيث يكون رجال الصحافة فهناك تسمع النكات والنوادر الغريبة . اذ لا افكه من حديثهم ولا أبهج من الحكايات التي يحكونها عن طرق تسقطهم للاخبار واستقائها من مواردها والسبق الى نشرها على رؤُوس الملإِ كما يتبين من القصص الآتية وهي مقتطفة مما جمعهُ احد الادباء ونشرهُ في مجلة بيرصن

القصة الاولى — صاحب التيمس بين مرتبي الحروف

يحكي ان جون ولتر صاحب التيمس الثاني بعد منشئها الاول كان في صبيحة يوم من ايام سنة ١٨٣٣ في ادارة جريدتهِ فجاء الاكسبرس من باريس وفي الجرائد الباريسية صورة الخطبة التي خطبها الملك لويس فيليب عند افتتاح مجلس الشورى وكانت التيمس قد صدرت فلم يكن في الادارة احد من المحرّرين ولا من مرتبي الحروف . وكان لا بدَّ من نشر الخطبة على جناح السرعة لما لها من الشان فتناولها وترجمها الى الانكليزية ثم شرع في جمع حروفها بيدهِ حتى اذا انتصف النهار اكملها واصدر نسخة ثانية من التيمس فهبَّ الناس الى شرائها هبوب الرياح او اسرع

القصة الثانية — غرق البارجة فكتوريا

من الطف الحكايات التي تحكى من هذا القبيل حكاية نشر احدى الجرائد الاميركية لخبر غرق البارجة فكتوريا سنة ١٨٩٣ مقابل طرابلس الشام اثر اصطدام البارجة كمبردون بها . فان جرائد لندن ونيويورك اقتصرت على نشر خبر موجز عنها واستنتجت انهُ لا بدَّ ان يكون كثيرون قد غرقوا بغرقها . وكان في لندن رجل اسمهُ فيلبس مكاتب الجريدة الاميركية المشار اليها فجاءهُ تلغراف من صاحب الجريدة يقول فيهِ "جئني بتفصيل الفاجعة مهما كلف" فهب المكاتب ومساعدوهُ يجوبون انحاء لندن و يطرقون ابواب كلّ كبير وصغير فيها ولكن على غير جدوى حتى سخر اصحاب الجرائد بهم قائلين من اين لهؤلاء ان يجدوا في تلك البلاد النائية مكاتباً يوافيهم بتفصيل النكبة فقد جرَّبنا نحن واخفقنا فلا بدَّ من الانتظار حتى يرد تفصيلها على نظارة الخارجية لاسيما وان اقرب محطة للتلغراف البحري تبعد ٥٠ ميلاً عن مكانها

اما المكاتب فلم يقنط ولم ييأس بل طرق منزل مدير التلغراف البحري ليلاً وبسط لهُ مهمتهُ ووعدهُ بجعل كبير اذا فاز بمطلوبهِ قائلاً كلُّ ما اطلبهُ منك ان تؤجرني غلاماً من غلمانك الذين يشتغلون على آلة التلغراف في اقرب محطة الى محل النكبة فيوافيني باخبارها . فأبان المدير لهُ ما في ذلك من المشقَّة وقال انك تنفق المال ولا تستفيد شيئاً فاصرَّ الرجل

الوطنيين لا يفهمون الانكليزية ولا يستطيعون ارسال رسالتهِ بها

فاستعار جواداً وعاد الى القصاصين وهو يتجشم مخاطر الظلام وضلال الطريق والوقوع في ايدي الثوار بعد ما انكسروا وتبدَّد شملهم . ولما كان على بعد عشرة اميال من مكتب القصاصين خارت قوى الجواد ووقع ميتاً فاستأنف السير ماشياً حتى بلغ مقصدهُ وارسل رسالتهُ بعد ما ركب يومين كاملين قطع فيهما ١٤٠ ميلاً ولم يسترح البتة

القصة السادسة — اتفاق غريب

من الطف ما جرى لصاحب جريدة من جرائد نيويورك ان لجنة سباق اليخوت الاميركية كانت تنتخب يختاً لمسابقة يخت السر توماس لبتون المسمّى شمروخ الثاني وكان هناك يختان اسم الواحد كولمبيا والآخر كونستتيوشن وكان اهالي انكلترا واميركا ينتظرون بذاهب الصبر نتيجة حكمها في انتخاب احدها . فورد على صاحب الجريدة رسالة برقية قبل انتخاب اللجنة لليخت بعشرة ايام ليس فيها سوى كلمة واحدة وهي "كولمبيا" فلم يفهم المراد منها ولكنهُ قال في نفسهِ لعلَّ احد اصدقائنا علم بقرار اللجنة فابلغنا اياهُ قبل اوانهِ . فنشر خبراً مآلهُ ان اللجنة ستنتخب اليخت كولمبيا لمسابقة اليخت شمروخ

وفي اليوم الذي قررت اللجنة فيهِ اختيار اليخت كولمبيا للسباق دخل رجل غريب ادارة الجريدة فلما رأى مدير الجريدة عاتبهُ لانهُ لم يستقبلهُ في الباخرة عند وصولها ولم يرسل احداً من قبلهِ لاستقبالهِ فأجابهُ مدير الجريدة لِمَ لم ترسل اليَّ رسالة برقية تخبرني فيها باسم الباخرة التي ركبتها . فقال اني ارسلت رسالة فيها كلمة كولمبيا وهي من بواخر شركة همبرج واميركا كما تعلم فما تريد اكثر من ذلك . فأدرك صاحب الجريدة كنه المسألة اذ ذاك ولكنهُ كتم السرَّ ولم يبح بهِ الاَّ بعد سنتين من مرور الحادثة

القصة السابعة — حكمدار الهند

اتفق ذات يوم ان رجلاً من رجال الصحافة في لندن اجتمع هو وطبيب مشهور على مائدة واحدة فجعل الطبيب يتكلَّم عن هواء البلدان المختلفة وملاءمتهِ للابدان او عدمها الى ان قال "وكثيرون يخشون هواء الهند . فقد جاءني اليوم اللورد الفلاني يستشيرني في ما اذا كان هواء الهند يلائم صحتهُ" . فتظاهر الصحافي بانهُ لم يهتمَّ بالخبر وقال للطبيب "وبماذا اشرت عليهِ" قال هذا وهو يتثاءب كأنهُ غير مهتم بالامر فاجابهُ الطبيب "قلت لهُ لا بأس من ذهابهِ الى الهند فانها تلائم صحتهُ" فلم يحتج الصحافي الى زيادة شرح وبيان بل هبَّ الى ادارة جريدتهِ ونشر خبراً مآلهُ ان منصب حكمدارية الهند عرض على اللورد الفلاني فقبلهُ

القصة الرابعة . الدايلي تلغراف وحرب البوير

من اغرب ما رواهُ الرواة خبر الطريقة التي توصلت الدايلي تلغراف بها الى العلم بعقد الصلح في جنوب افريقية فنشرت الخبر على حين ان الجميع كانوا يكذبونهُ والحكومة لم تنشر شيئاً رسمياً عنهُ . وهاك ما قالتهُ الجريدة في ذلك

لما كان عيد العنصرة في ربيع سنة ١٩٠٢ أرسل الينا المستر برلي (مكاتبها في جنوب افريقية حينئذٍ) رسالة برقية من بريتوريا هذا نصُّها " اهنئكم بعيد العنصرة " فعند اطلاعنا عليها ادهشتنا مبالغتهُ في المجاملة الى حدّ ان يرسل الينا رسالة تهنئة بالعيد من تلك الاقاصي السحيقة على حين ان الوقت وقت حرب ونحن في حاجة اشد الى اخبار الحرب منا الى تهانىء العيد . ثم خطر في بالنا ان الكنائس الشرقية تتخذ الحمامة شعاراً لعيد العنصرة والحمامة ايضاً شعار السلام ولكننا لم نرَ من الصواب ان نبني الحقائق على مثل ذلك الاساس الموهوم ونزفّ الى الناس بشرى عقد الصلح ونحن لم نتثبت منها . فاخذنا كتاب الصلاة وقرأنا فيهِ الآيات المرسومة لعيد العنصرة فاذا هي قول الانجيل "سلامي اترك لكم سلامي اعطيكم . ليس كما يعطي العالم اعطيكم انا . لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب " (وكلمة سلام بالانكليزية مثل كلمة سلم او صلح) ولكن هذا كلهُ لم يكفِ لاقناعنا

وبينما كانت عوامل الشك واليقين تتنازعنا ونحن حيارى لا يقرُّ لنا قرار وردت رسالة منهُ على اخيهِ في غلاسكو يقول فيها " انا عائد . اخبروا لوصن " فانجلى لنا وجه الحقيقة اذ ذاك وبشَّرنا البلاد بخبر عقد الصلح

القصة الخامسة . معركة التلّ الكبير

اول ما اشتهر بهِ المستر برلي المذكور آنفاً ارسالهُ تفصيل معركة التلّ الكبير الى الدايلي تلغراف . وبيان القصة انهُ لما انتصرت الجنود الانكليزية على الجنود المصرية في معركة التلّ الكبير ايام الثورة العرابية كان المستر برلي مكاتباً للدايلي تلغراف فأسرع الى محطة التلغراف في القصاصين وارسل رسالة برقية الى جريدتهِ قال فيها ان الجنود الانكليزية انتصرت في التل الكبير . فكانت اول رسالة وصلت انكلترا بهذا المعنى . ثم شرع في كتابة تفصيل المعركة ووطّن نفسهُ ان يكون الاوّل في ارسال التفصيل الى انكلترا كما كان الاوّل في ارسال الاجمال . وعاد الى ساحة القتال فعلم ان لواء الفرسان الانكليزية سار الى القاهرة على جناح السرعة فامتطى جوادهُ وهبّ في اثرهِ وهو يجدُّ في السير ولا يلوي على شيء حتى ادركهُ وسبقهُ ولما بلغ القاهرة علم ان الحرب انتهت وان عرابي سلَّم فتوجه الى مكتب التلغراف فوجد ان العمال

وهكذا كان فاني فاتحت جنديًا بذلك وكان من اصدقائي فرضي ان يبلغني اخبار المتفاوضين بالطريقة الآتية

اتفقنا ان أركب القطار كلّ يوم من جوهنسبرج الى مكان آخر مارًّا بمحطة المعسكر الذي فيهِ المندوبون من غير ان انزل اليها خشية اثارة الشبهات وعند ما يرى الجندي القطار مارًّا يخبرني بنتيجة المفاوضات بالاشارات . فاذا لوّح بمنديل ازرق دلَّ ذلك على ان مفاوضات الصلح توقفت . او لوّح بمنديل احمر كان المعنى ان الصلح قريب . او بمنديل ابيض كان المعنى ان الصلح تمّ . ولا يعلم الاّ الله كم مرة ركبت القطار ذهابًا وايابًا من جوهنسبرج واليها وكنت كلّ يوم أرى صديقي واقفًا يلوّح بمنديلهِ فأُرسل الرسائل البرقية الى الجريدة بسير المفاوضات . حتى اذا كان ذات يوم وقد مرّ القطار بالمحطة اطللت من النافذة فرأيت صديقي وبيدهِ منديل ابيض فما صدقت ان وصلنا جوهنسبرج حتى أرسلت هذه الرسالة " اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند" فاذاعت الدايلي مايل بشرى عقد الصلح في طول البلاد وعرضها قبل سائر الجرائد بيومين

القصة التاسعة — خداع رصيف لرصفائهِ

شاع وذاع في نيو يورك بعد ثوران بركان بيله في المارتينيك وخراب مدينة سان بيير وهلاك اهلها كلهم ان باخرة اسمها كورونا ستصل نيو يورك قريبًا وهي تقلّ اربعة رجال سلموا من الموت في ذلك الثوران بعد ان اصيبوا بجراح كثيرة . ولما كانوا قد رأوا ثوران البركان رأي العين اهتمّ الناس بهم كلّ الاهتمام وانتظروا وصولهم بذاهب الصبر وأعدّ مخبرو الجرائد القوارب لملاقاة الباخرة حتى اذا وصلت صعدوا اليها لمحادثة اولئك المنكوبين في ما رأوا وسمعوا . ولما كان الوقت قصيرًا اقترح احدهم ان ينزل مكاتبو الجرائد كلهم الى قاربهِ وينزلوا الرجال الاربعة معهم فيحدثوهم بما جرى في اثناء الطريق فلا يبلغون البرّ حتى ينتهوا من محادثتهم فاستحسنوا رأيهُ واستعدوا للنزول الى قاربهِ فمشى هو اولاً وتبعهُ الرجال الاربعة . ولما اراد الباقون اللحاق بهم وقف رجل غريب على رأس سلّم الباخرة واعترض في سبيلهم ثم فكّ ازرار ثوبهِ الخارجي فراوا تحتهُ ثوبًا رسميًا دلّ على انهُ من موظفي الحكومة وقال لهم هذا القارب للحكومة ولا اسمح لاحد بالنزول اليهِ . ثم صفر له ُفسار يشقّ العباب بمن فيهِ واستأثر مكاتب جريدة واحدة بمقابلة الرجال ومحادثتهم . ونقدت الجريدة كلا من الرجال الاربعة مئتي جنيه مقابل استئثارها بحديثهم

القصة الثامنة — الدايلي مايل وحرب البوير

وهي قصة نشر الدايلي مايل لخبر عقد الصلح في جنوب افريقية نشرتهُ قبل غيرها بيومين ويعدُّ الصحافيون عملها هذا من اعظم ما ورد في تاريخ الصحافة الحديثة

قال المستر ادجر وولس مكاتب الدايلي مايل في حرب افريقية وصاحب هذه المأثرة "اجتمع المندوبون الانكليز والبوير في مكان يبعد ٥٠ ميلاً عن جوهنسبرج للمفاوضة في عقد الصلح فلم يُسمَح لمكاتب جريدة ما ان يحضر ذلك المجلس وكانت مراقبة الرسائل البرقية اذ ذاك على اشدّها والمراقب يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعليهِ فلم يكن لنا بدٌّ من ابتداع طريقة نوصل بها رسائلنا والحاجة تفتق الحيلة

اما حيلتنا فهي انني اتفقت انا ومحررو الجريدة في لندن على كلمات معناها الحقيقي غير منطوقها الظاهر وكان قلم المراقبة لا يتعرض للرسائل التجارية مما يتعلق بمناجم الماس والذهب وغير ذلك فجازت حيلتنا عليهِ . ففي ١٢ ابريل سنة ١٩٠٢ أرسلت الرسالة الآتية الى لندن وهي

" من جهة مشترى الارض التي فيها منجم الذهب اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجها الى بريتوريا حيث توجه ألف ايضاً ليساوم في الثمن ما امكن . وقد علمت عن ثقة ان البائعين يميلون الى البيع "

ففسَّرها محررو الجريدة كما يأتي

" من جهة مفاوضات الصلح اخبركم ان الفريقين المتفاوضين توجهوا الى بريتوريا حيث توجه اللورد الفرد ملنر ايضاً للوصول الى احسن الشروط الممكنة . وقد علمت عن ثقة ان البوير يميلون الى الصلح "

وكنت ارسل كل يوم رسائل على هذا النمط . ومما اتفقنا عليهِ ايضاً صورتان اخبرهم فيهما بعقد الصلح تماماً او بانقطاع كل مفاوضة . فالصورة الاولى هي هذه " اشتريت لكم الف سهم من اسهم مناجم الرند " ومعناها تمَّ عقد الصلح . والصورة الثانية " بعت لكم الف سهم من اسهم الرند " ومعناها انقطعت المفاوضات وخاب سعي المتفاوضين

هذا من جهة ارسال الاخبار الى انكلترا ولكن شتان بين ارسال الاخبار وبين الوصول اليها . فاني كنت اعلم ان دون وصولي الى المعسكر الذي اجتمع المتفاوضون فيهِ خرط القتاد وقد تزيا احد المراسلين بزي جندي ورام الدخول اليهِ فعرفوهُ واعادوهُ الى جوهنسبرج مهاناً . فرأيت ان لابدَّ لي من الاتفاق مع بعض المقيمين فيهِ على ايصال الاخبار المهمة اليَّ

بورت آرثر والحرب الحاضرة

لقد كان من رأي المتحزبين للروس ان بورت ارثر امنع من ان تفتح كما ترى في ما كتبهُ واحد منهم في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة ٠ وكان من رأي غيرهم انها تفتح ولكن الحرب لا تنتهي بفتحها كما ابنا غير مرة ٠ وقد قال الواصفون لقلاعها وحصونها انها امنع من عقاب الجوّ واعزّ من الابلق الفرد واقوى ما بنتهُ يد انسان . ولا عجب فان الحكومة الروسية قضت في تحصينها نحو ثماني سنوات وانفقت عليها وعلى بناء دالني نحو ٥٠ مليوناً من الجنيهات حتى صارت تحسب امنع حصون الطبقة الاولى وحتى قال بعضهم انها كانت تساوي ستًّا من قلعة سفستبول المشهورة ومع ذلك تمكن اليابانيون من فتحها في غرة هذا العام

ولا حاجة بنا الى الاطالة في وصف حصارها فقد قاتل الفريقان قتال الابطال وخسرا خسارة عظيمة ولكن خسارة اليابانيين كانت اعظم لانهم الفريق المهاجم ٠ وقد ظهر بعد تسليمها ان المؤونة والذخيرة لم تكونا تنقصها ولكن لا يلزم عن ذلك ان حاميتها لم تكن تقاسي الاهوال الصعاب قبل التسليم فان كثرة المرضى والجرحى في المستشفيات وقلة الماء والمدافع الكبيرة وما نتج من اطلاق اليابانيين لمدافعهم من التخريب والتدمير دلَّ على ان الروس كانوا في مثل حشرجة الموت فجاء تسليمهم حافظاً للرمق الذي كان يتردد في صدورهم

وينتقد البعض على الجنرال ستوسل تسليمهُ مدعين ان بورت آرثر كانت تقوى على الثبات والمقاومة الى ان يأتيها الفرج عن يد اسطول البلطيك ويقول غيرهم ان استيلاء اليابانيين على الحصون المحيطة بها الواحد بعد الآخر ولا سيما الحصن المسمى حصن ٢٠٣ امتار قرَّبهم منها بحيث بات الروس تحت رحمة مدافعهم فلم يرَ الجنرال ستوسل اذ ذاك مفرًّا من التسليم حقناً للدماء وضنًّا بالارواح ان تزهق على غير جدوى

ولا ريب ان انتصار اليابانيين كان باهرًا بدليل عدد الاسرى ومقدار الاسلاب فقد قيل ان عدد الجنود الروسية التي سلمت ٢٨٠٠٠ وعدد ضباطها ٨٧٨ وكان في المستشفيات ١٤٠٠٠ ويقال ان الذين قتلوا من الحامية مدة الحصار بلغوا ١٠ آلاف ٠ اما الاسلاب والغنائم فكانت ٥٤٦ مدفعاً و٣٥ الف بندقية ومقدارًا كبيرًا من الذخيرة واربع بوارج ما عدا البارجة سفستبول التي اغرقت وطرادين و١٤ مدفعية ونسافة ٠ واستولى اليابانيون على ٥٩ حصناً وقلعة منيعة. وهكذا عادت بورت آرث الى اليابانيين عنوة بعد ان اغتصبت منهم سياسة

هذا وقد يبلغ مخبرو الجرائد جهدهم في تسقط الاخبار لكن المحررين يعجزون عن فهمها كما ترى في القصة التالية

القصة العاشرة — مهارة المخبر وبلادة المحرر

يذكر القراء انهُ قبلما شبت نار الحرب بين اميركا واسبانيا سنة ١٨٩٨ كان لاميركا بارجة من احسن البوارج الحديثة اسمها ماين نسفت في ميناء هفانا عاصمة كوبا وغرقت بمن فيها في اقل من طرفة عين فعقد مجلس تحقيق في هفانا ليعلم ما اذا كانت قد نسفت اتفاقاً من الداخل او نسفت بطربيد من الخارج. وكان هناك مكاتب جريدة من جرائد نيويورك الكبيرة فسعى سرًّا في الوقوف على حكم المجلس ولكنهُ خاف اذا نجحت مساعيهِ ان يعود المراقت فيحبطها فيذهب تعبهُ سدى وعليهِ ارسل رسالة الى صاحب الجريدة التي يكاتبها وقال فيها انهُ اذا بعث اليهِ بخبر ظاهرهُ غريب فان في طيهِ معنى لايخفى على اللبيب

وكللت مساعي المكاتب بالنجاح فانهُ علم من رجل غطس في اثر البارجة ان الفولاذ المصفحة بهِ وجد مثقوباً وحافات الثقب بارزة الى الداخل دلالة على ان البارجة نسفت بطربيد من الخارج اي بفعل فاعل . ففكّر المكاتب في طريقة يبلغ جريدتهُ ذلك الخبر بها ولا يثير هواجس المراقب فأرسل اليها الرسالة الآتية وهي

غطس رجل في اثر البارجة ماين ليفحص صفائحها فوجد فيها ثقباً كبيرًا فدخل منهُ ولما حاول الخروج لم يستطع لان حافات الثقب حالت دون ذلك فاستبطأهُ صديق لهُ كان ينتظرهُ فوق الماء وخشي ان يكون قد لحق بهِ اذًى فغطس اليهِ وانقذهُ من الموت بعد عناء شديد

هذه هي القصة بعث بها المكاتب وهو يظنُّ ان صاحب الجريدة يستخلص منها الخبر المهمَّ اي ان سبب نسف البارجة من الخارج فينشر المراد منها ولكن خاب ظنهُ لان صاحب الجريدة نشر الخبر كما وصل اليهِ ولم يدرك معناهُ بل ظنَّ ان مكاتبهُ يهذي فقال "اننا ننشر رسالتهُ بحروفها" وقد اراد المكاتب ان يخفي المقصود منها على المراقب ويبينهُ لصاحب الجريدة فنجح في الاول واخفق في الثاني

هذا ونوادر المخبرين والمكاتبين كثيرة ولهم حيَل في تسقُّط الاخبار لا يفطن لها احد غيرهم وقد ينفقون الاموال الطائلة لكي ينالوا بغيتهم وربما استخدموا وسائل غير جائزة كما سنبينهُ في فرصة أُخرى

الحصن المنيع الذي فقدتهُ بحكم السياسة لا بحكم الغلبة

وقد وصفهُ بعض عارفيهِ فقال : يقولون ان الجنرال نوجي يجهل آداب المعاشرة الحديثة وهذا صحيح ولكن لا عار عليهِ منهُ ولا شنار فانهُ من شيوخ القرن التاسع عشر فلا غرابة اذا جهل ما احدثهُ شبانهُ في هذا الباب. اذا قابلتهُ ادهشك ما تراهُ عليهِ من بساطة الجندي كأنهُ لم يتعلم شيئًا غير فن الحرب . وهو حرُّ الفكر والكلام ليس على شيءٍ من التملق وذلق اللسان ولهُ ثلاث فضائل جوهرية . الاولى سذاجتهُ . والثانية حرصهُ على النظام . والثالثة بشاشتهُ لجميع الناس . وهذه الصفات الثلاث يتصف بها كل رجل عظيم . ومع شدة حرصهِ على النظام تراهُ كثير المزاح في الكلام يقول نكتة فيقهقه لها جيش برمتهِ

وهو باسل شجاع وقد تركتهُ الحرب بلا عقب فقد قتل ابنهُ البكر في كنشاو والثاني في حصار بورت آرثر وليس لهُ غيرهما . يحكى انهُ كان جالسًا في مكتبهِ يوم سفر ابنهِ البكر الى ساحة القتال فجاءهُ وهو يقول " اودعك الآن يا ابتاه فاني مسافرٌ الى منشوريا ولا امل لي البتة بالعودة اليك حيًّا وسأُصلي دائمًا طالبًا لوالدتي الصحة والعافية فاذا قتلت في الحرب فلا تبخل يا ابتِ بكلمة او كلمتين تقولها في رثائي ولابدَّ ان تكون حينئذٍ في طريقك الى ساحة القتال فاسمح لي ان اقول وان كنَّا نقاتل في جهتين تفصل بينهما المسافات الشاسعة فمن الواجب علينا كلينا ان نحاضر معًا ونحارب يدًا واحدة في سبيل وطننا "

وكان ابنهُ الاصغر قد دخل الغرفة اذ ذاك وسمع ما يقولهُ اخوهُ فقال " ألا تسمح لي يا اخي ان اجري معكما في المضمار الذي عزمتما على الجري فيهِ . وسنرى لمن السبق منَّا " فضحك ابوهما وقال " حسنًا يا ابنيَّ فان هذا المضمار يهمنا كلَّنا "

اما الجنرال ستوسل فكان رجال حاميتهِ يحبونهُ حبًّا يقرب من العبادة وهو كبير الجسم اشقر الشعر لطيف المعشر انيس المحضر . صوتهُ رخيم يناقض هيئتهُ لا يكلُّ من العمل ولا يملُّ . ولما انتهى تسليم بورت آرثر وعُلم ما كان فيها من الجنود والميرة قام اناس من الذين كانوا يطنبون بمدحهِ وقالوا ان تسليمها عار على الحامية الروسية لانهُ كان في طوقها المقاومة الى ان تأتيها النجدات وان زادها وذخيرتها كثيرة

وفي الرابع عشر من الشهر الماضي وصل الجنرال ستوسل ومن معهُ الى السويس في طريقهم الى روسيا فقابلهُ وكيل المقطم فيها وكتب في ذلك رسالة نشرها المقطم في حينها نقتطف منها ما يأتي . قال الوكيل

" علمت من الجنرال ستوسل ان حامية بورت آرثر لم تكفَّ عن القتال الاَّ لما اقتنع بان

اثر حربهم مع الصين حينما تألبت روسيا والمانيا وفرنسا واكرهتهم على تسليمها الى الروس وقد اختلف المقدّرون في عدد مَن قتل وجرح من اليابانيين قبلما تمكنوا من فتح بورت آرثر والمرجح انهم لا يقلون عن مئة الف

والصفحة البيضاء في قصة هذا الحصار السوداء ما ابدى اليابانيون من كرم الاخلاق في معاملة الحامية عند وضع شروط التسليم ممَّا دلَّ على انهم ليسوا كما يصفهم بعض الكتَّاب الاوربيين من انهم كالمتوحشين او ارقى درجة

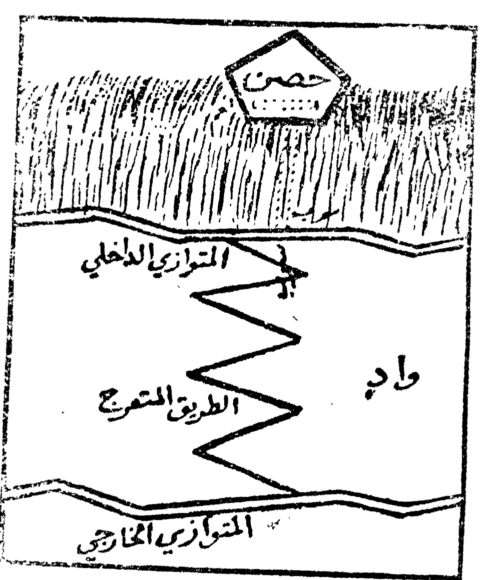
ولا ينكر ان لاستيلاء اليابانيين على بورت آرثر شأناً عظيماً في مجرى الحرب . فان القيصر ومشيريهِ عدُّوهُ سبباً لمضاعفة قوتهم وتجديد اقسامهم ألاَّ يعيدوا السيف الى غمدهِ حتى ينتصروا على عدوهم انتصاراً باهراً . وذلك امرٌ طبيعيٌّ يشعر بهِ المغلوب على اثر الانغلاب على ان اهم الامور في هذه الحرب فقدان روسيا زمام البحر. نعم ان اسطول البلطيك لا يزال يمخر في عباب الاوقيانوس ولا يبعد ان يصل اخيراً الى ساحة القتال ولكن الخبيرين لا يعدونهُ كفئاً لاسطول اليابان في ميدان النزال فان كان لروسيا امل باستقامة الحال وافول نجم النحس فانما يكون ذلك على ضفاف نهر شاهو حيث الجيشان نازلان ولكن لا يظهر ان الحال هناك على ما تحبُّ روسيا لان الجيشين تحصناً اشد التحصُّن فاذا هاجم الروس اليابانيين كما هو المنتظر فيبعد عن الظن انهم يزيحونهم من مواقعهم المنيعة لا سيما وان الروس لم يستطيعوا الثبات في لياونج حيث كانت حصونهم واستحكاماتهم عزيزة وكان اليابانيون المهاجمين وكانوا هم المدافعين فكيف اذا انعكست الحال فصاروا هم المهاجمين واليابنيون المدافعين. ثم ان استئثار اليابان بزمام البحر يمكنها من ارسال النجدات الى جنودها اين شاءت ومتى ارادت على اهون سبيل على حين انهُ ليس عند الروس سوى خط حديدي مفرد لارسال النجدات . فموقف روسيا احرج مما يظنُّ وآمالها ابعد من ان تحقق بسهولة الاَّ اذا قام من رجالها مَن يحلُّ العقدة بسيف الاسكندر ويزيح من عاتقها الحمل الذي كادت تنوءُ بهِ ولكن الدلائل الحاضرة لا تدلُّ على ان الزمان يذخر لها مثل ذلك الرجل في خزائنهِ

ويجدر بنا في هذا الصدد ان نذكر بعض الشيء عن بطلي بورت آرثر الجنرال نوجي قائد الجيش الياباني والجنرال ستوسل قائد الجيش الروسي فنقول :

لما انتدب الجنرال نوجي لقيادة الفيلق الياباني الذي حاصر بورت آرثر قال ان قيادة ذلك الفيلق اعظم شرف يحلم بهِ جنديٌّ من جنود الامبراطور. وفي ذلك اليوم نفسهِ نعي اليهِ ابنهُ الاكبر فلم يخفض نعيهُ من افتخارهِ بشرف المهمة التي انتدب لها وهي ان يعيد الى امتهِ ذلك

شبه جزيرة بورت آرثر حتى يصير عرضهُ ٣ اميال

ولا حاجة بنا الآن الى وصف هجوم اليابانيين على الاستحكامات والحصون البعيدة واخذها عنوة الواحد بعد الآخر في الصيف الماضي وانما نقول انهم لما رأوا في اول سبتمبر الماضي ان الحصون والقلاع الداخلية لا تؤخذ بالهجوم عنوة كما اخذت الاستحكامات الخارجية عزموا على فتحها بواسطة اخرى وهي اولاً اطلاق مدافع الحصار الضخمة لهز اساسات الحصون وثانياً نسف الاستحكامات التي بنيت حولها ليستذري الجنود بها و يطلقوا النار من خلفها بالغام تحفر تحت الارض . وثالثاً الهجوم على الحصون من خنادق مستترة



واول ما عملوهُ لبلوغ مأربهم انهم حفروا حول كل تل خندقاً عمقهُ ست اقدام وعرضهُ اثنتا عشرة قدماً او اكثر موازياً لخط الحصون وعلى نحو ٣٠٠٠ قدم عنها . وهو المعبر عنهُ في هذا الرسم بالمتوازي الخارجي وحفروا منهُ طريقاً متعرجاً الى حضيض التل كما ترى في الرسم عمقهُ ست اقدام وعرضهُ ثماني اقدام بحيث يستطيع اربعة من الجنود السير فيهِ والهجوم معاً . وكانوا يحفرون هذا الطريق ليلاً و ينقلون التراب منهُ ويسقفون الاجزاء الموازية لخط الحصون بالواح يضعون عليها تراباً وعشباً فلا يرى الروس ما هم فاعلون . ولكن الروس اكتشفوا هذه الحيلة في بعض الاماكن فكانوا يخرجون من الحصون ويهاجمون اليابانيين ليتلفوا ما حفروهُ . غير ان اليابانيين لم يكلوا ولم يملوا بل واظبوا على الحفر حتى بلغوا حضيض التلال التي بنيت

الثبات اضحى ضرباً من المحال . فقد كان عدد الحامية في اول الحصار ٣٤ الفاً بين ضباط وعساكر برية وبحرية وهؤلاء لم يبقَ منهم يوم التسليم غير ثمانية آلاف عسكري ثلثة آلاف منهم اصيبوا بداء الاسكربوط او غيرهِ . وكان عندهم ثمانية عشر الفاً بين جريح وطريح على فراش المرض والسقام والباقون قتلوا او ماتوا . ونفدت الادوية والعقاقير والرباطات ولم يبقَ في الصيدليات الاَّ بعض المراهم ولم تبقَ محلات تسع الجرحى ولا ممرضات يمرضنهم . وقضى الجنرال اثنين واربعين يوماً لم ينزع فيها حذاءهُ من رجليهِ

"ونفد الزاد والمؤونة ايضاً فلم يبقَ عند الحامية من الارز والدقيق الاَّ مؤونة اربعة ايام فقط لان الغام اليابانيين اتلفت معظمها وفرغ لحم الضان والبقر فجعلوا يأكلون لحم الخيل مدة ثلثة اشهر ولما سلموا لم يكن باقياً عندهم من الخيل غير القليل

"وكذلك الذخيرة نفدت فلم يبقَ منها عند التسليم الاَّ القليل . فلما رأى الجنرال ذلك كلهُ ورأى اليابانيين قد فتحوا حصن ارلنج شان بعد مادمروا البوارج عقد مجلساً من قواد الحامية فقرَّ قرارهم على التسليم فسلموا . وقد قال رئيس اركان حرب الجنرال نوجي للجنرال ستوسل اننا فقدنا على بورت ارثر ٩٨ الف مقاتل بين ضباط وعساكر

"وقال لي احد الضباط المرافقين لهُ ان اليابانيين فقدوا ١٧ سفينة حربية بين كبيرة وصغيرة امام بورت آرثر وانهُ فقد منهم في معركة من المعارك ١٣ الفاً في ساعة واحدة

"اما من جهة طول مدة الحرب ونتيجتها فراي الجنرال انها تطول سنتين او اكثر وان النصر يكون لروسيا في الآخر" انتهى

اما كيفية استيلاء اليابانيين على بورت آرثر فقد فصلتها جريدة السينتفك اميركان تفصيلاً دقيقاً قالت :

يحيط ببورت آرثر سلسلتان من التلال على شكل دائرتين الواحدة داخل الاخرى . فبني المهندسون الحصون والقلاع على رؤوس هذه التلال ووصلوا ابنيتها بالمعاقل والاستحكامات . والحصون والقلاع الداخلية تسمَّى بالدائمة وعليها المعوَّل في الدفاع ومتوسط بعدها عن بورت آرثر ميل واحد اما الحصون والقلاع الخارجية فمتوسط بعدها ميل ونصف وهي اقل منعة من الداخلية وخلفها استحكامات اخرى . وقد عني الروس باختيار مواقع الحصون بحيث اذا استولى العدوّ على حصن منها لم يستطع البقاء فيهِ لان الحصون القريبة تشرف عليهِ

وجوانب التلال ملساء جرداء لا يجد مهاجمها ما يحجبهُ عن حصونها ويقيهِ نيرانها الحامية . والاستحكامات ومعدات الدفاع ممتدة الى مسافة ١٨ ميلاً من بورت آرثر شمالاً حيث يضيق

فيصلح المدفعية خطأهم وما زالوا كذلك حتى اصابت القنابل جميع البوارج . وحاولت البوارج ان تختبئ خلف التلال المعروفة بتلال ذنب النمر وتل الذهب ولكن ذلك لم يدفع عنها مقدورًا ولم يردَّ محذورًا

وقد استخدم الروس واليابانيون في هذه الحرب اقصى ما بلغ اليهِ العلم الطبيعي والعلم الرياضي اولئك في تحصين بورت آرثر والدفاع عنها وهؤلاء في حصرها وفتحها وكانت الغلبة لهم لزيادة عددهم وعددهم اما الشجاعة والاستبسال فلا يمتاز فيهما فريق على فريق

خاتمة نبوليون واخلاقهُ

كان نبوليون يشكو من هواء منفاهُ ويقول انهُ اورثهُ داء الكبد . وكرر الشكوى هو واتباعهُ مرارًا على امل الخروج من تلك الجزيرة ولكن الداء لم يتمكن منهُ الاَّ قُبيل وفاتهِ بشهر وايام ولم يكن الكُباد كما توهم بل سرطان المعدة الذي مات بهِ ابوهُ من قبلهِ ولم يُعلم ذلك الاَّ بعد وفاتهِ وفتح رمتهِ . ولا قال الطبيب ان داءهُ عقام الاَّ قبل ان جاءت الساعة ببضعة ايام في السابع والعشرين او الثامن والعشرين من شهر ابريل (نيسان) فأعلم حاكم الجزيرة والحكومة الانكليزية

وقضى نبوليون الايام التسعة الاخيرة من عمرهِ في حالة البحران ونطق بكلمات قليلة متقطعة في اليوم الخامس من شهر مايو (ايار) وهي فرنسا ... الجيش ... مقدمة الجيش . ونهض من فراشهِ وحاول منتولون ردَّهُ اليهِ فدفعهُ بيدهِ والقاهُ على الارض فاستعان بارشمبول وردَّاهُ الى فراشهِ . وفي الساعة السادسة مساء فاضت روحهُ وكانت العواصف تعصف في الجزيرة فعبثت باكواخ الجنود ومزقت الاشجار التي غرسها بيدهِ واقتلعت صفصافة كان يتفيأُ ظلَّها . كأن الطبيعة دُهشت من سكون الانسان وقامت تحرك الجماد والنبات

وكان حاكم الجزيرة واقفًا امام البيت ينتظر الخبر ووقع النزاع بينهُ وبين اتباع نبوليون هو يطلب فتح رمتهِ وهم يأبون ذلك عليهِ وهم يطلبون نقلها الى فرنسا وهو يأبى ذلك عليهم . والغلب للقوَّة الى ان يحين الحَين . ففُتحت الرمَّة ولم تُنقل الى فرنسا حينئذٍ . وطلبوا ان يكتبوا اسمهُ "نبوليون" على تابوتهِ فأبى الحاكم الاَّ ان يكتب معهُ اسم بونابرت وانقضى الخلاف بان تُرك التابوت غفلاً لا اسم عليهِ

وعُرضت الجثة في اليوم التالي وسير بالجنازة بعد اربعة ايام وكان على التابوت سيف

الحصون عليها وهناك حفروا خندقاً آخر موازياً للخندق الاوَّل كما ترى في الرسم والغرض منهُ جمع الجنود للهجوم الاخير . ومن هذا الخندق حفروا سرباً يؤَدي الى اسفل الحصن الذي ارادوا مهاجمتهُ ثم حفروا اسراباً على زاوية قائمة منهُ وموازية لاسوار الحصن ووضعوا فيها مقداراً عظيماً من الديناميت واشعلوهُ فانفجر وثغر الحصن فهجموا واستولوا عليهِ . كلُّ ذلك والروس لايدرون بما يجري حتى يسمعوا صوت الانفجار تحتهم

وكان هذا يجري ومدافع الحصار لا تنقطع عن ارسال قنابلها على المدينة وحصونها. وعدد هذه المدافع ٣٠٠ على ان اعظم المدافع فعلاً مدافع الهاوون وعددها ١٨ وقطر فوهة الواحد منها ١١ بوصة . وثقل قنبلتهِ ٥٠٠ رطل وثمنها ٣٥ جنيهاً وثمن "الدكَّة" كلها ٨٠ جنيهاً . وكان كلُّ مدفع يطلق مرة كل ثماني دقائق عند اشتداد القتال مدة اربع ساعات وعليهِ فان اطلاق هذه المدافع وحدها كلَّف اليابانيين ٤٠ الف جنيه واطلاق المدافع كلها كلفهم مئة الف جنيه كلَّ نوبة

ومدافع الهاوون هذه تستطيع عادة ان توصل قنابلها الى بعد سبعة اميال او ثمانية ولكن لما كان بعدها عن بورت آثر لا يزيد على ٣ اميال وكانت في اماكن لا تُرَى منها ولا يرى مطلقوها ما حولها فانهم كانوا يطلقونها صعدًا في الهواء على زاوية ٦٠ درجة او اقل فتمر القنابل فوق رؤُوس التلال ثم تنقضُّ على المدينة كأَنها رجم هابطة من السماء

وربَّ قائل يقول انهُ ان كان مطلقو تلك المدافع لا يرون ما حولهم فكيف استطاعوا ان يلحقوا ببورت آثر ما الحقوا من التخريب والتدمير ويتلفوا البوارج الكبيرة التي كانت راسية في مينائها . والجواب على ذلك انهُ كان عندهم خرائط دقيقة رسم فيها جميع ما في بورت آرثر من الابنية الكبيرة والاماكن المهمة وعليهِ كان الطوبجية اذا ارادوا تدمير احدها عرفوا مقدار الزاوية التي يجب ان يصوّبوا مدافعهم عليها فيطلقونها ولا يخطئون

هذا من جهة الاهداف الثابتة كالمباني وغيرها مما على البرّ واما الاهداف المتحركة كالبوارج فان اصابتها لم تكن سهلة لان الروس كانوا ينقلونها من مكان الى مكان متى شاؤُوا ولذلك رأَى اليابانيون ان لا بدَّ لهم من الاستيلاء على مكان يرون البوارج منهُ ولم يكن هناك غير التلّ المعروف بتلّ ٢٠٣ امتار فاستولوا عليهِ بعد معارك يشيب لها الولدان ونصبوا فيهِ منظاراً يسمى هيبوسكوب وهو منظار يستطيع الناظر فيهِ ان يرى ما امامهُ من غير ان يُرى فكان المدفعية يطلقون قنابلهم على البوارج والناظرون في الهيبوسكوب يخبرونهم من راس تل ٢٠٣ امتار بالتلفون ما اذا كانت القنابل تصيب البوارج او تقع امامها او خلفها او الى يمينها او شمالها

الى الدنيا مؤيدًا بقوة خارقة العادة لكي يقاص ملوك اوربا و يطهرها من المفاسد ولما قفى ما أُرسل لهُ ذهب كما اتى فهو مثل قيصر واتلاّ وتيمور. فان الثورة الفرنسوية فعلت فعل البركان دمّرت ما دمّرت وقتلت من قتلت وغطت البلاد بانقاض الرسوم القديمة تعلوها الحمم والرمضاء ونما عليها فطر الفوضى والفساد حتى لم يكد يُرى غيره . قال نبوليون انهُ وجد تاج فرنسا مطروحًا في بالوعة فالتقطهُ ورفعهُ على رأس سيفهِ . ولقد كانت حكومتها قرارة اقذار فردمها واحلّ محلّها حكومة منتظمة تسير في جادة العدل ما دام مديرها حكيمًا حازمًا . ولم يكتفِ بذلك بل دوّخ ممالك اوربا وجاس بلدانها والسيف في يدهِ والارجوان على كتفهِ فاضطرّ ملوكها ان يصلحوا احكامهم او تثور رعاياهم عليهم

ومهما اختلف الناس في اخلاق نبوليون فكلهم او اكثرهم متفقون على انهُ كان من اعظم القوّاد ان لم يكن اعظمهم كلهم فقد فاق كل من تقدّمهُ في سرعة الزحف واغتنام الفرص وجعلهِ رجالهُ يفعلون افعالاً خارقة العادة واحاطتهِ بصغار الامور وكبارها

هذا كان شأنهُ في اوائل امرهِ ثم جعل الخطأ يتطرق الى آرائهِ وافعالهِ كما اعترف بعدئذٍ وكما لا يخفى على احد . ويرى بعض المحققين ان جانبًا كبيرًا من الفضل الذي ينسب اليهِ انما هو لقوادهِ فيقولون ان الفضل في واقعة مارنجو لدزه[٣] وفي واقعة جينا[٤] لدافو[٥] . ولكن مهما طرح من فضلهِ يبقى لهُ شيء كبير يكفي للدلالة على انهُ من نوادر الزمان ونوابغ الدهر في قيادة الجيوش والتنكيل بالاعداء

الاَّ ان شهرتهُ غير مقصورة على ذلك بل كان من اقدر الناس على ادارة مهام البلاد ولقد قبض بيدهِ على كل ازمتها وتصرّف فيها تصرُّف المغني باوتار عودهِ فانهُ كان يدير نظارة الحربيّة ونظارة البحرية ونظارة الخارجية . واي شيء اعجب من ادارتهِ لمالية فرنسا فانهُ انفق الوف الملايين على حروبهِ الكثيرة وعلى الابّهة والمجد اللذين حفّ دولتهُ بهما من غير ان يستدين دينارًا واحدًا . وكان يعرف كل ما يجري في دواوين الحكومة ويدير كل شيء فيها وكان لهُ ذاكرة منقطعة النظير تعي كل شيء ولا تنسى شيئًا فكان يعرف كل الناس الذين لقيهم و يتذكر كل ما عرفهُ عنهم ولا ينسى امرًا من امور الحكومة

قال الوزير دارو Daru وهو من اقدر وزرائهِ خرجت من حضرة الامبراطور يومًا لما كنا

---

(٣) Desaix قائد من قواد نبوليون

(٤) Jena بلد في المانيا حدثت فيها معركتها الشهيرة سنة ١٨٠٦

(٥) Davou المرشال دافو من اشهر قواد نبوليون توفي سنة ١٨٢٣

نبوليون ورداؤُهُ الذي لبسهُ في واقعة مارنجو(١) . وحملتهُ الجنود الانكليزية الى مركبة يجرها اربعة من جيادهِ وساروا بهِ الى بقعة اختارها ليدفن فيها في سفح وادٍ في ظل صفصافتين بجانب عين كان يستقي منها هناك حفر قبرهُ ووري جسمانهُ ثم أُطلقت المدافع والبنادق اكراماً لهُ

وبعد تسع عشرة سنة رست في مرفإِ الجزيرة بارجة فرنسوية معقود لواؤُها لبرنس جوانڤيل(٢) لتنقل رفاتهُ الى عاصمة مملكتهِ . رضيت بريطانيا بذلك لكي تدفن معهُ آخر اثر من آثار العداء السابق . وقبل ان تعود البارجة الى فرنسا كادت نار العداء تستعر ثانيةً بين الدولتين . وجاء في هذه البارجة غورغو وبرتران وابنهُ الذي كان اول مَن دخل الجزيرة من غير اذن حاكمها على ما سبقت الاشارة اليهِ ومرشان وارشمبول وغيرهم من رجال نبوليون واجتمعوا حول ضريحهِ في الخامس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨٤٠ فنبشوا القبر واخرجوا التابوت فرأوا جثة نبوليون لم تزل على حالها لم يتطرَّق البلى اليها فعادوا بها الى باريس كأنهم عائدون بالغنائم ولم يحتفل بدخولهِ تلك العاصمة حيًّا كما احتُفل بدخولهِ اليها ميتاً جلس ملك فرنسا يحيط بهِ الامراء والوزراء والعظماء بما لا مزيد عليهِ من الابهة جلسوا تحت قبة الانفاليد ينتظرون وصول الرفات واذا بالمنادي يقول "الامبراطور" وللحال نهض الملك والجمع الذي حولهُ لاستقبال امبراطور فرنسا ولوجثةً بالية واطرقت العيون خشوعاً وفاضت العبرات رهبةً وشجوناً ثم دفنوهُ باحتفال يليق بهِ وبابَّهة لا تليق بغيرهِ ولم يزل قبرهُ مقصد الزوار من كل البلدان والاقطار

هذه خاتمة نبوليون . اما اخلاقهُ فوصفها من اصعب الصعاب . من رأْي لورد روزبري اننا لو عرفنا كل ما بدا منهُ وهو في منفاهُ ولا سيما في الاشهر الاخيرة من عمرهِ لعرفنا اخلاقهُ تماماً لانهُ تعرَّى حينئذٍ من ابَّهة الملك وغواشي السياسة . ولكن الذين كتبوا عنهُ حينئذٍ كانت افعالهُ لم تزل راسخة في نفوسهم فلم يستطيعوا ان يتجردوا عن الوهم الذين كان متغلباً عليهم سواء كانوا من محبيهِ والمعجبين بهِ او من مبغضيهِ والمحتقرين لهُ . ومع ذلك فقد كتب بعضهم اشياء كثيرة عنهُ لم تنشر حينئذٍ وهي ترشح الآن من مخابئها رويداً رويداً وفيها حقائق لم يبهرها نور الاعجاب ولا شوَّهتها نار الكراهة لهُ الا ان تمحيصها مما يمازجها ليس بالامر السهل. ولا يزال الكتَّاب مختلفين في حكمهم على نبوليون بين مادح وقادح واكثرهم على طرفي نقيض اما الفيلسوف الذي يعتقد ان العناية الالهية تدبر امور الناس فيقول ان نبوليون أُرسل

---

(١) Marengo مدينة في ايطاليا حدثت فيها الواقعة الشهيرة سنة ١٨٠٠

(٢) Prince de Joinville ابن الملك لويس فيليب

الارادة عن القوة الغضبيَّة

ذكر لورد روزبري قانون نبوليون فقال انهُ اعظم اثر خالد ابقاهُ بعدهُ ويتلوهُ في العظمة والخلود المجد والجلال اللذان تردَّت بهما فرنسا في عهدهِ فانها مهما اصابت من نعيم الايام ومهما حلَّ بها من نوائب الدهر تتذكر اثارهِ الملك الفخيم والمجد المؤثَّل اللذين تمتعت بهما في عهدهِ فتنعشها الذكرى وكأنها تتفيأُ الآن ظلَّ ذلك المجد الوارف ولا يزال جوُّها مستنيرًا بنور الزمن الامبراطوري وما تمَّ لها فيهِ من الظفر حين كانت اوربا كلها سندانًا لمطرقتها

ثم التفت الى اعمال نبوليون وكأن الاهة الشعر التي انطقت المتنبي بقولهِ

ضاق الزمان ووجه الارض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبلِ

انطقتهُ بما يماثل ذلك فقال ان نبوليون حشد في عشرين سنة اعمالهُ المجيدة غزواتهِ ونصراتهِ ابتدأ جائعًا نحيفًا فشبع وسمن وصار ملكاً عظيماً بل ملك الملوك وضاقت بهِ الدنيا فاضاع رشدهُ وامسى لعنةً على بلادهِ وعلى غيرها ولم يعد في طاقتهِ ان يستريح او يريح فصار دأبهُ العبث بالممالك التي حولهُ وهمُّهُ الاكبر عدوَّتهُ الكبرى انكلترا يضاربها على غير هدًى فاقلق اوربا كلها حتى خارت قواهُ جسدًا وعقلاً وظهرت نتائج ذلك فيهِ وهو في منفاهُ

وحقيقة الحال انهُ لم يكن في عقلهِ ثقل كافٍ لحفظهِ من الانقلاب اذا أُجهد زمانًا طويلاً اي ان قوتهُ كانت محدودة مثل قوة كل انسان فكان من النوادر ولكنهُ لم يكن من الخوارق وكأن جسمهُ وعقلهُ كانا يقولان بلسان الشاعر العربي

لا احمل الاَّ مقدرتي والكاس تفيض اذا طفحتْ
وكذا الميزان اذا حملت اثقالاً كفتها رجحتْ

ففي اول حكمهِ لما كان قنصلاً كان مثالاً في العدل والانصاف كان حكيماً متثبتاً دقيق النظر كبير الهمة يشعر بقصورهِ في معرفة قوانين الادارة ولا يخجل من السؤَال والاستفهام والاستفادة. وكان ذكي الفؤَاد قوي الذاكرة يسأَل عن الشيء مرة واحدة ولا يثنّي فحصَّل في مدة قصيرة معارف كثيرة وتعلَّم كل ما استطاع مشيروهُ ان يعلموهُ اياهُ وللحال ظهر تفوُّقهُ عليهم وعلى كل الذين حولهُ ورأَى من نفسهِ انهُ اقدرهم في فنون السياسة كما انهُ اقدرهم في فنون الحرب ولما رسخ ذلك في ذهنهِ ولم يرَ حولهُ الاَّ اناسًا لا يقاسون بهِ سواءٌ كانوا ملوكاً او قوادًا او وزراء كبرت نفسهُ واتسعت مطامعهُ ولم يرَ ما يمنعهُ عن ان يحذو حذو الاسكندر المكدوني ويدوخ ممالك الارض كلها

ولو تمهَّل في حروبهِ وغزواتهِ حتى ترسخ قدمهُ في ما فتحهُ من البلدان والممالك لرسخت دعائم

في ايلو Eylau وانا اقول لا بدَّ لي الآن من قراءة المكاتيب التي اتتنا فقال واي مكاتيب تأتينا ونحن في هذا البر الاقفر كالقبائل الرُحَّل . فقلت لهُ سوف ترى ثم عدت اليهِ ومعي ستة من الكتَّاب يحملون رزم المكاتيب ففضَّ واحدًا منها واذا كاتبهُ يطلب مئة حقنة لمستشفى ما بين فقال وهل تقديم الحقن منوط بالحكومة فقلت نعم وجلالتكم تدفعون ثمنها . فاقام اربع ساعات يفض كتابًا بعد كتاب ويقرأها وظلَّ كذلك ثمانية ايام متوالية ثم قال الآن فهمت ما هي ادارة الجيش . ولما عاد الى باريس بعد واقعة تلست Tilsit جري على هذهِ الخطَّة مع كل الوزراء ففتش اعمالهم بالدقة في ستة اسابيع ثم فتش اعمال الذين تحتهم وارتبطت اعمال الحكومة بهِ ارتباطًا محكمًا كأنهُ الراس يدير حركات البدن كلهِ حتى لما قُطع عنها تولاَّها التشويش والخلل

ثم ان اعظم مآثرهِ القانون المنسوب اليهِ فان الحروب تضع اوزارها والغزوات تتقلَّص ظلالها وكل ما انشأهُ او حاول وضعهُ مضى كما مضى امس الدابر ولكن القانون باقٍ وسيبقى مدى الادهار ناشرًا لواء العدل والانصاف في فرنسا وفي كل البلدان التي جرت عليهِ

وعَمَلُ ما قام بهِ من الاعمال يقتضي قوَّة خارقة العادة جسدًا وعقلاً ولقد كان كذلك في جسدهِ وعقلهِ . بقي في معركة الفنزي خمسة ايام متوالية لم ينزع فيها حذاءهُ ولا اغمض عينيهِ ولما دحر النمسويين نام ستًّا وثلاثين ساعة . وكان يركب من بولندا الى باريس ويجمع اعضاء المجلس ويرئسهم من غير ان يستريح . ومجالسهُ من اشق الاعمال يدوم الواحد منها ثماني ساعات الى عشر . كان مرة في احد هذه المجالس وبقي فيها الى الساعة الثانية بعد نصف الليل واخذت سنة الكرى وزير البحرية فلم يعد يستطيع ان يفتح عينيهِ فصرخ بهِ نبوليون قائلاً شدوا همتكم فان الوقت لم يفُت عن الساعة الثانية وحرامٌ علينا ان نأخذ اجورنا من الامة ولا نشتغل لها بها . وكان عنوان البحث والتدقيق في هذه المجالس فلا ينفضُّ مجلس منها الاَّ واعضاؤُهُ قد استناروا بآرائهِ الصائبة

وكان يشتغل ثماني عشرة ساعة من غير انقطاع إما في موضوع واحد او في مواضيع مختلفة ولا يكلُّ ولا يملُّ . ومها تعب جسمهُ ومهما حدث من الامور التي تهيج غيظهُ فان عقلهُ كان يبقى على مضائهِ وجلائهِ

وكذلك قوتهُ العضلية كانت من القدر الاعظم . سمع مرة الفيلسوف ڤولنه يقول ان فرنسا تريد البوربون فرفسهُ برجلهِ فوقع مغمًى عليهِ . واغتاظ مرةً من رئيس القضاة فلطمهُ بيدهِ لطمة اطارت صوابهُ . لكن هذه الامور نادرة جدًّا ولم يأتها الاَّ في ساعة غيظ انحلَّ فيها سلطان

من اتباعها ثم يأبى ان يمضي شروط السلم لايكون عقلهُ خالياً من الدخل . والظاهر ان رجالهُ المقربين منهُ رأوا ذلك وتآمروا مرة على خلعهِ بناء على انهُ مصاب بمس من الجنون. ولا شبهة في انهُ اضاع التوازن العقلي من سنة ١٨٠٨ فصاعداً ولم يعد يقدِّر العواقب ولا يحسب للحدود الادبية والطبيعية حساباً بل صار يجري في اعظم المهام جري المقامر والمضارب ٠ ولم يكن لهُ من رجالهِ احد يسترشد بهِ لانهُ بهرهم كلهم وصيرهم اصفاراً فعل ذلك لكي ينجو من مناظرتهم فخسر معاضدتهم ولو مات فجأة قبل سقوطهِ لترك بعدهُ الامناء من رجالهِ عجزةً والاكفاء خونة وهذا وحدهُ دليل قاطع على انهُ لم يحسن السياسة ولم ينشيء سلطنة وطيدة الاركان. ولقد كان يُنتظر من رجل كبير النفس رحب الصدر مثلهُ ان يترفَّع عن الغيرة لكنهُ لم يكن كذلك وغيرتهُ هذه ابعدت عنهُ الاكفاء اومنعتهم من اظهار كفاءتهم واعتمادهم على انفسهم. وهي التي كانت تحملهُ على توبيخ قوادهِ على كل هفوة تبدو منهم لكيلا يعتدُّوا بانفسهم ويتطالُوا الى التمثل بهِ ولذلك لم يكن يمدح الاَّ مَن مات منهم مثل دزه وكلابر. وقد اثرت صرامتهُ فيهم على نوعين اماتت نفوس البعض وغرست الحقد في قلوب البعض الآخر ٠ ومن امثلة صرامتهِ ما روي من انهُ كان يستقبل الزوار مرةً فرأى بينهم الجنرال سان سير وهو من افضل قوادهِ فقال لهُ لقد اتيت من نابلي فقال نعم يا مولاي بعد ان سلَّمت قيادة الجيش للجنرال برنيون الذي بعثت بهِ ليخلفني

فقال نبوليون ولا بدَّ من انك استأذنت وزير الحربية فاذن لك في المجيء

فقال كلاَّ يا مولاي ولكنني اتيت لانهُ لم يبقَ لي عمل في نابلي

فقال نبوليون اذا لم تكن في الطريق اليها من الآن الى ساعتين امرت بك ان ترمى بالرصاص قبل الظهر

وهذا كان شأنهُ مع سائر قوادهِ يمنحهم الرتب والالقاب ولكنهُ لا يجعلهم موضع ثقتهِ لانهُ لم يكن يثق باحد ولم يشأ ان يكون رجالهُ غير آلات في يدهِ ٠ ولم يكن يخشى مناظرتهم لهُ بل كان يخشى تطاولهم اليهِ وانتقادهم لافعالهِ . وكان بين رجالهِ رجلان مقتدران ولما علم انهما صارا بحيث لا يستطيع الاستغناء عنهما اقصاهما عنهُ ثم لما دعت الحاجة اليهما قرَّبهما ثانية وهو يعلم انهما يكرهانهِ كما يكرههما

قال لورد روزبري ان الاسباب المتقدمة كافية لسقوط نبوليون ولو ذكر الباحثون في هذا الموضوع اسباباً أُخرى غيرها . ومن رأيهِ ان الاسباب الاخرى التي ذكرها غيرهُ انما هي نتائج نتجت من سوء سياستهِ .وخلاصة ما ذهب اليهِ ان مطامع نبوليون كانت اكبر من الوسائل التي

ملكهِ ولم تتقوض كما تقوضت فقد بنى بناء فخماً جاعلاً فرنسا اساساً لهُ وهي تحتمل الفخم المباني ولكنها لا تحتمل المحال فانهُ دفن ثلثمئة الف من رجالها تحت ثلوج روسيا سنة ١٨١٢ وفي السنة التالية طلب منها ان تعبئ لهُ مليونًا وثلثمئة الف من الرجال بعد ان استنزف قوتها بحروبهِ الطويلة وسكانها كلهم لا يزيدون على ثلاثين مليونًا

ولقد ظن ان الممالك والامارات التي ضمها الى فرنسا من المانيا وايطاليا واسبانيا قد التحمت بها حتى صار عدد الرعايا الذين يعتمد عليهم ثمانين مليونًا لا ثلاثين لكنهُ اخطأ في هذا الظن وبعض الظن اثم لان ما اضافهُ الى مملكتهِ آل الى ضعفها لا الى قوتها فخدع نفسهُ واضعف شأنهُ لاسيما وانهُ كان يلعب بحدود الممالك كأنها رقعة الشطرنج فدلَّ بعملهِ هذا على انهُ لم يكن يعتقد ثبوتها. وكيف تثبت على ولائهِ ممالك دوَّخها تدويخًا فاضمر اهاليها العداء لهُ. ومن سياستهِ الخرقاء انهُ ضمَّ فرقًا من الجنود الاسبانية الى جنودهِ حينما كان الاسبانيون يغتالون كل فرنسوي يستفردونهُ واضاف اليها فرقًا من البروسيين وهو يعلم ان اهالي بروسيا كلهم حاقدون عليهِ متربصون بهِ فرص الدهر. ومزج بها فرقًا من النمسويين والنمسويون الد اعدائهِ

وخلاصة المقال في هذا الباب ان السلطة العظيمة التي بلغها شوشت عقلهُ فعمل اعمالاً لايخفى خطأُها على احد

ثم انهُ كان جنديًا شبَّ في ميادين القتال والجندي يرى من نفسهِ غرامًا بالحرب ويبلغ منهُ الغرام مبلغًا عظيمًا اذا كان قائدًا متسلطًا على جنودهِ ثم اذا كانت السلطة المطلقة في يدهِ بلغ هذا الغرام اشدَّهُ. والناس يخاطرون بما يمتلكون في المقامرة والمياسرة اذا هاجوا فلا عجب اذا خاطروا بالنفس والنفيس حين ينزلون ميدان القتال وتثور في نفوسهم سورة الغيظ ويبهرهم طلب المعالي وتسكرهم خمرة الظفر ويدوسون كراديس القتلى والجرحى كأنها اكداس الحنطة الاَّ ان هذا التهيج لابدَّ وان يؤثر في الاعصاب تأثيرًا شديدًا لاتحتملهُ زمانًا طويلاً اذا تكرر عليها مرارًا كثيرة وقد أثَّر في اعصاب نبوليون فصار كالمقامر اذا افل نجم سعدهِ ظن افولهُ احتجابًا قصيرًا لايلبث ان يزول. وهذا شأن قوَّاد الجيوش بنوع عام لكن وزراء المملكة يردونهم الى صوابهم ويمنعون تورُّطهم في المهالك لانهم لا يكونون منفعلين انفعالهم واما نبوليون فكان القائد والوزير في وقت واحد لا شكيمة تكبحهُ ولا حكومة تسيطر عليهِ. قال لورد روزبري ولا يعلم في اي وقت طرأَ هذا الخلل على قواهُ العقلية ولكن لاشبهة في انهُ صار سنة ١٨١٠ غير ما كان عليهِ سنة ١٨٠١ والرجل الذي يقول ان على ممالك اوربا كلها ان تحفظ سجلاتها في مدينة باريس وعلى ملوك الارض كلهم ان يبنوا قصورهم فيها ويحضروا تتويج امبراطرة فرنسا كأنهم

مقابلة الاحسان بالاساءة

كأني بالقارىء وقد وقع نظرهُ على هذا العنوان يرفع طرفهُ نحو السماء وينادي العجب من اعاليها ثم يخفضهُ الى الغبراء و يستدعي الاستغراب من اعماقها ومهاويها

يقول من هذا الذي يريد ان يقلب نظام الكون ويبدّل سنّة الخلق. وهذه الحجارة الكريمة على قدر صفاء الوانها تشتدّ رغبة الناس فيها فيتغالون في اثمانها و يتخذون لها اجياد الحسان موطناً وبنان الغيد الملاح مقرًّا وصدور الغواني مقاماً فتخرج من ظلمة استتارها في معادنها الى اجمل مناصّ الظهور والسناء فتكون حلي نساء الاغنياء بل حلي حرم الوزراء وكرائمهم بل حلي ربّات التاج

فان كان هذا اثر الصفاء في الحجارة الكريمة أفلا يكون الاخلاص وهو صفاء القلب من آثار المماذقة والمخادعة اعلى قدرًا واعلى ثمناً في عيون الناس من تلك الجواهر التي لا نقاسي في الاحتفاظ بنقاوتها عذاباً . ولا يسومها الاستمرار على صفائها خسرانًا ولا يجرّ عليها وبالاً . واما أولو الاخلاص في الناس فيولد لهم ذلك الاخلاص اعداءً وخصوماً يناصبونهم العداوة و يضرمون عليهم من الحسد نيرانًا و يطلقون ضمائرهم من قيود العدل للاشتغال في تدبير الحيل المودية بحياة من كلّلوا هامة بلادهم باكاليل المجد وكتبوا اسمها في صدر جريدة العظمة والفخر حتى يكون مثلهم مثل من ولد ولدًا ونشّأهُ وثقّفهُ فلما بلغ مبلغ الرجال عدا على والدهِ فقتلهُ

وبما ان مثل هذا الانقلاب لا يكاد يصدّق نروي لك حادثة سنمار التي اشار اليها الشاعر بقولهِ

جزى بنوهُ ابا الغيلان عن صغرٍ وحسن فعلٍ كما يجزى سنمارُ

وسنمار هذا فيما قيل بنّاء روميّ بنى للنعمان بن امرىء القيس اللخميّ بظاهر الكوفة قصرًا وهو الخورنق المشهور فاجاد في صناعتهِ فلما فرغ من بنائهِ القاهُ من اعلاهُ لئلاَّ يبني مثلهُ لغيرهِ فمات شهيد ما عند النعمان من الأَثرة وضعف النظر فكانت فعلتهُ هذه ادلّ دليل على لؤم طبعهِ واصدق شاهد على وحشية خلقهِ استغفر الله ان الوحوش لتتكارم عن الهبوط الى حضيض هذا الخلق الرذل

انّي رأيت الأُسدَ احسن مبدا من جنس هذا العالم المتمرّدِ
الناس تقتل كل يوم بعضها والاسد تقتلُ غيرها اذ تعتدي

فقتل سنمارٍ مصاب على صناعة البناء بل مصابٌ على العدل وكرم الطباع . ولكن اين هو من

في يدهِ فضاق بها ذرعاً وسقط في ما سقط فيهِ من الخطاء

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

اما آدابهُ الشخصية فلم تكن احطّ من آداب غيرهِ من ابناء عصرهِ الذين كانوا في مقام مثل مقامهِ . ولعلّها كانت اسمى من آدابهم فلم يكن يخشى المجاهرة بلزوم التديُّن للامة وبوجوب العفَّة والطهارة العائلية ولو لم يكن يحسب ذلك لازماً لهُ لزومهُ لغيرهِ . ولقد كان محبًّا لزوجتهِ الاولى برًّا بوالدتهِ وفيًّا لاصدقائهِ ولا سيما في اوائل عهدهِ محبًّا لاخوتهِ غير طامع بجمع المال سريع الغضب قريب الرضا شفوقاً صبوراً . ثم كلَّت عواطفهُ ولم تعد آثار الشفقة تظهر عليهِ الاَّ نادراً

وكان جنودهُ والفريق الاكبر من قوَّادهِ يحبونهُ في اوائل عهدهِ حبًّا مفرطاً يقرب من العبادة اما الذين بقوا منهم الى اخريات ايامهِ وذاقوا خلَّهُ مع خمرهِ فتنحَّوا عنهُ او انقلبوا عليهِ حتى تعذَّر ان يوجد العدد الكافي منهم للذهاب معهُ الى جزيرة البا او الى جزيرة القديسة هيلانة . وزوجتهُ الثانية ابنة امبراطور النمسا كانت تقول وهي في بيتهِ انها لا يهنأ لها عيش الاَّ وهي معهُ ولما مات قالت انها لم تكن تحبهُ قط . واللوم في ذلك كلهِ عليهِ لا على الذين تركوهُ . وما احسن ما كتبهُ الجنرال برتران في هذا المعنى وهو في جزيرة القديسة هيلانة قال ان الامبراطور على حالهِ ويستحيل علينا تغيير طبعهِ وطبعهُ هذا هو الذي اقصى اصدقاءهُ وكثَّر اعداءهُ واوصلهُ الى هذه الجزيرة

الاَّ ان هذا الطبع لم يظهر فيهِ الاَّ بعد ان ترفَّع فوق البشر ووضع نفسهُ في مصاف الآلهة اي حينما اختلَّ ميزان عقلهِ

هل كان نبوليون من عظام الرجال . سأَل لورد روزبري هذا السؤال واجاب انهُ اذا اريد بالعظمة الجمع بين المزايا العقلية الرائعة والادبية السامية فنبوليون لم يكن عظيماً ولكن اذا اريد بالعظمة المقدرة العقلية والجسدية والتفوُّق في الصفات البشرية فلا شك انهُ كان عظيماً جدًّا وقد اجتمع فيهِ من ذكاء العقل وعلوّ الهمة ومضاء العزيمة مالم يفقهُ فيهِ احد او لم يماثلهُ فيهِ احد من الذين يُعرَف تاريخ اعمالهم فانهُ لم يتم في كل ازمنة الدهر رجل مثلهُ جمع بين المهارة الحربية والسياسة الادارية بكل دقائقهما وتفاصيلهما حتى قالت مدام هودتو عنهُ انهُ " طوى التاريخ ونشر التصوُّر " وقال لورد ددلي " انهُ اوقع الشك في كل ما جاء عن مجد الماضين ولم يبقِ مجالاً لشهرة الآتين " . وما من اسم مثل اسمهِ يمثّل العظمة والابَّهة كانت قواهُ فوق كل قوى الناس فاحسن استعمالها فارتقى ثم اساء استعمالها فسقط ولم يكن سقوطهُ ممكناً الاَّ بمثل القوة التي ارتقى بها فهو المحسن الى نفسهِ وهو المسيء اليها انتهى

بيدهِ يعركها ويقبّلها ويعتذر اليهِ فقال لهُ المنصور وهو آخر كلامهِ قتلني الله ان لم اقتلك . ثم صفّق باحدى يديهِ على الاخرى فخرج اليهِ القوم وخبطوهُ بسيوفهم والمنصور يصيح "اضربوهُ قطع الله ايديكم". وكان ابو مسلم قد قال عند اول ضربةٍ "استبقني يا امير المؤمنين لعدوّك" قال لا ابقاني الله ابدًا واي عدوّ اعدى منك . ولما قتلهُ ادرجهُ في بساطٍ فدخل عليهِ جعفر بن حنظلة فقال لهُ المنصور ما تقول في امر ابي مسلم فقال يا امير المؤمنين ان كنت اخذتَ من رأسهِ شعرةً فاقتل ثم اقتل ثم اقتل. فقال المنصور وفّقك الله ها هو في البساط فلما نظر اليهِ قتيلاً قال يا امير المؤمنين عِدَّ هذا اليوم اوّل ايام خلافتك فأنشد المنصور

فالقت عصاهُ واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عينًا بالإِياب المسافرُ

ثم اقبل المنصور على من حضرهُ وابو مسلم طريح بين يديهِ وأنشد

زعمتَ ان الدَيْن لا يُقتضى فاستوفِ بالكيلِ ابا مجرمِ

اشرب بكاسٍ كنت تسقي بها امرَّ في الحلق من العلقمِ

وكان مقتلهُ برومية المدائن وهي بُلَيدة من الأنبار على دجلة بالجانب الشرقيّ معدودة من مدائن كسرى

فيا ليت شعري ألم يكن الملك الذي نصب ابو مسلم عرشهُ للعباسيين باجتهادهِ وسعيهِ يصلح ان يكون شفيعًا فيهِ عند ابي جعفرٍ المنصور ثاني خلفاء دولةٍ قامت على سعي ابي مسلم . فما مَثَلهُ مع المنصور الاَّ مَثَل الشمعة تحرق نفسها لتضيء على الناس سيَّما وان الاحوال لم تكن لتطمع أبا مسلم بالملك لما هو معهود من شروط الخلافة . فكان الاحرى بملك من مثل المنصور ان تربأ بهِ مروءتهُ وتترفّع بهِ نفسهُ عن التلطخ بدم من لبس التاج بثمرة اجتهادهِ خصوصًا وفي امكانهِ ان يعزلهُ ويستبقيهُ محجورًا عليهِ في دارهِ ويكتفي بذلك عقوبةً لهُ على ما بدا منهُ ممّا لم يُطق المنصور الصبر عليهِ . فهذا بسمارك الذي على يدهِ اجتمع شمل الالمان وباجتهادهِ قامت العاهلية الالمانية لمَّا ثقل بقاؤهُ في منصبهِ على غليوم الثالث عزلهُ عنهُ ولم يمسَّهُ بسوء فاستمرَّ بسمارك الشهير معتزلاً اشغال الدولة الالمانية الى ان وافاهُ اجلهُ . فشتَّان بين صنيع المنصور وصنيع غليوم . نعم قُتل ابو مسلم الخراساني وشفى ابو جعفر قلبهُ بقتلهِ وتشفَّى بهِ حساد فضلهِ واطلق الشاعر السفيه ابو دلامة لسانهُ في هجوهِ وكناهُ ابا مجرمٍ . ثم مات ابو جعفر بنحو من عشرين سنة بعد ان اغتال مؤسس ملك العباسيين والقائم بدعوتهم . ولكن التاريخ لم يمتْ بل هو حيٌّ باقٍ ابدَ الدهر ينتصف لأبي مسلم ممن قابل لهُ تلك اليد البيضاء بيدٍ سوداء ويثني عليهِ ويذم المنصور ابا جعفر على انهُ يخطّئ ابا مسلم في تماديهِ مع هواهُ ونسيانهِ ان الملك لا يحتمل

المصاب بقتل القائم بالدعوة العباسية حجر الارض أبي مسلم الخراساني الذي قال فيهِ المأمون وقد ذُكر عندهُ "اجلُّ ملوك الارض ثلاثة وهم الذين قاموا بنقل الدول الاسكندر وأزدشير وابو مسلم الخراساني" . فهذا الداهية الذي مدحهُ المأمون مدحاً ينحني لعظمتهِ كل مدح هو الذي هدم صرح الدولة الاموية وبنى على انقاضهِ قصر الدولة العباسية فثلَّ عرشاً ونصب عرشاً وامات دولةً واحيا دولةً . وهو الذي كان السفَّاح اول الخلفاء العبَّاسيين يعظمهُ لما صنعهُ ودبَّرهُ . كانت خاتمة امرهِ ان السفَّاح توفي بعد ان ملك بنحو من اربع سنين وتولَّى الخلافة بعدهُ اخوهُ ابو جعفر المنصور وهو بمكة يوم الاحد لثلاث عشرة ليلةً خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ للهجرة . فتغيَّر على ابي مسلمٍ لاسباب وقضايا صدرت منهُ فلم يشفع فيهِ عند ابي جعفر المنصور انهُ واضع اسّ الدولة العباسية وقصَّر ما أولى العباسيين من الصنائع ان يبتاع لهُ ما يستر بهِ ذنبهُ عن نظر المنصور فلا يتغير عليهِ قلبهُ فعزم على قتلهِ وبقي حائرًا بين الاستبداد برأيهِ في امرهِ والاستشارة فيهِ فشدَّدت الاستشارة عزيمتهُ والهبت نار سخطهِ ولاغرو فان المزايا تخلق لاصحابها اعداء ممن يحبون ان يُنظَموا في سلكهم ويدرجوا في عدادهم . وليس لهم من افعالهم ما يبلغهم هذه الامنية فاذا رأوا باب التحريش مفتوحاً دبوا اليهم منهُ بكلام من السعاية الدغ من حمات العقارب واسم من نفثات الافاعي فيعضد السعاية والاغراء ما في نفوس الكبراء من الحفائظ فيفضي الامر الى مكافأة المخلصين بنقف الاعناق كما جرى مع ابي مسلم المشار اليهِ واليك لمحةً من كلام ابن خلكان في مقتل ابي مسلمٍ تؤيد لك ما قلتهُ

" قال المنصور يوماً لمسلم بن قتيبة ما ترى في امر أبي مسلم قال لو كان فيهما آلهةٌ الاَّ الله لفسدتا . فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد اودعتها اذناً واعية . ولم يزل المنصور يخدعهُ حتى احضرهُ اليهِ وكان المنصور يومئذٍ برومية المدائن التي بناها كسرى فلما دخل على المنصور رحَّب بهِ ثم امرهُ بالانصراف الى مخيَّمهِ وانتظر المنصور فيهِ الفُرَص والغوائل . ثم ان أبا مسلم ركب اليهِ مرارًا فأظهر لهُ التجني ثم جاءهُ يوماً فقيل لهُ يتوضأ للصلاة فقعد تحت الرواق . ورتب المنصور لهُ جماعة يقفون وراء السرير الذي خلف ابي مسلم فاذا عاتبهُ لا يظهرون . واذا ضرب يداً على يدٍ ظهروا وضربوا عنقهُ . ثم جلس المنصور ودخل عليهِ ابو مسلم فسلَّم فردَّ عليهِ واذن لهُ في الجلوس وحادثهُ ثم عاتبهُ وقال فعلتَ وفعلتَ . فقال ابو مسلم أتقول هذا لي بعد سعيي واجتهادي وما كان مني . فقال لهُ يا ابن الخبيثة انما فعلت ذلك بجدّنا وبحظنا ولو كان مكانك أمة سوداء لعملت عملك . ألستَ الكاتب اليَّ تبدأ بنفسك قبلي ألستَ الكاتب تخطب عمتي آسية وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن العبَّاس لقد ارتقيتَ لا أمَّ لك مرتقًى صعباً . فأخذ ابو مسلمٍ

واذ خشي أن يطرأ ما يغير عزيمتهم توسَّل بحيلة حربية لطيفة ليمنع الاسطول ان يفارق جزيرة سلامين فبعث الى كسرى رسولاً يقول لهُ ان اليونان ملكهم الخوف فهم يحاولون الفرار تحت ظل الليل فاما كسرى فلم يدرِ ان ذلك خدعة فأمر للحال ان ترصد الطرق والمعابر واعدَّ هو نفسهُ هزيمتهُ ولم يبرح اليونان الموقع الذي تخيَّرهُ لهم تيموستكل . وصبيحة الغد استعدَّ الفرس ان يصلوا نار الحرب على نظر كسرى فأمر وهو موقن بالنصر ان ينصب لهُ عرش فاخر على قنة جبل اجاليز ليتسنى لهُ ان يرى حركات الاسطولين ففعلوا وفيما كان يرى ان الفرس قد اقتربوا وان اليونان طفقوا يرجعون القهقري حتى يجرُّوا العدوَّ الى حيث يتعذَّر عليهِ ان يستعمل ما لديهِ من القوات اذا بتيموستكل انتهز الفرصة فحطم بوارج الفرس الراسية في ذلك البوغاز فدارت عليهم الدائرة

واما كسرى الذي كان يعلل نفسهُ ان يشهد الظفر بعينهِ فقد كذب فألهُ وخاب ظنهُ فرأى وهو على ذلك العرش الهزيمة حظَّ جيشهِ فجدَّ في الفرار وقد اجتاز على قارب صيَّاد هذا الملك الذي كانت سفائنهُ تغشي وجه اليمّ

وقد استبدَّ بمجد هذا اليوم المشهور تيموستكل فان قوَّاد اليونان على ماروى الاخباريُّون حين دعوا ليبينوا لايهم النصيب الاوفى والحظ الاوفر في الانتصار فاجتمعت كلمتهم على ان يقول كلٌّ من أُولئك القوَّاد "انهُ هو الاول وان تيموستكل هو الثاني فقضى لهُ الشعب الاثيني بمجد الانتصار دون سائر القوَّاد . وعقب ان اشتغل اهل اثينا رجالهم ونساؤهم واحداثهم في بناء السور انكروا فضل تيموستكل وطردوهُ من البلاد فالتجأ الى ملك الفرس فاكرم وفادتهُ واحسن ضيافتهُ ورجا ان يُقيّدَ بخدمتهِ وأَدب لهُ يوم وفودهِ عليهِ مأدبة فاخرةً ويقال انهُ صاح تلك الليلة مرارًا "قد حصلت على تيموستكل الاثيني" ثم ارادهُ على محاربة وطنهِ فتجرع كاس سم مستحبًّا الموت والامانة على الحياة والخيانة

وممن ساءت عواقبهُ ولم تشفع بهِ أَياديهِ وصنائعهُ ملتياد الاثيني الذي تولى قيادة الجيش وقام بتدبير الحرب يوم ماراثون الشهير لليونان على الفرس وهزم داريوس واثخن القتل في عساكرهِ والصق بهِ من عار الهزيمة مالا يمحوهُ تطاول الاعصار فصوَّرهُ اليونان في مقدمة القادة وهو يحرض الجيوش في تلك المعركة الهائلة تخليدًا لذكرى مالهُ من الشجاعة والنجدة . فبي خلد من يدور ان هذا البطل لزلة خفيفة ارتكبها في جزيرة باوس ينهض عليهِ الاوغاد الحساد ويطلبون ان يقضى عليهِ بالهلاك ويلقى في اخدود يطرح فيهِ اهل الجرائم الفظيعة فغضَّ الاثينيون ابصارهم بل حوَّلوها عن ذلك العمود الذي مثلوا عليهِ ملتياد رئيسًا لقوَّادهم محرضًا

ان يرى لاحدٍ في مملكتهِ كرامةً غير ما يتولد من التفاتهِ . ويفتح في وجوه بقايا الامويين سبيل الشماتة بأبي مسلم ويبرّد قلوبهم حتى يدعوا بطول عمر المنصور بما اغتال من عاون الايام على ابادة دولتهم وإركاد ريحهم

ومن ينتظم في سلك ابي مسلم تيموستكل القائد الأثينيُّ الشهير الذي ردّ غارة الفرس عن بلاد اليونان وذهب بمجد الانتصار يوم سلامين . فهذا كان مصيرهُ الى ان انكفأ عليهِ بالعدوان اولئك الذين بفضل نجدتهِ وأصالة رأيهِ خرجوا من شدوق الضراغم وافلتوا من براثن الشجاعم واوقدوا لهُ نار الاضطهاد وطردوهُ من البلاد حتى اضطرّ (ويا لضيعة الجميل عند اليونان) الى ان يعوذ بملك عدوّهم من اصفيائهِ وابناء وطنهِ وعتقاء سيفهِ الاثينيين. واليك ملخص قصةٍ تأثرها عن امبروسيوس رنديفيل تعرف بمطالعتها سعة فضل تيموستكل على الاثينيين وكرم سجيتهِ ولؤم اخلاقهم وخبث طينتهم. "لما اجتاز الفرس واقتربوا من اثينا واجتاحوا تلك النواحي واحرقوا الديار وسفحوا الدماء كان تيموستكل هذا القائد الحامل راية الحكمة وابادة الحياة في سبيل الوطن قد اعدّ اسطولاً عظيمًا غير ان الاثينيين لم تكن لقاعدة ملكهم اسوار تصدّ هجمات الفرس ففزعوا الى دلفس يستطلعون الغيب فهبط عليهِ الوحي بهذا الجواب " لا يستطيع الاثينيون الى النجاة سبيلاً الاَّ باسوار من خشب" فعند ذلك قال لهم ذلك الداهية تيموستكل تفاديًا من ان يشغل فريقًا من جيوشهِ في الدفاع عن المدينة بما لاغناء بهِ ان الاله يأمر بهذا الكلام ان يخلوا منازلهم ويدخلوا في بوارج الاسطول فاقنعهم تفسير هذا الداهية وهجروا المدينة وانزلوا الشيوخ والنساء والاطفال في جزيرة سلامين واما المقاتلة فلم يبرحوا البوارج التي كان قد جمع تيموستكل في بوغاز سلامين وكان الفرس خلال هذه البرهة قد دخلوا اثينا فألفوها خالية ليس فيها ديَّار فسلطوا عليها النار حتى احالتها رمادًا لم يبقَ فيها غير هيكل دلفس . زعم المؤرخون ان ذلك الاله انتصر لمقدسهِ فقتل جماعة من الفرس بحجارة كانت تنقلع من الجبل ودحر الباقين وقد ذعروا من هول ما رأَوا اما القادة اليونان الذين جمعهم الاسطول فعقدوا مجلسًا وارتأَى جمهورهم ان يذهبوا الى برزخ كورنتوس حيث كان الجيوش البرية قد نصبوا مضاربهم اما تيموستكل فخالف رأيهم اذ تبين ان في مغادرة بوغاز سلامين الذي يقيد الاسطول الفارسي ولا يمكنهُ من الهجوم بجملتهِ على البوارج اليونانية خطرًا مبينًا وقد كبر ذلك عليهم حتى ان ايرباد الاسبرطي رفع عصاهُ عليهِ فقال لهُ تيموستكل " اضرب ولكن اسمع" فعند ما القوَّاد رأَوا ما رأَوا من اطمئنانهِ واعتدالهِ صاخوا سمعًا لكل براهينهِ فاستحسنوا رأيهُ الذي كانت بهِ نجاة بلاد اليونان

ذهب ضحية اهول الدسائس السياسية . ألا وقد قبض عليهِ وبعث الى اسبانيا ليحاكم وبعد التيّا والتي تبرّأ فاطلق سراحهُ وحظر عليهِ ان يدخل اسبانيولا واراد ان تنتقل القابة الى ابنهِ فلم يأذن لهُ فرديناند في ذلك ولما توفي طلب ان تجعل القيود معهُ في التابوت وقد دفن عند الكبوشيين بقالادُوليد ثم نقلت بقاياهُ الى اشبيلية

ناشدتك الله قل لي ألا يجدر بمن يشتكى اليهِ على مثل هذا الجدير ان ينعت بانهُ نسيج وحدهِ وفريد عهدهِ ويتيمة دهرهِ وأُعجوبة عصرهِ افلا يجدر بهِ ان يطيل النظر في الامر وان يجيل طرف البصيرة في البحث عن احوال المشتكين واغراضهم وان ينقب عن احوال الحوادث وان يسبر التهم بمعيار الفطنة والانتباه . بلى ان هذا لهو الواجب الذي لا يجوز التخلف عنهُ حتى اذا ثبتت التهمة وصحت الدعوى وازن بين حسناتهِ وسيئاتهِ وعاملهُ بمقتضى قول الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنبٍ واحدٍ جاءَت محاسنهُ بالفِ شفيعِ

واذا شئت المزيد من الامثلة احلتك على كتب التاريخ فان لم تجد ثمةَ ما يروي غليلك ويشبع نهمك احلتك على مراقبة احوال العصر حيث تجد المخلص على تفوُّقهِ بالاعمال وعلوّ مرتبتهِ في اصالة الرأي يُنبَذ لاختلاقةٍ يختلقها عليهِ مفترٍ حسود ويعزل من منصبهِ ثم لا يكتفى لهُ بذلك بل يُنهَش بانياب الغيبة ويبذل الجهد في اغلاق ابواب التقدُّم دون فضلهِ . ويُسدَل على جمال اهليتهِ سجاف مغشّى بالوشايات والمفتريات وكأنما في مثل هذه الأَزمة قد وقع القائل " غبن الحرُّ لعمري غُبنا " بل كأنما صبَّت هذه البلية على رأس القائل

سأَلت احبَّتي ما كان ذنبي اجابوني واحشائي تذوبُ
اذا كان المحبُّ قليل حظٍ فما حسناتهُ الاَّ ذنوبُ

واعلم ان كلاً ممن تشدَّد على امثال من مرَّبك ذكرهم لو اتَّزع بالوازع الباطن عن سفك دم البريء ولو ازَّجر عن مقابلة المحسن بالاساءة ما نزل بهؤُلاء مثل ما نزل بهم من القتل او الاضطهاد . وكفى بهذه المقالة تذكيرًا وتحذيرًا لكل ذي يدٍ من الانقياد لما يزخرفهُ الحساد الصوَّاغون الاولى يجعلون الحبة قبةً ويسترون بالفاظ المداهنة ما لاهل الفضل من الصنائع الوافرة والمآثر الباهرة في جنب الوطن والمملكة

سعيد الخوري الشرتوني

لجنودهم في القتال وتناسوا ما جرى لهم على يدهِ من الظفر وحكموا بالقتل على ذلك الذي جرح جراحات بالغة وهو يحارب عن وطنهِ اللهم الاَّ ان جماعة من ابناء وطنهِ صاحوا طالبين ان يبدّل الحكم الذي أُبرم بموت ملتياد مخلص اثينا والديار اليونانية بغرامة مبلغ قدرهُ ٢٧٠٠٠ فرنك. ولما لم يكن في ملك ملتياد ما يوازي هذا المبلغ الطائل طرحوهُ سجناً مظلماً وما لبثوا ان أزهقوا روح مخلصهم ومخلص بلادهم

وهنا محل العبرة ومقام العجب الا وان ملتياد الذي اذلَّ بصولتهِ داريوس على كثرة جيوشهِ قد عجز ان يدفع عنهُ افتراء المفترين وأعيا ان يردَّ السنة الحساد المتملقين واللئام المتزلفين فيا لله من اهل اللؤم والخبث الذين بكلمة توافق هوى ملك يمحون مآثر العظماء الذين عزّزوا ملكهُ ووطدوا دعائمهُ وخاضوا الغمرات في الذبِّ عن مملكتهِ وتلقوا الحراب والسيوف ليبقى مطمئناً على اريكة ملكهِ ثم لا يجتزئون بمحوِ مفاخرهم بل يصوّرونهم لهفوةٍ هفوها خوَّاناً واعداءً كما فعلوا بمن صرحوا انهُ مخلص اثينا والديار اليونانية قاطبة فكانما في كلام السعاية والاختلاق مغناطيس يجذب القلوب الى اصحابها وكهربائية توغر قلوب ذوي السلطان على من نالوا عندهم الحظوة ذلك بما تنقل اليها من الشحناء والضغينة بالالفاظ المحفظة والعبارات المؤلمة

فان لم تكتفِ بما رويتهُ لك من اخبار من أُنزل البلاء وقذف عليهم جمر الاضطهاد عقب ان قلّدوا بلادهم وامتهم قلائد الفضل بل غبَّ ان منوا عليها بابقائها في صحيفة الوجود وحطموا سيوف مناوئِها وردّوا محاربيها على اعقابهم ناكصين فاعيد على سمعك قصص من فجَّر على اهل الدنيا انهار الثروة واباحهم المعادن الثمينة والجواهر الكريمة كريستوف كولمب الذي بعثتهُ حدة ذهنهِ للحكم بان وراء هذا البحر بلاداً أُخرى واسعفهُ علوّ همتهِ ان يخوض لجج المحيط ويقاسي هياج الخضم وهياج الرفاق فابحر ثالث يوم من شهر آب (اوغسطس) سنة ١٤٩٢ واستمرَّ الى ١٣ ت ا (اكتوبر) من تلك السنة حتى رأَى البر ووضع يدهُ على جزيرة سلفادور ونصب فيها الصليب فصار هذا الجنديُّ المتجافي عن الكبر بعد معاهداتهِ مع الملوك امير البحر المحيط وحاكم الجزائر العام وارض الهنود فهذا بعد ان عاد الى اسبانيا سنة ١٤٩٣ ودخل برشلونة دهشت الديار الاسبانيولية لاستقبال هذا الفريد همة المنقطع النظير ذكاءً ونال من الحظوة ما هو خليقٌ بمثلهِ ثم انثني آئباً الى اميركا وواصل الاكتشاف والاستعمار وتوطين الجالية ولم يفتأْ يلاقي المشاق ويكابد الشدائد وقد شقَّ عليهِ ما فعل اصحابهُ واتباعهُ من الكبائر فناصبهم وضادَّهم فاختلقوا على هذا الفاضل اموراً ورفعوا بها شكوى فقضت عليهِ الحال ان يقاوم ما اصاب اولئك الماكرون من النفوذ الذي كاد يزعزع دعائم عملهِ . وقصارى الكلام ان كولمب

انتشارها حتى سنة ١٨٧١ . وقد تفنن كثيرون في كيفية طلي الزجاج على طرق مختلفة ولكن المبدأ واحد

اخيرًا دخل التصوير في عصر جديد هو العصر الحالي عصر الرّق (بالانكليزية فِلْم بالافرنسية پالكل) وهو رقّ كالورق ليناً ودقة لكنهُ شفاف كالزجاج احد سطحيهِ مطليّ بالمادة الجلاتينية الحساسة التي تطلى بها الالواح الزجاجية فيقوم الرق الحساس مقام الزجاج الحساس بحيث ان ما يصور على الزجاج يصور على الفلم بلا فرق ظاهر في الصورة . والفلم اما ان يُدخل الى الحامل فيستعمل فيهِ كلوح زجاج حساس واما ان يستعمل في هيئة ملف كما في الآلات الصغيرة المسماة كودَك التي يحملها السياح ويجولون مصورين ما يحلو لهم من المناظر . والملف بكرة طويلة من الخشب ملفوف عليها قطعة طويلة من الورق الاسود المتين عرضها طول الصورة التي يمكن الآلة تصويرها على سطحها الداخلي قطعة من الفلم عرضها مثل طول الصورة وطولها مثل عرض ست صور او اثنتي عشرة صورة من الصور التي يمكن تصويرها بتلك الآلة . اي اذا كانت صورة الآلة ٩ × ١٢ سنتمترًا كان عرض الفلم ١٢ سنتمترًا وطولهُ ٥٤ سنتمترًا (لست صور) او ١٠٨ سنتمترات (لاثنتي عشرة صورة) . والآلة التي يستعمل فيها الفلم الملفوف تختلف تركيبًا عن الآلات الاخرى اذ لاحاجة فيها لحامل ولا لزجاجة مغشاة تحكّم الصورة عليها فان الملفّ يُدخل الى قسم خاص بهِ في جنب الآلة ثم يفك اول الورقة السوداء من الملف ويمر على باب الآلة من الوراء حيث تكون الزجاجة المغشاة في الآلات الاخرى وتسحب وتربط الى البكرة الفارغة في الجنب الآخر المقابل وهي معدة لذلك . ثم يقفل غطاء الآلة الخلفي (ليحجب النور عن الدخول الى الفلم) وتبرم البكرة الفارغة بمفتاح خصوصيّ من الخارج فتدور وتلتف الورقة السوداء عليها وحالما يصل الفلم الملصق بها الى امام العدسية يظهر رقم صغير في فتحة صغيرة خلف الآلة يستدل منهُ على وصول الفلم الى مركزهِ استعدادًا للتصوير . وكلما صوّرت الآلة منظرًا يبرم المفتاح ليسحب قسماً جديدًا من الفلم الى مركزهِ ويبقى العمل متواصلاً على هذا المنوال الى ان تنتهي الصور في الملف ثم يرفع غطاء الآلة الخلفي وتخرج البكرة التي كانت فارغة وقد لُفّ عليها الورق الاسود وداخلها الفلم المصوَّر وتكشف في الغرفة المظلمة كالزجاج تماماً

وقد اشتهر معمل ايستمان في بلاد الانكليز واميركا بصنع آلات الكودك الصغيرة التي يسهل استعمال الفلم فيها فاقبل الناس على مشتراها واصبح اسمها معروفاً . وحجم الواحدة منها مغلقة لا يزيد عن حجم كتاب اعتيادي طولاً وعرضاً وسمكاً . والسياح الذين يزورون مصر

باب الصناعة

التصوير الحديث

الفلم او الرق

التصوير الشمسي فنٌّ جميل مفيد لم تكشف اسراره ولا عرفت مزاياه حتى اواسط القرن الماضي. وهو كسائر الاختراعات والمبتدعات لم يمتز باختراعهِ واحدٌ ولا باكتشافهِ رجلٌ فردٌ بل كثرت ايدي المجرّبين فيهِ وتتابعت اكتشافاتهم الواحد بعد الآخر فجعلوا يطّلعون على خصائصهِ رويدًا ويقفون على حقائقهِ تدريجًا حتى وصلنا اليوم فاذا بهِ في ارقى درجاتهِ وغاية ما يمكن الوصول اليهِ من التقدُّم والاتقان

وقد توالت عليهِ كما ذكرتُ الاكتشافات والتغييرات والتحسينات وهي لا تزال آخذة مجراها غير ان الاولى بالذكر منها ما أُجري على الالواح السلبية الحاسَّة . فقد كان المصورون في سابق الزمان يحسسون الزجاج قبل تصويرهم مباشرة بطلاء اللوح المراد التصوير عليهِ بالكارديون وهو محلول من قطن البارود والايثير والكحول ثم يضيفون اليهِ بروميدًا او يوديدًا واخيرًا يغمسونهُ في نيترات الفضة فيصير حساسًا وينقل الى الحامل حيث يعرَّض في الآلة ثم يرجع الى الغرفة المظلمة ويظهر حسب الطرق المعروفة

ولا يخفى ان ما كان يقاسيهِ المصوّر من الصعوبات في مزج المواد المحسسة واتمام طلاء الزجاج المراد استعمالهُ في ظلامٍ لا ينيرهُ سوى اشعة نور احمر ضئيل جعل الكثيرين يحجمون عن الاقبال على تعلم هذا الفن فاختص بهِ افراد قلائل كان لهم منهُ رزق واسع

وبقي الحال على هذا المنوال الى ثلاثين عامًا او ما يقاربها حين دخل التصوير الشمسي في عهد قرَّب اليهِ الناس فاقبل كثيرون على تعلمهِ وازداد عدد المصورين كثيرًا. وكان ذلك نتيجة اكتشاف مادة تقوم مقام الكلوديون وهي جلاتين يشرب مواد حساسة تطلى بهِ الالواح الزجاجية وتبقى صالحة للاستعمال الى اجل طويل من غير ان يعتريها فساد وقد دعي هذا العهد بعهد الالواح الجافة الجلاتينية وهي نفس ما يستعملهُ المصورون الآن في جميع البلدان ولم يعمّ

ينتفخا ثم يصب الماء عن الغراء و يذاب في الالكحول على نار خفيفة . و يذاب جزء من المصطكى في ثلاثة اجزاء من الالكحول و يضاف مذوبهُ الى المذوَّب الاول ثم يضاف اليهِ جزء من صمغ الامونياك ويبخر المزيج حتى يصير قوامهُ كقوام الغراء . ولا بدَّ من تسخين القطع التي تلحم بهِ قبل لحمها

(٤) ويصنع لحام رخيص من خمسة اجزاء من مسحوق حجر الخفان وجزء من التربنتينا وجزئين من اللك

(٥) لحام شفاف — اذب جزءًا من الصمغ الهندي في ٦٤ جزءًا من الكلوروفورم واضف الى المذوب ٢٠ جزءًا من مسحوق المصطكى واتركهُ يومين وانت تهزهُ من وقت الى آخر . وتدهن بهِ قطع الزجاج بقلم من الشعر

الزجاج على المعدن

يطلى المعدن بطلاءٍ زجاجي هكذا : خذ ١٢٥ جزءًا من قطع الزجاج الصواني و٢٠ جزءًا من كربونات الصودا و ١٢ جزءًا من الحامض البوريك واصهر الجميع معًا وصب المادة على سطح بارد من الرخام او المعدن ودقها دقًّا ناعمًا متى بردت . ثم امزج الدقيق بمذوب سلكات الصودا واطل المعدن بهِ وضعهُ في فرن فيذوب عليهِ ويطليهِ بطلاءٍ زجاجي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاطعمة والهضم

تختلف المدة التي تهضم بها الاطعمة المختلفة من ساعة الى خمس ساعات حسب اختلافها هي فبعضها يتم هضمهُ في ساعة واحدة بعد اكلهِ وبعضها لا يتم هضمهُ الاَّ في سبع ساعات وقد بحث الاستاذ بويد لينرد في هذا الموضوع بحثًا مدققًا مؤيدًا بالتجارب فوصل الى النتائج التالية .

في الشتاء لا يذهبون الى مكانٍ الاَّ ومعهم كودك يخلدون بهِ على سطح الفلم صور المناظر التي يستحسنونها ليروها لذويهم بعد رجوعهم الى اوطانهم

والمصورون فريقان فريق يفُضل الفلم على الزجاج وفريق يفُضل الزجاج على الفلم والفريق الاول يفضل الفلم للامور الآتية وهي :

اولاً ان الفلم يسهل حمل مقدار كبير منهُ في مساحة صغيرة

ثانياً انهُ اخف من الزجاج وغير قابل الانكسار

ثالثاً ان المصور بالفلم يستطيع تصوير مناظر عديدة في مدة قصيرة جدًّا ولا يمكن للمصور بالزجاج ان يسابقهُ

رابعاً يمكن للمصور ان يغير الملف كلما انتهى منهُ ويركب ملفاً آخر ولو كان في نور الشمس

والمعارضون في استعمال الفلم يحتجون لذلك

اولاً ان الزجاج اسهل تداولاً بالايدي عند كشفهِ في الغرفة المظلمة

ثانياً ان كل لوح يكشف على حدتهِ واما الفلم فلا يمكن كشف صورة وترك الصور الاخرى الاَّ بصعوبة كلية

ثالثاً ان الفلم اغلى من الزجاج مرتين

هذا ما سمح لي بهِ المقام من الشرح العملي والتفسير الموجز

اسكندر مكاريوس

لحام للزجاج والصيني

(١) ضع جزئين من صمغ اللك وجزءا من التربنتينا البندقي في اناء من الحديد على النار حتى يذوب اللك في التربنتينا . ولابدَّ من ان تغطي الاناء جيدًا حتى لا يصل اللهب اليهِ لان التربنتينا سريع الالتهاب . ثم اتركهُ حتى يبرد قليلاً واصنع منهُ قضباناً كقضبان شمع الختم . فهذه القضبان تستعمل للحم الزجاج والصيني بان تصهر قليلاً قرب النار ويلحم بها ما يراد لحمهُ

(٢) لحام آخر للزجاج لا يذيبهُ الماء — تذاب ثمانية اجزاء من الجلاتين الجيد في مئة جزء من الماء ويضاف الى المذوب عشرة في المئة من مذوب بي كرومات البوتاسا المشبَّع ويحفظ المزيج في الظلام وحينما يستعمل للحم الزجاج يفعل النور بقشرة الجلاتين فتتصلب وتمسك قطعتي الزجاج المتصلتين بها

(٣) ويُصنع لحام جيد للزجاج والصيني من جزئين من غراء السمك ينقعان في الماء حتى

		ساعة	دقيقة
الفراخ المحمّرة	يهضم في	٣	٥٠
الدجاج المسلوق	" "	٣	٥٠
لحم البقر المشوي	" "	٤	
كبد البقر المشوي	" "	٤	
لحم الخنزير المسلوق	" "	٤	
لحم العجل المحمر	" "	٤	
البط المسلوق	" "	٤	
" " المحمر	" "	٤	
الحمام المحمر	" "	٤	
الوز المسلوق	" "	٤	١٠
لحم البقر المملح المسلوق	" "	٤	١٥
البط المحمر	" "	٤	٢٠
فخذ الخنزير المسلوقة	" "	٤	٣٠
لحم العجل المشوي	" "	٤	٣٠
الوز المحمر	" "	٤	٣٠
الكلى المشوية	" "	٤	٤٥
لحم الخنزير المحمر	" "	٥	١٥
دهن البقر المسلوق	" "	٥	٣٠
لحم الخنزير المقدد المسلوق	" "	٦	٣٠
" " " المحمر	" "	٦	٣٠

الاسماك

سمك موسى	مسلوقاً	يهضم في	١	٣٠
البربوني	مسلوقاً	" "	١	٣٠
السمك الابيض	"	" "	١	٣٠
الكد	مسلوقاً	" "	٢	

وقد قسمنا الاطعمة الى سبعة اقسام وهي اللحوم . والاسماك . والالبان وما يصنع منها . والبيض . والخبز . والحبوب والجذور . والبقول والخضر والاثمار . وهاك جدولاً لكل منها

اللحوم

		ساعة	دقيقة
الكرش المسلوق	يهضم في	١	٠٠
الحجل المسلوق	" "	١	٣٠
ديك الغاب المحمَّر	" "	١	٣٠
القطا المحمر	" "	١	٣٥
الحجل المحمر	" "	١	٣٥
لحم الغزال المحمر	" "	٢	
لحم الارنب المسلوق	" "	٢	
شوربة السلاحف	" "	٢	
الديك الرومي المسلوق	" "	٢	٢٥
لحم الحَمَل المحمر	" "	٢	٣٠
الديك الرومي المحمر	" "	٢	٣٦
لحم البقر المسلوق	" "	٢	٤٥
لحم الارنب المسلوق	" "	٢	٤٥
" " المحمر	" "	٣	
لحم الضان المسلوق	" "	٣	
" " المحمر	" "	٣	١٥
لحم الخنزير المملح المسلوق	" "	٣	١٥
لحم الارنب المحمر	" "	٣	١٥
لحم البقر المحمر	" "	٣	٣٠
سجق (مقانق) الخنزير المشوية	" "	٣	٣٠
الفراخ المسلوقة	" "	٣	٤٠
الحمام المسلوق	" "	٣	٤٠

الخبز والكعك

		ساعة	دقيقة
الكعك الاسفنجي	يهضم في	٢	٣٠
كعك الزبيب	" "	٣	
الخبز الابيض	" "	٣	١٥
الخبز الاسمر	" "	٣	٣٠

الحبوب والجذور

الرز المسلوق	يهضم في	١	
الاروروط المسلوق	" "	١	٣٠
الساغو "	" "	١	٤٥
التبيوكا "	" "	٢	
الاوت ميل "	" "	٢	١٠
المعكروني "	" "	٢	٣٠
البطاطس المشوية	" "	٢	٣٠
الفول "	" "	٣	
البطاطس المسلوقة	" "	٣	٣٠
الفجل الاخضر	" "	٣	٣٠
الجزر "	" "	٣	٤٥
الفاصوليا "	" "	٤	

البقول والخضر والاثمار

الليمون	" "	١	
البطيخ	" "	١	
البرتقال	" "	١	
الموز	" "	١	١٠
الكمثرى	" "	١	٢٠

			ساعة	دقيقة
التربط		يهضم في	٢	
البربوني	مقلوًّا	" "	٢	٥٠
المحار نيئًا	"	" "	٢	٥٥
السردين	طريًّا مسلوقًا	" "	٣	
"	" مقلوًّا	" "	٣	٣٠
المحار	مطبوخًا	" "	٣	٣٠
السردين مكبوسًا بالزيت		" "	٣	٣٠
السلمون مسلوقًا		" "	٤	
سمك موسي مقلوًّا		" "	٤	
الحنكليس مسلوقًا		" "	٤	١٥
الكركند "		" "	٤	١٥
السرطان "		" "	٤	٣٠

الالبان وما يصنع منها

اللبن المغلى	يهضم في	٢	
" من غير اغلاء	" "	٢	١٥
القشدة	" "	٣	
الزبدة المملحة	" "	٣	١٥
" الطرية	" "	٣	٣٠
الجبن	" "	٣	٣٠

البيض

البيض النيء والمخفوق	يهضم في	١	٣٠
" " غير المخفوق	" "	٢	
" المقلو	" "	٢	١٥
" المسلوق قليلاً (برشت)	" "	٣	
" " كثيرًا	" "	٣	٣٠

		ساعة	دقيقة
البازلا اليابسة المسلوقة	يهضم في	٣	
الزبيب	" "	٣	
الجزر المسلوق	" "	٣	١٥
الكستنا المشوية	" "	٣	٢٠
القنبيط المسلوق	" "	٣	٣٠
البصل المسلوق	" "	٣	٣٠
الكرنب (الملفوف) المسلوق	" "	٤	٢٠
اللوز	" "	٥	
البندق	" "	٥	
الجوز	" "	٥	
جوز الهند	" "	٥	
الكستنا النيئة	" "	٥	
الخيار	" "	٧	

ولم يذكر الاستاذ لينرد المدة التي تلزم لهضم اكثر هذه الاطعمة اذا كانت مقلوَّة كما تطبخ عادة في بلادنا . ويظهر مما ذكرهُ عن اللحم المسلوق واللحم المحمَّر ان المسلوق اسهل هضماً من المحمَّر والمرجح ان ذلك يصدق ايضاً على الخضر والبقول بنوع عام لانهُ يبقى فيها بالقلي كثير من المادة الدهنية او السمنية التي تقلى بها اما القلي نفسهُ فلا يعسر هضمها بل يسهلهُ لانهُ من قبيل انضاجها

ثم ان للعادة فعلاً كبيرًا في سهولة الهضم وصعوبتهِ فبعض الناس يسهل عليهم هضم ما يصعب على غيرهم هضمهُ او ما هو عسر الهضم عادة وبعضهم يصعب عليهم هضم ما هو سهل الهضم عادة لكن ما هو مذكور في الجداول المتقدمة صحيح بنوع عام ويمكن الاعتماد عليهِ في تدبير الطعام

الاولاد ودرس الطبيعة

كتاب الطبيعة مفتوح امام جميع الناس ودارسهُ لا يحتاج الى تعلُّم حروف الهجاء ولا الى درس لغة اجنبية بل يكتفي فيهِ ان يفتح الانسان عينيهِ واذنيهِ وينظر ويقابل ويستنتج واذا كان لهُ منبه ينبههُ الى ما امامهُ ومرشد يرشدهُ الى كيفية النظر والبحث والمقابلة جرى في

	١	〃 〃	
	١	〃 〃	[illegible]
٣٠	١	〃 〃	البيض المشوي
٣٠	١	〃 〃	الطماطم [illegible]
٣٠	١	〃 〃	[illegible]
٣٠	١	〃 〃	التفاح
٣٠	١	〃 〃	المشمش
٣٠	١	〃 〃	الليمون
٤٠	١	〃 〃	الكرفس
٤٠	١	〃 〃	المشمش
	٢	〃 〃	[illegible]
	٢	〃 〃	[illegible]
	٢	〃 〃	[illegible]
	٢	〃 〃	التفاح
	٢	〃 〃	[illegible]
	٢	〃 〃	
	٢	〃 〃	[illegible]
	٢	〃 〃	[illegible] المسلوقة
٣٠	٣	〃 〃	[illegible]
[illegible]	٣	〃 〃	
	٣	〃 〃	
	٢	〃 〃	

غسل فرشاة الشعر

اذب قطعة من الصودا قدر الجوزة في رطلين من الماء السخن ثم نظف الفرشاة من الشعر بالمشط واغمس شعرها في الماء الذي اذبت فيهِ الصودا واحذر لئلا يصل ظهرها ومسكتها الى الماء . وكرر ذلك مرارًا الى ان ينظف شعر الفرشاة ثم اغسله في ماء نقي بارد ونشف المسكة وظهر الفرشاة بمنشفة وضعها في الشمس او قرب النار حتى ينشف شعرها ولا تنشّف الشعر بالمنشفة لئلاَّ يلين ولا تقربهُ من النار كثيرًا

قصر القطن والتيل (الكتان)

تصفرُّ ملاءة القطن والتيل احيانًا من عدم الاعتناء بغسلها او من قلّة استعمالها . وتقصر بغسلها بالماء ونشرها على العشب في الشمس والهواء . ويمكن قصرها ايضًا بان يذاب رطل من الصودا في ثمانية ارطال من الماء الغالي وتغلى الملاءة فيهِ نصف ساعة . ثم يذاب رطل من كلوريد الجير في ثمانية ارطال من الماء ويوضع في اناء في الخزف ويهز جيدًا ويترك ثلاثة ايام حتى يصفو ويصب السائل الصافي في اناء آخر وتنقع الملاءة فيهِ ٣٦ ساعة ثم تغسل وتنشر فتقصر جيدًا



المعرض الزراعي

فتح المعرض الزراعي في الثالث عشر من فبراير فتحهُ الجناب الخديوي في موكب عظيم من اكابر رجال الحكومة واعضاء الجمعية الزراعية ووكلاء الدول وامراء القطر واعيانهِ . وجال فيهِ يتعهّد المعروضات ويسأل العارضين عن اهمها . وقد امتاز معرض هذا العام بكثرة ما عرض فيهِ من العدد والآلات الزراعية حتى امتلأَت بها المباني الرحبة التي اقيمت لها واضطرَّ العارضون ان يعرضوا بعضها في الخلاء . والمزية الكبرى لهذا المعرض كثرة المحاريث البخارية المتنوعة فقد عرض فيهِ المحراث الذي استنبطهُ بوغص باشا نوبار ومحراث داربي البخاري الذي لهُ مسامير او اوتاد تدور في الارض والمحراث الذي لهُ معاول تتحرك وتركس الارض ركسًا وعُرض فيهِ ايضًا محراث فولر ومحراث صروف البخاري الذي لهُ سكك عادية تشق الارض

هذا الدرس من نفسهِ بعد ذلك. والاولاد يحبون الطبيعة . انظرهم في بستان يمرحون بين اشجارهِ ورياحينهِ ويقطفون من ازهارهِ واثمارهِ او انظرهم على شاطىء البحر يجمعون الابواق والاصداف او يحفرون الخنادق في الرمل ويبنون منهُ القلاع . او راقبهم يحتضنون اجراء الكلاب والقطط او يراقبون حركات الطيور في اقفاصها تجد البهجة والحبور على وجوههم وفي حركاتهم حتى الطفل الصغير الذي لم يناهز السنة يبتهج بمنظر جرو او عصفور اكثر مما يبتهج بمنظر والديهِ

ثم اذا كبر الولد وصار رجلاً او امرأة كثرت مطالب الحياة عليهِ واضطرَّ ان يوجه اهتمامهُ الى امور أُخرى لكن الميل الى الطبيعة يبقى في نفسهِ ويعود الى شدَّتهِ متى شاخ . واذا رُبّي من صغرهِ على درس الطبيعة وتعشُّقها وجد فيها عزاء وسلوى عن هموم الحياة ومتاعبها مهما كان سنهُ . وهنا مجال واسع للام الحكيمة لكي تربي اولادها على درس الطبيعة . مثال ذلك ان الاولاد يقطفون الازهار ويلعبون بها ثم يرمونها فالام الحكيمة تلتفت اليها وتخبر ولدها كيف تنمو الازهار وكيف تتكوَّن البزور منها والوقت الذي تنمو فيهِ من السنة وتقابل زهرةً باخرى فيتعلَّم الولد منها اموراً كثيرة في علم النبات . ولا بدَّ من ان يكون ذلك كلهُ بلغة الاولاد التي يفهمونها

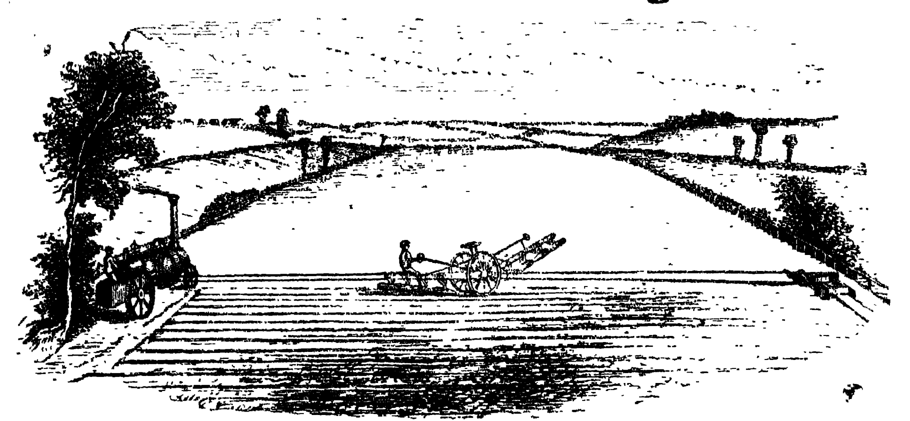
والاولاد يسرُّون برؤية الطيور على الاشجار والاسماك في البرك والام الحكيمة تستطيع ان تغتنم الفرص حين رؤيتها وتذكر لهم قصصاً كثيرة عن الطيور والاسماك تشرح لهم فيها طبائعها

ومعلوم ان الوالدة لا تستطيع شيئاً من ذلك ما لم تكن هي قد قرأت كتاب الطبيعة وطالعت كثيراً مما كتبهُ الكتَّاب في هذا الموضوع

واذا ربي الولد على حب الطبيعة بقي عمرهُ كلهُ مغرماً بها وزاد ذلك في سرورهِ ولين عريكتهِ مهما كانت مشاغلهُ

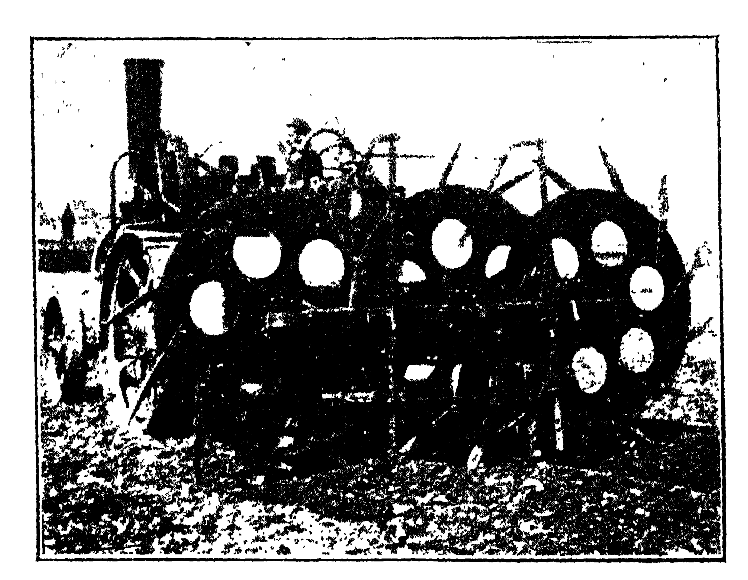
يحكى ان ملك اسوج خرج مرةً هو والملكة زوجتهُ يجولان لجمع النباتات والازهار وركبا حمارين ولم يكن معهما الاَّ خادم واحد فالتقى بهما رجل فرنسوي من علماء النبات وظنهما من علماء النبات مثلهِ وجال معهما وبقي الثلاثة يبحثون عن النباتات الى الظهر فطلب منهما ان يدلاَّهُ على مكان يتغدَّى فيهِ فقالا لهُ الملك تعال فنغديك معنا في بيتنا فشكرهُ وسار معهما الى ان وقفا امام القصر الملكي فالتفت اليهما مدهوشاً فقال لهُ الملك ان الامر كما ترى وانا ملك اسوج ولكن ذلك لا يمنعك من ان تتغدَّى معنا فدخل معهما الى القصر وتغدَّى على المائدة الملكية وكان الحديث كلهُ على النبات. وعشَّاق الطبيعة متساوون في محبتهم لها وفي نسبتهم اليها

اكثر من ثلاثة آلاف جنيه وترى صورتهُ في الشكل الاول وهو في الشكل مؤلف من وابور واحد ومرساة متحركة توضع مقابل الوابور



الشكل الاول محرات فولر

ومنذ بضع سنوات صنع حضرة المهندس المتفنن صاحب السعادة بوغص باشا نوبار محراثاً بخارياً على طرز جديد لم يسبق اليه وهو آلة بخارية عريضة العجل فيها تروس كبيرة



الشكل الثاني محرات بوغص باشا نوبار

ذات ريش محدَّد فاذا سارت الآلة البخارية دارت هذه التروس واثارت الارض فتجدها بعد مرور المحراث عليها محروثة ممهدة . وترى صورة هذا المحراث في الشكل الثاني

ونقلبها قلباً كالمحاريث الاوربية العادية لا كالعزّاقات وقد جُرب هذا المحراث في الوجهين القبلي والبحري فوفى بالمراد

ومحل نجيب صرُّوف وشركاهُ جديد لكن معروضاتهِ استوقفت الانظار بكثرتها وتنوعها فان منها المحراث البخاري المشار اليهِ ومنها آلة دراسة لدرس الارز والحنطة تدعك تبن الحنطة دعكاً فتفضلهُ المواشي على كل تبن غيرهِ . وتدرس هذه الآلة ثلاثين اردبًّا من القمح او الشعير وتذريها وتغربلها وتخرج تبنها ناعماً مدعوكاً وذلك كلهُ في الساعة الواحدة فتدرس ثلاثمئة اردب في عشر ساعات وتديرها الآلة البخارية التي تجر المحراث البخاري

ومنها آلة بخارية صغيرة تدور بزيت البترول وتُحوّل قوتها فيها الى كهربائية تنير ستين قنديلاً نور كلٍّ منها مثل نور ١٦ شمعة . وقد رآها الجناب الخديوي فاعجب بها كثيرًا كما سرَّهُ ما شاهدهُ من الآلات الاخرى

ومما عُرض هذا العام ولم يعرض قبلاً من المصنوعات آلة الكتابة العربية التي استنبطها حضرة المصور الماهر سليم افندي حداد بمساعدة وعناية عطوفتلو ادريس بك راغب وقد سرَّ بها الجناب الخديوي كما سرَّ كل الذين شاهدوا خطَّها

وعرض ايضاً مصنوعات مختلفة من الاخشاب المصرية عرضها حضرة محمد افندي صالح سليمان

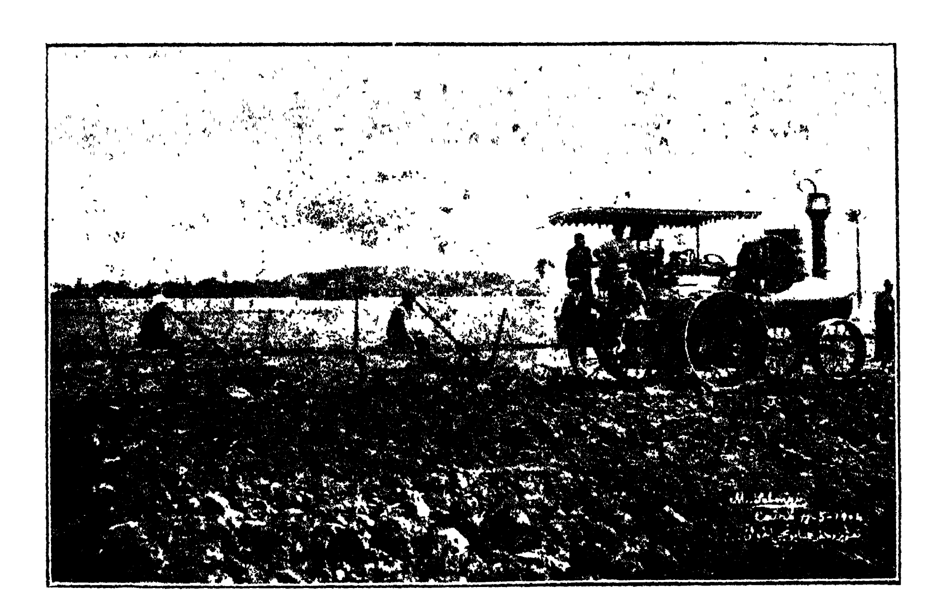
ولم تكن معروضات القطن هذا العام اكثر من معروضات العام الماضي ولا كانت معروضات المواشي شيئاً يذكر بسبب طاعون المواشي . وقد اطيلت مدة المعرض بسبب ما عرض فيهِ من الآلات والادوات الزراعية لكي يراها المترددون عليهِ فان المحلات الشهيرة القديمة مثل محل الن والدرسن ومحل ستنمان وعزيز مباردي ومحل قلاده انطون ومحل توماس كوك ومحل حسبو بك محمد والشركة الايطالية السويسرية ومحل مارون كل هذه المحلات عرضت آلات زراعية كثيرة من طلمبات ومحاريث ودرّاسات وما اشبه واكثرها في غاية الجودة

تجربة المحاريث البخارية

لم يكد طاعون المواشي يفتك بمواشي القطر المصري حتى اهتمَّ جالبو الآلات الزراعية بجلب المحاريث البخارية . وكان كثيرون من اصحاب الزراعات الكبيرة كالدائرة السنية والدومين قد جلبوا محراث فَوْلر المؤلف من آلتين بخاريتين تجران السكك ذهاباً واياباً بحبل من الاسلاك المعدنية . لكن هذا المحراث غالي الثمن لا يمكن استعمالهُ الاَّ في الزراعات الواسعة جدًّا لان ثمنهُ

من الصلب اللدن فجاء هذا التركيب وافيًا بالمراد وسمي محراث صروف البخاري وترى صورتهُ في الشكل الرابع وهو يحرث

وقد جُرّبت هذه المحاريث كلها في الرابع والعشرين من شهر فبراير الماضي في اطيان بوغص باشا نوبار بشبرا وحضر تجربتها جم غفير من كبار المزارعين اجانب ووطنيين يتقدمهم جناب اللورد كرومر واصحاب العطوفة فخري باشا وبطرس باشا غالي وعبد القادر باشا وكان ذلك برأي الجمعية الزراعية الخديوية



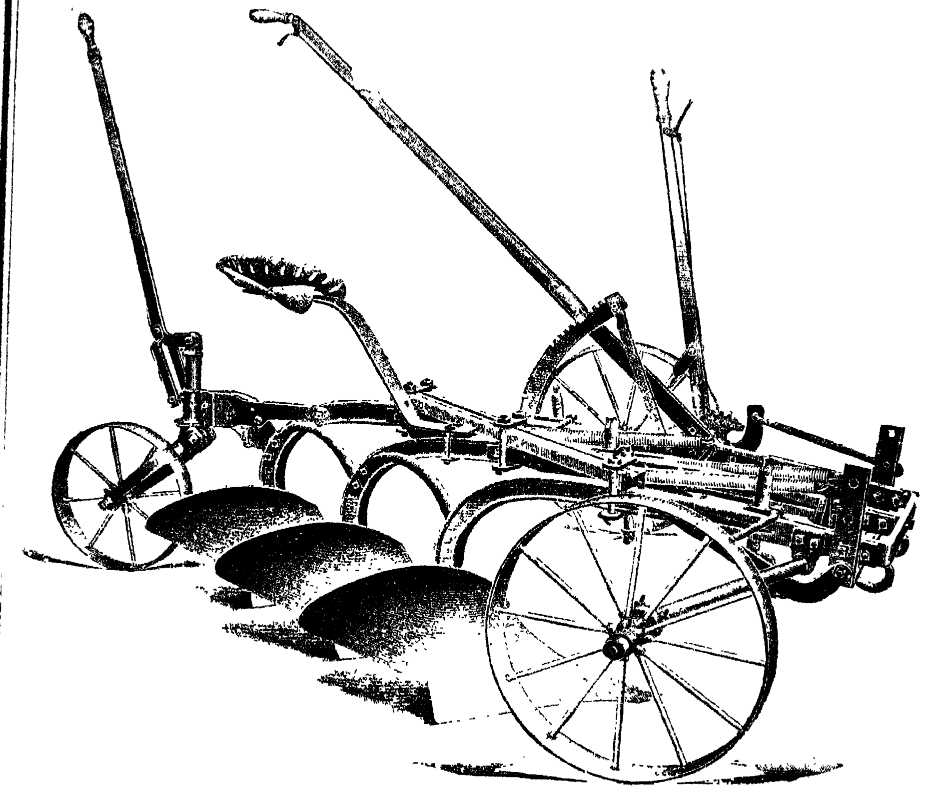
الشكل الرابع محراث صروف البخاري

ولا بدَّ من ان يستمرَّ التحسين والتنقيح في هذه المحاريث ويشيع منها اقواها فعلاً واسهلها مراساً واقلها نفقة . وارباب الزراعة المهتمون بزراعة اطيانهم لا تخفى عليهم طُرُق اختيار المحراث الاصلح لهم بمراقبة هذه المحاريث عند الذين اقتنوها وحساب نفقاتها بالنسبة الى ما تحرثهُ في اليوم

تبقى مسألة يسألها كثيرون وهي ان المحراث البخاري الذي ثمنهُ ١٠٠٠ جنيه مثلاً يحرث في النهار من عشرة افدنة الى عشرين فدانًا أفلا يمكن ان يُصنع محراث بخاري يحرث فدانين فقط في النهار ويكون رخيص الثمن جدًّا حتى يستطيع الفلاح الصغير ان يشتريهُ . والجواب كلاَّ لان آلات المحراث الصغير مثل آلات المحراث الكبير تمامًا في شكلها وعملها وقد تكون

وصنع معمل انكليزي آلة بخارية في مؤخرها مسامير او اوتاد تغرز في الارض وتدور فيها بحركة الآلة وهي سائرة فتنكتها وتنعم ترابها

وصنع معمل آخر آلة بخارية في مؤخرها مثل الفؤوس (المعاول) فاذا مشت الآلة ركست هذه الفؤوس الارض وعزقتها عزقًا حقيقيًا



الشكل الثالث محاريث ديري

وصنع آخر آلة اخرى تجرُّ محراثًا اسلحتهُ مثل اسلحة محراث فوْلر المعروف بالعزَّاق او مثل السكك العادية ولكنهُ يُعلق بها من الناحية الواحدة ثم من الناحية المقابلة ذهابًا وايابًا

وقبل ان تعدَّدت هذه الانواع اهتدى ولدنا نجيب صروف الى تعليق محاريث ديري بآلة غارسكوت البخارية بعد ان اضاف الى الآلة البخارية اناءين كبيرين للماءِ. واسلحة هذه المحاريث مثل اسلحة المحاريث الاوربية العادية كما ترى في الشكل الثالث. والالة البخارية التي تجرها مثل آلات الجر العادية ولكن الآلة خفيفة وقوية ومتينة وكذلك اسلحة المحاريث مصنوعة

الآلة الصغيرة الدقيقة اغلى من الآلة الكبيرة من حيث الصناعة وانما الفرق في ثمن الحديد ومقدار ما يوقد من الفحم فاذا كان ثمن الآلة التي تحرث عشرين فدانًا في النهار الف جنيه فثمن الآلة التي تحرث فدانين فقط لا يكون مئة جنيه فقط بل قد يكون اربع مئة جنيه او اكثر وتقتضي مهندسًا اجرتهُ مثل اجرة المهندس الذي يلزم للآلة الكبيرة . ولذلك فتصغير المحراث البخاري كثيرًا لا يقلل ثمنهُ على نسبة التصغير ولا على ما يقاربها

ومهما كان ثمن المحراث البخاري ومهما كانت نفقاتهُ يبقى الحرث بهِ ارخص كثيرًا من حرث المواشي . واطيان صغار المزارعين يمكن حرثها بالاجرة بمحراث يقتنيهِ مزارع كبير كما ان اطيان اصغر الفلاحين تروى الآن بالاجرة من آلة ري ثمنها مئات من الجنيهات

مالية الجمعية الزراعية الخديوية

بلغ ايراد الجمعية الزراعية الخديوية في العام الماضي ٧٩٢٧ جنيهًا وكان في العام الذي قبلهُ نحو ٦٨٥٠ جنيهًا فتكون الزيادة في العام الماضي ١٠٧٧ جنيهًا ويدخل في باب الايرادات الاعانة التي اعطتها الحكومة للجمعية وهي ٢٣٤٨ جنيهًا واشتراكات الاعضاء السنوية وهي ٩٢٠ جنيهًا وارباح السماد الكيماوي وبزرة القطن وهي ٨٣٨ جنيهًا . وثمن القطن الذي جنتهُ من حقول التجارب وهو ١٧٨٦ جنيهًا وثمن سائر الحاصلات الزراعية وهو ١٣٣٠ جنيهًا فيكون ثمن الحاصلات الزراعية كلها من حقول التجارب في الجيزة وميت الديبة ٣٠١٦ جنيهًا اما نفقات الزراعة في هذه الحقول فبلغت ٢١٩١ جنيهًا اي ان المصاريف اكثر من سبعين في المئة من الايراد ولعل جانبًا كبيرًا من المصاريف انفق في سبيل اصلاح الاطيان

فوائد الجمعية الزراعية الخديوية

نشرت الجمعية الزراعية الخديوية تقريرها السنوي عن الاعمال التي عملتها في العام الماضي. وفي هذا التقرير ثلاثة امور حرية بالذكر

اولها اهتمام الجمعية بانتقاء بزرة القطن وبيعها للفلاحين

والثاني اهتمامها بجلب الاسمدة الكيماوية

والثالث اهتمامها بالمعمل الكيماوي لاجل تحليل الاتربة المختلفة ومعرفة عناصرها

❊ الاول انتقاء بزرة القطن ❊ وزعت الجمعية في السنة الماضية ٣٠٠٠٠ اردب على نحو ١٢٠٠٠ من صغار المزارعين بمساعدة البنك الزراعي وعينت عالمًا نباتيًا للاهتمام بانتقاء بزر القطن من اجود ما يكون وقد يستغرق عملهُ هذا ثلاث سنوات او اربع



الشرق والغرب

الشرق والغرب (Orient and Occident) اسم مجلة اسبوعية دينية ادبية صدرت منذ شهرين وقد نقلنا عنها فصلاً في الجزء الماضي للدلالة على كيفية بحثها في المواضيع الادبية والتاريخية من وجهة دينية . والمجلة كبيرة الحجم حسنة الطبع مزينة بالصور وهي بالعربية والانكليزية ولا تقتصر على المواضيع الدينية بل تشمل غيرها من المواضيع المفيدة لتربية الامة وتقويتها جسدًا وعقلاً فامامنا الآن جزء منها فيهِ مقالة مفيدة بالانكليزية عن مقدار المسكرات فيها جدول عن مقدار الاكحول في المسكرات المستعملة في القطر المصري يقال فيهِ ان الاكحول في الخمر من ٧ في المئة الى عشرين في المئة وفي الكنياك من ٣٥ الى ٤٥ في المئة وكذلك في الهوسكي واما البيرا ففيها من ٣ الى ٥ في المئة فقط

وفي هذا الجزء تعريب الابيات التي تليت وقت دفن لفنستون الرحالة الافريقي الشهير ومنها

حسبهُ فعلهُ الجميل ففيهِ خالدٌ ذكرهُ الجليل السامي
عاش في الارض محسنا غير فعل الـ ـخير للناس ما ابتغى من مرامِ
يا جماد الرخام طأطئ امام الـ ـحجر الحي يا جماد الرخامِ

ورأينا في جزء آخر مقالة انكليزية عن العلم والدين ذكر فيها الكاتب اثني عشر عالمًا من اشهر علماء الانكليز وقال ان احد عشر عالمًا منهم من المتدينين والثاني عشر وهو داروين لم يكن مسيحيًّا ولكن ليس في كتبهِ ما يناقض الديانة المسيحية ولقد قال في كتابهِ اصل الانواع ما تعريبهُ " اذا نظرنا الى الحياة من هذا القبيل (اي من قبيل مذهب النشوء) رأينا فيها جلالاً فائقًا رأيناها بقواها العديدة روحًا من الخالق نفخها اصلاً في مخلوق واحد او في عدد قليل من المخلوقات فتولَّد منها على مرّ السنين والدهور انواع كثيرة اشكالها لا تحصى وغرائبها لا تستقصى "

المادة الثانية . يجوز للسلطة الادارية ان تكلف كل شخص من الذكور عمرهُ اكثر من تسع سنوات واقل من سبع عشرة سنة اذا كان قادرًا ومعتادًا على العمل بالمساعدة في الاجراءات المذكورة وذلك في مقابل اجرة حسب الفئة الجاري دفعها في الجهة ويحدد مأمور المركز هذه الاجرة بعد اخذ رأي اعضاء لجنة الجمعية الزراعية الخديوية في الجهة التي لها بها لجنة

المادة الثالثة . يجب على السلطة الادارية قبل الشروع في الاجراءات المذكورة ان تتخابر مع ملاك الاراضي المقتضي اتخاذها فيها او النائبين عنهم او مستأجريها لمعرفة ما اذا كانوا يرغبون في القيام بهذه الاجراءات بمعرفتهم فاذا قبلوا ذلك على مسؤوليتهم تضع السلطة الادارية تحت تصرفهم عند الاقتضاء العدد الكافي من الاشخاص للعمل بحيث يدفعون لها اجرة هؤلاء يوميًا ومقدمًا

المادة الرابعة . اذا لم يكن في قدرة الملاك او المستأجرين مباشرة الاجراءات المذكورة او امتنعوا عنها او اهملوها فعلى السلطة الادارية تحرير المحضر اللازم والشروع في العمل بمعرفتها وفي هذه الحالة تعتبر المصاريف التي يجب ان لا تزيد عن عشرين غرشًا صاغًا عن كل فدان كرسم اضافي على العقار يحصل بالطرق والكيفية المقررة لتحصيل الاموال الاميرية

المادة الخامسة . يجوز للسلطة الادارية ان تنتدب لتنفيذ احكام امرنا هذا عمد البلاد تحت مراقبة المديرين والمحافظين ومأموري المراكز وكافة الموظفين الذين يعينون لهذا الغرض ويساعد العمد في ذلك مشايخ البلاد وخفراؤها

المادة السادسة . يعاقب بالحبس لمدة لا تتجاوز شهرًا وبغرامة لا تزيد عن مئتي غرش

اولاً كل من حاول تخليص شخص مكلف بالمساعدة طبقًا للمادة الثانية

ثانيًا كل من كلف بقطع او نقل او حرق اوراق التجبيرات ثم وقع منهُ فعل او اهمال يودي الى عدم حرق الاوراق المذكورة

المادة السابعة . يعاقب بالحبس لمدة لا تتجاوز اسبوعا او بغرامة لا تزيد عن مئة غرش

اولاً كل شخص امتنع عن المساعدة طبقًا للمادة الثانية او حاول التخلص من ذلك

ثانيًا كل شخص كلف قطع او نقل الاوراق ثم وقع منهُ فعل او اهمال يؤدي الى عدم حرق هذه الاوراق

ثالثًا كل شخص كلف المساعدة طبقًا للمادة الثانية ثم امتنع عن العمل

المادة الثامنة . يكون الحكم في المخالفات المنصوص عليها في المادتين السابقتين بمعرفة المحاكم الاعتيادية من اختصاص محاكم المراكز

رجاله والمؤلف واخوانهُ جروا على ما يقول في كتابهِ لرأيت الاصلاح الذي يطلبهُ ولا ينتظر وقوعهُ الا بعد سنين كثيرة قد حصل كثير منهُ الآن . وفي الطبيعة ناموسان ناموس السير البطيء وناموس الطفرة او الحوادث الفجائية التي لا تدلّ المقدمات على قرب حدوثها . وكثيرًا ما يقع انقلاب عظيم في الامم على هذا النمط الثاني ولعلهُ اكثر حدوثًا من النمط الاول نمط السير البطيء المتوالي الذي عبّر عنهُ المؤلف بقولهِ " ويرى المطلع على ما اكتبهُ اني لست ممن يطمع في تحقيق آمالهِ في وقت قريب لان تحويل النفوس الى وجهة الكمال في شؤونها مما لا يسهل تحقيقهُ وانما يظهر اثر العاملين فيهِ ببطء شديد اثناء حركتهِ الخفيفة . وكل تغيير يحدث في امة من الامم وتبدو ثمرتهُ في احوالها فهو ليس بالامر البسيط وانما هو مركَّب من ضروب من التغيير كثيرة تحصل بالتدريج في نفس كل واحد شيئًا فشيئًا ثم تسري من الافراد الى مجموع الامة فيظهر التغيير في حال ذلك المجموع نشأة اخرى للامة "

ولقد سمعنا بالامس رجلاً من سراة الامة المصرية ومن المتمسكين بالديانة المحمدية اشد التمسك يقول لجماعة من اخوانهِ " لا اعجب اذا اجتمعنا مع نسائنا بعد عشرين سنة في البالو الخديوي كما يجتمع اخواننا العيسويون والموسويون " . فان حدث ذلك فلهُ في الطبيعة ضروب تماثلهُ . تبرّد سائلاً حتى يكاد يجمد من شدَّة البرد وتزيد تبريدهُ ايضًا فلا يجمد بل يبقى سائلاً ثم تلمسهُ بقشة فيجمد كلهُ دفعةً واحدةً كأَنَّ الاستعداد للجمود كان موجودًا فيهِ وانما كان ينقصهُ الشروع فيهِ فلما شرع فيهِ بواسطة من الوسائط جمد كلهُ . فمن لنا باناس من زعماء الامة المصرية يرون رأي المؤلف ويعملون بهِ فيقتدي بهم غيرهم ويحدث التغيير المطلوب باسرع ما يكون من الزمان

عظة القبور

قصيدة ثانية نظمها صديقنا المحامي الفاضل اخنوخ افندي فانوس حثًّا للامَّة المصرية قال فيها مخاطبًا اياها

بُدّلتِ من مجد الجدود برمسهِ ومن الحياة نعيمها بشقاء
ومن العلوم الساطعات نجومها بالجهل في ظلماتهِ البهماء
ومن الفنون الراسخات اصولها بعفائها وطلولها الدهماء

الى ان قال حاثًّا رجال الامة على النهوض والتعاون

اني أُرى فيكم خطيبًا قائمًا يدعوكمُ لتعاونٍ وإخاء

نحو العربية بالانكليزية

A Grammar of the Arabic Language

يعجبنا اهتمام الاوربيين بدرس لغتنا العربية وتسهيل طلبها على ابنائهم فقد رأينا لها في الانكليزية كتباً مختلفة احدثها هذا الكتاب الذي عني بوضعهِ حضرة الفاضل القس سترلنج احد مرسلي جمعية مبشري الكنيسة في فلسطين وجرى فيهِ مجرى مؤلفي العرب في تنسيق كتب الصرف والنحو كأنك تقرأ فيهِ فصل الخطاب او مفتاح المصباح مع شيء من الزيادة التي يحتاج اليها غريب اللغة. وألحق بهِ جداول جمع فيها كثيراً من الافعال الثلاثية ومزيداتها رتبهُ على حروف المعجم (وحبذا لو اضاف اليها ما يدلُّ على كونها متعدية او لازمة وبأي حرف تعدَّى) واشهر المصادر الثلاثية واشهر الصفات وصيغ المبالغة واسماء الآلة وما جاء على وزن فعَّال مصاغاً لذي حرفة واوزان جموع الكثرة ومنتهى الجموع وما يختم منها بالتاء المربوطة وبعض الافعال الثلاثية ومصادرها. وقد ضبط كل ذلك بالشكل الكامل وفسرهُ بالانكليزية

وفي الكتاب قليل من الخطاء المطبعي او السهو كورود كلمة مفاتيح على الصفحة ٢٩ بكسر الميم وورود فعل ادَّعى على الصفحة ٣١ بالالف القائمة وذكر نواصب الفعل على الصفحة ١٨١ بدل الفعل المضارع المنصوب بحروف النصب وجرى على ذلك في غير هذا المكان ففسر نواصب الفعل بالفعل المنصوب وانما هي الحروف التي تنصبهُ. والكتاب مطبوع طبعاً واضحاً جدًّا على ورق متين فنشكر لحضرة مؤلفهِ الفاضل اعتناءهُ بهذه اللغة

كتاب تحرير المرأة

نفدت نسخ هذا الكتاب فأُعيد طبعهُ على نفقة سوري مسيحي حضرة الاديب ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية . وهو الكتاب الذي ألَّفهُ الغيور الفاضل قاسم بك امين احد مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية . واننا نراهُ جديدًا اليوم كما رأيناهُ جديدًا يوم نُشر اول مرة ونرى الحاجة اليهِ اليوم امسَّ مما كانت حينئذٍ لان الجلبة التي اثارها نشرهُ قد هدأت الآن ورأى المعترضون عليهِ في تقدم امة اليابان ما تحمرُّ لهُ وجوههم خجلاً من تقصيرهم فسيعودون الى تلاوتهِ بما يستحقهُ من الامعان . الاَّ اننا نظن بعد التفكير واعمال النظر ان النصح والارشاد لا يكفيان لانهما لا يغيران الاخلاق والعادات وانما يغيرها تغيير زعماء الامة لها فيقتدي بهم من دونهم كما اقتدى الناس ببني العباس في لبس قلانس الفرس . فلو ان امير البلاد وخاصة

الذي اشرنا اليهِ في المقتطف منذ نيف وعشرين سنة · وقد اطَّلعنا على الجزء الاول من المجلد الاول منهُ فوجدنا ان المؤلف افرغ جهدهُ في جمع حقائق هذا العلم ودقائقهِ ولا غرابة في ذلك لانهُ قضى السنين الطوال في البحث والتنقيب . واكثر هذا الجزء مقدمة الكتاب وقد بسط فيها اسلوبهُ في البحث والتعريب بعد ان ذكر تاريخ هذا العلم عند اليونان والرومان والعرب والافرنج فعسى ان يوفق الى اتمامهِ على ما يحب ويريد

رواية اشيل

نسج بردها ونظم عقدها الشاعر العصري المطبوع سعادة سليم بك عنحوري الدمشقي واهداها الى صاحب الدولة احمد عزت باشا العابد وقال في اهدائها اليهِ

حوت حِكَمًا غرًّا يعدونها متى ... تلوها مرايا خلقك الطاهر الشيَمْ
لقد مُثّلت في الناس للرشد والهدى ... وانت الهدى والرشد بل لها علَمْ

والرواية شعرها وسجعها من السهل الممتنع الذي امتاز بهِ الكاتب على اكثر المعاصرين كقولهِ

بالظرف واللطف والاغراء تبلغ ما ... تبغي وان كان قلب المرء جلمودا
كم من مهاة بغنج اللحظ قد اسرت ... في مرتع الحب قمقاماً وصنديدا

وقولهِ وهو موضوع الرواية

حسدتْ فتاةُ الذل بنتَ مليكها ... لؤماً وشاءت ان تقوم مقامها
كفرت بنعمتها وحسن جميلها ... لو انصفتها قبّلت اقدامها
نصبَتْ لها شرَك المنون وحاولت ... زرع الفساد لكي تنال مرامها
قد اتهمت عند الاميرة صبها ... بالغدر ثم تعمَّدت اتهامها
حتى تكون لدى الحبيب بديلةً ... وتبثَّ في قلب الخطيب غرامها
لم تدرِ ان الغدر يقتل اهلهُ ... والمكر يوردها الغداة حمامها
والبطل ظلمة حالكٍ مهما دجتْ ... فالحقُّ يمحقُ بالضياء ظلامها
فلتذهبنْ روحي جزاء جحودها ... نحو الجحيم لكي تذوق ضرامها

وقولهِ في حب الوطن

قد طاب لي ورد الردى ... ذا اليوم في حب الوطنْ
انَّ دماً يسفكُ في ... حب الورى غالي الثمنْ
والشهم من يرضى بما ... يقضي بهِ حكم الزمنْ

ويهيب بالتأليف بين ذوي النهى ... ويضمهم للبحث في الادواء
انطقتموني الشعر ما انا شاعرٌ ... ان التجني منطقُ الشعراء
وبليتُ بالوجد الذي من ناره ... خفقت بها نفسي عن الاهواء
فتصاعدت حتى التقت بنظيرها ... فتمازجت بالشعر في الزرقاء

ثم التفت الى الذين يظلمون المستضعفين فقال

عار على اهل الفضيلة والنهى ... ان يزدروا بالاخوة البسطاء
فعلى مَ حالَ جمعهم ما حرّموا ... للفرد يا اهل النهى الوضاء
والمرء مفتون يجيش وينتضي ... ليشنّ غاراتٍ بلا احصاء
ويقول بالتمدين وهو اخو الخنى ... وابو الفجور ومصدر الإشقاء

التقرير المتيورولوجي عن سنة ١٩٠٢

تتأخر ادارة المساحة عن نشر تقاريرها السنوية لكن فوائد هذه التقارير لا تعتق ولو تأخر نشرها

ويظهر من هذا التقرير ان اوطأ ما بلغتهُ الحرارة في مرصد العباسية الدرجة الثالثة فوق الصفر بميزان سنتغراد وذلك في شهر ينايرو فبراير ودسمبر واعلى ما بلغتهُ الدرجة ٤٢ وذلك في شهر مايو . واذا اعتبر المتوسط الشهري فشهر يوليو كان اشد الشهور حرارة فان متوسطهُ بلغ ٢٧ درجة و ١٦ في المئة من الدرجة وشهر يناير اقلها حرارة فان متوسطهُ بلغ ١٢ درجة وعشر الدرجة . واشد ما بلغهُ ضغط الهواء ٧٦٢,٥٨ وذلك في شهر دسمبر واقل ما بلغهُ ٧٥٥,١١ وذلك في شهر يوليو

ومن مقابلة الارصاد في عشر سنوات من سنة ١٨٩١ الى ١٩٠٠ يظهر ان متوسط حرارة الاشهر قليل الاختلاف فاختلاف شهر اكتوبر مثلاً لا يزيد على درجتين ونصف واختلاف شهر فبراير بلغ خمس درجات وثلاثة اعشار وهو الاكثر ومتوسط حرارة الشهور في تلك السنوات العشر هكذا

يناير	٢٣,١	ابريل	٢٦,٢	يوليو	٢٤,٦	اكتوبر	٣٠,٥
فبراير	٢٣,٠	مايو	٣٠,٠	اغسطس	٣٥,٢	نوفمبر	٢٧,٣
مارس	٢٤,٣	يونيو	٣٣,٠	سبتمبر	٣٣,١	دسمبر	٢٤,٠

علم حياة الحيوان والانسان

شرع حضرة العالم المحقق الدكتور بشاره زلزل في طبع كتابهِ علم حياة الحيوان والانسان

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) فيروز جبل الطور

الاسكندرية . شفيق افندي سعدالله .

ما الذي آل اليهِ فيروز جبل الطور بعد وفاة صاحب امتيازهِ وما كان سبب عجز الايراد هل كان سوء ادارة او قلة الفيروز في الجبل

ج ان صاحب الامتياز رجل انكليزي ولم يبلغنا انهُ مات ولكن بلغنا عن ثقة انهُ ترك الامتياز لانهُ وجدهُ خاسرًا والخسارة من سوء الادارة ومن كثرة سرقات العربان ومن ان فيروز جبل الطور غير جيد ولونهُ غير ثابت

(٢) التكحل بالصيني

ومنهُ . اصحيح ما يقال من ان الصيني الاصلي اذا دُقَّ دقًّا ناعمًا واكتحل بهِ يجلو البصر

ج كلاَّ

(٣) تزوُّج الاقارب

ومنهُ . لماذا اجمعت الشرائع على تحريم الزواج مما يسمونهُ بذي رحم محرم كالام والاخت والبنت والخالة والعمَّة الخ وهل هناك داع طبيعي لذلك

ج الجواب عن السبب الديني ليس من شأننا لان العلم لا يصل اليهِ . وليس لهذا المنع سبب طبيعي يوجبهُ لا في النبات ولا في الحيوان ولا في الانسان كما ظهر بعد البحث المدقق لانهُ قد يضرُّ بتقوية بعض الصفات الضارة وقد ينفع بتقوية بعض الصفات النافعة فاذا جرى على اسلوب علمي لتقوية الصفات النافعة واضعاف الصفات الضارة فلا ضرر منهُ بل هو نافع كما هو معلوم في تربية المواشي لكن تبقى مسائل ادبية واجتماعية لا يصحُّ الاغضاء عنها وهي تدعو الى الامتناع عن التزوج بين الاقارب فضلاً عن ان الاحكام الدينية توجب هذا الامتناع

(٤) قتل هابيل

مصر . الخواجه ابرهيم سرومي لماذا سأل الرب قايين عن قتل هابيل ولم يسأل آدم عن ذلك

ج ان كان مرادكم ان الله خالق الكون تكلم مع قايين بلغتهِ وباحثهُ في هذا الموضوع كما يباحث الرجل صاحبهُ فلا نعلم السبب الذي دعاهُ لان يطرح هذا السؤال على

يا أمُّ لا تنتحبي وانني عن القلب الشجنْ
لا خير في العيش لمن يحيى ذليلاً ممتهنْ
فالموت في عزٍ حيا ةٌ عند من نال الفطنْ
اي سرورٍ يرتجى من مثل خضراء الدمنْ
دنيا غرورٍ صفوها يمضي و يتلوهُ الحزَنْ
سقمٌ غمومٌ كربةٌ ويل همومٌ في محنْ
دعها ايا قلبي ومتْ ميتة ذي المبدا الحسنْ



مرض النوم

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

قد قرأْنا كثيرًا في الجرائد عن مرض النوم ببلاد السودان بافريقية وقول اهل اوروبا بانهم اول من اكتشفهُ وانهُ ناشئ من ذبانة موجودة هناك . وحيث اني طالعت منذ مدة جملة تختص بهذا المرض في تاريخ اشهر مؤَرخي الاسلام في عصرهِ العلامة ابن خلدون فاحببت ان اوافي حضرتكم بها وهي مذكورة في الجزء السادس والصفحة (٢٠٢) من اخبار ملوك السودان عن احدهم المدعو (جاطه) وهي بنصها (قال واصابتهُ علة النوم وهو مرض كثيرًا ما يطرق اهل ذلك الاقليم وخصوصًا الرؤَساء منهم يعتادهُ غشي النوم عامة ازمانهِ حتى يكاد لا يفيق ولا يستيقظ الاَّ في القليل من اوقاتهِ و يضر صاحبهُ و يتصل سقمهُ الى ان يهلك . قال ورأيت هذه العلة بجاطه مدة عامين اثنين وهلك سنة ٧٥) اي سبعمائة وخمس وسبعين من الهجرة فيعلم من ذلك امران الاول ان هذا المرض كان معلومًا للشرقيين منذ خمسمائة وخمسين سنة تقريبًا والثاني ان لا خوف من انتشارهِ ببلادٍ أُخرى حيث لم نسمع بذلك من وقتها للآن كما وانهُ لا بدَّ ان يكون موجودًا من قبل زمن هذا المؤرخ بكثيرٍ . هذا ما عنَّ لي ابداؤُهُ والسلام

عباس حمدي

احد مشتركي المقتطف



اوجه القمر في شهر مارس

	اليوم	الساعة	الدقيقة
الهلال	٠٦	٠٧	١٩ صباحاً
الربع الاول	١٤	١١	٠٠ "
البدر	٢١	٠٦	٥٦ "
الربع الاخير	٢٧	١١	٣٥ مساء

مواقع السيارات

عطارد لا يرى في اول الشهر ويكون نجم المساء في آخره

والزهرة نجم المساء ترى من ساعتين الى ثلاث بعد المغرب

والمريخ يشرق الساعة ١١ مساء في اول الشهر والساعة ٩ مساء في آخره

والمشتري نجم المساء الشهر كلهُ

وزحل لا يرى في اول الشهر ثم يصير نجم الصباح في الخامس عشر من الشهر

ويكون السرطان قرب سمت الرأس الساعة التاسعة مساء

عدد النجيمات

بلغ عدد النجيمات التي كشفت في العام الماضي ٢٧ وقد كان عددها في اول العام ٥٢١ فبلغ في آخره ٥٤٨

من لندن الى باريس في بالون

ركب المسيو جاك فور بالوناً في قصر البلور بمدينة لندن في الحادي عشر من شهر فبراير الساعة السادسة والدقيقة ٤٥ مساء وكان معهُ المسيو هوبر لاتام فارتفع بهما البالون حالاً خمس مئة متر وابقياه على هذا الارتفاع الى ان قاربا البحر فخفضاهُ هناك حتى وصل حبل كان معهما الى سطح الماء وتابعا السير بسرعة ١٠١ كيلو مترات في الساعة الى الساعة العاشرة ورأيا حينئذٍ منارة تحتهما فرفعا البالون حتى صار على الفي متر فوق سطح البحر ومرَّا حينئذٍ فوق مدينة ديب ووصلا الى سن دنيس في ضواحي باريس الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٥ اي بعد قيامهما من مدينة لندن بست ساعات

الماسة الكبرى

وجد في منجم برمير اكبر ماسة بيضاء وجدت حتى الآن فان ثقلها ٣٠٣٢ قيراطاً اي ٦٧٦ غراماً وهي مستطيلة طولها احد عشر سنتمتراً وعرضها خمسة سنتمترات. ومنجم برمير هذا في بلاد الترانسفال على عشرين ميلاً من بريتوريا. واكبر ماسة وجدت قبلها

قايين ولا يطرحهُ على آدم ولا نظن ان احداً من العقلاء المخلصين يدَّعي انهُ يعرف مقاصد الله وما يدور في ذهنهِ . وان كان مرادكم لماذا قال كاتب سفر التكوين ان الله سأَل قايين ولم يقل انهُ سأَل آدم فالجواب سهل وهو ان الجريمة نسبت الى قايين ولم تنسب الى آدم ففي سؤَالهِ توبيخ لهُ واظهار لذنبهِ

(٥) علامة قايين

ومنهُ . ما هي العلامة التي جعلها الرب لقايين لكي لا يقتلهُ كل من وجدهُ

ج يظن جمهور كبير من المفسرين ان العلامة المشار اليها شراسة بدت على وجه قايين حتى صار يهابهُ كل من يراهُ

(٦) استهلاك الدين

الاسكندرية . الخواجه وديع سمعان . نشرتم منذ سنوات في مقتطفكم حساب الفائظ والاستهلاك وذلك بان يؤخذ الفائظ عن سنة واحدة و يضرب في عدد السنوات بزيادة واحد و يؤخذ نصف الحاصل و يضاف على اصل الدين ويقسم المجموع على عدد السنوات فالخارج قيمة القسط السنوي . فاذا كان مبلغ الدين ٥٠٠٠ جنيه والسنوات عشرًا والفائظ ٦ في المئة فيكون القسط السنوي ٦٦٥ ولدى ميزانيتها بالافراد نجدها في غاية الضبط على ان هذا الحساب لا ينطبق على حساب الفائظ والاستهلاك المعمول بهِ في البنوك بل يكون القسط في حساب البنوك اكثر منهُ فما اسباب ذلك وما هي الطريقة المعمول بها عندهم وايهما اصح

ج ان كانت القاعدة التي ذكرتموها منشورة في المقتطف فهي من غيرنا لا منا لانها غير صحيحة اما القاعدة الصحيحة فنشرت في الصفحة ٦١٧ من المجلد التاسع من المقتطف وهناك قاعدتان مؤَداهما واحد وهو ان تجمع واحداً الى فائدة الغرش في السنة وتضرب المجموع في نفسهِ مراراً اقل من عدد السنين بواحد وتطرح واحداً من الحاصل وتقسم الباقي على فائدة الغرش وتحفظ الخارج لتقسم عليهِ . ثم تجد الفائدة المركبة للغرش في السنين المطلوبة وتضربها في المال نفسهِ وتقسم هذا الحاصل على الخارج الذي حفظتهُ اولاً فيخرج لك القسط المطلوب وتكون كيفية العمل في السؤَال المفروض هكذا

$$\frac{٥٠٠٠ \times ١{,}٠٦^{١٠}}{(١{,}٠٦^{١٠}-١) \div ٠{,}٠٦} = ٦٧٩{,}٣$$

وهو القسط السنوي المطلوب

وهذا ينطبق على الحساب المعمول بهِ في البنوك . والبنوك تعتمد على جداول مصنوعة لهذه الغاية واذا راجعتم هذه الجداول وجدتم ان العدد المذكور فيها للواحد اذا كانت الفائدة ٦ في المئة والمدة عشر سنوات هو ١٣٥٨٦٨٠, . فاضربوا هذا العدد في ٥٠٠٠ يحصل ٦٧٩, ٣٤

من الارض واذا كان الهواء محصورًا لا يتحرك كما في المغاير والكهوف فالمواد المشعة كثيرة فيهِ . وقد وجدت المواد المشعة من الراديوم في المياه الخارجة من اعماق الارض وفي مياه البحيرات وفي الزيت الخارج من الآبار والتراب نفسهُ لا يخلو من المواد المشعة ولاسيما اذا كان طفالاً

واذا كان الامر كذلك اي اذا كانت الارض تشعّ المادة المعروفة بحرف ا من المواد التي تتولد من الراديوم فلا بدَّ من ان تشع منها الحرارة ايضاً فهل هذه الحرارة كافية لان يشعر بها والجواب نعم والحرارة التي تشع من الارض كلها تساوي الحرارة التي يمكن ان تتولد من مئتين وسبعين مليون طن من الراديوم . وهذا المقدار من الراديوم كبير جدًّا بالنسبة الى الدراهم القليلة التي امكن الحصول عليها حتى الآن ولكنهُ قليل جدًّا بالنسبة الى مقدار الفحم الحجري الذي يستخرج من الارض سنويًّا. واذا وُزّع هذا المقدار من الراديوم على الارض كلها لم يبلغ سوى جزء من مئة مليون مليون جزء من الارض فهو قليل جدًّا بالنسبة الى الكرة الارضية . وقد ظهر بالبحث المدقق ان مقدار الراديوم الذي في تراب الارض لا يقل عن ذلك اي انهُ يوجد درهم منهُ في كل مئة مليون مليون درهم من التراب وقد يوجد اكثر من ذلك كثيرًا في بعض الاماكن هذا فضلاً عن الاورانيوم والثوريوم وغيرهما من المواد المشعة وعليهِ ففي الارض من المواد المشعة ما تقوم حرارتهُ مقام الحرارة التي تفقدها الارض بالاشعاع المتواصل

التلغراف الاثيري في الحرب

اراد كثيرون ان يسموا التلغراف الذي لاسلك لهُ بتلغراف مركوني نسبة الى المستنبط الاول ولكن شاع الآن تلغراف دفرست الاميركي كما شاع تلغراف مركوني او اكثر فصارت النسبة الى مركوني غير وافية بالمراد. ولقد سبقت جريدة التيمس غيرها الى استعمال تلغراف مركوني لنقل الاخبار من اميركا الى اوربا كما ابنَّا في حينهِ ولكنها لم تستمر على ذلك لانهُ عرض لآلة مركوني ما منع ارسال الاخبار بها بين اميركا واوربا ثم ان جريدة التيمس عادت الى استعمال هذا التلغراف لنقل اخبار الحرب بين الروس واليابان واستعملت تلغراف دفرست لا تلغراف مركوني لانها وجدتهُ اسرع فان مستعملهُ يستطيع ان يرسل بهِ ٣٥ كلمة في الدقيقة واما تلغراف مركوني فلا يرسل بهِ اكثر من ١٠ كلمات او ١٢ كلمة في الدقيقة فوضعت آلتهُ في سفينة ترافق السفن اليابانية فارسلت اليها خبر اطلاق اول قنبلة على بورت آرثر ارسلتهُ اولاً الى واي هاي واي وارسل من هناك الى لندن بالتلغراف العادي فوصل اليها ونشر في جريدة التيمس

ماسة اكسلسيور وكان وزنها قبلما قطعت ٩٧١ قيراطاً وقدر ثمنها مليوناً من الجنيهات . اما الماسات الكبرى المعروفة قبل الآن فاكبرها الماسة المعرفة بالمغول العظيم كان وزنها قبلما قطعت ٧٩٣ قيراطاً وصار بعده ٢٧٩ قيراطاً

آراء جديدة في الراديوم

تليت مقالة في الجمعية الفلسفية الاميركية للاستاذ سنيدر قال فيها انهُ اكتشف الراديوم في غلاف الشمس فنسب نور الشمس وحرارتها الى وجود الراديوم فيها وقال انهُ علة الحرارة والنور في غير الشمس ايضاً من الاجرام السموية. ومن رأيهِ ان النجوم المتغيرة لايحدث تغيرها من دوران نجم مظلم حول نجم منير واحتجاب المنير بالمظلم كما يُظن الآن بل من انبعاث نور الراديوم منها في ادوار مختلفة واستنتج ان الشمس نجم من النجوم المتغيرة ودور تغيرها احدى عشرة سنة وان ظهور الكلف على سطحها من نتائج افعال الراديوم

ومن رأي الاستاذ رذرفرد ان حرارة الارض مسببة عن الراديوم فان الحرارة التي يمكن ان تحدث من تركُّب المواد كيماويًّا اقلُّ من الحرارة الموجودة الآن في الشمس والارض ولكن الراديوم والعناصر المشعَّة التي من نوعهِ تولّد من الحرارة اكثر مما تولدهُ المواد الكيماوية مليون مرة والرطل من الراديوم يشعُّ في سنة واحدة من الحرارة مقدار ما يتولَّد من حرق مئة رطل من اجود انواع الفحم ويبقى الراديوم بعد مضي السنة كما كان في اولها من غير تغيُّر ظاهر فيهِ فيولّد من الحرارة في السنة التالية قدر ما ولّد في السنة الاولى وهكذا في الثالثة والرابعة وهلمَّ جرًّا مدة الف سنة من غير نقص ظاهر في مقدار الحرارة التي تتولد منهُ

وبيَّن الدكتور برنس ان اكثر من ثلاثة ارباع الحرارة التي تنبعث من الراديوم كانت مخزونة فيهِ وبيَّن السر وليم رمسي والمستر سودي ان جرم الاشعاع المجموع في غرام من الراديوم نحو مليمتر مكعب وهو اثقل من الهيدروجين مئة مرة وفي الرطل منهُ من القوة ما يساوي ثمانية آلاف حصان

والظاهر ان الحرارة المتولّدة من الراديوم حادثة من انحلال جواهرهِ وتولد مواد أُخرى منها وكل جواهرهِ معدَّة للانحلال فلا بدَّ من ان يتولَّد منها كل ما يمكن تولُّدهُ من الحرارة

وقد وجدت المواد المشعة التي من قبيل الراديوم منتشرة في كل مكان في قشرة الارض وكرة الهواء ومقاديرها قليلة جدًّا ولكن انتشارها عظيم جدًّا حتى ان كل نقطة من المطر وكل حبة من البَرد وكل رقعة من الثلج تصل الى سطح الارض ومعها شيءٌ من المادَّة المشعَّة وكل ورقة من اوراق النبات مغطاة بقشرة رقيقة جدًّا من هذه المادة

والمواد المشعة التي في الهواء وصلت اليهِ

الاميركية وملك ايطاليا رئيس اللجنة الايطالية ورئيس اللجنة الدولية التي تؤلف من هذه اللجان كلها وتجتمع في ايطاليا

منع الضرر من انقطاع اسلاك الترامواي

لا يخفى ان سلك الترامواي ينقطع احيانًا فيقع على فرس او انسان فيقتله بالكهربائية. وقد قرأنا في السينتفك اميركان الآن ان بعضهم استنبط واسطة ينقطع بها المجرى الكهربائي عن السلك حالما ينقطع السلك وهي حلقة تتصل بكل قطعة من السلك ويبقى اتصالها مادام السلك مشدودًا فاذا انقطع ارتخى وزال الاتصال. فعسى ان تهتم الحكومة المصرية بذلك وتلزم شركة الترامواي الكهربائي في مصر والاسكندرية باستعمال هذه الواسطة

كلفة الشمس

نبهنا المرصد الخديوي الى وجود كلفة كبيرة على قرص الشمس ترى بالعين المجرَّدة فنظرنا الشمس من وراء زجاجة مدخنة في الرابع من فبراير فرأينا عليها كلفة عظيمة جدًّا قرب مركزها ولا بدَّ من ان يكون لها علاقة بالاضطرابات الجوية التي حدثت في النصف الاول من شهر فبراير

معدن الكلسيوم

استخرج المسيو مواسان وشاڤان مقدارًا كبيرًا من معدن الكلسيوم الصرف فوجداهُ ابيض لماعًا يسحب اسلاكًا ثخن السلك منها نصف مليمتر وثقلهُ النوعي ١٫٥٤٨ ويصهر عند الدرجة ٨١٠ بميزان سنتغراد. ولقد كان ثمن الاوقية من الكلسيوم المعدني تسعة جنيهات فصار ثمنها الآن نحو سبعة غروش

مدرسة علي غاره الجامعة

التأم زعماءُ المسلمين في مدينة لكنو ببلاد الهند وتذاكروا في تحويل مدرسة علي غاره الى مدرسة جامعة فاقرُّوا على ذلك واكتتبوا بسبعة الآف جنيه لهذا الغرض وافتتح رجا محمود اباد قائمة الاكتتاب بخمسة وثلاثين الف ربية اي بنحو الفين وخمس مئة جنيه

كرم ركفلر

بلغت نفقات مدرسة شيكاغو الجامعة في العام الماضي ٤٩ الف جنيه فدفعها المستر ركفلر ووعد بدفع مثلها هذا العام فوق اثني عشر الف جنيه دفعها لاصلاح اساليب التدفئة في تلك المدرسة

هبة كدمن

توفي رجل اسمهُ كدمن في مدينة بوستن باميركا ووجد في وصيتهِ انهُ اوصى لمدرسة هارفرد الجامعة ومستشفى مستشوستس بما يساوي مئتي الف جنيه

بعد اطلاق القنبلة بساعتين لا غير واذا أُعتبر حساب الوقت فيكون الخبر قد نشر في بلاد الانكليز قبل زمن حدوثهِ بست ساعات لان الفرق بين المكانين في الوقت ثماني ساعات . ولكن سهولة ارسال الاخبار بهذا التلغراف اوجبت على الروس واليابانيين ان يمنعوا جريدة التيمس من ارسال اخبارها بهِ

التطعيم ضد الكولرا الاسيوية

نشر الدكتور سترونغ مدير المعمل البيولوجي في منلاً نتيجة تجارب جربت للوقاية من الكولرا الاسيوية بالتطعيم وبحث في استعمال لقاح هفكن الذي جرب في الهند فاتى بفائدة كبيرة وانما اعترض على التلقيح بهِ بما يعقبهُ من رد الفعل الشديد فيبقى الملقح وهو يشعر بانزعاج مدة يومين او ثلاثة وقال انهُ استحضر لقاحاً اذا لقحت الحيوانات بهِ سلمت من الكولرا واذا لقح بهِ انسان لم يعقب التلقيح رد فعل شديد يصحبهُ انزعاج كما يصحب لقاح الدكتور هفكن

قدَم العلم في سيلان

قال حاكم سيلان في اجتماع الجمعية الاسيوية الاخيران في سيلان كتباً قديمة من القرن السادس للميلاد وفيها وصف ٦٧ نوعاً من البعوض و ٤٢٤ نوعاً من الحميات الملارية المسببة عن البعوض. ولعلَّ المراد ٤٢٤ حادثة من حوادث الحمى الملارية ومهما يكن من ذلك فالامر واضح ان علماء الهند عرفوا علاقة البعوض بالحمى الملارية قبلما عرفها الاوربيون بالف وثلثمئة سنة كما ان كتَّاب العرب وصفوا مرض النوم قبلما وصفهُ الاوربيون بخمس مئة وخمسين سنة

ساعة تدور الفي سنة

استنبط ابن لورد ريلي ساعة تدور الفي سنة من غير تدوير والمحرك لها قطعة صغيرة من رق الذهب تكهربها قطعة صغيرة من الراديوم فتندفع عن الراديوم الى ان تلصق بجانب الاناء الذي هي فيهِ فتفقد كهربائيتها وتعود الى وضعها الاول ثم تتكهرب وتندفع فتخسر كهربائيتها وتعود الى وضعها الاول وهلمَّ جرًّا ومن رأي السر وليم رمسي ان هذه الساعة قد تكون من ادق الساعات وتدوم ما دام الراديوم فيها

لجنة الملوك

ستؤلف لجان يرئسها ملوك اوربا للنقب عن آثار هركولانيوم فيكون ملك الانكليز رئيس اللجنة الانكليزية وامبراطور المانيا رئيس اللجنة الالمانية وملك اسوج رئيس اللجنة الاسوجية والمسيو لوبه رئيس اللجنة الفرنسوية والمستر روزفلت رئيس اللجنة

الفصل التاسع

التقرير السري

سكرتير السفارة — تقرَّر سفر المستر هنري برَوْن بن السر ادورد برَوْن صاحب لندن نيوز الى بلاد اليابان وسيرهُ على جنوى ومصر في مهمة سرية تتعلق باليابان ومهمَّة عمومية تتعلق بانكلترا . ومدار العمومية على زرع القطن في مصر والبلاد المجاورة لها لاضعاف اصحاب القطن في اميركا ومنع استبدادهم والاَّ خربت معامل لنكشير . والذي يهمّنا من امرهِ انما هو المهمَّة السرية فيجب ان نقتفي خطواتهِ ونقف على اعمالهِ بالتفصيل . أمستعدٌ انت للسفر يامستر برودي

برودي — متى

السكرتير — اليوم الساعة العاشرة قبل الظهر

ففتح برودي ساعتهُ وقال بعد ساعة ونصف . وصمت هنيهة وهو ينكت الارض بعصاهُ ثم فتح ساعتهُ ثانية وقال نعم الساعة العاشرة

فاعطاهُ السكرتير ظرفين ولفَّة من الاوراق المالية فوضعها في جيبهِ وودعهُ وخرج

وقبل الساعة العاشرة بدقيقة كان في محطة تشرنج كروس ومعهُ امتعتهُ ودخل المركبة التي دخلها هنري واختهُ وبعد لحظة سار القطار بهم ينهب الارض نهبًا قاصدًا مدينة دوڤر. وبعد هنيهة فتح سفطهُ واخرج بعض المجلات المصوَّرة وعرضها على هنري ودورا وعلى رجل ثالث كان راكبًا معهم فشكروهُ وتناولت دورا مجلة منها واما هنري والرجل الثالث فاخرجا من جيبيهما جريدتين من جرائد الصباح وجعلا يقرآن فيهما . فقال برودي لها نحن ندع السياسة لكما والتفت الى دورا كأنهُ يطلب مصادقتها على ما قال فلم تستغرب منهُ هذه الجرأة بعد ان شجعتهُ عليها بتناولها المجلة منهُ فاشارت اليهِ برأسها اشارة الاستحسان وانقطع الحديث الى ان وصلوا الى دوڤر

وكان برودي كهلاً في نحو الخامسة والاربعين من عمرهِ اشقر الشعر ازرق العينين طويل القامة عريض المنكبين تلوح على وجههِ لوائح القوَّة والبسالة مع توقّد الذهن عيناهُ دائمتا الحركة كأنهُ يستجمع كل مايراهُ ويسمعهُ ولم يكن شيءٌ في منظرهِ وحركاتهِ يدعو الى النفور او التخوُّف لكن دورا اوجست منهُ شرًّا حالما رأتهُ ولامت نفسها لانها تسرَّعت وتناولت المجلة من يدهِ ففتحت لهُ سبيلاً للكلام معها

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثلاثين

اليابان اشترت الطرادين لكن هنري لم يقل ذلك صريحًا ولا برودي دقق في البحث بل كان يتكلم كأن الامر مقرَّر في ذهنهِ . ولما وصلوا الى القاهرة نزلوا كلهم في نزل ساڤوى

وكتب برودي يوم وصولهم الى القاهرة يقول " ان المستر برون قابل وكيل دولتهِ في بورت سعيد ولم استطع ان اعلم ما دار بينهما من الحديث " . وارسل في اليوم التالي تلغرافًا بالارقام يقول فيهِ ان هنري أُمر بالسفر حالاً الى بلاد اليابان وانهُ سيرافقهُ اليها . ثم جلس وكتب تفصيل ما رآهُ وسمعهُ منهُ من حين وطئت رجلهُ القطر المصري الى حين كتابة الكتاب

الفصل العاشر

دار الخدم

دار الخدَم في بيت واصف بك يُدخل اليها من باب خاص الى الجهة الشرقية من البستان وتأتيها زوجة واصف بك مرارًا كل يوم توصي على الطعام وتراقب الخدم وتكتب الحساب لانها تقول ان لا بدَّ للزوجة من أن تراقب مطبخها كما تراقب ثيابها وحلاها والاَّ تضاعفت النفقات بإهمال الخدَم ان لم يكن باختلاسهم وجاء الطعام تفهًا لا يؤْكل . لكنها لم تكن تدقق في منع خدم الجيران والاصدقاء من الدخول بين خدَمها فكانوا يتزاورون احيانًا كثيرة ويتحدثون بكل ما يسمعونهُ في بيوت اسيادهم

ولما مضت استير وامها الى بيت واصف بك على ما تقدَّم تبعتهما زين الدار وهي جارية عجوز في بيت عزرا اشتراها ابوهُ منذ اربعين سنة وعتقها حين صدر الامير بعتق العبيد لكنها بقيت في بيت سيدها لانها تحب اولادهُ كأنهم اولادها . وكانت تعلم ان عزرا يريد الاقتران باستير ويخشى من انها تميل الى ابن واصف بك فتقتفي خطراتها وتتسقَّط اخبارها وتوافيهِ بها . وكان في بيت لاڤي جارية فتية اسمها قدَم خير وكانت الاثنتان متآخيتين فلا تخفي احداهما عن الاخرى شيئًا لاسيما وان عزرًا استهوى قدم خير بهداياهُ عن يد زين الدار . فلما خرجت استير مع امها الى بيت واصف بك اسرعت قدم خير واخبرت زين الدار بذلك فمضت هذه الى بيت واصف بك وجلست مع الجواري والخدم وكانوا يعرفونها ويكرمونها ولاسيما السودانيون منهم وينادونها بيا امي ويعتقدون انها تبصر البخت وتضرب بالرمل . ولم تكد تدخل حتى دنا منها شاب اسود الوجه مشرَّط الوجنتين كبير العينين جاحظهما اسمهُ عبد الله ودار بينهما الحديث التالي

عبد الله — فين الكتاب

ولما وصلوا الى دوفر ونزلوا من القطار وجدوا السفينة لا تسافر بهم الاَّ بعد ساعتين فقالت دورا لاخيها اين نتناول الغداء . فبدت الحيرة على وجههِ لانهُ لم يكن قد اكل في دوفر قبلاً فقال لها برودي اذا سمحتما لي فانا ادلكما على مطعم اعتدتُ الاكل فيهِ . فشكراهُ وسارا معهُ الى الجهة الشرقية من المحطة ودخلوا مطعماً اكلوا فيهِ مما حضر. ولامت دورا نفسها على سوء ظنها بالرجل لانها لم ترَ منهُ الاَّ كل مجاملة لكنها لم تستطع ان تتغلَّب على نفورها الطبيعي منهُ

وسأَلهُ هنري الى اين تقصد فقال الى بلاد اليابان ولي رفاق ينتظرونني في جنوى فلا بدَّ لي من المرور عليها واذا لم التقِ بهم هناك التقيت بهم في مصر. فقال هنري اذًا نحن رفقاء. فقال برودي هذا يسرُّني كثيرًا وعسى ان لا يحدث ما يجعلني اغيِّر خطَّة سفري لانني لستُ ذاهبًا لغرض معين وقد كانت هذه السياحة في بالي منذ سنتين فلم تتيسَّر لي الاَّ الآن واذا التقيت برفاقي في جنوى فقد نذهب بطريق القسطنطينية ونمرّ على سورية ولكن لا بدَّ لنا من التعريج على مصر. وقاموا يمشون على الرصيف ويتحدثون في مواضيع مختلفة الى ان ارتفع الدخان من السفينة التي كانوا عازمين على ركوبها فنزلوا اليها. وكان البحر هائجًا جدًّا فاصاب دورا دوار شديد وكذلك هنري اصابهُ شيء من الدوار واما برودي فلم يظهر انهُ اصيب بشيء فاخرج خنجرًا من جيبهِ وقال ان فيهِ املاحًا وسوائل عطرية تزيل الدوار او تخففهُ واعطاهُ لدورا فتناولتهُ منهُ وشكرتهُ وجعلت تستنشق رائحتهُ فخف دوارها قليلاً او توهَّمت انهُ خف ولعلَّ رائحتهُ اخفت رائحة الفحم القطراني الذي يوقد في السفينة وهو السبب الاكبر للدوار . ثم انتقلت الى الجهة التي تهبُّ منها الريح حتى لا يصل اليها شيء من رائحة السفينة فسكن دوارها وبعد نحو ساعة وصلوا الى كاله وركبوا القطار الى باريس فباتوا فيها تلك الليلة وقاموا في الصباح وقصدوا ايطاليا ووصلوا جنوى ونزلوا في نزل واحد

وكتب برودي الى السفارة في المساء يقول " رأيتهُ اليوم مع ثلاثة من اليابانيين زاروا الطرَّادين المدرَّعين اللذين بنيا لحكومة الارجنتين وظهر لي من قرائن مختلفة انهُ مفوَّض بمساعدتهم على مشتراهما وقد ذهب معهم الى بنك سلمون كوهن وكان مدير الترسانة ووكيل حكومة الارجنتين معهم. والراجح عندي انهم امضوا عقد البيع اليوم هناك. وقد رشيت الخادم ليسلمني المكاتيب التي يرسلها المستر برون الى ابيهِ لكنهُ لم يسلمها للخادم بل اخذها ووضعها في صندوق البريد بيدهِ"

وقاموا كلهم في اليوم التالي قاصدين مصر وكان البحر هادئًا فرأى برودي مجالاً واسعًا للكلام مع هنري واختهِ وتظاهر انهُ متعرّض لليابانيين على الروس وكاد يعلم من هنري ان

ثم ودعت وخرجت . ودخلت مدام واصف بك بعد خروجها ورأت الخدم يمسحون الآنية والادوات الفضية بالمناشف والجلد الناعم فاوصتهم ان ينفضوا الجلد من الغبار قبل مسحها به ووقفت معهم هنيهة الى ان وضعوا كل شيء في مكانهِ بعد ان عدّوهُ امامها . ثم جلست وفتحت دفترًا وجعل الطباخ يسرد لها اسماء الاشياء التي اشتراها ذلك اليوم وثمن كلٍّ منها وهي تستغلي البعض وهو يقول "كل شي نار يا ستي اللوكندات غلَّت علينا كل شي اللحمه والفراخ والحمام والخضار مافش حاجة بتنقارب" . ثم حاسبتهُ على ما معهُ من النقود وما صرفهُ ذلك اليوم وكشفت الحلل ونظرت ما فيها من الطعام وخرجت

ولم تكد تخرج حتى دخلت دار الخدم جارية عجوز وسلمت ووقفت مع عبد الله تكلمهُ بصوت منخفض ودخلت البيت فالتقت بمدام واصف بك فقالت لها مالك يافاطمه كيف حال ستك

فاطمة — بخير تسلم عليكم وهي وسيدي برسوم عتبانين عليكم ازّي تعزموا كل الناس وما تعزموهمش

فقالت مدام واصف بك انهم لم يعزموا احدًا ولكنهم التقوا بشاب انجليزي واختهِ في البالو فتعرفوا بهما ودعوهما لتناول الشاي مع مدام لاڤي وابنتها

فقالت فاطمة ان برسوم افندي رأَى هذا الشاب واختهُ في البالو ونظرهُ يدلُّ على بهيَّة كأَنهُ يعرفها من قبل

فاستغربت مدام واصف بك ذلك وكانت قد رأَت وقوف هنري مع ابنتها وودَّت ان تعرف ما دار بينهما من الحديث . وكانت ام برسوم تمنّي نفسها بتزويج ابنها ببهية وقد فاتحت مدام واصف بك بذلك مرارًا فلم تجد منها اقل رغبة فيهِ لان برسوم لم يكن من الشبان الذين يملأُون العين ولا كانت بهيَّة تنظر اليهِ بعين الاكرام بل كانت تزدري بهِ لاسيما وانهُ كان كثير الاعتداد بنفسهِ لنظمهِ بعض القصائد وكتابتهِ بعض المقالات وكان هو يزدري باصحاب الاموال ويحسب انهم جمعوا ثروتهم بالحيل والنفاق لا بالتعب والاستحقاق وكثيرًا ما وقع الجدال بينهُ وبينها في هذا الشان ولما علمت انهُ طلبها من ابيها زاد نفورها منهُ ولكنها بقيت تسايرهُ كما تساير سائر الناس

اما ام برسوم فكانت خرقاء رعناء تعتقد بالسحر والطلاسم فقصدت رجلاً يقال انهُ يعرف علم المصريين القدماء وطلبت منهُ ان يكشف لها بعلمهِ ما يكون من امر ابنها وهل يتاح لهُ الاقتران ببهيَّة فكتب اسمها واسم ابنها واسم بهيَّة وامها ورتب حروف هذه الاسماء في جداول وجعل يسقط بعضها من بعض ويزيد ويحذف الى ان وصل الى نتيجة قال انها طبق المرام

زين الدار — الشيخ موش عايز يكتب
عبد الله — على شان ايه
زين الدار — ما يكتبش كتاب زي دا بربع ريال
عبد الله — والعمل ايه
زين الدار — هات ربع تاني وهو نصف ريال حاجه وتصير لك عروس مثل قدم خير
عبد الله — اهو ربع ريال تاني
زين الدار — طيب ارحلو من باكر واي دول الناس العندكم
عبد الله — مدام لاڤي وستي استير وواحد ينقلو حليم باي ابن راغب باشا وخواجه وست انجليز
زين الدار — وقوي ستي بهيه محتفله فيهم
عبد الله — قوي قوي وقفت مع الخواجه الانجليزي اكثر من ساعة قدام الشباك وقدمتلو الشاي فمسك الفنجان بيدو ونسي يشربو
زين الدار — وكانوا يتكلموا ايه طول الساعة
عبد الله — انا عارف . كانوا يتكلمو بالانجليزي او بالفرنساوي
زين الدار — وستي استير مع مين كانت تتكلم
عبد الله — تكلمت في الاول امين باي ثم جا حليم باي واخذ يكلمها ووقف مبهوت منها
زين الدار — وقلو ايه امين باي
عبد الله — ماقلوش حاجة ولكن شايفلك ان الست الانجليزية لعبت براسو
زين الدار — الله وترك ستي استير
عبد الله — ماظنيش أهو بدو يسايرها والسلام وسمعتو يتكلم عن ستي استير مع حليم باي وكانوا التنين يمدحوها قوي وما صدقش حليم باي انها تتكلم عربي حتى سمعها
زين الدار — عربي وتتكلم احسن مني ومنك وكان يجيها واحد شيخ من الازهر يعلمها
عبد الله — وقد كدا الخواجه لاڤي يحب ولاد العرب
زين الدار — الخواجه لاڤي امير وسيدي عزرا امير
عبد الله — يقربوا بعض
زين الدار — ما اعرفشي يمكن يقربوا بعض كل اليهود قرايب اهو قلتلك عن الشيخ بيومي ومن باكر رحلو تاني نوبه واديلو النصف ريال

المشتري ولا يزمن البيع وعزم ان يعود اليهِ ويقول لهُ ان يشتري هذا المقدار ما دام السعر دون ١٨ ريالاً وان يبيع كل ما اشتراهُ لهُ اذا هبطت الاسعار وبلغت خسارتهُ مقدار الربح الذي ربحهُ اولاً اي انهُ يخاطر بالربح الذي ربحهُ لا باكثر منهُ . وعاد نحو البورصة وهو يفكر في هذا الامر الى ان بلغ طريق الترامواي فسمع صوتاً كقباع الخنزير فالتفت الى جهتهِ واذا اوتوموبيل كبير آتٍ عن يمينهِ من الجهة الغربية فاسرع لكي يحيد من طريقهِ وسمع حينئذٍ صوت جرس الترامواي من الجهة الجنوبية فالتفت اليها وللحال عثرت رجلهُ بخطوط الحديد وسقط على وجههِ وعيناهُ تنظران الى مركبة الترامواي مقبلة اليهِ كأَنها قلعة عظيمة مادت بها الارض وانفجر بركان وراءها فقذف بها في الهواء ورآها مسرعةً اليهِ حتى حجبت الارض والسماء من امام عينيهِ فايقن انها ستقع عليهِ وتطحنهُ طحناً وان لا مناص لهُ من ذلك لان رجليهِ شُلَّتا عن النهوض فافتكر بابيهِ وامهِ واختهِ وما يحلُّ بهم من الحزن عليهِ فحاول مدَّ يديهِ ليدفع تلك الداهية عنهُ ولم يكد يرفعهما عن الارض حتى اغمي عليهِ واطبقت الظلمة على عينيهِ

ووقف الناس على جانبي الطريق بعيون شاخصة وقلوب خافقة وقد قطعوا الرجاء من نجاتهِ الى ان مرَّت المركبة وهم وقوف لا يجسرون على الدنوّ منهُ واخيراً بادر اليهِ بعض السيَّاح الاجانب فتشجع غيرهم من الوطنيين واقتربوا منهُ ورفعوهُ عن الارض بكتف مخلوعة ورأس مهشَّم وعرفهُ بعضهم فرفعوهُ الى مركبة ليمضوا بهِ الى بيتهِ وحضر اثنان من رجال البوليس حينئذٍ وابيا ان يدعا المركبة تسير بهِ الاَّ بعد ان يكتبا محضر الحادثة ووقع الحجاج واللجاج بينهما وبين معارفهِ حتى كاد يفضي الى الشجاج واخيراً اقبل فارس من فرسان البوليس وصرف الرجلين وسار مع المركبة

ولا تسل عمَّا حلَّ بامهِ واختهِ لما رأتاهُ محمولاً على ايدي الرجال اصفر الوجه مغمض العينين مرتخي المفاصل كأَنهُ جثة لا حياة فيها . اما امهُ فصرخت صرخة منكرة وأُغمي عليها واما اختهُ فاستندت الى الجدار وشخصت الى السماء ووقفت كالميت لا تبدي حراكاً . واقبل الخدم وعلا صياح الجواري وشمل الاضطراب كل من في البيت ثم عادت بهيَّة الى نفسها وكان الرجال قد القوهُ على مقعد في الدار وخرج بعضهم يدعون الاطباء

لما كان امين مطروحاً على الطريق امام مركبة الترامواي كان الخواجه لاڤي والمستر هنري ومهندس من كبار مهندسي الري يتذاكرون في مشترى الاطيان من الحكومة . وبسط المهندس خريطة كبيرة رسم فيها موقع الاطيان وكيفية وصول المياه اليها وما يشير بانشائهِ من الترع والمصارف فيها وتقدير النفقات اللازمة لذلك واشار هنري الى الحديث الذي جرى بينهُ وبين

الفصل الحادي عشر

السقوط والسفر

ذهب امين الى الاوبرا الخديوية والتقى هناك بهنري واخته وكانا قد حضرا بدعوة الخواجه لاڤي وزوجته وابنته وعلم منهما انهما مسافران في اليوم التالي الساعة الحادية عشرة صباحًا الى السويس ومنها الى الشرق الاقصى . وسألاهُ عن بهيَّة وامهِ وابيهِ وودا لو احضر بهيَّة معهُ فاعتذر عنها . وأُسقط في يد هنري لانهُ كان يحب ان يراها مليًّا قبل سفرهِ ولام نفسهُ لانهُ تقيَّد بهذا السفر ولم يُطلع اباهُ على ان لهُ غرضًا آخر منهُ غير الغرض التجاري والسياسي وودَّ لو اتيح لهُ ان يخرج من الاوبرا حينئذٍ ويزورها حتى يتودَّع من رؤيتها قبل سفرهِ . وكانت هذه الافكار تتردَّد في صدرهِ فلم يكد يعي شيئًا مما سمعهُ ورآهُ . وعلمت دورا ما كان يشغل بالهُ فاجتهدت لكي تقوم مقامهُ في محادثة الخواجه لاڤي وزوجتهِ وابنتهِ حاسبة ان ذهاب اخيها الى الشرق الاقصى ينسيهِ ما رآهُ في مصر

والتقى امين بعزرا وغيرهِ من المشتغلين في البورصة وعلم منهم ان بورصة نيويورك اقفلت متحسنة بضع بنوط واشاروا كلهم بالمشترى لان الاسعار سترتفع حتمًا لقلة المتأخرات ولاحتياج المعامل الى اكثر من الموجود والمنتظر وانهُ لابدَّ من حدوث ما يسمى بمجاعة القطن فيبلغ ثمن القنطار خمسة وعشرين ريالاً او اكثر. فسمع هذا الكلام ولم يقل شيئًا لكن الكلام اثر في نفسهِ ولو لم يظهر اثرهُ حينئذٍ . ونظر الى استير جالسة الى جانب دورا وجعل يقابلها بها فقال انها اجمل من دورا وفضلاً من ذلك فاننا مشتركان في الاذواق فاذا كان ابوها لا يبقى مصرًّا على تزويجها باحد ابناء عمها فهي خير قرين لي ولا عبرة بما قلتهُ لحليم بك

وعاد من الاوبرا الى البيت قبل انتهاء التمثيل لان كلام عزرا واضرابهِ عن ارتفاع القطن شغل بالهُ وبات يفكر بهِ وصمَّم على ان يسترد ما باعهُ او يشتري خمسين الف قنطار ولا يبقيها الاَّ ريثما يرتفع السعر خمسة ريالات فيبيعها ولا يُطلع والديهِ على ما فعل الاَّ بعد ان يتحقق الربح ويقبضهُ . ونام وهو يحلم بذلك ونهض في الصباح ولم يصدق ان صارت الساعة التاسعة حتى اسرع الى مكتب عزرا وطلب منهُ ان يشتري لهُ خمسين الف قنطار بالاحسن فقال لهُ عزرا اعطنا الاذن كتابةً وكتب حاييم الاذن فامضاهُ امين وخرج وسار الى جهة اوتل شبرد ليوصي مرتبة الازهار بعمل طاقة جميلة يهديها الى دورا حين سفرها ولم يكد يصل الى السبلندد بار حتى خطر لهُ انهُ اخطأ في كيفية الاذن الذي سلمهُ لعزرا لانهُ لا يقيدهُ بزمن

غسول مكدوجال

هو علاج بسيط سهل الاستعمال رخيص الثمن تعالج بهِ الغنم والبقر والخيل والجمال وسائر الحيوانات الاهلية فيشفيها من الجرب والدمامل والبثور ويقوي صحتها ويجيد صوفها ويدفع عنها الحشرات التي تؤذيها وقد استعملهُ كثيرون من اهالي هذا القطر وسائر الاقطار الحارة والباردة فشهدوا بفائدتهِ كما ترى في الشهادات التالية

جناب الماجد الشهم اسكندر تاربنيان المحترم

جربت مرهم مكدوجال هذه يا صاحب مذوب ماء في شفاء فرس وستة ثيران من داء الجرب ومن الجروح التي تصيب البهائم وكتبت عن ذلك الى مجلة الجمعية الزراعية الخديوية التي انا عضو منها والى جريدتي المقطم في مصر والبصير في الاسكندرية نصيحة للمزارعين في استعمال هذا الدواء المفيد واني اشكركم على خدمتكم الجليلة هذه وطال بقاؤكم

كاتبه

محطة تلديه بحيرة في ٤ ابريل سنة ٩٠٣ — اسكندر نحاس

جناب المحب الخواجا اسكندر تاربنيان المحترم

اخبرنا حضرة الدكتور عزيز بك عزت ان عندكم دواءً شافيًا لامراض المواشي وانهُ استعمل هذا الدواء في معالجة خيول مصابة بحرارة شديدة في الظهر والذيل والعنق فنجح نجاحًا غريبًا فالامل ان ترسلوا الينا علبة من هذا الدواء في البوستة لتجربتها في حصان لنا والثمن وقدرهُ مع اجرة البريد ١٥ غرشًا مرسل اليكم حوالة على البوستة واقبلوا فائق احترامنا مدير الشرقية

الزقازيق في ١٤ اكتوبر سنة ٩٠٣ — حسن واصف

عزيزي الخواجا تاربنيان

يسرني ان اخبركم باني استعملت غسول مكدوجال للجمال والمواشي والدواب في ابعديتي بالبحيرة فكانت النتيجة حسنة جدًّا لانهُ خلصها بمعالجة واحدة من كل الحشرات التي توجد عادة على الحيوانات في القطر المصري وهو افعل العلاجات التي استعملت حتى الآن واسهل منها استعمالاً ويسرني ان اشير على اصدقائي باستعمالهِ — الدكتور اسعد حداد

فرفض المهندس رفضاً باتاً ان يعمل برأيهِ وقال انهُ لا يكون من ورائهِ
الوطنيين لم يعتادوا تأليف الشركات وادارتها . وكان هنري يود ان يختصر الحديث
مكان فقال اذن اترك الامر في يدك ويد المستر لافي وقد كتبت الى ابي ليكاتب
أن ومع ذلك لا ارى ما يمنع اشتراك الوطنيين معنا لاسيما اذا كانوا مثل واصف بك
ل المقدرة في المال والاختبار . وانفض رأيهم على ان الخواجه لافي يدير الامر بحكمته
واسرع هنري الى الاوتل وامر الخادم ان يمضي بامتعتهِ الى المحطة ويضعها في المركبة
مع اخته ليذهبا ويودعا بيت واصف بك قبل سفرهما ولما وصلا الى الباب الخارجي
بطاقة الزيارة الى البواب فمشى بين ايديهما مشيراً اليهما باتباعهِ فتبعاهُ حتى وصلا الى
الدار فرأيا جمعاً غفيراً فيها وامامها ورأتهما بهية فبادرت اليهما وعيناها مغرورقتان
ع ووجنتاها تكادان تشتعلان من هول المصاب واشارت الى اخيها وهو ملقى على المقعد
ب يعصب رأسهُ . ومال رأسها على عنقها حتى كادت تقع على الارض فاسرع هنري اليها
يديها وادنت اختهُ كرسياً منها فاجلسها ووقف ينظر تارة اليها وتارة الى اخيها ثم
الى جهة اخرى فرأى مدام واصف بك على مقعد والجواري يفركن يديها فبادرت
اليها وجعلت تفك ازرارها وترك هنري بهية تسلي لوعتها بدموعها ودنا من امين بك وسأل
عنهُ فقال الجرح بالغ ولكن لا خوف منهُ وانما الخوف من ارتجاج الدماغ وكان في يده
من الامونيا العطرية ينشقهُ اياهُ فافاق وفتح عينيهِ ونظر الى ما حولهُ متعجباً ولما وقعت
على هنري حاول مد يدهِ اليهِ فلم يستطع فاغمض عينيهِ وقال اين انا وعاد الى البحران
. الطبيب حينئذٍ وقال لهنري الامر عرضي على ما يظهر . وافاقت مدام واصف بك حينئذٍ
الى ابنها فالتقاها الخواجه هنري وقال لها انهُ فتح عينيهِ الآن وتكلم فشكرتهُ على ذلك
امام ابنها ووقعت على عنقهِ تقبلهُ
وكان لا بد لهنري ودورا من الذهاب لان ساعة السفر قد ازفت وانتبهت بهية الى ذلك
ومدت لها يديها وقالت كنا ننتظر ان نودعكما في المحطة ولكن امر الله فوق كل امر
لها هنري ان الطبيب يؤكد ان الامر عرضي ولو في طاقتي ان أؤخر هذا السفر او امـ
ولكن امتعتنا في القطار ولم يبقَ الا دقائق قليلة لسفره . ثم ودعاها وودعا امها
وصلا الى المحطة رأيا واصف بك في انتظارهما هناك ليودعهما وعجب لان ابنه
يودعهما فقالا لهُ انهما مرا على بيتهِ وودعاها ولم يذكرا لهُ شيئاً
المركبة حتى صفر القطار وسار

(٢) المدرسة الصيدلة — مدة التدريس فيها ثلاث سنوات مع الاشتغال العملي في المعمل الكيماوي والتمرين

وقد اعترفت الحكومة العثمانية بالمدرسة الطبية والمدرسة الصيدلية وهي ترسل لجنة من الاطباء لامتحان المنتهين من تلامذتهما . والتلامذة الذين يفوزون في الامتحان ينالون دبلوما المدرسة والدبلوما السلطانية التي تخولهم ممارسة صناعتهم في كل الممالك العثمانية

(٣) المدرسة الكلية العلمية — مدة التدريس فيها اربع سنوات في اللغات والآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية المؤدية الى احراز البكلوريا

(٤) مدرسة التجارة — مدة الدرس ثلاثة سنوات يُعلم فيها مسك الدفاتر واساليب التجارة وقانون التجارة والكيميا الصناعية وعلم الاقتصاد والانكليزية والعربية والتركية والفرنسوية والالمانية واليونانية ونحوها مما يؤهّل التلميذ لمعاطاة الاشغال التجارية وينال رتبة البكلوريا في التجارة

(٥) القسم الاستعدادي — مدتهُ خمس سنوات ويعلّم فيهِ التعليم الابتدائي في العربية والانكليزية والحساب والجغرافية وغير ذلك من العلوم ولا يقبل فيهِ تلميذ عمرهُ اقل من احدى عشر سنة

ولغة التعليم في هذه الاقسام كلها الانكليزية. ومن شاء زيادة الاستعلام عنها والاطلاع على كتابها السنوي فليطلب ذلك من الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت (سورية)

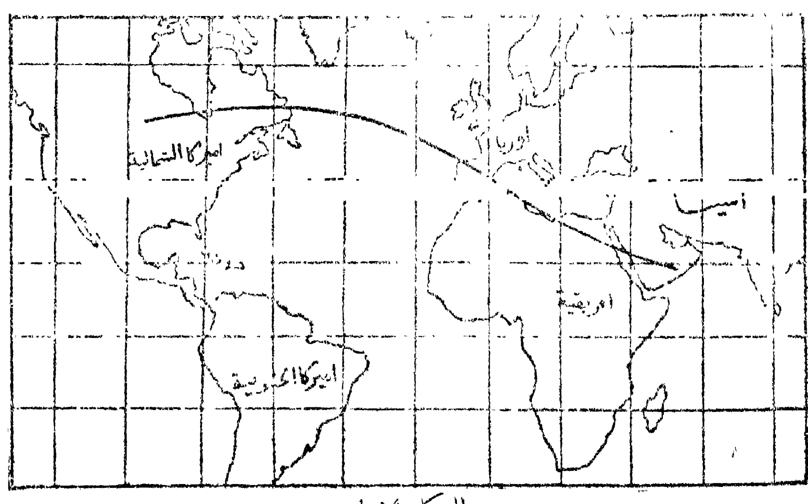
المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٦ محرم سنة ١٣٢٣

الكسوف المقبل

في الثلاثين من شهر اغسطس (آب) المقبل تكسف الشمس كسوفاً يرى تامًّا في كل البلدان التي يمرُّ فيها الخط الاسود المرسوم في الشكل التالي من اميركا الشمالية الى اسبانيا فبلاد الجزائر وتونس وطرابلس الغرب والقطر المصري قرب اصوان والبحر الاحمر وبلاد العرب وينتهي الكسوف في بلاد العرب بغياب الشمس هناك

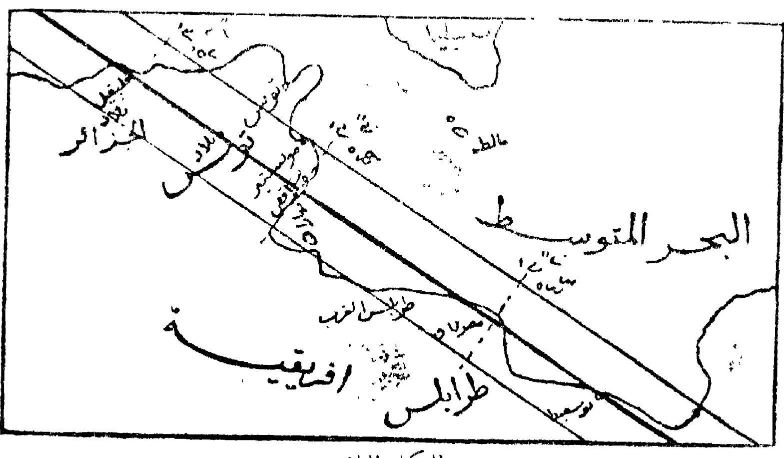


الشكل الاول

وسيكون لهذا الكسوف شأن كبير جدًّا لانهُ يقع في اواسط الصيف حين يرجَّح ان تكون السماء صحوًا غير محجوبة بالغيوم وحين يكون اكثر العلماء متفرغين من الاشتغال بالتدريس فلا يصعب عليهم السفر لرصدهِ. ولانهُ يرى في بلدان قريبة من مراكز العمران يسهل الوصول اليها والسفر فيها على رجال الرصد ويكون فيها قرب الظهر حين تكون الشمس مرتفعة لاتحول

وقت كسوفها صوراً فوتوغرافية كبيرة عسى ان تعلم حقيقتهُ وملابساتهُ

ويذهب المستر جون ائرشد الى برغس في اسبانيا لتصوير الاكليل والكروموسفير بواسطة العاكس الموشوري · ويذهب الاستاذ كالندر والاستاذ فولر والمستر شكلتون الى أربوسا في اسبانيا ايضاً لرصد الاشعاع الاكليلي وتصوير الاماكن الحمراء والخضراء من طيف الكروموسفير والاكليل. ويذهب اليها وفد من مرصد لك الاميركي للبحث عن السيارات دخل فلك عطارد وتصوير الاكليل والكروموسفير صوراً فوتوغرافية كبيرة وتصوير طيفيهما. ويذهب السر نورمن أُكير والدكتور وليم لكير والمستر بطلر الى فيلبفيل في بلاد الجزائر لتصوير الكروموسفير والاكليل صوراً فوتوغرافية بآلة موشورية (فيها ثلاثة مواشير) وصوراً كبيرة



الشكل الثاني

عن مواشير عاكسة ولتصوير الاكليل صوراً صغيرة . ويذهب المستر نيول الى بونا في الجزائر لاجل الارصاد الطيفيَّة والاستقطابية · ويذهب الراصد الملكي في بلاد الانكليز والمستر دايسن والمستر داهدسن الى صفاقص بتونس لتصوير الاكليل صوراً فوتوغرافية ولتصوير طيف الاكليل والفوتوسفير بسبكتروسكوب الماجور هل

ويأتي مصر الاستاذ ترنر والمستر بلي للارصاد الاستقطابية وتصوير الاكليل صوراً كبيرة · ويأتيها وفد من مرصد لك الاميركي للبحث عن السيارات داخل فلك عطارد وتصوير الاكليل صوراً كبيرة

ولا بدَّ من ان يذهب مدير المرصد الخديوي الى جهة قرب اصوان لرصد الكسوف منها وان ترسل فرنسا والمانيا وايطاليا واسبانيا وفوداً من اهل الرصد الى الاماكن التي يرى منها الكسوف تاماً فتنجلي اكثر الغوامض المتعلقة بالشمس والقمر التي يمكن معرفتها بالرصد

الابخرة والاهوية الكثيفة بينها وبين آلات الرصد الأ قرب اصوان فان الشمس تكون هناك على ٢٤ درجة فقط فوق الافق . ولان هذا الكسوف سيحدث والشمس في اشد درجات اضطرابها في الدور الذي تكون فيهِ النتوءات والكلف على اعظمها

ومدة الاختفاء التام طويلة تبلغ في بعض الاماكن ثلاث دقائق ونصف دقيقة او اكثر واقلها قرب اصوان دقيقتان وثلاث وثلاثون ثانية . ولا ينتظر ان يقع كسوف يماثلهُ في الاحدى عشرة سنة التالية كما ترى من هذا الجدول وقد ذُكرت فيهِ كل الكسوفات التي تقع فيها

التاريخ		دوام الكسوف التام	الاماكن التي يرى فيها تامًا
١٩٠٧	في ١٤ يناير	دقيقتان	جبال اورال واواسط اسيا و بلاد الصين
١٩٠٨	" ٣ "	٤ دقائق	الاوقيانوس الباسيفيكي
١٩٠٨	" ٢٣ دسمبر	لحظة	الاوقيانوس الاتلنتيكي الجنوبي
١٩٠٩	" ١٧ جون	دقيقة	غرينلندا والاصقاع القطبية شمالي سيبيريا
١٩١٠	" ٩ مايو	٤ دقائق	الاصقاع القطبية الجنوبية
١٩١١	" ٢٨ ابريل	٥ "	جزائر استراليا والاوقيانوس الباسيفيكي
١٩١٢	" ١٧ "	عشر دقيقة	اسبانيا و يكون حلقيًا اكثر الوقت
١٩١٢	" ١٠ اكتوبر	دقيقة	فنزويلا و برازيل
١٩١٤	" ٢١ اغسطس	دقيقتان	غرينلندا واسوج ونروج وروسيا وايران
١٩١٦	" ٣ فبراير	"	الباسيفيكي و بناما و كولمبيا وفنزويلا وازورس

ويبتدئ الكسوف الكلي في اوفيدو باسبانيا بعيد الظهر ويدوم ثلاث دقائق واربعين ثانية ويدوم في بلنسية ثلاث دقائق وثلاثين ثانية وفي فيلبفيل بالجزائر ثلاث دقائق و ٣٦ ثانية وفي صفاقص بتونس ثلاث دقائق وثلاثين ثانية وفي مصرتا بطرابلس الغرب ثلاث دقائق وعشرين ثانية وفي شمالي اصوان دقيقتين و ٣٣ ثانية

وقد رسمنا في الشكل الثاني كل الاماكن التي يُرى فيها الكسوف تامًا في بلاد الجزائر وتونس وطرابلس الغرب لكي يطَّلع عليها قراء المقتطف هناك اما في القطر المصري فحد الكسوف الكامل من شمالي اصوان الى ادفو وسنرسم لهُ رسمًا مفصلاً في فرصة اخرى

وقد شرعت المراصد والجمعيات الكبيرة تستعدُّ لرصد هذا الكسوف في الاماكن التي يرى منها تامًا وتتقاسم الاعمال حسب اهميتها فرصد لك الاميركي سيرسل وفدًا للرصد في لابرادور يفتش عن السيارات داخل فلك عطارد و يصوّر الاكليل الذي يرى حول قرص الشمس

وهي والكلف من قبيل واحد كما يتضح من مراجعة المقالة المشار اليها آنفاً

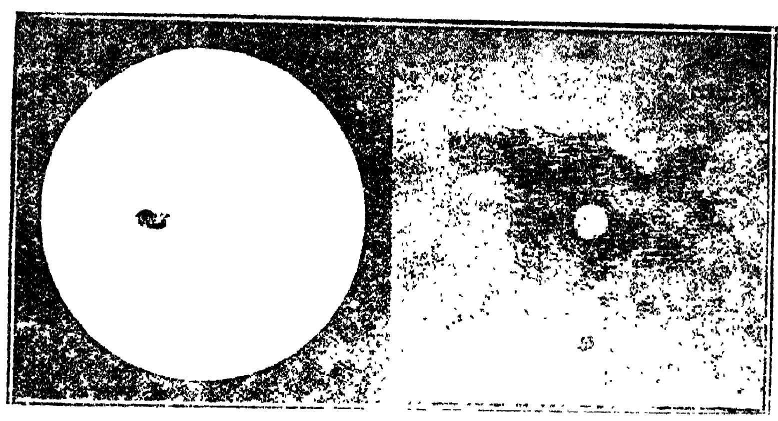
ومعلوم ان الشمس متسلطة على الارض لان كل ما يصل الى الارض من الحرارة انما يأتيها من الشمس. والحرارة لازمة لحياة الحيوان والنبات ولولاها ما تحركت ريح ولا وقع مطر ولا نما نبات ولا عاش حيوان. فاذا كانت حرارة الشمس تتغير من وقت الى آخر فما يلزم عنها يجب ان يتغير ايضاً بتغيرها ولذلك قيل في المقالة المشار اليها آنفاً "ان كل ما يتعلق على حرارة الشمس يزيد بزيادة الكلف وينقص بنقصانها كالتغيرات المغنطيسية والكهربائية والشفق القطبي وحرارة الهواء وضغطهِ ورطوبتهِ وحركة الرياح ومقدار السحاب والمطر وفيضان الانهار وعدد ما ينكسر من السفن وما يفلس من البنوك وما يحل من المواسم وما يحدث من القحط والمجاعات والحروب بل عدد ما يطير من الحشرات وما يثور من البراكين وما يحدث من الزلازل. ويقال جملة ان الخصب والرخاء يتوقفان على كلف الشمس اكثر مما يتوقفان على غيرها"

فاذا كان للكلف هذا الشأن الكبير في مصالح الناس فهل لكثرتها وقلتها قانون تجري عليهِ حتى يسهل الانباء بكثرتها قبل حدوثها وهل التغيرات المشار اليها آنفاً تابعة لكثرة الكلف وقلتها لا لشيءٍ آخر. والجواب عن السؤال الاول اي عن القانون الذي تجري عليهِ كلف الشمس في ادوار كثرتها وقلتها ان هذا القانون موجود يكاد يكون معروفاً الآن وهو ان لزيادة الكلف دوراً يدور كل احدى عشرة سنة او اثنتي عشرة سنة ودوراً آخر يعود كل اربع وثلاثين سنة او خمس وثلاثين سنة اي انهُ مساوٍ لثلاثة ادوار من الادوار الاولى. ومن المحتمل ان يكون لها دور ثالث يقع مرةً كل مئة وثلاث سنوات اي انهُ مركَّب من ثلاثة ادوار من الادوار السابقة وهذا الدور الاخير لم يشاهد حتى الآن لقرب الزمن الذي رُصدت فيهِ كلف الشمس

والجواب عن السؤال الثاني ان التغيرات المشار اليها آنفاً تتعلَّق بكلف الشمس وبغيرها مما ينتج عن اضطراب الشمس او ازدياد حرارتها. فاضطراب الشمس هو السبب الاصلي والكلف نتيجة عنهُ او علامة ظاهرة لهُ وكذلك النتوات التي تكثر وتقلُّ على وجه الشمس كما تكثر الكلف وتقلُّ وهي لم ترصد الاَّ منذ عهد قريب فلا تعلم ادوارها الكبيرة بالتحقيق كما تعلم ادوار الكلف ولكن تبين من رصدها ان لها دوراً آخر قصيراً وهو نحو اربع سنوات وعند التدقيق ثلاث سنوات وثمانية اعشار السنة. والظاهر ان للكلف دوراً قصيراً مثل هذا فيكون الدور الاول من ادوار الاضطراب ثلاث سنوات وثمانية اعشار السنة . والدور الثاني مركَّب من ثلاثة ادوار من الدور الاول اي احدى عشرة سنة واربعة اعشار السنة . والدور الثالث

كلف الشمس والخصب والجدب

ذكرنا في الجزء الماضي انهُ ظهرت كلفة كبيرة على وجه الشمس ترى بالعين المجردة لكبرها اذا وضع بين العين والشمس زجاجة ملونة او مدخَّنة لكي تضعف حرارة الشمس ما امكن · وقد نشرنا فصلاً مسهباً في آخر سنة ١٩٠٣ قيل فيهِ ان اضطراب الشمس سيبلغ اشدَّهُ بعد سنة من الزمان فتبلغ الكلف اعظمها · وقد صدق هذا القول تقريباً فظهرت كلفة على حد الشمس الشرقي في ٢٨ يناير الماضي · وفي الثلاثين من الشهر اتضح انها ستكون اعظم كلفة ظهرت على



الشكل الثاني الشكل الاول

الشمس في دور الكلف هذا وانها تماثل الكلفة التي ظهرت سنة ١٨٩٤ . وبلغت هذه الكلفة حد الشمس الغربي في العاشر من شهر فبراير ولما كانت على اكبرها بلغ اتساعها سبعين الف ميل فيكون قطرها اوسع من قطر الارض نحو تسع مرات وقد رسمت الارض في قلبها في الشكل الاول لترى نسبتها اليها كما رسمت وحدها في الشكل الثاني ليرى شكلها في الشمس

واول سؤال يخطر على البال هو ما هي هذه الكلف . والجواب ان الباحثين عنها ارتأوا بعد إعمال النظر انها ابخرة باردة تقع على وجه الشمس بعد صعودها عنها فانهُ يحدث اضطراب شديد في الشمس فتندفع الغازات والابخرة منها الى ابعاد شاسعة فوقها فتبرد هناك ثم تقع عليها ثانية فتظهر مظلمة وهي الكلف . واذا كان الامر كذلك فكثرة الكلف وكبرها دليل على شدَّة الاضطراب في الشمس وعلى ازدياد حرارتها

ويسبق ظهور الكلف ظهور نتوات على وجه الشمس يعلو بعضها مئة الف ميل او اكثر

صحَّ هذا التعليل او لم يصحَّ فالامر المرجح الآن ان كثرة الامطار في افريقية وفي بلاد الهند وافغانستان وايران وبلاد العرب وبلاد الترك واكثر اسيا واوربا ما عدا شماليهما تابعة لكثرة الكلف على وجه الشمس . والذي يهمنا بنوع خاص في هذا القطر والقطر الشامي فيضان النيل هنا ووقوع المطر في الشام فاذا كانا تابعين لكلف الشمس فيكون الانباء بما سيكونان عليهِ في السنين المقبلة في حيز الامكان . وعليهِ فالامطار كانت غزيرة هذه السنة في بلاد الشام وستبقى غزيرة في السنوات الخمس او الست التالية وسيكون فيضان النيل غزيرًا هذا العام وفي الاعوام الخمسة او الستة التالية لاننا الآن في بداءة الدور الكبير الذي يتكرر كل اربع وثلاثين سنة او خمس وثلاثين سنة والمنتظر ان يدوم هذا الدور خمس سنوات او ستًّا

وقد راجعنا جدول فيضان النيل من زمن الفتح الى الآن لعلنا نجد فيهِ ما ينطبق على القواعد المتقدمة فوجدنا ان الفيضانات الكبيرة كانت سنة ٢٨ للهجرة و١٣٤ و٢٤١ و٣٤٢ و٤٤٢ و٥٥٢ و٦٥٧ و٧٦١ وذلك ينطبق على الدور الرابع الذي يعدل نحو مئة سنة وثلاث سنوات ولم يذكر قياس النيل من سنة ٨٥٥ للهجرة الى سنة ١٠٠١ الاَّ في سنين متفرقة وبلغت الزيادة مبلغًا عظيمًا سنة ٤١ و٥١ و٦١ و٧٣ و٨٩ و١٠٠ و١١٢ و١٢٤ الخ وذلك ينطبق على الدور الثاني وكذلك في سنة ١٠٠ و١٣٤ و١٧٠ وهذا ينطبق على الدور الثالث ولكن هناك سنين كثيرة لا تنطبق على هذه القواعد . ولا يصح الاعتماد على نهاية ما بلغهُ الفيضان من غير ان تعرف المدة التي بقي فيها النيل مرتفعًا اي يجب ان يعرف مقدار ما جرى فيهِ من مياه الفيضان لكي يكون الحساب صحيحًا وهذا لا سبيل الى معرفتهِ من القياسات القديمة اما الآن فلم يعد قياس ما يجري في النيل من مياه الفيضان متعذرًا ولذلك ينتظر ان يُعتنى بهذا القياس اعتناءً خاصًّا توصلاً الى القاعدة التي يجري عليها النيل في فيضانهِ ولا سيما بعد ان اعتُني بالارصاد الجوية والفلكية

وجملة القول ان مراقبة كلف الشمس ونتوانها واحوال الجو ستؤدي الى اكتشاف القواعد التي يتغير "الطقس" بموجبها في اكثر المعمورة فتزول عن علم الفلك تهمة طالما اتُّهم بها وهو انهُ كثير القواعد قليل الفوائد

مركب من ثلاثة ادوار من الدور الثاني اي اربع وثلاثون سنة وعشرا السنة

ثم ظهر من الارصاد الجوية ان تغير ضغط الهواء من سنة الى اخرى المدلول عليهِ بالبارومتر وما ينتج عنهُ من كثرة الامطار وقلتها يكون في ادوار مثل ادوار كلف الشمس ونتواتها وهذا هو المنتظر لان كل التغييرات الجوية متوقفة على حرارة الشمس ولو كان سطح الارض مغموراً كلهُ بالبحر او كان كلهُ برًّا مستويًّا لوجدنا انتظاماً تامًّا بين حرارة الشمس وما يحدث في الارض من التغييرات الجوية. ولكن تكوُّن وجه الارض من برّ و بحر وعدم الانتظام في حدودهما واختلاف البر في درجات ارتفاعهِ وفي ما يغطي سطحهُ كل ذلك يدعو الى منع الانتظام في سير التغيرات الجوية الناتجة من فعل حرارة الشمس بهواء الارض ومائها . ومع ذلك لا يخلو الامر من شيء من الانتظام فالمطر في الجهات الجنوبية الغربية من بلاد الهند موافق لضغط الهواء فالسنين التي يقل فيها ضغط الهواء كما يعلم بالبارومتر يكثر فيها وقوع المطر والسنين التي يزيد فيها ضغط الهواء يقل فيها وقوع المطر. ففي سنة ١٨٧٩ كان ضغط الهواء قليلاً وكان المطر كثيرًا . وسنة ١٨٨٢ كان ضغط الهواء كثيرًا وكان المطر قليلاً وسنة ١٨٩٢ كان ضغط الهواء قليلاً وكان المطر كثيرًا

ويتضح من مراجعة الارصاد القديمة من اواسط القرن الماضي الى الآن ان هيجان الشمس كان على اشدهِ والامطار على اكثرها حوالي سنة ١٨٤٢ و١٨٧٧ فسيكونان كذلك حوالي سنة ١٩١١ وان الهيجان كان على اضعفهِ والمطر على اقلهِ سنة ١٨٦٦ وسنة ١٩٠٠ . فاذا كانت ارصاد الشمس والجو في السنين التالية تؤيد النتائج المتقدمة فتكون قد جاءت بفائدة لا تقدَّر

الاَّ ان ما يحدث في نصف الكرة الشرقي الذي يشمل غربي اسيا وجنوبيها وغربي اوربا وجنوبيها واستراليا كلها وافريقية كلها ما عدا طرفها الغربي يحدث ما يخالفهُ في الشمال الشرقي من اوربا واسيا وفي اميركا الجنوبية والشمالية ما عدا طرفها الشمالي وهذا امرٌ لا بدَّ منهُ لان مقدار الهواء المحيط بالارض واحد لا يزيد ولا ينقص فاذا تراكم في نصف الكرة الشرقي وجب ان يقلَّ في نصف الكرة الغربي . ولكن لماذا يتراكم في نصف الكرة الشرقي ويقلُّ في النصف الغربي اذا زاد اضطراب الشمس ? هذه مسألة لا نرى لها وجهاً وجيهاً غير كثرة البر في النصف الشرقي وقلتهِ في النصف الغربي فاذا زادت حرارة الشمس بزيادة الاضطراب فيها زاد ما يصل منها الى نصف الكرة الشرقي والغربي لكن الشرقي يشع من الحرارة اكثر مما يشع الغربي لكثرة البر فيهِ واتساع سطحهِ بما فيهِ من المرتفعات والمنخفضات فيتلطف هواؤُهُ ويقل ثقلهُ وضغطهُ فتكون قلة ضغط الهواء فيهِ تابعةً لزيادة الاضطراب في الشمس . وسواء

تطهير الماء بالنحاس

افتتحنا مقتطف هذا العام بخبر اكتشاف لهُ الشأن الاكبر في تدبير صحة المدن . فان المدن الكبيرة التي ليس فيها نهر كبير كنهر النيل تذوق الامرين في جلب المياه وحفظها نقية لانها اذا ركدت قليلاً في الحياض تكوَّن فيها الخزّ واسنت فتصير كريهة الطعم خبيثة الرائحة تجلب الضرَّ على شاربها

والذي يفسد الماء الراكد نبات صغير جدًّا يخضرُّ بهِ لون الماء ويفرز مادَّة زيتية مرة خبيثة الرائحة. وقد وُجد ان القليل من الشب الازرق (كبريتات النحاس) يميت هذا النبات ويمنع تكونهُ ثانية ويطهر الماء منهُ . ووجدوا ان الدرهم من الشب الازرق يكفي لتطهير مئة متر مكعب من الماء في ثلاثة ايام او اربعة ويبقى الماء صالحًا للشرب وصالحًا لان تنمو فيهِ النباتات الكبيرة كالجرجير ونحوهِ ولا يكون مقدار النحاس فيهِ اكثر مما يكون في اكثر الاطعمة. واذا زاد مقدار الشب الازرق حتى صار درهمًا لكل ستة قناطير من الماء قتل ميكروبات الكوليرا والتيفويد في ثلاث ساعات او اربع . وقد وُضع اربعة آلاف ميكروب من ميكروب التيفويد في اناء من الماء وغطّس في الماء قدّة صغيرة من النحاس فماتت ميكروبات التيفويد كلها في اربع ساعات

واول سؤَال يخطر على البال هو ان النحاس سامٌّ ولذلك يميت الميكروبات أفلا يضر الماء المطهر بهِ بالذين يشربونهُ . وقد عُرض هذا السؤال على جمهور من كبار الاطباء فاجابوا ان المقادير القليلة التي تكون في الماء لا يحتمل انها تضرُّ شاربيهِ فان النحاس موجود عادةً في كثير من الاطعمة وهو كثير في البازلاَّ المحفوظة في العلب لان لونها الاخضر حاصل من النحاس الذي يضاف اليها وهو فيها اضعاف اضعاف ما يكون في الماء بل قد يكون في الرطل منها اكثر مما يكون في الف رطل من الماء المطهر بالشب الازرق ومع ذلك فالذين يأكلونها لا يضرُّون بها. والاطعمة التي تطبخ في آنية نحاسية يكون فيها من النحاس اكثر مما يكون في الماء المطهر بالنحاس ومع ذلك فاكثر الناس يطبخون طعامهم في الآنية النحاسية

وكان المظنون ان النحاس يبقى في الجسم من يوم الى يوم ويتراكم فيهِ ولكن التجارب لم تؤيد ذلك فالقليل الذي يدخل الجسم منهُ اليوم لا يبقى فيهِ حتى يضاف الى القليل الذي يدخل الجسم غدًا كما هي الحال في بعض السموم ولذلك فليس من استعمالهِ لتطهير ماء الشرب اقل ضرر . وعسى ان تنتبه ادارة الصحة المصرية الى ذلك وتستعمل املاح النحاس في تطهير المستنقعات ومياه الشرب

نبأ من اليابان

اخلاق امبراطورها

كل ما ننشرهُ من اخبار اليابان الموثوق بها انما نقصد من نشره العظة والذكرى ... الآن على مقالة في اخلاق امبراطور اليابان بقلم البارون سوماتسو احد وزرائه ال... نشرها في مجلة لندن فاقتطفنا منها ما يأتي تذكرةً لملوكنا وامرائنا · قال الكاتب ما :

ان كلمة ميكادو لقلب يطلقهُ الاجانب عادةً على امبراطورنا وهي لفظة يابانية ولكن ... قلما يستعملونها والغالب انهم يستعملون كلمة تنو هيكا ومعنى تنو امبراطور ومعنى هيكا ... ويلقّب في الكتابات الرسمية بلقب كوتاي اي الامبراطور · واسمهُ الخاص مُتسوهيتو

وليس للعائلة المالكة في اليابان اسم خاص بها مثل بيت رومانوف في روسيا وبيت ... في النمسا و بيت هوهنزولرن في المانيا لان اسرتهُ قديمة جدًّا تسلطت على بلاد اليا... تسمت الامراء باسماء خاصة بها

رقي عرش الملك منذ سبع وثلاثين سنة وذلك في ١٣ فبراير سنة ١٨٦٧ والغي النظام الاقطاعي من بلاد اليابان وسمي العصر الجديد الذي يبتدئ من ذلك التار... الميجي اي عصر الاستنارة او عصر الحكم المستنير وتطلق كلمة ميجي على كل سنة ... ملكهِ فيقال الميجي الثالثة او الرابعة يعني السنة الثالثة او الرابعة من ملكهِ

وقد كان عمرهُ ست عشرة سنة لما توفي ابوهُ وكانت البلاد في اشد الاضطراب ... التار قبلما جلس على عرش الملك فان واقعةً دموية شديدة وقعت في مدينة توكيو قبل... وخيّم رصاص البنادق على قصرهِ قبلما استتب لهُ الامر فيهِ . فلم يكن من الامرا... ربوا في النعيم ورقوا سدّة الملك آمنين · وهو لا يمتاز على غيرهِ من امرائنا من هذا الق... كلهم يربون تربية صارمة تعوّدهم تحمُّل المشاق والابتعاد عن الترفُّه والتراخي. وهو آية ... والاجتهاد فيكثر من المطالعة والدرس ولذلك تراه مطّلعًا في كل الامور ولهُ المام ...

ولما رقي عرش الملك كان حولهُ كثيرون من كبار رجال السياسة ودهاتها ولا... كان ينظر الى كل منهما نظر الولد الى والدهِ والتلميذ الى معلمهِ وهما البرنس سنجيو ... ايواكورا والثاني منهما أُنفذ سفيرًا الى اوربا واميركا منذ ثلاث وثلاثين سنة ... منذ ١٦ سنة والثاني منذ ٨ سنوات . و بارشاد هذين الوزيرين وغيرهما من ...



امبراطور اليابان وزوجته وابنه وبناته وهن اربع وكنته وحفيداه
وهو وزوجته وابنه وكنته وحفيداه بالملابس الاوربية
وبناته الاربع بالملابس اليابانية

منها في موضوع وطني عام كقوله ما ترجمتهُ

"كلما فتحت كتب الاوائل فكّرت في احوال الشعب الذي املكهُ"

وشعر من هذا القبيل لا بدّ ان يزيد تعلّق رعيتهِ بهِ ولقد ظهر هذا التعلق على اشدهِ في الحرب الحاضرة. والملك والمملكة شيء واحد في عرف اليابانيين فكل من يحب بلادهُ يحب ملكها ايضاً وحب الوطن والولاء للملك شيء واحد عندنا

وهو مثل سائر الناس من حيث الاميال الشخصية ولكنهُ يتسلط على امياله ولا يدعها تقف في سبيل ما يجب عليهِ لبلادهِ حينما يختار وزراءهُ او يقيلهم. وخلاصة القول انهُ يعرف ما يجب على الملك الدستوري ويعمل بهِ وليس عندهُ باب للصنيعة يدخل منهُ احد وهذا امر معروف مشهور في البلاد كلها طولاً وعرضاً فلا يتجاسر احد ان يطلب منهُ شيئاً مهما كانت دالتهُ عليهِ ولكن اذا خدم احد وطنهُ خدمةً صادقة فهو اول من يعترف لهُ بهذه الخدمة. ومن امثلة ذلك انهُ عاد البرنس سنجيو والبرنس ايواكورا في منزليهما قبلما توفيا وذلك تنازل عظيم جداً في بلاد اليابان وان لم يظهر كذلك في اوربا. ومنها ان سيغو الاكبر كان من اعاظم الرجال الذين خدموا بلادهم ثم انضمَّ الى الثائرين ونشر معهم راية العصيان ومات زعيماً لهم وعرف الامبراطور ان الرجل مخلص في عملهِ ولو كان مخطئاً وغرضهُ خدمة وطنهِ لا غير فعفا عنهُ وعن غيرهِ من المشاركين لهُ في العصيان حينما سنَّ الدستور ثم انعم على ابنهِ بلقب مركيز اعترافاً بخدم ابيهِ السابقة. ومنها انهُ منح لقب برنس لواحد من بيت الشوغن كان من جملة زعماء العصاة لانهُ بلغهُ انهُ لم يتطرَّف في مقاومتهِ بل كان ميَّالاً الى المسالمة. وذلك من الامثلة الدالة على رحب صدرهِ وحسن نظرهِ. وهذا البرنس يرأس الآن مجلس الاعيان وقد درس في انكلترا منذ اكثر من عشرين سنة ولا يزال مذكوراً فيها وهو الآن من اشد الناس ولاء للعرش الامبراطوري. ولذلك لم يبقَ في بلاد اليابان اثر للسلطة التي كانت مناظرة لسلطة الامبراطور

والامبراطور يدين بالديانة الشنتية ديانة آبائهِ واجدادهِ ولكنهُ اطلق الحرية لكل رعاياهُ ليدينوا كما يشاؤون

وهو على حبهِ للحربية والبحرية لا يرغب في الحروب والفتوح وانما رغبتهُ متجهة الى تنشيط العلوم والفنون وتراهُ يرسل خواصهُ الى المعارض الفنيَّة ليبتاعوا لهُ مما يعرض فيها تنشيطاً لاصحابها وقد يزورها بنفسهِ وهو والامبراطورة زوجتهُ والاَّ فلا بدَّ من ان يزورها احد اعضاء العائلة الامبراطورية بالنيابة عنهما. وعندهُ اراض واسعة للصيد يدعو الخواص اليها ليصطادوا فيها. وانشأ عيدين وطنيين عيد زهر الكرز وعيد زهر الاقحوان احدهما في الربيع والآخر

الذين ارتقوا في زمن الثورة الاهلية بعد ان درسوا في اوربا واميركا وعلموا الآراء الاوربية الحديثة تشرَّب مناهج الحكم الدستوري واصوله التي يُبنى عليها فقلب ادارة البلاد من الحكم الاستبدادي المطلق الى الحكم الدستوري المقيَّد

وليس من غرضي الآن ان اذكر كل ضروب الاصلاح التي شملت فروع الادارة المختلفة في عهدهِ لان ذلك يقتضي مجلدات كبيرة وانما اقول ان امبراطورنا مثال الحاكم الدستوري فهو على ذكاء عقلهِ وسعة اطلاعهِ لا يستبدُّ برأيهِ ولايحاول ان يغلّب رأيهُ على رأي رجال حكومتهِ بل شأنهُ التوفيق بينها وبين مصالح مملكتهِ واذا رأى جَلَبة لا يحسن الاصغاء اليها ولا هي في مصلحة بلادهِ عرف كيف يتجنبها ويغلّب الحكمة والسداد على الطيش والتهوُّر

يقوم في الصباح كل يوم ويجلس في مكتبهِ الى ما بعد الظهر ينظر في شؤُون المملكة المختلفة . وهو على تمام الخبرة بها ولا سيما الحربية والبحرية . ولا يوقع امرًا قبلما يطالعهُ ويناقش وزراءهُ فيهِ وقد يبين لهم انهُ ناسخ او مناقض لامر آخر سابق لهُ ولذلك يشعر وزراؤُهُ انهُ اخبر منهم في شؤُون المملكة فيبذلون الجهد في البحث والتحري قبلما يعرضون عليهِ امرًا

ويطالع بنفسهِ كثيرًا من جرائد بلادهِ فلا يخفى عليهِ امر هامٌ مما يذكر فيها ولكنهُ لايهتم بشيءٍ يرجف بهِ المرجفون . فيميز الغث من السمين حالاً ولا يُخدَع باكاذيب الوشاة اذا اتهموا احدًا من رجالهِ وهو يعلم اخلاصهم لبلادهم . ويهتمُّ اهتمامًا شديدًا بما يجري في الممالك الاخرى لكي يستفيد منهُ ما يُصلح بهِ حال بلادهِ

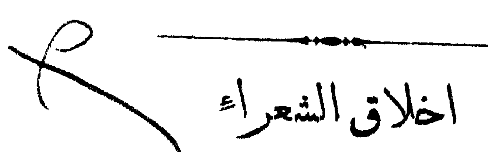
وهو القائد العام للجنود البرية والبحرية ولقد كانت القيادة العامة لاسرتهِ قبلما غلبها الشوغن على امرها واستقلَّ بادارة الجيوش تاركاً لها السلطة الاسمية . وكثيرًا ما كان اسلافهُ يخرجون الى الحرب ويقودون الجيوش بانفسهم بل كثيرًا ما كانت الملكات انفسهنَّ يخرجن الى الحرب في قيادة الجيوش فلما ثلَّ عرش الشوغن عادت قيادة الجيش الى الامبراطور. ولا يجري استعراض كبير في البلاد الاَّ وهو مشارك فيهِ فيركب جوادهُ يومًا بعد يوم او يقف على رابية يطلع منها على حركات الجيش ولو تحت المطر ولا يستظل بمظلة

وهو مغرم بالخيل وركوبها وتراهُ يبذل جهدهُ في حمل رجالهِ على الاهتمام بتربية الصوافن الجياد وعلى المنافسة بركوبها وفي ضواحي يوكاهاما ميدان لسباق الخيل يحضرهُ بنفسهِ ترغيبًا للناس في اقتنائها

وهو من الشعراء المعدودين وقد ينظم اربع قصائد او خمسًا في اليوم لتوقد قريحتهِ . ونظم الشعر معدود في بلاد اليابان من كمالات الملوك والامراء . ولا ينشر من اشعارهِ الاَّ ما كان

فاربأ بنفسك عن مقالٍ قالهُ اهل التحولِ خالف المحسوسا
اخذوا بطارقة الخوارق وانثنوا يتخرصون دوارساً ودروسا
وذرِ التكهن والتعرف والرقى والسحرَ والتنجيمَ والتمجيسا
والجن والاملاك طرًّا والذي يدعونهُ في عرفهم ابليسا
واعمد الى الوجدان لاتعدل بهِ شيئاً ولو مطر الغمام طقوسا
فالدين ما سنَّ الضمير محذرًا يوماً على المتعطلين عبوسا
جلَّ الذي خلق الوجود واوجد الانسان حرًّا مثلهُ قدوسا
ان شاء نال كما يشاء سعادةً او شاء كان كما يشاء تعيسا
واذا نظرتَ الى الوجود رأيتهُ بالحب يحيا سائساً ومسوسا
ورأيت حبَّ الذات فيهِ لم يزل من يوم ربك للبقا ناموسا
والناس لولا حبهم للذات ما شربوا على بعض الامور كؤوسا
وبغير صرح الدين عند اليأس لا تجد النفوس معاذها مأنوسا
قالوا المجرب خير من وصف الدوا اني لذاك نخذ بقولي تُوسا
فانا الذي اتخذ المصائب خلةً واليأس خدناً والعذاب جليسا
والدين آخر ما يزول اذا اغتدت هذه العوالم ظلمةً حنديسا

تامر ملاَّط



اخلاق الشعراء

الشعر ديوان الامة وعنوان ادبها وبرهان اخلاقها وجامع تاريخها لهُ بين كل قوم مظهر وعند كل قبيل منزع . فان امتاز شعر الالمان بانهُ مباءة الحكمة ومدرك العقل الفعّال واشتهر شعر الانكليز بجودة بحثهِ في الاخلاق والاجتماعات واختص شعر الفرنسيس بالنسيب والتشبيب ووصف الطبيعة فاحسن ما أُثر عن العرب في الجاهلية والاسلام شعر الحماسة والمديح والهجاء ضروب من الشعر يرى فيها الناظر اكبر دليل على الاخلاق في كل عصر وخصوصاً في القرون الاخيرة. وقد زاد الشعراء الى رداءة التعبير والتصوير فساد القلب واختلال الضمير فكان ذلك منهم حشفاً وسوء كيلة

ان صحَّ ان التلوُّن في المشرب مستحكم من فئة فالشعراء في مقدمة من تغلب عليهم المطامع

في الخريف وهو يدعو فيهما كثيرين من الاهالي والاجانب رجالاً ونساء الى الجنائن الملكية في هما واكاساكا ويحضر اليها بنفسهِ هو والامبراطورة واهل البلاط

ومما يعني بهِ ايضاً الاعمال الخيرية وما يُخلّد بهِ مجد الوطن فقد جعل جمعية الصليب الاحمر تحت حمايتهِ الخاصة وحماية الامبراطورة وانشأ دارين تجمع فيهما غنائم الحروب كالآثار التي غنمها اليابانيون من بلاد الصين والاعلام التي مزقها الرصاص ولم يطرحها الجنود من ايديهم وصور القواد والضباط والجنود الذين استبسلوا في خدمة وطنهم وأُسمح لتلامذة المدارس ان يزوروا هذين المعرضين دواماً لكي يشبوا على حب المجد والفخار وكل ما يعلو بهِ شأن الوطن

حقيقة الدين

من عهد ايزيس وايزيريسا ... قبل المسيح وقبل شرعةِ موسى
بل قبلَ ذاك الناسُ دانوا بالذي ... دانوا وقد كان المجوس مجوسا
دان الفراعنُ قبل موسى وارتدى ... بالدين بوذا قبل مظهر عيسى
مذ كان خلقُ الناس كان الدين في ... ارواحهم متأصلاً مغروسا
فمضوا بهِ شتّى المذاهب شُرَّدًا ... يتخبطون دجنةً ديموسا
كثرت لهم وتجنَّست اربابهم ... فلو استوت جيشاً لكان خميسا
ما زال حبُّ الذاتِ يعمل فيهمِ ... حتى ادَّعوا لملوكهم تقديسا
فأبوا لهم الاَّ النبوة منزلاً ... وأَبوا لهم الاَّ التألُّهَ خِيسا
واذا بلغتَ من الخبيء رأيتَ ما ... عبدوهُ شيئاً واحدًا تأسيسا
رمزوا بهِ عن جوهرٍ مترفعٍ ... يحتاط ارواحاً لهم ونفوسا
فتصوروهُ لمبةً مشبوبةً ... وتخيلوهُ اشعةً وشموسا
ورأَوا بهِ عظم العظائم كلها ... والحسن اجمع والحجى والبوسا
فالزهرة الحسنا وميليتا وعشتاروت ... والعزّى الى ايزيسا
هبلٌ وبعلٌ قبلهُ وامون مع ... ديسارس نينوس مع جاويسا
والشمس والقمر المنير وانجم ... سعطت ونيران تشبُّ قبوسا
هي رمز شيء واحدٍ ولو انهم ... قد اكثروا التنويعَ والتجنيسا
معناهُ انَّ وراء علمك علةً ... ما زال فهمك دونها محبوسا

والفرزدق كان ميمون النقيبة شهد له يزيد بن المهلّب بانهُ ما رأى اشرف نفساً منهُ هجاهُ ملكاً ومدحهُ سوقةً . اما الحجاج فهو الذي اجمعت الامة على انهُ من اظلم الامراء وفيهِ يقول احد واصفيهِ لو فاضلت كل امة بمنافقيها لفضلناهم بالحجاج . قيل ان مَن قتل الحجاج صبرًا مائة وعشرون الفًا وقيل عُرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين الفًا لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب . فهل يؤوّل ما صدر عن الفرزدق بغير الطمع الاشعبيّ الذي يولي الشعراء وجهتهم اليهِ انّى تراءى لهم

قيل للخزيمي ما بال مدائحك لمحمد بن منصور احسن من مراثيك قال كنا حينئذٍ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء و بينهما بون بعيد. والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس ان كُثيّر عزّة والكُمَيْت بن زيد كانا شيعيين غاليين في التشيع وكانت مدائحهما في بني أُمية اشرف واجود منها في بني هاشم وما لذلك علة الاّ اسباب الطمع

ارأَيت ابا الطيّب المتنبيّ يمدح كافور الاخشيدي و يذمهُ . مدحهُ لما كان يرجوهُ من نوالهِ وذمهُ لما يئس منهُ وكذلك فعل مع سيف الدولة بن حمدان مع ان هذا عاملهُ معاملة قلما عوملها شاعر . فاين الاخلاق ؟ وهل يلام ذانك الممدوحان المهجوان في آن واحد اذا هما اعرضا عن مدح شاعرهما وذمهِ وعدّاهُ هراء مهوّس وهذيان مختلّ . ولكن من يهزّهُ الاطراء والثناء يؤذهِ الطعن والهجاء . وما اكبر المتنبيّ في مقدمات قصائدهِ من حكمهِ ونسيبهِ وما اصغرهُ في مدحهِ وقدحهِ فانهُ في الحال الثانية يشبه القرّاد الخرق الذي لا يرفع عقيرتهُ بالثناء الاّ على من يسبق فيرضخ لهُ بدريهمات . واين نفس المتنبيّ من نفس عقبة الازدي وقد قدم على معاوية ودفع اليهِ رقعة يقول فيها :

معاوي اننا بشرٌ فاسجح[1] فلسنا بالجبال ولا الحديدِ
اكلتم ارضنا فجردتموها فهل من قائم او من حصيدِ
اتطمع بالخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلودِ
فهبنا امةً هلكت ضياعاً يزيد اميرها وابو يزيدِ

قيل فدعا بهِ فقال ما جرّأك عليّ . قال نصحتك اذ غشوك وصدقتك اذ كذبوك . فقال ما اظنك الاّ صادقًا وقضى حوائجهُ

---

(١) الاسجاح حسن العفو ومنهُ المثل السائر في العفو عند المقدرة ملكت فاسجح وهو مرويّ عن عائشة قالته لعليّ (رض) يوم الجمل حين ظهر الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام فاجابتهُ ملكت فاسجح اي ظفرت فاحسن وقدرت فسهل واحسن العفو (تاج العروس)

ويحاولون بالفضول درك المأمول فيلبسون الباطل شعار الحق و يوغلون في المبالغة الغثة الباردة. قال لي احد الافاضل يوماً لو كان لي من الامر شيء لسللت السن الشعراء الاَّ قليلاً لانهم سنوا سُنَّة الكذب فعظموا ممدوحيهم ورفعوا اقدارهم الى ما لم يكن لهم في حسبان بلغوا بالملوك منازل الربوبية واثبتوا لهم العظمة والكمال واوهموهم ان في حياتهم حياة الوف الالوف من البشر وانهُ لا يستقيم الوجود بدون وجودهم الى ما ضارع ذلك من الاباطيل والاضاليل وراح بعضهم يتعذر بان اللُّها تفتح اللَّهي وان الانسان عُبَيْد الاحسان

لا ارحمُ الشعراء كلما رأيت العظماء يرهقونهم بما قدمتهُ ايديهم اذ قد اكسبوهم العزة والجبروت ومشوا كدوَّارة الهواء ذات اليمين وذات الشمال. ومَن اعان ظالماً سلطهُ الله عليهِ. ولطالما سيم زعماء القريض سوء العذاب وقَلَب لهم زعماء الحكم في حال غضبهم ظهر المجنّ فكانوا من الاخسرين اعمالاً. رثى الفرزدق الحجاج ليرضي بذلك الوليد بن عبد الملك ولما هلك الوليد واستخلف سليمان استعمل يزيد بن المهلب على العراق وامرهُ بقتل آل ابي عقيل فقتلهم فانشأ الفرزدق يقول:

لئن نفر الحجاج آل معتّبٍ ... لقوا دولة كان العدو يرى لها
لقد اصبح الاحياء منهم اذلةً ... وموتاهم في النار كلحاً سبالها[1]
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم ... فصار عليهم بالعذاب انتقالها
وكنا اذا قلنا اتقِ الله شمرت ... بهِ عزّة لا يستطاع جدالها
أَلكني[2] الى من كان بالصين اذ رمت ... بهِ الهند الواحاً عليها جلالها
هلمَّ الى الاسلام والعدل عندنا ... فقد مات من ارض العراق جبالها
الا تشكرون الله اذا فك عنكم ... اداهم[3] بالمهديّ صماً قفالها
وشيمت بهِ عنكم سيوف عليكم ... صباح مساء بالعذاب استلالها
واذ انتمُ من لم يقل هو كافر ... تردى نهاراً عثرة لا يُقالها

قال ابن عباس فقلت للفرزدق ما ادري باي قوليك نأخذ أَبمدحك الحجاج في حياتهِ ام هجوك لهُ بعد موتهِ. قال انما نكون مع احدهم ما كان الله معهُ فاذا تخلى عنهُ تخلينا عنهُ[4] هذا

---

(١) كلح كمنع كلوحاً وكلاحاً تكشر في عبوس والسبلة محركة الدائرة في وسط الشفة العليا او ما على الشارب من الشعر او طرفهُ او مجتمع الشاربين او ما على الذقن الى طرف اللحية كلها او مقدمها خاصة جمع سبال
(٢) قال ابن الانباري الكني الى فلان يراد بهِ ارسلني من الألوكة وهي الرسالة (٣) الاداهم جمع ادهم وهو القيد
(٤) اعتمدت في اكثر هذه الاخبار على روايات الكامل لابن الاثير والكامل للمبرّد والعقد الفريد لابن عبد ربهِ

لبني عصره وانطلاق حتى مع صنائعهِ وحاشيتهِ . الا ترى كيف دفن ابو جعفر المنصور سديفة بن ميمون حيًّا لانهُ كتب اليهِ ابياتًا مبهمة وهي

اسرفت في قتل الرعية ظالمًا فاكفف يديك اضلها مهديُّها
فلتأتينَّك راية حسنية جرَّارة يقتادها حسنيها

فانهُ كان للخليفة بعض العذر في وأد القائل وان لم يُعذَر سفاك في قصاص احد الشاعرين والكاتبين فقد عُرف من اخلاقهِ اعظم من هذا وكان هو هو خليقًا بان يسمّى السفاح فهو الذي اعطى الامان لابن هبيرة وكذلك فعل بعمهِ عبد الله بن علي وبابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية فخانهم كلهم حتى عابهُ التاريخ على فعلتهِ

***

عرَّف علماء البيان من الافرنج الهجاء بانهُ خطاب شعري يَحمِل فيهِ صاحبهُ على المعايب والنقائص ويقصد بهِ تقويم اود الناس والاهابة بهم الى مهيع السداد كما يَحمِل ايضًا على التآليف الرديئة والاحكام الكاذبة والاقيسة الفاسدة . واقبح ما في الهجاء ناتج من سوء استعمالهِ ومن تجوُّز الهجاء مما ليس من الهجاء في شيء فاذا حُصر الهجاء في دائرة ضيقة لايتعداها ينفع المجتمع المدني كما ينفع عالم الآداب والعالم. ومن حق الهجَّاء الحقيقي ان يَحمِل على الاخلاق الفاسدة في الجملة وعلى مفاسد المجتمع العامة لينتقم للاخلاق والفضيلة ويهزأ باسافل المؤلفين ارادة الانتقام للعقل الصحيح والذوق المليح دون ان يقصد الى اذلال الاشخاص وهتك استارهم والطعن في اعراضهم . وعلى الهجَّاء ان يقوم بوظيفتهِ بنغمة رصينة لاذعة او بصوت مداعب لطيف ويتحامى نشر فضائح الناس اذا اراد ان يكتب لهم دروس حكمة ينتفعون بضامينها وعليهِ ان يعنى بان لايثير هوى الاحقاد كل الاثارة على حين يحاول اخمادها وان لا يغري خبث البشر على الانبعاث ويستثير المكر من مكامنهِ بحجة انهُ يريد اصلاح المفاسد بالاستهزاء بها وان يبتعد في نقد التآليف من المساس بالشخصيات ويربأ بنفسهِ عن مزالق الغرض ويحمل كلامهُ على الاعمال لاعلى الرجال اه

قلت ولذا كان العرب يكرهون الهجاء ولا يرتاحون للتشبيب والغزل في صدر الاسلام ارتياحهم للمديح والفخر . قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن اخي انك شهرت بالشعر فاياك والتشبيب بالنساء فانك تعير الشريفة في قومها والعفيفة في نفسها والهجاء فانك لاتعدو ان تعادي كريمًا وتستثير بهِ لئيماً ولكن افخر بين قومك وقل من الامثال ما توقر بهِ نفسك وتؤدب بهِ غيرك . واقد شكا يزيد لابيهِ معاوية تشبيب عبد الرحمن بن حسان بابنتهِ رملة

جاء في أُسد الغابة ان سعد بن ابي وقاص لما اعتزل فتنة عثمان ولم يكن مع احد من الطوائف المتحاربة طمع فيهِ معاوية وفي عبدالله بن عمر وفي محمد بن مسلمة فكتب اليهم يدعوهم الى ان يعينوهُ على الطلب بدم عثمان ويقول انكم لا تكفّرون ما اتيتم من خذلانهِ الاَّ بذلك فاجابهُ كل واحد منهم يرد عليهِ ما جاء بهِ وكتب اليهِ سعد :

معاوي داؤُك الداءُ العياءُ وليس لما تجيءُ بهِ دواءُ
ايدعوني ابو حسنٍ عليٌّ فلم اردد عليهِ ما يشاءُ
وقلتُ لهُ أعطني سيفاً قصيراً تميز بهِ العداوة والولاءُ
اتطمع في الذي اعيا عليّاً على ما قد طمعت بهِ العفاءُ
ليومٌ منهُ خيرٌ منك حيّاً وميتاً انت للمرءِ الفداءُ

ويروى عن ابي عمرو بن العلاء لما سأَلهُ سليمان بن علي عمّ السفاح عن شيء فصدقهُ فلم يعجبهُ فوجد (اي غضب) ابو عمرو في نفسهِ وخرج وهو يقول :

أنفت من الذل عند الملوك وانْ اكرموني وان قرّبوا
اذا ما صدقتهم خفتهم ويرضون منيَ ان يُكذَبوا

اسرف الحسين بن الضحاك في مراثي الامين وذمّ المأمون مع ان الفرق بين الاخوين ابعد من الخافقين فحجبهُ المأمون مدة ولم يسمع مديحهُ ثم احضرهُ يوماً وسأَلهُ عما كان من امرهِ فقال لهُ يا امير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فاجأَتني ونعمة سلبتها بعد ان غمرتني واحسان شكرتهُ فانطقني وسيد فقدتهُ فاقلقني فان عاقبت فبحقك وان عفوت فبفضلك . فدمعت عين المأمون وقال قد عفوت عنك وامرت بادرار ارزاقك عليك وعطائك ما فاتك متمماً وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك ثم ان المأمون رضي عنهُ وسمع مديحهُ

ولقد جرى على عكس ذلك الوزير ابن وهب وزير المعتضد لما خاف من هجو ابن الرومي وفلتات لسانهِ بالفحش فدسّ عليهِ ابن فراش فاطعمهُ خشنكنانجة مسمومة وهو في مجلسهِ فلما اكلها احسّ بالسم فقام فقال لهُ الوزير الى اين تذهب فقال الى الموضع الذي بعثتني اليهِ فقال لهُ سلّم لي على والدي فقال ما طريقي على النار . والوزير كما ذكرهُ ابن خلكان كان عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكاً للدماء وكان الكبير والصغير منهُ على وجل لا يعرف احداً من ارباب الاموال الاَّ نقمهُ

ولكن هي اخلاق المأمون ربت الضحاك ودمثت طباعهُ وضعف رأي ابن وهب قضت على ابن الرومي واذاقتهُ حتفهُ . غير انهُ قلَّ في الملوك من اعطى الناس حرية كحرية المأمون

وقلت لامرأتي

أُطوِّف ما اطوِّف ثم آوي الى بيت قعيدتهُ لكاعِ

فقال عمر فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحتهُ فقلت :

ابت شفتاي اليوم الاَّ تكلماً بسوءٍ فما ادري لمن انا قائلهُ

ارى لي وجهاً قبّح الله خلقهُ فقبِّح من وجهٍ وقبح حاملهُ

ولما بلغ التهاجي بين عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن ام الحكم ارسل يزيد بن معاوية الى كعب بن جعيل فقال لهُ ان عبد الرحمن بن حسان فضح عبد الرحمن بن ام الحكم فاهجُ الانصار فقال ارادِيّ انت الى الاشراك بعد الايمان لا اهجو قوماً نصروا رسول الله (ص) ولكن ادلك على غلام مناصري فدلّهُ على الاخطل فارسل اليهِ فهجا الانصار وقال فيهم :

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الانصارِ

وكان مع معاوية النعمان بن بشير الانصاري فلما بلغهُ الشعر اقبل حتى دخل على معاوية ثم حسر العمامة عن رأسهِ وقال يا معاوية هل ترى من لؤم قال ما ارى الاَّ كرماً قال فما الذي يقول فينا عبد الاراقم ذهبت قريش البيت قال قد حكّمتك فيهِ قال والله لارضيت الاَّ بقطع لسانهُ ثم قال :

معاويَ الاَّ تعطنا الحق نعترف لحى الاسد مشدوداً عليها العمائمُ

ايشتمنا عبد الاراقم ظلمةً وماذا الذي تجري عليك الاراقمُ

فما ليَ ثار دون قطع لسانهِ فدونك من ترضيهِ عنك الدراهمُ

فقال معاوية قد وهبتك لسانهُ وبلغ الاخطل فلجأ الى يزيد بن معاوية فركب يزيد الى النعمان فاستوهبهُ اياهُ فوهبهُ لهُ . وقد هجا الانصار معاوية "باشدّ من وخز الاسل" كما قال وفرّعوهُ لما عاتبهم على ذلك باشد من طعن الابر

وما أبعد ان الامويين لم يجدوا شاعراً يمدحهم ويذم اعداءهم الاَّ الحطيئة وهو شاعر متوسط الشعر. وكان الكميت بن يزيد يمدح بني هاشم ويعرّض ببني أُمية فطلبهُ هشام فهرب منهُ عشرين سنة لا يستقر بهِ القرار من خوف هشام . وكان مسلمة بن عبد الملك لهُ على هشام حاجة في كل يوم يقضيها لهُ ولا يردهُ فيها فلما خرج مسلمة بن عبد الملك يوماً الى بعض صيودهِ اتى الناس يسلمون عليهِ واتاهُ الكميت بن زيد فانشدهُ شعراً يمدحهُ بهِ ويأمل الخير على يديهِ فادخلهُ الى هشام وخطب امامهُ خطبة دعت الى ان يرضى عنهُ ويجزل عطاءهُ . ومن العجب

في ابيات يقول فيها" وهي بيضاء مثل لؤلؤة الغواص" فقال لهُ هلاَّ تبعث اليهِ من يأتيك برأسهِ قال يابُنيّ لو فعلت ذلك لكان اشد عليك لانهُ يكون سبباً للخوض في ذكره فيكثر مكثر ويزيد اضرب عن هذا صفحاً واطوِ دونهُ كشحاً . ولما شبب عبيد الله بن قيس بعاتكة ابنة يزيد لم يعرض لهُ للذي تقدم من وصاية ابيهِ معاوية في رملة. وكذلك فعل الحجاج واغضى عن محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكأنهُ ارتاع منهُ لما رآهُ لانهُ كان يشبب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج . هكذا كان اساطين اهل العزة والشدة مثل معاوية والحجاج يعاملون من يشبب بمحارمهم اغضاء واعراضاً لامراعاة لحرية الضمير والقول . وقد كانت الاخلاق على عهد عمر بن الخطاب على غير ذلك في هذا المعنى فقد هجا الحطيئة الشاعر النصراني الزبرقان بن بدر احد الصحابة بشعر قال فيهِ

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فاستعدى عليهِ عمر وانشدهُ البيت فقال ما ارى بهِ بأساً قال الزبرقان والله يا امير المؤمنين ما هجيت ببيت قط اشدّ عليَّ منهُ . ولم يكن عمر يجهل موضع الهجاء في هذا البيت ولكن كره ان يتعرض لشأنهِ فبعث الى شاعر مثلهُ وامر بالحطيئة الى الحبس وقال ياخبيث لاشغلنك عن اعراض المسلمين فكتب اليهِ من الحبس يقول:

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ [1] زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ
انت الامام الذي من بعد صاحبهِ القت اليك مقاليد النهى البشرُ
ما آثروك بها اذ قدموك لها لكن لانفسهم قد كانت الاثرُ

فامر باطلاقهِ واخذ عليهِ ان لا يهجو مسلماً . ويروى ان عمر لما بعث اليهِ الحطيئة بشعرهِ رقَّ لهُ فاخرجهُ وقيل ان عمر دعا بكرسي فجلس عليهِ ودعا بالحطيئة فاجلسهُ بين يديهِ ودعا باشفى وشفرة [2] يوهمهُ انهُ عزم على قطع لسانهِ حتى ضجَّ من ذاك فكان فيما قال الحطيئة يا امير المؤمنين اني والله قد هجوت ابي وامي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي فتبسم عمر ثم قال لهُ فما الذي قلت قال قلت لامي:

تنحي فاجلسي مني بعيداً اراح الله منك العالمينا
أغربالاً اذا استودعتِ سرّاً وكانوناً على المتحدثينا

(١) ذو مرخ محركة واد بالحجاز (٢) الاشفى المثقب والسراد يخرز بهِ ويؤنث والشفرة السكين العظيم

وفسادها بلسان من جوامع الكلم يتغنى بهِ الطفل في ملعبهِ والرجل في حقلهِ ودكانهِ ومصنعهِ والمرأة وراء سرير ولدها وفي بيتها . ها قد نظم بعض الشعراء ممَّن سلف الالماع اليهم آنفًا ابياتًا مابرح الناس يتناقلونها جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن فهلاَّ اقتدى بعض شعرائنا بهم وخاطبوا الشعور والعواطف وسعوا الى ترقية الافكار والوجدانات وكفوا اذاننا مؤُونة استماع الاماديح والاهاجي والمراثي

متى نبغ بيننا شاعر مثل غوركي الروسي الذي اخذ على نفسهِ الطواف في بلاد روسيا ونظم القصائد الرنانة في الشكوى من ظلم الظالمين والضرب على ايدي المستبدين المسرفين يعلمها الفلاحين والمدنيين وحكومتهُ تقتص اثرهُ منذ سنين وكلما زادت في تأثرهِ زاد تأثرًا وجرأة وضاعف حملاتهِ على من هم الخراب في اعمدة العمران والداء الدوي في جسم الانسان• متى نبغ بين اظهرنا شعراء كالشاعرين شيلر وكيتي الالمانيين اللذين بلغا بامتهما بما نظما مبلغًا رفيعًا من الحضارة ومتى قام بين ظهرانينا شعراء كڤولتير وجان جاك روسو قلبا هيئة فرنسا ونظامها المدني والديني — متى نبغ امثال هؤلاء فقل يومئذ بان اخلاق الشعراء ارتقت وانهُ يرجى لنا الخير في القريب العاجل

يا اسفًا كل الاسف للشعر الجيد يصرفهُ شاعرهُ في سوق الكساد يبيعهُ من امير ما اظنهُ يقدرهُ قدرهُ تعلَّق بهِ ونُسب اليهِ نسبة ابي نواس وابي العتاهية لهارون الرشيد وراح يعطيهِ في كل شارقة وبارقة من ضروب الاطراء ما لا يكاد يليق بالرشيد والمأمون وهو مع هذا لاينال من ممدوحهِ لقاء عنايتهِ ثمن الورقة ولا كفارة الكذب • وما كان الاجدر بديوانهِ لو قصر على الحكم والامثال واصلاح الحال والمآل لو فعل هذا لاتخذ البدو والحضر شعرهُ اغاني يتغنون بها في افراحهم واتراحهم وعدوهُ صناجة العرب ونديم الطرب . والامة التي لاتطرب لجيد القول لاتعرف للشعور معني ولا تقيم للاحساس وزنًا

ولو ان اهل (الشعر) صانوهُ صانهم ولو عظموهُ في النفوس لعُظِّما
ولكن اهانوهُ فهان ودنسوا محياهُ بالاطماع حتى تجهَّما

دمشق محمد كرد علي

ان الكميت يخاف هشاماً عشرين عاماً ودعبل الشاعر يقول اني لاحمل خشبتي منذ خمسين عاماً ولا اجد من يصلبني عليها

هذا وقد جرت العادة ان يختص كل شاعر بدولة او امير او عظيم يجعلهُ بيت قصيدهِ ومحك قريحتهِ و يعادي من يعادي ويواد من يواد · ولقد ركب الفقيه عمارة بن علي اليمني متن عماية في مدحهِ الدولة الفاطمية وتعريضهِ بدولة صلاح الدين يوسف لما دكّ هذا معالمها في مصر فاغرى بعض رجال القطر في ذاك العصر ومنهم قاضي القضاة هبة الله بن الكامل وعبد الصمد الكاتب وداعي الدعاء ابن عبد القوي و بعض امراء صلاح الدين على القول بقولهِ وكاتبوا الافرنج ليقدموا و يشتغل بهم صلاح لدين ليعيدوا بذلك الحكومة العبيدية فلما اكتشف الملك الناصر ما دبروهُ صلبهم كلهم · على انهُ لم يختلف نقدة التاريخ في ان دولة صلاح الدين كانت صلاحاً للدين والدولة · وقيل انهُ نسب اليهِ بيت من قصيدة ذكروا انهُ يقول فيها :

قد كان اول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوهُ سيد الامم

قال العماد و يجوز ان يكون هذا البيت معمولاً عليهِ فافتى فقهاء مصر بقتلهِ وحرضوا السلطان على المثلة بمثلهِ . وفي الحديث رواية عن الحسن البصري لا تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفهِ ما لم يمارِ قراؤُها امراءها ولم يترك صلحاؤُها فجارها ولم يمارِ اخيارها اشرارها فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يدهُ ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعباً

هذا ما علق في صحيفة الذاكرة من احوال شعراء العرب قديماً ومنها يؤْخذ شيءٌ في اخلاقهم واخلاق امرائهم · والامة بعظمائها ورؤَسائها بل بعلمائها وشعرائها . بقي ان اقول هل ارتقت الحال في العصور المتأخرة عن ذي قبل وشرع شعراؤُنا يمدحون بعقل ويهجون بروية فالجواب ان الشعر نموذج من ارتقاء الامة واذ قد بلغت الامة في القرون الحديثة اقصى دركات الانحطاط فالشعر كان لهُ مثل هذا الحظ ولم تعد اليهِ بعض حياتهِ السالفة الاَّ منذ نحو خمسين عاماً وقد نبغ في مصر والشام شعراء قلما جاء مثلهم منذ ستة قرون وتجرد بعضهم عن الدنايا وانشأوا يدخلون الى العيش من ابوابهِ يمدحون ويهجون ويشببون و يصفون والصدق رائدهم في الغالب . خلِّ عنك من قلدوا الافرنج في منظوماتهم وموضوعاتهم بحيث انقلبت ديباجة الشعر العربي في بضع سنين وغدا الشاعر الذي يضرب على منوال شعراء القرون الوسطى مبتذلاً لا يؤْبه لهُ . فعسى ان يظلَّ شعراؤُنا متوفرين على تربية نفوسهم توفرهم على ترقية مناهجهم الشعرية وحبذا يوم ينبغ فيهِ للامة شعراء يهدونها سبيل رشادها و يصفون لها ضعفها

اليونان تسوَّر اسوار اكربوليس سنة ١٨٢٢ احبطت كلاب الجنود التركية عملهم

وسنة ١٨٨٢ اخذ النمسويون يربون الكلاب الدلماطية ويستخدمونها في الاستدلال على اللصوص وقطاع الطرق واكتشاف مكامن الاعداء . ولما زحف الجنرال سكوبلف الروسي على حصن جيوك تبي كان التركمان يفاجئونهُ المرَّة بعد المرَّة فاستعان بالكلاب للاستدلال عليهم وكفي شرهم

وقد مضى على الالمانيين الآن عشرون سنة وهم يعلمون كلاب الحرب ويمرنونها واقتدى بهم الايطاليون والروس والفرنسويون والاسبانيون والهولنديون ثم اقتدى بهم الاميركيون في جزائر فيلبين

وتعلَّم كلاب الحرب الآن للاستكشاف فتسير مع طليعة الجيش وسافتهِ وجناحيهِ وتنقل ١
الاخبار والاستعلامات من جانب الى آخر هذا هو الغرض الاول الذي تستخدم لهُ. والغرض
الثاني ان تحذير النقط الامامية اذا دنا منها العدو وحمل اخبارها الى الجيش . والغرض الثالث ٢
حمل الرصاص والبارود وارسالها الى الجنود وقت اطلاق البنادق . والرابع حراسة الابراج ٣
والحصون وقت الحصار فتغني عن عدد كبير من الحرَّاس والرقباء وتحمل الرسائل من الجنود ٤
المحصورة الى الجنود البعيدة عنها . والخامس التفتيش عن الجرحى والمفقودين بعد المعارك ٥
والارشاد اليهم وتقديم المساعدة لهم الى ان تصلهم المساعدة الطبية وهذا اهم الاغراض التي تربى لها كلاب الحرب الآن

والكلاب صنوف شتى وليس في انواع الحيوان نوع تختلف صنوفهُ كالكلب حتى قال بعض علماء الطبيعة انهُ غير متولد من اصل واحد بل من اصلين او اكثر . وقد اختلفت الدول في الاصناف التي اعتمدت عليها فالروس اعتمدوا على كلب القوقاس والنمسويون على كلب دلماطيا والترك على كلب الرعاة الاسيوي والالمان على كلب الرعاة وكلب الصيد . والفرنسويون على كلب المهربين . والظاهر ان كلب الرعاة اصلح الكلاب كلها للاغراض التي نقصد منها في الحرب ولا سيما اذا كان اسود اللون لكي لا يبين من بعيد وتفضل الاناث على الذكور لانها اسهل تعلُّماً من الذكور واشد تعلقاً باصحابها

وقد دلَّت التجارب على ان فوائد كلاب الحرب تفوق الوصف فمهما كانت البلاد وعرة يتعذَّر على الكشافة السير فيها ومهما كان فيها من الانهار والغدران والحراج والادغال فالكلاب تقطعها وتكتشف كل كمين فيها . وقد ينجو جيش برمتهِ من الهلكة بواسطة كلب واحد . وزد على ذلك ان الكلب سريع العدو فاذا استروح العدو عاد الى اصحابهِ ودلهم عليهِ قبلما يتهيأ

الكلاب في الحرب

بينا نرى فريقاً من اهل النظر يقضي بقتل الكلاب وفرض نوعها استغناء عنها في حراسة البيوت وتخلصاً من اذاها اذا كلبت نرى فريقاً آخر يشير باستخدامها في اكبر مهام الناس في الحرب والجلاد والذود عن مصالح العباد لانها يقظة صبورة امينة دقيقة الشم سريعة الجري تفدي صاحبها بنفسها ولا تنسى شيئاً عُلِّمتهُ ولذلك فمن استخدامها في الحروب فائدة كبيرة .

وقد استخدمها الاقدمون في حروبهم . ذكر فلوطرخس المؤرخ اليوناني وبلنيوس الكاتب الروماني انها كانت كثيرة الاستعمال في الحروب القديمة. فاستخدمها اجسيلاوس ملك اسبرطه في حصار منتينيا احدى مدن المورة التي حدثت عندها الواقعة الشهيرة سنة ٣٦٣ قبل المسيح. واستخدمها كمبيسس ملك الفرس لما غزا مصر . وقال فجتيوس الكاتب الروماني ان الكلاب كانت تقام في ابراج الحصون لكي تحذّر الحامية اذا اقترب العدو منها . ووُجد في خرائب هركولانيوم صورة كلب من كلاب الحرب وعلى بدنهِ درع وهو يحمي احد مواقف الرومانيين من البرابرة. وكان اهالي فرنسا القدماء يستخدمون الكلاب في حروبهم و يسبغون عليها الدروع المنيعة وقاية لها . وكان عند اتلا ملك الهن كثير من الكلاب الشرسة لحماية جيشهِ

واكثر الناس من استخدام كلاب الحرب في القرون الوسطى وكانوا يلبسونها الدروع ويربطون بها الحراب والخناجر او مدى كنصال السهام العقفاء فتدخل بين فرسان العدو وتوقع فيها التشويش والاضطراب او كانوا يربطون بها المشاعل ويطلقونها في مخيم العدو لتحرقهُ كما فعل شمشون على ما جاء في التوراة . ولما نشبت الحرب بين سويسرا وبرغندي سنة ١٤٧٦ هاجمت كلاب سويسرا كلاب برغندي في واقعة غرنوسن ثم في واقعة مورتن فدارت الدائرة على كلاب برغندي وعلى دوق برغندي ورجالهِ

ولما كشفت اميركا جعل الاسبانيون يستخدمون الكلاب لاقتفاء آثار الهنود والايقاع بهم والكلاب التي استخدموها لهذا الغرض من النوع المسمَّى بالكلب الدموي وهو اضرى انواعها

وفي سنة ١٥١٨ ارسل ملك انكلترا ٤٠٠٠ كلب الى ملك اسبانيا كارلس الخامس ليستعين بها على محاربة فرنسيس الاول ملك فرنسا فوضعها في طليعة جيشهِ وناوشت كلاب الجنود الفرنسوية وفتكت بها

وكان الاتراك يستخدمون الكلاب للكشف والاستطلاع وقد استخدمها نبوليون لهذه الغاية في حروب ايطاليا واشتهر واحد منها اسمهُ مستاش في اكتشاف الجواسيس . ولما حاول ثوّار

الاوبئة والامراض الغالبة في سورية

من رسالة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع علم الامراض الوافدة في لندن . تليت في المجمع الملكي الخاص بعلم الصحة العمومية

المذهب الباشلي في اصل الاوبئة والامراض المعدية حديث العهد ومن المفيد ان ننظر الى ما ذهب اليهِ الاقدمون في سبب الامراض وكان المعوَّل عليهِ عند الاطباء الى هذه الايام الاخيرة. واقدم الاقوال في هذا الشأن ما ورد في كتب ابقراط ابي الطب وبقي شائعاً بلا تغيير يذكر الى زمن اكتشاف الاسباب المكروبية. وخلاصة ما كتبهُ ابقراط في ذلك هو على ما يأتي

١ في الهواء روح او اصل حيوي [(١)] منتشر فيهِ يدخل الجسد بواسطة النفس ويمتد الى جميع اجزائهِ بواسطة قوة القلب الدافعة لهُ في الشرايين الى اقاصي البدن فيكسبهُ الحياة وبقي هذا القول مرعيًّا الى زمن هرفي الذي اكتشف حقائق الدورة الدموية

٢ قسم ابقراط الحميات الى قسمين الحمَّى المتفرقة او المفردة التي تصيب الافراد والوافدة التي تصيب كثيرين في زمن واحد (كتابهُ في الاهوية)

٣ متى كانت الحمَّى مفردة فسببها الغالب كثرة الطعام الذي يكثر فيهِ الروح الحيوي فينتج عن ذلك البرد الذي يسبق الحمى ولاجل مقاومة هذا البرد يجري الدم الى الاحشاء والجلد فتشتدّ الحرارة فيها ويخرج ما زاد من الروح بواسطة التنفس غير انهُ حيث يتكاثر الدم في بعض الاحشاء يكون ذلك سببًا للاحتقان او الالتهاب او النزف

٤ سبب الامراض الوافدة هواء موبوء او أبخرة فاسدة فيكون الكل حينئذٍ عرضةً للوباء ولكن لا يصاب بهِ الاَّ من كان فيهِ استعداد لهُ . وعلى ذلك لا يتسبب المرض اثناء الوباء من نوع المعيشة بل من تنفس المادة المرضية فيكون من العبث تبديل المعيشة وانما يجب تجنب الهواء الموبوء ما امكن والافضل هجر الاماكن التي ينتشر فيها الوباء

٥ وفي كتابهِ الاول والثالث في الامراض الوافدة حكم بالتأثير العظيم فيها للمكان يسمَّى باختلاف نظام الفصول فقال " انهُ من المهم في صناعتنا اعتبار الطبائع المختلفة للفصول والامراض وعلاقة الاولى بالثانية . والنظر في كيفية تأثير الفصل في زيادة المرض او خفتهِ وفي تطويلهِ او تعجيلهِ "

(١) وهو الروح الحيواني الذي عرَّفهُ ابو البقاء في الكليات بقولهِ انهُ جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب (الشرايين) الى سائر اجزاء البدن

للقائهم واذا اريد فحص المدن والقرى لاكتشاف الاعداء فيها فالكلاب تدخل البيوت والاهراء وتفتش الجنائن وكوم التبن والقش . ويزيد نفعها ليلاً اذا اشتدت الظلمة او وقع المطر فان الكشافة لا يفيدون حينئذٍ مثل الكلاب لانهُ احدُّ منهم سمعاً وشماً . ولا يطمئن بال الجيش في الليلة الظلماء ولا يغمض لهُ جفن اذا خاف من تبييت الاعداء لهُ واما اذا كانت معهُ كلاب تستروحهم عن بعدٍ وتحذرهُ منهم نام مطمئن البال . واذا ضلَّ كلب الطريق سهل عليهِ الاهتداء واما الكشافة فاذا ضلّت تعذّر عليها الاهتداء الاّ بعد التعب الشاق . واذا كان الكشافة من المشاة فلا غنى لهم عن كلاب الحرب لانهم اذا وقعوا في كمين تعذّر عليهم النجاة منهُ

هذا من حيث الاستكشاف اما نقل الاخبار بين اجزاء الجيش فالاعتماد فيها على التلغراف والهليوغراف اذا كانت المسافات بعيدة وعلى الفرسان اذا كانت قريبة لكن قد لا يستغني الجيش عن الفرسان ليستخدمهم لنقل الاخبار فيستخدم الكلاب لنقلها تكتب الرسالة وتعلق في طوق الكلب فيعدو بها ويوصلها الى الرجل الذي يراد ارسالها اليهِ فيقوم مقام حمام الزاجل ويفضلهُ لانهُ يعود بالجواب بين المتراسلين وحمام الزاجل لا يفعل ذلك

وللحراسة والتنبيه شأن كبير في الحروب الحديثة خوفاً من تبييت العدو لان الجيش الهاجم اذا اتخذ الليل ستاراً وبيّت المهاجَم تبييتاً اي هاجمهُ ليلاً سلم من نارهِ وقت الهجوم والاَّ فاذا درى بهِ المهاجَم وصب عليهِ ناراً حامية لم يستطع الدنو منهُ والحرّاس قلما يُعتمد عليهم حينئذٍ لانهُ قد يغلبهم النعاس فيوقع بهم العدو قبلما يستيقظون وينبهون رجالهم . اما الكلب فيدري بمجيء العدو وهو على اربع مئة متر او خمس مئة متر ولذلك تُقام الكلاب مع الحرّاس للحراسة على مئتي متر من المخيَّم فيأمن تبييت العدو لهُ

اما الاستدلال على الجرحى فلهُ الشأن الاكبر في الحروب الحديثة التي طال مدى بنادقها حتى صار الجنود يصابون بالرصاص وهم في اماكن بعيدة متفرقة وقد لا يهتدى اليهم او لا يصل اليهم احد الاَّ بعد ان ينزف دمهم فلا فائدة من تقدم الوسائل الطبية والجراحية ما لم يسهل الاستدلال على الجرحى والوصول اليهم قبلما يقضى عليهم . ويكون مع الكلب شيءٌ من الربائط حتى اذا كان الجريح قادراً على استعمال يديهِ اخذها منهُ وربط جراحهُ بها الى ان يصل اليهِ الرجال وينقلوهُ الى حيث يعالج

والكلاب مستعملة الآن في الحرب بين الروس واليابان فالروس يستعملونها للحراسة ولارسال الرسائل واليابانيون يستعملونها للاستكشاف . ومع الالمان في بلاد الهريرو في افريقية مئتا كلب لهذه الغايات . انتهى ملخصاً من مقالة للماجور رتشردصن في مجلة القرن التاسع عشر

علة ذلك ولربما يكون له علاقة بحياة ميكروب الكوليرا. ومما يستحق الذكر ملاحظتان لاحظتهما في امر الكوليرا في بيروت. الاولى ان مياه الشرب فيها الآن من نهر الكلب فتأتي مصفاة مرشحة ضمن انابيب من الحديد. وبما ان هذه المدينة قد نجت مرارًا من الكوليرا التي اصابت جميع البلاد والمدن حولها فتقرر في الاذهان ان الهواء الاصفر ينتشر بواسطة الماء الملوث بجراثيمهِ وان نقاوة ماء الشرب في بيروت هي علة نجاة هذه المدينة الكبيرة من الوباء المذكور وعليهِ فقد صمم اهل البلاد المجاورة على اتباع خطة بيروت في جرّ الماء توقيًا من الاوبئة. والملاحظة الثانية دوام العلة طويلاً حيث الماء جارٍ يجرف المواد المرضية وينقلها من مكان الى آخر كما هو الحال في دمشق حيث استمر الوباء ١٨ شهرًا. واما بقاء العلة مدةً غير المعهودة فيها عادةً فيمكن التعليل عنهُ بانَّ الفقراء من الاهالي يستعملون ماء الآبار التي يسهل تلوثها بالمادة المرضية او يستعملون ماءً جاريًا تتصل اليهِ العدوى من اماكن اخرى فيتكرر عودها اليهم. ومن العوامل التي قد يسري بواسطتها الداء الخضر والاثمار والخبز وما من قبيلها مما يعرض للبيع في الاسواق فقد ينقل اليها الذباب جراثيم المرض من مفرزات المصابين فتدخل الى اجواف متناوليها ويصابون بالعلة. وفي زمن المرض تشتد الاوامر من المجالس البلدية بالكنس والتنظيف ورش الحامض الكربوليك ونزع الاقذار وابعادها وتحريض الاهالي على شرب الماء المغلي. وهذه الاحتياطات قد تنفع بتقليل جراثيم الوباء وتحسين حالة الصحة العمومية ولكنها لا تتقن ولا يعلم مقدار فعلها في مقاومة المرض. ومثل ذلك يقال في المحاجر على الشطوط البحرية والنطق الصحية التي يُقصد بها حفظ السواحل من الوباء وهو في داخلية البلاد. فالمحاجر قد تنفع في الوقاية واما النطق الصحية فلا نفع منها وخير من ذلك المراقبة الطبية على المراكب الآتية من البلدان الموبوءة وفصل المرضى عن الاصحاء وما يتبع ذلك من التدابير الاحتياطية الصحية وتنظيف المساكن وتطهيرها واتباع القواعد الهيجينية كما هو جارٍ في البلدان المتمدنة

(الحمى التيفويدية) هذه العلة تحسب مستوطنةً اكثر مما هي وافدةٌ. على انها تتخذ احيانًا طورًا شديدًا وتنتشر انتشارًا مخيفًا حتى تعدّ وافدة. ومتى كانت افراديةً تجيء غالبًا خفيفةً واذا عولجت بالوسائط الهيجينية اكثر مما بالعقاقير الشديدة الفعل كانت سليمة غالبًا. وهي كالكوليرا تدخل جراثيمها الامعاء وتخرج منها فاذا صادفت ماءً وشربهُ الناس انتقلت اليهم وانتشرت بينهم. وفدت الى مدينة بيروت سنة ١٨٩٥ وفودًا هائلاً فأُصيب بها نحو الفي نفس في وقت واحد. ولا يعلل ذلك الاَّ بان جراثيم العلة وصلت الى مياه نهر الكلب قبل وصولهِ الى الضبية فشرب الناس منهُ واصيبوا بالحمى

وابن سينا الذي نقل كثيراً عن ابقراط وجالينوس يقول ان اسباب العلل الوبائية انما هي بعض تعفن يعرض في الهواء يشبه تعفن الماء المستنقع الآجن الحاوي مادةً غير نقية في حالة الانحلال وان الروائح الكريهة المنبعثة من الآجام والمسالخ وساحات القتال تحمل الى اماكن جيدة الهواء فتحدث وباء. وما عدا ذلك فالماء الذي يحمله الهواء كثيراً او قليلاً قد يصير مقرّ الانحلال والفساد لاسباب جوية . فانحراف الفصول عن حالتها الطبيعية على قوله يحصل عند ما يكون الشتاء والربيع ناشفين والربيع بارداً والغيوم متلبدة لا مطر معها. والنهار حارًّا والليل بارداً وتقلب الطقس غالباً فجائيًّا

وبقي هذا المذهب شائعاً الى القرن الثامن عشر فقد قال بهِ بورهاف وهو اشهر طبيب من اطباء ذلك القرن ناسباً الى الفصول التغيرات التي تطرأ على الصحة والعلل التي تعم الاقطار. وفي اواخر القرن المذكور كان كولن الشهير استاذاً في ادنبرج وكان يعتقد بان اسباب الاوبئة ذرّات هائمة في الهواء منبعثة من جسم المريض. واما الآن فالرأي المعوّل عليهِ في جميع الاقطار المتمدنة ان اصل الاوبئة والعلل السارية انما هو باشلي او مكروبي او طفيلي

الوافدات الاعتيادية كالدفثيريا والشهقة والتهاب الغدة النكفية وغيرها تكثر في سورية كما في غيرها فلا لزوم للبحث عنها بحثاً خاصًّا . وكذلك يقال في الحميات الطفحية ما عدا القرمزية التي لا توجد هنا او قلما تشاهد . واما الحمى التيفوسية التي كانت تنتشر على هيئة وباء في قديم الايام حيث كان الفقر مدقعاً والشقاء سائداً والقذر مالئاً البيوت حتى في المدن فقد اصبحت الآن بفضل التحسين في الاحوال الصحية قريبة من الاضمحلال . على انها قد تحصل من وقت الى آخر في بعض الجهات وتنتقل منها الى غيرها كما جاءت الى بيروت منذ بضع سنين مع المهاجرين المغاربة الذين وفدوا من شمالي افريقية وهم مصابون بها فانتشرت بواسطتهم بين الاهالي ومات من الفريقين عددٌ عديدٌ ثم اختفى اثرها تماماً. واهم الاوبئة واكثرها انتشاراً واشدها بطشاً في هذه البلاد الكوليرا والحمى التيفويدية والجدري والطاعون كما سيجيء

(الكوليرا) فشت هذه الوافدة اول مرة ثم صارت تظهر مرةً كل بضع سنين آتية على الغالب من القطر المصري وفي بعض هجماتها كانت شديدة الوطأة اماتت عدداً عظيماً من اهالي الشام وحلب وحماه وطرابلس وكان سكان قرى لبنان ينجون منها ما خلا بعض الذين هاجروا اليهِ من المدن الموبوءة وسبب ذلك جودة المياه ونقاوتها فانها تتدفق من ينابيع صافية من قلب الجبل. ومما لاحظتهُ تكراراً ان دوام كل وافدةٍ كان ١٢ اسبوعاً. فتزيد الوافدة في الثلاثة الاسابيع الاولى وتبلغ معظمها في الثلاثة التالية . ثم تأخذ بالتناقص حتى تتلاشى ومن الصعب معرفة

هجماتهِ حتى اصبح في ايامنا نادر الحدوث ولم يعد لهُ ذلك الفتك المهول · ولم تزل لهُ آثار في الهند ومصر وغيرها وقد زار بيروت آتياً من القطر المصري مرتين في هذه السنين الاخيرة فارتد خائباً في كلتيهما ولم تزد حوادثهُ على ١٢ حادثة انتهى اكثرها بالبرء التام

ان فعل الجرذان في نقل باشلوس الطاعون الى الانسان قد صار محققاً الآن على انهُ كان ايضاً معروفاً من قديم الزمان · ففي كتاب الهنود المقدس ذُكر " انهُ عند ما تشاهد الجرذان تتساقط من السقوف وتقفز ثم تموت يجب على الناس ان يهجروا البيوت ويتركوا الاصحاب والعلائق ويخرجوا الى البرية " · وقد اشار ابن سينا الى مثل ذلك بقولهِ " ان الجرذان تهجر اوكارها وتخرج حائرةً " عند ظهور الطاعون · ومن الغريب ان الشاعر العربي يشير عن غير قصد الى انتيتكسين هفكين ومصل غيرهِ في قولهِ

لكل شيء آفةٌ من جنسهِ حتى الحديد سطا عليهِ المبردُ

وعند ما يدخل الطاعون بلدةً يخرج منها الاغنياء مجتنبين العدوى · وهذه هي نصيحة جميع الحكماء الذي شاهدوا عظم هول الوباء وكانوا في ما سبق يحفظون انفسهم في بيوتهم ويقطعون جميع علائقهم مع الناس ولا يمسون شيئاً من مأكول او مشروب حتى يمرّوهُ في الماء والخل · وقد اجمع الاطباء القدماء على ان جودة التهوية وكثرة النور ووفرة التبخير بالعطريات واستنشاق الروائح القوية كالكافور والحلتيت مما يساعد على الوقاية من الوباء · واما الحجر الصحي اربعين يوماً المعروف بالكورنتينا فكان المعوّل عليهِ سابقاً على انهم اصبحوا يعولون على المراقبة الطبية وعزل المرضى بعيداً عن الاصحاء اكثر مما يعوّلون عليهِ

(حمّى الدنج) يظهر من مقالة محكمة العبارة كتبها السر و . ي سمارت (انظر مجموعات جمعية العلل الوافدة في لندن سنة ١٨٧٩) ان اول ما شوهدت هذه العلة ووصفت كان سنة ١٧٨٩ حين انتشرت في فيلدلفيا كوافدةٍ وقد كانت منتشرة نحو ذلك الزمن في باتافيا ومصر واسبانيا وغيرها من البلدان · ومن دقق النظر في انتشار هذه العلة الجغرافي منذ ذلك العهد يجدها تنحصر حسب الظاهر في الاقاليم الاستوائية وما والاها من الاصقاع · واول دخولها سورية كان منذ ٤٠ سنة ولما كان اهم اعراضها وجع مؤلم في الركب لذلك اطلق عليها قبلاً والآن اسم حمّى الركب (ابو ركب) وهذا الاسم اشبه بالحمّى التي كانت تسمَّى محطمة العظم في الولايات المتحدة · ومنذ ذلك العهد كانت تظهر في هذه البلاد غالباً متخذة هيئة وافدة شديدة العدوى وقد قال بعضهم انها صارت وافدة ولكني اظن انها تختلط بالنزلة الوافدة والحميات الحاصلة من البرد ومن عسر المضم · واعراض الدنج المميزة هي القشعريرة التي يعقبها

(الجدري) مابرح الجدري من اشد العلل في الشرق والغرب حتى اكتشف جنر اللقاح البقري منذ قرن ونيف · وقد كانت وافدات الجدري الثقيلة شديدة الوطأة كثيرة البثور في البدن والجهاز التنفسي والهضمي قبيحة التشويه في الوجه والعينين مما قد يدوم اثرهُ وضررهُ طول العمر· اما التطعيم الذي عمَّ تقريباً الجميع حتى البدوَ في البادية فقد خفف جميع تلك الويلات حتى صار يؤمل زوال المرض تماماً في مستقبل الايام فلا يعود لزوم للتلقيح بالجدري و يصبح خبرًا من اخبار الزمن الغابر · وحوادث الجدري في هذه الايام محصورة في الاماكن التي يهمل التطعيم فيها او لا يعمل على حقهِ او يذهب من جسم المطعمين فعل الطعم بطول الزمان. واني اعجب من عدم ذكر التطعيم بمادة الجدري في كتب العرب مع ان السيدة مونتاكو قد تعلمتهُ في القسطنطينية ونقلتهُ الى انكلترا واوربا قبل اكتشاف جنَّر بنصف قرن. ولا ريب ان طريقتهم القديمة اي تطعيم الاصحاء بمادة الجدري الحقيقي شديد الخطر اثناء انتشارهِ ولعلهم كانوا يستعملونها عند ما يصل الجدري الى طور تخف فيهِ قوة مادتهِ المرضية فيقل الضرر في التطعيم بهِ ويزعم الناس هنا ان التطعيم اولاً او ثانياً اثناء الوافدة يمهد الطريق للاصابة بالجدري ولعل اصل هذا الزعم آتٍ منذ كانوا يطعمون بمادتهِ فيصابون بهِ او من تطعيم من كان في دور الحضانة بعد ان دخلت جرثومة المرض في بدنهِ ثم ظهر الجدري بعد التعطيم فيهِ فنسبوهُ الى الطعم · ومنذ سنوات قرأت ان الدكتور رنشي جرَّب التطعيم عند اول ظهور الجدري فكان سيرهُ اخف فعزمت على تجربة ذلك واختبارهِ بنفسي · وكان في جواري عائلة المانية مؤلفة من ابٍ وامٍ واربعة اولاد كلهم غير مطعمين فاصاب الجدري احد الاولاد ولما دعيت لرؤيتهم طعمت جميع اعضاء العائلة ولعلهم كانوا كلهم في دور الحضانة فظهرت بثور الطعوم وظهر فيهم كلهم نقاط الجدري مع اعراضهِ بعد التطعيم او مع ظهور الطعم ولكن الجدري جاءهم ضعيفاً لان سيرهُ كان خفيفاً ولم يمت منهم احد · واثناء ذلك ولدت الام طفلاً طعمتهُ في اليوم الخامس من عمرهِ فصح طعمهُ ولم يصب بالجدري · فمن المحتمل ان يترتب على مثل ذلك ما يؤدي الى النتائج الحسنة ويقلل الوفيات مثل ما ترتب على مثلهِ في حوادث الدفثيريا وغيرها من العلل الخميرية

(الطاعون) لقد كان هذا الوباء في الاعصر الغابرة من اشد الضربات · وكل من قرأ قصة ديفو عن الطاعون المخيف الذي اصاب لندن سنة ١٦٦٥ يمكنهُ تصوُّر عظم اهوال ذلك الوباء ومخاوفهِ · ففي مصر وسورية وبقية بلدان المشرق ولا سيما المزدحمة بالسكان كان يهلك خلقاً كثيرًا على ان ما حصل من التقدم في المدنية والمحافظة على قانون الصحة جاء سدًّا تجاه

العلل الجلدية وقد حسبهُ ابن سينا سرطانًا عامًا في الجسم. واول اعراضهِ ضعف الحس (تنميل) في الجلدوفقد لونهِ وتسمكهُ وتولد عُقد وقروح فيهِ وسقوط الشعر منهُ وعند بلوغ العلة بالامتداد الى التجويفين الانفيين يفقدان غضاريفهما . وذلك يدل على كون الجلد اول مقرّ للداء وانهُ اول جزء من البدن يصاب بباشلوس الجذام تلقيحًا على الارجح من خدش او كشط فيهِ او بواسطة الهوام والبعوض التي من شأنها لدغهُ والانتقال من شخص الى آخر. فلوكان الباشلوس المرضي يحملهُ الهواء لكان الانف اول ما يصاب بهِ وليس الحال كذلك وعلى فرض كون الجهاز الهضمي سبيلهُ للدخول الى البدن بواسطة طعام كالسمك حسب زعم تبعهُ الدكتور يوناثان هتشنصن فيبعد عن المعقول انهُ يدخل من هناك ثم يجتاز الى الجلد ليبتدئ ظهورهُ فيهِ. ومن جهة الزعم بدخولهِ بواسطة السمك فلم يسمع ان سمكًا حديثًا ولا مقددًا وجد فيهِ باشلوس الجذام فضلاً عن ان هذه العلة محصورة هنا في المدن والقرى الداخلية حيث يندر اكل الاسماك

ولدى النظر في الاحصاءات الدقيقة يظهر ان للوراثة والتناسل تأثيرًا عظيمًا في انتشارهِ ولكن ذلك قد يُحمل على شدة تعرض الاقارب للداء اذا كانوا من عائلة واحدة كثيرة الامتزاج والاختلاط بعضهم ببعض وهو الاقرب الى الصواب

(حبة حلب) هذه العلة نادرة الظهور في سورية ولكنها منتشرة ما بين حلب وبغداد وفي ما بين النهرين وكان المظنون انها محصورة في الاصقاع التي تشرب من الفرات ودجلة الامر الذي حمل على الزعم ان سبب العلة في مياه النهرين المذكورين على ان في الهند نوعًا من البثور اشبه بحبة حلب واظن انها تسمى هنالك حبة دهلي او بثرتها . ومقر حبة حلب الغالب من اجسام اهل البلاد هو الوجه واما في الاجانب فاليدان والرجلان . وتظهر اولاً على هيئة حلمية صلبة تتعدد غالبًا وبعد بضع اسابيع تتفقأ وتصير بثورًا ثم تزداد حجمًا فتبلغ نحو عقدة قطرًا وبعد عدة شهور تبرأ تاركةً ندبة تظهر طول العمر ومتى كانت في الوجه شوهتهُ تشويهًا يختلف حسب مقرّها ودرجة امتدادها . ولما شاهد الدكتور فانديك كارتر ان البثرة تصيب الاجزاء المتعرضة للهواء كالوجه واليدين والرجلين اعتقد ان العلة تنتقل بواسطة المناشف التي تستعمل لتنشيف تلك الاجزاء . على اننا الآن بعد معرفة علاقة الهوام اللداغة بالعلل صرنا نميل الى الاعتقاد انها هي واسطة نقل العلة من المصاب الى السليم . وقد بلغني حديثًا ان احد المرسلين الانكليز في حلب وضع لاسرَّة اولادهِ ناموسيات محكمة الوضع فوقاهم بها من الاصابة بحبة حلب . ولا يبعد ان نعلم يومًا ما ان البعوض المعروف بالناموس او ما شابههُ هو السبب الحقيقي لنقل المكروب الخاص بحبة حلب كما هو واسطة لنقل غيرها من العلل

حمّى عالية وقرف شديد من الطعام وانحراف هضمي وصداع وألم في الظهر والركبتين ونحو اليوم الرابع يظهر نفاط اشبه بالوردية يكثر او يقل في جلد البدن وتهيج بعد ظهورهِ الحمّى تاركةً العليل في غاية الضعف. وهذه العلة غير قتالة ولكنها مزعجة مؤلمة طويلة النقاهة. ومما لاحظهُ الدكتور غراهم استاذ الباثولوجيا في المدرسة الكلية السورية في بيروت واستنتجهُ بالمراقبة والاختبار ان سبب الدنج مكروب من نوع الهياتوزون يصيب كريات الدم الحمراء والبيضاء وينتقل من المرضى الى الاصحاء بواسطة البعوض (culex fatigans) (المقتطف يونيو ١٩٠٣)

ومن العلل المستوطنة ما يأتي

(الجذام) اول ذكر جاء لهذه العلة على ما يظن كان في سفر اللاويين من التوراة على ان وصفها هنالك غامض لا ينطبق على الجذام الحقيقي

ثم ان ابن ميمون الطبيب اليهودي والفيلسوف الشهير الذي نشأ في القرون المتوسطة حسب الجذام من العلل الجلدية المذكورة في ذلك السفر. وقد شكا المؤرخان المصريان منيتو وليسماخوس من ان اليهود مصابون بالجذام وانهم أُخرجوا من مصر بسبب الشكوى المذكورة التي ذكرها يوسيفوس وكذَّبها (راجع كتابهُ ضد ابيون ك ١ : ٣٤) وكيفما كان الحال في الماضي فاليهود الآن خالون من هذه العلة وبين مئات من المجذومين الذين رأيتهم في سورية لم ارَ الاَّ يهوديًا واحدًا مجذومًا ولعل ذلك من عادتهم التي اتبعوها قديمًا وهي اجتناب المجذومين وابعادهم عن الشعب

والجذام من اشنع العلل التي تصيب الانسان اذ تجعلهُ مُقصى عن الجميع ورائحة بدنهِ شديدة الكراهة والتشويه والتقرح في وجههِ ويديهِ ورجليهِ قبيح المنظر. وهو من العلل التي تزمن وعدواهُ معتقدٌ بها دائمًا. ولم يسمع عن حادثة من الجذام برئت بالعلاج لذلك لم يكن سبيل للوقاية من شرهِ الاَّ بابعاد المصابين عن الاصحاء. وليس ذلك بالامر الهين فقد علمت عن رجلٍ كان مصابًا في الطور الاول من المرض انتحر لما رأى اولادهُ وامرأتهُ يجتنبون مخالطتهُ. وقد اتَّبع بعض الشعوب المتمدنة في نروج وجزائر هواي خطة الاقدمين بابعاد المجذومين على نسق ما يشاهد في دمشق والقدس وقبرص. وقد توفرت الادلة على ان هذا الداء معدٍ وعلى انهُ يمكن استئصالهُ باتقان الوسائل الصحية كما استؤصل من بريطانيا العظمى واماكن اخرى في اوربا

اما سبب الجذام فصار معروفًا الآن وهو باشلوس قريب المشابهة شكلاً من باشلوس السل ويقبل الصباغ الذي يصبغ بهِ غير اني لاحظت انهُ اغلظ من باشلس السل واقصر قليلاً. وطريقة دخولهِ الى بدن السليم غير معروفة الى الآن وبعد درسي طويلاً وتدقيقي في تاريخهِ الكلينكي لم اجد طريقًا لوصولهِ الى جسم الصحيح الاَّ الجلد. وطالما كان الجذام معدودًا بين

(الانكلوستوما) علة الانيميا وهي علة اخرى من علل الاقاليم الحارَّة الحلمية واظن ان اول ما اكتُشف سببها من عهد قريب كان في مصر وهي تدخل الجسم من الفم بواسطة الماء المشوب بجرثومتها وبواسطة الايدي القذرة والخضر غير المطبوخة . وفي حوادث الانيميا المستعصية التي سببها مجهول ولم تذعن للعلاج بالكينيا والزرنيخ والحديد قد جربت الثيمول فكان كافياً لطرد الدودة المذكورة التي كانت السبب الحقيقي ولكن خبرتي في هذا الامر غير كافية

وفي سورية ايضاً امراض اعتيادية لا يمكننا اطالة الكلام عليها وانما نذكر اكثرها شيوعاً (الحمَّى الملارية) على انواعها وهي كثيرة الوجود في البلاد ويشاهد ايضاً فيها ما يقال لهُ الحمَّى المتقطعة الخبيثة وهي قتالة في الدور الثاني او الثالث اذا لم تعالج سريعاً بجرعات كبيرة من الكينا شرباً او حقناً تحت الجلد والحقن افضل لان الامتصاص فيهِ اسرع . اما عمل البعوض في نقل الجرثومة المرَضية من المصابين الى الاصحاء فقد صار محققاً لدى الطبقة المتهذّبة في البلاد . وكذلك فوائد الناموسيات ونزح المياه الراكدة . واما سوء القينة وضخامة الطحال والكبد والاستسقاء البريتوني فكثيرة الحدوث في الاماكن الملارية ولاسيما التي تهمل فيها الاسباب الصحية

و (السل) اقل انتشاراً في سورية ولاسيما في الشرق اجمع مما هو في اوربا . وهو نادرٌ في لبنان والاماكن العالية التي يعيش فيها الاهالي في نقي الهواء متمتعين بنور الشمس وهواء الجوّ الجاف . وفي هذه البلاد حيث لا يوجد مستشفيات للسل على النمط الحديث يمكننا ارسال المصابين من اهل اليسار الى الجبال فتحسن صحتهم وقد يشفون تماماً بعد ان يكون الداء قد تمكن منهم

و (السرطان) ايضاً نادر الحدوث في هذه البلاد . فان معيشة السكان في الفلا وقوة بنيتهم الطبيعية وبساطة مآكلهم التي اكثرها من النشويات والخضر مع قليل من اللحم يظهر انها تقاوم عوامل المرض مهما كانت حقيقتها وهذا هو موضوع البحث الدقيق والدرس الكثير عند علماء هذه الايام

ومذهب اطباء العرب وغيرهم من الكتَّاب القدماء في الاورام ولا سيما السرطانية لا يستحق الاعتبار وهم يعدّون السرطان قتالاً يصيب الجلد والاعضاء الداخلية وقد قالوا بمنفعة العمل الجراحي في طوره الاول مع كونهم حكموا بافضلية ترك الداء للطبيعة زعماً ان ذلك اضمن لطول العمر وتخفيف الالم . وقد وجدت في حوادث السرطان الداخلي ان افضل علاج مسكّن قليل الضرر استعمال المورفين على جلد نزعت بشرتهُ بالحراقة التي لا يلزم ان تكون اكبر من نصف ريال . وكمية المورفين التي توضع على الحراقة او القرحة من ١/٣ قمحة الى قمحة واحدة كل يوم وبالمداومة على هذا العلاج لا يحصل اضطراب في الجهاز الهضمي ويخف الألم المزعج وتصير ليالي العليل اقل انزعاجاً وبالنتيجة يطول عمرهُ (نقلاً عن الطبيب بتصرُّف قليل)

(التريخينا) ان الخنزير يعيش في الشرق عيشةً قذرةً ولا يأكل لحمهُ الاَّ بعض عامة النصارى ومع ذلك لا يرى في المدن ولا في القرى اثرٌ لمرض التريخينا الذي يختص بهِ ومصدرهُ من اكل لحمهِ . واما الذي نعلمهُ فهو ظهور هذه العلة مرة كل عشر سنوات او نحوها في القرى المحاذية للمستنقعات عند اجتماع ينابيع نهر الشريعة قبل دخولهِ بحيرة الحولة حيث يوجد الخنزير البري فيصطادهُ الاهالي ويأكلون لحمهُ غير مطبوخ جيداً . فقد فشا مرض التريخينا هنالك سنة ١٨٨١ فكتبت فيهِ حينئذٍ الى جريدة اللانست وذكرت ان الاصابات كانت ٢٥٧ والوفيات ستًّا وتلك هي الفرصة الوحيدة التي امكنني انتهازها لدرس هذا المرض ورؤية الدويدة المرضية عريانةً ومكسوَّةً بمحفظتها في كلتا الحالتين

(الهياتور) لسوء الحظ لا يوجد حتى الآن اسم خاص لمرض خاص منتشر في مصر وجنوبي افريقية وموريتيوس وغيرها من الاقاليم الحارة . والمكروب الذي يتوقف عليهِ هذا المرض كل التوقف اكتشفهُ الطبيب بلهارز في القاهرة فلذلك سمي باسمهِ بلهارزيا هياتوبيا . وقد شاهدت حادثة مشتبهة جاءت من يافا وسمعت عن حوادث اخرى في تلك المدينة . وتحت المكرسكوب الضعيف القوة تشاهد خثيرات من الدم مع البويضة المرضية قياس كل منها جزءٌ من خمسمائة وخمسين جزءًا من العقدة عرضًا ولها نتوء بارز في احد طرفيها وفي الشكل الدوسنتاري من العلة يكون النتوء جانبيًّا . فاذا غسلت الخثرة بالماء البارد او ضغطت الزجاجة التي تغطي النقطة يشاهد تحت المكرسكوب ان البويضة انكسرت وخرج الجنين من قشرتها وتمدَّد متعرجًا مع هدبهِ الذي يحيط ببدنهِ المستطيل

اما الدودة الكاملة النمو فاكبر ولكنها لا تشاهد الاَّ في الدم بعد الوفاة ملتصقةً باحد جدران الوعاء المثاني او المساريقا او الوريد البابي . اما كيفية دخول هذا الحيوان الطفيلي الى البدن والطور الذي يكون عليهِ عند دخولهِ فغير معلوم حتى الآن . ومصدر الداء بلا ريب من الماء ولاجل ذلك قلما تصاب الطبقة العليا من سكان مصر الذين لا يشربون الماء حتى يصفوهُ ويقطّروه واما الفلاحون الذين يشربون ماء النيل كما هو فقلما ينجون من الاصابة بالداء . فيظهر من ذلك ان جرثومة العلة تدخل من الفم ومن المحتمل ان تكون على هيئة جرثومة صغيرة لان البيضة اكبر من ان تدخل وتسير في الاوعية الشعرية . غير ان دخولها الى الاوردة مقرّها العام لم يزل من الالغاز التي لم تُحل الى الآن على ما ارى . ومن جهة علاجها فقد عثرت على بعض حوادثها وعالجت احداها بجرعات من زيت التربنتينا كل منها مؤلفة من درهم ثلاث مرات كل يوم مدة ثلاثة اسابيع . وعالجت الاخرى بجرعات من غرام من السرخس الذكر مرتين كل يوم

منهم وابعد نظرًا . وعلى هذا النحو حضّ الحكيم الكسالى ليذهبوا الى النملة ويتعلمون منها الاجتهاد والحكمة . ولا يبعد ان يكون اسلافنا قد تعلموا منها خزن الحبوب في الاهراء

والطيور على انواعها علّمت الناس الالفة والحنين الى الاهل والوطن والتفاني في الدفاع عن الذراري حتى جوارح الطير يعيش ذكرها مع انثاهُ على تمام الحب والوئام ويسعى الاثنان لفراخها كأن لا غرض لها من الحياة الاَّ تربية النسل . والعصافير الصغيرة اذا هاجمها ثعبان او باشق اجتمعت عليهِ واوسعتهُ نقرًا بمناقيرها ودفعًا باجنحتها حتى تزجرهُ او تعمي بصرهُ بل انها قد تدفع الانسان عنها في الدفاع عن بيضها وصغارها وتصمُّ اذنيهِ بصراخها

اما ما تبديهِ الطيور من البهجة والحبور ولاسيما صغارها بعد الخروج من اوكارها فمما يعجز الوصف عنهُ . ومن لم يرَ انواع البلبل والعندليب والحسُّون والسنونو والنعار والكنار والحمام واليمام تقضي ساعة او ساعتين في التفتيش عن طعامها ثم تمضي سائر النهار في التغريد والترجيع كأن حياتها كلها لهو ولعب . أوَ لا يحتمل ان اسلافنا الاولين ارادوا الاقتداء بها لمَّا وضعوا المواسم والاعياد واجتمعوا فيها للهو والطرب

وهل فات الانسان رؤية الطيور القواطع كالسنونو واللقلق واجتماعها قبل سفرها في مكان واحد عامًا بعد عام وهي تصيح وتتداول كأنها في مجلس شورى ثم تطير عصابةً كبيرة فتحجب وجه السماء . هل فاتهُ ذلك او هل رآهُ يتكرَّر عامًا بعد عام ولم يتعلَّم منهُ شيئًا

ومن ينظر التمساح في نهرهِ يفترس الفريسة فلا يأكل منها شيئًا حتى يدعو اهلهُ واقاربهُ ليشاركوهُ فيها . ويُقتل احد اقاربهِ فلا ينفكُّ عن الطلب بثأرهِ الى ان يظفر بالقاتل . من ينظر ذلك ولا يحترم هذا الحيوان الاعجم ولا يلتمس للاقدمين عذرًا في اكرامهم لهُ اكرامًا دينيًّا كما فعل سكان مصر الاقدمون وكما يفعل اهالي الهند الآن

واطال البرنس كرتكن على هذا النحو وقال ان الانسان لا يتعلَّم طبائع الحيوانات الاَّ اذا شاهدها في مسارحها وغياضها ورأى ما تبديهِ من الاعمال التي تحيّر الالباب بما فيها من الحكمة والدهاء وان سكان المدن قد حُرموا ذلك لانهم لا يرونها مطلقًا او يرونها مسجونة في اقفاص ضيقة يتعذر عليها ان تسرح فيها وتمرح وتبدي ما يقتضيهِ طبعها . وقد اذكرنا قولهُ هذا قصائد كثيرة لشعراء العرب وهم في البادية قبلما تحضروا وصفوا بها الوحوش والطيور وصف العارف بطبائعها المراقب لها في روحاتها وغدواتها لكنهم شحنوها بالفاظ لم تعد مألوفة فيتعذر فهمها على الجمهور الاكبر من القراء وتفوت فائدتها كقول حميد الارقط في وصف الصقر

ضارٍ غدا ينفض صيبان المطر عن زف ملحاح بعيد المنكدرْ

تعلم الانسان من الحيوان

يذهب فريق من الكتّاب الى ان الانسان اخذ عن الحيوان مبادئ العلوم والفنون والصناعات فتعلم خزن الحنطة من النمل وقطع الاشجار من البدستر وبناء البيوت من الطيور. ولا ندري لماذا لايقال ان الحاجة التي علّمت النمل خزن الحنطة والبدستر قطع الاشجار والطيور بناء البيوت علمت الانسان هذه الاعمال وغيرها ففاق فيها العجماوات لتفوُّقهِ عليها جسداً وعقلاً. وهذا لاينفي ان يكون الانسان استفاد من رؤية الحيوانات تعمل اعمالاً تدلُّ على نظر وروية او على كرم في الاخلاق. وقد كتب البرنس كروبتكن الروسي مقالة مسهبة في هذا الموضوع نقتطف منها ما يأتي قال

ان الناس في حال البداوة رأوا طوائف الحيوان تكتنفهم من كل ناحية. رأوا آجال القرود وقطعان الغنم وعراجل السباع وعصابات الطيور وخشارم النحل كل فريق منها يعيش على تمام الوفاق والوئام يعضد بعضهُ بعضاً كأَنهُ اعضاء عائلة واحدة يسعى كلٌّ منها في نفع الجماعة فتعلموا من ذلك الالفة والوئام وتعلموا ايضاً انهم هم وطوائف الحيوان عيال على الارض يعيشون من خيراتها

ورأوا ان الحيوانات الضارية التي تعيش بافتراس غيرها لايفترس بعضها بعضاً بل يعيش افراد النوع الواحد على تمام الوفاق والوئام كما ترى في الضباع وبنات آوى. وما تفرَّق منها ولم يعد اسراباً كبيرة بل صار يعيش وحدهُ منفرداً كالنمر والنمس والهر البري انما لجأَ الى الانفراد بعد ان تعقَّبهُ الانسان وكاد يقرض نسلهُ. اما سائر انواع الحيوان التي تعيش من نبات الارض كالغزلان والايائل والحمر البرية فلم تزل تعيش بعضها مع بعض قطعاناً كبيرة وتقيم عليها الحراس من نوعها لحراستها من عدو مفاجئ. واذا فاجأَها العدو اجتمعت اناثها وصغارها معاً ووقف الذكور الكبار حولها كالسور للدفاع عنها وقد تهلك الذكور ذوداً عن حرمها. ولا بدَّ من ان يكون الناس قد رأوا ذلك من قديم الزمان وتداولوا اخبارهُ واكبروا امرهُ واعترفوا للحيوان الاعجم بالعقل والادراك وتعلموا منهُ كيفية الدفاع عن محارمهم

والحيوانات التي تقيم في مكان واحد تحفر فيهِ اوجارها او تبني قراها او تقيم سدودها كالكلاب البرية واليرابيع والنمل الابيض وكلاب الماء رآها الانسان من قديم عهدهِ فتعلم منها المعيشة الحضرية وبناء المساكن والقيام فيها. ولا يزال الرعاة في بلاد المغول يرون اوجار الوبار واهراءها مملوءة بالجذور التي جمعتها في الصيف لتقتات منها في الشتاء فيجدون انها احكم

وقلَّ وصف الطبيعة بانتشار الحضارة لكنهُ خلا من الوحشي والغريب كقول الصفي الحلي في وصف الكراكي

اهلاً بها قوادماً رواحلا تطوي الفلا ونقطع المراحلا
اذكرها عَرْف الربيع الفها فاقبلت لشوقها حواملا
تفرق في الجو بصوت مطرب يشوق من كان اليها مائلا
لما رأت حرَّ المصيف مقبلاً وطيب برد القرِّ ظلاً زائلا
اهملت التخبيط في مطارها وعسكرت لسيرها قوافلا
تنهض من صرح الجليل تحتها بارجل لبردهِ قوابلا
قد انفت ايام كانون لها من ان تُرَى من الحلي عواطلا
فصاغت الطلّ لها قلائدًا والثلج في ارجلها خلاخلا

واحسن منهُ قول حميد بن ثور في الحمام

وما هاج هذا الشوق الاَّ حمامةٌ دعت ساق حرٍّ نزهة وترنماً
مطوقة غراء تسجع كلما دنا الصيف وانحال الربيع فانجما
محلاَّة طوق لم تكن من تميمة ولا ضرب صوَّاغ بكفيهِ درهما
تغنت على غصن عشاءً فلم تدعْ لنائمة من نوحها متألما
اذا حركتهُ الريح او مال ميلةً تغنت عليهِ مائلاً ومقوَّماً
عجبتُ لها انى يكون غناؤُها فصيحًا ولم تثغر بمنطقها فما
فلم ارَ محزونًا لهُ مثل صوتها ولا عربيًا شاقهُ صوت اعجما

وقال جهم بن صابي

وقد هاج شوقي اذ تغنَّت حمامةٌ مطوَّقة ورقاء تصدحُ في الفجرِ
هتوف تبكّي ساق حرٍّ ولن ترى لها دمعةً يومًا على خدها تجري
تغنَّت بلحن فاستجابت لصوتها نوائحُ بالاخياف في فنن السدرِ
اذا فترت كرَّت بلحن شجونها تهيّج للصبِّ الحزين جوى الصدرِ
دعتهنَّ مطرابُ العشيَّات والضحى بصوت يهيج المستهام على الذكرِ
فاسعدنها بالنوح حتى كأنَّما شربنَ سلافًا من معتَّقة الخمرِ
تجاوبنَ لحنًا في الغصون كأنها نوائحُ ميت يندبن على قبرِ

ولقد اكثر شعراءُ العرب من التمثل بسجع الحمام وفسروهُ بمعناهُ الحقيقي كأنهم من علماء الحيوان

اقني تظلُّ طيرهُ على حذر يلذن منهُ تحت افنان الشجر

اي ان هذا الصقر قد أُغري بالصيد فقام ينتفض مما اصاب ريشهُ من المطر وهو اقني اي احدب المنقار تخافهُ الطيور فلا تستطيع ان تعشش في الشجر فتعشش تحتهُ. وكقول الشنفرى يصف الذئاب

(١) واغدو على القوت الزهيد كما غدا ازلُّ تهاداهُ التنائف اطحلُ
(٢) غدا طاوياً يعارض الريح هافياً يجوب باذناب الشعاب ويعسلُ
(٣) فلما لواهُ القوت من حيث أمهُ دعا فاجابتهُ نظائر نُحَّلُ
(٤) مهللة شيب الوجوه كأنها قداحٌ بكفَّي ياسر تتقلقلُ
(٥) او الخشرم المبعوث حثحث دَبْرهُ محابيض ارساهنَّ سامٍ معسِّلُ
(٦) مهرتةٌ فوهٌ كأنَّ شدوقها شقوق العصي كالحاتٌ وبُسَّلُ
(٧) فضجَّ وضجَّت بالبراح كأنها واياهُ نوح فوق علياء ثُكَّلُ
(٨) واغضى واغضت واتسى واتست بهِ مراميل عزَّاها وعزَّتهُ مرملُ
(٩) شكا واشتكت ثم ارعوى بعد وارعوت وللصبرُ ان لم ينفعِ الشكوُ اجملُ
(١٠) وفاء وفاءت بادرات وكلها على نكظ مما تكاتم مجملُ

ومعنى هذه الابيات على ترتيبها (١) ان الشاعر يغدو على القوت الزهيد كما يغدو ذئب اغبر ترامتهُ القفار (٢) فوقف في الصباح جائعاً يستنشق الرياح ويجوب شعاب الجبال وهو يهز رأسهُ ويضطرب في مشيهِ (٣) فلما لم يجد القوت حيث طلبهُ عوى عواءً شديداً فاجابتهُ ذئاب اخرى وهي جائعة نحيلة مثلهُ (٤) ابدانها كالنسيج السخيف ووجوهها شائبة الشعر وهي نحيفة كانها عيدان في كف مقامر يحركها فتتقلقل (٥) او كانها دَبْر نحل خرج من خليتهِ لان مشتار العسل حركها بالعيدان التي يدخلها في الخلايا لاخراج العسل بها (٦) وهي اي الذئاب واسعة الاشداق فاغرة افواهها كأنَّ اشداقها شقوق العصي وتبدو عليها دلائل الغيظ والبسالة (٧) فلما رآها الذئب الاول ضجَّ فضجت هي في تلك الفلاة كأنهُ واياها تحن نوح الثكالى (٨) ثم صمت وصمتت صبراً على البلاء واخذ يعزيها وتعزيهِ تعزية الارامل بعضهنَّ بعضاً (٩) وشكا اليها بلواهُ وشكت اليهِ بلواها ورأى الفريقان ان لا فائدة من الشكوى وانهُ وان لم تنفع الشكوى فالصبر اجمل (١٠) فعاد مسرعاً من حيث اتى وعادت مسرعةً من حيث اتت وهي متفقة كلها على كتمان ما بها

شقَّ فكري غلالة الظلماء والى الغرب سار فوق الماء
فرآهُ ممتعاً بضياء هو سرُّ النماء والاثراء
واساس التقدم الانساني

ابصر الشمس في سماهُ تلالتْ فنفت غيهب الدجى وازالتْ
وبها عزَّت البلاد ونالتْ ما ارادت حتى سمت وتعالتْ
فوق كل الامصار والبلدانِ

لم يشاهد في الغرب من آثارِ لظلام يغشي سما الابصارِ
فارقاً بين ليله والنهارِ مثل فرقٍ نراهُ في الشرق جاري
كل يوم مشاهدًا بالعيانِ

بل رأى فيهِ عندما الشمس غابت الـ شمس عنها على الفور نابتْ
وبها قرَّت العيون وطابت كل نفس كما اشتهت وأصابتْ
ما تمنت من المنى والاماني

ما اكتفوا مثلنا بلمح سناء في دُجى الليل من نجوم السماء
او بنور للزيت واهي الضياء بل أناروا بالغاز والكهرباء
ما ارادوا في ارضهم من مكانِ

فشجاني ذا الاختلاف العظيمُ واعتراني منهُ عذابٌ أليمُ
ليتَ شعري حتى مَ تبقى الغيومُ مطبقاتٍ وهل تطيرُ الغمومُ
خانقات الافكار والاذهانِ

فهنا الشرق في شقاء مؤبَّد بات والغرب في نعيم مخلَّد
ذاك يهوي وذا الى الاوج يصعد ذا صحيح يسعى وذلك مُقعَد
ذا نشيط نامٍ وذلك فانِ

ذا مثيرُ الادواء مذكي الشجونِ ومذيبُ الاحشاء مبكي العيونِ
ومذيق الزقوم والغسلينِ لنفوس ترى بشرب المنونِ
راحة من مذلة وهوانِ

وعليهِ الكلام تحصيل حاصلْ فاذا طال كان من غير طائلْ
والمماري في ذي الحقيقة جاهلْ ليس يدري او غافل او خاملْ
قانع بالصغار للذل عانِ

قبل مغيب الشمس

قبلما الشمس بالحجاب توارتْ والى الغرب من سما الشرق سارتْ
والى الشرق بالوداع اشارت حركت ساكن الجوى واثارت
في فؤادي لواعج الاشجانِ

كنت اذ ذاك ظاعناً مستقلاً جاعلاً لي من ظهر طنجور [1] رحلاَ
مطلقاً ناظري لكي يتملَّى ما يراهُ على الضفاف تجلَّى
من مجالي الخراب والعمرانِ

ونسيم المساء هبَّ بليلا "قارصاً للخدود شيئاً قليلا"
وجرى النيل تحتنا سلسبيلا وعليهِ طنجور سارت ذميلا
ثغر حلفا توءمُ من اصوانِ

شغلتني براحٍ عند البراحِ عن شخوصي الى الرُّبى والبطاح
واليها من شدة والتياح وبملء الحنين والارتياح
فرَّ قلبي وطال منهُ جناني

ومن الافق زال باقي النورِ اذ محتهُ يدُ الفنا والدثورِ
وغدا الشرق مثل اهل القبور خابطاً في حنادس الديجورِ
لا يدانيهِ في الظلام مدانِ

***

عند هذا وقفت وقفة حائرْ ذاهلاً غائباً بصورة حاضر
غائصاً في هواجس وخواطر ارقب الافق ظاهراً غير شاعر
انني عنهُ قد ثنيتُ عناني

وبعين الفكر التفتُّ بعيداَ باحثاً في امرٍ اراهُ مفيداَ
لستُ اروي عنهُ حديثاً جديداَ قط لم يروَ بل اتيت معيداَ
بعد ما قيل من قديم الزمانِ

---

(١) اسم احدى بواخر حكومة السودان التي تسير بين حلفا وشلال اصوان

ترجمة مذكرة عن سد اصوان

نقلاً عن الجريدة الرسمية

ان مسألة اعلاء سد اصوان بقصد زيادة مقدار المياه في الخزان كانت منذ حين موضوع نظر مصلحة الري . وفي كتابي الاخير عن موارد النيل الاعلى[1] بحثت في اقوال السير وليم ولككس في هذا الصدد ثم اتفقت معهُ رأياً على وجوب اعلاء ذلك السد حتى يتيسر حجز المياه على منسوب ١١٢ متراً اعني على درجة تتجاوز الدرجة القصوى المصرح بها اليوم وعددت في الكتاب المذكور الاسباب التي حملتني على اتخاذ هذا الرأي فلا فائدة هنا من التكرار. وليعلم اني قبلما ابديت رأياً في ذلك وطدت نفسي بالحساب الذي باشرهُ المستر وب ومهندسوهُ ان السلامة (بحسب جميع النظريات المقررة فيما يختص بمباني السدود) مكفولة في إعلاء السد بقدر المراد ولا خوف في ذلك على البناء من خلل يحدث فيهِ . قلت "بحسب جميع النظريات المقررة فيما يختص بمباني السدود" لانني عندما خططت كتابي وباشر المستر وب حساباتهِ الهندسية لم يكن احد منا يعلم بنظرية جديدة وُجدت فيما يختص بمتانة السدود ولذلك اتخذنا القاعدة التي اتخذتها لجنة المهندسين المختلطة سنة ١٨٩٤ التي انتدبت للبحث في مشروعات الخزان اي القاعدة المعتاد اتخاذها في جميع الخزانات وهي انهُ اذا كان محصَّل القوات واقعاً في دائرة الثلث الاوسط من القاعدة حتى لا يقع ضغط جانبي على البناء وكان ثقل السد كافياً لمنع الانزلاق فيكون الامن مكفولاً

وبعد نشر كتابي المذكور باشهر وبعد عرض حسابات المستر وب على مستشارنا الهندمي السير بنيامين بيكر لمراجعتها علمنا ان الرياضيين وجدوا نظرية جديدة تتعلق بمقدار تحمل السدود وبذلك اتخذت المسألة شكلاً آخر غير شكلها الاول . ولما كان الامر بكمالهِ ذا اهمية كبرى لكل احد في الديار المصرية رأيت ان افضل السبل التي يقتضي اتباعها ان نكاشف اهل البلاد ونبين لهم جلية الحال فنقول

ان السير بنيامين بيكر ابدى اراءهُ مفصلاً في تقريرهِ الملحق بهذه المذكرة فيما يختص بالسد الحالي ومسألة اعلائهِ لكنني ارى من المستحسن ان ازيد الامر بياناً واذكر بالاختصار

(١) الكتاب الازرق الصادر من وزارة خارجية انكلترا عن مصر عدد ٢ سنة ١٩٠٤ بشان موارد النيل الاعلى

وعلى الباحثين لم يبق خافي سبب الفرق علةُ الاختلافِ
عرفوا السرَّ بعد بحث كافِ وابانوا الاعراض لكن تلافي
شرها ما رأوهُ في الامكانِ

عرفوا الشرق انهُ لا يبالي بسوى الفخر بالرميم البالي
وبما نال في العصور الخوالي من نعيم وسؤدد وجلالِ
وسنىً في غنىً ورفعة شانِ

تشرق الشمس فيهِ كل نهارِ فيباهي من خفة واغترارِ
انهُ وحدهُ بلا إنكارِ مشرق الشمس مطلع الانوارِ
ومنارُ الارشاد والعرفانِ

فاذا ما عنهُ اختفت في المساء واتاهُ الظلام بعد الضياء
قال هذا عليَّ حكم القضاء وقضى الليل وهو كالعشواء
خابط او كمعثر العميانِ

فقضى عمرهُ كما شاء لهوا قانعًا بالكفاف يؤتاهُ عفوًا
واجدًا بالقضا عزاءً وسلوى او معيدًا للدهر ذمًّا وهجوًا
سمعهُ لا يطاق في الآذانِ

وعصى العقل اذ نهاهُ وازرى بنهاهُ وعدَّ نجواهُ كفرًا
وهواهُ اطاع سرًّا وجهرًا وهو جار مع طبعهِ كلَّ مجرى
بكمال الخضوع والاذعانِ

بالقديم العتيق مغرًى مقيَّدْ نفسهُ دائمًا لهُ متعبّدْ
لم يغير ذا الحكم بل لم يولَّدْ من مفيد لكنهُ قد يقلّدْ
في مضرّ النفوس والابدانِ

***

فالى كم يا شرقُ هذا التغابي والتعامي عن الهدى والصوابِ
أُنظر الشمس فهي قبل احتجابِ كل يوم نذيرة بغيابِ
ليس من بعدهِ شروق ثانِ

الخرطوم اسعد داغر

هذا ولدى النظر في تقرير السير بنيامين بيكر عن سد اصوان نراهُ يقول القول الفصل في ما يتعلق بثلاثة امور

الاول انهُ لا يصح اعلاء السد قبل الوقوف على نتيجة تجربة الاعمال التحفظية (التي تباشر الآن خلف السد) الى مدة عامين في الاقل

الثاني ان السد على ما هو فيه اليوم سليم مأمون. وقد قال هكذا "وعليهِ فاني اغادر هذا السد وانا على يقين من ثباتهِ حتى لا يتأتى لكم منهُ قلق لانهُ راسخ يقيم قروناً ولا يستدعي ترميمات مستصعبة او توجب نفقات طائلة"

الثالث انهُ يعتبر ارتجاج السد الناشئ عن اندفاع المياه من البوابات من الامور التي لا يعتد بها على الاطلاق ولا يخشى لهُ عاقبة

اقول ان العبارتين الاخيرتين وهما صادرتان عن رجل ثقة مثل السير بنيامين بيكر داعيتان لاطمئنان كل فرد من الافراد في الديار المصرية

اما نصحهُ في الفقرة الاولى اعني بان يؤجل اعلاء السد فلست اتردد هنيهة في الاشارة باتباعهِ وعلى الخصوص لان رأينا ينطبق تمام الانطباق على رأي السير بنيامين بيكر

ثم ان في تقريرهِ أمراً آخر يوجب المسرة ايضاً وهو قولهُ ان الحسابات الهندسية التي عرضها عليهِ مهندسو الحكومة لاعلاء السد صحيحة مضبوطة من كل الوجوه وانهُ بحسب الطرق السابقة يكون في الامكان رفع المياه الى الدرجة المطلوبة بلا خوف ارتكاناً على درجة الامن المعتادة

وقبل الدخول في الكلام على ما يتأتى عن تأخير اعلاء السد من المسائل اذكر بوجه الاختصار ما هو مطلوب في مدى السنتين القابلتين فيما يختص بالتحفظ على الصخور الواقعة خلف السد ووقايتها من النخر الذي يحدثهُ اندفاع المياه من البوابات اندفاعاً هائلاً. ففي النية ازالة جميع الصخور السطحية الركيكة واقتلاعها من اماكنها في غور بعيد وتركيب غيرها من حجر الجرانيت بمونة الاسمنت فاذا اقيمت الضفرة على هذه الصورة تزاد متانتها ايضاً من الطرف الخلفي بشبكة قفصية من الحديد تملأُ ببناء من الاسمنت. ومما يجب ذكرهُ هنا انهُ طالما شعرنا من زمن مديد بوجوب اجراء هذه الاعمال التحفظية وقد شرع المستر وب باجرائها في سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ واستمرَّ على هذا العمل خلال صيف العام الماضي. والبناء الذي اقامهُ المستر ماكدونلد مهندس الخزان قد قاوم فعل المياه بدون ضرر على الاطلاق وزد على ذلك فقد كنا صممنا على متابعة اقامة هذه الضفرة والتوسع في ذلك في خلال هذه السنة ايضاً. وقبل

الاسباب التي دعتهُ الى ان يشير بالعدول عن اعلاء الخزان الآن وعلى ذلك اعود الى الامر من مبدإِهِ فاقول

اول ما اتصل بنا عن اكتشاف نظريات جديدة تتعلق بمتانة السدود كتاب خصوصي ورد علينا من السير بنيامين بيكر كتبهُ في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٠٤ لكنهُ لم يذكر فيهِ شيئاً سوى ان الرياضيين وجدوا نظرية جديدة وان المسألة تحت البحث . ثم تلا ذلك مكاتبات اخرى آلت الى ان الحكومة وافقتني على دعوة السير بنيامين بيكر الى مصر فدعوتهُ والغرض من ذلك ان يرى بنفسهِ تأثير حجز المياه على السدّ مدة سنتين متواليتين ثم يبلغنا اختبارهُ في ذلك ويشير بما يجب اجراؤهُ . فكانت نتيجة ابحاثهِ ما نراهُ في التقرير المرسل مع هذه المذكرة . ولكن قبل الخوض في هذا التقرير يحسن بي ان ابين بالايجاز ماهية هذه النظرية الجديدة المختصة بالسدود فاقول

وضع هذه النظرية المستر اتكرلي استاذ المكانيكا التطبيقية في كلية لوندرا والمستر كارل بيرسن استاذ الرياضة التطبيقية والمكانيكا في الكلية المذكورة[١] ولهذين الاستاذين الصيت الطائر والشهرة البعيدة في فن الرياضة وذلك مما يبديانهِ من النظريات جدير بمزيد الالتفات

وخلاصة نظريتهما ان القطاعات الرأسية لسد من السدود واقع تحت ضغط مائي يكون تأثير ذلك الضغط عليها اشد كثيرًا منهُ على القطاعات الافقية وان سدًّا مقاماً بحسب القواعد المتبعة الى الآن يكون في مأمن من التشقق افقيًّا ولكنهُ قد يتشقق رأسيًّا . والحسابات التي اثبت المستر اتكرلي والمستر بيرسن بها هذه النظرية عويصة كثيرة التعقيد يصعب تتبعها فمن اراد مطالعتها واستطلاع ما فيها فعليهِ ان يتصفح ما كتباهُ فيها

ثم ان هذه القضية يشتغل في درسها الآن لفيف الرياضيين والمهندسين وعلماء المائيات في انكلترا وفرنسا ولا شك في انها ستكون موضوعاً لمناقشات كثيرة ولا بدّ من ان الرجال الاختصاصيين في تلك الفروع في البلدين المذكورين سيصلون الى نتيجة فيما يختص بهذه النظرية الشديدة الأَهمية التي سيكون لها شأن في جميع السدود الموجودة ولا شك في انها ستحدث تغييرًا كبيرًا في تصميمات الاعمال التي من هذا القبيل واما الآن فما علينا الاَّ ان نتوقع نتائج هذه المباحث

---

(١) طبع كتابهما في ذلك الموضوع الخواجات ديلو وشركاه في لوندرا ميدان سوهو عدد ٣٧ في كراسة عنوانها قسم الرياضة التطبيقية في المدرسة الكلية في لوندرا مذكرات ابحاث شركة دربيرس

(المطلب الثاني الثاني)

بشأن بعض النقط المهملة المتعلقة بمتانة وثبات مباني السدود للاستاذين اتكرلي وكارل بيرسن

في آجام ومستنقعات النيل الابيض. وفي السودان اليوم عمّال مخصوصون للبحث في هذه المشروعات ولا بدَّ من اجراء احد هذه المشروعات في المستقبل على ان درس المشروع واجراءهُ عملان يقتضي لهما زمن طويل وحينئذٍ اذا لم يعلَّ سدُّ اصوان فلا بدَّ لمصر من الانتظار عدة سنوات قبل الحصول على زيادة تذكر فيما يلزم لها من المياه الصيفية ولا يصح القول بان تأجيل اعلاء السد المذكور يحدث ضررًا جسيمًا للبلاد ولو اخَّر تقدمها الحالي العجيب في سرعتهِ .

ومع هذا توجد طرق عديدة خلاف مشروعات الري الكبرى يمكن صرف الاموال في سبيلها بفائدة تذكر ومن اهم هذه الطرق اكمال السكك الحديدية وتحسين حالها حتى يمكن اجتناء جميع الفوائد الناشئة عن زيادة محصولات البلاد التي لا بدَّ من نقلها على تلك السكك في المستقبل العاجل

ومع ذلك فاني اشير مشددًا بايقاف بيع الاراضي الاميرية بمقادير كبيرة في الوقت الحاضر لان اعمال الري التعديلية في مصر الوسطى تنتهي بعد ثلاث سنوات تقريبًا وتكون نتيجتها زيادة كلية في مساحة الاراضي التي تزرع صيفيًا وحينئذٍ لا تتيسر المياه لاصلاح الاراضي الموات ولا ضرر في تأخير بيع الاراضي لانها لا ينقص ثمنها بتأجيل بيعها بل يحتمل انهُ يزيد ولسنا في اضطرار للحصول على اموال بهذه الطريقة ولا ارى موجبًا يوجب بيعها قبل وجود الماء لريها . واني اعلم جيدًا ان كثيرين ممن يرغبون في المشترى يقبلون في عقود البيع بالاشتراط على انفسهم بان لا يكون لهم حق في اخذ مياه صيفية وانهم ينتظرون ريثما يتيسر للحكومة ان تعطيهم اياها . والذي اراهُ مع ذلك ان البيع بهذا الشرط غير لازم ولا يصح القول بانهُ لصالح الحكومة لان فيهِ شيئًا من المضاربة وتزداد بهِ صعوبات مصلحة الري كثيرًا

اما السودان ففيها من الصعوبات في سبيل الري كما في مصر والذي اراهُ ان لا تعطى مياهًا صيفية غير المقدار المتفق عليهِ بين اولي الشأن اي ما يمكن ان تستغني عنهُ البلاد المصرية . ولا يدخل في هذا الحصر الاراضي الواقعة في منطقة الامطار التي تختلف مواقيت الزراعة فيها عنها في مصر والري فيها لا مساس لهُ بمقدار المياه الواردة الى القطر المصري

وحيث انهُ يجب النظر في المسألة من كل وجوهها فانا اعتقد ان من الصواب فحص شلالات النيل من وادي حلفا الى شباوكه والبحث فيما اذا كانت في هذه المنطقة نقطة تصلح لاقامة سد وخزان ثانٍ وبهذه الواسطة يمكن اذخار زائد المياه التي يحتاج الامر اليها فيما اذا كان السد لا يعلى . والذي اراهُ اذًا ان يرسل ركاب مخصوص لهذا الغرض في ابتداء الشتاء الآتي لاستخراج مناسيب الشلالات ومساحتها بالتفصيل وهذا العمل يستغرق سنتين في الاقل

مجيء السير بنيامين بيكر كان المستروب قد عرض عليَّ مقايسة بمبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه من اجل الاعمال التحفظية فقط وقد تقرر لها المبلغ اللازم. و يشير السير بنيامين بيكر اليوم بالتوسع في هذا العمل كثيرًا و بوجوب انجازهِ في اقصر ما يمكن من الزمن سنعمل نحن بهاتين النصيحتين. هذا وليس بالغريب ان تكون اعمال تحفظية كهذه ضرورية فمن يراقب مقدار ما يندفع من المياه من البوابات في اوان امتلاء الخزان تأخذهُ الدهشة من تحمل الصخور التي خلف السد ما تحملتهُ من صدمات المياه العنيفة المتوالية الى الآن اذًا لا بدَّ ان تصادف المياه يومًا ما شقوقًا او فلوعًا في ظواهر تلك الصخور فان لم تكن تلك الظواهر او السطوح سليمة في كل اجزائها يخترق الماء النقط الضعيفة منها و يزعزع مجموع ما يكون فوقها مسنودًا عليها

ومع ذلك فليس في الامر من داعٍ للقلق في مستقبل الايام لانهُ ستقام للسد ضفرة يكون بناؤُها على نمط يجعل السطح الذي تسقط عليهِ المياه مستويًا بقدر الاستطاعة فينبسط الماء على الضفرة طولاً وعرضًا و بواسطة ادارة البوّابات يكون في الامكان مراقبة اجزاء تلك الضفرة جميعها في اشهر الصيف والشتاء التي تكون فيها قوة الاندفاع في معظمها

وقد اشار السير بنيامين بيكر باحداث تعديلات جزئية في بعض الابواب السفلية لسهولة تشغيلها وسيتم هذا العمل حسب مشورتهِ

هذا والمسألة الكبيرة الاهمية التي يجب تدبرها والتبصر فيها هي مسألة تأجيل المشروع المختص باعلاء السد او العدول عنهُ وما يكون لذلك من التأثير في شؤُون الري في الديار المصرية والسودانية وفي هذا الشأن اقول

نحن اليوم على يقين من ان السد الحاضر متين سليم من جميع الوجوه ولكن يؤْخذ من تقرير السير بنيامين بيكر على ما أرى انهُ مع وجود النظرية المتقدم ذكرها التي وجدت حديثًا بشأن ثبات السدود المبنية ومتانتها ليس من المؤكد انهُ سيشير باعلاء السد مطلقًا او انهُ لا ينصح باجراء هذا العمل الاَّ الى حدٍّ محدود وعلى كل حال لا بدَّ من مرور اربع سنوات على الاقل قبل زيادة مياه الري في مصر (١)

وعليهِ فاذا لم يعلَّ السد اقتضت الحال اتخاذ وسيلة اخرى لازدياد المياه الصيفية

ثم اني في كتابي الذي وضعتهُ في العام الماضي عن موارد النيل الاعلى ذكرت مشروعات مختلفة يقتضي درسها وذلك للوصول الى هذه الغاية خصوصًا ما يتعلق منها بمنع ضياع المياه

(١) سنتان لنجاز الاعمال التحفظية وسنتان لاعلاء السد

دقيق الآلات

للتقدُّم الصناعي العظيم الذي تقدمهُ اوربا واميركا في القرن الماضي اسباب كثيرة اخصها دقَّة آلات الوزن والقياس . وقولنا ان الموازين والمقاييس دقيقة جدًّا لا يوصل الى ذهن القارىء والسامع معنًى يقارب الصورة التي نريدها لان هذه الدقة تفوق كل تصوُّر الفناه . انظر الى الموازين التي يزن بها الصاغة الذهب والفضة والحجارة الكريمة فان معاييرها القيراط والحبة وكسور الحبة الى سدسها واذا دقَّ الموزون اكثر من ذلك عجز الميزان عن الشعور بهِ ولكن اين هذه الموازين من الميزان الكيماوي الذي يوزن بهِ جزء من الف جزء من الحبَّة الواحدة . فاذا قطعت ورقتين متساويتين تماماً ووضعتهما في كفتي هذا الميزان حتى توازنتا تماماً ثم كتبت على احداها حرفاً بقلم الرصاص واعدتها الى كفة الميزان رجحت على اختها ولو لم يزد وزن ما لصق بها من قلم الرصاص على جزء من الف جزء من القمحة . وميزان مثل هذا يجب وضعهُ في صندوق محكم جوانبهُ من الزجاج لكي لا تؤثر فيهِ مجاري الهواء . وان قيل كيف يمكن الوصول الى عيار ثقلهُ جزءٌ من الف جزء من القمحة اجبنا انهُ تسحب قطعة من معدن الالومنيوم الخفيف حتى يكون منها سلك طولهُ متر ثم يقطع قطعاً طول كلٍّ منها مليمتر فيكون وزن كل قطعة جزءًا من الف جزء من القمحة

والمقاييس ادق من الموازين جدًّا فقد يقاس بها ما طولهُ او ثخنهُ جزءٌ من الف جزء من المليمتر وطريقتها بسيطة جدًّا وهي ان اللولب الذي البعد بين الخطين من خطوطهِ خمس مليمتر يتقدم خمس مليمتر كلما دار دورة كاملة فاذا كان في طرفهِ قرص محيطهُ مئة مليمتر وعليهِ اسنان البعد بين كل سن واخرى منها نصف مليمتر وأُدير اللولب مقدار سن واحدة فيكون قد تقدم الى الامام جزءًا من ١٠٠٠ جزء من المليمتر

ولا بدَّ من ان تكون خطوط اللولب وخطوط قرصهِ على تمام الانتظام وقد صنعوا ميكرسكوباً يرى بهِ اقل خلل فيها وآلة تصلحهُ مهما كان مقدارهُ قليلاً

واذا تركبت اللوالب بعضها مع بعض حتى يدير احدها الآخر وهذا الذي يليهِ فقد يقاس بها ما طولهُ او ثخنهُ جزءٌ من اربعين الف جزء من المليمتر اي جزءٌ من مليون جزء من (العقدة) ومتى بلغت الخطوط هذا المبلغ من الدقة لم يعد تخطيطها ممكناً بالوسائل العادية فصنع الاستاذ هنري رولند الاميركي آلة تخطط ٤٣٠٠٠ خط متوازٍ على صفيحة من المعدن طولها بوصة واحدة اي تخطط ١٧٢٠ خطاً في المليمتر الواحد . ومعلوم ان سمك ورقة السيكارة جزءٌ

وربما اكثر من ذلك وينبغي الشروع فيهِ باسرع ما يمكن من الزمن

عند ما كان من المحتمل اعلاء سد اصوان لم يكن حينئذٍ من ضرورة للبحث في ذلك والان لما نشأ الشك والريب في اعلاء السد ارى ان الحاجة ماسة الى هذا الامر. ولا خفاء انهُ متى تيسر لنا جلب مقدار كبير من المياه من النيل الاعلى توجب علينا الخال حينئذٍ اتخاذ طريقة لخزنها في اقرب مكان من الاراضي التي تحتاج الى هذه المياه

ثم اني في شهر فبراير سنة ١٨٩٧ بحثت بحثًا وجيزًا في امر الشلالات بين وادي حلفا وحنك ووضعت لبحثي تقريرًا في شكل كتاب ازرق

وفي هذا التقرير بحثت بالايجاز عن الاماكن التي تصلح للغرض المقصود ووجدت انهُ يعترض على كل مكان منها ولكن ما يعترض بهِ عليها ليس ممَّا لا يمكن التغلُّب عليهِ ومن المحقق تقريبًا ان بين الشلال الثاني والسادس مواقع يستطاع خزن المياه فيها ولا مشاحة ان ما من بناء مثل هذا الاَّ استدعت اقامتهُ نفقات طائلة لبعد المكان او لصعوبة النقل وقلة الرجال

فلو عدلنا عن مشروع اعلاء الخزان لا نجد امامنا بابًا آخر غير ما ذكر وعليهِ أرى من الواجب الشروع في هذه المباحث في زمن قريب

والخلاصة انهُ وان كان التأخير يضعف الآمال حقيقة وان كان عدم اعلاء السد يحرم مصر وسيلة عاجلة لزيادة المياه فيها فلا يصح مع ذلك ان يقال بان هذا الامر عائق خطير يعيق تقدم القطر لان هذا التقدم كان ولا يزال سائرًا بسرعة غير اعتيادية وان السنين القليلة التي يكون فيها التقدم بطيئًا بالنسبة الى السرعة المذكورة لا يعتدّ بها

فمصر قد حصلت على نفع عظيم مقابل المبالغ التي انفقتها على سدّ اصوان ويمكنها بدون مشقة زائدة ان تنتظر الزمن الذي يتبين لنا فيهِ اي مشروع من المشروعات المختلفة هو المشروع الاصلح ويكون من شأنهِ زيادة الاراضي الزراعية عما هي عليهِ الآن(١)

(امضا) جارستن

مستشار نظارة الاشغال

العمومية

[المقتطف] اطلع السر وليم ولككس على هذه المذكرة فارتأى ان تخزن زيادة مياه الفيضان في برك كبيرة في الوجه البحري لتستعمل وقت التحاريق

(١) سيرد في تقرير اللورد كرومر لسنة ١٩٠٤ ارقام جمعها المستر وب وادرجتها في مذكرة رفعتها لجنابهِ وضمن هذه الارقام دلائل التحسين العظيم الذي نشأ عن اقامة خزان اصوان

القص والقطع فيقصون من البارافين (الشمع الابيض) صفيحة رقيقة لا يزيد سمكها على جزء من خمس مئة جزء من المليمتر اي لو جمع خمسة آلاف صفيحة منها معاً ما بلغ سمكها اكثر من سنتمتر واحد. وهذه الصفائح تستعمل في البحث المكرسكوبي. والآلة المشار اليها تقطع كرية الدم التي لا ترى الاَّ بالمكرسكوب الى ثلاث قطع متساوية كما يقطع قرص الجبن بالسكين

وجملة القول ان صانعي الآلات الدقيقة في اوربا واميركا بلغوا في دقتها حدًّا يفوق التصوُّر. ولكن المهارة التي بلغوها لم يستأثروا بها بل يستطيع كل احد ان يتعلمها منهم ويجاريهم فيها وفوائد العمران مباحة للجميع

الفلاَّح في الصباح

[المقتطف اقترحنا على حضرة مصطفى افندي الرافعي ان ينظم للمقتطف قصيدة موضوعها الفلاَّح المصري واعمالهُ . وطلبنا منهُ ان يخليها من كل كلمة غريبة وتركيب غير مألوف حتى لا يتعذر فهمها على جمهور الفلاحين. فنظم الابيات التالية والظاهر انهُ لم يستطع ان يخليها من الغريب على الفلاحين كاللجج والاماني والمهج ولا من التراكيب التي لم يألفها جمهورهم كقولهِ "فهي ان تأبَ عليهِ قرُبا وهو ان نقربْ تولى وابى" لكن الشطر الاول والاخير من هذين الدورين يشفعان بما فيهما من الغريب . وحبذا لو توخى هو او غيرهُ نظم قصائد على هذا النحو مألوفة اللفظ والمعنى كما كثر ابيات هذه القصيدة يحفظها الفلاح وابنهُ وابنتهُ ويتغنون بها . فان اشعارًا مثل هذه معربةً خالية من التعقيد اللفظي والمعنوي تفيد في نشر اللغة المعربة وتعميمها اكثر من كل وسائل النشر. واذا وقعت فيها كلمة لغوية تدلُّ القرينة على معناها دلالة واضحة او وقع فيها تركيب غير مألوف ولكن يدلُّ سياق الكلام على المراد منهُ لم يجد الذهن مشقَّة كبيرة في ادراكهما . وبذلك تصلح لغة العامَّة وتتسع]

هاتِ يا محمودُ لي المحراثَ حالا   وضع الآنَ على الثورِ الحبالا
يا عليُّ قم فخذْ هذي الجمالا   للسباخِ قاربَ الصبحُ الطلوعْ

***

أنتِ يا خضرة قومي فاحلبي   يا سماحي قلْ لزينبَ اذهبي
وخذي خبزًا ومشًّا لابي   ثم أَرسلْ هائمًا ترعى القطيعْ

من الف جزء من البوصة فيرسم بهذه الالة ٤٣ خطاً متوازياً على حرف ورقة السيكارة. وهذه الخطوط ادق جداً من ان ترى بالعين ولكنها ترى بالميكرسكوب والمعدن الذي تحفر فيهِ هذه الخطوط مزيج صلب جداً يجلي حتى يصير كالمرآة وترسم الخطوط عليهِ بقلم دقيق من الماس. والآلة التي تحرك قلم الماس تكون في غرفة لا تتغير حرارتها مطلقاً والاَّ تغير تمدُّد معدنها بالحرارة وفسد العمل

وعندهم حيلة قديمة مشهورة للاستدلال على المقاسات الدقيقة استنبطها بطرس ڤرنير البلجيكي منذ سنة ١٦٣١ فسميت باسمهِ وهي مقياس صغير يزلق ملاصقاً للمقياس الكبير طولهُ جزء وعشر جزء من اجزاء المقياس الكبير ولكنهُ مقسوم الى عشرة اقسام فقط فاذا كان طول الجزء من المقياس الكبير سنتمترًا واحدًا وهو مقسوم الى عشرة مليمترات وطول القرنير ١١ مليمترًا ولكنهُ مقسوم الى عشرة اقسام متساوية فكل قسم منها مليمتر وعشر مليمتر فاذا كان حد المقيس بين خطين من خطوط المقياس الكبير كأن يكون بين المليمتر السادس والسابع بوضع صفر القرنير على هذا الحد وينظر اين تلتقي خطوط القرنير بخطوط المقياس الكبير فان التقت عند الخط الثالث من خطوط القرنير فطول المقيس ستة مليمترات وثلاثة اعشار المليمتر. والقرنير متصل باكثر آلات المساحة والهندسة واذا كانت خطوطهُ دقيقة تقرأُ بميكرسكوب صغير متصل بهِ

ومهما كانت الموازين التي تزن الاثقال والمقاييس التي تقيس الاطوال دقيقة لا تبلغ دقتها شيئاً مذكورًا بالنسبة الى دقة المقاييس الكهربائية اي التي يقاس بها مقدار المجرى الكهربائي فان مقياس د'ارزنڤال مثلاً يدلُّ على تغيُّر المجرى الكهربائي ولو كان هذا التغيُّر جزءًا من ستة عشر مليون مليون جزء من الامبير اي لو فرضنا انهُ ينصبُّ مليون متر مكعب من النيل كل ساعة من الزمان وفرضنا ان هذا المقدار من الماء يعادل امبيرًا واحدًا من الكهربائية ثم زاد هذا المقدار من الماء نقطةً واحدة او نقص نقطة واحدة فان المقياس المشار اليهِ يدلُّ على الزيادة او النقصان

ومما يجري هذا المجرى مقياس الحرارة الدقيقة وهو مبني على تولد الكهربائية بواسطة الحرارة وانحراف ابرة مغنطيسية بها فتقاس حرارة اليد بهذه الآلة وهي على عشرة امتار منها وتقاس بها حرارة النجوم

ومن آلات الدقيقة آلة تقاس بها الحركة مهما كانت بطيئة فاذا كانت سرعة الريح بمعدل سنتمتر واحد كل ثلاثة ايام فالآلة تشعر بها وتدلُّ عليها

وكما تفننوا في المقاييس والموازين وبلغوا بها هذا المبلغ الفائق من الدقة تفننوا في آلات

عاقبة الاسراف

توفي بالامس رجل انكليزي تجشم اسلافهُ المشاق حتى جمعوا ثروةً طائلة فورث منهم ثلاثين الف فدان ودخلاً سنويًّا لا يقلُّ عن مئة وعشرة آلاف جنيه اي اكثر من المال المقطوع لخديوي مصر ورتبةَ شرف سامية ليس فوقها الاَّ رتبة دوق. ولم يُهمَل تعليمهُ وتهذيبهُ فدرس في مدرسة من اشهر المدارس الانكليزية وزُوّج فتاة من جلّة القوم مشهورة بادبها وجمالها ولكنهُ لم يبلغ الثلاثين من عمرهِ حتى بدَّد ثروتهُ كلها واستدان فوقها اضعاف اضعافهما ومات لا يملك شيئًا

اسم الرجل هنري سسل باجت مركيز انجلسي من نسل البارون باجت الذي نشأ في اواسط القرن السادس عشر والمركيز هنري وليم باجت الذي كان قائدًا للفرسان في واقعة وترلو الشهيرة وصار مرشالاً ثم حاكمًا لارلندا

وليس من غرضنا ان نكتب تاريخ هذا الرجل بل ان نشير الى طرق الاسراف التي اتَّبعها فصارت ملكة فيهِ بدَّد بها ثروتهُ واتلف صحتهُ وثلم صيتهُ ومات عليلاً سقيمًا قبل ان يمرَّ عليهِ ثلاثون حولاً

كان غرامهُ بل جنونهُ في التمثيل واقتناء الجوهرات فبنى دارًا للتمثيل في قصرهِ بانجلسي انفق عليها بدرات الاموال وجلب لها ثلاثين ممثلاً من اشهر الممثلين وقطع لهم الرواتب الطائلة وصنع لهم من الملابس الفاخرة ما يكل عن وصفهِ القلم وكان يمثّل معهم فظهر في رواية علاء الدين لابسًا رداء تغطيهِ الجواهر وخوذة تتدلَّى منها سموط اللؤلؤ النظيم. وظهر في رواية اخرى والحجارة الكريمة تغطيهِ كلهُ من رأسهِ الى قدمهِ

وكان يبتاع هذه الجواهر باثمان فاحشة ثم لا يعتني بحفظها حتى ان احد خدمهِ سرق منها مرَّةً ما ثمنهُ ثلاثون الف جنيه وكان فيهِ لؤلؤة واحدة موروثة في عائلتهِ ثمنها اثنا عشر الف جنيه وهي من الفرائد النادرة المثال

لكن عاقبة الاسراف الافلاس فافلس وقبض المداينون على ما في قصرهِ وباعوهُ بالمزاد فوجدوا فيهِ من النفائس ما لا يوجد في قصور الملوك ومن السخائف ما لا يجمعهُ الاَّ مختلو الشعور وجدوا فيهِ جواهر تساوي خمسة وعشرين الف جنيه في درج غير مقفل ووجدوا آنية الذهب مبعثرة في غرفهِ كانها قطع من الخشب فالاقلام والدويات من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة والكوَب والبرشات وعلب البودرا من الذهب ايضاً . ووجدوا عندهُ تسع مركبات من

يا الهي كن بعوني واكفني شر أطماع الخواجا واهدني
للرضا وبالقنوع أغنني عزَّ من كان غنيًّا بالقنوع

***

ثم بارك في بنيَّ أجمعين وكن اللهمَّ لي خير معين
واكفنا أدواء هذه السنين إنَّ مَن لم تكفهِ انتَ يضيع

***

قال بسم الله ربي وخرج والصباح لجج فوق لجج
والضياء كالاماني في المهج والدجى في مهبط النجم صريع

***

والنبات في غرام بالصبا فهي ان تأبَ عليهِ قربا
وهو ان تقرب تولّى وأبى والندى في اعين الزهر دموع

***

ذلك الفلاح سلطان النشاط في يديهِ صولجان من سياط
ولهُ اين مشى الزرع بساط وهو في مملكة الخلق وضيع

***

ملك لا يعرف الهمَّ ولا يبتغي بكل عيش بدلا
لا يقول ليتَ قلبي قد خلا من همومي أو خلت منهُ الضلوع

***

فتحت شمس النهار عينها فرأت في مسرح الارض ابنها
قائماً يسأل مَن كوَّنها ان يكون العام في خصب الربيع

***

فرمت في الارض مثل الذهب وأشارت للفتى إنْ تدأبِ
أعطكَ الخيرَ جزاء التعبِ فانحنى الظهرُ علامةَ الخضوع

***

كلُّ فلاح على ذلتهِ كتب الدهرُ على جبهتهِ
أن هذا المرء من حرفتهِ عاش في الدنيا الوضيعُ والرفيع

مصطفى صادق الرافعي

باب الزراعة

تسميد القطن

وضع المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية رسالة مختصرة في تسميد القطن رأينا ان نترجمها ونلخصها افادة لقراء المقتطف من اهل الزراعة قال

ان البحث في تسميد القطن يدعونا الى النظر في امرين مهمين الاول تكثير المحصول والثاني اجادة نوعهِ . لانهُ لا يكفي ان يكون محصول القطن كثيرًا ولكنهُ من نوع واطيء رخيص الثمن . ويجب في الوقت نفسهِ ان لا تكون نفقات التسميد كثيرة اي يجب ان نحصل على اكثر ما يكون من المحصول واجود ما يكون منهُ باقل ما يكون من النفقات

ومسألة تسميد القطن اصعب من مسألة تسميد القمح والذرة فانهُ لابد من معرفة طبيعة الارض التي يضاف السماد اليها وذلك اهمُّ جدًّا في القطن ممَّا هو في غيرهِ من المزروعات لان استعمال نيترات الصودا يفيد زراعة القمح في كل الاراضي المصرية تقريبًا ولكن لا يوجد سباخ يفيد القطن في كل الاراضي على حدٍّ سوى بل لا بدَّ من معرفة طبيعة الارض وما كان مزروعًا فيها ومعرفة الجهة ايضًا قبل الحكم على السباخ الذي يفيد القطن فيها

والقاعدة العامَّة ان سباخ القطن في القطر المصري يجب ان يكون حاويًا مواد آلية اي يجب ان يكون اساسهُ الزبل او السباخ البلدي ولكن قلة الوقود في القطر المصري تحمل الفلاحين على حرق الزبل ولولا زرع البرسيم الذي يردّ الى الارض جانبًا من النيتروجين لانحلت اراضي القطر المصري لامحالة ومن المحقق ان السباخ الكيماوي يقوم مقام السباخ البلدي في تسبيخ القطن ولكن اذا زُرعت الحبوب بعد القطن لاتستفيد من السباخ الكيماوي الذي سبخ بهِ كما تستفيد من السباخ البلدي اذا سبخ القطن بهِ

فلا بدَّ من السباخ البلدي او ما يقوم مقامهُ لحفظ خصب الارض ولكن هذا لا ينفي فائدة الاسمدة الكيماوية

ولا يخفى ان مساحة الارض التي تزرع قطنًا قد زادت كثيرًا في السنين الاخيرة

مركبات الاتوموبيل ثمن واحدة منها ٢٥٠٠ جنيه لم يركب فيها الاَّ تسعة عشر ميلاً

اما موضع الاستغراب الاكبر فهو في ملابسهِ فانهم قسموا ثيابهُ رزماً كبيرة باعوا كل رزمة منها على حدة وكان من هذه الرزم ٦١ رزمة كلها احذية واجربة و ٢٦٠ رزمة كلها ثياب وقمصان واردية وبينها ٧٢١ ربطةً من ربطات الرقبة واكثر من مئة رداء مما يلبس في الصباح وهي من الحرير وبعضها مطرَّز تطريزاً بديعاً او مبطن بالفراء والوانها مختلفة واشكالها غريبة . و٤٨ رزمة من الصداري فيها من كل الاشكال والالوان التي يمكن ان يتصورها العقل . اما القمصان ونحوها من الثياب التحتانية فباعوا منها ٣٧٤ قميصاً من قمصان الحرير و ٢١٦ زوجاً من جوارب الحرير و ٧٤٤ منديلاً . وبين القمصان قمصان سوداء كان يلبسها تحت ثياب بيضاء ليكون على ضد ما يجري عليهِ الناس . وقُدِّر ثمن رداء من ارديتهِ بالف جنيه لانهُ من جلد القاقم الاسود . والظاهر انهُ كان يشتري هذه الثياب بكميات كبيرة ثم ينساها ويشتري غيرها وهلمَّ جرًّا

واغرب من ثيابهِ العصي التي كان ينفق عليها امواله' فانها من كل شكل ونوع واكثرها مرصع بالحجارة الكريمة ومقابضها في صور حيوانات مختلفة عيونها من الجواهر ولم يترك حيواناً الاَّ وكان عنده' عصاً مقبضها مثل رأسهِ

ودام المزاد في القصر اربعين يوماً واما التحف الغالية الثمن فنُقلت الى لندن وبيعت فيها ومع ذلك لم يستوفِ المداينون ثلاثين في المئة من ديونهم

ثروة طائلة يكفي ريعها مئة بيت لتعيش بالرخاء والرفاهة اضاعها رجل واحد في اعوام قليلة باسرافهِ وتبذيرهِ واضاع فوقها صيتهُ وصحتهُ . هذه عاقبة الاسراف

والظاهر ان اكثر ابناء الاغنياء في هذا القطر جارون هذا المجرى فيخربون البيوت التي عمرها آباؤهم ويبددون الاموال التي جمعها اسلافهم ويقضون السنين القليلة الباقية من عمرهم في الضعف والذل الى ان تدركهم الوفاة . ولعلَّ ناموس الكون يقتضي ذلك لكي تتوزع الاموال بعد تجمعها وينقطع نسل مَن لا خير منهُ . وهو ناموس صارم ولكنهُ عادل ونتيجتهُ افادة النوع بوجه عام والاَّ تجمعت الاموال عند افراد قليلين . لكن العاقل غير مكلَّف بتعريض نفسهِ وولدهِ لطائلة هذا الناموس

اما وارث مركيز انجلسي فلا يُترك فقيرًا لان في اراضيهِ الموقوفة معادن غنية ينتظر ان يكون منها ريع وافر

الارض التي هي اجود منها فيكفيها ٦٠ او ٦٥ كيلو للفدان . ويدلُّ الامتحان على ان نيترات الصودا احسن غالباً من كبريتات الامونيا واحسن من ذلك مزيج من الاول والثاني ويكون مقدار الاول اكثر من مقدار الثاني . والاول اسرع فعلاً من الثاني فيفيد الزرع في بداءتهِ ويقويهِ على مقاومة الآفات التي تعرض لهُ في صغرهِ والثاني يفيدهُ بعد ما ينمو واذا كان كثيراً زاد في نموهِ فيتأخر ظهور اللوز فيهِ . فتتم الفائدة بمزج ٦٠ او ٧٠ كيلو من نيترات الصودا و٢٥ او ٣٠ كيلو من كبريتات الامونيا في الاراضي التي يبلغ محصول الفدان منها عادةً من ٣ قناطير الى ٥ واما الاراضي التي يبلغ محصول الفدان منها من ٥ الى ٦ فيكفي فيها ٥٠ كيلو من نيترات الصودا و١٥ الى ٢٠ كيلو من كبريتات الامونيا والاراضي التي يبلغ محصول الفدان فيها اكثر من ستة قناطير يكفي فيها ٤٠ الى ٥٠ كيلو من نيترات الصودا من غير ان يضاف اليها شيءٌ من كبريتات الامونيا

واما الفصفات فمقدار ما يضاف منها الى الفدان ٢٠٠ كيلو وهي تفيد في كل حال . والاطيان المصرية لا تحتاج الى البوتاسا غالباً

لنفرض الآن ان الاطيان اعتيادية في خصبها ومحصول الفدان منها عادة من ٤ قناطير الى خمسة وعند المزارع قليل من السباخ البلدي فلا بدَّ من ان يضيفهُ الى الارض قبل الحرث الاخير على طريقة التسبيخ العادية ثم ينظر في كيفية تسميدها بالسماد الكيماوي اي بفصفات الصودا و بنترات الصودا و كبريتات الامونيا

اما الفصفات فتختلف طرق تسبيخ الارض بها فالبعض يفرشون هذا السباخ على الارض وقت الحرثة الاخيرة والبعض يبذرونهُ في الخطوط ثم يخططون الارض ثانية فيقع السباخ تحت جذور القطن حينما ينبت . ولكن ظهر من التجارب في ميت الديبة ان طريقة التكبيش افضل من غيرها . واكثر الفرق بين هذه الطرق قائم في سهولة العمل بها وصعوبتهِ . والامر المقرر ان الفدان يحتاج الى مئتي كيلو من الفصفات

هذا من حيث كيفية تسبيخ الارض بالفصفات اما تسبيخها بالنيترات فاصعب نوعاً والوقت المناسب للتسبيخ حينما يخفف نبات القطن اي بعد ما يزرع باربعين او خمسين يوماً وذلك بان يؤخذ ٦٠ او ٧٠ كيلو من نيترات الصودا لكل فدان وتدق جيداً حتى تنعم وتمزج بضعفيها او ثلاثة اضعافها من التراب الناعم و يسبخ بهِ نبات القطن تكبيشاً اي توضع كمشة منهُ عند اصل الشجرة وتطمر بالفاس ثم يروى القطن فيكون من ذلك غذاءٌ كافٍ للقطن . فاذا كانت الارض جيدة او كانت قد سجت بالسباخ البلدي او كان القطن مزروعاً تحت البرسيم

وكثيرون من المزارعين لم يعودوا يكتفون بزرع ثلث اطيانهم قطناً بل صاروا يزرعون نصفها قطناً اي صارت الارض تستريح من زرع القطن سنة واحدة بعد ان كانت تستريح سنتين وهذا يزيد حاجتها الى التسميد ويزيد الصعوبة في وجود السباخ البلدي الكافي فيضطر كثيرون ان يتركوا قطنهم من غير تسميد او ان يلجأوا الى استعمال الاسمدة الكيماوية. والمسألة الآن ليست قائمة على تفضيل السباخ البلدي على السماد الكيماوي او السماد الكيماوي على السباخ البلدي بل على ان السباخ البلدي قليل جداً غير كافٍ فهل نستعمل السماد الكيماوي او نترك القطن من غير تسميد . وخير الطرق ان يستعمل القليل الموجود من السباخ البلدي ويضاف اليهِ ما يكفي من السماد الكيماوي فان ذلك افضل من ترك جانب كبير من القطن من غير تسميد . وقد توجد اراضٍ شديدة الخصب تستغني عن السماد لكنها قليلة نادرة

وقد ظهر من التجارب في السنين القليلة الماضية ان السماد الكيماوي يفيد جداً في الاراضي الضعيفة والمتوسطة واما في الاراضي الكثيرة الخصب فالسماد الكيماوي قد يزيد نمو النبات ولكنهُ لا يزيد لوزهُ . ولا يُعلَم حتى الآن ما هي المقادير التي يجب ان تستعمل من كل نوع من الاسمدة المختلفة اذا اريد مزجها معاً لان ذلك يقتضي امتحاناً كثيراً مدة سنوات كثيرة

والعناصر التي تضاف الى الارض بواسطة السماد اهمها ثلاثة النيتروجين والحامض الفصفوريك والبوتاسا . ويظهر من تحليل الاراضي المصرية انها تحتاج الى النيتروجين اكثر مما تحتاج الى غيرهِ وانها غنية بالحامض الفصفوريك بنوع عام واغنى من ذلك بالبوتاسا فهي محتاجة اذاً الى السماد النيتروجيني والى شيء من السماد الفصفوري . والسماد الفصفوري يحسّن نوع القطن ويسرع تفتيحهُ ولذلك فالسماد المختلط من المواد النيتروجينية والفصفورية مفيد جداً لزراعة القطن

وتوجد مادتان فيهما نيتروجين صالح للزراعة الواحدة نيترات الصودا والثانية كبريتات الامونيا . والمادتان متشابهتان في فعلهما ولكن نيترات الصودا اسرع فعلاً . ولا بدَّ من الالتفات في زرع القطن المصري الى التبكير في بلوغ المحصول لانهُ اذا تأخر يبقى جانب كبير من اللوز من غير تفتيح ولذلك فمن السماد الفصفوري فائدة كبيرة لاسيما وانهُ يجيد نوع القطن. اما السماد النيتروجيني فيفيد في زيادة نمو النبات وقوتهِ وفائدتهُ الكبرى في الاراضي الرقيقة التي يكون نبات القطن فيها صغيراً واما اذا كان النبات ينمو فيها ويكبر جداً فلا يحسن استعمال السماد النيتروجيني او يجب استعمالهُ بالحذر التام وكذلك اذا كانت الارض مزروعة برسيماً قبل القطن قلت حاجتها الى السماد النيتروجيني

والمتبع الآن في الارض الرقيقة ان يسمد الفدان بمئة كيلو من السماد النيتروجيني واما

ومن تلك الاسباب تأخير الحرث فان كل فلاح يتأخر في حرث ارضهِ وخدمتها يخطئ. اما سبب التأخير فكثيرًا ما يكون ناشئًا عن طمع الفلاح بحش البرسيم مرة او مرتين بعد ما يكون البدء بخدمة القطن قد قرب موعده فيجلب بذلك الضرر لنفسهِ لان تأخير الزراعة يؤخر نموها فيسبب عجزًا في محصولها هو اضعاف ما يربحهُ ذلك الفلاح من الابقاء على برسيمهِ. على اننا لا ننكر ان البدء بخدمة القطن يختلف باختلاف الجهات ودرجة الحرارة فيها ففي الوجه القبلي مثلاً يبدأون بزراعة القطن حين يبدأ مزارعو الوجه البحري بالحرث. والوجه البحري نفسهُ تختلف جهتهُ القبلية عن جهتهِ البحرية كاختلافهِ هو عن الوجه القبلي

وقد اعتاد فلاحو القسم البحري من الوجه البحري ان يتأخروا في خدمة الزراعة تأخرًا عظيمًا يضرُّ بزراعتهم. على اننا لا ننكر ان حالة الجو تعاكسهم احيانًا فتضطرهم الى تأخير زراعتهم ولكنهم اذا تدبروا الامر وتبصروا وخلوا عنهم الطمع بحش البرسيم كما ذكرنا آنفًا استطاعوا شق الارض بالمحاريث وتعريضها للشمس والهواء فتنشف وتجف وتصير صالحة للحرث ثانية وثالثة واتمام سائر خدمتها

ومن تلك الاسباب ايضًا انهم لا يعمقون الحرث مع ان تعميقهُ الركن الاهم في انماء الزراعة لان تنعيم الارض الى عمق يستلزمهُ نماء الشجرة امر واجب اذ تتمكن جذور الشجرة بذلك من التشعب والامتداد تحت الارض والتغذي تغذيًا كافيًا. وقد دلنا الاختبار على ان السبب في عجز الفلاح وتقصيرهِ في تعميق الحرث عدم اعتنائهِ بتربية مواشيهِ اعتناء يجعلها نشيطة قوية وعدم اقتنائهِ مواشي قوية قادرة على الحرث المطلوب. ترى الفلاح يحرث على بقرة ضعيفة والى جانبها جاموسة اضعف منها فلا تمضي ساعتان وهما تفلحان حتى تتعبا كثيرًا فيضطرُّ الى رفع السلاح حتى لا يغوص في الارض الأبعضهُ وهذا البعض غير كافٍ فهو لا يخدم الاطيان والحالة هذه خدمة وافية بالمرام فلا تنمو شجرة القطن النمو الكافي ولا يجني الفلاح منها محصولاً يرجيهِ. ودواء هذا الداء تعميق الحرث تعميقًا وافيًا

ومن الاسباب الداعية الى ضعف الزراعة وبطء نموها وعجز محصولها طمع الفلاح بزرع معظم اطيانهِ قطنًا كل عام. فقد اثبتت التجارب انهُ لا يحسن ان يزرع اكثر من ثلث الارض قطنًا فان فدان الارض الذي يزرع قطنًا في هذا العام لا يجوز زرعهُ قطنًا في العام التالي لهُ لانهُ يكون قد فقد بعض المواد اللازمة لتغذية القطن فيجب اراحتهُ من زراعة القطن عامين وتسميدهُ ايضًا ليسترد ما فقدهُ من القوة

رأى الفلاح ارتفاع ثمن القطن في السنوات الاخيرة فاهتم بشراء الاطيان باغلى الاثمان

فالكمية المذكورة من نيترات الصودا تكفي والاَّ وجب ان يضاف اليها ٢٥ الى ٣٠ كيلو من كبريتات الامونيا انتهى

(وقد طُلب منا ان نزيد ذلك تفصيلاً ونذكر المقدار الذي يوضع من السباخ لكل شجرة من اشجار القطن وقت التكبيش فنقول لنفرض ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً عشرة افدنة والقطن فيها مزروع بعد البرسيم وهو الغالب فكل فدان منها يحتاج الى ٥٠ كيلو من نيترات الصودا تدق بمدق من الخشب حتى تنعم جيداً ويضاف اليها ٢٠٠ كيلو من اعلى فصفات الصودا و٢٥ مقطفاً من التراب الناعم وتمزج المواد الثلاث جيدًا فيكون المزيج نحو الف كيلو للفدان. والعادة ان يزرع في الفدان نحو عشرة آلاف شجرة من شجر القطن فيصيب الشجرة من هذا السباخ نحو ١٠٠ غرام اي ما يملأ فنجاناً كبيرًا من فناجين القهوة او قبضة باليد توضع عند جذور الشجرة وقت خف النبات وتعزق الارض حول الجذر ثم يروى القطن حالاً)

زراعة القطن

شجرة القطن هي التي تقوم لها البلاد وتقعد اذا حلت بها آفة وهي التي قضى مصلحو هذا القطر اعواماً في توفير سبل اروائها وتسهيلها وقدح كبار المهندسين زناد الفكر في تخزين الماء لسقيها وانفقت الحكومة المال عن رضى وطيب خاطر على انمائها وجعل الارض الفضاء مخصبة حبًّا بها. فلا غرو اذا قلنا ان اغصانها قضبان ذهب ترصعها الجواهر فتبهر النواظر وتبهج الخواطر سلّمت الى فلاح صغير فلم يحسن حتى اليوم ادارتها ولا ادرك قيمتها. على ان كبار المزارعين نظروا اليها بملء العيون ووجهوا اليها كلَّ عنايتهم ففاز بعضهم واصاب ثروة طائلة . غير ان هؤلاء لسوء الحظ قليل عددهم في البلاد. فازمَّة الزراعة قابض عليها صغار الفلاحين وهم السواد الاعظم في القطر . فاليهم خصوصاً اوجه مقالي

ان من اعظم ما يرتكبه الفلاح من الخطإِ حرثهُ ارضهُ وهي طرية بعد اروائها او بعد نزول المطر عليها فيتعذر عليهِ القيام بخدمتها . واضيف الى هذا ان جذور العشب لا تلبث ان تعود فتنمو وتسابق القطن في الاغتذاء من الارض فتؤخر انماء اشجارهِ ثم ان الرطوبة تحدث تعفناً ببعض بذور القطن فلا يعود صالحاً للنماء وما ينمو منهُ يكون شجرهُ ضعيفاً. فالواجب اذا حرث الارض وهي ناشفة اذ تكون جذور العشب قد جفت ويبست فتنمو البزور بسرعة ونشاط لا يقاومها عدوٌّ على النماء والانتفاع بالغذاء . ولا يخفى ان البزور تنمو قوية في الارض الناعمة الناشفة الدافئة

تعفن في الجذور ومرض في جذوع الشجر فتصفر الاوراق وتذبل الاغصان ولا تزال كذلك حتى يعتريها الضعف ولا يجنى منها الاَّ قليل من القطن ومتى رأى الفلاح ماحلَّ بزراعتهِ قال ان الطبيعة فعلتهُ فهو قضاءٌ وقدرٌ ولو عقل لعلم ان فعلهُ سبَّب خسارتهُ

ومما يجب الانتباه اليهِ بعد نمو الزراعة والبدء بخدمتها عزق القطن عزقاً مستوفياً بحيث يستأصل العشب من بين خطوطهِ لكيلا يزاحم القطن على غذائهِ فيعيق نموهُ وبالتالي يضعفهُ وان كانت الارض "رقيقة" وتكوَّم "رتم" على جذور القطن وجب على الفلاح ازالتهُ بكل وسيلة والتعويض عنهُ بتراب صالح جيد من اسفل الخطوط

ومما يخطئ به الفلاح فيهِ حين جني قطنهِ انهُ يخلط الجنيات الثلاث بعضها ببعض ولا ينظف القطن مما يعلق بهِ من الورق وغيرهِ ويرش الماء عليهِ طمعاً بزيادة وزنهِ فاذا لم يتيسر لهُ بيع قطنهِ حالاً عفن واحترقت تيلتهُ فيخسر بذلك اضعاف ما كان يؤملهُ من الربح

فالى هذه الامور التي ذكرناها اوجه انظار المزارعين وانا واثق ان الذين يعتنون بزراعتهم الاعتناء الواجب يُوفون تعبهم ما لم تعرض لها عوارض جويَّة ليس في طاقتهم التغلُّب عليها

ابرهيم الحوراني

مفتش زراعة بالحصَّة

محصول البطاطس

ان محصول الفدان الواحد من البطاطس يبلغ عادة ٣٠٠٠ اقة وقد يبلغ ٦٠٠٠ اقة او اكثر فاذا بيعت الاقة بنصف غرش فقط بلغ محصول الفدان الواحد ثلاثين جنيهاً . وقد ظهر من التجارب في بلاد كندا باميركا ان محصول الفدان قد يبلغ خمسة عشر الف اقة وان المتوسط عشرة آلاف اقة الى اثني عشر الف اقة فاذا بيعت الاقة بنصف غرش بلغ محصول الفدان خمسين او ستين جنيهاً

ومعلوم انهُ ان كان محصول الفدان الواحد عشرة الآف اقة وزرع الفلاح عشرة افدنة لا يكون محصولها مئة الف اقة اي عشرة اضعاف محصول الفدان الواحد لان الفلاح لا يستطيع ان يعتني بخدمة العشرة الافدنة كما يعتني بخدمة الفدان الواحد . ولنفرض ان محصول الفدان بلغ حينئذٍ ستة آلاف اقة لا غير كان منهُ ربح وافٍ

بعض المحصولات الوافرة

اثبت بعضهم في جريدة السينتفك اميركان انهُ يجمع من فدان الفول الاخضر ومن

وقاده الطمع الى زرع معظمها قطناً سنة فسنة الاَّ انهُ كان يزرع برسيماً بعد جني القطن حاسباً ان ما يبقى في الارض من جذور البرسيم يكون سماداً كافياً فضعفت بذلك ارضهُ ولم يبقَ فيها غذاء كافٍ لتجيء زراعتهُ القطنية مخصبة نامية ومعلوم ان الارض الضعيفة لا يكون قطنها "طويل التيلة" خلافاً لما يرغب فيهِ التاجر عند شرائهِ القطن

ومن تلك الاسباب ايضاً تهامل الفلاح في اختيارهِ بزرة القطن الجيدة فانهُ ينفق بياض يومهِ محملاً المشاق ويجهد مواشيهُ في الحرث ليعدَّ ارضهُ للزراعة فلا يجيء موعدها الاَّ وتراهُ في اقرب بلدة اليهِ يشتري بزرة قطن ليزرعها بغير بحث ولا استعلام عما اذا كانت جيدة او رديئة بل يكتفي بقول بائعها انها "عال العال" او من "اعلى طبقة" ولا يشعر بجهلهِ هذا الاَّ عند ما يجني قطنهُ ويراهُ اجناساً فيعرضهُ على التجار فلا يشترونهُ الاَّ اذا تساهل فباع بثمن اقل مما تساويهِ اقطان البزرة الجيدة فيندم ولات حين مندم

ولقد ادركت الجمعية الزراعية الخديوية هذا الامر الخطير فبذلت اقصى جهدها في تأصيل احسن جنس من البذرة وعرضهِ على المزارعين فكان ثناؤهم على حضرات اعضائها الكرام وسكرتيرها الهمام متواصلاً . ولقد جربتُ هذه البذرة فرأيتها احسن اجناس التقاوي التي تزرع في قطرنا

ومن اسباب ضعف الزراعة وعجز المحصول خطاء الفلاح في ترقيع زراعتهِ فقد يتلف مقدارٌ من البزور في الارض لرداءة البزور ولشدة الرطوبة فيسرع الفلاح الى ترقيع الزراعة وقد يتلف مقدار من هذا الترقيع فيضطر الى ترقيعهِ فلا يمرُّ عليها بضعة ايام حتى تكون خليطاً من الشجر مختلف العلو . بعضهُ يجب ارواؤُهُ وبعضهُ غير محتاج الى الارواء فيحار الفلاح في امرهِ ويحلُّ الاشكال بارواء الزراعة كلها فيضعف بعض الشجر ويبطئ نموهُ . واحسن علاج في هذه الحال ولاسيما اذا كانت الزراعة محتاجة الى ترقيع كثير حرثُ الارض ثانية وزرعها لتكون جنساً واحداً يروى و "يعزق" في آن واحد

وهناك سبب آخر في ارواء الزراعة وهو ان الفلاح او ابنهُ او شريكهُ يرويها بغير اعتناء فبعضهم يغمر الزراعة بالماء وهي لا تزال في اولها ولا يعتني بصرف الماء عنها حالاً فلا يكاد الماء ينضب وينشف حتى تتلف الاشجار . وبعضهم يتأخر في الارواء وتكون زراعتهُ في حاجة شديدة الى الماء فيغمرها بهِ اكثر مما يجب فتضعف الاشجار بعد حين ويظهر ضعفها وهو لا يعلم لذلك سبباً . وزد على هذا ان بعضهم لا ينتبه الى حالة الجوّ فكثيراً ما تكون غير ملائمة للارواء لرطوبة فيها تؤَثر في الارض ولكنهُ لا يبالي بذلك بل يروي زراعتهُ فينجم عن ذلك

باب الصناعة

التصوير الحديث

٢

الزجاج والتصوير الاوتوكرمتيك

اذا تأمل القارئ قليلاً في ما للتصوير الشمسي الآن من الشأن وجده فنًّا كبيرًا واسعًا يتصل بكل الاعمال حتى لا يكاد يستغنى عنهُ . فالطبيب والمهندس والعالم والصانع وكل ارباب العلم والعمل يعوّلون عليهِ في كثير او قليل من اعمالهم حسب تفاوت درجات اهميتهِ فيها . وحسبك شاهدًا ما لهُ من الشأن في الفلك والطب والهندسة والحفر والطباعة وغيرها ذلك فضلاً عن كونهِ حرفة شريفة لعدد عديد من الناس وتجارة عظيمة للمشتغلين بهِ وليس غرضي الآن الكلام عن علاقة التصوير الشمسي بالصناعة والتجارة والعلوم مع ان ذلك حريٌّ بالبحث بل ان آتي على ذكر فرع جديد منهُ سوف يكون لهُ شأن في المستقبل لانهُ الطريق المؤدي الى اخراج الصور الفوتوغرافية بالوانها الطبيعية مباشرةً . وهذا الاكتشاف وان لم يتم للآن من طبع سلبية واحدة على ايجابية واحدة فلا بد ان يتقن ويحسن كثيرًا اذا دامت تجارب الباحثين فيهِ قائمة على ساق وقدم . ولما كانت علاقة التصوير الاورتوكرمتيك بالتصوير بالالوان الطبيعية شديدة وجب معرفة ما هو التصوير الاورتوكرمتيك قبل الشروع في الكلام على التصوير بالالوان

اعتاد الناس ان يستحسنوا الصور الفوتوغرافية اذا حاكت ما تماثلهُ شكلاً وهيئة وقد اغفل جميعهم امرًا يظهر لاول وهلة بسيطًا ولكنهُ جدير بالالتفات وهو صحة تعبير ما في الصورة من الاقسام الفاتحة والغامقة في الشيء المصوَّر حتى ان كثيرين لا يستطيعون اظهار هذا الخطاء الفاضح ولو كان عظيمًا في بعض الصور وما هذا الاَّ لانهم الفوها كذلك . ولا يخفى ان العين المجردة ترى الالوان من فاتحة الى غامقة حسب الترتيب الآتي . اصفر برتقالي احمر اخضر ازرق نيلي بنفسجي هذا اذا حسبناها خارجة من الطيف الشمسي بعد انحلالهِ في المنشور . اما الالواح الحساسة التي تستعمل في التصوير عادةً فانها لا تتأثر منها على التركيب المذكور (كما تفعل العين) لانها حساسة للنور لا للالوان . وهنا فرق بين النور واللون يجب

فدان الشليخ خمسين الف اقة ومن الذرة اربعين اردبًّا وغاية ما يفعلهُ انهُ يحرث الارض خمس مرات قبل زرعها وكلما حرثها مرةً زحَّفها حتى ينعم ترابها جيدًا ويختار لها التقاوي مما ثبت بالامتحان ان محصولهُ وافر جدًّا وكلما علت المزروعات قليلاً وضع حول جذورها ترابًا ناعمًا . وقد وجد ان التراب الناعم يفيد اكثر من السباخ . وكان يرويها في اوقات معينة ولا بدَّ من ان يكون تحت المزروعات مواسير من الخزف لصرف المياه منها

معرض الازهار والبقول

فُتح هذا المعرض في الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر مارس في سراي الجمعية الزراعية بالجزيرة وقد امتاز على المعارض السابقة بكثرة ما عرض فيهِ من الازهار والسراخس والنباتات التي من فصيلة الصبر وهذه كانت اشكالها تعدُّ بالمئات ومنها نوع استحالت اشواكهُ الى شعر ابيض طويل يتدلى من رأْسهِ كأنهُ شعر عجوز شمطاء

اما الخضر والبقول والفواكه والاثمار فيدلُّ ما عرض منها على ارتقاء واضح في انواعها فتجد البطاطس املس منتظمًا لا عيون فيهِ ولا غضون وكذلك الطماطم والجزر والبنجر . وتجد الهليون (كشك الماظ) ابيض غليظًا رخصًا كأَنهُ الهليون الذي يؤْتى بهِ من اوربا . والسلق والبقدونس والكرفس والخس والنعنع ونحو ذلك من البقول استوفت النمو والجودة وكذلك الكرنب والخرشوف والبصل والثوم والكراث والفول واللوبياء والليمون على انواعهِ . غير ان ما يباع في السوق من هذه الاشياء ليس جيدًا كالذي عُرض في المعرض دلالةً على ان جمهور اصحاب الجنائن لا يعتني بالمزروعات حتى الآن اعتناء خاصتهم

القطن المصري

وقفت اسعار القطن المصري في الكنترااتات على نحو ١٣ ريالاً وربع ريال فاذا بقيت كذلك في الموسم المقبل بيع قنطار القطن بنحو ٣٢٠ غرشًا وهذا الثمن معتدل ولكن اذا ثبت ما جاء من اميركا وهو ان الاميركيين عزموا ان يقللوا الزراعة عشرة في المئة فالمرجح ان السعر يرتفع ايضًا . ثم اذا لم توافقها تقلبات الهواء كما ينتظر في عام اشتدَّ فيهِ اضطراب الشمس كهذا العام قل المحصول كثيرًا وارتفعت الاسعار ايضًا . الأَّ ان نطاق الزراعة في اميركا وتقلبات الهواء فيها لا تخضع لارادة الفلاح المصري وانما يخضع لهُ انتقاء التقاوي والاعتناء بالزراعة حتى يأْتي قطنهُ على اجودهِ فتقوم جودتهُ مقام هبوط السعر لو هبط

بصنعها وبيعها فراجت سوقها وانتشر استعمالها وصار ممكناً لكل مصوّر ان يجربها و يختبر مزاياها المفيدة

اما كيفية عمل هذه الالواح فهو ان يضاف الى الالواح الاعتيادية مادتان ملونتان تعرفان بالايوسين والسيانين ولاضافتهما طريقتان الاولى ان يغطس اللوح في محلول مخفف باحدى هاتين المادتين مع الامونياك والثانية ان تمزج احدى هاتين المادتين او كلاهما في الجلاتين قبل ان يطلى اللوح بهِ . والطريقة الثانية افضل من الاولى لانها تضمن بقاء الالواح صالحةً الى اجل طويل

اما افضلية التصوير بهذه الالواح على التصوير بالالواح الاعتيادية فواضحة مما تقدم ذكرهُ ومما يأتي . لنفرض اننا صورنا اولاً على الواح اعتيادية ثم على الواح اورتوكرمتيكية صحناً ازرق عليهِ اثمار وازهار الوانٍ زاهية مختلفة فان الفرق يظهر في الصورتين هكذا

اسم الشيء ولونهُ	في اللوح الاعتيادي يظهر اللون	في اللوح الاورتوكرمتيكي يظهر اللون
الصحن الازرق	فاتحاً	مظلماً
التفاحة الحمراء	مظلماً	مظلماً قليلاً
موزة صفراء	مظلماً	فاتحاً قليلاً
الليمونة الحامضة الصفراء	مظلماً	فاتحاً
البرتقالة	مظلماً	فاتحاً قليلاً
الورق الاخضر	مظلماً	مظلماً
زهر البنفسج	فاتحاً	مظلماً

فالالواح الاورتوكرمتيكية تتأثر من الالوان حسب كونها زاهية او مظلمة كما تتأثر منها العين المجردة فتظهر الصورة متفاوتة الاقسام من زاهية الى مظلمة حسب تفاوت الالوان في الجسم المصوَّر من اصفر فاتح الى بنفسجي قاتم . وقد وجد بعد الاختبار ان نور النهار يحتوي على كثير من الاشعة البنفسجية والزرقاء التي تؤثر كثيرًا في الالواح الاورتوكرمتيكية لاسيما عند ما يكون الجو رطباً فانهُ اذ ذاك يزيد فعل الالوان البنفسجية والزرقاء في الاملاح الحساسة عما هو مقرر لحفظ النسبة بين الالوان في الصورة فيلزم لتقليلهِ وضع حاجز يمنع وصولهُ بكثرة الى اللوح وقد توصلوا الى اتقان حجز هذين الشعاعين بحاجز من الزجاج او الرق الاصفر يقام

معرفتهُ فان النور هو الشعاع الخارج من الجسم المنير فينير الاجسام المحيطة بهِ واما اللون فهو انعكاس النور (الذي وقع على الجسم) الى العين · فاللون هو نتيجة النور ولا لون بلا نور · والنور الوحد كنور الشمس مثلاً يشتمل على الوف والوفٍ من الالوان المتفاوتة الاشكال والانواع لكنها تدخل جميعها تحت سبعة اقسام رئيسية كما لا يخفى وتظهر عند انحلال النور في المنشور. ومتى وقع النور على جسم ما امتصَّ منهُ ذلك الجسم لونًا او اكثر من تلك الالوان وعكس الباقي الى العين فترى العين لون الجسم نتيجة اتحاد الالوان المنعكسة منهُ فالجسم الابيض مثلاً نراهُ ابيض لانهُ يعكس كل الالوان السبعة فيردها الى العين كما وقعت عليهِ والجسم الاسود نراهُ اسود لانهُ امتص كل الالوان السبعة فلم يعكس الى العين شيئًا ومعلوم ان السواد ظلام وما الظلام الاَّ اختفاء النور

قلت ان الالواح الحساسة الاعتيادية لا تحفل بالالوان بل بالنور وهذا مما لا ريب فيهِ كما وجد بالمشاهدة والاختبار فان الالوان التي تراها العين فاتحة لا تظهر كذلك في الصورة المأخوذة عنها ولا الالوان الغامقة تظهر في الصورة كذلك وهنا اصل الخطاء في الالواح الاعتيادية . فالالوان الصفراء والبرتقالية والحمراء (الزاهرة) تظهر في الصورة مغبرة بلون غامق وبعكس ذلك الالوان الزرقاء والبنفسجية (الغامقة) فانها تظهر فيها الصورة بلونٍ زاهر. وهذا الخطأ يظهر في الاجسام التي تتعدد الالوان الزاهرة فيها اكثر مما يظهر في غيرها وتعليل ذلك بسيط فان الاملاح الفضية التي على اللوح لا تتأثر من اللون بل من النور ولما كان قسماً كبيرًا من النور ازرق وبنفسجيًا تأثرت منهُ وتحولت ماهيتها فلا تذوب بالهيبوسلفيت[1] بل تبقى قاتمة وتظهر في الصورة فاتحة بخلاف ذلك اذا كانت الالوان زاهرة فانها عندئذٍ لا تزيد الاَّ قليلاً في تحويل املاح الفضة فاذا اتاها الهيبوسلفيت اذابها وبقي الزجاج شفافًا فتظهر الصورة غامقة

وقد عُرِفَتْ هذه المسألة من زمان وكان اول مخطىء للتصوير من هذا الوجه العالم فوجيل منذ نحو ثلاثين سنة وقد تمكن الباحثون في التصوير من اكتشاف طريقة لازالة هذا الخطاء وحفظ نسبة الالوان في الصورة كما كانت في الاصل بجعلهم اللوح حساسًا للالوان كما هو حساس للنور فيتأثر من اللون الزاهي والغامق كما تتأثر العين واطلق على هذه الالواح اسم "اورتوكرمتيك" او "ايزوكرمتيك" ومعنى الاول "اللون الحقيقي" والثاني "اللون المتناسب" ولكن لم يشع استعمال هذه الالواح الاَّ حديثًا حينما ابتدأت معامل الانكليز والفرنسويين

(١) يستعمل مذوب هيبوسلفيت الصوداء لتثبيت السلبية بعد كشفها بالمظهر فلا تعود تتأثر من النور بعد تثبيتها ويتم بذلك كشفها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) الانتفاع بالمواد البرازية

قويسنا صليب افندي مريوس . لا يخفى ان في الارياف جوامع كثيرة تجمع المواد البرازية في خزانات مراحيضها وتتصاعد منها روائح كريهة تضرُّ بالصحة العمومية . ويمكن ان يعمل من هذه المواد سماد للمزروعات ولكننا لا ندري كيفية العمل ولا ما المواد التي تلزم اضافتها اليها لمنع الروائح الخبيثة ومضارها . وقد ذكرتم في المجلد الخامس عشر من المقتطف صفحة ٨١٥ ان الخطيب لم يذكر طريقة لورنز الشهيرة وهي احماء المواد البرازية حتى يموت كل ما فيها من المواد الحية وتصير مسحوقاً ناعماً خالياً من كل فساد ورائحة خبيثة واستعمال هذا المسحوق سماداً . فما هي هذه الطريقة وهل يمكن اجراؤها في الارياف وينتج عنها ربح بعد المصاريف نرجو التفصيل في ذلك

ج ان مسألة التخلص من المواد البرازية والانتفاع بها من اصعب المسائل . والطرق التي استخدمت لذلك كثيرة متنوعة كما ترون من المقالة التي اشرتم اليها . ولقد اخطأت الحكومة المصرية في ما اوجبتهُ على رعاياها من جعل خزانات المراحيض صماء لكي لا تغور موادها في الارض لانها لو غارت في الارض في زمن التحاريق ما اضرَّت احداً والتراب اقوى مطهر للمواد البرازية . ولكنها اصابت من وجه آخر ولو لم تقصدهُ وهو ان المواد البرازية تحفظ في الخزانات لكي تنزع منها وتستعمل في الزراعة

وخير الطرق لاستعمالها في بلاد الارياف ان تعامل كما يعامل زبل المواشي اي السباخ البلدي وذلك بان تجعل المراحيض عالية ويلقى تحتها تراب كالردم الذي يوضع تحت المواشي وينزع هذا التراب وما يقع عليهِ من البراز يومياً . والتراب الكثير يمتص الروائح من البراز او يزيلها واذا بقي منها شيء فهو غير ضار . ويحسن ان يكوَّم بعضهُ فوق بعض كما يكوَّم السباخ البلدي الى ان يختمر كلهُ مع ما يمزج بهِ من الردم . وهذه الطريقة بسيطة وربحها يزيد على نفقاتها . اما المدن الكبيرة فخير

امام العدسة او وراءها. وهذا الحاجز يحجز كثيرًا من الانوار الزائدة ويصفي النور ويعدلهُ حتى اذا دخل الى اللوح الحساس حفظ للالوان النسبة في التأثير على الاملاح فتظهر الصور المصورة بهِ واضحة الاجزاء حسب اختلاف الالوان التي في الاصل

هذا والتصوير الاورتوكرمتيكي هو المعوَّل عليهِ الآن في تصوير الرسوم الزيتية والمائية الملونة وفي تصوير المناظر الطبيعية والميكروفوتوغرافيا (تصوير ما يرى تحت الميكرسكوب) وفي تصوير الاشخاص وفي التصوير على نور القنديل. وسأذكر مزاياهُ في الامور المذكورة اتمامًا للفائدة

❖ الصور الملوَّنة الزيتية والمائية ❖ تتعدد الالوان الزاهية الجميلة في هذه الصور فاذا اريد تصويرها بالفوتوغرافيا بالالواح الاورتوكرمتيكية مع الحاجز حفظت نسبة الوانها فيها وظهرت في الصورة مختلفة حسب اختلاف الالوان في الاصل. ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة في نقل الصور الكبيرة بالفوتوغرافيا لاجل التحجيس او الزنكوغرافيا في فن الطباعة

❖ المناظر الطبيعية ❖ يقوم جمال المناظر الطبيعية بتنوع الالوان الزاهية فيها التي تستميل عين الناظر فترتاح اليها وتهيج في نفسهِ حاسة الاستحسان والسرور. وكثير من المناظر الطبيعية يسرُّ الناظر ويبهج الخاطر ولو كان خاليًا من الالوان ليس فيهِ الاَّ نورٌ وظلام مثال ذلك قمرٌ مشرق من خلال غيوم متراكمة يرسل اشعتهُ الفضية على مياه بحرٍ او نهر على شاطئهِ سفن راسية. وهذا لا يدخل تحت بحثي الآن ولو كان من المناظر الطبيعية فان ما أُريدهُ هو المناظر الواقع عليها نور الشمس من اشجار وجبال او سهول ومروج او مدن وقرى او غيوم سابحة في الفضاء باشكال جميلة تزيد ما يقع تحتها من المناظر رونقًا وبهاء. فاذا صوَّر مصور مثلاً بالالواح الاورتوكرمتيكية مرجًا من البرسيم والفول والقصب يتخللهُ ازهار صفراء وفي الفضاء الازرق غيوم بيضاء خرجت الصورة ناطقة باختلاف الوان ما في المرج وباختلاف درجات خضرتهِ وظهرت الازهار فيهِ نقطًا زاهرة والغيوم في الفضاء باشكالها الجميلة. ولكن اذا صوَّر مصور ذلك المنظر على الواحٍ اعتيادية لم يظهر في الصورة الاَّ قسمان قسم مظلم وهو المرج بلون واحد لا يفرق ما فيهِ من الفول والبرسيم ولا اثر للازهار الصفراء بينها وقسم ابيض وهو الجو ولكن لا اثر فيهِ للغيوم

ستأتي البقية اسكندر مكاريوس

(٤) عود العمران الى الشرق

ومنهُ . اليس من المحتمل ان يأفل نجم الغرب ويرجع الشرق فيحيي ما قد مات من ماضي مجده

ج ان ذلك محتمل اذا اصاب اوربا مصاب طبيعي لا تستطيع مقاومتهُ كأن يحل بها وباء يميت اكثر سكانها او يبرد اقليمها كما برد في الدور الجليدي الذي انتابها منذ الوف من السنين فلا يعود السكن فيها ممكناً . اما الشرق فيبعد ان تحذو بلدانهُ حذو اليابان لان في كل بلاد منها عوائق جنسية ودينية تمنع ذلك وقد قيَّدهُ الاوربيون بقيود مالية ومعاهدات سياسية تمنع اطلاق يديهِ . ولا يحتمل ان نرى تغييراً كبيراً في الربع الاول من هذا القرن

(٥) المجلات المصورة

المنتزه بدران افندي احمد . ما تصفحت مجلة من المجلات الافرنكية الا وجدتها مشحونة بالصور حتى ان القصص التي تنشر فيها تكون مصورة بخلاف المجلات العربية فانها قلما تنشر في العدد الواحد غير صورة او صورتين فهل ذلك ناشئ من عدم مقدرة اصحابها على عمل الصور ونشرها

ج ان بعض المجلات الاوربية مصور كما قلتم وبعضها غير مصور مطلقاً كمجلة القرن التاسع عشر ومجلة الفورتنيتلي والمصوَّر بعضهُ كثير الصور كمجلة لندن ومجلة الستراند وبعضهُ قليل الصور جدًّا ومن هذا القبيل المجلات العلمية التي مثل المقتطف كمجلة العلم الاميركية ومجلة العلم العام ولا تنشر الصور فيهِ قصد التسلية والتفكهة كالمجلات المصورة بل تنشر لتوضيح المواضيع العلمية والادبية . ثم ان الصور صارت الآن ارخص من الكتابة عند الاوربيين والمجلة المصورة قد تدفع اجرة كتابة الصفحة الواحدة اكثر مما تدفع ثمن صورة تملأُها . ويسهل عليها الاثنان لان قرَّاءها يعدون بمئات الالوف فالربح منهم وافر جدًّا . اما مجلاتنا العربية فلا تستطيع ان تنفق على الصور الكثيرة لان اكثرها عائش من قلة الموت ونحن الآن كما كان اهالي اوربا منذ مئتي عام من حيث نسبة الذين يحسنون القراءة الى الذين لا يحسنونها . ويستحيل ان يزيد عدد القراء زيادة كبيرة في سنين قليلة لقلة المعلمين ولان الفريق الاكبر من السكان لا يسمحون لنسائهم ان يتعلمن ويعلمن

(٦) اوجه القمر

ومنهُ . نرى القمر يولد صغيراً ثم ينمو حتى يتكامل ثم يعود فيصغر فما تعليل ذلك

ج ان القمر لا يولد ولا يكبر ولا يصغر ولكنهُ يدور حول الارض وتشرق الشمس عليهِ فتنير نصفهُ فاذا كان النصف المنار بنور الشمس غير مواجه للارض لم نرهُ بل نرى الوجه المظلم فنقول ان القمر في المحاق ويكون

الطرق فيها ان تنزع المواد البرازية من مراحيضها بعد ان تمزج بالماء الكثير وتبسط على اراضٍ رملية واسعة فتجف وتصير سماداً وتصلح بها الاراضي الرملية فتصير زراعية واذا لم يكن حول المدن اراضٍ رملية فالاراضي الزراعية يزيد خصبها ببسط المواد البرازية عليها . والاَّ فتجفَّف المواد البرازية في افران حامية وينزع البخار منها بآلات بخارية كبيرة حتى تجف وتسحق فتصير سماداً . ومعلوم ان هذه الطريقة الاخيرة لا يمكن استعمالها الاَّ في المدن الكبيرة لانها تقتضي نفقات كثيرة واسلوب لورنز من هذا القبيل

(٢) التين الشوكي والبق

مصر . جندي افندي امين يقال انهُ اذا وُضعت الواح التين الشوكي في غُرَف النوم منعت البق منها فهل ذلك صحيح وهل من ضرر من وضع هذه الالواح في غرف النوم

ج لا نرى اقل علاقة بين البق والواح التين الشوكي (الصبير) ونستبعد ان يكون ما قيل صحيحاً ونرجح عدم صحتهِ لانهُ ان كان البق يُطرَد او يموت من الغرف التي فيها هذه الالواح فالطارد لهُ او المميت لهُ رائحتها وقد شاهدنا غرفاً الواح التين الشوكي قريبة من كواها جداً حتى تشم رائحتهُ فيها ومع ذلك لم يمت البق منها ولا هجرها . ولكننا لا نحتم بعدم صحتهِ الاَّ بعد الامتحان ولا ضرر من وجود الالواح في الغرف ولكن منظرها ورائحتها ليسا مما يستحب

(٣) الدول الشرقية والغربية

ومنهُ . هل قيام دولة شرقية ترضى بهِ الدول الغربية ولا تأخذها الاثرة فتضرب على يد تلك الدولة حتى تعيدها الى سالف ذلها

ج ان ذلك يتوقف على مصلحة ذوي المصالح في المشرق من اهالي الدول الغربية فاذا كان لنفرٍ من اغنياء الانكليز او الفرنسويين او الالمانيين مصالح مالية كبيرة في بلاد الدولة الشرقية او في بلاد قريبة منها وخيف على مصالحهم من الضياع بقيام تلك الدولة بذلوا جهدهم في حمل حكومتهم على مقاومتها واذلالها واذا كانت مصالحهم المالية تستفيد من قيام تلك الدولة ساعدوها على القيام بكل جهدهم . فلو اتفق ان كانت بلاد اليابان غنيَّة جداً بمناجم الذهب حتى تسير في هذه الحرب من غير ان تستدين غرشاً من اغنياء اوربا واميركا وكانت سكة الحديد الروسية المارَّة في منشوريا لشركة اوربية او لشركة روسية ولكن اسهمها بيد اغنياء انكلترا وفرنسا والمانيا وخيف عليها ان تخرب بهذه الحرب لاقام هؤلاء الاغنياء دولهم الى مقاومة اليابان ومساعدة روسيا . ولا تخرج دول اوربا الآن عن كونها مثل التجار واصحاب البنوك والمعامل الذين يفتشون عن اساليب الكسب و يتبعونها

باوغسبرج فاطلقت لهُ مئة مدفع ومدفع ومن ثم جرت العادة ان يطلق للملوك مئة مدفع ومدفع

(٩) طوابع البوسطة

صيدا . جميل افندي ايراني هل من جمع اوراق البول (طوابع البوسطة) فائدة ولماذا يجمعها البعض

ج لا فائدة من اهتمام اناس كثيرين بجمعها ولكن يحسن ان تجمع انواعها كلها في مكتبة عمومية او معرض عمومي للرجوع اليها في بعض الاحيان اذا اريد الاستدلال على امر تاريخي تدلّ عليهِ . ولا يخلو الاهتمام بجمعها من الفكاهة والتسلية

(١٠) قدم الكلدانيين

ومنهُ . ايّ اقدم المصريون ام الكلدانيون

ج يظهر من الآثار التي كشفت حديثاً في بلاد الكلدانيين انهم اقدم من المصريين ومن المحتمل ان يكون العمران قد وصل الى مصر من بلدان الكلدانيين

(١١) المد والجزر والكواكب

مصر . ناشد افندي فريد ما سبب تأثير الشمس والقمر في المد والجزر دون باقي الاجرام

ج ان هذا التأثير حاصل من الجذب وقوة الجذب تزيد كالجرم وتقل كمربَّع البعد. واكبر السيارات المشتري جرمهُ اقل من جزء من الف جزء من جرم الشمس فيكون جذبهُ للارض جزءًا من الف جزء من جذب الشمس لها لوكان بعدهُ عن الارض مثل بعد الشمس عنها ولكن بعدهُ عن الارض اكثر من خمس مرات بعد الشمس عنها فتنحط قوة جذبهِ الى جزء من خمسة وعشرين الف جزء من جذب الشمس فيكون تأثيرهُ بالمد والجزر طفيفاً جدًّا لا يشعر بهِ . والنجوم الثوابت الكبيرة لا يؤثر جذبها بالارض لبعدها الشاسع عنها . اما القمر ففعل جذبهِ كثير لقربهِ من الارض ولوكان جرمهُ صغيرًا



باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر ابريل

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٥	١	٢٣	صباحاً
الربع الاول	١٢	١١	٤١	مساء
البدر	١٩	٣	٣٨	"
الربع الاخير	٢٦	١	١٤	مساء

السيارات فيهِ

عطارد نجم المساء في اول الشهر ونجم الصباح في آخرهِ

الزهرة تكون نجم المساء في اولهِ ثم

القمر والشمس حينئذٍ في جهة واحدة منا ثم يتقدم القمر قليلاً الى جهة الشرق بدورانهِ حول الارض فيبين لنا جزءٌ صغير من وجههِ المنار المواجه للشمس ويزيد هذا الجزءُ رويداً رويداً بدوران القمر حول الارض الى ان يصير نصف الشهر القمري اي نصف دورة القمر حول الارض وحينئذٍ يصير القمر في جهة من الارض والشمس في الجهة الاخرى المقابلة فنرى كل وجه القمر المستنير بنور الشمس. ويمكن ايضاح ذلك بتجربة مثل هذه : قفوا ليلاً في غرفة ليس فيها الاَّ مصباح واحد وليكن المصباح مواجهاً لكم على خطٍ افقي وامسكوا برتقالة في يدكم بين وجهكم والمصباح فانكم ترون منها النصف الذي لا يقع عليهِ نور المصباح وهو مثل القمر في المحاق او قبلما يولد. ثم ارفعوا البرتقالة قليلاً لكي تديروها فوق رأسكم صعُدًا فحالما ترتفع قليلاً يبين منها طرف النصف الواقع عليهِ نور المصباح ويكون كالهلال عند اول ظهورهِ وكلما زدتم رفع البرتقالة زاد الجزء الذي ترونهُ من الوجه المنير حتى اذا صارت البرتقالة على الجانب الآخر المقابل للمصباح صرتم ترون كل وجهها الذي عليهِ نور المصباح اذا ادرتم وجهكم اليها فهي كالقمر وهو بدر واذا اتفق ان كان المصباح ورأسكم والبرتقالة في خط واحد وقع ظل رأسكم عليها وحجب عنها نور المصباح فتكون كالقمر حينما يخسف اي يقع عليهِ ظل الارض. ولا اشكال في ذلك كلهِ لمن ينعم نظرهُ فيهِ

(٧) الشيب الباكر

ومنهُ . اعرف شابًا تخلل شعر رأسهِ الشيب مع انهُ في العشرين من عمرهِ فما سبب ذلك وهل من دواء يبطئُ الشيب

ج ان الشيب الباكر وراثي في الغالب والوسائط الهيجينية التي تقوي الجسم عموماً تفيد غالبًا في تأخيرهِ ولا نعرف واسطة دوائية تؤَخرهُ دائمًا

(٨) عدد المدافع في الاحتفالات

الاسكندرية . اسكندر افندي اسرائيل لماذا تطلق المدافع في الاحتفالات الرسمية واحداً وعشرين مدفعاً او مئة مدفع ومدفع اي بزيادة واحد على العقد

ج كان القدماءُ يزيدون واحداً على المعدود للمبالغة او للتأكيد كجلدهم المذنب مئة جلدة وجلدة . ولم يزل ذلك مرعيًا عند الالمان حتى في شرائعهم والمظنون ان هذا هو سبب زيادة المدفع على العشرين وعلى المئة . ويقال ايضًا ان لذلك سببًا تاريخيًا وهو انهُ لما عاد الامبراطور مكسمليان الى المانيا ظافراً استقبلتهُ مدينة اوغسبرج باحتفال عظيم وامرت مدير المدافع ان يطلق لهُ مئة مدفع فاطلقها ثم خاف ان يكون قد اخطأ واطلق ٩٩ مدفعاً فقط فاطلق واحداً فوق المئة ثم زار الامبراطور مدينة نورنبرج فارادت ان تقتل

ما يولد ٣٣٠٠٠٠ درجة وفي سائر المواد التي امتحنت ما ترى في هذا الجدول على فرض ان ثمن كلٍ منها مئة غرش

اسم الطعام	ما يكوّن الجسم	ما يولد الحرارة
الخبز	٢٣ رطلاً	٣٣٠٠٠٠
العنب		٠٤١٥٠٠
النقوع		٠٦٠٠٠٠
اللوز	٠٤ "	٠٥٥٠٠٠
البندق	١٤ "	٠٤٠٠٠٠
الجبن	٩ "	٠٦٥٠٠٠

ويتضح من ذلك ان الخبز ارخص انواع الطعام ولكن هذا حيث الخبز رخيص جدًا والاثمار غالية فاذا كانت الاثمار رخيصة واكلها الانسان واكل معها بعض البزور ذات المادة اللحميّة كاللوز والجوز والبندق غنتهُ عن اكل الخبز واللحم وما اشبه

عدد الذكور والاناث

أُحصي سكان انكلترا وويلس منذ اربع سنوات فوجد في كل عشرة آلاف نفس منهم من الذكور والاناث ما تراهُ في هذا الجدول مقسمًا على اختلاف اعمارهم

	الذكور	والاناث
من سن ٥ سنوات فاقل	٥٧٠	٥٧٢
من ٥ سنوات الى ١٠	٥٣٥	٥٣٧
من ١٠ " " ١٥	٥١٤	٥١٤
من ١٥ سنة الى ٢٠	٤٩٤	٥٠٤
من ٢٠ " " ٢٥	٤٥٢	٥٠٧
من ٢٥ " " ٣٥	٧٦٤	٨٥٢
" ٣٥ " " ٤٥	٥٩٤	٦٣٥
" ٤٥ " " ٥٥	٤٢٩	٤٦٣
" ٥٥ " " ٦٥	٢٧٩	٣١٨
" ٦٥ " " ٧٥	١٤٧	١٨٤
" ٧٥ " " ٨٥	٠٥١	٠٧٠
" ٨٥ فصاعدًا	٠٠٦	٠٠٩
والجملة	٤٨٣٥	٥١٦٥

ويتّضح من ذلك ان مواليد الاناث اكثر من مواليد الذكور نحو ٤ في العشرة الآلاف لا غير وهذه الزيادة خاصة بالمدن الكبيرة . ويبقى هذا الفرق بين عدد الذكور والاناث الى السنة العاشرة ثم يتساوى الفريقان بين العاشرة والخامسة عشرة كأنهُ يعتنى بالذكور اكثر مما يعتنى بالاناث وبين الخامسة عشرة والعشرين يقلُّ عدد الذكور عن عدد الاناث بسبب المهاجرة والانتظام في الجيش ويزيد هذا الفرق في السنين التالية حتى يبلغ اشدّهُ بين السنة العشرين والخامسة والثلاثين ولا سبب لهُ الاَّ ما تقدم من المهاجرة والانتظام في الجيش ثم يقل قليلاً بعد ذلك الى سن الشيخوخة وحينئذٍ يكون عدد الاناث اكثر من عدد الذكور بنسبة ٩ الى ٦ لان الاناث يعمرن اكثر مما يعمر الذكور

لا تعود ترى في آخرهِ

المشتري يكون نجم المساء في اول الشهر ثم لا يعود يرى في آخرهِ

زحل نجم الصباح في الشهر كلهِ

ويكون برج الاسد على سمت الرأس الساعة التاسعة مساء

قمر المشتري السابع

لم يكد الاستاذ برين يعلن اكتشافهُ القمر السادس من اقمار المشتري حتى اكتشف قمرًا سابعًا لهُ وذلك في مرصد لك باميركا والقمران بعيدان عن المشتري من ستة ملايين ميل الى ثمانية ملايين ميل

آثار سينا

عاد الاستاذ بتري من شبه جزيرة سيناء حيث اكتشف عدة اشياء في هيكل مرابة الخادم وهو هيكل معروف منذ قرن او اكثر ولكن لم يبحث احد فيهِ بحث علماء الآثار حتى تولى الاستاذ بتري النقب فيهِ هذه الايام فوجدهُ مختلفًا عن كل الهياكل المصرية في رسمهِ وشكلهِ فيهِ ميضأتان وفيهِ ايضًا صف طويل من الغرف تحت الارض اضافها اليهِ ملوك متوالون من الدولة الثامنة عشرة الى العشرين وعليهِ كتابات بالقلم الهيروغليفي نقلها الاستاذ بتري كلها وكان اكثرها مجهولاً. وهي تتعلق بالرسالات التي كان المصريون يرسلونها للبحث عن المعادن. وفيهِ صورة الملكة تاي منقوشة على حجر اسود نقشًا بديعًا وهي التي اكتشف المستر دافس جثتي والديها بالامس في بيبان الملوك. وستعرض صورة هذه الملكة بلندن وتحفظ في الانتكخانة المصرية

وتاريخ هذا الهيكل من بدايتهِ الى نهايتهِ من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١١٠٠ قبل المسيح وهو يبعد عن السويس مسيرة خمسة ايام جنوبًا على ظهور الجمال

ومما يهمُّ ذكرهُ خصوصًا ان هذا الهيكل لم يعرف لهُ مثيل لهذا اليوم. فهو يشبه ان يكون المثال الذي نقلت عنهُ المعابد والمساجد السامية ووجود الميضأتين فيهِ من اوضح الادلة على ذلك

فائدة الاثمار في الغذاء

اجرى الاستاذ جافا من اساتذة مدرسة كليفورنيا الجامعة تجارب كثيرة بالاشتراك مع ديوان الزراعة الاميركية لمعرفة مقدار الغذاء في كل نوع من الاثمار. ونظر الى الغذاء من حيث بناؤهُ للجسم وتوليدهُ الحرارة فيهِ وقد قيس ذلك على ما في دقيق القمح فوجد ان ما يساوي مئة غرش من دقيق القمح فيهِ من المواد التي يبنى منها الجسم ما يكوّن ٢٣ رطلاً ومن المواد التي تتولد منها الحرارة

الفصل الثاني عشر

مجلس النوّاب الياباني

اجتمع الاعضاء كلهم لم يتخلّف منهم الاّ ثلاثة او اربعة وهذا قليل ولو لم يكن نادرًا. ولما استقرَّ بهم المقام افتتح الرئيس الجلسة وجرت اشغال عادية لم يطل البحث فيها ثم وقف وزير البحرية وطلب مصادقة المجلس على اقتراض مئة مليون ين (١٠ ملايين جنيه) من بنوك اوربا واميركا لتعزيز الاساطيل . فنهض احد الاعضاء من متطرفي المعارضين وهو مشهور بقوة العارضة ومقاومة الوزارة الحاضرة واستأذن في الكلام وقال

لقد اوصانا فيلسوف من اكبر فلاسفة اوربا ان لم يكن اكبر فلاسفتها كلهم في هذا العصر وفي كل العصور وهو الفيلسوف هربرت سبنسر (ولما لفظ اسم هربرت سبنسر نهض ثلاثة ارباع الاعضاء وقوفًا وحنوا رؤُسهم تجلّة واكرامًا لذلك الفيلسوف العظيم لانهم من تلامذتهِ فنظر المتكلم اليهم يمينًا و يسارًا وقال) ان وقوفكم ايها السادة وما ابديتموهُ من دلائل الاكرام لذلك الفيلسوف العظيم يشجعني على الاسهاب في اقتباس ما نصح لنا بهِ من القول الحكيم الذي كان مرشدًا لنا في الماضي ويجب ان يبقى مرشدًا لنا في الحال والمستقبل. قال الفيلسوف في نصيحتهِ التي كتب الينا بها انهُ يجب علينا ان نبعد الاوربيين والاميركيين عنا ولو قيد ذراع وان نبذل اقصى جهدنا في منعهم عن التمكن في بلادنا لانهم اقوى منا نُخشي علينا منهم واذا فتحنا بلادنا لهم ولاموالهم كان ذلك الضربة القاضية علينا لاننا اذا انلناهم موطئ قدم في بلادنا ومستندًا يستندون اليهِ تحوَّلوا الى الاعتداء علينا بمر الزمن

هذا ما اوصانا بهِ ذلك الفيلسوف المخلص في نصحهِ واي سبيل يمكننا ان نفتحهُ للاجانب علينا اوسع من ان نستدين منهم الاموال ونرهن عندهم بعض موارد بلادنا فان الارتهان يجرُّ الى المراقبة والمراقبة تجرُّ الى المشاكل كما قال لنا سبنسر في وصيتهِ والمشاكل تجرُّ الى السيطرة والاستعباد للاجانب . فيا ابناء نبون يانسل الكماة البواسل اننا من حين رقي اسلاف امبراطورنا العظيم الى سدة الملك منذ اكثر من الفين وخمس مئة سنة ونحن عائشون احرارًا لا سلطة لاجنبي علينا فهل يجوز في شرعكم ان نسلط الاجنبي علينا الآن . أنعيش في الحرية ونحن في العصور التي نحسبها مظلمة ثم نعيش في الاستعباد حينما نستنير . هل تبيح لكم وطنيتكم ذلك وانتم ابناء الحرية وابناء النور . كلاّ ياسادتي لا تفتحوا سبيلاً للاجنبي علينا ولا تنيلوهُ

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثلاثين

ونمنع عن السكن فيها والاشتراك في خيراتها واهالي اوربا واميركا يأتونها و يسكنونها من غير معارض. والى اين نرسل ابناءنا الذين ضاقت بهم جزرنا ان لم نرسلهم الى البلاد المجاورة والى اين نرسل بضائعنا اذا لم نحمها بمعاهدات وثيقة تكفل الربح لصنّاعنا. ولا اقول ذلك معارضة لحضرة العضو الذي سبقني في الكلام بل اظهارًا للحقيقة وتحذيرًا من خطإٍ يجب ان لا نقع فيهِ. فوصية الفيلسوف هربرت سبنسر كانت تصدق علينا منذ عشر سنوات او اكثر واما الآن فلا تصدق علينا. والاستعداد للحرب لا يوقع الحرب ولا يقربها بل يبعدها ما امكن. وانا لست اقل من احد منكم كراهةً للحرب ولكن كراهتي لها هي التي توجب عليَّ بذل الجهد في اتقائها. واتقاؤها على هذه الصورة هو الخطّة المشروعة التي تجري عليها الدول الاوربية. اما اقتراض المال من اوربا بربًى معتدل فلا ضرر منهُ علينا لان اكثر الاموال التي نقترضها تنفق في بلادنا وتوزَّع فيها فكأنها اموال تقترضها الحكومة وتعطيها للاهالي بربا معتدل لا يستطيعون الاقتراض بهِ هم. وصفوة المقال ان القرض ضروري ولا ضرر منهُ على الاطلاق بل منهُ نفع كبير لنا ولذلك ارجو الاقتراع على طلبي والمصادقة عليهِ

فنهض واحد من حزب اليسار وافاض في مناقضة وزير البحرية وبالغ في مضار الحرب وفي ان نفعها لا يعود عليهم. وخالفهُ واحد من حزب اليمين ودام الجدال اكثر من ساعتين واخيرًا اقتُرع على طلب وزير البحرية فوافق عليهِ مئتان وعشرون وخالفهم مئة واربعون فقبل بالاكثرية

ثم عرضت لوائح مختلفة فوافق المجلس على بعضها واجّل البحث في البعض الاخر. وفي الصباح اجتمع الوزراء عند رئيسهم الكونت كتسورا تارو فقال البارون اراسوكي وزير المالية لا اظن ان مجلس الاعيان يتوقف في المصادقة على القرض. والكلام بيننا اننا شرعنا في استعمال القرض من الآن ثم التفت الى الاميرال البارون ياماموتوغمبي وقال لهُ اليس الامر كذلك. فقال نعم وللضرورة احكام فاننا لم نرَ لنا بدًّا من مشترى الطرّادين المدرعين من حكومة الارجنتين والاَّ اشترتهما روسيا وقد اشارت علينا حليفتنا انكلترا ان لا نتأخر عن مشتراهما لحظة وقام بعض اصدقائنا في انكلترا وجمعوا ثمنهما وارسلوهُ مع مندوب خاص الى جنوى على ان يستوفوهُ من القرض اذا وافق مجلس نوابنا عليهِ والاَّ فيبقى دينًا خاصًا الى ان ندبر امرهُ وقد جاءني بالتلغراف اول امس ان البيع تمَّ وعقد العقد ودفع الثمن

فقال الدكتور يدغورو وزير المعارف اظن اننا تسرَّعنا في مشترى الطرّادين ويبلغني ان الثمن الذي دفعناهُ فاحش جدًّا ولا تنسوا ان المليون جنيه الذي ندفعهُ ثمن بارجة يماثل عشرة ملايين جنيه تدفعها انكلترا او فرنسا لان النقود رخيصة عندهم وغالية عندنا فالمليون جنيه

موطئ قدم في بلادنا . ولذلك فانا اعترض على عقد قرض اوربي مهما كانت شروطهُ ومهما كان الداعي اليهِ

ثم اذا كان المراد من هذا القرض ان نستعين بهِ على محاربة دولة اوربية كما تدلُّ الدلائل فيكون الامر ادعى الى اجتنابهِ لان نجاحنا في الحرب مع الصين وكوريا ليس فيهِ اقل دليل على اننا ننجح في محاربة دولة اوربية لان قدم الاوربيين ارسخ من قدمنا في اساليب العمران الحديث وهم اقدر منا على العمل بها لانهم مارسوها وتمرَّنوا عليها منذ قرون كثيرة ثم انهم متحالفون بعضهم مع بعض وتجمعهم جامعة الدين ولهم كلهم مصلحة واحدة في الممالك الشرقية فاذا حاربنا دولة من دولهم وانتصرت علينا ارهقتنا ذلاً وغرامة واذا انتصرنا عليها لم نجنِ منها شيئًا . ولنا عبرةٌ بما جرى معنا لما اردنا ان نجني ثمرة فوزنا على الصين فان ثلاثًا من اقوى الدول الاوربية تصدَّين لنا وواحدة منهنَّ لم تكذّب ان خطفت الثمرة من يدنا والتقمتها غنيمة باردة ونحن ناظرون اليها لا نستطيع ان نبدي حراكًا . فاذا كان القرض للاستعانة على محاربة دولة اوربية فهو الخراب العاجل والوباء الجارف فيجب علينا منعهُ بكل واسطة ممكنة

فقال لهُ بعض الاعضاء احسنت احسنت وقال غيرهم لم تحسن ولم تصب

ولما جلس نهض وزير البحرية وقال لا اعتراض عندي على شيء مما نقلهُ العضو الكريم من وصية الفيلسوف هربرت سبنسر فانها صحيحة يجب العمل بها في الاحوال التي فرضها ولكن سبنسر اوجب علينا الابتعاد عن الاجانب وابعادهم ما دمنا اضعف منهم وحجتهُ في ذلك واضحة وقولهُ مؤيد لا غبار عليهِ اما الآن فلم نعد ضعفاء كما كنا منذ اثنتي عشرة سنة لما كتب سبنسر وصيتهُ بل قد تقدمنا في هذه السنوات تقدمًا ادهش اوربا واميركا حتى ان اعظم الدول البحرية خطبت ودنا وحالفتنا

ولو صحَّت وصية سبنسر في حالتي القوة والضعف على حدّ سوى لوجب ان تبقى كل دولة مستقلة بنفسها معتزلة عن غيرها من الدول ولامتنع كل اختلاط وتقوضت دعائم الالفة وهذا لم يردهُ سبنسر على الاطلاق وانما حضنا على الاعتزال ما دمنا ضعفاء اما وقد قوينا الآن وحاربت جنودنا كتفًا لكتف مع الجنود الاوربية وبرهنت على انها مثلهم نظامًا وشجاعة كما شهدوا لها وانتظمت امورنا الداخلية تمام الانتظام فلم يبقَ لنا عذر عن مجاراة غيرنا من الامم . ثم ان كنا نخاف الحرب حقيقة فيجب ان نستعد لها لان الاستعداد لها امنع لحدوثها واذا لم نستعد طمع فينا الطامعون واضطرونا الى الحرب او الى الذل والصغار . أو يليق بهمتنا وعزة نفوسنا ان تؤخذ غنيمتنا من ايدينا ونحن صاغرون هل يليق بنا ان تضيق بلادنا علينا والارض واسعة حولنا

مليونًا ولذلك لا ارى بأسًا في اقراضها المبلغ المطلوب

فقال الثاني وكم تكون فائدة هذا القرض

فقال لورد بنشيلد طلبنا منها ستة في المئة والمرجح انها تقبل ما طلبناه اذا اصررنا عليهِ وقد بذل سفيرها جهده ليجعل الفائدة خمسة فقط فابنت له ان ذلك ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة

فقال الثاني . وبكم يصدر القرض

فقال لورد بنشيلد - اراد السفير ان نصدره بسبعة وتسعين ونزل الى خمسة وتسعين في المئة فابيت الآ ان نصدره بتسعين في المئة واخيرًا اتفقنا على اصداره بثلاثة وتسعين في المئة اذا وافقتموني على ذلك فتصير الفائدة نحو ستة ونصف في المئة سنويًا مضمونة بدخل الجمارك

فضحك الثاني وقال بارك الله في الحروب لولاها ما كان يمكن ان تصح النبوءة القائلة اننا نرجع بثروة الامم

فقال الثالث ولكن كتب اليَّ ثقة من بطرس برج ان الروس لا يمكن ان يرجعوا بالفشل ولا بدَّ لهم من قهر اليابان واذلالها مهما اقتضت الحرب من الرجال والاموال

لورد بنشيلد — قد يكون ذلك وقد لا يكون ولكن هب ان روسيا امتلكت اليابان وهو امر بعيد الوقوع جدًا فان حقوقنا على الجمارك اليابانية تبقى محفوظة لنا لا تمس

الثاني — هل تقرَّر امر الحرب

لورد بنشيلد— كلاَّ لم يتقرر حتى الآن ولكن الذين يؤخذ بقولهم يقولون انهُ لا بدَّ منها والظاهر ان اليابان ستضرب الضربة الاولى اذا لم تجبها روسيا الى كل مطالبها من غير تعديل ولا تحوير واذا اجابتها اليها فيكون الفوز لليابان اعظم مما لو فازت في الحرب لانها تصير المتصرفة المطلقة في كوريا وفي منشوريا ايضًا وهذا لا ترضى بهِ روسيا بوجه من الوجوه

الثالث — الى كم تحتاج اليابان بعد ذلك لو نشبت الحرب

لورد بنشيلد — اليابانيون على غاية الاقتصاد في ما ينفقونهُ من بلادهم ولا يضطرون الى الانفاق الكثير الاَّ على ما يبتاعونهُ من اوربا واميركا كالبوارج والمدافع ولكن لا يبعد ان يحتاجوا الى عشرين مليون جنيه اخرى قبل انتهاء الحرب وهب انهم احتاجوا اليها فعندهم مكوس الاشربة الروحية تبلغ ستة ملايين وستمئة الف جنيه فتزيد على ربا الدين ولو بلغ مئة مليون جنيه وليس عليهم الآن دين اجنبي سوى عشرة ملايين من الجنيهات رباها اربعة في المئة فقط

تساوي اجرة مليوني عامل عندهم وتساوي اجرة عشرين مليون عامل عندنا ولا يحسن بنا ان نحمل انفسنا فوق طاقتها لاجل حرب لا يعلم ماذا تكون نتيجتها

فقال الكونت تارو رئيس المجلس ان الامر ليس في يدنا ولا نحن مخيرين فيهِ حتى نختار فان روسيا لاتزال تماطل وتحاول لكي تغتنم الوقت وتزيد تحصين ثغورها وتعبئة الجنود وارسالهم الى منشوريا فان لم نبادر ونضربها الضربة القاضية الآن تعذَّرت علينا مقاومتها في المستقبل

ثم تلا عليهم خطاباً مسهباً وارداً من السفير وجلسوا يكتبون المقترحات الاخيرة ليعرضوها على روسيا مصممين على ان لا يتنازلوا عن حرف منها ولما اتموا كتابتها طلبوا التشرُّف بمقابلة الامبراطور ليعرضوها عليهِ فقابلهم وناقشهم في كل بند من بنودها ثم بيضوا المسودَّة الاخيرة وارسلوها بالتلغراف الى سفيرهم في لندن وهو ارسلها في ذلك اليوم عينهِ مع رسول خاص الى بطرس برج

الفصل الثالث عشر

القرض الياباني

في غرفة فاخرة الاثاث والرياش في قصر من قصور لندن ام المدائن ثلاثة رجال جلوس حول مائدة وامام احدهم آلة التلغراف يخاطب بها احد الماليين في اميركا وامام آخر آلة التلفون يخاطب بها ابن عمهِ في باريس والثالث اكبرهم وهو لورد بنشيلد فقال قد حان لنا ان ننتقم لاخواننا الذين قُتلوا ظلماً وعدواناً وان نستفيد في الوقت نفسهِ اكبر فائدة مالية يمكن ان تجنى في هذا الزمن وقد جاءني السر ادورد برون امس مندوباً من قبل نادي الصحافة واطلعني على محررات مكاتبيهم في الشرق الاقصى وفي بطرس برج وموسكو ويتضح منها ان استعداد اليابان اتم من استعداد الروس من كل وجه وانهُ اذا نشبت الحرب بينهما فالفوز لليابان الاَّ اذا حدثت امور اتفاقية ليست في حساب احد . والظاهر ان لجنة نادي الصحافة كفلت اصدار القرض لليابان وقد دفعت عنها ثمن مدرعتين بنيتا في جنوى لحكومة الارجنتين وجاءني السر ادورد برون من قبلها يرجو ان آخذ بيدهِ ومضى على سفير اليابان اسبوعان وهو يذاكرني في هذا الموضوع

فقال الثاني وما هو الضمان الذي تقدمهُ لنا اليابان او ما هو الرهن الذي ترهنهُ لنا

فقال لورد بنشيلد ان دخل الجمارك في اليابان مليون وستمئة الف جنيه حسب تقدير الميزانية هذه السنة وهو ليس مرهوناً فيصلح ان يكون رهناً لعشرة ملايين جنيه بل لعشرين

وبعد حديث دام نصف ساعة دخل غرفة الخواجه لاڤي وقال لهُ ان علي بك اتى الآن طالباً عشرة آلاف جنيه ويرهن عندنا مئتي فدان يقول ان الفدان منها يساوي مئة وخمسين جنيهاً

الخواجه لاڤي — الفدان يساوي مئة وخمسين جنيهاً ? اين هذه الاطيان

الكاتب — في الغربيَّة في مركز قلين

الخواجه لاڤي — بخ بخ وكم يساوي الفدان من الاطيان التي اشتراها منا يا ترى

الكاتب — يقول انهُ لا يبيعهُ بمئة وعشرين جنيهاً وقد عُرض عليهِ مئة جنيه في الفدان فلم يرد ان يسمع

الخواجه لاڤي — اشترى منا تسع مئة وخمسين فداناً منذ سنتين لا غير دفع ثمن الفدان منها اثنين وسبعين جنيهاً فاذا باعهُ بمئة جنيه فقط يكون ربحهُ ثمانية وعشرين جنيهاً في كل فدان فكم يكون ربحهُ من الاطيان كلها

ثم اخذ القلم وجعل يخط على القرطاس وقال يكون ربحهُ من الاطيان التي اشتراها منا ستة وعشرين الفاً وستمئة جنيه . كنا نقول ان الفلاح مجنون فاذا هو العاقل ونحن المجانين

ثم وقف وجعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً ويضرب رأسهُ بيدهِ ويقول هو العاقل ونحن المجانين . ولا يبعد ان يبيعها بمئة وعشرين جنيهاً فيصير ربحهُ منها كم . فقال الكاتب خمسة واربعين الفاً وستمئة جنيه فقال الخواجه لاڤي كم كم خمسة واربعين الفاً وستمئة جنيه خمسة واربعين الفاً في سنتين انظر من منَّا المجنون. ثم وقف امام الشباك وجعل ينظر منهُ الى المركبات السائرة في الشارع تباعاً سراعاً ذهاباً واياباً وعيناهُ ترياناها وافكارهُ شاردة تجمع الجنيهات الفاً فوق الف وتتصوَّر الفلاحين اصحاب العمائم يتمتعون بالغنى الوافر ويركبون المركبات الفاخرة تجرها الخيول المطهمة . ثم التفت الى الكاتب وقال لهُ لماذا يطلب عشرة آلاف جنيه الآن

فقال ان احد جيرانهِ عندهُ خمسون فداناً ملاصقة لاطيانهِ وقد اوصلها ابن اخيهِ الى عشرة آلاف جنيه اي الفدان بمئتي جنيه فاضطرَّ ان يطلبها بالشفعة نكاية بابن اخيهِ ولا بدَّ من دفع الثمن فوراً

الخواجه لاڤي — خمسون فداناً الفدان بمئتي جنيه . من سمع ان الفدان بمئتي جنيه الفدان الذي كان يعرَض على الفلاحين بعشرة جنيهات وبخمسة صار يباع بمئتي جنيه . لا يمكن ان تدوم الحال على هذا المنوال ولا بدَّ من "كريزه" فتعود الاسعار وتهبط . ولكن ما دام ثمن القطن على ما هو عليهِ فهبوط الاسعار ضرب من المحال. اظن انهُ اوفى القسط كلهُ في آخر السنة

الثالث — وقعت في ما كانت تحذر الوقوع فيهِ ولا ادري لمن الفضل في ذلك

لورد بنشيلد — الارتهان يجرُّ الى المراقبة والمراقبة لا تضرُّها بل تنفعها كما نفعت غيرها . هذه مصر نجحت تحت المراقبة نجاحاً لم يحلم بهِ اهلها ولا حلمنا بهِ نحن

الثاني — ولكن شتان بين مصر واليابان ومع ذلك فنحن لا يهمنا من امر الامم الاَّ ان تكون اموالنا مضمونة وان يدفع رباها في مواعيدهِ فان صحَّ ما قلت عن دخل جماركها فلا مانع من اقراضها عشرة ملايين من الجنيهات بفائدة ستة في المئة

الثالث — متى يصدر هذا القرض

لورد بنشيلد — لا يمكننا اصدارهُ الاَّ بعد ان تضرب اليابان الضربة الاولى ويظهر الفوز لها او تنتصر في معركة كبيرة على هذا الشرط تم الاتفاق مع السفير

فاتفق الثلاثة على رأي واحد وخاطب صاحب التلغراف شركاءهم في نيويورك وصاحب التلفون شركاءهم في باريس وفينا وبرلين وذلك بسلك خاص للتلغراف وسلك خاص للتلفون وفي اقل من ساعة جاء منهم الجواب بالايجاب وامضي الامر وكتب الكاتب قرارهم وسار بهِ الى سفير اليابان

الفصل الرابع عشر

مظاهر الحب

جلس الخواجه لافي في مكتبهِ وهو غرفة تطلُّ على شارع المناخ من جهتهِ الشمالية تدخلها شمس الشتاء من كوة جنوبية كبيرة والغرفة فسيحة جدًّا فيها مائدة كبيرة امام الخواجه لافي ومقعدان وكرامي ملبسة كلها بالجلد المراكشي البني اللون وفي ارضها سجادة عجمية تغطيها كلها وعلى احد جدرانها خرائط للعاصمة وضواحيها وما فيها من الاراضي البراح المعدة للبناء والى يمين هذه الغرفة غرفة للانتظار يجلس فيها الذين يطلبون مقابلتهُ الى ان يأذن لهم في ذلك والى يسارها غرف الكتَّاب

وكان في غرفة الانتظار رجل من كبار العمد بالعمَّة والقفطان والجبَّة وفي يدهِ عصاً مقبضها من الذهب وهو العلامة الوحيدة الدالة على غناهُ لا سلسلة ذهب على صدرهِ ولا خاتم ماس في يدهِ وانما فيها دبلة سادجة من الفضة . وهو كهل يناهز الخمسين لكنهُ زوَّج اولادهُ وكاد يزوج اولادهم ولم يكد يستقرُّ بهِ الجلوس حتى دخل احد الكتَّاب ورحَّب بهِ وقدم اليهِ سيكارة وامر الخادم بتقديم القهوة وجعل يسألهُ عن احوال الاطيان والزراعة ويبالغ في تكريمهِ وتبجيلهِ

المركبة قبلهُ ونظرت اليهِ نظر المتوسل كأنها تقول لهُ دعني ادخل ايضاً . فقال لها هل يناسب دخولك انتِ فقالت ولماذا لا يناسب ان ارى بهية وامها واعزيهما . وارتجفت شفتاها وهطلت الدموع من عينيها فرقَّ لها حتى كادت الدموع تذرف من عينيهِ وادخلها معهُ . ولحتهما بهيّة داخلين فقامت للقائهما ولما دنت من استير خنقتها العبرات وارتمت عليها وامتزجت دموعها بدموعها واعتنق الاثنتان ووقف الخواجه لاڤي هنيهة ينظر اليهما ثم تركهما تبرّدان لوعتهما ومشى احد الخدم امامهُ الى الغرفة التي نقل اليها امين بك فرآهُ ملقىً على سريرهِ وامهُ راكعة بجانب السرير لا تعي على شيءٍ . فدمعت عيناهُ ووقف لا يبدي حراكاً . وبعد هنيهة فتح امين بك عينيهِ ورآهُ فحاول التبسم لهُ واشار اليهِ ليجلس فعلم الخواجه لاڤي انهُ لا يزال في قيد الحياة ولكنهُ لم يعلم حقيقة ما اصابهُ ولا درجة الخطر الذي هو فيهِ ودخل الطبيب حينئذٍ فسلَّم واراد الخواجه لاڤي ان يسأَلهُ عن حالهِ فاومأ اليهِ ان لا يفعل . ثم جسَّ نبضهُ ونظر في عينيهِ وخرج فتبعهُ الخواجه لاڤي

— —

لما سار القطار من محطة مصر بالمستر برون واخيهِ عاد واصف بك مستغرباً عدم حضور ابنهِ وابنتهِ لوداعها وكذلك عدم حضور الخواجا لاڤي وزوجتهِ وابنتهِ على غير عادتهما . وركب مركبتهُ وهو يفكّر في امر ابنتهِ فان زوجتهُ كانت قد اخبرتهُ بما رأتهُ منها وسمعتهُ من حين التقت بالمستر برون وكيف صارت قليلة الكلام كثيرة التفكير وقد سأَلتها عن شأْنها معهُ فاخبرتها بكل ما قالهُ لها ولم تخفِ عنها شيئاً . وتحدَّث واصف بك مع زوجتهِ في هذا الموضوع وكان يرى ان العادات القومية تحول دون اقترانها بهِ لانهُ لم يسبق لقبطية ان تزوجت انكليزيّاً . وخاف ان يكون ما بدا منهُ شعوراً وقتيّاً يزول سريعاً اما زوجتهُ فكانت تقول انهُ ليس كذلك بل هو يحب ابنتها من كل جوارحهِ وقد خرج من مصر غصباً عنهُ ولو لم يكن الانكليز متربين على تفضيل الواجبات على كل شيءٍ لترك السفر الى الشرق الاقصى وبقي في مصر وبهية تحبهُ ايضاً ولو لم تجاهر بذلك . هذه الامور جالت في بالهِ فزاد استغراباً من عدم مجيء زوجتهِ وابنتهِ الى المحطة . ثم قال لعل بهية خافت ان يبدو منها شيءٌ وقت الوداع ففضّلت البقاء في البيت ولقد اصابت في ذلك وهي مُصيبة في كل اعمالها ويا ليت اخاها مثلها لكنهُ متهوّر لا يقف عند حد وهو على لين عريكتهِ وطيب قلبهِ سهل الانخداع ولا يقدّر العواقب . وعاد الى البيت فرأى مركبة الخواجا لاڤي امام الباب ومركبة اخرى ظنها لجراح مشهور فزاد استغرابهُ وقلق بالهِ حتى اذا نزل من المركبة شعر كأَن رجليهِ عجزتا عن حملهِ ودخل الدار

الكاتب — اوفاهُ قبل الميعاد بعشرة ايام سلمنابهِ قطناً وزاد لهُ عندنا اكثر من الفي جنيه
الخواجه لاڤي — وكم الفائدة التي اتفقتم عليها
الكاتب — طلبت منهُ الفائدة القانونية تسعة في المئة فاستغلاها وقال انهُ يدفع سبعة ثم طلع الى ثمانية فقلت لهُ ان الامر ليس في يدي بل في يد جنابك
الخواجه لاڤي — طيب قل لهُ يدخل

فخرج الكاتب ثم عاد بعلي بك والتقاهُ الخواجه لاڤي الى وسط الغرفة واجلسهُ عن يمينهِ وقدم لهُ علبة السكاير وطلب لهُ القهوة وهو يقول اهلاً وسهلاً اهلاً وسهلاً بعلي بك ثم سألهُ عن اولادهِ وعن المدير ومهندس الري وقال اخبرني ڤيتا انك طالب عشرة آلاف جنيه البنك كلهُ على حسابك برهن او بغير رهن

فشكرهُ علي بك على ذلك وقال انهُ لا يريد ان يفعل الاَّ الامر القانوني . ثم عرض ان يأخذ العشرة آلاف جنيه بربا ثمانية في المئة سنويًّا ويقسطها اقساطًا متساوية على خمس سنوات ويرهن المثني فدان و يدفع كل المصاريف القانونية

فرضي الخواجه لاڤي بذلك وامر الكاتب ان يخبر الافوكاتو ليكتب الرهنية وسمح لعلي بك ان يستلم المبلغ المطلوب حالاً قبل كتابة الرهن ولم يكد يتم كلامهُ حتى دخل الفرَّاش وقال ستي استير تحت في العربية تنتظر حضرتك لتذهبوا وتودعوا الخواجه برون

ففتح ساعتهُ وقال نعم نعم لم يبقَ الاَّ ربع ساعة ثم قام واعتذر الى علي بك واخذ عصاهُ ونزل وكانت السيدة استير في مركبة فاخرة يجرها جوادان ادهمان من الخيل الروسية وسائقها باللباس الاسود والبرنيطة العالية والى جانبهِ خادم بثياب مقصبة فنزل وفتح باب المركبة ولم يكد الخواجه لاڤي يجلس الى جانب ابنتهِ حتى دنا منهُ عزرا السمسار وقال لهُ بلغني الآن ان مركبة الترامواي صدمت امين بك بن واصف بك وقتلتهُ فان احد خدمة محلنا كان آتيًا من جهة السبلندد بار ورآهُ بعينهِ وقع امام الترماواي وقد رفعوهُ ميتًا مهشماً ووضعوهُ في مركبة وساروا مسكين هذا الشاب فاني متأسف عليهِ جدًّا . ثم التفت الى استير لكي يظهر لها كرم اخلاقهِ في اسفهِ عليهِ فرآها شاخصة لا تتكلم كأنها لم تعِ شيئًا مما قالهُ وقد امتقع لونها حتى زال احمرار شفتيها ولم تصدق ان قال ابوها للسائق بيت واصف بك خذنا الى بيت واصف بك سوق حالاً حتى تنفست الصعداء

وضرب السائق الجوادين بسوطهِ فسارا ينهبان الارض نهبًا ولم تكن الاَّ دقائق قليلة حتى قطعت المركبة شارع الفجالة ووصلت الى شارع الظاهر الى بيت واصف بك . وخطر للخواجه لاڤي حينئذٍ ان يترك استير في المركبة او ان يقول لها لتذهب الى البيت اما هي فنزلت من

كيف قتل وشرعت تبكي . فانتهرها وقال لها ان كان لابدّ من البكاء فلا يمكنها ان تعمل له العمل الذي طلبهُ منها . فقالت لهُ ماذا تريد ان اعمل فقال اذهبي الآن الى بيت واصف بك ومتى رأيت الخادم داود داخلاً بالجواب فقولي لاحد الخدم ان يستلمهُ منهُ ولا يسلمهُ لواصف بك اليوم . فوعدتهُ انها تفعل ذلك وخرجت . اما هو فنادى حاييم وقال لهُ هل وضعت التاريخ على الاذن فقال كلاَّ فقال ضع عليهِ تاريخ امس اذًا وكم المقدار فقال خمسون الف قنطار فقال ألاَ يمكن ان تجعلها مئة وخمسين الف قنطار ارني الاذن ضع واحدًا وراء الخمسة انتهى المشكل مئة وخمسون الف قنطار والاذن الاول عشرة آلاف فصار الاذنان مئة وستين الف قنطار بثمانية عشر ريالاً والسعر الآن كم . فقال حاييم سبعة عشر ريالاً فقال صار الفرق ريالاً اي اثنين وثلاثين الف جنيه عدا السمسرة وبلغ ربحنا منهُ اولاً ستة عشر الف جنيه فصار الربح كلهُ ثمانية واربعين الف جنيه مصري ماعدا السمسرة اكتب الفاتورة حالاً وارسلها مع داود الى بيت واصف بك

ثم جعل يفكر في استير ويقول في نفسهِ لا بدَّ من انها كانت تحب امين بك فقد احمرَّ وجهها اولاً ثم اصفرَّ لما اخبرتها واخبرت اباها انهُ قتل ونظرت اليَّ شزرًا ولكن الله كريم لابدَّ من ان تنساهُ ويجب عليَّ ان اظهر امامها بمظهر كرم الاخلاق والحزن عليهِ والاحسن ان اوصي على اكليل كبير يوضع على نعشهِ . اكليل بخمسة جنيهات صار ربحنا منهُ نحو خمسين الف جنيه فلا نبخل عليهِ بخمسة جنيهات ونستجلب رضاها ومحبتها . اما الخواجه لاڤي فلا اظن انهُ يمانع في اقتراني بها ولا سيما اذا عرف مقدار ربحي هذه السنة . وتبقى مسألة حليم بك ابن راغب باشا فقد قالت قدم خير جارية بيت لاڤي انها سمعت الشيخ احمد يطنب بمدحهِ امام استير وابيها . ما قصد هذا الرجل يا ترى . لو مدحهُ امام الخواجه لاڤي فقط لقلنا ان مرادهُ عقد سلفة او بيع بعض الاطيان ولكن ما مرادهُ من مدحهِ امام استير . لا نخلص من مشكل حتى نقع في آخر ولكن الله كريم من لا يأتي بالقوة يأتي بالحيلة

بمثل هذه الافكار كان يناجي نفسهُ حينما عاد يهودا من البورصة وقال لهُ ان قطن يناير وقف على ١٧ ريالاً فاستبشر خيرًا وادخل حساب امين بك مع حساب اليوم الماضي وكان قد تركهُ مفتوحًا لغاية مثل هذه ثم خطر على بالهِ زين الدار وبكاؤها على امين بك فقال ان هذه الجارية السوداء ارق قلبًا مني . لكنهُ طرد هذا الفكر من بالهِ حالاً قائلاً الدنيا حرب الذي يأخذ استير من امامي آخذ روحهُ وصمَّ اذنيهِ عن توبيخ ضميرهِ

فرأى بهية واستير على مقعد واحد متعانقتين تبكيان معاً فظن اولاً انهما تبكيان لفراق اخت المستر برون واتفق حينئذٍ خروج الطبيب والخواجا لافي من غرفة ابنهِ فدنا الطبيب منهُ وقال لا شيءَ يوجب انشغال البال وقصَّ عليهِ ما جرى بالايجاز فلم يفهم شيئاً ودخل غرفة ابنهِ ولما دنا منهُ حاولت زوجتهُ ان تكفكف دموعها فلم تستطع فانحنى وقبَّل جبين ابنهِ ثم خرج وجلس مع الطبيب واستعادهُ القصَّة بالتدقيق وسألهُ عمَّا فعل ودخل حينئذٍ الطبيب الاول الذي شاهد امين بك اولاً وكان قد ذهب واتى بكيس لوضع الثلج وجلس الطبيبان يتداولان وقال لهما واصف بك احضرا كل من تريدان من الاطباء فقال لهُ الجراح لاداعي الآن لحضور احد . وبعد مداولة استغرقت عشر دقائق اتفقا على طريقة العلاج وقالا لواصف بك ان الحالة لا تخلو من الخطر ولا يمكن البت فيها قبل الغد . فاوصاهما ان لا يذكرا شيئاً امام زوجتهِ وابنتهِ . وجلس يفكّر في ما تؤول اليهِ حالهُ بعد ابنهِ وهو وحيدهُ ورجاؤهُ في الحياة فاظلمت الدنيا في عينيهِ وجعل يلوم ابنهُ على طيشهِ ويلوم نفسهُ لانهُ لم يحسن تربيتهُ حتى يكون شديد الحذر. ثم راجع ما قالهُ لهُ الجرَّاح فايقن انهُ خفَّف عليهِ الامر وان الاطباء عاجزون عن انقاذ ابنهِ من مخالب الموت فارتجفت شفتاهُ ودمعت عيناهُ وسلَّم امرهُ لله

وحضر حينئذٍ مأمور من قبل المحافظة وكتب احوال الحادثة وامضاها

الفصل الخامس عشر

باب الامل

لم تكد المركبة تجري بالخواجه لافي وابنتهِ حتى جعل عزرا يناجي نفسهُ ويقول قد جاء الامر طبق المرام ولو بقيت سنة كاملة ادبر الحيَل والتدابير حتى اخلّص استير من هذا الشاب واكسب اموالهُ ما عثرت على طريقة احسن من هذه . ولكن لا بدَّ لي من ان أُأخر اعلام ابيهِ بذلك حتى تزيد خسارتهُ وقد بلغ النزول الآن ريالاً كاملاً واذا استمرت الاسعار على هذا النزول فلا عجب اذا بلغ النزول ريالين او ثلاثة ولكن ما الحيلة حتى يصلهُ العلم ولا يلتفت اليهِ . الاحسن ان ارسل الفاتورة اليهِ واعمل طريقة حتى لا يفتحها الاَّ بعد يومين او ثلاثة . ثم خطر على بالهِ ان يستعين بزين الدار فناداها واخبرها ان امين بك قُتل قتلتهُ الكهربائية وان مرادهُ ان يرسل جواباً الى واصف بك ولكنهُ لا يريد ان يطّلع عليهِ الآن لحزنهِ على ابنهِ وطلب منها ان تجد لهُ طريقة حتى لا يستلمهُ الاَّ بعد يوم او يومين . ولما سمعت ان امين بك قُتل وقفت مبهوتة ثم جعلت الدموع تهطل من عينيها وهي تقول مسكين امين باي مسكينة امهُ واختهُ

اني احب هذه الفتاة كما تحبها انت واني آسفة جدًّا لفراقها على هذه الصورة ويكاد قلبي ينفطر عليها وعلى امها ولكن الواجب اولى بالاتباع ونحن مرتبطان بهذا السفر ولا مناص لنا منهُ واذا بقينا في مصر لا نقدّم ولا نؤخر ويقيني ان امين بك يقوم من هذه السقطة واظن انا نجد تلغرافًا منهم في السويس يطمننا عنهُ والاّ فلا بدَّ لنا من ان نرسل تلغرافًا نسأَل عن صحتهِ

فقال لا اظن انهُ يقوم من هذه السقطة ألا تذكرين انني رأيت بهيَّة في حلم لابسة ثوبًا اسود وهي تستغيث بي والثوب الاسود علامة الحداد

فتبسمت وقالت عدنا الى الاحلام واضغاث الاحلام . أنظن ان فكرًا خطر لك وانت نائم يقدم ويؤخر في امور الناس ومجرى احوالهم

فقال لا يمكننا ان نكذّب كل ما يقولهُ البعض عن ادراكهم للغيب فان الحوادث كلها الماضي منها والحاضر والمستقبل يفصلها الزمان بعضها عن بعض فاذا لم يقيد العقل بالزمان استطاع ان يدرك المستقبل كما يدرك الحاضر. وكيف ندرك الماضي ونحن بعيدون عنهُ سنينًا او قرونًا ولا ندرك المستقبل وقد لا يكون بعيدًا عنا الاّ اشهرًا او اياماً. ولا بدَّ من انكِ تقولين لي كيف ندرك حدوث الشيء وهو لم يحدث بعدُ فاجيب ان كل حادث متعلق بسلسلة من الاسباب سابقة لهُ وهو موجود فيها بالقوة ولو لم يكن موجودًا بالفعل فكما نرى الزهرة فنتصوَّر الثمرة التي تتكون منها ونراها بالبصيرة ولو لم ننظرها بالباصرة ونرى الطفل فنتصور الرجل الذي يصير منهُ كذلك عين العقل تقوى في بعض الناس فتهتك حجاب المستقبل وتعلم الحوادث الآتية مما هو جارٍ . ومالي ولهذا البحث الفلسفي الآن أَلم اصف لكِ بهية قبل ان نأتي الى مصر أَوَ لم تجدي وصفها مطابقًا لما وصفتها بهِ . اواه يا دورا كم اتمنى ان اكون الآن بجانبها اسليها واشاركها في حزنها على اخيها . لا بدّ من انها تقول ما اقسى هذا الرجل واقل ودادهُ . والحق اننا نحن الانكليز قساة نضحي كل شيء في سبيل ما نعدُّهُ واجبًا علينا

ودخل حينئذٍ خادم ودعاهما للطعام فقاما الى غرفة المائدة وكان الجلوس فيها قليلين فجلسا على مائدة وحدهما واكلا اللون الاول قبلما عادا الى الحديث . ولما اتاهما الخادم باللون الثاني قالت دورا لا اظنهم يجلسون على مائدة الآن ما اقبح الامراض والآفات فانها تنغص الحياة وتسلب منها كل مسرة ولا اظن ان المصاب يتألم اكثر مما يتألم ذووهُ . لو كان الناس يعوّدون انفسهم على الاستخفاف بالموت والترحيب بهِ كأنهُ واسطة لانقاذهم من متاعب الحياة لما وجدنا في المرض والموت عشر معشار ما نجدهُ فيهما الآن من الالم والكدر

فقال اخوها اصبتِ ويصير الناس يلجأُون الى الانتحار كلما اصابهم مرض او وجع لكي

الفصل السادس عشر

لوعة الوداع

دورا — ما بالك يا هنري صامت لا تتكلم

هنري — ماذا اتكلم انظري هذه البلاد كم طوت من الامم الغابرين وهي على حالها من عهد الفراعنة الاولين فلاحها يعيش بالجد والكدح وغنيها يتمتع بجني فقيرها ثم يدرج الكل تحت التراب

فالتفتت من كوة القطار ورأت المروج وقد كساها البرسيم ثوبًا من الزمرد وقالت ترى ما يكون حال امين بك الآن

هنري — اذًا انتِ تفكرين فيهم اما انا فاني باذل جهدي لكي انسى ما مضى فلا استطيع ويخطر ببالي احيانًا ان اعود من السويس ولكن السفينة تقوم صباح الاثنين ولا تقوم سفينة بعدها الى اليابان توًّا الّا بعد اسبوعين ومهنتي تقضي عليّ بالذهاب في هذه السفينة وقد ضاقت بي الحيل ولا اعلم كيف اعمل. ايجوز ان اضحّي عواطفي كلها لاجل عمل لا ينالني منهُ ربح مادي ولا ادري لماذا نذهب الى بلاد اليابان ؟ لخدمة الماليين لكي تكثر اموالهم اما جمهور الاهالي الفلاحين والمعدّنين والصنّاع وهم التسعة الاعشار فلا يستفيدون شيئًا . والماليون ايضًا لا يستفيدون لان زيادة المال لا تزيد الراحة بل تزيد التعب . هذا لورد رتشيلد تقدّر ثروتهُ باكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات ودخلهُ اليومي باكثر من ثلاثة آلاف جنيه وقد سمعتُ منهُ ان ما ينفقهُ على نفسهِ في مأكل ومشرب وملبس لا يزيد على ثلاثة جنيهات في اليوم يأكل في الصباح بيضةً ويشرب كاسًا من اللبن والقهوة ويأكل الظهر قطعة من السمك وقطعةً من اللحم وقليلاً من الخبز والخضر والفاكهة ونحو ذلك في المساء وان زاد بلي بالتخمة ويلبس مثل ابسط الناس وما هو الاّ وكيل على اموالهِ يهتم نهارًا وليلاً بتشغيلها وتثميرها فلو بلغنا مبلغهُ من الثروة لزدنا طمعًا وتعبًا . انظري كيف نحن الآن مسخّران لغيرنا . كيف دست قلبي وعواطفي وخرجت من بيت واصف بك وابنهُ على فراش الموت ولا امل ان اراهُ بعد الآن وبهية تبكي وتنوح ويكاد قلبها ينفطر حزنًا عليهِ . تصوري نفسكِ مكانها وان مركبة الترامواي داستني فقتلتني او كادت ولكِ حبيب او صديق ولا بدّ لهُ من ان يتركك في تلك الساعة تصوري نفسكِ مكانها

فاغرورقت عينا دورا بالدموع وقالت لهُ اني اعرف ما يختلج فؤادك وأؤكد لك ياهنري

الحياة الاخرى بعد الموت لزالت مرارتهُ من النفوس وخفَّ فراق الاحباء على الاحياء وقضى الانسان الايام الاخيرة من عمره جذلاً متهللاً بما سيصير اليهِ بعد الموت . ولارغبة لي الآن في موضوع مثل هذا لان اشتغال العقل وقت الاكل يضعف الهضم . هات قُل لي الحق هل يخطر ببالك ان تعود الى مصر بعد الرجوع من اليابان

فقال نعم هذا كان مرادي ولكن الامر يتوقف على ما اراهُ من بهية ووالديها فانها لم تسمح لي ان اكاتبها ولكنني ساكاتب والديها فان رأيت منهما ما يقوي الامل طلبت منهما ان يسمحا لي بمكاتبتها ولكنني لا ادري كيف نتمكن من ذلك ونحن في آخر المعمور ولا يصل البريد في اقل من شهر و يلوح لي ان الحرب صارت على الابواب وربما اضطر ان اذهب الى ساحة القتال ومَن يعلم ماذا يصيبني هناك . ثم جاءت مسألة اخيها وهذه لم تكن في الحسبان واذا فرضنا انهُ يقوم من هذه السقطة كما ارجو و يشفى منها تماماً فمتى يكون ذلك وهل يطمئن بالهم حتى يكاتبونا واذا لم يقم من هذه السقطة لاسمح الله صار البحث في هذا الموضوع ضرباً من المحال وكيفما التفتُّ لا ارى الاَّ ظلاماً دامساً لا نور فيهِ

ولما شرع في الكلام ابطل الاكل وجارتهُ دورا في ذلك فرفع الخادم الطعام من امامهما وعرض عليهما لوناً آخر فابيا وطلبا الفاكهة . ثم عادا الى مكانيهما وكانا جالسين وحدهما فقالت لهُ دورا هب انك كتبت الى والديها وكتبا اليك وظهر لك من كتابتهما ان تزوُّجك بابنتهما ليس في الامكان فماذا تفعل

فقال ان هذا لا يكون

فقالت كيف لا يكون وقد فهمت من استير ان الاقباط لا يزوجون بناتهم للاجانب مع ان رجالهم يتزوجون بالاجنبيَّات فان ام بهيَّة من السوريين الذين استوطنوا القطر المصري ولكن لم يسمع ان قبطية تزوجت باجنبي

فقال اني لا انظر الى ذلك بل الى ما اشعر بهِ في نفسي فانني اشعر ان هذه الفتاة خُلقت لي وخُلقت لها و يخال لي انها هي ايضاً تشعر كما اشعر ولا اعرف سر هذا الشعور المتبادل ولكنهُ حقيقة لا ريب فيها

فتبسمت وقالت لا تزال انت انت

فقال نعم ومن يستطيع ان يكذّب وجدانهُ ومتى صرتِ مثلي تشعرين شعوري . فاحمرَّت وجنتاها وقالت هذا بعيد عني ولكن انظر كيف نسينا بيت واصف بك ولجة الحزن التي هم فيها فقال اصبتِ ولا يجوز ان نفتكر بانفسنا الى هذا الحد قولي لي ماذا اخبرتكِ استير عن

يتخلصوا من الالم لان الالم لا يزول بالفكر والتصوّر كما تظنين

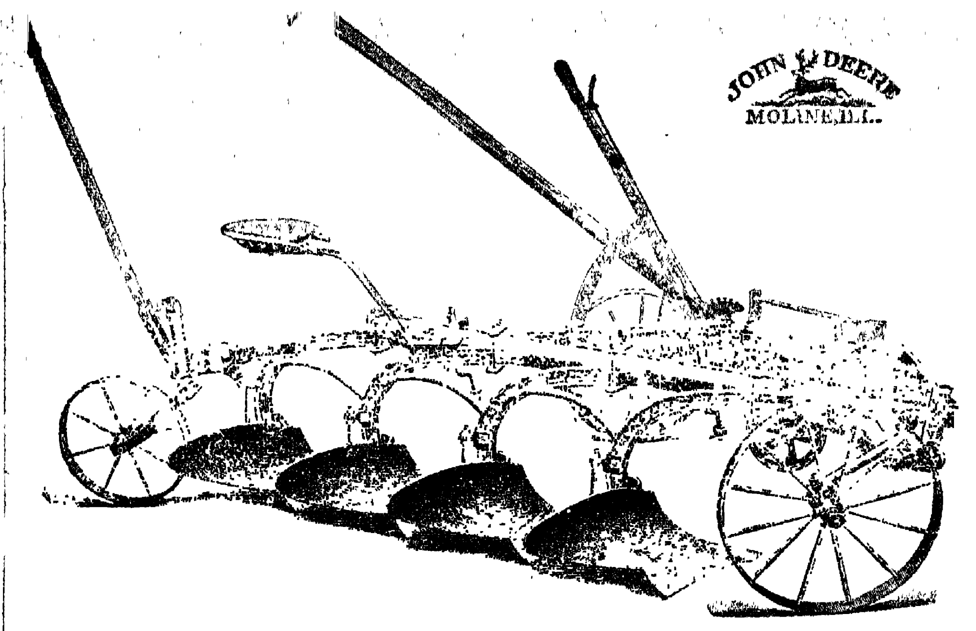
فقالت كلاَّ ليس الى هذا الحد ولكن ألم نقرأ ان بعض الاقوام يحسبون الموت سبيلاً للوصول الى دار السعادة فيرحّبون بهِ واذا شاخ احدهم طلب من اولادهِ ان يقتلوهُ قبلما تنهكهُ الشيخوخة فيعجز عن مصادمة الاعداء في الوصول الى دار النعيم . فيقتلونهُ باحتفال عظيم ولذلك يفرحون بموت واحد منهم كما نفرح نحن بولادتهِ او بزيجتهِ فلو اعتقد كل الناس ان الموت انتقال من دار الشقاء الى دار السعادة كما تعلّم الديانة لزالت شوكتهُ تماماً وصرنا ننتظرهُ ونرحب بهِ كما ننتظر ايام الربيع ونرحب بها

فقال ان الخوف من الموت راسخ في النفوس منذ الوف من السنين ويكاد يكون راسخاً في نفوس الحيوانات لان منها ما يجزع من الموت ويضطرب . وقد مضى على الديانة المسيحية نحو الفي سنة تعلم الناس ان الموت انتقال من دار الشقاء الى دار السعادة ومع ذلك لم تنزع من نفوسهم الخوف من الموت

فقالت ان تعليل هذا الامر الاخير سهل جدًّا لان رجال الديانة يعلّمون ان بعد الموت دارين دار ثواب ودار عقاب ويخوفون الناس من دار العقاب اكثر مما يطمنونهم بدار الثواب . وكثيرون منهم يتخذون التخويف من دار العقاب سبيلاً للحث على التدين والتقوى حتى لما قال جورج لنتش ان قصيدة كبلنج المشهورة المعنونة بحمل الرجل الابيض نفاق ورياء عارضها بقصيدة يخاطب بها البيض بلسان السود قائلاً

احملوا حمل الترقي واملكوا املاكنا
وانشرونا في الفيافي واخضدوا اشواكنا
جئتمونا بسموم وخمورٍ تنهكُ
وجحيم يحشر اللهُ بهِ ويُهلكُ

وقد حضرت عظة لاحد خدمة الدين مثَّل فيها صور الناس في جهنم تمثيلاً تقشعرُّ منهُ الابدان لم يأتِ ملتن في شعرهِ بارهب منهُ ولا جاء دنتي بما يدانيهِ . وكان اكثر الذين صوَّرهم في جهنم من النساء حتى خُيّل لي ان الجحيم للنساء والنعيم للرجال . فصورٌ واوصاف مثل هذه ترسخ في نفوس الناس فيزيد خوفهم من الموت لانهم يرجحون العقاب بعدهُ ولاسيما اذا علموا انهم يحاسَبون على كل كلمة بطَّالة يقولونها . وقد يكون لخدَمة الدين غرض ذاتي يدعوهم الى تخويف الناس من العقاب وقد يكونون مخلصين لا غرض لهم سوى خلاص النفوس ولكن النتيجة من ذلك واحدة وهي زيادة خوف الناس من الموت على ضد ما تعلم بهِ الديانة المسيحية وكل الاديان الشهيرة . فلو عدل خدمة الدين عن هذا السبيل وشوَّقوا الناس الى



سكك المحرات البخاري

فتحنا محلاً جديدًا في شارع باب الحديد امام شركة قنال السويس جعلناهُ معرضاً للآلات الزراعية والصناعية كما يأتي

وابورات ثابتة • وابورات نصف ثابتة

وابورات لوكوموبيل • وابورات تدور بالغاز

وابورات تدور بالبترول . تخاريت بخارية خصوصية

آلات تولد الكهربائيه تنير عشرين لمبالى مئتي لمبا

آلات دراسة . آلات لحفر الآبار الارتوازية

طلمبات لرفع المياه • قصابيات كبيرة تجرها الآلات البخارية قصابيات صغيرة تجرها المواشي

مطاحن غلة

وابور يدور بالبترول

وجميع هذه الآلات مصنوعة في اشهر معامل اميركا وانكلترا وفائدتها مثبتة بالامتحان وهي من احدث طرز واجوده واوفره

والمعرض مفتوح دائمًا لمن يريد مشاهدة ما فيهِ من الآلات والادوات التي تهم المزارعين كبارهم وصغارهم وكل زائر يقابل بالترحاب وتشرح لهُ فائدة كل آلة ومزاياها

ومحلنا في شارع البواكي مستعد لقبول جميع الطلبات واعطاء كل الاستعلامات

نمرة التليفون ١٢٣٠ نجيب صرّوف وشركاهُ

وبهيّة عن استير وابن اخو استير فاني لم اره الاّ مرةً او مرتين

فقالت سألت استير عن اخيها فقالت ان اباها صارم جدًّا عليهِ وقد وضعهُ في بنك لا اجرتهُ فيهِ على اربعة جنيهات في الشهر وهو يحضهُ دائمًا لكي لا يصرف منها شيئًا لا لانهُ بخيل بالطبع بل لانهُ يخاف ان يطلق لهُ العنان في الانفاق فيعتاد الملاهي ويتورط في السبل التي يعتادها الشبان في مصر. ولكن هذه التربية السلبيَّة لا تكفي لانها لا تقوي عقول الشبان واعتمادهم على انفسهم وليس في القاهرة كلها نادٍ ادبي يجتمعون فيهِ ويستفيدون من المطالعة ومن مذاكرة اهل العلم والاختبار كما في البلاد الانكليزية . وهي تمدح امينًا وتثني على آدابهِ واخلاقهِ ولكنها تقول انهُ مبذر متلاف لا يعرف قيمة المال ولا يقدّر العواقب وتخشى من انهُ اتى حديثًا على الشغل في البورصة وقد سمعت امها تتكلم مع ابيها في هذا الموضوع وعزمت ان تخبر امهُ لتردعهُ والاّ عطّل مستقبلهُ وخرب بيت ابيهِ . اما استير وبهية فجوهرتان وكلٌّ منهما تحبُّ الاخرى كما تحب نفسها على ما ظهر لي ممَّا سمعتهُ من كل واحدة منهما عن الاخرى . وقد لحظت ان امينًا يحب استير وهي تحبهُ والظاهر ان العائلتين تعرفان ذلك . وهذه الامور لاحظتها ملاحظةً وقد اكون غلطانة . وبيت واصف بك وبيت راغب باشا من الاصدقاء والظاهر ان حليماً صديق حميم لامين درسا في المدرسة سوية وكذلك واصف بك وراغب باشا . وحليمة اخت حليم بك من اجمل البنات اللواتي وقعت عليهنَّ عيني طويلة القامة بيضاء اللون شقراء الشعر سوداء العينين والحاجبين قد تمثّل فيها الجمال الشرقي بل الجمال التركي بل الجمال الشركسي . ومهما بالغ مصورونا في رسم العيون الحوراء والشفاه الحمراء والخدود الاسيلة والوجنات الموردة لا يبلغون نصف ما رأيت فيها ولم اشبع من النظر اليها . وهي مخطوبة لشاب من كبار رجال الحكومة وسيكون عرسهما في اواخر فبراير او اوائل مارس لما يقلُّ السياح في القاهرة لان اصحاب البيوت الكبيرة يتعبون من ازدحام السياح عليهم ويقال انهُ بلغت القحة من بعض السياح ان يصوروا العروس في جلوتها وينشروا صورتها في الجرائد وهذا يستقبحهُ المسلمون جدًّا . وطلبت حليمة مني ان ابقى في مصر لحضور عرسها وقالت استير ان الافراح الكبيرة مثل فرح ابنة راغب باشا يكلّف ثلاثة آلاف جنيه او اكثر . وحقًّا اني اود ان ابقى واراهُ ولكن الواجب اولى بالاتباع

ولم تكد تنطق بالكلمة الاخيرة حتى مادت بهما المركبة ولطمت بالمركبة التي امامها ولطمت المركبة التي وراءها فوقعت بين يدي اخيها ولطم رأسها صدرهُ لطمة عنيفة ووقعت شنطة عن الرفوف فاصاب سفط منها رأسهُ وكتفيهِ وكاد يقضي عليهِ

(٢) المدرسة الصيدلية — مدة التدريس فيها ثلاث سنوات مع الاشتغال العملي في المعمل الكيماوي والتمرين

وقد اعترفت الحكومة العثمانية بالمدرسة الطبية والمدرسة الصيدلية وهي ترسل لجنة من الاطباء لامتحان المنتهين من تلامذتهما . والتلامذة الذين يفوزون في الامتحان ينالون دبلوما المدرسة والدبلوما السلطانية التي تخولهم ممارسة صناعتهم في كل الممالك العثمانية

(٣) المدرسة الكلية العلمية — مدة التدريس فيها اربع سنوات في اللغات والآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية المؤدية الى احراز البكلوريا

(٤) مدرسة التجارة — مدة الدرس ثلاثة سنوات يُعلم فيها مسك الدفاتر واساليب التجارة وقانون التجارة والكيميا الصناعية وعلم الاقتصاد والانكليزية والعربية والتركية والفرنسوية والالمانية واليونانية ونحوها مما يؤهّل التلميذ لمعاطاة الاشغال التجارية وينال رتبة البكلوريا في التجارة

(٥) القسم الاستعدادي — مدتهُ خمس سنوات ويعلَّم فيهِ التعليم الابتدائي في العربية والانكليزية والحساب والجغرافية وغير ذلك من العلوم ولا يقبل فيهِ تلميذ عمرهُ اقل من احدى عشر سنة

ولغة التعليم في هذه الاقسام كلها الانكليزية . ومن شاء زيادة الاستعلام عنها والاطلاع على كتابها السنوي فليطلب ذلك من الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت (سورية)

الكتب الآتية تطلب من ادارة المقتطف واثمانها المذكورة هنا هي بالغرش [illegible] المصري وهو جزء من مئة من الجنيه المصري والجنيه المصري يعدل ٢٦ فرنكاً

غرش			
٠٥٠	المجلد الاول	من المقتطف	
٠٥٠	« الثاني	«	«
٠٥٠	« الثالث	«	«
٠٥٠	« الرابع	«	«
٠٥٠	« الخامس	«	«
١٠٥	« السادس	«	«
١٠٥	« السابع	«	«
١٠٥	« الثامن	«	«
١٠٥	« التاسع	«	«
١٠٥	« العاشر	«	«
١٠٥	« الحادي عشر	«	«
١٠٥	« الثاني عشر	«	«
١٠٥	« الثالث عشر	«	«
١٠٥	« الرابع عشر	«	«
١٠٥	« الخامس عشر	«	«
١٠٥	« السادس عشر	«	«
١٠٥	« السابع عشر	«	«
١٠٥	« الثامن عشر	«	«
١٠٥	« التاسع عشر	«	«
١٠٥	« العشرون	«	«
١٠٥	« الحادي والعشرون	«	«
١٠٥	« الثاني والعشرون	«	«
١٠٥	« الثالث والعشرون	«	«

غرش			
١٠٥	المجلد ٢٤ و٢٥	من المقتطف	
١٠٥	« ٢٦	«	«
١٠٥	« ٢٧	«	«
١٠٥	« ٢٨	«	«
١٠٥	« ٢٩	«	«
٠٥٠	« الثامن صغيراً	«	«
٥٠	المجلد الاول	من اللطائف	
٠٥	« الثاني	«	«
٠٥٠	« الثالث	«	«
٠٥٠	« الرابع	«	«
٠٥٠	« الخامس	«	«
٠٠	« السادس	«	
٠٥٠	« السابع	«	«
٠٥٠	« الثامن	«	«
٠٥٠	« التاسع	«	«
٠٦٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي		
٠٤٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي وانكليزي وعربي		
٠٢٠	حضارة الاسلام في دار السلام		
٠١٥	سر النجاح الجزء الاول		
٠١٠	تاريخ الحرب السودانية		
١٠	رواية الشهامة والعفاف		
٠٠٦	رواية قلب الاسد		

المقتطف

الجزء السابع من المجلد الثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢٨ ربيع آخر سنة ١٣٢٣

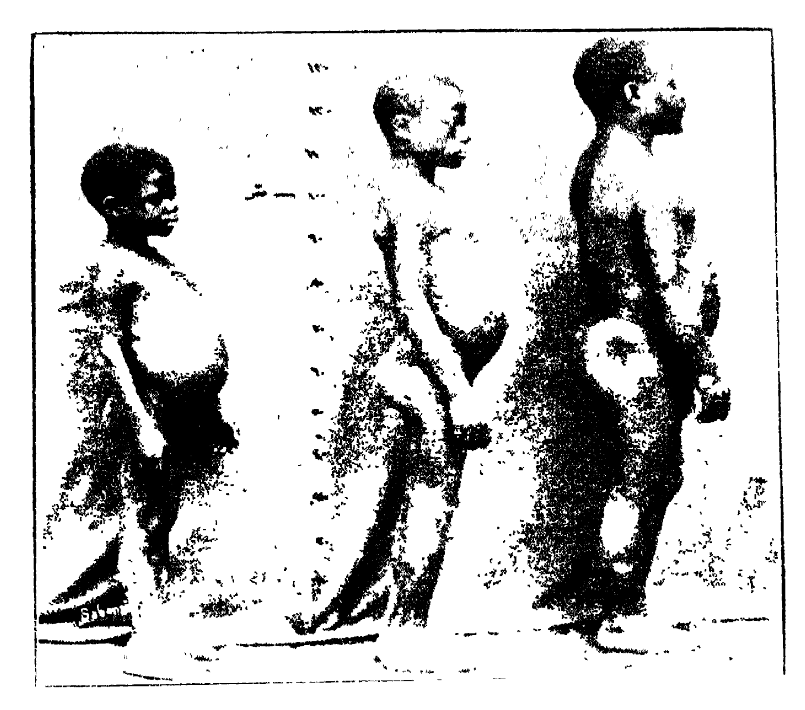
اقزام افريقية

خطبة الدكتور اليوت سمث في مدرسة القصر العيني الطبية في ٢٥ مايو سنة ١٩٠٥

ان مرور الكولونل هريسن بستة من الاقزام الذين اتى بهم من ولاية الكنجو ارى كثيرين منا لاول مرة اناساً من شعب قرأنا عنهُ في القصص وفي ما كان يحسب اخباراً موضوعة من عهد المصريين الاقدمين. ولقد اهتمَّ كثيرون بامر هؤلاء الاقزام حتى خطر لي ان اتلو على مسامعكم بعض ما وقفت عليهِ من امرهم بعد البحث في كتب الذين ذكروهم وبعد ما رأيتهُ بنفسي فيهم

هؤلاء الاقزام ستة اربعة رجال وامرأتان والبالغون منهم ثلاثة فقط رجلان وامرأة اي انهم بلغوا السن الذي تبلغ فيهِ العظام اشدها ولا تعود تطول. ومتوسط طولهم كلهم اقل من متوسط طول الاقزام عادةً على ما عُرف حتى الآن ولعلَّ سبب ذلك عدم بلوغ الفريق الاكبر منهم. ويعرف العمر من الاسنان ومن تعظُّم العظام والدليل الاخير اي تعظُّم العظام اصحُّ من الدليل الاول وقد صار الاستدلال بهِ ممكناً الآن بعد اكتشاف تصوير العظام باشعة رنتجن. وتمكنت بفضل الدكتور ملتن من تصوير عظام ايادي هؤلاء الاقزام واذرعهم صورها لي الدكتور خياط في مستشفى فكتوريا. ويظهر من هذه الصور ان النمو لم يتم تماماً الاَّ في اثنين فقط واصغر الباقين ولد لا يزيد عمرهُ على اثنتي عشرة سنة او احدى عشرة سنة قياساً على اولاد الاوربيين وطولهُ ١,١٥٨ متر وثقلهُ ٤٩ رطلاً فقط ويليهِ شاب عمرهُ نحو سبع عشرة سنة وقد يكون اقل من ذلك سنة او سنتين ثم شاب آخر ليس اكبر منهُ كثيراً ولا يزيد عمرهُ على ثماني عشرة سنة واحدى المرأتين فتاة يُرجح لي ان عمرها اقل من عشرين سنة. ثم ان هذا التقدير مبني على القياس المعروف في اوربا بالنسبة الى عمر الاوربيين فاذا حسبناهُ بالنسبة الى عمر الاقزام وجب ان يكون عمرهم اقل من ذلك وعليهِ فلا غرابة اذا كان متوسط

اقزام افريقية



رجل عمره ٣٥ سنة   شاب عمره ١٧ سنة   ولد عمره ١١ سنة

انظر الشرح عنهم في الصفحة ٥٠٥ من هذا الجزء



الاقزام الاربعة وهم جلوس

واتى روملوجسي من رجال غوردون باشا بابنة من اقزام اكا الى اوربا وكانت لا تزال في خدمة مدام جسي حتى سنة ١٨٨٨ وهذا آخر ما امكنني ان اعرفهُ عنها

ولا يخفى ان بعض الاقزام يسكنون الآن على مقربة من منابع النيل . ومن رأي اكثر علماء الانثروبولوجيا الذين بحثوا في هذا الموضوع بالتدقيق ان الاقزام كانوا اكثر انتشارًا في الازمنة الغابرة منهم الآن ولذلك يُرجَّح ان سكان وادي النيل القدماء سمعوا عن الاقزام او رأوهم في سفرهم الى الجهات الجنوبية . ولكن اذا ثبت ذلك ثبوتًا ينفي كل ريب لا يلزم عنهُ ان يكون كل ما ذُكر في تاريخ مصر عن القصار القامة يراد بهِ جنس الاقزام هذا لانهُ يولد اناس قصار القامة بين كل الشعوب وهم من النوادر ولذلك يعتني بهم اعتناء خاصًا ويؤتى بهم الى قصور الملوك والعظماء . فقد يعرض للولد احيانًا ما يعوق نمو جسمهِ كلهِ او بعضهِ في اوائل عمرهِ فيبلغ اشدهُ بحترًا صغير الجسم او مشوَّه الخلقة بعض جسمهِ كبير وبعضهُ صغير . والاقزام الذين من هذا النوع هم المصوَّرون في الصور والتماثيل المصرية القديمة كالقزم خنمهتبو في دار التحف المصرية . ولقد اخبرني الاستاذ مسبرو انهُ يظهر لهُ من البحث المدقق في كل الكتابات المصرية التي قيل انها تشير الى الاقزام ان ليس منها ما يشير الى جنس الاقزام هذا بل هي تشير الى المسوخ الذين قَزَمهم توقُّف في النمو او تشوُّه في الخلقة

ولعلَّ اقدم اشارة الى الاقزام وردت في رسالة للاستاذ شيابارلي وصف بها قبرًا من قبور المصريين سنة ١٨٩٣ ومفاد ذلك " ان الى الجنوب من القطر المصري بلاد فنط وكان المصريون الاقدمون يعتقدون ان كل ما وراءها بلاد لا تعرف الا من القصص الخيالية وهي متوسطة بين العالم الذي يسكنهُ الناس والعالم الذي تسكنهُ الالهة او النفوس والاخيلة وهذه البلاد يسكنها الدنجا وهم اقزام متوحشون في وجوههم من الغرابة وفي حركاتهم من مخالفة المألوف ما ذكَّر المصريين بالاله بس " . وكان يؤتى ببعضهم الى بلاد فنط او الى الاماميو (قرب وادي حلفا) إما اسرى حرب اوبضاعة تجارة وكان جالبهم يغتني من جلبهم لان الفراعنة كانوا يغالون بالدنجا ويودون ان يكون عندهم منهم مهما بلغ ثمنهم لانهُ ليس امهر منهم في رقص الآلهة الرقص الذي كان الاله بس يرقصهُ في اويقات سرورهِ [1] فان رجلاً اسمهُ بيورديدي اتى الملك اسي من ملوك الدولة الخامسة بقزم من هؤلاء الاقزام اشتراهُ من بلاد فنط ولا يُعلم هل كان اول قزم دخل بلاط الفراعنة او تقدمهُ كثيرون قبلهُ . وقد ابدى

(١) ليقابلْ ذلك بما ذكرهُ السرهري جنستن عن بلاد اوغندا حيث وصف رقص اقزام البمبوت بما يشابه رقص الكهنة الذين يرقصون للاله بس

طولهم وهو ٣٠٥ ر١ متر اقل من متوسط طول الاقزام الذين قاسهم السر هري جنستن في بمبتي وهو ٤٥٢ ر١ متر

لكن الرجل البالغ والمرأة البالغة من هؤلاء الاقزام الستة اقصر من اقصر الرجال والنساء الذين قاسهم السر هري جنستن فان طول هذا الرجل ٣٦٧ ر١ متر وطول المرأة ٢٨٦ ر١ متر فهما قصيران جدًّا حتى بالنسبة الى الاقزام . ويؤيد ذلك ان احد رفاق الرجل اطول منهُ وهو لم يبلغ اشدهُ والمرأة الفتيَّة التي لم تبلغ عظامها حدها من النمو اطول من المرأة البالغة فان طولها ٣٣٤ ر١ متر . غير ان السر وليم فلوَر قاس بعض الاقزام فوجد انهم اقصر من هؤلاء . ثم ان من يختار نفرًا من الاقزام ليأتي بهم الى اوربا لا يختار اطولهم بل اقصرهم كما لا يخفى . وقد ذكرت هذه الامور لكي نعلم كيف نبني حكمنا على شعب برمتهِ من النظر الى اشخاص قلائل اختاروا او اختيروا ليتغربوا عن اوطانهم

واقد ظن البعض ان هذه اول مرة زار فيها الاقزام مصر او اوربا ولكن هذا الظن خطأ لان بعض ابناء جنسهم تقدموهم منذ عهد غير بعيد والمرجح ان كثيرين منهم وصلوا الى هذه البلدان في الازمان السالفة

فقد اكتشف الاستاذ شوينفرث اقزام اكّا في بلاد منبتّو سنة ١٨٧٠ واخذ من ملكهم موزى ولدًا بدل كلب لكن هذا الولد مات في بربر وهو آتٍ بهِ الى مصر من اكلة معكروني افرط فيها على ما اخبرني الاستاذ شوينفرث . ومما يجب ذكرهُ هنا ان الاستاذ شوينفرث لم يكن اول اوربي اكتشف اولئك الاقزام بل كشفهم اوربي آخر قبلهُ بقرنين فاعاد هو اكتشافهم

واول من ارسل الاقزام الى اوربا في ما اعلم هو مياني السائح الايطالي ولو قيل ان كثيرين اتوا بالاقزام قبلهُ فانهُ اقتفى خطوات شوينفرث الى بلاد منبتّو سنة ١٨٧٢ واتى منها بولدين لكي يجلبهما الى اوربا لكنهُ مات في اثناء الطريق وترك ما معهُ للجمعيه الجغرافية الايطالية وفي جملتها القزمان فاتي بهما الى اوربا واقيا فيها من المعاملة ما لقيهُ وسيلقاهُ هؤلاء الاقزام فقد كتب السر وليم فلوَر "انهُ لم يهتم العلماء بامر اثنين من الشعوب المتوحشة قدر ما اهتموا بهما فقاسوهما وصوَّروهما في القاهرة اولاً ثم في اوربا وكتبوا عنهما ما يملأ مكتبة وكان بين العلماء الكاتبين السر رتشرد أُون في انكلترا وكورناليا ومنتغزا وجغليوني وزانتي في ايطاليا وبروكا وهامي وده كاترفاج في فرنسا" وقدما الى الملك والملكة في ايطاليا وأُدخلا الى بيوت اعظم العظماء ثم جُعلا بين الغلمان في بيت الكونت منسكلشي في ڤرونا بعد ان عُلّما ومات احدهما بالسل في ڤرونا سنة ١٨٨٣ ودفن هناك ولم تفحص رمتهُ فحصًا علميًّا ولا اعلم ماذا جرى لاخيهِ



من الخفَّة والمهارة في الحركات والاشارات ما اذهل الناظرين وبقي ذكرهُ في البلاد الى نحو مئة سنة بعد ذلك ". هذا ما قالهُ مسبرو في كتابهِ فجر العمران نقلاً عن شيابارلي وقال الاستاذ كين نقلاً عن شيابارلي ان رجلاً اسمهُ هروخُف ارسلهُ الملك بِبي من الدولة السادسة بعد ايام الملك اسي بنحو سبعين سنة لكي يأتيهُ بقزم من الاقزام حيًّا من بلاد الاشجار الكبيرة في اقصى الجنوب . ويعلم من كتابة احدث من ذلك وجدت في الكرنك ان الدنجا كانوا يردون من الجنوب ومعنى هذا الكلمة الاقزام كما يظهر من التفصيل التالي لا الرجال العجائز المشوهون الذين قصرت قامتهم لتوقُّف نموهم (انظر كتاب ماضي الانسان وحاضرهُ ومستقبلهُ صفحة ١١٨)

قال الاستاذ مسبرو ان الكلمة المصرية تعني الرُّجَيْل اي الرجل المشوه الخلقة الذي تبقى قامتهُ قصيرة لتوقف نموهِ . ولكن الرجال المشوهين لايكونون شعبًا ولا يعتنى بامرهم حتى يبقى ذكر الواحد منهم محفوظًا في البلاد نحو مئة سنة . والمشوهون يوجدون في كل بلاد وبين كل الشعوب ولم يخلُ منهم القطر المصري ومن المحتمل ان الكلمة المصرية التي يراد بها الرجيل المشوَّه أُطلقت على الاقزام لقصر قامتهم والاَّ فلا تفسر الاشارة الى شعب من الاقزام . ولكن الاستاذ مسبرو ذكر اعتراضًا آخر وهو ان الزمن الذي كان يقضيهِ المصريون القدماء في الذهاب الى بلاد هؤُلاء الاقزام لايكفي للوصول الى البلاد التي هم فيها الآن ولا يكفي الاَّ للوصول الى سواكن او ما يجاورها . فان كان الامر كذلك فبلاد الاقزام كانت تمتد شمالاً الى ابعد مما تمتد الآن والاَّ فلا معنى للخبر الذي قرأهُ شيابارلي

وذكر هيرودوتس المؤَرخ بلاد الاقزام في خبر اوردهُ مفصلاً وقال انها على ضفتي نهر يجري من الغرب الى الشرق . وقد اخبرني المستر كريج رئيس جمعيتنا ان وصف هيرودوتس لا يصدق الاَّ على نهر السَّبْت [1] فاذا كانت بلاد الاقزام ايام هيرودوتس ممتدة الى نهر السبت فلا يبعد ان تكون في عهد الدولة الخامسة من الدول المصرية ممتدة الى اكثر من ذلك شمالاً حتى تصل اليها الحملة التي اشرت اليها سابقًا

ولم تنجلِ المسألة حتى الآن انجلاء تامًّا ولكن الادلة تدل كلها على ان الاقزام الحقيقيين وصلوا الى مصر في اول فجر التاريخ

وفي هيكل الملكة هتسو (حتشبست) في الدير البحري صورة تمثل هذه الحملة الى بلاد

(١) [المقتطف] لعلَّ مرادهُ نهر النيل قبلما يصب فيهِ نهر السبت وهو المعروف ببحر العرب اما السبت نفسهُ فيجري من الشرق الى الغرب كما لا يخفى

الجنوب وفيها صورة ملكة فنط وهي قصيرة القامة عجزاء ربلاء رجراجة وقد بالغ النقاش في تصوير ضخامتها ولكن بقي في صورتها ما يدل على انها ليست من المجاتر المشوهي الخلقة وعلى ان الاقزام الضخام العجز بلغوا بلاد مصر في تلك العصور السحيقة من الجهات الجنوبية

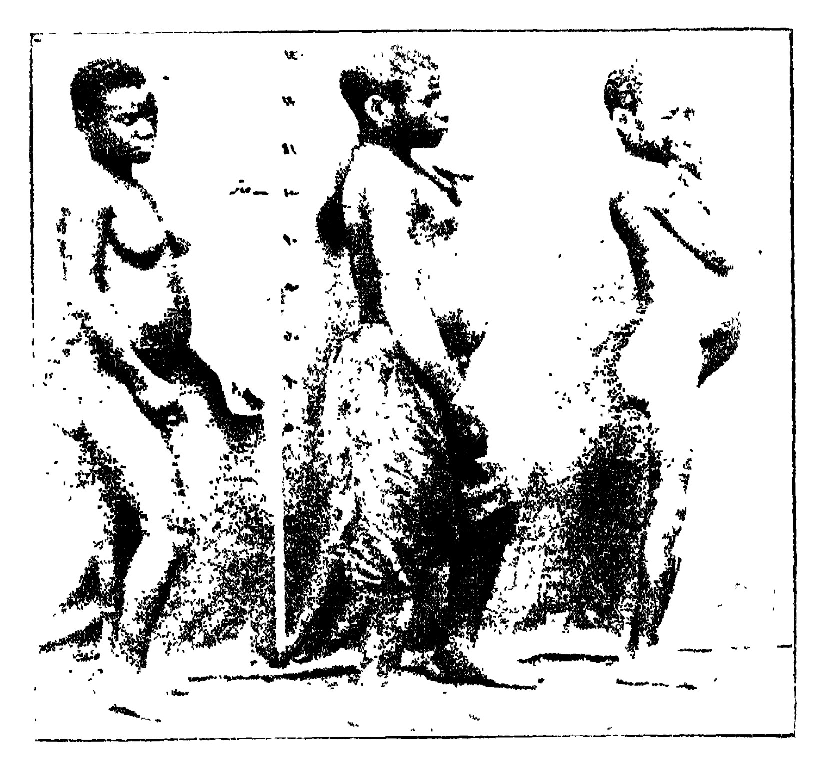
ومن رأي الاستاذ كولمن ان اقزام افريقية بلغوا سواحل بحر الروم في العصور الخالية وقطعوا الى اوربا ايضاً ولا تزال عظامهم في المدافن الباقية من العصر الظرري الحديث في سويسرا وجنوبي اوربا . ولكنني كثيراً ما وجدت في مدافن المصريين من كل العصور عظام اناس قصار القامة وهم من المصريين انفسهم كما تدل بقية الدلائل التشريحية وكثيرون منهم ليسوا اكبر جسماً من الاقزام الحقيقيين . واناس مثل هؤلاء يوجدون بين كل الشعوب ووجودهم لا يدل على وجود الاقزام الحقيقيين في العصور الغابرة لا في اوربا ولا في مصر لان اوصافهم الطبيعية لا تنطبق على اوصاف اقزام افريقية

ولقد قرأ كل احد عن الاقزام الذين ذكرهم هوميروس وارسطوطاليس وهيرودوتس وكتسياس وابلينيوس وبمبونيوس ملو وغيرهم من الكتّاب اليونان والرومان . فان كنا في ريب من ان الكتّاب المصريين الاقدمين كانوا يعرفون الاقزام الحقيقيين فلا محل للريب في ما قاله اولئك الكتاب الاوربيون واذا كانت القصة التي رواها هوميروس عن الجمع والاقزام خرافة فما اورده اراستشنيس الفيلسوف الذي نشأ في القرن الثالث قبل المسيح لا يحتمل الريب . قالت لادي امهرست في كتابها "ملخص تاريخ مصر" ان الجمع يقطع حتى يصل الى البحيرات التي بعد القطر المصري حيث منابع النيل وهناك يسكن الاقزام وليس في ذلك شيء من الخرافة بل هو الحق الصراح

واشار الكتّاب الاقدمون الى الحرب بين الاقزام والجمع وصوّر ذلك المصورون على الكؤوس اليونانية . وقد وصف السر وليم فلور صورة من هذه الصور على كاس في مجموعة هوب ترى صور الاقزام فيها قصار القامة كبار الرؤوس وجوههم كوجوه الزنوج وشعورهم مفلفل

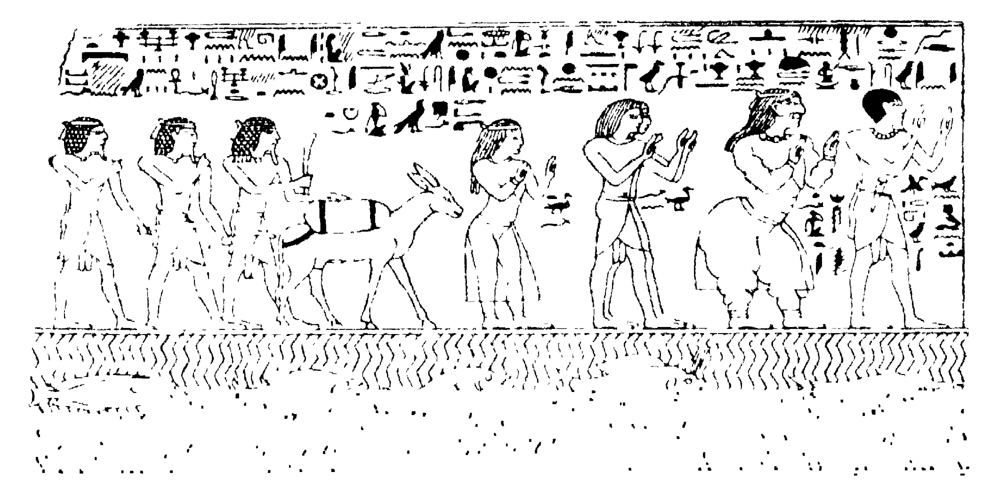
وقال ارسطوان الاقزام يسكنون افريقية عند منابع النيل . وقال السر وليم فلور ان الخبر الذي ذكره هيرودوتس في تاريخه مفصّل مدقق ويظهر انهُ صحيح تماماً حتى يستحق ان يذكر برمتهِ (وهنا ذكر الخطيب الخبر الذي نقلناهُ عن هيرودوتس في الجزء الخامس الصادر في غرة مايو الماضي فلا حاجة الى اعادتهِ . واعاد ما قالهُ اولاً وهو ان وصف النهر الذي ذكرهُ هيرودوتس ينطبق على وصف السبت ولا شبهة في انهُ اراد النيل حيث يصب نهر السبت لان نهر السبت يجري من الشرق الى الغرب لا من الغرب الى الشرق ثم قال)

اقزام افريقية



المرأة الكبرى   شاب عمره ١٨ سنة   فتاة عمرها ٢ سنة

انظر شرح ذلك في الصفحة ٥٠٦ من هذا الجزء



ملك فنط وزوجته وابناه وابنته وحمار محمل وثلاثة من الخدم

انظر الكلام على زوجته وابنته في الصفحة ٥٠٩ من هذا الجزء

والثاني الهوتنتوت وهم مزيج من البشمن والزنوج الذين يتكلمون لغة البنتو . والثالث الاقزام الذين في افريقية الاستوائية وبلادهم تمتد من اوغندا الى الاوقيانيوس الاتلنتيكي في منطقة عرضها ثلاث درجات عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً وفيها الاقزام الذين منهم هؤلاء الستة ولعلهم اصغر الشعوب قدًّا

ولا حاجة بي الى التطويل في وصف هيآتهم لان صورهم الفوتوغرافية والمظهرة امامكم بالفانوس السحري تغني عن ذلك وانما اوجه التفاتكم الى بروز الفكين وشدة فطس الانف حتى صارت ارنبتاهُ مثلهُ حجماً في بعضهم وارتفاع الجبهة وبروزها وفلفلة الشعر وتفرقهُ حزماً حزماً . وهذه الاوصاف كلها موجودة في الزنوج ولكنها موجودة على اشدها في الاقزام فهم متطرفون في الزنجية وسوادهم ضارب الى السمرة فلونهم بنيّ على نوع ما ولذلك فهم اقل سواداً من كثيرين من الزنوج . ولكن يظهر من هؤلاء الستة ان لونهم يختلف . وارى ان الكتّاب بالغوا في الفرق بين لون الاقزام ولون سائر الزنوج لان لون كثيرين من الزنوج مثل لون هؤلاء الاقزام ولو كان دم الزنوج غير ممتزج بدم الحاميين او الساميين . ولولا قصر قامة الاقزام لعدوا من الزنوج . وقد تسرّع البعض في تشبيه البشمن الصفر الالوان بالاقزام . نعم ان الشعبين يتشابهان في امور كثيرة وبينهما وبين الزنوج قرابة وفيهما كليهما القامة قصيرة والانف افطس والجبهة بارزة والشعر مفلفل . ويتشابهان ايضاً بنية ولكنهما يختلفان على ما قالهُ بعض الكتّاب في ان نساء الهوتنتوت كبار الكفل وليس كذلك نساء الاقزام . وقد اختلف الكتّاب في هذا الموضوع فقال اكثرهم ان نساء الاقزام لا يكنَّ كبار الكفل وقال غيرهم انهنَّ قد يكنَّ كبارهُ . والفتاة من هاتين المرأتين كبيرة الكفل نوعاً كما ترون في الصورة . وبين البشمن والاقزام اختلاف واضح في اللون ولكن لون الاقزام ليس على درجة واحدة كما يظهر مما قالهُ السياح المختلفون . واذا صدّقنا ما قالهُ ده سليه عن لون اقزام اتيريا انهُ اسمر فاتح فلون الاقزام متدرّج من الاسمر الغامق وهو لون اكثر الاقزام الى الاصفر وهو لون البشمن . واذا تركنا اللون والقد والتفتنا الى شكل العينين والانف وجدنا فرقاً بيّناً بين البشمن والاقزام . ولا يسعني الوقت للاسهاب في هذا الموضوع الصعب ولكن يظهر مما لدينا من الحقائق ان البشمن والاقزام كليهما بقية شعب من الزنوج كان يقطن الجانب الاكبر من افريقية ثم طردهم الزنوج الكبار القامة فالتجأ البشمن منهم الى قفار الجنوب الغربي من افريقية والاقزام الى حراج الانحاء الاستوائية ويرجَّح ان العنصر الزنجي تقوّى في الاقزام بامتزاجهم بالقبائل التي حولهم فان واحداً من هؤلاء الرجال الاربعة وهو اكبرهم قدًّا اشبههم بالزنوج

واول من ذكر الاقزام في العصور الحديثة رجل انكليزي اسمهُ اندروبتل اقام قرب خط الاستواء ثماني عشرة سنة من ١٥٨٩ الى سنة ١٦٠٧ وقال في كتابهِ المطبوع سنة ١٦٢٥ " انهُ الى الشمال الشرقي من مانى كسوك شعب قصير القامة يسمى ماتمبا لا يزيد طول الواحد منهم على طول ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة ولكنهم ضخام على قصرهم ويعيشون على لحم الحيوانات التي يصطادونها من الحراج بالقوس والنشاب"

والَّف دبر كتاباً على بلاد الحبشة السفلى سنة ١٦٨٦ ذكر فيهِ شعباً من الاقزام سماهُ بكَّا بكَّا ولعلهُ شعب الاكَّا الذي اعاد شويفورث اكتشافهُ بعد قرنين

ولم يُلتفت الى تلك الاخبار حينئذٍ ولا في القرن التالي بل عدَّت من خرافات القصاصين وعُدَّ الاقزام المذكورون فيها من انواع القرود المشابهة للانسان ولكن من سنة ١٨٦١ فصاعداً صار السياح الضاربون في قلب افريقية يذكرون ما يتصل بهم من اخبار الاقزام . فذكر الدكتور توشار سنة ١٨٦١ والاميرال فلوربو ده لانجل سنة ١٨٦٨ ما اتصل بهما من ان شعباً من الاقزام آخذ في الانقراض ووصف ده شليو سنة ١٨٦٧ اقزاماً رآهم في بلاد اشنجو بين نهر الجابون ونهر الكنجو . ولكن الذي وجه الانظار اكثر من غيرهِ الى الاقزام هو ستانلي في ما كتبهُ عن سياحتهِ الى قرب منعطف الكنجو حيث سمع عن الاقزام في وطوى . ووصف الدكتور ولف اقزام وطوى فقال انهم اقل سواداً من الزنوج ولا يزيد طول الواحد منهم على ١,٤٠ متر ومتوسطهُ ١,٣٠ متر

ثم كتب السر وليم فلور رسالة مسهبة عن عظام قزمين ارسلها امين باشا الى دار التحف البريطانية سنة ١٨٨٧ ووصف السرهري جنستن الاقزام في ما كتبهُ عن بلاد اوغندا

وقد لخَّصت اكثر ما ذكرتهُ في هذه الخلاصة عما كتبهُ الاستاذ شوينفورث والسر وليم فلور وفيهِ اهم الامور التاريخية عن الاقزام ولو اردت ان اذكر اسماء كل المقالات التي كُتبت عنهم لما وسعني الوقت المعين لهذه الخطبة

ولا حاجة بي الى وصف البلدان التي يقطنها الاقزام وانما اقول انهم غير محصورين في اواسط افريقية بل توجد شعوب منهم في شبه جزيرة ملقَّا وجزائر فيلبين وجاوى وغينيا الجديدة نسبتهم الى زنوج اسيا نسبة اقزام افريقية الى زنوجها . ويوجد ايضاً شعب من الاقزام في جزائر اندمان متوسط بين اقزام اسيا واقزام افريقية . وفدَّا سيلان واقزام الهند من فريق واحد وليس فيهم المميزات التي تجعل سائر الاقزام من فريق آخر

وفي افريقية شعبان او ثلاثة من الاقزام الاول البشمن في الجنوب الغربي من افريقية

طول العمر

هل يعمّر الناس في هذا العصر اكثر مما كانوا يعمرون في العصور الغابرة . هذه مسألة يتعذر بت الحكم فيها وانما نعلم ان متوسط عمر الانسان زاد بزيادة اسباب العمران ولا يزال آخذاً في الزيادة الى الآن

وقد ظهر بالاستقراء ان الحد الطبيعي لعمر الحيوان يساوي خمسة اضعاف المدة اللازمة لتمام نمو هيكلهِ او تعظيمهِ وهي في الانسان ٢١ سنة وعليهِ فان الحد الطبيعي لعمر الانسان ١٠٥ سنين فكل انسان يمكنهُ ان يعيش مئة سنة لو عرف كيف يعيش. قال الاستاذ متشنيكوف ان الانسان يجب ان يعيش ١٢٠ سنة . وحسب السر رتشرد اون حد عمر الانسان ١٠٣ سنين وعدة اشهر ولذلك فقد صدق من قال ان كل الذين يموتون دون الثمانين وكثيرين من الذين يموتون دون التسعين و بعض الذين يموتون دون المئة والمئة والخامسة انما يموتون قبل اوانهم حتى ان احد الكتاب الفرنسويين قال" ان الناس لا يموتون حتف انوفهم بل ينتحرون"

ولقد كانت مسألة اطالة العمر شغل الانسان الشاغل فسعى سعياً متواصلاً ودأب ليل نهار في الاهتداء الى اكسير الحياة — شراب اذا بلَّ بهِ ريقهُ عاش مخلداً فكان تفتيشهُ عنهُ اعقم من تفتيشهِ عن حجر الفلاسفة وهو ذلك الحجر الموهوم الذي اذا مسَّ التراب بهِ تحول تبراً او الحديد والرصاص غادرهما سبائك ذهب براقة . فقد ذُكر ان بونس دي ليون قضى عمرهُ يفتش عن" ينبوع الشبيبة " فوجد حتفهُ قبل ان يجدهُ . وان روجر باكون استحضر اكسيراً مركباً من الذهب والمرجان ولحم الافاعي والصبر وحدي اللبنى وغيرها من المواد والعقاقير المختلفة الانواع اذا شربهُ الانسان عاش مدى الزمان. وقد قال بعضهم في وصف هذا المركب الغريب انهُ اذا شربهُ الانسان فأولى بهِ ان يوردهُ الموت الزؤام لا ان يطيل عمرهُ الى آخر الايام

وكان اللورد باكون الفيلسوف الانكليزي المشهور يعتقد فائدة الافيون وملح البارود . وقال اشمول الانكليزي مؤسس المتحف الاشمولي في اكسفورد" انني كنت اشرب جرعة من الاكسير واعلق ثلاث عناكب حول عنقي" فعل ذلك لاطالة عمرهِ فلم يزد عمرهُ على ٧٥ سنة ولكنهُ كان يعتقد ان الوصفة المذكورة كانت تخفف اوصابهُ وتزيل آلامهُ . وعاش كونت مونتلوزييه عمراً طويلاً وكان يسكن قصراً جعل جناحيهِ زريبتين للبقر تسع الواحدة ٣٠

واحدى المرأتين يختلف وجهها عن وجوه البقية و يشبه وجوه الاحباش حيث يكثر العنصر الحامي . ولذلك يرجَّح ان هؤلاء الاقزام ليسوا من جنس صريح النسب بل من جنس امتزج بغيره من الشعور المحيطة به

والرأي الشائع ان الاقزام اشبه بالقرود من اكثر الناس ولكن الادلة التي تؤيد ذلك قليلة جدًّا . فان شفاههم تشبه شفاه القرود المشابهة للبشر ولا سيما حينما يشربون لان شفاههم تبرز حينئذٍ كما تبرز شفتا الشمبانزي وهو يشرب . وهي ليست ضخمة مقلوبة كشفاه الزنوج بل طويلة رقيقة

وآذان الاقزام صغيرة في الغالب وتشبه آذان الاوربيين شكلاً وشحمتها صغيرة في هؤلاء الاقزام الستة ولا وجود لها في آذان القرود

وقد كتب كثيرون ان اجسام الاقزام مغطاة بالشعر ولكن ابدان هؤلاء الاقزام الستة ليس عليها من الشعر اكثر مما يكون على ابدان الاوربيين عادة ولا يستثنى من ذلك الا الولد فلعلَّ الشعر الذي على بدنهِ اكثر مما على ابدان الاوربيين عادة

وابهام اقدامهم ليس مفصولاً عن سائر الاصابع اكثر مما هو مفصول في الزنوج ولا هم اقدر على الامساك باصابع اقدامهم اكثر من الفلاحين او غيرهم من الذين يمشون حفاة . ورؤُوسهم اقصر من رؤُوس الزنوج وصغيرة بالنسبة الى ابدانهم

ولم ينشر حتى الآن شيء عن تشريح ابدان الاقزام ولكن حدث منذ سنتين ان أُتي الى دار التشريح في مدرسة الطب هنا بجثتي زنجيتين صغيرتي القد جدًّا طول احداها ٤٣٦ر١ متر والاخرى اقصر منها ببضع سنتيمترات ولا يعلم اين وطنهما الاصلي وليس في جسميهما شيء من التشويه الذي يكون عادة في اجسام السودانيات وحجم اعضائهما وعظامهما وشكل رأْسيهما ووجهيهما كل ذلك شبيه بما في الاقزام وفي بناء جسميهما ادلة كثيرة على انهما من جنس منحط مما يقل وجودهُ في اجسام الناس عادة فدماغاهما صغيران جدًّا الكبرى منهما وعمرها نحو ٤٠ سنة وزن دماغها ٨٥٠ جراماً والصغرى وعمرها ٢٢ سنة بلغ وزن دماغها ٩٢٠ جراماً ومتوسط دماغ المرأة المصرية ١١٨٠ جراماً ومتوسط دماغ المرأة الاوربية نحو ١٢٨٠ جراماً على ما اظن . ودماغ الغورلاَّ قد يزيد على ٥٠٠ جرام ودماغ الرجل المزعوم وجودهُ بين الانسان والحيوان يبلغ ثقلهُ ثقل دماغ الكبرى من هاتين المرأتين . ولا شبهة ان لثقل الدماغ شأْناً كبيرًا ولكن لا يخفى انهُ اذا صغر الجسم صغر الدماغ معهُ ايضاً واذا استثنينا الثقل فلا شيءَ في دماغيهما يقربهما من ادمغة القرود

وخلاصة القول ان زنوج افريقية شعب متطرف في الزنجية ولكنهُ ليس اشبه من الزنوج بالقرود

مبنيٌّ على المذهب القائل بوجود مكروبات نافعة لا ضارّةٍ فقط فاذا عُززت المكروبات النافعة التي في الدم صدّت جيوش المكروبات الضارة التي تشنُّ الغارات على الجسم وتفتك بهِ

ومثل وصفة متشنيكوف وصفة الدكتور برون سيكارد الذي عاش ٧٦ سنة وجرّب في نفسهِ تجارب كثيرة بعد ان كان خائر القوى واهن الجسم وكان يعتقد انهُ يمكن اطالة العمر بحقن الجسم من مركّب مخصوص ولكن العلم لا يعوّل على رأيهِ

على ان احكم الحكماء الذين غالبوا الموت فغلبوهُ بعض الغلبة لويجي كورنارو الايطالي وقاعدتهُ هي ان كلّ انسان يجب ان يكون طبيب نفسهِ وقد جرى كثيرون على هذه القاعدة فنجحوا منهم رجل من كبار الاميركيين عمّر وشهد بفضلها فقال "لقد استفدت من وصفة كورنارو كثيرًا واني مقتنع ان كل من يجري عليها يعيش طويلاً ويقضي العمر سعيدًا. نعم ان الكتب ملأى بما اكتشفهُ رجال العلم من الاكتشافات المختلفة لاطالة العمر وهناء المعيشة ولكن السرّ الذي باح لنا كورنارو بهِ ابسط الاسرار واسهلها"

ومما يزيد قاعدة كورنارو قيمة انهُ عمل بما علَّم بهِ فعاش ١٠٣ سنين وكان قد قضى ايام الشباب باللهو والقصف والخلاعة والافراط في الأكل والشرب حتى اذا بلغ الخامسة والثلاثين بات جلدًا منشورًا على عظام بينهُ وبين الموت خطوة ولكنهُ جمع جيش عزيمتهِ وجعل يداوي نفسهُ بنفسهِ ففاز وكان فوزهُ مبينًا بدليل انهُ كتب آخر مقالة عن حسن المعيشة وهو ابن خمس وتسعين سنة

واهمُّ ما شدّد الوصية بهِ الاعتدال فقد وجد بعد تجارب كثيرة انهُ يكفيهِ كلَّ يوم اكل ١٢ اوقية من الطعام الجامد وشرب ١٤ اوقية من السائل فلم يكن يأكل درهمًا واحدًا يزيد عليها ووضع القاعدة الآتية بهذا الصدد وهي "من اراد ان يأكل كثيرًا فليأكل قليلاً"

ولم يقصر وصيتهُ على الاكل بل اوصى بالمحافظة على المبادىء الصحية الاخرى فقال "اني اجتنبت الامور المضرة كالبرد والحرّ الشديدين والتعب الكثير والسهر الطويل والهواء الفاسد. فانهُ وان تكن قوة الصحة تتوقف في الاكثر على نسبة الطعام والشراب الا ان الامور المذكورة تؤثر تأثيرها. وكنت أنبذ الحقد والسوداء وغيرها من العواطف النفسانية التي تقلق العقل وتتسلط على الجسم. ولكنني لم استطع تجنبها على الدوام بل كانت تنتابني من آن الى آن فأفادتني وتعلمت منها الحكمة الآتية وهي ان العواطف النفسانية قلما تؤثر في الجسم الذي انتظمت وظائفهُ بالطعام المعتدل. وعليهِ اقول ان الذين يتناولون كميات متناسبة من الطعام والشراب قلما يضرُّهم الافراط في الملذات الاخرى"

بقرة فكان نَفَس هذه البهائم يملأُ القصر على سعتهِ وفخامتهِ "ويطيبهُ برائحتهِ العطرية ويحسن صحة ساكنيهِ" على ما كان الكونت يقول

ومن الاوهام القديمة ان مساكنة الصغار سنًّا تفعل بالكبار فعل السحر ولا سيما اذا استنشق الكبار على الدوام نَفَس الصغار فان ذلك ينعش قواهم ويبعث النشاط في عزائمهم الخائرة واعظم منهُ عائدة ادخال دم الصغار الى عروق الشيوخ

ويحكى ان القديس انطونيوس بلغ المئة والخامسة من العمر وكان يسكن كهفًا في الجبال ويقتات بالخبز المبلول بالماء ولم يبدل لباسهُ ليلاً ولا نهارًا ولم يغتسل الاَّ مكرهًا ولم يتزوج . ويحكى عن رجل فرنسوي اسمهُ شفرول انهُ عاش اكثر من قرن في باريس فتمرس باسمى ضروب الحضارة والرفاه فيها وكان شديد التأنق في مأكلهِ يتألف طعامهُ صباحًا من بيضتين وقطعة من لحم الدجاج ورطل من اللبن والقهوة . وغداؤهُ من شوربة التبيوكا والجبن والكستلاته والعنب . وكان يشرب على الغداء ثلاث زجاجات ماء ولم يأكل قط سمكًا ولا شرب خمرًا . الاَّ ان رجلاً انكليزيًا عاش ١١٦ سنة وكان شديد الولع بالعرق يكثر شربهُ ولم يشرب الماء

والذي ينظر في اوصاف المعمرين وعاداتهم المختلفة التي لا ضابط لها يحار في ذلك ولا يهتدي الى حقيقة . فمنهم من قضى السنين الطوال يشرب اللبن دون غيره . ومنهم من افرط في شرب المشروبات الكحولية . وعاشت امرأة ١١٦ سنة وكان معظم طعامها الزبدة والخضر . واخرى عاشت ١١٠ سنين قضت ٣٠ سنة منها لا تكاد تأكل فيها سوى البطاطس وبلغ رجل سنَّ المئة والخمسين وكان مولعًا بأكل بيض الدجاج الجديد

هذا من حيث الطعام واما من حيث الزواج وعلاقتهُ بطول العمر فقد ثبت ان معظم المعمرين كانوا متزوجين وكثيرين منهم تزوجوا مرارًا ومنهم من تزوج بعد المئة مرتين وثلاثًا

وغالب المعمرين قصار القامة وممَّن شذَّ عن هذه القاعدة السر موسى مونتفيوري فانهُ جاز المئة وكان طولهُ ست اقدام وثلاث عقد

ومهما يكن من التناقض في اوصاف المعمرين وعاداتهم فالثابت ان الاعتدال في الاكل والشرب والاقلال من المشروبات الكحولية ما امكن خير قاعدة يعوَّل عليها في هذا الباب. قال تشارلس دكنس مؤلف الروايات الشهير عند الانكليز "ان الزمان لا ينتظر احدًا ولا يتئد لمخلوق في مسيرهِ الاَّ الذين أُحسنوا مقابلتهُ ومعاملتهُ" . ومن راي الاستاذ متشنيكوف ان شرب اللبن المختمر (الرائب) يوميًا خير الوسائل لاطالة العمر . ورأيهُ هذا

اما النساء فمنهنَّ امرأة اسمها سارة ثوماس لقيها الملك ادورد ذات يوم وكان وليَّ العهد حينئذٍ وكانت هي في المئة والسابعة من عمرها فأُعجب بها واعطاها شليناً عن كل عام . وقد اعترفت انها كانت مولعة بشرب الدخان . ومنهنَّ امرأة من المكسيك اعتادت التدخين منذ كانت بنت عشر سنين فجاوزت المئة وكانت تقول انها اذا لم تدخن هاجت اعصابها وكثر قلقها . واخرى كانت تدخن مرة كل ساعتين وهي في المئة والسادسة من عمرها

ومعظم المعمرين والمعمرات من الفقراء الذين يعملون في الخلاء ويعيشون عيشة الزهد والبساطة وخصوصاً في طعامهم وشرابهم . ومن العلماء من يقول انهُ اذا عُني المرء باختيار طعامهِ امكنهُ ان يعيش ثلاث مئة سنة . وحجتهم في ذلك ان الشيخوخة نتيجة جفاف العظام وكلٌّ من يروم التعمير يجب عليهِ ان يمتنع عن اكل الاطعمة التي تجفّف العظام . قال احد اطباء الانكليز ان سبب الشيخوخة رسوب موادّ ترابية في الجسم اخصُّها كربونات الجير وفصفاتهُ وامتزاجها بالمواد الاخرى . ففي زمن الشباب تخرج هذه المواد من المعدة وتدخل الدم ثم يفرزها الجسم الى الخارج واما في الشيخوخة فيمتصها الجسم وتصير جزءًا منهُ . وأُثبت دشامبر الفرنسوي احد مشاهير علماء التشريح ان الموت نتيجة جفاف العظام فان جمجمة الطفل لينة وعظام الشيخ سريعة الانقصاف ولا تلتحم اذا انقصفت . وقدّر ان تصلُّب العظام في الاحوال الطبيعية لا يبلغ الحدَّ الذي يحدث الموت عندهُ حتى بين التسعين والمئة . ووصف الطبيب الانكليزي المشار اليهِ آنفاً اموراً شتَّى لمقاومة جفاف العظام او تصلبها فأشار بأَكل الاثمار لقلة ما فيها من النتروجين واكل السمك ولحم الضان والعجل والدجاج دون غيرها لكثرة الحامض الفصفوريك فيها وشرب ثلاث زجاجات كلَّ يوم من الماء المقطر وفي كل زجاجة عشر نقط الى خمس عشرة نقطة من الحامض الفصفوريك وان يقطّر الماء الذي يشربهُ الشيوخ لان في الماء موادّ تعجل تصلّب العظام

وقد أَبان بعضهم ان متوسط عمر الانسان زاد عمّا كان عليهِ فيما مضى ولا يزال على ازدياد. ففي القرن السابع عشر كان متوسط العمر ١٣ سنة فزاد في القرن الثامن عشر حتى صار ٢٠ سنة وكان الناس يعدون ابن ٥٠ سنة فيهِ شيخاً هماً . اما في ايامنا فان متوسط العمر بلغ في البلاد الانكليزية ٣٦ سنة . وقد ظهر من بعض الاحصاءات فيها ان ١٠٠ نفس من كلِّ الف نفس يبلغون سنَّ الخامسة والسبعين و ٣٨ سنَّ الخامسة والثمانين و ٢ سنة الخامسة والتسعين . وان رجلاً واحداً من كلِّ ٤٠٠٠ يبلغ المئة وان قلة وفيات الاطفال هي السبب الاعظم في زيادة متوسط الاعمار

هذا وان قواعد العلم الحديث كلها تؤيد ما قالهُ كورنارو من وجوب الاعتدال ونبذ الهموم والغموم . فان الذي يروم ان يعيش مئة عام يجب ان لا يبالغ في الاهتمام بمستقبلهِ وبمشاغل هذه الحياة وشؤُونها لان الافراط في الاهتمام مثل التفريط فيهِ — كلاهما قاتل لصاحبهِ وخير الامور الوسط

ومن اشهر اتباع كورنارو هوراس فلتشر الاميركي فانهُ قام ينادي بوجوب انبساط النفس وانشراح الصدر لاطالة الحياة . وكان لم يبلغ الخامسة والاربعين من عمرهِ حتى وجد نفسهُ مصاباً بثلاثة ادواء عضالة ولم تقبل شركة من شركات التأمين على الحياة ان تنظمهُ في سلك مشتركيها . فعمد الى المداواة بالاكل والشرب وجعل يأكل و يشرب اقل مما يظنهُ الانسان كافياً لقوامهِ عادة حتى شفي وصار يستطيع ركوب الدراجة مسافة مئتي ميل في اليوم بعد ان شرع في معالجة نفسهِ بخمس سنوات . واضاف قانوناً آخر مهمّاً الى قوانين اطالة العمر وهو " امضغ طعامك سواء كان جامداً او سائلاً كاللبن والشاي والقهوة والخمر والشوربة وسائر ما لهُ طعم " ويريد بالمضغ هنا اللوك وادارة ما في الفم باللسان حتى يزول طعمهُ و يبلع في آنٍ معاً . وفلسفة ذلك ان اللعاب يمتزج بالطعام في الفم و يساعد على هضمهِ . وفلتشر هذا لا يزال حيّاً يرزق ولا يزال امامهُ مراحل كثيرة قبل مرحلة المئة ولكنهُ شديد الأمل ببلوغها سالماً معافى

وخلاصة القول ليجتنب الانسان الافراط في كلّ شيء وليراعِ العادات القديمة وليقتبس عادات جديدة حسنة وليتنفس الهواء النقيّ وليكن طعامهُ ومزاجهُ متلائمين وليجتنب الادوية ما امكن اجتنابها وليكن قانعاً مسروراً مطمئن البال — يعش مئة عام وهو لا يملّ من الثواء اذا لم تفاجئهُ طارئة تصرم حبل اجلهِ قبل الاوان

ومما يذكر في هذا الصدد ان " الجلة الكبرى " الانكليزية بعثت تسأل جماعة من مشاهير المعمرين عن سرّ طول اعمارهم فجاءتها اجوبة من البعض ومعظمهم من غير المدخنين وقد نشرناها في عدد ماضٍ . ثم جاءتها مقالة بقلم كاتب قضى زماناً طويلاً يجمع الاحصاءات في هذا الموضوع وهاك ملخصها قال

مما يحسن الانتباه لهُ ان قسماً كبيراً من المعمّرين الذين أحصوا الى الآن انما هم من النساء ومعظمهنّ من اللواتي تشبثن بعادة التدخين كلّ التشبث . واغرب من ذلك انهُ يتبين من الاحصاء الذي عندي ان مئة رجل ورجلاً من المعمرين الذين ماتوا وذكروا فيهِ كانوا من الذين تشبثوا بعادة التدخين ولم يطلقها منهم الاّ منيّتهم

ادوارها المختلفة لقضاء حاجاتهِ المختلفة ولا يبعد ان يجيءَ يوم يتمكن فيهِ من استخدامها جميعها في تلك الادوار لقضاء هذه الحاجة او تلك فلا يتلف شيء ولا يضيع شيء سدًى . فقد اهتدى على مرّ الزمن الى فائدة الزبل والرماد والخرق البالية وما اشبه من المواد التي كانت تحسب في بدء امرها نفايات مضى زمن نفعها وباتت لانفع منها فاستخدم الزبل لتسميد ارضهِ والرماد لاستخراج الصودا والبوتاس وللزراعة ايضاً والخرق لعمل الورق

وكلَّ يوم نسمع خبر اكتشافٍ جديد من هذا القبيل ومن اهم هذه الاكتشافات استخدام قطران الفحم الحجري وهو ما يتبقى من الفحم الحجري بعد ما يستخرج الغاز منهُ . فقد كانت شركات الغاز تحار في امرهِ ولا تهتدي الى فائدتهِ فتستأجر العمال لنقلهِ من ارضهِ وطرحهِ خارجاً . اما الآن فانهم يستخرجون منهُ كثيرًا من العقاقير الطبية والاصباغ والحوامض والزيوت والعطور وغيرها مما لا يستغني الناس عنهُ في شؤُونهم اليومية ومعايشهم

والسبب في كثرة هذه المستخرجات كثرة المواد التي يتألف القطران منها فانها تزيد على المئة عددًا . ومعظمها مركبات كربونية واكثر مواد هذا الكون الآلية مركبات كربونية اي نتيجة اتحاد الكربون بالهيدروجين او الاكسجين او النتروجين على نسب مختلفة وتراتيب متنوعة . فاجسامنا مركبات كربونية وكذلك طعامنا وشرابنا ولباسنا وكلُّ ما فيهِ حياة او قابلٌ للحياة مركَّبٌ من مركبات الكربون

اما ما يستخرج من الفحم الحجري عند تقطيرهِ الاول فاربع موادّ مختلفة وهي غاز وسائل وقطران ونفاية تستعمل وقودًا وهي الكوك المعروف . ويستخرج من السائل الامونيا ومركبات الامونيا من كبريتات وكلوريد وكربونات . واهم هذه النفايات القطران وهو اذا ترك على حالهِ يستعمل طلاء الورق واللباد لسقف المنازل وتبطينها بهما . واذا مزج بمثل نقلهِ من الجير الراوي او سمنت بورتلند فمن ذلك طلاء (ورنيش) يطلى بهِ الخشب فلا ينفذهُ الحامض ولا الماء . اغلى الحجر فيهِ فلا يعود الازميل يخدشهُ ويمكن عمل حبر الطباعة منهُ ولهُ دخل عظيم في صناعة احذية الكاوتشوك

واذا قطّر القطران على نار خفيفة خرجت منهُ الزيوت التي هي اخفُّ من الماء مثل التولوين والبنزين واشباههما والزيوت التي هي اثقل من الماء مثل النفتالين والانتراسين . والبنزين المذكور هنا غير البنزين المعروف الذي تنظف الملابس بهِ فان هذا يقطّر من زيت البترول

وتصنع من النفتالين كرات صغيرة توضع بين الملابس لطرد العثّ منها . والحامض

هذا وقد ظهر طبيب الماني حديثًا والقى خطبة على كلية الطب الامبراطورية في برلين قال فيها انهُ اذا فحصت اعضاء الجسم فحصًا دقيقًا باشعة اكس (اشعة رنتجن) أمكن تعيين العمر على وجه التقريب وبعبارة اخرى ان بين طول العمر وحجم الاعضاء المختلفة علاقة كبيرة فكلما كان القلب والرئتان والجهاز الهضمي والدماغ كاملة في تركيبها كان عمر صاحبها اطول وبالقياس الدقيق يعرف متى يحين اجلهُ. الّا ان هناك شواذ كثيرة لهذه القاعدة منها ان رجلاً عاش ١١٥ سنة وكان محيط صدرهِ ٥٧ سنتمترًا على حين ان محيط صدر الرجل العادي ١٠٠ سنتمتر او نحو ذلك. وكانت احدى رئتيهِ مريضة وتزوج خمس مرات ورزق ٤٩ ولدًا ونبتت اسنانهُ ثانيةً وهو ابن مئة واخذ شعرهُ يسودُّ وهو ابن ١١٠. فمن من الاطباء والحالة هذه كان يقدّر لهُ هذا العمر الطويل

القطران وما يستخرج منهُ

من نواميس الكون العامّة عدم التلاشي اي ان الاجسام المادية لا تتلاشى ولا تضمحلّ بل تتحول من صورة الى اخرى فنقطة الماء التي يمطرها السحاب على اديم الصحراء تغور في الارض ويزول اثرها وتتلاشى ظاهرًا ولكنها في الحقيقة تتحوّل بخارًا يتصاعد الى الجوّ حيث يتكاثف سحابًا والسحاب ينعقد نقط ماء بينها النقطة التي نحن بصددها. وجرزة العشب التي يلتقمها الثور في مرعاهُ يمضغها وتهضمها معدتهُ وتمتصها امعاؤهُ ويتمثل جسمهُ بعضها ويقذف بالبعض الآخر الى الخارج فتتلاشى ظاهرًا وتتحول في الحقيقة من حال الى حال وما يفرزهُ الثور منها في مرعاهُ تتغذى بهِ جرزة اخرى فكأن الجرزة الاولى انتجت جرزة ثانية من نوعها فلم تتلاشَ ولم تضمحل. وما يبقى في جسمهِ منها يصير بعضهُ لحمًا وبعضهُ غازات تخرج من جسمهِ وتعود كلها اخيرًا الى الارض التي أُخذت منها. والسيجارة التي تدخنها تأكلها النار فلا يبقى منها غير الرماد والرماد يتطاير كالهباء المنثور فلا يثبت لهُ اثر حتى تظنها اضمحلت ولكنّ علماء الكيمياء يقولون لك انها لم تتلاشَ بالاحتراق بل انحلّت الى عناصرها المختلفة وبقيت في هذه الارض ولم يتلاشَ منها شيءٌ ويؤيدون قولهم هذا بوزن عناصرها التي انحلت اليها باحتراقها فيرونك انها مثل السيجارة قبل تدخينها ثقلاً بل زادت بما امتزج بها من عناصر الهواء

فكأن عناصر هذا الكون وموادّهُ المتنوعة في دوران مستمرّ تنتقل فيهِ من طور الى طور وتتبدّل من شكل الى شكل — تحيا فتموت ثم تبعث حية وهلمّ جرًّا ويسخّر الانسان بعضها في

ومن الزيوت الخفيفة المستقطرة من القطران التولوين يستخرج منهُ مسحوق حلاوتهُ ثلاث مئة ضعف السكر يسمى السكارين وهو يفضل السكر العادي من وجوه كثيرة فان السكر العادي كثيرًا ما يحدث مغصًا في الاطفال الذين يرضعون من الرضاعة وغيرهم ممن يشرب القهوة الحلاة بالسكر لاختياره في معدهم فاذا حلي اللبن والقهوة وغيرهما بالسكارين لم يحدث شيءٌ من ذلك لان السكارين لا يحمض ولا يختمر كالسكر. والمعرضون لمرض البول السكري يعتمدون عليهِ في تحلية طعامهم

ويستخرج من القطران انواع كثيرة من العطور كالمسك الصناعي وثمن الرطل منهُ نحو ٥٠ جنيهًا وعطر الخزام والفانلا وما اشبه

وخلاصة القول ان هذه المادة السوداء اللزجة اكثر مواد الكون اختلاطًا في تركيبها وتعددًا في عناصرها واجسامنا وجميع ما يتعلق بها من مأكل وملبس مشابهة للقطران ومشتقاته

تاريخ محمد علي باشا

حال القطر قبل توليتهِ

وعدنا في الجزء الماضي ان نبسط الكلام على حال القطر المصري قبلما تولاهُ محمد علي باشا وفي مدة ولايتهِ وبعدها اظهارًا لما لهُ فيهِ من المآثر وانجازًا لذلك نقول

انتهى احتلال الفرنسويين للقطر المصري بعد ان اقاموا فيهِ نحو ثلاث سنوات فقد وصلت طلائع جيشهم الى الاسكندرية في اول يوليو سنة ١٧٩٨ واقلعوا منها في ١٨ سبتمبر سنة ١٨٠١ وكانت تلك السنوات الثلاث سنوات حروب وثورات ومع ذلك استتبَّ لعلمائهم ان يبحثوا في جغرافية البلاد وآثارها وزراعتها وصناعتها ويؤلفوا في ذلك من الكتب ما لم يؤلَّف مثلهُ لا قبلهُ ولا بعدهُ واستتبَّ لجنودهم ان يضعفوا شوكة المماليك حتى صار اذلالهم امرًا ميسورًا ولرجال الادارة منهم ان ينظموا حال البلاد ويجروا فيها من العدل ما كان اجراؤُهُ ممكنًا مع شدَّة التحريض عليهم من كل جهة

قال الجبرتي عند ذكرهِ محاكمة الذي قتل الجنرال كلابر انهُ ذكرها على ركاكة لغتها لانها "تتضمَّن خبر الرافعة وكيفية المحاكمة ولما فيها من الاعتبار وضبط الاحكام من هؤُلاء الطائفة الذين يحكّمون العقل ولا يدينون بدين وكيف تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل افاقي اهوج وغدرهُ وقبضوا عليهِ وقرروهُ ولم يعجلوا بقتلهِ وقتل من اخبر عنهم بمجرَّد الاقرار

الكربوليك يستخرج من الزيوت الثقيلة التي تقطّر من القطران ولا يخفى انهُ من احسن مضادات الفساد واشهرها

واذا أُضفت الى البنزين الذي نحن بصددهِ شيئًا من الحامض النتريك خرج منهُ زيت المر الصناعي وهو زيت رائحتهُ كرائحة زيت اللوز المر يطيّب الصابون بهِ ويضاف الى دهان الاحذية والى اشياء اخرى كثيرة اخفاء لماهيتها برائحتهِ

واستخرج بعض علماء الالمان من زيت المر منذ نحو سبعين سنة مادة تشبه النيل في جوهرها سميت انيلين من أنيل وهو محرَّف اسم النيل بالعربية . ولكن هذا الاستنباط لم يُفد شيئًا حتى قام رجل انكليزي اسمهُ بركن سنة ١٨٥٦ وحاول عمل الكينا الصناعية من الانيلين علمًا منهُ ان بين الكيناوالانيلين قرابة ليست ببعيدة فلم يُفلح في ذلك ولكنهُ اكتشف مادّة اخرى غير التي كان يفتش عنها . والقصة التي يروونها في هذا الصدد لطيفة وهي ان بركن قضى ذات يوم يقلّب ويجرّب ويعدُّ ويحسب فلم يهتدِ الى شيء فتناول نفاية تجاربهِ وصبّها كلّها في اناء واسع ووضعهُ في شباك غرفتهِ ثم أَلقى بنفسهِ على كرسيهِ كاسف البال لإخفاق تجاربهِ . وحانت منهُ التفاتة الى الاناء بعد ذلك فرأى مادة ارجوانية اللون تبصُّ فيهِ كأَنها جوهرة وكان هذا بدء اختراع الانيلين . ولكن القصة غير صحيحة من حيث ظهور المادة الارجوانية والحقيقة انهُ اخذ الراسب واستخرج المادة المطلوبة بعد عناء كثير

ووُجد فيما بعد ان جوهر الانيلين الذي يستخرج من قطران الفحم الحجري يمكن ان يصير احمر اللون او بنفسجيًّا او ارجوانيًّا وفي سنة ١٨٦٨ شرع بعض كيماويي الالمان يجربون التجارب لاستخراج جوهر الصبغ الذي في نبات الفوة ففازوا بمرادهم وكان نبات الفوة يزرع بكثرة في بلدان اوربا الجنوبية حتى بلغ ثمن ما بيع منهُ في السنة السابقة للاكتشاف المذكور نحو مليون وربع من الجنيهات فهبط سنة ١٨٩٢ الى ٦ آلاف جنيه وانقرضت بذلك زراعة الفوة

هذا ولما كان انيلين النيل وانيلين قطران الفحم الحجري واحدًا في جوهرها وكان الثاني ارخص من الاول اخذ يحلُّ محلّهُ ولولا عناية الحكومة الانكليزية بنبات النيل وخوفها ان تخرب بيوت ملايين من فلاّحي الهنود اذا بارت سوقهُ وأُبطل زرعهُ لأَصابهُ ما اصاب الفوة قبلهُ

ومن المواد النافعة المستخرجة من القطران الانتيبارين والفناسيتين اللذان يوصفان للصداع والسلفونال او التريونال او الهيبنون وغيرها من العقاقير المتنوعة التي تتناول لعلاج الارق والحامض السليسيليك الذي يوصف للروماتزم وغيرهِ

وقد استهله بالبسملة والشهادة فقال "بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الاّ الله محمد رسول الله من عبد الله جاك منو ساري عسكر امير عام جيوش دولة جمهور الفرنسوية بالشرق ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً الى حضرة المشايخ والعلماء اهالي الديوان المنيف بمصر القاهرة حالاً ادام الله فضائلهم" وختمه بقوله " اننا نشكر فضلكم علي ما اظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدي السيد سليمان مراد جاك منو فنطلب من الله سبحانه وتعالى واسأله كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ان يجود عليّ به زماناً مديداً وان يكون للعدل محباً وللاستقامة والحق مكرماً وفي وعده صادقاً وان لا يكون من اهل الطمع"

وسواء كان الجنرال منو مخلصاً في اسلامه او غير مخلص وسواء عبّر هذا الكتاب عمّا يخالج ضميره حقيقة او عما يخالج ضمير كاتبه له فلا شبهة في ان تكرير النصح والارشاد على الصورة التي فيه يؤثر في النفوس الا اذا كانت خالية من جراثيم الفضائل . ولم يكن الجبرتي متشيعاً للفرنسويين ولا مغضياً عن زلاتهم بل ذكرها واسهب فيها فخطأ هدمهم لكثير من المنازل لكي يبنوا من انقاضها الاسوار والاستحكامات ويتسع معهم مجال الهجوم والدفاع . وتغريمهم الناس بالاموال الباهظة لدفع النفقات الكثيرة التي كانت لازمة لهم واغراءهم النساء المصريات بالجري على عادات نسائهم قال "انه لما حضر الفرنسيس الى مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهنّ حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن على مناكبهنّ الطرح الكشمير والمزركشات المصبوغة ويركبن الخيول والحمير ويسقنها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة فمالت اليهم نفوس اهل الاهواء من النساء الاسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الاموال لهنّ وكان ذلك التداخل اولاً مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في اخفائه فلما وقعت الفتنة الاخيرة بمصر وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا في اهلها واخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات صرنّ مأسورات عندهم فزيوهنّ بزي نسائهم واجروهنّ على طريقتهنّ في كامل الاحوال فخلع اكثرهنّ نقاب الحياء بالكلية ... وخطب الكثير منهم بنات الاعيان وتزوجوهنّ رغبة في سلطانهم ونوالهم فيظهر حال العقد الاسلام وينطق بالشهادتين . وصار مع حكام الاخطاط منهم النساء المسلمات متزيات بزيهم ومشين معهم في الاخطاط للنظر في امور الرعية والاحكام العادية والامر والنهي وتمشي المرأة بنفسها او معها بعض اترابها واضيافها وامامها القواسة والخدم وبايديهم العصي يفرجون لهنّ الناس مثل ما يمر الحاكم ويأمرن في الاحكام

" ولما اوفى النيل اذرعه ودخل الماء في الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من

بعد ان عثروا عليهِ ووجدوا معهُ آلة القتل مضمخة بدم ساري عسكرهم واميرهم بل رتبوا محكمة ومحاكمة واحضروا القاتل وكرروا عليهِ السؤال والاستفهام مرةً بالقول ومرة بالعقوبة ثم احضروا مَن اخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكم فيهم بما اقتضاهُ التحكيم واطلقوا مصطفى افندي البرصلي الخطاط حيث لم يلزمهُ حكم ولم يتوجه عليهِ قصاص كما يفهم جميع ذلك من المسطور بخلاف ما رأيناهُ بعد ذلك من افعال اوباش العساكر الذين يدّعون الاسلام ويزعمون انهم مجاهدون وقتلهم الانفس وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرّد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضهُ بعدُ "

وقال بعيد ذلك واصفاً الديوان الذي رتبهُ الجنرال منو لادارة الاحكام "وفيهِ (اي في جمادى الثانية سنة ١٢١٥) شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الاول من تسعة معممين لا غير وليس فيهم قبطي ولا وجاقلي ولا شامي وليس فيهِ خصوصي ولا عمومي بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء وهم الشيخ الشرقاوي رئيس الديوان والشيخ المهدي كاتب السر والشيخ الامير والشيخ الصاوي وكاتبهُ والشيخ موسى السرسي والشيخ خليل البكري والسيد علي الرشيدي نسيب ساري عسكر والشيخ الفيومي والقاضي الشيخ اسمعيل الزرقاني وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسمعيل الخشاب والشيخ علي كاتب عربي وقاسم افندي كاتب رومي وترجمان كبير القس رفائيل وترجمان صغير الياس فخر الشامي والوكيل فوريه ويقال لهُ مدير سياسة الاحكام الشرعية . وعينوا عشر جلسات في كل شهر واعدوا للمترجمين والكتبة الفرنسوية مكاناً خاصاً يجلسون فيهِ في غير وقت الديوان لترجمة اوراق الوقائع وغيرها وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا ايضاً بجانبها داراً نفذوها اليها وشرعوا في تعميرها وتأنيقها وسموها بمحكمة المتجر واخذوا يرتبون انفاراً من تجار المسلمين والنصارى يجلسون فيها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار والكبير على ذلك كلهِ فوريه ... ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة اربعة عشر الف فضة في كل شهر وللقاضي والمقيد والكاتب العربي والمترجمين وباقي الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء "

وكان الساري عسكر وهو الجنرال منو قد اعتنق الاسلام ويظهر مما كان يخاطب بهِ اهل مصر انهُ كان يبذل اقصى الجهد لجعلهم يحبون النظام وينظمون احوال البلاد من كل وجه وقد احصى المواليد والوافيات والزيجات وضبط الاملاك " حتى يتيسر للحاكم الشرعي الحكم بالعدل والانصاف وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ". وهذه الفقرة منقولة عن كتاب طويل كتب بهِ الى مشايخ الديوان رداً على تهنئتهم لهُ بمولود رُزق بهِ من زوجتهِ ابنة الرشيدي

على كل من قصده فقتل خمسة ومرّ شخصان من الارنؤود بتلك الخطة فقتلهما الانكشارية لكون الغريم ارنؤوديًّا من جنسهما فلما اعياهم امره حرقوا عليهِ الدار فخرج هاربًا فقبضوا عليهِ وقتلوهُ وقُتل تسعة اشخاص في شربة عرق سوس. ووقع في ذلك اليوم ايضًا ان شخصين من القليونجية دخلا دار رجل نصراني فاخذا منها بقجتين من الثياب وخرجا فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخرّاهما في حمل البقجتين فخرج النصراني وشكا امرهُ الى القلق فامر بالقبض على العسكريين فتخاصا وهربا بعد ان جُرح احدهما فاخذوا الشخصين المسخرين وقطعوا رأسيهما ظلمًا وعدوانًا وذلك من مبادئ قبائحهم... وكثر اشتغال العسكر بالبيع والشراء وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ورتبوا على السوّاقة وارباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن وكذلك يشربون القهوة من القهاوي ويحتكرون ما يريدون من الاصناف ويبيعونها باغلى الاثمان ولا يسري عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالاذية لادنى سبب وتعرّضوا للسكان في منازلهم فتأتي منهم الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون اهلها بالخروج منها ليسكنوها فان لاطفهم الساكن واعطاهم دارهُ تركوهُ وان عاندهم سبوهُ وضربوهُ ولو غنيًا وان شكا الى كبيرهم قوبل بالتبكيت ويقال لهُ ألا تستحون لاخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وانقذوكم من الكفار. والقلقات والانكشارية الذين دخلوا حارات النصارى كلفوهم اضعاف ما كلفوا بهِ المسلمين. ويأتي الشخص من العسكر ويجلس على بعض الحوانيت ثم يقوم فيدعي ضياع كيسهِ او سقوط شيء منهُ ويبدلون الدنانير الزيوف الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهرًا وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح فتذهب الجماعة منهم الى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية ويوهمونهم انهم حضروا اليهم بأوامر اما لرفع الظلم عنهم او ما يبتدعونهُ من الكلام المزور ويطلبون حق طريقهم مبلغًا عظيمًا ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ويخطفون الاغنام ويهجمون على النساء وغير ذلك مما لا يحيط بهِ العلم. او يركب العسكري حمار المكاري قهرًا ويخرج بهِ الى جهة الخلاء فيقتل المكاري ويذهب بالحمار فيبيعهُ في ساحة الحمير وتسلطوا على الناس بالسب والشتم وجعلوهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك وتمنى اكثر الناس وخصوصًا الفلاحين احكام الفرنسوية" انتهى باختصار

واكثر الجبرتي من مثل هذا الكلام والظاهر ان طابع كتابهِ حذف منهُ اشياء كثيرة من هذا القبيل. ومع ذلك رأى هؤلاء الجنود المؤمنون واهالي مصر عمومًا ان الفرنسويين الكفار قد نجّسوا ارض مصر فارادوا ان يطهروها من آثارهم " فاحضروا ابنة الشيخ البكري وكانت

تبرُّج النساء واختلاطهنَّ بالفرنسيس ومصاحبتهم لهنَّ في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل وعليهنَّ الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة وصحبتهم آلات الطرب "

وخلاصة القول ان الجبرتي لم يترك للفرنسويين شائبة الاَّ ذكرها مصوراً اياها بالصورة التي رآها فيها لكنهُ كان نقَّاداً منصفاً على حسب ما كان يتراءى لهُ فشهد لهم بعدل الاحكام كما شهد على غيرهم بالجور والعسف وعلى كثيرين من اهالي مصر بانهم لم ينفكوا عن مكاتبة اعداء الفرنسويين وتحين الفرص للايقاع بهم او اخذهم الامور بالهزل والسخافة

ويظهر لنا انهُ لولا انكلترا لكانت مصر الآن بلداً فرنسوياً كسائر الولايات الفرنسوية لكن انكلترا عاونت الباب العالي على استرجاع الديار المصرية ثم تركتها لهُ لا لانها كانت تعجز عن البقاء فيها كما بقيت في الهند ولا لانها كانت تعلم ان العثمانيين اصلح لادارتها من الفرنسويين بل لانها كانت تظن ان مصلحتها تقتضي بقاء هذه الديار جزءا من السلطنة العثمانية. وقد انفقت على استرجاعها اموالاً طائلة فان ما انفقته الهند وحدها في هذا السبيل بلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات وجاءت الجنود العثمانية بقيادة يوسف باشا الصدر الاعظم لمعاونة الانكليز على ذلك وكانت مؤلفة من الانكشارية والارنؤود ومحمد علي في قيادة فرقة من الارنؤود

ولما رأى الفرنسويون ان لا قبل لهم بمناوأة الانكليز والعثمانيين بعد ان قطع الانكليز سد ابي قير وحصروا الجنرال منو في الاسكندرية ومنعوهُ من نجدة جنود القاهرة صالحوهم على الخروج من القاهرة بكل ما لهم من مال ومتاع وتعهد الانكليز ان يقدموا لهم الركائب براً والمراكب بحراً لايصالهم الى فرنسا . ولما خرجت الجنود الفرنسوية من القاهرة عجب الانكليز من كثرة عددهم وعددهم واستعظموا الفوز الذين فازوا بهِ بأخذ المدينة من غير قتال. وتم عقد الصلح في القاهرة في ٢٣ يونيو سنة ١٨٠١ واشترط فيهِ ان يخرج الفرنسويون منها في مدة خمسين يوماً ويمضوا الى رشيد ويقلعوا من هناك الى بلادهم بسفن يعدها لهم الانكليز ويجوز لكل احد من اهل مصر ومن سكانها ان يذهب معهم ويقدم لهم الانكليز كل ما يحتاجون اليهِ من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب . ويبقى جرحاهم في مصر ليعالجوا فيها الى ان يشفوا وينفق عليهم العثمانيون

ولم يكد الفرنسويون يخرجون من القاهرة حتى حلت فيها الفوضى وفعل العثمانيون المنكرات. ذكر الجبرتي " ان شخصاً من العسكر شرب شربة من عرق السوس ولم يدفع ثمنها فكلم صاحبها القلق الانكشاري فاحضرهُ وامرهُ بدفع ثمنها ونهرهُ واراد ضربهُ فاخرج العسكري الطبنجة وضرب القلق فقتلهُ وهرب الى حارة الجوانية ودخل الدار وامتنع فيها وصار يضرب بالرصاص

حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا فلا يكفينا هذا وانما يكفينا من اسيوط الى آخر الصعيد ونقوم بدفع خراجه فان لم يرضوا بذلك فان الارض لله ونحن خلق الله نذهب حيث شئنا ونأكل من رزق الله ما يكفينا ومَن اتى الينا حاربناهُ حتى يكون من امرنا ما يكون "

وكانت المصيبة بالمماليك مزدوجة على اهل القطر فهم يظلمون الناس حيث حلّوا ويسلبون ما عندهم والجنود التي ترسل لمحاربتهم تفعل فعلهم او تزيد حتى بلغ انين الاهالي عنان السماء وحاول الانكليز انقاذهم من الجور مراراً ولكن ليس جملةً

هذا ولنعد الى ذكر الحوادث التاريخية المهمة مع ما يتصل بها من الامور الاجتماعية فنقول: ان الجنرال منو حاصر في الاسكندرية ولم يسلم وقتما سلّمت القاهرة ولكنهُ اضطرّ اخيراً الى التسليم فسلّم في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٠١ واقلعت الجنود الفرنسوية من الاسكندرية في ١٨ سبتمبر بكل ما لهم من اتباع ومتاع وبلغ عددهم احد عشر الفاً عدا الذين اقلعوا من رشيد من حامية القاهرة وقد انفق الانكليز النفقات الطائلة في هذه الحملة على غير جدوى لان السر هنري سمث كان قد عقد معاهدة مع الفرنسويين في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ على ان يخرجوا من القطر المصري كما خرجوا منهُ الآن وهي المعروفة بمعاهدة العريش ولكن الحكومة الانكليزية ابت التصديق عليها ثم عادت الى التصديق على مثلها تماماً بعد ما مرّ عشرون شهراً وخسرت الملايين الكثيرة من اموالها والالوف من رجالها وقائد الحملة كلها وهو الجنرال ابركرمبي الذي قتل امام الاسكندرية

وخرج الفرنسويون من الديار المصرية كما تقدم ثم تبعهم الانكليز وبقيت البلاد في يد العثمانيين وكانت الدولة قد ولّت عليها والياً اسمهُ محمد باشا خسرو فوصلها في اوائل سنة ١٨٠٢ ودخل القاهرة في ١٧ رمضان سنة ١٢١٦ الموافق ٢١ يناير سنة ١٨٠٢ ولم يفعل من الافعال التي ترضي الاهالي الّا حضورهُ الجمعة وزيارتهُ الاضرحة واكثارهُ من الباس الفراء للذين يريد اصطناعهم او تملقهم اما سيرهُ في سياسة البلاد فيدل على جهل مطبق وميل الى ارهاق الناس بكل واسطة ممكنة ولو كان نفعهُ منها قليلاً مثال ذلك اغراؤهُ اهالي العاصمة برفع التراب والانقاض من امام منزله قال الجبرتي "واحضروا قوائم ارباب الحرف التي كتبت ايام الفرنسيس ونبهوا عليهم بالحضور فاول ما بدأوا بالنصارى الاقباط فحضروا يتقدمهم رؤساؤهم جرجس الجوهري وواصف وفلتوس فاشتغلوا نحو ثلاث ساعات وفي ثاني يوم حضر منهم طائفة كذلك ولما انقضت طوائف الاقباط حضر النصارى الشوام والاروام ثم طلبوا ارباب الحرف من المسلمين وبعد ان يفرغوا من العمل ويؤذن لهم في الذهاب يلزمونهم بدراهم يقبضها مهتار

ممن تبرَّج مع الفرنسيس وسأَلوها عما كانت تفعلهُ فقالت اني تبت عن ذلك فقالوا لوالدها ما تقول انت فقال اقول اني بريء منها فكسروا رقبتها " واحضروا امرأة تسمَّى هوى كانت تزوجت رجلاً اسمهُ نقولا القبطان ثم هربت وعادت الى زوجها الاول فاستأذن الوزير في قتلها فاذن لهُ بخنقها في ذلك اليوم ومعها جاريتها البيضاء ام ولدهِ وقتلوا ايضًا امرأتين من اشباههن". ومن هذا القبيل ان الوزير كان يذهب الى الجامع ويحضر الجمعة وهذان الفعلان اي قتل بعض النساء والذهاب الى الجامع كفيا لتطهير البلاد من الكفار. اما اعمال الانكشارية وغيرهم من الجنود العثمانية واطلاق العنان للماليك في الصعيد وسلب اموال العباد بما لا يحصى من الاساليب كل ذلك مما يُغتفَر لان الجنود مؤمنون جاؤُوا لانقاذ اخوانهم من الكفَّار

ثم ارسلت الجنود العثمانية الى الصعيد للايقاع بالماليك واستئصال شأفتهم لكن اهالي البلاد نفروا منهم على ما قالهُ الجبرتي " لما رأَوهُ فيهم من الظلم والجور والعنف باهل الريف والعسف بهم وطلبهم الكلف الشاقة والقتل والخرق وذلك هو السبب الداعي لنفور اهل الريف منهم وانضمامهم الى المصرلية " اي المماليك

ولما ضاق الامر بالماليك كتبوا الى والي مصر ما ملخصهُ نقلاً عن الجبرتي " ان الارض ضاقت عليهم واضطرهم الحال والضيق وفراق الوطن الى ما كان منهم وانهم في طاعة الله والسلطان ولم يقع منهم ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم فانهم خدموا وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانية وابلوا بالفرنسوية فجوزوا بضد الجزاء ولا يهون بالنفس الذل والاقبال على الموت فاما ان تعطونا جهة نتعيش فيها او ترسلوا لنا اهلنا وعيالنا وتشهِّلوا لنا مراكب على ساحل القصير فنسافر فيها الى جهة الحجاز او تعينوا لنا جهة نقيم فيها نحو خمسة اشهر مسافة ما نخاطب الدولة في امرنا ويرجع الينا الجواب ونعمل بمقتضى ذلك فان لم تجيبونا لشيء من ذلك فيكون ذنب الخلائق في رقابكم لا رقابنا "

فاجيبوا باعطاء الامان لجميع الامراء المصرلية وانهم يحضرون الى مصر ويقيمون فيها ولهم ما يرضيهم ما عدا ابرهيم بك الالفي وعثمان بك البرديسي وابا دياب فانهم مطلوبون الى حضرة السلطان ليتوجهوا اليهِ فيعطيهم مناصب وولايات كما يحبون وان لم يرضوا فليأخذوا اقطاع اسنا ويقيموا فيهِ. ولما وصلهم هذا الجواب وقرأُوهُ في ديوانهم وعساكرهم مصطفة حولهم ببنادقها تكلم الالفي وقال للرسل " اما قولكم نذهب الى اسلامبول ونقابل السلطان ينعم علينا فهذا مما لا يمكن وان كان مرادهُ ان ينعم علينا فانعامهُ لا يتقيَّد بحضورنا بين يديهِ واما بقية اخواننا فهم بالخيار ان شاؤُوا اقاموا معنا والَّا ذهبوا وكل انسان امير نفسهِ واما كون

المدينة فتركهُ من كان معهُ من اعيان العثمانية وذهبوا الى محمد علي والتجأُوا اليهِ وخرج احمد باشا في حالة شنيعة واتباعهُ مشاة بين يديهِ وعند ما خرج من البيت دخلهُ الارنؤُود ونهبوا جميع ما فيهِ وكانت مدة ولا يتهِ يوماً وليلةً . والتجأ الدفتر دار وكتخدابك الى محمد علي فاذن لهما في الذهاب الى بيتيهما ثم هجم الارنؤُود عليهما وقتلوهما

وولت الدولة وزيراً اسمهُ علي باشا الطرابلسي فاتى الى الاسكندرية وكتب الى امراء المماليك يعلمهم بوصولهِ ويخبرهم انهُ وُلّي على الاقطار المصرية من الاسكندرية الى اصوان وقال لهم في آخر كتابهِ كان الواجب ان لا تدخلوا المدينة (القاهرة) الاَّ باذن من الدولة فان سيف السلطنة طويل وربما استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين لا طاقة لكم بهم . فكتبوا اليهِ جواباً قالوا فيهِ . " انهُ لما كان محمد باشا متولياً بذلنا الجهد في استرحامهِ وهو لا يزيد معنا الاَّ قسوةً ولا يسمح لنا بالاقامة في القطر المصري جملة وجرَّد علينا التجاريد من كل جهة وكان الله ينصرنا عليهِ في كل مرة الى ان حصل بينهُ وبين عساكرهِ وحشة بسبب علوفاتهم فقاموا عليهِ وحاربوهُ واخرجوهُ من مصر بمعونة طاهر باشا ثم قامت الانكشارية على طاهر باشا وقتلتهُ ظلماً وقامت العساكر بعضها على بعض وكنا حضرنا الى جهة الجيزة باستدعاء طاهر باشا فلما قتل بقيت المدينة رعيةً من غير راعٍ وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم فحضر الينا المشايخ والعلماء واختيارية الوجاقلية واستغاثوا بنا فارسلنا من عندنا من ضبط العساكر وامَّن المدينة والرعية . واما محمد باشا فانهُ نزل الى دمياط وظلم البلاد والعباد وفرَّد عليهم الفرَد الشاقة فتوجه عثمان بك البرديسي لتأْمين اهالي القرى الى ان وصل الى ظاهر دمياط فاقام بمن معهُ خارج المدينة فما شعر الاَّ ومحمد باشا صدمهم ليلاً وحاربهم فحاربوهُ ونصرهم الله عليهِ فانهزمت عساكرهُ وقبض عليهِ . وهو الآن عندنا في الاعزاز والاكرام ونحن الآن على ذلك حتى يأْتينا العفو . واما قولكم اننا نخرج من مصر فهذا لا يمكن ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من اوطانهم واما قولكم ان حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين فاننا لا نستعين الاَّ بالله وقد ارسلنا عرضحال نطلب العفو ونترجَّى الرضا ونحن منتظرون الجواب "

وتلكأَ علي باشا عن الحضور الى مصر وارسل الى المماليك يخبرهم برضا الدولة عنهم بشفاعة الصدر الاعظم يوسف باشا وشفاعتهِ هو وان يقيموا بارض مصر اين شاءُوا وقطع لكل امير منهم خمسة عشر كيساً فسروا بذلك ولكنهم عرفوا بعد حين انهُ عازم على الغدر بهم فخادعوهُ هم والارنؤُود حتى جاء مصر واخبروهُ بما اطلعوا عليهِ من امرهِ وطردوهُ وقتلوهُ في اثناء الطريق

باشا برسم البقشيش للطباليين والزمارين واذا حضرت طائفة ولم تقدّم بين يديها هدية اوجعالة طوّلوا عليها المدة واتعبوها واستحثوها . فاجتمع على الناس عشرة اشياء من الرذالة وهي السخرة والعونة واجرة الفعلة والذل ومهنة العمل وتقطيع الثياب ودفع الدراهم وشماتة الاعداء وتعطيل المعاش واجرة الحمام" (للتنظيف من الوسخ)

وكان يحاول احياناً التكفير عن ذنوبهِ بزيارة جامع او ضريح وتفريق شيءٍ من المال او الحنطة على طلبة العلم الا ان الجبرتي لم يغترّ بذلك بل قال فيهِ

وانها خطراتٌ من وساوسهِ يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرَما

واخيرًا قام الارنؤود عليهِ باغراء محمد علي وحصروهُ في دارهِ وحرقوها عليهِ وكانت اخر دور مصر كما سيجيءُ فخرج منها وهرب بحاشيتهِ وعزوتهِ من الجند بعد ان اقام في الولاية سنة وثلاثة اشهر وواحدًا وعشرين يومًا وكان على ما قال الجبرتي "سيئ التدبير لا يحسن التصرُّف يحب سفك الدماء ولا يتروَّى في ذلك ولا يضع شيئًا في محلهِ يتكرَّم على من لا يستحق ويبخل على من يستحق وفي آخر مدتهِ داخلهُ الغرور وطاوع قرناء السوء المحدقين بهِ والتفت الى المظالم والفرد على الناس فانقذ الله منهُ عبادهُ وسلَّط عليهِ جندهُ فخرج مرغوما مقهورًا على هذه الصورة ولم يزل في سيرهِ الى ان نزل بقليوب بعد الغروب فعتَّاهُ الشواربي شيخ قليوب ثم سار ليلاً الى دجوة فانزل الحريم والاثقال في ثلاث مراكب وسار هو الى جهة بنها ومنها الى دمياط وغالب جماعتهِ تخلفوا عنهُ بمصر وكذلك الكتخدا وديوان افندي والخازندار والسلحدار"

وفي ١٤ محرم سنة ١٢١٨ اجتمع المشايخ والقاضي ورؤساء الجند بايعاز محمد علي وولّوا عليهم رجلاً من الارنؤود اسمهُ طاهر باشا او جعلوهُ قائمقامًا الى ان تأتيهُ الولاية من الاستانة لكن الانكشارية نقموا عليهِ لانهُ مال الى الارنؤود وهجموا عليهِ وقتلوهُ بعد ان قام في الولاية ستة وعشرين يوما. قال الجبرتي "ولو طال عمرهُ اكثر من ذلك لاهلك الحرث والنسل وكان بهِ هوس وانسلاب وميل للمسلوبين والمجاذيب والدراويش وعمل لهُ خلوة بالشيخونية كان يبيت فيها كثيرًا ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي الى السطح في الليل ويذكر معهُ"

وكان احمد باشا والي المدينة المنورة في مصر فرغب الناس في توليتهِ عليهم فعارضهم محمد علي في ذلك فجمع احمد باشا المشايخ وطلب منهم ان يجمعوا الرعية ويأمروهم بالخروج على الارنؤود وقتلهم وكان محمد علي والارنؤود رجالهُ في القلعة فجعلوا يطلقون المدافع على بيت احمد باشا فاخذ امرهُ في الاضمحلال وكان المماليك قد حضروا الى امام مصر والظاهر انهم ما لأُوا الارنؤود على الفتك بالانكشارية وبكل من ناوأهم فارسلوا الى احمد باشا ليخرج من

الدلاة لكي يعيدوهُ على محمد علي وجنودهِ الارنؤودكأنهُ اوجس منهُ ومنهم شرًّا فلما وصل الدلاة الى مصر عاد محمد علي اليها حالاً فامرهُ احمد باشا بالعودة الى الصعيد لقتال المماليك فقال انهُ انما اتى في طلب العلائف

وجاء حينئذٍ قاصد من اسلامبول وعلى يدهِ تقليد لمحمد علي بولاية جدة فابى محمد علي الصعود الى القلعة ووقع الاتفاق على ان احمد باشا ينزل الى بيت سعيد آغا ويخلع عليهِ هناك خلعة ولاية جدة فلما حضر وحضر محمد علي وتقلد ولاية جدة وخرج يريد الركوب ثار عليهِ الجنود وطلبوا علائفهم فقال لهم هوذا الباشا عندكم وركب وذهب الى دارهِ بالازبكية وصار ينثر الذهب في طول الطريق فمضى الجنود الى احمد باشا ومنعوهُ من الركوب فوعدهم خيرًا وطلب الاموال الطائلة من الاهالي وارسل الدلاة الى قليوب لينهبوها فركب المشايخ الى بيت القاضي واجتمع معهم كثيرون من الرؤساء والعظماء وذهبوا الى محمد علي وقالوا لهُ اننا لا نريد احمد باشا حاكمًا علينا ولا بد من عزلهِ من الولاية فقال ومن تريدون واليًا قالوا لا نرضى الا بك وتكون واليًا علينا بشروطنا لما توسمناهُ فيك من العدالة والخير فامتنع اولاً ثم رضي واحضروا لهُ كركًا وعليهِ قفطان وقام اليهِ السيد عمر والشيخ الشرقاوي فالبساهُ ونادوا بهِ واليًا على الديار المصرية وكان ذلك عصر الاثنين في ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ للهجرة الموافق ١٣ مايو سنة ١٨٠٥

ولم يستتب الامر لمحمد علي حالاً لان انصار احمد باشا كانوا كثارًا وكانت القلعة في يدهِ ووقع الجدال بين بعض انصارهِ وبين الذين ولوا محمد علي فقالوا لهم كيف تعزلون من ولاهُ السلطان عليكم وقد قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم. فقالوا لهم "ان اولي الامر هم العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل وهذا رجل ظالم وجرت العادة من قديم الزمان ان اهل البلد يعزلون الولاة حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونهُ ويخلعونهُ"

والظاهر ان الباب العالي رضي بما فعلهُ المصريون فبعث بفرمان التولية الى محمد علي من ٢٠ ربيع الاول ولُقب فيهِ بمحمد علي باشا والي جدة سابقًا ووالي مصر حالاً وأمر احمد باشا بالنزول الى الاسكندرية حتى يأتيهُ امر بالتوجه الى بعض الولايات

ولا تكاد تجد في الجبرتي ولا في غيرهِ من التواريخ العربية سوى ذكر الحروب والمظالم والمغارم لكن يؤخذ مما بين ذلك ما يدل على ان الناس لم يتركوا زرعهم وعلى ان التجارة كانت رائجة بعض الرواج ولا سيما مع الشرق الاقصى ولولا الحروب والثورات لنال القطر المصري من ذلك ثروة وافرة جدًّا فقد نهب العرب مرة قافلة التجار الواصلة من السويس

هو وحاشيتهُ وكان يحمل كفنهُ معهُ فنادى واحداً قبل ان اسلم الروح وقال لهُ بعرضك يا فلان ان معي كفناً داخل الخرج فكفني بهِ وادفني ولا تتركني مرمياً . قال الجبرتي وكان ذلك نتيجة "سوء سريرتهِ وخبث ضميرهِ فلقد بلغنا انهُ قال لعسكرهِ ان بلغت مرادي من الامراء المصريين (المماليك) وظفرت بالارنؤود ابحت لكم المدينة والرعية ثلاثة ايام تفعلون بها ما شئتم والدليل على ذلك ما فعلهُ بالاسكندرية مدة اقامتهِ بها من الجور والظلم ومصادرات الناس في اموالهم وبضائعهم وتسلط عساكرهِ عليهم بالجور والخطف والفسق وترذيلهُ لاهل العلم واهانتهُ لهم حتى انهُ كان يسمي الشيخ محمد المسيري الذي هو اجل مذكور في الثغر بالمزوّر اذا دخل عليهِ مع امثالهِ"

ولا ندري هل ما رواهُ الجبرتي عنهُ كان صحيحاً او مختلقاً عليهِ فقد قال بعيد ذلك "ان محمد علي حرّش العساكر على محمد باشا خسرو وازال دولتهُ واوقع بهِ بمعونة طاهر باشا والارنؤود ثم استعان بالاتراك على طاهر باشا حتى اوقع بهِ ايضاً وظهر امر احمد باشا وعرف (اي محمد علي) انهُ اذا تمَّ لهُ الامر ونما امر الاتراك لا يبقون عليهِ فعاجلهُ وازالهُ بمعونة الامراء المصرية (المماليك) واستقرَّ معهم حتى اوقع بالاشتراك معهم بالدفتردار والكتخدا ثم حاربوا محمد باشا بدمياط واخذوهُ اسيراً واحتالوا على علي باشا الطرابلسي واوقعوهُ في فخهم وقتلوهُ كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين وخصوصاً للبرديسي (من امراء المماليك) فانهُ تآخى معهُ وجرح كلٌّ منهما نفسهُ ولحس من دم الآخر واغترَّ بهِ البرديسي وصدقهُ واصطفاهُ وفعل بمعونتهِ ما فعل بالالفي الكبير واتباعهِ وشرَّدهم وقص جناحيهِ بيدهِ"

فان محمد بك الالفي الكبير وهو اعظم امراء المماليك ذهب الى البلاد الانكليزية فاكرمهُ الانكليز وردوهُ بالهدايا والتحف الكثيرة فحسدهُ سائر المماليك واضمروا لهُ السوء فاضطر ان يهرب من وجههم في البلاد ويختبئ في نجوع العرب وسلبوا كل ما جاء بهِ من البلاد الانكليزية والظاهر من كلام الجبرتي ان المماليك فعلوا ذلك باغراء محمد علي

ثم ان محمد علي انقلب على المماليك وطلق محمد باشا خسرو الوالي الاسبق والضمَّ اليهِ وطرد المماليك من القاهرة وضواحيها بعد ان نكل بهم ونهب عسكرهُ اموالهم وبيوتهم وامتعتهم وسبوا حريمهم وسراريهم وجواريهم واتصل اذاهم بالاهالي فخربوا بيوتاً كثيرة ونهبوا ما كان فيها ولم يطل الامر على محمد باشا خسرو حتى خذل وجاء احمد باشا خورشيد من الاسكندرية وقوبل بالترحاب وجاءتهُ بشارة في ١٧ محرم سنة ١٢١٩ بتقليدهِ ولاية الديار المصرية ونصرهُ محمد علي في اول الامر ثم مضى الى الوجه القبلي لمنازلة المماليك فاستدعى احمد باشا جنوداً من

الصلح بينهما وكفَّ اذى الحرب عنهما بعد ان غالتهما اغوالها . هذا بوجه خاص . وبوجه عام قام الكتَّاب من كلّ حدب وصوب يعيدون الكرَّة ويبحثون في ما اذا كان تأييد السلام امرًا ممكنًا وفي مقدمتهم مجلة انكليزية اسمها "مجلة لندن" فانها ارسلت السوأال الآتي الى جماعة من الساسة والعلماء الذين يعوَّل على آرائهم في معضلات الامور وطلبت منهم الجواب عليهِ وهو "هل يمكن ان تبطل الحرب ويسود السلام او ان ذلك حلم في المنام لا يمكن تحقيقهُ" ثم اوردت الاجوبة التي جاءتها او استنتجتها من الافعال والاقوال فقالت

جلالة الملك

لا يجهل احد ان جلالة الملك لا يخط سطرًا ولا يفوه بكلمة فيما يتعلق بالمسائل العمومية . ولكنهُ لم يكد يتسنَّم العرش حتى اشتهر بين القاصي والداني ميلهُ الى السلام وسعيهُ في اثرهِ فلقب بملك السلام . وانهُ وان كان يعلم ان الحرب ضرورة يستلزمها التمدن الحديث مهما جرَّت من الويل والدمار الّا انهُ يعلم ايضًا ان منعها ممكن في بعض الاحوال وخير سبيل الى ذلك تقريب الامم بعضها من بعض وربطها بربط الاخاء والوداد كما ترمي اليهِ سياستهُ الآن

رئيس الولايات المتحدة

ما يصح على الملك يصح على رئيس الولايات المتحدة ايضًا . وقد باح برأيهِ منذ عدة اشهر في رسالتهِ التي بعث بها الى مجلس الامة حيث قال "يجب ان يكون غرض هذه الامة الذي لا يحول وغرض سائر الامم المتمدنة ايضًا تقريب اليوم الذي يسود فيهِ العالم كلهُ سلام العدل على ان من السلام ضروبًا لا تستحب ولا يرغب عاقل فيها فقد قام في العالم نفر من الظلاَّم الغاشمين حولوا جنانهُ الناضرة مفاوز قاحلة وسمُّوا عملهم سلامًا ومفاوزهم ارض السلام . وكثيرون من الذين عرفوا بفتور الهمة والجبن وقصر النظر وابطرهم اليسر والرفاه وضرب الجهل عليهم قبابهُ احجموا احجام الانذال عن القيام بما يجب عليهم لما فيهِ من انكار النفس وحاولوا ستر قصورهم وتقصيرهم وغاياتهم الدنيئة عن عيونهم ومحو آثارها من صدورهم فسموا ذلك حب السلام . فمن الواجب علينا تجنب السلام الذي يجلبهُ ظلم الظالم وضعف الضعيف كما نتجنب الحرب الجائرة

اما الغاية التي يجب ان ترمي امتنا اليها وسائر الامم معها فهي بلوغ السلام العادل ذلك السلام الذي تأمن كل امة في ظلهِ على حقوقها وتعترف بما يجب عليها للغير وتعمل بهِ . والغالب ان يكون السلام دليل الانصاف ولكن اذا تنافرا او اختصما فان الولاء يقضي علينا بالانحياز الى جانب الانصاف اولاً . والحروب الجائرة كثيرة والسلام الجائر قليل نادر ولكن الاثنين مكرهة فلنجتنبهما "

وكان فيها اربعة آلاف جمل حاملة من البن والبهار والقماش. وتغدَّى احمد باشا مرة في دار السيد احمد المحروقي وجلس عندهُ نحو ساعتين ثم ركب وصعد الى القلعة فارسل المحروقي خلفهُ هدية فيها بقج قماش هندي وتفاصيل ومصوغات مجوهرة وشمعدانات فضة وذهب وتحائف وخيول لهُ ولكبار اتباعهِ

ويظهر مما كان يذكر عرضاً عن البضائع المنهوبة والمسلوبة ان التجارة كانت متصلة مع اليمن والهند والصين والبلاد الاوربية على قلة الامن وصعوبة المواصلات

وكذلك الصناعة لم تكن معدومة ولا سيما صناعة البناء والنقش كما يظهر من وصف بيت الالفي الذي حرق لما كان فيهِ خسرو باشا فقد قيل انهُ كان في كواهُ الواح الزجاج البلور الكبار التي يساوي الواحد منها خمسمائة درهم اي نحو خمسة عشر جنيهاً وكان مفروشاً كلهُ بالبسط الرومية والفرش الفاخر وفيهِ الستائر والموائد المزركشة وطاولات المراتب كلها مقصبات هذا وسيأتي الكلام على ما اجراهُ محمد علي في هذا القطر مدة ولايتهِ

هل يسود السلام

لم تمرَّ بالانسان حقبة من التاريخ الَّا سمعنا لهُ بسعي في ابطال الحرب وتعزيز السلم ثم لم يكن يطول بسعيهِ المطال حتى كان يعود منهُ بصفقة الخاسر إمَّا لأن الحرب سنَّة طبيعية لا يمكن ابطالها ولا تغييرها واما لأن الشروط والقيود التي يمكن ابطال الحرب عندها لم تتوفر في تلك المساعي واما لانهُ لم يأنِ الاوان لتأييد ملك السلام. وآخر ما اتاهُ الانسان من تلك المساعي واعظمهُ سعيُ قيصر الروس منذ سبع سنوات في عقد مؤتمر يقرر السلام ويوجب على الدول المشتركة فيهِ إبطال المعدات الحربية وفصل كلّ خلاف بالوسائل السلمية او التحكيم. فعُقد المؤتمر وقرر ما قرر مما أمسى مضغة في الافواه حتى سمّي بعضهم السلام الذي قررهُ بالسلام المسلَّح استهزاءً. وكأنهُ قُدّر لابن آدم الشقاء والبلاء فلكي لا يجرأ فيما بعد على السعي في منع الحروب ساق شيطانها قيصر الروس نفسهُ الى غمارها فلبي مكرهاً او مختاراً وحكّم الحسام بدل الكلام فكان من امرهِ مع اليابان ما كان

وليس يخاف انهُ ان كان ابطال الحروب ميسوراً فالزمان الحاضر ليس زمان البحث في ذلك اذ روسيا واليابان في حرب عوان والدول الاخرى واقفة بالمرصاد لها تتعلَّم العظات والعبَر من حربهما. ولكن "وفي الساعة الظلماء يُفتقد البدرُ" فان البحث دائر الآن على عقد

ويقال على وجه عام ان الدول العظمى مطالَبة بحلّ المسائل المتعلقة بكرامة اممها ومصالحها الجوهرية · والاعتبارات المادية والادبية التي تحمل الدول على لزوم الحذر والتدرُّع بالفطنة في حلّ المشاكل الدولية زادت زيادة تذكر في السنين الاخيرة . فالمادية اشهر من ان تذكر والادبية لا يمكن التعبير عنها بشكل محدود ولكنها عاملة وتأْثيرها محسوس . اما معاهدات التحكيم فاذا بذلت العناية في ابرامها حتى نقتصر على الدعاوي التي يمكن التحكيم فيها دون غيرها فانها تستحق كلّ مدح لما فيها من الفائدة ولكنها ليست علاجاً ناجعاً في كلّ حال "

السر علبرت باركر

من مشاهير كتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب قال في جوابهِ " لا يسعني التعلُّل بالآمال الكثيرة من حيث سيادة السلام والدلائل تنذر بحرب عامة ومصيبة طامة . وما دام في الارض امم همجية وامم اقتبست بعض التمدن وامم ذات تمدُّن كاذب فلا يمكن الوصول الى اتفاق تامّ على حلّ المنازعات التي تقع بينها . " فلنتكل على الله ولكن ليبقَ بارودنا جافاً " (اي لنبقَ على حذر)

مستر مكنمارا

من مشاهير الكتاب الانكليز واعضاء مجلس النواب ايضاً . قال

" لا أرى ثمة مانعاً يمنع من حل المنازعات الدولية بالتحكيم بدلاً من القوة مع ازدياد العلوم وانتشار المعارف · فقد كان الافراد قديماً يتحاكمون الى السلاح في حلّ الخصومات والآن قلما يفعلون ذلك حتى ان المبارزة باتت تظاهراً لا ضرر منهُ فيعمد المبارز اليها واحدى عينيهِ على جلدهِ والاخرى على قلم مخبر الجريدة (اي الغاية منها الشهرة لا غير) ومثل ذلك شان العائلات والقبائل فان ما بينهم من الخلاف يسوَّى الآن بالوسائط السلمية · والى مثلهِ سوف يصير شأن الامم الكبيرة في يوم من الايام · وان اتحاد الامم الانكليزية في العالم كلّهِ يعجّل مجيء ذلك اليوم "

السر توماس باركلي

من كبار رجال القانون في انكلترا . وقد كتب يقول

" لست أرى ان دوام السلام امر ميسور لان من الحروب ما هو تنازع على البقاء كالحروب الاستعمارية التي تنشأ عن ازدحام السكان في بلاد وانتجاعهم بلاداً اخرى · ومنها حروب الاستقلال التي يفضي اليها ظلم الظالم وحكم الغاشم · ومنها الحروب المدنية وهي افضل مما يدعو اليها مهما اشتدت اهوالها وكثرت فظائعها · على انهُ لا يستحيل ان تصير الحكومات الجمهورية

اللورد افبري (السر جون لُبك) العالم الانكليزي الشهير

كتب يقول " ان املي بسيادة السلام العام ضعيف جدًّا . فاننا نحن انفسنا شر قدوة للغير بزيادة نفقاتنا البحرية والبرية زيادة بالغة "

السر هنري فولر

وهو احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي ومن الذين تولوا مناصب سامية في الحكومة . وقد كتب يقول :

" ان تقرير السلام العام بحل اسباب النزاع والخصام بين الامم بالتحكيم دون الحرب امر صعب المنال جدًّا . واعتقد انهُ لابدَّ ان يجيء يوم تفضُّ الامم فيهِ ما بينهم من الخلاف بالوسائل السلمية ولكن ما من احد يستطيع ان يعين ذلك اليوم السعيد . على ان الخطى التي خطتها امتنا وغيرها من الامم في سبيل التحكيم تبشر بالخير وتدل على جهة اتجاه الرأي العام "

السر فردريك بولوك

من كبار رجال القضاء سابقًا . وقد كتب جوابًا اشار فيهِ الى مقالة كان قد كتبها في هذا الموضوع وقال ان ما قالهُ فيها يقولهُ الآن ايضًا . وهاك بعض ما جاء فيها : —

" يظنُّ الناس عمومًا ان ما يقع من الخلاف بين الحكومات مشابه لدعاوى الافراد وبالتالي انهُ يمكن فضُّ ذلك الخلاف في محاكم القضاء ولكن الامر ليس كذلك . فان الاختلافات الدولية المتعلقة بالحدود وحقوق الملكية تشبه الاختلافات التي تقع بين الافراد من هذا القبيل فتحلُّ بتعيين حَكَم او مجلس تحكيم يقبل الفريقان المتنازعان حكمهُ كما جرى في كثير من مسائل الحدود ممَّا لو وقع النزاع عليهِ في العصور السالفة لتقاضى المتنازعون فيهِ الى السيف

ولكنَّ هناك اسبابًا اخرى للنزاع والخلاف تنشأُ عن الاختلاف في تفسير بنود المعاهدات الدولية والاقوال الرسمية كما لو ادَّعت دولة محاربة على دولة محايدة بخرق حرمة الحياد . فدعوى مثل هذه لا تحلُّ في محاكم القضاء العادية بل بالمفاوضات السياسية

ومعظم الخطر في تنازع الدول السلطة والسيادة في بقعة من بقاع المعمور . والسبيل الوحيد الى تدارك هذا الخطر اتفاق عدة دول على حفظ السلم واتحادها معًا بحيث يتأَلف من ذلك الاتحاد قوة اعظم من القوة المقابلة . فهذا الاتفاق او الخوف منهُ منع كثيرًا من الحروب الصغيرة ولكنهُ قلما ينجع في حرب مع دولة قوية تستخفُّ بتعرض الغير لها او تستطيع استمالة هذه الدولة او تلك حفظًا لتوازن القوات

السر ادورد رسل

صاحب جريدة "لفربول دايلي بوست" قال

"من الامور المبشرة بالخير المنذرة بحسن المصير رغبة الدول الاوربية تدريجًا عن محاربة بعضها بعضاً. ولكن الميل الى الحرب خلق مستحكم في النفوس والاغراء بخوض غمارها كثير في اطراف الارض النائية. ومع ان اهوالها تزيد كل يوم رغماً عما أُدخل من التحسين والاصلاح في تموين الجنود ومعالجة جرحاهم ترى الناس يقدمون عليها وهم لا يحسبون لها حساباً. ولكنني أؤمل — وان يكن تحقيق املي بعيدًا — ان سوف يأتي يوم في الخمسين سنة القادمة تبطل الحرب فيهِ باجماع الامم المتمدنة على ابطالها لانهُ يثبت لهم انها ضرب من الحمق والجنون"

مسيو جوريس

من اشهر اعضاء مجلس النواب الفرنسوي وزعيم حزب الاشتراكيين فيهِ. خطب ذات يوم فقال "بين المسائل الدولية مسائل شتى كانت تظهر خيالية فجعلت تلبس ثوب الحقيقة وتتخذ شكلاً محدوداً وقد اصبح السلام الحقيقي ممكناً في اوربا" الى ان قال

"وفي اوربا محالفتان كبيرتان ترميان الى السلام وقد كان السلام العام مقصد الثورة الفرنسوية وهي لم تكن ترغب في الحرب بل كانت تكرهها وتمقتها وانما اقدمت عليها مكرهة بسبب ضعفها"

التهذيب (1)

ايها الشبان الكرام

لما دعوتموني الى خطاب يُلقى اليكم في محفل من محافلكم ترددتُ في اول الامر لكبر سنّي وملَلي وعجزي ولكن لما نظرت الى غاية جمعيتكم المحمودة رأيت فيها ما ينهض الى اجابة طلبكم ولو سامني ذلك شيئاً من التعب والاجهاد. ثم اخذت ابحث في موضوع يوافق غرضكم ويُرجى منهُ بعض الفائدة لكم ولامثالكم الذين شأنكم وشأنهم واحد في السن وطلب العلم فلم ارَ شيئاً افضل وانسب من اللقب الذي لقّبتم جمعيتكم بهِ وهو تهذيب الشبيبة السورية. غير انكم قد اضفتم الى ما تطلبونهُ لانفسكم من ذلك غوثاً لبعض اخوانكم الطلبة واظهرتم ما فيكم من ايثار الغير فوجب لكم الثناء والعون والدعاء بالفلاح. وكيف كان فان فاعل الخير يلقى الجزاء

(1) خطبة للدكتور يوحنا ورتبات عضو المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع علم الامراض الوافدة في لندن والاكادميا الطبية في نيويورك تليت في محفل لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت في ٣ حزيران (يونيو) سنة ١٩٠٥

أقرب الى العقل وأبعد عن الجهل واقلّ اندفاعاً مع تيار العواطف واكثر اختباراً في الموازنة بين خطر الحرب وفائدتها وبين الشرور والمصائب التي تشهر الحرب لمعالجتها وازالتها

هذا وان اميال الناس الذين يتولون شؤون انفسهم متجهة الآن الى مقاومة كلّ ما من شأنهِ ان يجرّهم الى المشاكل الدولية والى تقليل سلطة حكوماتهم على تقرير السلم او الحرب. وتراهم ينظرون بعين النفور والاشمئزاز الى كلّ من يشير بتحكيم السيف ولو تلميحاً. واقول في الختام ان كلّ انكليزي او فرنسوي او اميركي او الماني يذكر الحرب مستخفاً بها مستهيناً بامرها لا يعدُّ رجلاً يركن اليهِ ويعتمد عليهِ في شؤون الدولة الخطيرة"

مستر روفس أيزاك

احد اعضاء مجلس النواب ومن كبار تجار لندن قال: —

"غاية ما نتمناهُ ان تتوصل الامم الى حلّ المشاكل التي تقع بينها بالتحكيم فتجتنب الحرب بذلك. ولكننا بعيدون عن هذه الامنية الآن. ومع ذلك فاعتقادي ان الناس سوف يصبحون اقلّ ميلاً الى الحرب واكثر رغبة في التحكيم لقطع اسباب النزاع. فان هناك مسائل كثيرة يمكن حلّها بالتحكيم اما مسائل النزاع على السيادة والنفوذ بين امتين فلا أرى كيف تحلُّ بهِ. ويكاد يستحيل تأليف مجلس يرضى بهِ المتنازعان لحسم ما بينهما من النزاع واذا أُلّف فبأية الطرق ينفَّذ حكمهُ. فان قوانيننا واحكام محاكمنا تنفذ بلا مقاومة لان قوات الدولة كلها تستخدم لتنفيذها اذا اضطرت الحال الى ذلك. ولكن كيف ينفذ حكم هذا المجلس في مصلحة احدى الامتين المتخاصمتين اذا رامت الامة الاخرى مقاومة تنفيذهِ"

السر وليم رمسي

احد كبار العلماء الطبيعيين عند الانكليز. قال

"ايّ شيء اقول ولم يُقل الف مرة. كلنا نتمنى ان تبطل الحرب وذلك يتأتى لنا من احدى طريقين. فإما ان امة من الامم تخرق معاهدة جنيفا وتستخدم في حروبها كرات محشوة بالحامض الهيدروسيانيك (غازسام جدًّا) او مادة اخرى تميت الجيوش خنقاً. وهذا يحدث اذا ضاقت بها الحيل ووصلت الى الحد الاخير في استقتالها فتدعو الحال حينئذٍ الى محاربتها بمثل ماتحارب بهِ واما ان انتشار اسباب الحضارة والتمدن يؤدي الى تأليف مجلس دولي لحل المشاكل الدولية وسماع الشكاوي المتعلقة بالرسوم الباهظة التي تفرضها دولة على واردات دولة اخرى وما شبه ذلك. ولا ريب ان كلاًّ منا يتمنى ذلك ولكني اظن ان الطريقة الاولى تجرب اولاً"

كافية بلا اجهاد مفرط وكان الطعام جيدًا معتدلاً والنوم حسنًا والهواء المحيط نقيًا والقلب خاليًا من الهموم الثقيلة دام نشاط العقل والجسد سنين كثيرة وعاش الانسان في شيخوخة صالحة خالية من اشد العلل التي تعتريها غالبًا . وفي كل ذلك موعظة للشبان والكهول ان يعيشوا عيشة راضية قنوعة طاهرة صحية حتى اذا بلغوا الشيخوخة كان لهم فيها شيء من الراحة واللذة

وقد رسم احد المصورين حياة الانسان في خمس صور وهو يحمل في كل واحدة منها حملاً . فالاولى صورة ولد حامل طاقة من الزهر وهو يمرح ويلعب في بستان جميل لا غم لهُ في ما مضى ولا هم في ما يأتي . والثاني صورة الولد شابًا رافعًا حملهُ بيدهِ اليمنى وهو يطلع جبلاً ويفتخر بقوة الشباب لا يعبأُ بما في الحياة من الكد والجد ولسان حالهِ يقول

اذا غامرت في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع بما دون النجومِ

وفي الثالثة صورتهُ كهلاً ولوائح الفكرة على وجههِ في ما يلقاهُ من صروف الدهر وعسر الحياة وهو يحمل حملهُ بلا افتخارٍ ولا ضعفٍ وقد علم بالخبرة صدق فيلسوف الشعراء القائل

تصفو الحياة لجاهلٍ او غافلٍ عما مضى فيها وما يتوقعُ
ولمن يغالط في الحقائق نفسهُ ويسومها طلب المحال فتطمعُ

وفي الرابعة صورتهُ شيخًا ضعيفًا يحمل حملهُ ويسير فيهِ خطوات ثم يضعهُ على الارض ويجلس ليستريح هنيهة ثم ينهض للمسير وهو يقول

فياليت الشباب يعود يومًا فأُخبرهُ بما فعل المشيبُ

والخامسة صورة محزنة صار فيها الشيخ هرمًا منطرحًا على الارض وحملهُ يجذبهُ الى قبر مفتوح ينظر اليهِ ويردد قول الشاعر الروماني الذي قال في هرمهِ : لقد بلغت المرفأ فاودعكما يا أملي ويا دهري كفى ما لعبتما بي فاذهبا الآن والعبا بغيري . وهو كلام لا يبعد عن المعنى الذي ارادهُ ابو العلاء بقولهِ

فياموت زُرْ ان الحياة ذميمة ويانفس جدّي ان دهرك هازلُ

وقد بلغتم الآن ايها الشبان عنفوان العمر وجزتم الدروس الاولى البسيطة ودخلتم هذه المدرسة الكلية لتتلقوا فيها العلوم العالية ثم الخاصة التي تؤهلكم لمباشرة المهنة التي تختارونها في الحياة . فاذكروا انهُ زمن الزرع وان ما تزرعونهُ في الحاضر تحصدونهُ في المستقبل كثيرًا كان او قليلاً خيرًا او شرًّا . ولا يقتصر هذا الكلام على ما تدرسونهُ من العلم ولكنهُ يشمل عوائد الكد والجهد والاخلاق والصفات التي تكتسبونها الآن وستميزون بها في جل عمركم والتي ستجعل لكم مقامًا ساميًا بين الناس او شأنًا حقيرًا فهو الزمن الذي يتكون فيهِ الخلق

في نفسهِ مدحهُ الناس او لم يمدحوهُ عرفوهُ او لم يعرفوهُ

للحياة من المهد الى اللحد ادوارٌ ولكلٍّ منها صفات خاصّة بهِ وقد اختلف العلماء في تقسيم هذه الادوار بحسب ما نظروا اليهِ من ظواهر الجسد او العقل او الاخلاق او صروف الدهر التي يتقلَّب الانسان فيها ولعل الاصح من الوجه العلمي انها ثلاثة ادوار وهي زمن النموّ والنشوء وزمن البلوغ وزمن الهبوط . اما الدور الاول فيتميز بانَّ من العملين القائمين ابدًا في الجسد وهما التحليل والتركيب اي دثور الجسم وتجديد بنائهِ — الغلبة لقوة التركيب فيحصل من ذلك اكتساب دائم في الحجم والقوة وفي ارتقاء الجسد والعقل . ويكون الطفل عند ولادتهِ في غاية العجز لا يُدرِكُ ولا يَعقِلُ شيئًا ولكنهُ يأخذ سريعًا في الشعور بما حولهُ وفي استعمال حواسهِ الظاهرة وفي التأمل بما يراهُ . غير ان اعظم ما يتعلمهُ في هذا السنّ هو الكلام الذي يميز الانسان بهِ على سائر الحيوان والذي تتشأ منهُ الصور العقلية والاشتراك بينها والذاكرة والمخيلة والعاقلة . وتكون اعمال العقل اولاً في الطفل ذاتية ثم تصير خاضعة للارادة وهذا الخضوع من اهمّ ما يطرأُ على العقل البشري وبقدر ما يستطيع الانسان ان يتولَّى العمل العقلي يستطيع ادراك ما يريد البحث فيهِ ادراكًا جليًّا والتعبير عنهُ بكلام صريح . ولما كان لهذا السن شأْن عظيم في التربية والتهذيب وجب احاطة الولد بكل ما يكسبهُ قوة الجسد والعقل وحسن الخُلق والادب ووجب ايضًا الانتباه الشديد لمن يعاشرهم ويتعلم منهم الصفات والعادات الحسنة او القبيحة . والنمو في هذا السن سريع الى السنة الخامسة عشرة ثم يبطئ تدريجًا الى ما بعد ذلك ببضع سنين قبل ان يصل الى زمن البلوغ الكامل

والدور الثاني وهو دور البلوغ يمتد في اكثر الناس من السنة الثلاثين الى الخامسة والاربعين ويتساوى فيهِ عمل التحليل والتركيب فيبقى كل هذا السن في ما يكون عليهِ من قوة الجسد والعقل وهو غاية ما يبلغهُ ولذلك يعدّونهُ افضل ادوار الحياة واقدرها على ما يستطيع الانسان ان يأتي بهِ من اعمال الدنيا . غير ان في هذا الامر كغيرهِ شذوذًا كثيرة فقد يسرع او يبطئ سير كلٍّ من هذه الادوار بحسب البنية الموروثة او نوع المعيشة فيعجز الانسان باكرًا او تدوم قوتهُ في زمن الشيخوخة

وفي الدور الاخير وهو دور الشيخوخة والهرم تضعف قوة الجسد والعقل وتعجز عن القيام بما يطلب منها بحيث انهُ قلما يستطيع الرجل شيئًا من الاعمال العظيمة بعد السبعين . وتأخذ قوة التركيب في التناقص فيقل البصر ويثقل السمع ويبلد العقل وتضعف الذاكرة ويأبى الشيخ العمل ويختار ملازمة بيتهِ متوكئًا على عصاهُ . غير انهُ اذا كانت الرياضة الجسدية والعقلية

لا يعرفُ الصحيحُ قيمةً لما كان من الصحة حتى يُبتلَى

ولا ينال الانسان العافية الاَّ اذا اطاع قواعد الصحة التي كثير منها معلوم لديكم فلا اذكر بعضها الاَّ على سبيل الاشارة فقط وسأُطيل الكلام في البعض الاخر. اما الطعام الذي تتجدد منهُ الخلايا المتنوعة التي تبنى منها انسجة الجسد والتي تشارك غيرها من كل حيّ في الولادة والعمل والموت فيجب ان تراعوا فيهِ هذه الشروط وهي ان يكون نوعهُ جيداً يؤكل باشتهاء في اوقات معينة وكميات معتدلة وان يمضغ على مهل حتى لا تحمل المعدة من العمل ما يجب عملهُ في الفم . واكثروا من تطهير افواهكم وانظروا ابداً الى نظافة اسنانكم وصحتها . وفي النوم راحة للجسد والعقل تسترد الطبيعة فيهِ ما تخسرهُ من القوة مدة اليقظة والعمل . وشروطهُ الصحية ان لا يكون اقل من ثماني ساعات للذين هم في سنكم . ولا يكون العشاء فخماً ولا يكون غطاء الفراش ثقيلاً وان يتجدد هواء الغرفة بواسطة شباك او اكثر صيفاً وشتاء خلافاً لمذهب العامة الذين يسدون النوافذ ويكثرون من الغطاء مدة النوم فيحرم النائم ولا يجد هواء نقيا لتطهير دمهِ وتشتد عليهِ الاحلام المزعجة . وقالوا خير النوم نوم مَن كان خاليَ البال سليم الضمير . والنظافة فقد سمعتم انها من الايمان وعرفتم ان بعض الاديان لا يجوز الصلاة الاَّ لمن اغتسل وطهر . فاغسلوا ارجلكم كل صباح كما تغسلون وجوهكم وايديكم واستحموا بالماء بقدر الحاجة والامكان . واعتنوا باظافيركم ولتكن اثوابكم ابداً نظيفة . الم تروا بعد غسل جميع الجسد ولبس الثياب النظيفة لذةً خاصةً تملأ النفس بهجةً وتؤهلكم لمعاشرة العظام في الهيئة الاجتماعية خلافاً لما اذا كان فيكم شيء من القذر الذي يخجلكم ويحقركم بين الناس . وقد نظم جلال الدين الرومي العجمي ابياتاً في هذا الصدد على غاية ما يكون من الحسن اشار بها الى قلب طاهر في جسد طاهر فقال ما معناهُ احفظ نفسك طاهراً في ثوبك وفمك ويدك وفي ما تأكلهُ وتشربهُ . واعلم يا ابني ان في طهارة الظاهر وسماً لطهارة الباطن

بقي لي ان اذكر لكم في هذا الباب شيئين لهما علاقة شديدة بحفظ الصحة. احدهما التعرض للهواء المطلق ونور الشمس . وقد ثبت الآن عند الاطباء بالاجماع انهُ اذا كان الهواء نقيًّا فهو المطهر العظيم للدم والدم يقضي وظيفتين هما دعامة الحياة . الاولى انهُ يحمل في الشرايين مادخلهُ من الطعام بعد هضمهِ حتى اذا بلغ الاوعية الشعرية اختارت خلايا الانسجة قوتها منهُ بحسب نوعها . والثانية انهُ يحمل في الاوردة ما يتحلل ويفسد من تلك الخلايا فاذا عاد الى القلب اندفع منهُ الى الرئتين ليلاقي الهواء الداخل اليهما بواسطة التنفس فيعطي الهواء ما حملهُ

بحيث يكون الانسان بعد ذلك شهماً رفيعاً مكرماً او لئيماً دنيئاً مخذولاً . وهو الزمن الذي تفعل فيهِ فواعل المعاشرة الصالحة والقبيحة التي اشار اليها شكسبير الشائع الصيت بقولهِ يجب على الشريف ان لا يصاحب الاَّ الشرفاء اذ لا يقوى على المصاحبة المفسدة مهما كان شديد العزم . وما اوصى بشأنهِ سليمان الحكيم حيث قال يا ابني ان تملقك الخطاة فلا ترضَ لا تسلك في الطريق معهم امنع رجلك عن مسالكهم . وما قالهُ الشاعر العربي

واحذرْ مؤاخاةَ الدنيّ فانهُ يعدي كما يعدي السليمَ الأَجربُ

معنى التهذيب في اللغة التنقية والاصلاح فاذا ابتغيتموهُ وجب عليكم ان تنبذوا كل ما فيهِ شرٌّ من السجايا والصفات والاميال وان تربوا في انفسكم كل ما فيهِ خير لكم . ولما كان كلامي لكم الآن في هذا الصدد رأيت اننا ننال الفائدة المطلوبة اذا نظرنا الى المسئلة من ثلاثة وجوه وهي تهذيب الجسد وتهذيب العقل وتهذيب النفس . ولكنني ارى ايضاً انها جميعها مسائل كبيرة لا اقدر ان اوفيها حقها في كل ما يدخل تحتها من الجزئيات وان المقال فيها لا يكون هنا الاَّ عامًّا وجيزاً

١ تهذيب الجسد . نقدّم الكلام في هذا الوجه من التهذيب كما قدّم العلماء علم الابدان على علم الاديان والسبب في ذلك ظاهر وهو ما ذكرهُ بعض افاضل العلماء الرومانيين من ان العقل الصحيح في الجسد الصحيح وقد صار هذا القول مثلاً سائراً من ذلك الزمن القديم الى الآن ولو كان لهُ شذوذ احياناً . وقد اثبتهُ علم الفيسيولوجيا الحديث بان الدماغ آلة العقل الذي يعمل بها ومن الواضح ان اعمالهُ لا تكون محكمةً الاَّ اذا كان الدماغ صحيحاً يغتذي بدمٍ صحيح وهذا لا يكون الاَّ اذا كان الجسد صحيحاً . فاذا فسد تركيبهُ ادّى ذلك الى الجنون واختلال القوة العاقلة واذا فسد تداؤُهُ بواسطة السكر او الحمّى او غير ذلك اضطربت اعمال العقل وشوهدت فيها ظواهر الهذيان . وفي هذه العلاقة الشديدة بينهما دليلٌ كافٍ على ان الانسان لا يتمتع بصحة العقل الاَّ اذا كان متمتعاً بصحة الجسد . فانظروا اذن الى صحة ابدانكم اذا شئتم ان تكونوا اصحاء العقول

ثم كما ان صحة الجسد تؤَدي الى صحة العقل فهي ايضاً من اعظم الموجبات لسرور الحياة لان العافية اللذيذة قائمة بحسن قيام وظائف الجسد . ولما كانت هذه الحالة مألوفة عندنا فاننا نغفل عن قيمتها العظيمة وننساها ولا نعبأُ بما يضرّها من الاسباب التي في يدنا منعها ولا نذكرها الاَّ متى سلبت منا وصدق فينا قول القائل "العافية تاج على رؤُوس الاصحاء لا يراهُ الاَّ المرضى" وقول الشاعر

بها انواع الرياضة التي يباشرها الشبان لبلوغ منتهى القوة العضلية منها . واضاف بعضهم كلمة ثالثة مأخوذة عن اليونانية ايضاً هي الكلستنيك ومعناها الظرف والجمال لسبب ما تؤدّي اليهِ من ذلك واكثر استعمالها في مدارس البنات

ولا تُباشَر الرياضة عادةً الاَّ في الخارج فيكون فيها اذًا فائدتان التروُّض والتعرُّض للهواء المُطلق ولنور الشمس . واذا شئتم ان تروا ما لذلك من النفع للقوى الجسدية فانظروا الى شدّة ابدان الفلاحين والمكارين وغيرهم من الذين يقضون اكثر زمانهم في الحقول والفلوات ويعيشون في ما بقي عيشةً حقيرة في المسكن والطعام والنظافة الى غير ذلك من شروط الصحة . ثم قابلوا ما ترونهُ فيهم من القوة وصحة اللون بما ترونهُ من الضعف وصفرة الوجه في اهل المدن الذين يعيشون عيشة الرفاهة في الازقة المزدحمة والمنازل المزخرفة التي كثيرًا ما لا يدخلها كفاية من نور الشمس والهواء النقي . او انظروا الى عرب البادية وهم غير العرب الذين يجاورون المدن فقد قال فيهم احد كبار العلماء انهم اصحّ اهل الارض بنية وهم في الخلاء ابدًا ليلاً نهارًا مطبوعون على محبة الشجاعة والمروءة وعزّة النفس وركوب الخيل وكأن قد اجتمع في ابي الطيّب وهو واحد منهم اكثر من ذلك فانشد يقول

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلمُ

وكان للرياضة والقوة العضلية عند قدماء اليونانيين والرومانيين شان عظيم فبلغوا فيها منتهى الامكان وانشأوا منذ سنة ١٤٥٣ ق . م جهادًا يعقد عند جبل اولمبس مرة كل خمس سنين ويدوم خمسة ايام في مشهد عظيم ولم تبح المسابقة فيهِ الاَّ لمن قضى عشرة اشهر في مدرسة ايليس التي اشتهرت في ذلك الزمان بفن التمرين الجسدي . وكان اخص مباراتهم في الركض والوثب والمصارعة والملاكمة ورمي الكرة ترون بعضها مصورًا على طوابع البريد التي اصدرتها الحكومة اليونانية سنة ١٨٩٦ ذكرًا لاعادتها الى بلادهم في تلك السنة . فكان الجزاء للغالب عند اليونانيين اكليلاً من ورق الزيتون فقط اكتفاءً بما في الغلبة من الفخر ثم اذا رجع الى بلدهِ لاقاهُ الشعراء والمنشدون رجالاً ونساء وادخلوهُ بالتهليل من ثغر فتحوهُ في السور تكريمًا لما نالهُ من مجد الظفر . ولكنهم غالوا وجاوزوا الحد لما اقاموا في مراسحهم الكفاح بالسيف حتى اذا سقط المغلوب على الارض كان للغالب ان يقتلهُ اولا بحسب ما اراد جمهور المشهد فان كانوا قد رأوا فيهِ علامات القوة والشجاعة رفعوا اباهمهم اشارة الى تركهِ وشأنهِ وان رأوا فيهِ الضعف والجبن خفضوها فكانت القاضية عليهِ بالقتل ثم يجرونهُ من المرسح كالكلب الميت والناس يصفقون طربًا . ودامت هذه العادة الوحشية الى القرن السادس

من المواد الفاسدة ويأخذ منهُ جوهرًا مطهرًا سماهُ قدماء الاطباء بالروح الحيواني وهو الاكسجين عند الحديثين . وبناء على ذلك فكلما كان الهواء نقيًّا كان اصلح وافعل في تنقية الدم وقد اهتدى اطباء هذا العصر في مداواة المصابين بالحميات والسل والامراض المزمنة الى تعريضهم للنور والهواء المطلق في المستشفيات او في مساكن مبنية على اسلوب خاص لمقابلة الهواء والنور بعيدة عن هواء المدن الفاسدة وسموها مساكن الصحة او مصاح (Sanatoria) وهم يفضلون هذه الطريقة على غيرها ويعولون عليها وبعضهم يرتاب في فائدة العلاج بالعقاقير . وقد شاهدت بعض الذين برأوا بواسطتها من امراض لم يكن يرجى لها الشفاء . اما النور وحدهُ فلا بد انكم قد سمعتم انهم الآن يعالجون ببعض اشعتهِ امراض الجلد المستعصية ففازوا بذلك فوزًا لم يعهد مثلهُ في ما مضى . فادخلوها الى غرفكم واخرجوا اليهما وطالعوا كتبكم ما امكن بين الاشجار وفي الفلاة الواسعة

والامر الثاني الذي لهُ شأن عظيم في ما نحن فيهِ الرياضة . قال الشيخ الرئيس ابن سينا فيها انها حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر وتدفع فضلات الجسد وتنعش الحرارة الغريزية وتصلّب المفاصل والاوتار وتعدّ الاعضاء لقبول الغذاء واذا كانت معتدلة كان بها غِنًى عن كل علاج في بعض الامراض الى ان قال وكثيرًا ما يقع تارك الرياضة في الدق لان الاعضاء تضعف قواها لتركها الحركة الجالبة اليها الروح الغريزية (أكسجين الهواء) التي هي آلة حياة كل عضو . وقسمها الى ما هو عنيف ولطيف ومعتدل وشرح ما كان في زمانهِ (سنة ٣٨٠ هجرية) من انواعها وهي المنازعة والمباطشة والملاكزة والاحضار وسرعة المشي والرمي من القوس والزفن والقفز والحجل والمثاقفة بالسيف والرمح وركوب الخيل والاراجيح واللعب بالكرة والصولجان والطبطاب والمصارعة الى غير ذلك من انواع اخر وما لها من الفوائد لكل عضوٍ من اعضاء الجسد كالتبصر الدقيق للعين واجهاد الصوت للحلق والنهي عن بعضها في بعض العلل . وقد أُهمل كثير منها في هذه الايام وبُدلت بغيرها من الالعاب الحديثة التي انتم اعلمُ مني بها . غير انهُ مهما حدث من التغيير في نوع الرياضة وكيفما انفردت الامم في ما اصطلحوا عليهِ فلا خلاف في وجوبها بل هي قد صارت قسمًا لازمًا في التربية المدرسية من زمن الصبوة الى زمن الشباب ومن اصغر المدارس الى اعلاها . واقتبسوا من اللغة اليونانية كلمتين للتمييز بين المعتدل منها والعنيف الاولى الجمنستيك ومعناها التعرّي لانهم كانوا يتصارعون وهم عراة الابدان وتسمّى بها المدارس المتوسطة عند الجرمانيين (Gymnasia) اشارةً لما في درس العلوم من التمرين والتهذيب . والثانية الأثلتيك ومعناها المصارعة والمجاهدة ويريدون

الخطر الابيض والخطر الاصفر

يرى بعض كتّاب الافرنج ان روسيا جنت على الجنس الابيض ما لم يجنهِ رجل ابيض على اخيهِ من قبل . فانها اقدمت على محاربة اليابان ولم تستعد لذلك كبيرًا واستهانة حاسبة انها في اضعفها تفوق اليابان في اشدها وانها ستعقد الصلح مع اليابانيين في طوكيو عاصمتهم بعد اذلالهم ولا يلزم لذلك من الزمان اكثر مما قدر الانكليز لشرب الشاي في عاصمة الترنسفال ولكن الرياح جرت بما لا تشتهيهِ سفنها وعادت من المعمعان وقد فقدت كل شيء سوى شرف جنديتها واظهرت للصفر ضعف البيض في نزالهم واشعرتهم بقوتهم المستكنة فيهم . وبناء على ذلك سيهبون من سباتهم العميق ويأخذون بالثار من البيض لقاء استخفافهم بهم واعتدائهم على املاكهم هذا الزمان الطويل . وهنا مصدر الخطر الاصفر

ولكن فئة اخرى من الكتاب ترى غير ذلك ترى ان نتيجة الحرب الحاضرة كفّ يد الابيض عن الاصفر ليس الاَّ اعتقادًا بان الميل الى السكون والمسالمة خلق من اخلاق الرجل الاصفر الجوهرية وطبع فيهِ يغلب كل تطبع . ومنهم المستر انتش الرحالة كاتب هذه المقالة فانهُ نشرها في مجلة القرن التاسع عشر بعنوان " الخطر الابيض " وابان فيها انهُ ان وجد هناك خطر فهو الخطر الابيض اي خطر ابتلاع الرجل الابيض للاصفر وقد زال بالحرب الحاضرة . اما الخطر الاصفر فوهم من الاوهام او حلم في المنام . قال

تعدُّ حرب روسيا واليابان فاتحة عصر جديد في تاريخ علاقتنا بالشرق ويرجح ان تكون نقطة انقلاب في مجرى الحوادث المستقبلة . هل خطر على بالنا نحن الغربيين الذين كثر تحدثنا بالخطر الاصفر ان نقابل بعين الشرقي بين الماضي والحاضر لنرى ماذا يقولهُ المشارقة عنا . فلا بد ان يكون قد رأى الخطر الابيض على ازدياد سنة فسنة منذ ابتداء علاقتنا بالشرق حتى الآن حين اشتد ساعد اليابان ونهضت تروم ايقافنا عند حدنا . وكل من خبر الشرق ولو قليلاً لا يعسر عليهِ تصور ما يظنهُ الصينيُّ واليابانيُّ فينا وما يشعران بهِ من نحونا . واذا تذكرنا تاريخ الماضي ونظرنا اليهِ بعين خالية من الغرض لم يدهشنا سلوكهما لانهُ نتيجة لازمة لا بد منها

قال المسيو اناطول فرانس " ان ما يؤديهِ الروس الآن في بحار اليابان وسهول منشوريا انما هو ثمر سياسة الشره والقسوة التي اتبعوها في الشرق وثمر السياسة الاستعمارية التي جرت

للتاريخ المسيحي في يوم من تلك الايام المشهودة والجريح مطروح على الارض والغالب شاخص ببصره الى الناس ليرى هل يريدون قتلهُ او تخلية سبيلهِ وثب راهب من خدمة الدين الى حفرة المتصارعين ورفع يدهُ نحو السماء ناشداً القوم بالله ان لا يرتكبوا جريمة القتل . وكانوا حينئذٍ في حالة الهياج الشديد فرجموهُ بالحجارة الى ان مات شهيداً . ولما وصل الخبر الى ثيودرك امبراطور الرومانيين في ذلك الحين تحركت فيهِ عواطف الرأفة وامر بابطال تلك العادة القبيحة فكان موت الراهب الشهم الجسور موتاً لها . ومن ذلك الزمان الى الآن لم يبق لها اثر الاَّ مقاتلة الرجال للثيران في اسبانيا وهي مكروهة مذمومة عند غيرهم من الامم الاوربية لما فيها من القساوة والعذاب للحيوان والانسان فلا بد من زوالها في عهد قريب

وقد تبيَّن لكم ايها الشبان مما تقدَّم ما يمكنكم اجتناؤهُ من الفائدة العظيمة مدة الشباب من ترويض الجسد وتصليب اعضائهِ من حيث القوة في العمل واللذة في العافية ونشاط العقل في مهامّ الحياة . وقد كان الكلام في ما سبق من الوجه الايجابي واطلت البحث فيهِ وبقي الآن ان اقول شيئاً وجيزاً من الوجه السلبي . وحاصلهُ ان ابعدوا عن كل ما يوجب الضعف وعن كل عادة من العادات السرّية او الظاهرة التي تنهك قواكم وتذهب بروائكم والقوا عن انفسكم كل نوع من الكسل والتواني في دروسكم واعمالكم . واجتنبوا التدخين فان الافراط فيهِ يضعف القابلية للطعام وهضمهُ ويفسد رائحة الفم ويفعل فعلاً ذريعاً في المجموع العصبي ويعارض النموّ الذي انتم لا تزالون في دورهِ فهو محرَّم عليكم في هذا السن . واحذروا كل نوع من المشروبات الروحية فانها كيفما كانت لغيركم فهي سمٌّ لكم . ولا تقربوا شيئاً من المقامرة التي تتلف الزمان وتفسد الاخلاق وتهيج المطامع وتذهب بخلوّ البال وراحة النوم ولذة العافية وتؤدي الى خسارة المال وخراب البيوت آجلاً او عاجلاً . وقد درس بعضكم وسمع البعض الاخر بالجراثيم المرضية المنتشرة في الهواء والماء والطعام او التي يحملها البعوض والذباب فاعلموا ان الطبيعة قد هيَّأت في الدم خلايا خاصة لمقاتلة المكروب على انواعهِ واهلاكهِ بحيث اذا دخل الدم لاقتهُ تلك الخلايا وابتلعتهُ فان كانت اقوى منهُ قتلتهُ ولاشتهُ ولكن اذا كان هذا الجيش المدافع ضعيفاً مما تعملون من الاسباب المضعفة لهُ قوي عليهِ المكروب الغازي وقتلهُ واهلكهُ واستفحل في الجسد وفتك بالصحة او الحياة . وعلى ذلك فكل ما يأول الى حسن الصحة فهو ناصرٌ لما في الجسم من قوة الدفاع وكل ما يوهن تلك القوة فهو حليف العدوّ والعاضد لهُ في البطش ولا يحلُّ للانسان ان يلقي بيدهِ الى التهلكة

ستأتي البقية

اضطررنا ان نداوي العلّة بانفسنا فضبطنا كلَّ ما وجدنا منهُ واتلفناهُ . فعدَّت حكومتكم عملنا هذا ذنبًا وتحلت منهُ لها عذرًا لان تشهر الحرب علينا . فغزوتم ارضنا وفرضتم علينا غرامة واخذتم منا جزيرة هنغ كنغ فرضخنا مكرهين لاننا لم نكن دولة حربية . ولكن هل تظنون اننا لم نتألم ونستفظع الامر أو هل تظنون لما قامت كلُّ دولة من دول اوربا ووضعت يدها على قطعة من ارضنا اننا لا نشعر لاننا لم نقاوم . ايراكم الصينيُّ الذي يراجع تاريخ اتصالكم بنا في الستين سنة الماضية خيرًا من زمرة لصوص او جماعة قرصان . ومَنْ مِنَّا نحن الفريقين تراهُ الفريق المعتدي أنحن الذين كنا عاقدين النية على الاحتفاظ بهيئتنا الاجتماعية وعاداتنا وشرائعنا ونظام حكومتنا وصونها من شوائب التمدن الاجنبي ام انتم الذين حملكم حبُّ الكسب التجاري على دخول بلادنا وادخال خميرة تمدنكم وآرائكم اليها مع بضاعتكم . واذا كنا قد اسأنا اليكم في نزاعنا معكم بعد ذلك فانَّ لنا عذرا وهو محافظتنا على انفسنا . واغلاطنا — إن صحَّ أن تسمَّى اغلاطًا — انما هي حوادث مبنية على حقّ ثابت الدعائم ولكنَّ اغلاطكم هي اعمالكم نفسها

تأملوا القيود التي قيدتم بها مملكة عريقة المجد اعتقدت قرونًا طوالاً انها في مقدمة الممالك حضارة ومدنية . فلقد اكرهتونا على فتح موانينا وثغورنا في وجه تجارتكم والسماح بادخال عقار مهلك لشعبنا واخرجتم رعاياكم المقيمين بيننا من تحت سلطة قوانيننا وتملكتم تجارة سواحلنا والآن تدعون تجارة انهرنا . وكلما حاولنا مقاومة مطالبكم اضفتم اليها مطالب جديدة وزدتم اعتداء وخيلاء . ومع ذلك كلهِ تدعون انكم امم متمدنة ساقها النكد وسوء الطالع الى معاملة امم همجية "

اما الحوادث التي جرت في الصين في خلال الخمسين سنة الماضية فتشبه معاقبة الصينيين لقاتل ابيهِ بقطع قطَع من بدنهِ . فاننا بدأنا تنفيذ الحكم بقطع هنغ كنغ وتلتنا فرنسا فاقتطعت الهند الصينية بلا اقل عذر . ثم روسيا فاقتطعت بورت ارثر ومنشوريا ثم المانيا فاقتطعت كياوشاو . وفي اوربا كثيرون يرون ان ذلك خير ما ينال الصين وانهُ لابد من تصيير اهلها غربيين في تمدنهم ونوع اجتماعهم رضوا بذلك او لم يرضوا . على ان الذي يجوب الصين ويقابل بين معيشة الاهالي الذين عاشروا الاوربيين وخالطوهم ومعيشة الاهالي الذين في داخلية البلاد يشك في ما اذا كان الاولون احسن حالاً من الآخرين . نعم ان وسائل الرفاه المادية زادت زيادة قليلة ولكن بعد ان دفع ثمن غالٍ بها . فان بعض نتائج مدنيتنا النزاع والمزاحمة والتعب وبعض نتائج المدنية الشرقية السلام والقناعة والراحة وليست هذه الراحة في شيء من كسل الهمج والمتوحشين بل هي جزاء كدٍّ وكدح لا مثيل لهما . ولا غنى

اوربا كلها عليها ايضاً . وما يكفرون بذلك عن ذنوبهم وحدهم بل عن ذنوب العالم كلهِ في خطتهِ الحربية والتجارية "

اما الخطر الاصفر الذي بات اشهر من ان يذكر بعد ما قال الكتّاب فيهِ ما قالو الصورة التي صوّرها بهِ امبراطور الالمان — فانما هو رجم بالغيب او وهم من الاوهام ان الخطر الابيض ليس في شيء من ذلك بل هو حقيقة قُدّت من جسم قارة اسيا و بدم الرجل الاصفر . فانهُ لما دخل الروّاد والتجار الاولون بلاد الصين واليابان اس اهلوها على الرحب والسعة ورغبوا في معاملتهم بشرط ان يخضعوا لقوانين البلاد ولا ية للشؤُون الاجتماعية والسياسية . وبعد سقوط دولة منغ الصينية في القرن الخامس أُقفلت ابواب الشرق الاقصى في وجه كل اجنبي حتى القرن السادس عشر حين جعل ا من اسبانيا والبرتوغال يرتادون الصين قصد الاكتشاف فكان الاهالي يرحبون بهم امبراطور الصين حينئذٍ لبعضهم بالاقامة في ثغر كنتون للاتجار ولكنهم طغوا وتجبروا سلوكهم حتى اضطرّت الحكومة ان تبعد احدهم من كنتون واسمهُ سيمون اندرادا قصاد ما ارتكب من الذنوب فسافر شمالاً ونزل في اموي ونبو وتبعهُ غيرهُ اليها فعاثوا في ا سلباً ونهباً واغتصاباً فثار الصينيون عليهم وذبحوا مئات منهم واحرقوا عدداً كبيراً من س واصدر الامبراطور امراً بقطع كلّ علاقة معهم

وبعد ذلك أنفذت الامبراطورة كاترينا الاولى الروسية الكونت فلادسلافتش في الى بكين فاكرم امبراطور الصين وفادتهُ وعقد معهُ معاهدة تجارية ولكن الاهالي لم يش معاملة الاجانب فابلغوا الروس انهم يكرهون التجارة الاجنبية لان بلادهم تخرج لهم كل يحتاجون اليهِ من حاجي وكماليّ وانهم قانعون بما هم عليهِ لا يطلبون المزيد ولكن الروس ان لهم حقاً في المتاجرة بينهم رضوا بذلك او لم يرضوا وحذا سائر الاوربيين حذوهم فيما ب

ولتنجلي للقارىء الحقيقة في هذا الشأن نسمع ما قالهُ صينيٌّ عن سبب قطع العلائق بلادهِ والغرب لاول مرة مخاطباً بهِ الاوربيين . قال

" لما جاء قومكم الاولون الى الصين لم يكن مجيئهم بدعوة منا فسمحنا لهم بالاقامة ب ولو لم نحتفِ بهم . وكنا نعاملهم ونتاجر معهم ما داموا خاضعين لقوانيننا . واول خلاف ب وبينهم وقع على مسألة لم تجرأُوا انتم انفسكم على المدافعة عنها اعني بها سلوككم فان قسماً كب من تجارتكم كان بالافيون وكنا قد رأينا ان شرب هذا العقّار متلف لاجسام الاهالي مف لآدابهم فحظرنا الاتجار بهِ . ولكنّ تجاركم خرقوا القانون وجعلوا يهرّبون الافيون -

بلادها . وتلت انكلترا غيرها من الدول الاوربية

واول قتال بين اليابانيين والغربيين جرى سنة ١٨٦٣ حين أُسكتت مدافع اليابانيين وأُغرقت ثلاث من سفنهم وكانت نتيجة تلك المعركة اقناع اليابانيين باقتباس سلاح خصومهم واقتباس التمدن الذي يقتني ذلك السلاح . وهنا كل الفرق بين هذين الشعبين الصيني والياباني فان الاول اتخذ السياسة سلاحاً لهُ على ضعفها واما الثاني فانهُ ادرك السبيل الوحيد الى حفظ استقلالهِ وهو السلاح الماضي ورأى في اخضاع انكلترا للهند واستيلائها عليها عظة وعبرةً لاتبرحان عن بالهِ . ولم يفعل اليابانيون ما فعلوا اعجاباً بمدنيتنا او علومنا او فنوننا او عاداتنا او مذاهبنا او آدابنا بل دفاعاً عن انفسهم من الخطر الابيض . وليس في تاريخ العالم ما يماثل شدة اندفاعهم وقوة ثباتهم في قضاء مآربهم وتنفيذ الخطة التي رسموها لانفسهم . ومن دلائل فطنتهم وامتلاكهم لاهوائهم انهم احجموا عن مقابلة قوة الغرب بالقوة حتى اتموا استعدادهم لذلك . فانهم لما شهروا الحرب على الصين علموا ان في طوقهم اذلالها على اهون سبيل ولما أُمروا باخلاء بورت آرثر خيف ان يتمرد الجيش ولا يصدع بالامر ولكن المارشال اوياما بذل كل مالهُ من النفوذ الشخصي حتى تمكن من حمل الجيش على اطاعة الامر واخلاء القلعة

وفي سنة ١٨٧٣ كانت الحرب بين روسيا واليابان على قاب قوسين او ادنى بسبب كوريا فان الوفد الياباني عاد من اوربا مدهوشاً بما كانت الدول وخصوصاً روسيا تبذلهُ من الاستعداد الحربي فكتب تشيمتشي تقريراً قال فيهِ ان روسيا بتوسيع املاكها جنوباً باتت الخطر الاعظم على اليابان وعليهِ فان الغاية الاولى التي يجب ان ترمي سياسة اليابان اليها انما هي صدُّ روسيا عن التقدُّم في كوريا . ورأى كثيرون من رجال الحكومة اليابانية حينئذٍ ان خير السبل الى بلوغ ذلك المرمى ان تشهر الحرب على روسيا حالاً ووضعت الخطط لغزو كوريا واحتلالها ولكنَّ الاكثرية رأت انهُ لم يئن الاوان لذلك وفازت برأيها قائلة انهُ اذا تأنت اليابان نالت ما تتمنى من روسيا . ومن ذلك العهد وضع كلُّ يابانيٍّ نصب عينيهِ محاربة الروس عاجلاً او آجلاً . وكانت حرب الصين تجربة أسفرت عن نتيجة مرضية لليابانيين وهي معرفتهم انهم اصبحوا اهلاً لتقلُّد سلاح الغربيين واستعمالهِ ولكن ختامها وقع وقع الصاعقة في قلب الامة كلها لاخذالها في ميدان السياسة وحرمانها من بورت آرثر ثمرة انتصارها ظلماً وعدواناً بمكيدة دبَّرها بعض الدول الاوربية فزادت خوفاً على خوف من الخطر الابيض وباتت تحسب لهُ الف حساب

هذا وقد كان اشتراك اليابانيين في الحملة الاوربية المختلطة التي وجِّهت على الصينيين

للذي يروم الوقوف على حقيقة ما هي البلاد وما هم اهلها عليهِ من السياحة فيها

وقياس المدنية الغربية عند الصيني ما يراهُ منها في شنغاي وتيان تسن وهنغ كنغ وغيرها من الثغور المفتوحة لتجارة الاوربيين فهناك يرى الابنية الباذخة والشوارع الواسعة والجواري المنشآت كالاعلام والنظافة الخارجية التي اساسها الماء والصابون. هذا كلُّ ما يراهُ من الحسنات ثم ينتقل منها الى حانات المسكر واماكن الفسق والخلاعة فتحجب مساوئها وشرورها محاسن الاولى في اعين قوم لولا الافيون الذي اكرهناهم على اعتيادهِ لكانوا من اهل الصحو والاعتدال. فان شوارع المدن المذكورة وغيرها ملأى من حانات يجرع قاصدوها المسكر على نغمات بيانو تلعب عليهِ عاهرة من العواهر حتى يخيل للصيني الذي يشاهد ذلك ان السكر والدعارة اعظم مايتسلى بهِ الاوربي. ولا يسع شعباً هو ارق شعوب الارض جانباً واوفرها ادباً واكثرها تجملاً ولطفاً الاَّ ان يقابل اخلاقهُ هذه بصلف الاوربيين الذين يعاشرهم وخشونة طباعهم وشدة خيلائهم. ثم انهُ لا يدرك معنى سعيهم في اخراجهِ عن مذهب كنفوشيوس وبوذا ونقائصهم ورذائلهم اكثر جلاءً من الصبح لذي عينين. وهو يعد طغمات المرسلين والمبشرين خطراً عليهِ وعلى بلادهِ وحقهُ ان يعدهم كذلك لان المبشرين بانجيل السلام لم يكونوا في غالب الاحيان سوى ممهدين للقلاقل واغتصاب البلاد من اهلها

اما اليابان فلم يكن اهلوها اقل من الصينيين اكراماً لضيوفهم من رواد وتجار فانهم اكرموا وفادة المبشرين بينهم من عهد القديس فرنسيس زفير في اواسط القرن السادس عشر ولم يغيروا معاملتهم لهم حتى جعل المرسلون يتعرضون للسياسة او حتى اشتبه الاهالي في تعرضهم لها

وفي سنة ١٨٥٣ نزل الكومودور بري الاميركي الى يوكوهاما قصد الاتفاق مع اليابانيين على فتح بعض ثغورهم للتجارة الاجنبية. فانقسم ولاة الامر منهم الى قسمين قسم يرئسهُ البرنس ميتو وكان من رأيهِ رفض ماطلبهُ الكومودور بري قائلاً انهُ لما كانت التجارة غرضهُ وغرض قومهِ فسوف يخربون البلاد تدريجاً ويعاملونها كيف شاؤُوا وربما انتهت الحال بابتلاعهم اليابان. فاذا لم نطردهم الآن فلن تسنح لنا فرصة اخرى لطردهم في مستقبل الزمان. واما القسم الآخر فكان زعيمهُ الشوغن فقالوا ان اليابان لاتقوى على مقاومة الغريب وان افضل خطة تجري عليها عقد المعاهدات باحسن مايمكنها من الشروط حتى يأتي يوم تقتني فيهِ سلاح الغربيين وتحسن استعمالهُ. وعلموا ان الحق لاينفع مالم تظاهرهُ القوة. فرجح قولهم وعقدت معاهدة بين الشوغن والكومودور بري سنة ١٨٥٤ واخرى سنة ١٨٥٧. وفي السنة التالية عقدت معاهدة بين انكلترا واليابان اشترطت اليابان فيها على انكلترا ان لاتدخل افيوناً الى

قياضاً بردّ منشوريا اليها . وبلاد فوكيان هذه هي البلاد المواجهة لجزيرة فرموزه على ساحل الصين الشرقي وهي ضمن دائرة نفوذهم

على ان من نتائج الحرب التي لا بدّ منها تمكين ربط الوداد بين تينك السلطنتين الاسيويتين وتقريب الواحدة منهما الى الاخرى . وحالما يشتدّ ساعد الصين وتصبح من الدول التي يعتدّ بمحالفتها لا يبعد ان نرى بينها و بين اليابان محالفة هجومية دفاعية . وظاهر للعيان انهُ قد آن الاوان لان تردّ الدول يدها عن الشرق الاقصى ولا تمدها فيما بعد لامتلاك بقاع منهُ . ولا يبعد ان تفضي الحال الى اكثر من ذلك عاجلاً او آجلاً فيصلنا انذار بان نخلي واي هاي واي بعد طرد الروس من بورت آرثر وتنذر المانيا باخلاء كياوشاو ولعمري ماذا يفعل الالمانيون لو جاءهم هذا الانذار وما هي القوة التي يقاومون اليابان بها . وقس علينا وعلى المانيا فرنسا

فيظهر من ذلك ان الخطر الابيض في شرق اسيا صائر الى الزوال ان لم يكن قد زال وان قاعدة منرو [1] التي يجري الاميركيون عليها من جهة اميركا مطبوعة في صدور مئات الالوف من الاسيويين من جهة اسيا ونافذة فعلاً ولو لم يصرح بها قولاً . وسيرى كثيرون في ذلك تحقيقاً لاعظم تخاوفهم من الخطر الاصفر . قال المسيو اناطول فرانس "وسنرى عن قريب خطراً يتهددنا . فاذا وُجد فمن أوجدهُ . فليس اليابانيون هم الذين جاءوا يفتشون عن الروس ولا الصفر هم الذين يفتشون عن البيض . وان كنا قد درينا بالخطر الاصفر الآن فان الاسيويين دروا بالخطر الابيض منذ زمن طويل . ألم يكن دك القصر الصيفي الى الارض ومذابح بكين وتقطيع اوصال الصين اسباب قلق واضطراب للصينيين . ام كان اليابانيون آمنين على انفسهم ومدافع بورت آرثر مصوبة اليهم . فقد ولدنا نحن الخطر الابيض وهو ولد الخطر الاصفر"

وكما ان الخطر الابيض ولد الخطر الاصفر فكذلك موت الاول يجلب موت الثاني . فان من يلم بتاريخ الصينيين و يعلم حق العلم ما طبعوا عليهِ من المسالمة وكره المخاصمة يضحك استهزاءً بمن يقول انهم يغيرون ذلك الخلق فيهم و ينقلبون من تلك السجية الى ضدها فيصيرون محاربين بعد ان كانوا مسالمين لان ذلك يستلزم تغييراً جوهرياً في طبع الامة كلها والصينيون لا يقبلون تغييراً . انتهى

---

(١) احد رؤساء الولايات المتحدة الاميركية وقاعدتهُ اميركا للاميركيين

سنة ١٩٠٠ كافياً ليرينا ما بلغتهُ الجيوش اليابانية من الدربة في ضروب القتال. وقد كنت في اليابان قبل اعلان الحرب الحاضرة بسنة فرأَيت هناك دلائل كثيرة على ان الامة كانت تستعدُّ لهذه الحرب الهائلة وانها تتوقع اعلانها في القريب العاجل . ثم غادرت البلاد وانا موقن ان الحرب واقعة لا محالة وانهُ لا تمضي شهور كثيرة حتى يستطير شرارها ويثور غبارها . ولكني عدت فغيَّرت رأيي وانا عائد الى بلادي بطريق سيبيريا وروسيا لما رأَيت الروس على تعدد طبقاتهم مجمعين على القول ان لا حرب وان اللعبة التي يلعبونها في الشرق الاقصى مجرَّد تهويل او ما يسميهِ لاعبو البوكر "بلَف" فلعبوا لعبتهم ولكنهم تمادوا في تهويلهم الى حدّ ان لم تجز حيلتهم على خصومهم فسقط في ايديهم وعادوا من لعبتهم بخفي حنين

ولما اطلق اليابانيون مدافعهم الاولى في هذه الحرب على السفينتين فارياق وكورتز الروسيتين في ميناء شملبو كان لاطلاقها معنى غير اعلان الحرب على روسيا وهو ان الشرقيين قاموا يناهضون الغربيين بعد طول الاستعداد لمنع اعدائهم عليهم وانهم كالوا للكومودور بري الاميركي بالكيل الذي كال لهم وعقدوا النية على صدّ الخطر الابيض بالقوَّة . وقد دلَّت حوادث السنة الماضية على ان اليابانيين لم يقدروا قوتهم فوق قدرها. ومهما يكن هناك من الريب في نتيجة المعركة البحرية عند كتابة هذه السطور لا سيما بعد ما ابداهُ الاميرال روجستفنسكي الروسي من المهارة في ايصال اساطيلهِ الى مياه الشرق الاقصى فلا يكاد احد يرتاب في نتيجة الحرب الاخيرة . فاذا اصرَّ الروس على مداومة الحرب فلا بدَّ ان يصيب ڤلادڤستوك ما أصاب بورت آرثر وينالهم في خربين ما نالهم في مكدن

ومما لا يكاد يشكُّ فيهِ ايضاً ان من شروط الصلح اخلاء روسيا لمنشوريا وردَّ جزيرة سغالين الى اليابان . وقد اخذت نتائج هذه الحرب تبدو على الصين من كلّ جانب وزادت الحركة الآئلة الى سير الصين في خطة اليابان . وقصد اليابان في السنة الماضية عدد عظيم من التلامذة الصينيين لم يسبق لهُ مثيل ففي توكيو وحدها اربعة آلاف تلميذ على حين ان عدد التلامذة الصينيين في انكلترا لا يزيد على ٨٠ تلميذاً مع عظم التجارة التي بين انكلترا والصين. وفي الصين عدد كبير من الضباط اليابانيين يعلمون الجيش الصيني ويدربونهُ ويديرون ترسانات الحكومة . فتأثير هؤُلاء والتلامذة الصينيين عند رجوعهم الى بلادهم في جمهور الامة الصينية لا بدَّ ان يكون عظيماً . ومع ان نار الحرب مستعرة بين روسيا واليابان فقد زادت حركة التجارة ما بين الصين واليابان زيادة تذكر مما ينبئُ بعظم اتساعها بعد الحرب . ويؤمل اليابانيون ان ينالوا امتيازات من الصين بالتعدين ومدّ سكك الحديد في بلاد فوكيان

مستقلة كذلك منذ الوف والوف الوف من السنين . ولكن البحث في المتحجرات الارضية يدلُّ على ان هذه الانواع لم تكن كذلك منذ اول عهدها بل كان لكثير منها اصل واحد يجمعها ومنهُ اشتُقَّت كما اشتقَّت الاصناف المختلفة من النوع الواحد والانواع المختلفة من الجنس الذي يجمعها وهذا هو النشوء الذي قال بهِ داروِن وغيرهُ من علماء الطبيعة واستدلوا على انهُ عمل بطيء جدًّا اقتضى الوفا وملايين من السنين حتى بلغت بهِ انواع الحيوان والنبات ما بلغت من التعدُّد والتباين وعلَّلهُ داروِن وغيرهُ بالانتخاب الطبيعي والجنسي والجهاد لاجل البقاء وبقاء الاصلح مما بيَّنَّاهُ غير مرة في شرح مذهب داروِن

لكن هذا المذهب لم يسلم من اعتراضين كبيرين الاول ان بعض انواع الحيوان والنبات لم تتغير قط منذ العصور الجيولوجية الاولى الى الآن مع انها تعرَّضت لما تعرَّض لهُ غيرها من موجبات هذا التغيُّر والثاني ان التغير المشاهد في الانواع بطيء جدًّا حتى ان الزمن الذي قدروا اولاً انهُ مرَّ على الارض من حين صارت صالحة لمعيشة الحيوان فيها الى الآن لا يكفي لتولُّد الانواع وتباينها فاضطر العلماء الطبيعيون والجيولوجيون ان يعيدوا النظر في تاريخ الارض لعلها تكون اقدم مما قدَّروا اولاً فاوصلوا قدمها الى مئة مليون سنة

وقد كان يخطر لنا خاطر نراهُ معقولاً ولو لم نرهُ مثبتًا بالامتحان العلمي وهو ان حياة النوع مثل حياة الافراد التي يتألف منها ذلك النوع كما ان حياة الفرد مثل حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ فكما يولد الفرد وينمو وتمرُّ عليهِ ايام او سنون قبلما يبلغ اشدَّهُ ثم يلد افرادًا آخرين في احوال مخصوصة كذلك النوع يولد وينمو وتمرُّ عليهِ قرون كثيرة ثم يلد انواعًا أُخرى في احوال مخصوصة . فالنوع فصل قائم برأسهِ كالفرد ولهُ حياة طويلة نسبتها الى حياة الفرد كنسبة حياة الفرد الى حياة الحويصلات التي يتألف منها جسمهُ . فان جسم الحيوان مؤلف من حويصلات صغيرة وكل حويصلة منها تولد وتلد حويصلة مثلها ثم تموت وتندثر في ساعات او ايام والحيوان يولد ويلد ثم يموت ويندثر في سنة او سنوات واذا مشينا على هذا القياس فلا يبعد ان يجري النوع والجنس هذا المجرى فيكون للكون كلهِ نظام واحد من اعلاهُ الى اسفلهِ

ولا بدَّ من ان يكون هذا الخاطر قد خطر لكثيرين قبلنا ولكن الذين بحثوا عما يؤيدهُ قلال واولهم الاستاذ ده فريس الذي قال ان الانواع تتولَّد فجأة وسمَّى ذلك بالتحوُّل الفجائي Mutation كما سيجيء

وقد اطَّلعنا الآن على تفصيل حادثتين شاهدهما الدكتور تشارلس هويت من علماء اميركا تدلان على حدوث التحوُّل الفجائي في الطماطم فرأينا ان نلخص ما ذكرهُ عنهما ثم نشفعهُ



التحوُّل الفجائي

MUTATION

لا يخفى ان انواع الحيوان والنبات كثيرة مختلفة بعضها عن بعض يسهل تمييزها لما بينها من الفوارق او المميزات فالانسان غير الفرس والفارة غير الهرة والتفاح غير البرتقال والفول غير القطن . وكذلك اصناف النوع الواحد مختلفة اختلافًا كبيرًا فتجد بين اصناف الكلاب فروقًا تكاد تجعلها انواعًا مختلفة منها ما هو كالحمار في جرمهِ ومنها ما تضعهُ في جيبك اصغرهِ . منها ما هو صغير البدن كبير الراس مستديرهُ ومنها ما هو كبير البدن صغير الراس مستطيلهُ . ومنها ما شعرهُ طويل اجعد متدلٍّ كأنهُ شعر النساء المرجَّل ومنها ما لا شعر لهُ بل هو بادي البشرة كأن جسمهُ جسم الانسان . وتكثر هذه الاصناف في الفاكهة والخضر والبقول والازهار كالليمون والعنب والتفاح والطماطم والفلفل (الفليفلة) والورد . فاصناف الليمون كثيرة مختلفة شكلاً ولونًا وطعماً حتى يتعذر حسبانها كلها من نوع واحد وكذلك اصناف العنب والتفاح والطماطم والفلفل والورد وكل عام تتولَّد اصناف جديدة منها

لكن هذه الاصناف والانواع مهما اختلفت وتباينت تبقى متشابهة في امور كثيرة فلكلٍّ من الانسان والفرس رأس ودماغ وفم وعينان واذنان ومنخران وفكَّان واسنان ولسان وقصبة ورئتان وكبد وقلب ومعدة وامعاء وكليتان ويدان ورجلان وعظام ولحم وجلد وشعر الى آخر ما هنالك مما يشترك فيهِ الانسان والحيوان وهو كل عضو جوهري ظاهرًا وباطنًا بل هما يشتركان في اصل هذه الاعضاء وما تتركب منهُ من الشرايين والاوردة والالياف والحويصلات الاصلية التي تتركب اجسامهما منها . واذا شرَّحت فارة وشرَّحت انسانًا فقلما تجد بينهما فرقًا في شيء جوهري . ولا تجد في جسم الانسان شيئًا لا تجدهُ في جسم الفارة فتجد اصابع اليدين والرجلين متشابهة تشابهًا تامًّا واغشية العين وبلوراتها ورطوباتها تجدها متماثلة كأنها افرغت في قالب واحد . ويزيد هذا التشابه في اجنَّة الحيوانات فتجد اجنَّة الانسان والفرس والكلب والطائر متشابهة تمامًا في ادوارها الاولى حتى لا تكاد تفرق بينها . وشجرة التفاح وشجرة البرتقال تتشابهان في الاغصان والجذور والورق والزهر والثمر والنمو والتفرُّع وكذلك نبات القطن ونبات الفول وهلمَّ جرًّا . والتشابه بين الاجزاء الاصلية المؤلفة منها اوفى واتم ومع ذلك كلهِ لم يسمع في تاريخ البشر من اول عهدهم الى الآن ان فرسًا صار انسانًا او كلبًا صار ثورًا ولا ان برتقالة صارت تفاحة او تينة صارت رمانةً بل هذه الانواع مستقلَّة بعضها عن بعض وقد كانت

وزرعهِ وخدمة النبات من اول ظهورهِ الى ان اثمر وقد اعتنيت بذلك اعتناءً علميًّا كما اعتني بغيرهِ من التجارب العلمية . وسميت هذا الصنف الجديد بطماطم وشنطون وهو مخالف للصنف الذي تولَّد منهُ في الحالين شكلاً ولونًا وطعمًا ثمرًا وورقًا وقد حصل ذلك في هاتين النوبتين دفعةً واحدةً وكان التغيير شاملاً لكل البزور التي زرعتها لم تشذَّ عنهُ بزرة واحدة . انتهى باختصار كثير

ويظهر من ذلك انهُ كان في الطماطم الذي زرعهُ ميل للتحوُّل ووجد في الارض التي زُرع فيها فواعل غير عادية ساعدت هذا الميل على الظهور . ولعلَّ الاصناف كلها تولدت على هذه الصورة وكذلك تولدت الانواع بعضها من بعض كأن في ميكروبات الارض وعناصرها ما يفعل بحويصلات النبات فعل اللقاح بالبيوض فتتولد منها اصناف وانواع جديدة كما يتولد حيوان من حيوان ونبات من نبات ويكون ذلك دفعة واحدة لا بالتدريج الذي قال بهِ داروين . والذي انتبه الى هذا الامر اولاً واثبتهُ بالتجارب هو الاستاذ ده فريس كما تقدم فانهُ زرع مئة نوع من النبات وكان يراقبها حتى اذا رأى اقلَّ اختلاف في نبات منها عن النبات الاصلي المأخوذ البزر منهُ وضع حولهُ غشاء شفافًا ومنع اتصال اللقاح من غيرهِ بهِ وبعد تجارب كثيرة رأى نوعًا واحدًا من هذهِ النباتات قد تغيَّر تغيُّرًا كافيًا لان يسمَّى نوعًا جديدًا وهو النبات المسمَّى بنبات الحمار لان ورقهُ يشبه اذني الحمار واصلهُ من اميركا أُتي بهِ الى اوربا سنة ١٦١٣ وزرع في هولندا واعتاد اقليمها وهو ينبت فيها الآن بريًّا ويزرع بستانيًّا . وقد لوحظ منذ سنة ١٨٧٥ ان هذا النبات اينع حول مدينة هاڤرسم وكثرت اصنافهُ هناك وتنوَّعت كأنهُ كان في الدور الذي تظهر فيهِ التغيرات الجنسية فزرعهُ ده ڤريس بين ما زرع من النبات في بستان النبات بامستردام وظل يزرعهُ سنة بعد سنة ويراقبهُ مدة اربع عشرة سنة من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٠ فتولَّد منهُ شكل جديد سنة ١٨٨٧ وتولَّد منهُ نوعان جديدان سنة ١٨٨٨ وفي سنة ١٩٠٠ صار عندهُ ٨٠٠ شجرة تردُّ الى سبعة انواع جديدة لم تكن معروفةً من قبل . وقد انتقى هذه الثمانمئة شجرة من خمسين الف شجرة اي ان التحوُّل الفجائي حدث في ١ ١/٢ في المئة وتجارب ده ڤريس دقيقة جدًّا لا تحتمل الخطأ

وقد ابان المسيو داستر في مجلة العالمين الفرنسوية ان هذا التحوُّل الفجائي اصاب انواع الحيوان في العصر الجيولوجي الاول الذي تدل عليهِ الطبقة الاولى من طبقات الارض الحاوية الاحافير فقد ابان اغاسز انهُ يظهر من تلك الاحافير كأنَّ انواع الحيوان ظهرت كلها حينئذٍ في برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقتضِ تكوُّنها زمنًا طويلاً وكذلك ابان

بخلاصة التجارب التي جربها الاستاذ ده ڤريس النباتي الهولندي صاحب هذا الرأي

قال الدكتور هويت اشتريت سنة ١٨٩٨ نحو ٢٤ نبتةً من نبات الطماطم من الصنف المعروف "بالاكم" ونقلتها قبلما تزهر الى حديقة صغيرة حول بيتي فعاشت وازهرت واثمرت وكان ثمرها من ثمر الصنف الذي هي منهُ تماماً . كان النبات كلهُ كبيراً دقيق السوق بلغ طولهُ اكثر من مترين فاستلق على الارض ولون ورقهِ اخضر باهت وفصوصهُ ضيقة بعيد بعضها عن بعض ذات زُنَيدات طويلة وسطحها قليل التغضن وثمرهُ معتدل الحجم كروي مسطح او مستطيل عرضاً ينضج في وقت واحد وهو مشحم طيب الطعم يستحيل من اللون الاخضر الى الاحمر القرمزي مع قليل من الصفرة

واخترت البزر من اجود هذه الاثمار وصررت عليهِ وزرعتهُ في حديقتي في السنة التالية وانتظرت ان يكون النبات من صنف الاكم لان هذا الصنف صار ثابتاً ولانني اعتنيت اعتناء خاصاً حتى يبقى خالصاً لا يمتزج بغيرهِ ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها شيءٌ من نبات الطماطم مطلقاً . فنبتت البزور وكبر النبات واذا هو مخالف للنبات الاصلي الذي اخذت البزر منهُ في شكلهِ وشكل ثمرهِ وفي كل الصفات المميزة لهُ وبان هذا الاختلاف من حين ظهر النبات من الارض اي في الاوراق الاولى منهُ وكانت الاوراق الاولى ثلاثاً وهذا شيءٌ لم ارهُ في نبات الطماطم قبل ذلك . ونما النبات وبلغ اشدهُ وكان منتصباً مجموعاً ولا يبلغ ارتفاعهُ الأ نحو متر وثلث وكانت فروعهُ قليلة متينة ولون ورقهِ اخضر قاتماً وزنيدات الاوراق قصيرة قوية والوريقات عريضة غير بعيدة بعضها عن بعض وسطحها كثير الغضون والثمر مثل ثمر النبات الاصلي شكلاً ولكنهُ يختلف عنهُ لوناً وطعماً فهو اشد حمرةً منهُ واطيب طعماً ولا شيءَ من الصفرة فيهِ . ولم احفظ بزوراً منهُ بل اهملتهُ وظننت انهُ صنف جديد ضاع باهمالي لهُ

وسنة ١٩٠٠ اشتريت من شركة البزور في فلادلفيا بزوراً من بزور الطماطم المعروف بالاكم وكان مزروعاً في بنسلفانيا على نحو مئة ميل من الارض التي اشتريت منها نبات الطماطم اول مرة وزرعت البزر وربيت منهُ ثلاثين نبتةً وكانت كلها من صنف الاكم من غير خلاف مثل الذي وصفتهُ اولاً ولم يكن في الحديقة ولا في ما يجاورها نبات آخر من نوع الطماطم وبلغ النبات اشدهُ واثمر واحتفظت ببزورهِ جيداً مثلما فعلت اولاً وزرعتها في العام التالي حاسباً انها تنبت طماطماً من صنف الاكم الذي هي منهُ ولكن جاء الامر الآن كما جاء سنة ١٨٩٩ فانَّ كل نبات من هذه الانبتة وكل ورقة من اوراقها وكل ثمرة من اثمارها جاءت مثل النوع الذي تولَّد عندي سنة ١٨٩٩ تماماً ولا خطأ في ذلك لانهُ لم يهتم احد غيري بجمع البزر

واذا استُغرب استنباط الحيل في الحيوان للمحافظة على نفسهِ وهو معروف بانهُ ذو شعور واحساس ومنهُ ما هو ذو فهم وادراك فما قولك بالنبات ونسبة الحس اليهِ لا تزال مذهباً ضعيفاً . لا ريب ان ما يبدو على النبات من دلائل حب الحياة والرغبة في البقاء والدفاع عن نفسهِ من مكايد الاعداء اعجب مما يبدو على الحيوان واغرب بقدر ما بينهما من التفاوت في المنزلة والرتبة

والطرق التي يعمد النبات اليها للمحافظة على نفسهِ كثيرة منها ان بعضهُ ينبت بين العوسج والاشواك كي لا تمتد اليهِ يد انسان محتال ولا فم حيوان جائع

ومنها ان بعض انواعهِ ينزع عنهُ اوراقهُ متى انتهى زمن نموهِ ويتخذ شكلاً مخصوصاً ويبقى مدفوناً تحت الارض لاسيما حيث يشتد القيظ صيفاً والبرد شتاء

ومن النبات ما ينبت تحت الماء فلا تصل اليهِ يد معتد من الحيوانات التي تعيش في الهواء . على ان الكثير من الحيوانات المائية تأكل النبات ولكن ضررهُ قليل في جنب الضرر الذي تحدثهُ الحيوانات الارضية . على ان وجود النباتات المائية تحت الماء يقيها قرّ الشتاء في الاقاليم الباردة فان الماء مهما اشتد بردهُ لا يتجاوز درجة الصفر بخلاف الهواء كما هو معلوم

ومنهُ ما يتسلق الاشجار ويعرّش عليها فتبقى اوراقهُ بمأمن من الحيوان الآكل النبات كبعض انواع الدوالي واللبلاب

لكن من النبات ما لا يقتصر على الدفاع عن نفسهِ بل يتعداهُ الى الهجوم على الحيوان الذي يدنو منهُ او يعترض في سبيلهِ اخذاً بالثأر من الحيوان الذي يسطو على غيرهِ من اخوانهِ . واشهرهُ نوع ينبت تحت الماء ويرسل خراعيبهُ في كل جهة وفي الخراعيب اكياس صغيرة في طرف كلٍّ منها اهداب على شكل قمع يؤدي الى ما هو بمنزلة الفم فاذا ضغط من الخارج فتح حالاً ثم انضم وانصرم حتى يتعذر على ما دخلهُ من الحشرات والديدان الصغيرة ان يخرج منهُ فهو لها مثل المصيدة للذباب والفئران . ومتى ماتت اغتذى النبات بلحمها

ومن النبات نوع اذا اكتمل نضج بزورهِ انفلق الغلاف الذي يحويها بقوة فانتثرت البزور في كل جانب فعسر على الحشرات الاهتداء اليها لصغرها . ومنهُ البنفسج واللوبياء والخروع وغيرها

ومن اغرب انواع النبات وابدعها نوع من السوسن يقلد الحية ذات الاجراس حيث يكثر وجودها في هيئتها والصوت الذي يحدث منها . فاذا مستهُ بهيمة ترعى عند تمام بلوغهِ ونضج بزورهِ صاتت البزور في غلفها صوتاً يشبه صوت الحية المذكورة فتنفر البهيمة منهُ مذعورة مخافة ان يكون حية فيسلم بذلك الى السنة التالية

الدكتور تشارلس هويت ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة في العصر الكربوني

ولما ظهرت الزحافات في الدور الثنائي ظهر فيها اختلاف كبير فكان بعضها كبيراً جداً يساوي الواحد منهُ اربعة افيال حجماً وبعضها صغيراً جداً اصغر من الهر وكان بعضها من اكلة اللحم وبعضها من اكلة النبات بعضها مما يعيش في الماء وبعضها مما يعيش على اليابسة بعضها يمشي على اربع وبعضها يمشي على اثنتين كالطيور وكان ظهور هذه الحيوانات كلها على اختلاف انواعها فجائياً بالنسبة الى الازمنة اللازمة لتحوُّل الانواع حسب رأْي دارون ولا يعقل انهُ وجدت على ذلك الاسلوب ثم انقرضت لانها لا تصلح للبقاء ولكن الاقرب الى العقل انها وجدت بغتة ثم تغيرت انواعها الى انواع اخرى اي انها ولَّدت انواعاً اخرى قبلما ماتت

ويؤْخذ من كلام المسيو دا ستران التغير الفجائي يبتدئ في النبات عند اول ظهوره من البزرة كأنهُ امر عارض يطرأ عليهِ . ولكن يظهر لنا ان هذا التغير يبتدئ في النبات الاصلي الذي تتولد منهُ تلك البزرة حين تولُّدها فيهِ اي كما ان الحيوان ينمو ويتجدد جسمهُ كل سنة ولكن ذاتيتهُ تبقى هي هي ثم يأْتي وقت يلد فيهِ حيواناً آخر غيره لهُ ذاتية مستقلة عن ذاتيتهِ كذلك النوع يلد افراداً مثلهُ فيبقى متصلاً بها الى ان يأْتي وقت يلد فيهِ نوعاً آخر جديداً مستقلاً عنهُ فيكون النوع الجديد مخالفاً للاصل من حين ولادتهِ وبذلك تكون للانواع ذاتيات مستقلة مثل ذاتيات الافراد كما قدمنا في صدر هذه المقالة . وهذا التحوُّل الفجائي يفسر كل ما يرى من انواع الحيوان والنبات على اسهل سبيل ويدل على وحدة النظام في المخلوقات

حيل النبات

اذا صحَّ ما يقولهُ بعض العلماء من ان النبات يشارك الحيوان في الحس كما يشاركهُ في الحياة فليس بدعاً ان يفتق الحيل مثلهُ ويخلق الوسائل المتعددة لصيانة حياتهِ والدفاع عن كيانهِ ويعمد الى امور يشتمُّ منها رائحة الفهم والاستدلال وهي افعال طبيعية محضة لحفظ نوعهِ . فان من الحيوان ما يتغير لون جلدهِ بتغير لون الارض التي يتخذها سكناً لهُ كبعض انواع السمّور في روسيا فان جلدهُ يبيضُّ في الشتاء متى كسا الثلج الارض اخفاء لهُ من الاعداء ثم يعود الى لونهِ الاول بعد ذوبان الثلج . والضفادع التي تتسلق الاشجار يتلون جلدها بلون الاشجار وكذلك الضفادع التي تعيش بين الاعشاب ترى لونها مخضرًّا حتى يعسر الاهتداء اليها فيها . وما يقال في السمّور والضفدع يقال في غيرها فنكتفي بهما شاهدين على الحيل التي تستنبطها الطبيعة في الحيوان لحفظ نوعهِ

١٨٧٥ امآلهُ انتقال الجزيرة الى ايدي الروس ووضع اليابانيين يدهم على جزائر كوريل بدلاً منها ومخرت باخرة من بواخر الاسطول الروسي المتطوع في مياهها سنة ١٨٧٩ وهي تقل عدداً كبيراً من المنفيين . وفي كل سنة يرسل اليها عدد منهم . وقد تألفت لجنة للاهتمام بسكناهم ومعيشتهم وتدبير شؤونهم

والجزيرة غنية بالمعادن وخصوصاً الفحم الحجري والبترول والحديد ولكن تربتها لا تصلح للزراعة . واعظم ما يرغب اليابان فيها كثرة صيدها من انواع السمك المختلفة ويكثر على شطوطها نوع من السمك يصطاده اليابانيون و يسمدون بهِ حقولهم . وغاباتها كثيفة لم تمسها يد انسان . وقد انتدبت شركة البترول في باكو احد مشاهير الجيولوجيين من الروس لفحص مناجم البترول التي فيها فقرر ان كل ما رآهُ في اميركا وباكو منهُ لا يعادل ما رآهُ فيها . ويقال بالاختصار ان فيها من الخيرات الطبيعية ما لا تكاد بقعة اخرى من بقاع المعمور تحوي مثلهُ

وللروس فيها الآن ١٦٣٤ جندياً نيطت بهم حراسة المنفيين . وقد الفت الحكومة المحلية جنداً منظماً من المنفيين انفسهم دربتهُ على احكام الدفاع عن الجزيرة . ومما يذكر عنها ان اسباب المعيشة فيها صعبة لكثرة الامطار والجليد وشدة البرد وقلة اسباب اتصالها بروسيا في فصلي الشتاء والربيع خصوصاً وهي فرضة اضواحي نهر عامور فمن يستولِ عليها فقد استولى على بلاد غنية كثيرة الخيرات اذا عرف كيف يستثمر خيراتها



كتاب الاملاء

الى حضرتي الفاضلين الجليلين منشئي المقتطف الاغر

اني احييكما تحية مباركة طيبة واستجديكما قبولها ممن يدري مكانتكما في العلم والعالم واجلكما بقدر ما اثرتما بالفكر والقلم في وادي النيل بل في الدنيا و بقدر ما احييتما من انفس ماتت من الجهالة واشكر لكما ما تفضلتما بهِ من تقريظ كتابنا "كتاب الاملاء" واعتقد أن لكما عذراً في عدم استقصاء مواضيعهِ مطالعةً فان زمنكما نفيس وصرفهُ فيما يعنيكما ويعني الامة من جهات اخرى اولى ولو اتيح لكما من الوقت ما يسع المطالعة التامة في الكتاب

ومن البزور ما يقلد الحصى في شكلهِ الخارجي ولونهِ حتى اذا سقطت بزرة على الارض بين الحصى عسر الاهتداء اليها او الى التربة ظن انها حصاة فلم يتعرض لها . من ذلك بزور الخروع وبعض انواع اللوبياء . ومن التين الشوكي (الصبير) ما يشبه ورقهُ حجارة الارض التي ينبت فيها من حيث شكلها ولونها فلا يهتدى اليهِ . والمخلوقات كلها في جهاد مستمر يميت بعضها بعضاً ويحيي بعضها بعضاً ويقهر بعضها بعضاً وينصر بعضها بعضاً نظام تحار الافهام فيهِ ولا يسهل الاهتداء الى اسرارهِ وخوافيهِ

جزيرة سخالين [1]

هذه الجزيرة السحيقة الارجاء الشاسعة الاطراف تشغل قسماً كبيراً من بحر اوخنسك وهي منفى للذين يرتكبون الجرائم الكبيرة من الروس . وقد زادت اهميتها بسبب الحرب الحاضرة فجعل ساسة الدولتين المتحاربتين يبحثون في امرها وفي ما يؤول اليهِ بعد الحرب . ويذكر القراء ان الطراد الروسي نوفيك غرق امامها في مياه ثغر كورسا كوفسك واليابانيون يجدون في اثرهِ ويطلقون قنابلهم عليهِ حتى اصاب الثغر المذكور نصيب منها . ومن ذلك الحين طرأ انقلاب عظيم على داخلية الجزيرة نشأ عنهُ تخفيف بعض الكرب عن المنفيين وتاليف فصائل متطوعة منهم لحراسة الجزيرة والمدافعة عنها جهد المستطاع . وقد بان واشتهر ان افكار اليابانيين موجهة اليها يتمنون فتحها والاستيلاء عليها مهما كلفهم ذلك

اما تاريخها فمجملهُ ان الاوربيين لم يكونوا يعرفون شيئاً عنها قبل اوائل القرن الثامن عشر عند ما ظهر اطلس الجغرافي الشهير انفيل وهو المسمى " اطلس الصين الجديد " . وظنوا بعد ذلك انها شبه جزيرة ولكن احد السياح الروس طاف شطوطها الغربية سنة ١٨٤٩ فرأى انها جزيرة لاشبه جزيرة . اما اليابانيون فعرفوا انها جزيرة منذ زمن طويل فان احد مهندسيهم وضع خريطة دقيقة لها سنة ١٨٠٨ فلم يعلم الاوربيون بها الاَّ حديثاً

وفي سنة ١٨٦٧ عدت هذه الجزيرة ملكاً مشاعاً يحق للجميع الانتفاع بهِ ولكن وقع نزاع عليها بين الروس واليابانيين وعدها كل منهم ملكاً لهُ حتى اضطر الامر الى عقد مجلس من مندوبي الفريقين فقرر انهُ يجوز لمن اراد من الطرفين الانتفاع باراضي الجزيرة والجولان فيها بلا معارضة وان يعد القسم الجنوبي منها من المستعمرات اليابانية . ثم ابرم الفريقان اتفاقاً سنة

---

(١) معربة عن الروسية بقلم عساف افندي جرجس وهبه

خاص بمقدمة الكتاب لان فيها المواضيع التي تضاربت فيها آراء المتقدمين من كتّاب العربية والمحققين من علماء هذا العصر اما سائر الكتاب فلا وجه لاختلاف المتقدمين والمحققين فيهِ لانهُ من المعارف الوضعية او النقلية. وكأنهُ يطلب منا البسط والايضاح فلا نبخل بهما لاننا نرى منهما فائدة عامة . هب انك رأيت رجلاً من الصاغة جمع بين عشرين درة من الدر ثمن الواحدة منها مئة جنيه او اكثر وبين عشرين قطعة من الخزف ثمنها كلها خمسة مليمات وصاغ من ذلك عقدًا واحدًا وقد نظرت الى ذلك وانت تعرف ما هو الدر وكم ثمنهُ وما هو الخزف وكم ثمنهُ فاقلُّ ما نقولهُ عن ذلك الصائغ حبذا لو ميز بين الدر والخزف . او هب ان حضرة مهندس ديوان الاوقاف وضع كتابًا شرح فيهِ كيفية رسمهِ لبناء ديوان الاوقاف الجديد وبناء غرفهِ ودورهِ وزخرفتهِ من الداخل والخارج ووضع فيهِ الرسوم المختلفة والاشكال التي اختارها من المباني العربية القديمة والتي نوَّعها واصلحها والزمن الذي اقتضاهُ بناء ذلك الديوان والنفقات التي انفقت عليهِ وبيَّن كل ذلك بالتفصيل التام . وان انسانًا من المشايخ اسمهُ الشيخ القليوبي مثلاً علق في حاشية كتاب من كتبهِ ان الخضر عليهِ السلام جاءهُ ذات ليلة وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال لهُ اني ارى بناء ديوان الاوقاف في شارع عابدين ضيقًا فابنِ لهُ دارًا آخرى. ثم نهض في الصباح فرأى دار ديوان الاوقاف الجديد قائمة تامة كما هي الآن

ثم هب ان رجلاً كتب تاريخ القاهرة بعد مئة سنة من الآن وذكر دار ديوان الاوقاف هذه فقال ان في اصل بنائها روايتين الواحدة ان مهندسًا اسمهُ صابر بك صبري وضع رسمها وتولى بناءها وبلغت نفقاتها كذا كذا من الجنيهات من مال الاوقاف . والرواية الثانية ان الخضر عليهِ السلام بناها في ليلة واحدة بطلب الشيخ القليوبي. ذكر الروايتين ولم يفرق بينهما بقولهِ ان الاولى صحيحة والثانية خرافية. ولماذا نفرض هذا الفرض وعندنا ما هو مثلهُ فان مدينة تدمر كانت من اعظم مدن المشرق وكانت عاصمة مملكة كبيرة في بلاد الشام ولم تزل آثارها من اعظم آثار المدائن الشرقية. وقد ذكرت التواريخ القديمة شيئًا عن عظمتها وكيفية بنائها ولا يزال علماء الآثار يذهبون اليها ويبحثون في آثارها حتى لو جُمع كل ما كتب عنها في كتب المتقدمين والمتأخرين لملأ مجلدات كثيرة. هذه هي الرواية الواحدة عن اصل هذه المدينة وكيفية انشائها . ولاحد شعراء البادية رواية اخرى يقول فيها ان الله قال لسليمان الحكيم

وجيّش الجن اني قد اذنت لهم   يبنون تدمر بالصفّاح والعمدِ

لوجدتماهُ وفاق غرضكما تماماً مميزًا فيهِ بين الراجح والمرجوح لا كما ذكر عفوًا في صفحة ٤٠٨ من المقتطف الصادر في مايو الماضي فقد جاء فيها ما نصهُ وجمع بين آراء المحققين وآراء المتقدمين في كثير من المواضيع وحبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح

وانني لا يمكنني أن اكلفكما مطالعة الكتاب ولا احب الاطالة في الاستدلال حرصاً على وقتكما النفيس ولكن لا بأس ان ذكرت مسألة واحدة هي نموذج التمييز بين الراجح والمرجوح في الكتاب كلهِ والكتاب موجود عند عدم كفاية ذلك ولا اخالكما الاَّ مكتفيين

جاء في صفحة ٤٠٨ من المقتطف المذكور ما نصهُ وفضَّل نقط الياء المتطرفة

والحقيقة ان بعض العلماء كما ذكرت في صفحة ٣١ من مقدمة الكتاب يقول بنقطها اذا نطق بها ياء لا الفاً لينة ولما كان ذلك خلاف الراجح قلت ردًّا عليهِ في تلك الصفحة بعينها اثناء كلام هذا نصهُ لكن الذي عليهِ المعول ان النون والفاء والقاف اذا تطرفت او انفردت جاز فيها النقط وعدمهُ وان الياء اذا تطرفت او انفردت لا يجوز نقطها اه

ثم قلت في صفحة ٢٢٥ عند الكلام على نقط الياء ما نصهُ : الثاني الياء الواجب اهمالها وهي قسمان الاول الياء المتطرفة الى ان قلت في صفحة ٢٢٦ ما نصهُ : وذكرنا في المقدمة عن بعضهم ان المتطرفة تنقط ان لم تكن الفا بصورة الياء فرقًا بين الياءين . فعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو (المعطى) اسم فاعل و (المعطَّى) اسم مفعول بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط . ولا يخفى ان النقط اشد اتصالاً بجوهر الكلمة من الشكل بدليل انهم يستغنون عن الشكل ولا يستغنون عن النقط فلو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني اه

وقد فتحت جميع مسائل الكتاب بالراجح ومن هنا يعلم اني ما فضلت نقط الياء المتطرفة بل الذي جريت عليهِ انها لا تنقط غاية الامر من حيث اني اذكر الخلاف ذكرت ان بعضهم خالف فقال بنقطها في حالة دون حالة كما ذكرنا وان دليلهُ قوي ولكنهُ خلاف المشهور . واني في هذا المقام التمس منكما امرين الاول قبول معذرتي في هذا الخطاب كما قبلت معذرتكما فيما ذكر . والثاني التفضل بنشر الحقيقة في المقتطف اتماماً للجميل الذي بدأتما بهِ لاسيما وان التمييز بين ما ذكر من مقاصد الكتاب التي نبهنا عليها فيهِ . وفي الختام ارجو قبول اخلاصي القلبي واحترامي والسلام

حسين والى

[المقتطف] اننا نشكر حضرة الكاتب الفاضل على تنويههِ بذكر المقتطف ولا ننكر اننا لم نطالع كتابهُ كلهُ ولكننا طالعنا ما بهِ الكفاية . والذي ذكرناهُ من حيث الراجح والمرجوح

حمدان العدوي سنة ٣٤٤ هجرية بقولهِ

وليس بغير تدمر مستغاث وتدمر كاسمها لهم دمارُ

فترى في ما نقلناهُ هنا حقيقتين تاريخيتين الاولى ان الامبراطور اورليانوس خربها في اواخر القرن الثالث المسيحي والثانية انها كانت خراباً في عهد المتنبي سنة ٣٤٤ للهجرة اي بعد ان خربها اورليانوس بنحو سبع مئة وعشرين سنة وذكرنا بين هاتين الحقيقتين خرافة مشهورة وهي نسبة بنائها الى الجن بنتها لسليمان وابنا ان هذا القول خرافة وبيَّنا سببها وعلى هذا السبيل كان يحسن بالمؤلف ان يميز بين الاقوال الراجحة والمرجوحة

اما قولنا انهُ فضَّل نقط الياء المتطرفة فمبنيٌّ على ما جاء في الصفحة ٢٢٦ حيث قال وعلى القول الاول وهو المشهور عند علماء الفن يفرق بين نحو المعطي والمعطَى بنحو الشكل وعلى القول الثاني يفرق بالنقط ... الى ان قال

"ولو كان هناك انصاف لاختاروا الثاني" اي لاختاروا الفرق بين الياء والالف بالنقط لا بالشكل فاذا كان المؤلف يقول ان الانصاف يقضي باختيار النقط فلا نلام اذا فهمنا من ذلك انهُ يفضل النقط والاَّ نسبناهُ الى عدم الانصاف

هذا وما يصدق عليهِ حكم الراجح والمرجوح قليل جدًّا وما بقي من الكتاب قواعد وشروح تشهد لحضرة جامعها وشارحها بالاعتناء والتدقيق وحب الافادة فنكرر شكرنا لهُ

تشيع المقتطف للانكليز

الى حضرة منشئي المقتطف الفاضلين المحترمين

(وذكّر ان نفعت الذكرى) ان كثيرين ممن نعرفهم من قراء المقتطف الاغر مع اعترافهم بفضلهِ ونفعهِ يرمونهُ بالتشيع للانكليز يقولون انهُ لا ينوّه الاَّ بالانكليز ولا يعترف بالفضل الاَّ للانكليز ولا يستحسن الاَّ ما هو انكليزي ولا ولا وربما حملهُ هذا الغلوّ في حب الانكليز على استحسان ما يستقبح من غيرهم ويستهجن ويستشهدون على الأول باغضائهِ عن ترجمة جول سيمون الفيلسوف الافرنسي الطائر الصيت والسيد جمال الدين الافغاني ثم اغضائهِ هذه المرة عن ترجمة المحسن الشهير احمد باشا المنشاوي وذكر خبر وفاتهِ بالاختصار في باب الاخبار ورؤيتهِ بعد خروجهِ من السجن في حين ان لهُ الحق ان يترجم وتنشر صورتهُ في صور المقتطف أُسوة بغيرهِ من المحسنين الانكليز وابنائهم الاميركيين ولهُ الحق ايضاً من جهة كونهِ من رجال المال والاعمال أُسوةً بالفحام والسكاف وبائع البيرة الذين ترجمهم

فبنوها لهُ. وهب ان كاتباً من الكتاب ذكر الروايتين ولم يشر الى ان الرواية الثانية خرافية بل ذكرها كانها تحتمل الصحة كالرواية الاولى فهل نخطئ اذا قلنا حبذا لو ميز بين الراجح والمرجوح . وقد يظن حضرة المؤلف اننا ابعدنا في التمثيل ولكن الامر ليس كذلك بل ان الفرق بين الاقوال الاولى التي قالها عن اصل الكتابة في الصفحة ٣و٤و٥ وبين كثير مما قالهُ بعد ذلك في الصفحة ٦ وما يليها كالفرق بين الدر والخزف او بين رواية صابر بك صبري عن بناء ديوان الاوقاف ورواية الشيخ القليوبي او بين رواية المؤرخين وعلماء الآثار عن بناء تدمر ورواية النابغة الذبياني

فقولهُ "ان القدماء كانوا يصورون الليث رامزين بذلك الى ذاتهِ ثم انتقلوا فرمزوا بالصورة الى اول الحروف في اسم صاحب الصورة " قضية علمية لم يصل العلماء الى تحقيقها الاَّ بعد الدرس والبحث وهي كالدر الثمين. وقولهُ " ان الكتابة بلغت غايتها من الاتقان والجودة في دولة التبابعة وان اول من خط بالعربي اسمعيل الاَّ ان كل حروفهِ كانت متصلة حتى الالف والراء" من الاقوال التي لا دليل ولا شبه دليل على صحتها . ونسبتها من حيث قيمتها التاريخية الى الاقوال الاولى كنسبة الخزف الى الدر لكن المؤلف ذكر هذه الاقوال وتلك كأَنها من قبيل واحد في القيمة التاريخية وهذا الذي اردناهُ حينما قلنا انهُ جمع بين آراء المحققين والمتقدمين ولم يميز بين الراجح والمرجوح اي لم يفصل او لم يفرق بينها بفارق يدل على صحة قول المحققين وبطلان قول غيرهم

ولا بأس بذكر الاقوال المرجوحة اذا قامت قرينة تدل على ضعفها او بطلانها ففي ما كتبناهُ عن تدمر مثلاً في المجلد الخامس من المقتطف الصادر في غرة يوليو سنة ١٨٨٠ اي منذ ٢٥ سنة مضت ذكرنا اقوال المؤرخين عن بنائها واقوال غيرهم فقلنا " ان الامبراطور اورليانوس دوخها وقتل الثائرين من اهلها فافل نجم سعدها ولم تنهض من تلك السقطة بل دكَّت ابراجها الحصينة وتقوضت مبانيها الفخيمة وتهدمت صروحها الباذخة ولكن لم يعفُ آثارها كرور الايام ولا افنت عظمتها ايادي الدهر فقد ادهشت انقاضها واطلالها كل من رآها حتى زعم القدماء انها من بناء الجن كشأنهم في نسبة كل ما زعموهُ فوق طور البشر الى الآلهة والجان قال النابغة الذبياني

الاَّ سليمان اذ قال الالهُ لهُ قم في البرية فاحددها عن الفندِ
وجيش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمدِ

وقد ذكر تدمر ابو الطيب المتنبي حين تحصَّن بها بنو عامر وكلاب من سيف الدولة بن

ولقد جرينا على هذه الخطة منذ ثلاثين سنة حينما كان اكثر قراء العربية يستخفون بعلم الانكليز وقوتهم ومهارتهم وكان كثيرون من اصدقائنا يخطئوننا الاّ اننا كنا نعلم انهم هم المخطئون لاننا لم نختر ما اخترناهُ عن هوًى او قلة اطلاع وقد رأوا الآن اصابة رأينا وحسن اختيارنا . والفرنسويون انفسهم صاروا يحثون ابناء وطنهم على الاقتداء بالانكليز والجري على خطتهم في التعليم والتهذيب كما ترون في كتاب ديمولان الذي ترجمهُ من الفرنسوية الى العربية حضرة احمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية

اما السيد جمال الدين الافغاني واحمد باشا المنشاوي فعذرنا عن اغفال ترجمة الاول منهما بسطناهُ قبل الآن وهو اننا لانعرف الرجل ولم نرَ لهُ الا كتيباً في الرد على دارون لا يستحق لاجلهِ مدحاً وقد وعدنا اخص اصدقائهِ مفتي الديار المصرية حالاً ان يكتب لنا ترجمتهُ واعدنا الصورة الفوتوغرافية لذلك ثم حالت اشغالهُ دون اتمام الوعد. واما احمد باشا المنشاوي فلم يكد يتوفى حتى نشرت الجرائد المصرية اقوالاً عن كيف جمع ثروتهُ لا تجعل حياتهُ مما يصح ان يذكر مثالاً للاقتداء بهِ . ولا يعلم حتى الآن كم يبقى من ثروتهِ متى اوفيت ديونهُ كلها ولا متى تصل الاملاك التي وقفها الى الجهات الخيرية التي وقفها عليها . وكل ذلك جعلنا نتردَّد في نشر ترجمتهِ ثم اكتفينا بما ذكرناهُ عنهُ بعد إعمال النظر واختيار الاصلح

واما استقباحكم لقفز الرئيس روزفلت امام احد الوزراء فنحن نخالفكم فيهِ ونعدُّ قفزهُ من ادل الامور على الرجل كما هو — على البساطة الطبيعية الخالية من التصنُّع. والظاهر انهُ لا يعجبكم الاّ ان يجلس المالك جلوس المتغطرس المتعظم ويقف الوزراء امامهُ خاشعين او يجلسون التركيَّة على طرف المقعد . وكذلك اعرابهُ عمَّا خالج ضميرهُ وتكلمهُ بالصدق حينما قال لاحد النواب اني لم اسرّ بمشاهدتك . ولا ندري كيف يستهجن ذلك احد يحب الصدق ويكره الكذب . اما هذا الرئيس الذي تحتقرون فعلهُ وتستخفون بهِ فملوك اوربا واسيا يقفون عند رأيهِ ويعدونهُ من احكم ملوك الارض . والذي ذكر ما تستهجونهُ كاتب مشهور كان مناظراً لهُ ولولا قليل لكان هو الرئيس الآن للولايات المتحدة ولا يبعد ان يكون الرئيس بعدهُ

والشيء الذي تستهجنونهُ تستحسنهُ الامة الاميركية التي هي ارقى امم الارض ويستحسنهُ كل من ربي تربية العمل والاجتهاد والاخلاص وعدم التصنع . ويا سعد بلاد يجدُّ ملوكها وقت الجد ويهزلون وقت الهزل ويتكلمون الصدق ولو عليهم ويظهرون امام رعيتهم انهم بشر مثلهم لا آلهة ولا اصنام

المقتطف وبسليمان افندي الخوري الحمصي الطبيب الذي خدم المرضى بطبهِ وبحالهِ. ويستشهدون على الثاني بذكر المقتطف في معرض الاستحسان قفز الرئيس روزفلت ووثبهُ من فوق الكرسي امام احد الوزراء لقاء برنيطة جديدة طلباً للراحة كأَن الراحة لا تحصل الاَّ بهذا العمل الذي لو صدر من غيرهِ لعُدَّ خفةً ودناءةً معاً وقولهِ لاحد النواب اما انا فلم اسرَّ بمشاهدتك لانني مشغول جدًّا ولا وقت لي لمشاهدة احد مما يعد خشونة وفظاظة لو صدر من غيرهِ مع ان لهُ مندوحة عن ذلك بصرفهِ بالتي هي احسن فعسى ان يعتدل المقتطف ويقلل من هذا التشيع ويساوي بين الناس فذلك اقرب الى الصواب وابعد عن التهمة وبالله التوفيق

بيروت منتقد

[المقتطف] لا نسرُّ بشيء مطلقاً كما نسرُّ بالانتقاد لانهُ اما ان يُبيّن خطأً ارتكبناهُ نحن فنصلحهُ او خطأً ارتكبهُ المنتقد في ادراك غرضنا فنصلحهُ لهُ

ومدار هذا الانتقاد على اننا لا ننوه الاَّ بالانكليز ولا نستحسن الاَّ ما هو انكليزي

وجوابنا عن ذلك ان ليس الغرض من ذكر من نترجمهم في المقتطف من الانكليز التزلُّف اليهم او الى قومهم لان الذين نترجمهم يكونون قد ماتوا في الغالب ولان قومهم لا يعرفون العربية ولا يرون المقتطف . ولا نذكر اننا ترجمنا واحداً من الانكليز وعرف هو او ذووهُ ذلك. وانما غرضنا الفائدة العلمية التي تنتج لقراء المقتطف من مطالعة الترجمة او الفائدة التاريخية من ذكر اعمال المترجم العلمية . ومعلوم ان الذين يستحقون ان تذكر ترجماتهم في المقتطف كثار جدًّا لا يسع المقتطف ترجماتهم كلهم ولو كان اضعاف ما هو فيبقى علينا ان نختار ما نريد ولما لم يكن لنا غرض في التزلف الى المترجم او قومهِ وان قصدنا التزلُّف فلا سبيل لنا اليهِ لاننا قلما نترجم غير الموتى ولا احد من ذويهم يقرأُ المقتطف كما تقدم ترتب علينا ان نجري على سنة الطبيعة في اختيار ما هو انفع واقرب تناولاً من غيرهِ . واكثر مطالعاتنا في اللغة الانكليزية فنرى الترجمات المطلوبة فيها وهي في الغالب عن رجالها. ولكن اذا مات عالم مشهور من غير الانكليز فقلَّما نتأَخر عن ترجمتهِ كما ترون في ترجمة باستور الفرنسوي ووركو الالماني والمعلم بطرس البستاني السوري والشيخ محمد بيرم التونسي وعبد الله باشا فكري المصري . ونحن اميل الى ذكر ترجمات العلماء منا الى ذكر ترجمات الفلاسفة او الكتَّاب عموماً ومع ذلك اذا عثرنا على ترجمة احدهم ورأَينا فيها فوائد تستحق الذكر للانتفاع بها لا نتأَخر عن نشرها . فذكرنا لترجمات الانكليز ليس للتنويه بهم ولا للتزلف اليهم بل للفائدة التي تحصل لقراء المقتطف من ترجمات اناس اشتهروا بالعلم او بالعمل

رومانيا	١٥٠	١١٠
مصر	٩٨	١٣٢
نروج	١٢٦	٧٥
البرتغال	٧٢	٥٧
المجموع	١٤٨٠٢	١٢٧١٠

وترون من هذا الجدول ان ١٤ مملكة واكثرها من الدرجة الاولى غنًى وتجارة كانت وارداتها اكثر من صادراتها فاذا كان المبدأ المذكور آنفًا صحيحًا فيلزم ان نعتقد ان انكلترا مثلاً خسرت في مدة السنوات العشر المذكورة مبلغ ١٣٢٢ مليون جنيه وهكذا المانيا وفرنسا وبقية الاربع عشرة مملكة التي زادت قيمة وارداتها على قيمة صادراتها فهل يمكن ان يكون ذلك صحيحا . نعم ان بين الممالك الست الباقية التي صادراتها اعظم من وارداتها يوجد اميركا وبر مصر ولا شبهة في نجاحهما ولكن ألا يوجد لذلك اسباب اخرى

والاكثرون في انكلترا يعتقدون ضد مبدإكم والجدول المتقدم يقوي حجتهم فما قولكم في ذلك

ثم ان ما يصح على الافراد يصحّ على المملكة فما قولكم في التاجر الذي يخرج من محله اكثر مما يدخل اليهِ فبلا شك لا يبقى عندهُ شيء و بالعكس التاجر الذي يدخل محلهُ اكثر مما يخرج منهُ فهو دليل التقدم والنجاح . هذا ما جال في خاطري وارجو بسط رأيكم في ذلك ولكم الفضل

خليل ابرهيم
جباره

مانشستر

[المقتطف] نشكر فضلكم لانكم نبهتمونا الى ايضاح هذا الامر فقد بلغنا انهُ اشكل على غيركم ايضًا . واننا نوضح اولاً مسألة التاجر التي ذكرتموها اخيرًا فنقول ان تشبيه المملكة بالتاجر لا يصح على الصورة التي ذكرتموها وانما يصح اذا كان التاجر يقابل بين ثمن البضائع التي يشتريها و بين ثمن البضائع التي يبيعها في سنتهِ فيجد انهُ دفع ثمن البضائع التي اشتراها اكثر مما قبض ثمن البضائع التي باعها . فان كان يفعل ذلك وينجح فالمملكة تنجح اذا دفعت ثمن ما يدخلها اكثر مما قبضت ثمن ما يخرج منها . وقيسوا على التاجر الصانع والزارع ومستخرج المعادن وكل رب بيت فانهُ اذا كان الواحد من هؤُلاء يدفع ثمن ما يوردهُ الى معملهِ او الى ارضهِ او منجمهِ او بيتهِ اكثر من النقود التي ترد اليهِ ثمن بضائعهِ او غلات ارضهِ او معادن منجمهِ او اجرة عملهِ فانهُ سائر في طريق الخسارة والخراب لا محالة وهذا امر بديهي لا يختلف فيهِ اثنان .

حالة مصر المالية

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعتُ على مقالتيكم في العدد الخامس تحت عنوان " نجاح مصر ومستقبلها " " وحالة مصر في هذا العام ". واني وان لم اكن من فرسان هذا الميدان الَّا ان ما اعتاده قرّاؤكم من تساهلكم معهم ورغبتكم في البحث ونشر الحقائق جرّأني على تقديم هذه العجالة قصد الاستفادة لا الانتقاد فاقول

يظهر من مقالتيكم انكم تعتقدون انهُ اذا كان الوارد الى مملكة اكثر من الصادر منها فذلك دليل تأخرها وخسارتها ولكن هاكم جدولاً منقولاً عن غرفة تجار انكلترا فيهِ قيمة الوارد والصادر عن عشرين مملكة في مدة عشر سنوات لغاية ١٨٩٩

الصادر بملايين الجنيهات	الوارد بملايين الجنيهات	
٢٣٧٠	٣٧٤٨	بريطانيا العظمى
١٦٩٨	٢١٩٥	المانيا
١٩٨٧	١٥٤١	الولايات المتحدة
١٤٠٥	١٦٦٢	فرنسا
١٠٥٤	١٢٦٢	هولندا
٦٠٨	٧١٢	بلجيكا
٦٥٩	٥٨٥	النمسا والمجر
٦٧٢	٥٢٨	روسيا
٤٢٢	٤٩٥	ايطاليا
٣٤٨	٣٥٢	اسبانيا
٢٣٥	٣١٣	الصين
٢٩٢	٢٥٥	الارجنتين
١٨٣	٢١٣	اسوج
١٤٠	١٧٤	اليابان
١٢٣	١٧٥	الدنمارك
١٤٠	١٧٥	شيلي

فتزيد الاموال التي تقبضها البلاد الانكليزية في سنة واحدة على الاموال التي تدفعها نحو ١٤٠ مليون جنيه على اقل التقادير

وقيسوا على ذلك المانيا فان قيمة صادراتها تبلغ الآن نحو ٢٩٠ مليون جنيه وقيمة وارداتها نحو ٣١٦ مليون جنيه اي انها تقبض في السنة ٢٩٠ مليون جنيه ثمن صادراتها وتدفع ٣١٦ مليون جنيه ثمن وارداتها فينكسر عليها من هذا الباب ٢٦ مليون جنيه ولكن لها اموال وافرة في الديون الروسية والايطالية واموال اخرى في الشركات الاجنبية الصناعية والتجارية ولها سفن تجارية تأخذ اجرتها من اموال الاجانب فيزيد ما تكتسبهُ المانيا من هذه السُبل كلها خمسين او ستين مليون جنيه

وقيسوا على ذلك سائر الدول التي تزيد قيمة وارداتها على صادراتها وهي مع ذلك ناجحة

اما القطر المصري فليس لرجالهِ معاشات من الممالك الاجنبية ولا لهم اموال يستثمرونها في الهند والصين وروسيا وفرنسا وما اشبه ولا لهم سفن تجارية تكتسب من نقل بضائع الامم الاخرى وليس فيهِ معادن ذهب يخرج الذهب منها ويضاف الى ايرادهِ الداخلي . وهو لا يفرق عن زارع مديون عندهُ اطيان يزرعها و يستغلها فيأكل بعض محصولاتها هو واولادهُ ومواشيهِ ويبيع البعض الآخر ويشتري بثمنهِ ثيابًا لهُ ولاولادهِ من منشستر وليون وفحمًا من نيوكسل وكارديف وزيتًا من روسيا واميركا ولحمًا من غنم تجيء من بر الاناضول وفاكهة يؤتى بها من سورية وبلاد اليونان و يدفع فوق ذلك فائدة ديونهِ لاصحاب هذه الديون من الفرنسويين والانكليز والالمانيين والروسيين وفوق الكل مال الويركو للدولة العلية او لمداينيها وليس لهُ مصدر آخر للايراد الاَّ مصدر واحد وهو السياح الذين يأتون الى هذا القطر كل سنة و يصرفون فيهِ نحو نصف مليون جنيه تضاف الى ثمن البضائع الصادرة منهُ . فاذا لم يزد المال الذي يحق لهُ قبضهُ كل سنة ثمن صادراتهِ على المال الذي يجب عليهِ دفعهُ كل سنة ثمن وارداتهِ وفائدة ديونهِ فهو غير سائر في طريق الغنى

وخلاصة الكلام ان البلاد تغتني اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يُدفع لها من الخارج ربحًا لاعمالها واموالها تزيد على قيمة وارداتها وعلى كل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها . وتفتقر اذا كانت قيمة صادراتها وكل ما يدفع اليها من الخارج ربحًا لاعمالها واموالها اقل من قيمة وارداتها وكل ما تدفعهُ للخارج ربا ديونها. واذا كان الذين اطلعتم على بحثهم من الانكليز لا يعتبرون هذه الامور كلها التي اعتبرناها فهم مخطئون

والتاجر الذي تشيرون اليهِ لا يربح من زيادة ما يدخل محلهُ على ما يخرج منهُ الاَّ اذا وهبوهُ البضائع هبةً او اكل ثمنها على اصحابها واما اذا اضطرَّ ان يدفع ثمنها في مواعيدها فانهُ يتأخر لا محالة واما اذا اردتم بالداخل والخارج النقود التي تدخل وتخرج فلا تعود الحال مماثلة لحال المملكة

هذا ولنعد الآن الى الممالك التي تزيد قيمة وارداتها على قيمة صادراتها ونخص الكلام بالبلاد الانكليزية اولاً

البلاد الانكليزية قيمة وارداتها اكثر من قيمة صادراتها كما قلتم ولكن لها موارد اخرى كثيرة تكسب منها الملايين الكثيرة وهي غير محسوبة مع قيمة صادراتها فاولاً لرجالها الذين خدموا الهند والذين يخدمونها الآن في البلاد الانكليزية معاشات ومرتبات تبلغ ٢٧ مليون جنيه كل سنة وهذه لا تحسب بين النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

وثانياً للانكليز اموال يستثمرونها في كل الدنيا في المعامل والمصانع والديون الدولية لا نظن ان ايرادها السنوي يقل عن ٢٨٠ مليون جنيه او هو اكثر من ذلك فقد بلغ ايراد الحكومة المعروف بايراد الدخل income tax في العام الماضي نحو ٣٦ مليون جنيه وبموجبهِ يكون دخل الاهالي نحو ٨٨٠ مليون جنيه ومعلومكم ان قيمة الصادرات كلها لم تبلغ سوى ٤٠٠ مليون جنيه فالباقي وهو ٤٨٠ مليون جنيه اكثرهُ ايراد للانكليز من اموالهم المستثمرة في الدنيا

ثالثاً السفن التجارية الانكليزية تحمل نحو نصف تجارة الدنيا ويعسر علينا ان نقدر ربحها من ذلك تماماً ولكنهُ كثير جداً لا نظن انهُ اقل من ١٣ مليون جنيه وهذا غير محسوب مع النقود التي تدفع اليها قيمة صادراتها

فيصير حساب البلاد الانكليزية هكذا اي حساب ما تدفعهُ ثمن البضائع التي تستوردها من الخارج وما تقبضهُ ثمن البضائع التي تصدرها الى الخارج مضافاً الى ذلك الاموال التي تقبضها من الهند معاشات ورواتب والاموال التي تكتسبها فوائد وارباحاً لاموالها الكثيرة المشتغلة في الدنيا والاجور التي تأخذها سفنها التجارية

الاموال التي دفعتها في العام الماضي قيمة وارداتها ٥٩٧ مليون جنيه

الاموال التي قبضتها ثمن صادراتها ٤١٧ مليون جنيه

" " قبضتها من الهند ٢٧ " "

" " ريع الديون والشركات ٢٨٠ " "

" " اجرة سفنها ١٣ " "

والجملة ٧٣٧

(٣) الكنيسة . يدخل تحت هذا الباب السعي في المحافظة على المعتقد ومعرفة علاقة الكنيسة بالحكومة وما شاكل ذلك

فهذه الامور المذكورة ليست مما يستهان بهِ ويترك للنساء لانهنَّ يعجزن عما هو اسمى منهُ . كلاَّ بل انهُ لو قبل النساء تحمُّل المسأولية في الدين وتربية الاولاد واعداد الطعام ووقفن انفسهنَّ على انجاز اعمالهنَّ هذه طبقًا لاساس اقتصاديّ صحيح لانقلب العالم عما هو عليهِ واصبح جنة الله في ارضهِ

تربية الاولاد

الانسان مجموع اخلاق تغرسها يد الفطرة وتسقيها يد التربية . قال امرسون ان الفضائل كلها طبيعية في الطفل الحسن الجسم والعقل لامكتسبة يعسر عليهِ اكتسابها . واذا كانت اخلاق الوالدين صحيحة وكانوا يعلمون شرف مركزهم ويشعرون بمسأوليتهِ سهل تعليم اولادهم وتهذيبهم المدرسي فيما بعد لان الولد متعلق بوالديهِ كل التعلق لايستطيع اختيار الوسط الذي يجب ان يعيش فيهِ . فاذا اهملاهُ فلا لوم عليهِ اذا نشأ عنيدًا لايكرمهما ولا يطيع لهما امرًا بل كل اللوم عليهما

هذا وان نمو الولد سريع من كل جهة فاذا بلغ السابعة من سنهِ بلغ طول قامتهِ نصف ما تصير اليهِ بعد البلوغ وثقل بدنهِ ثلث ما يصير اليهِ بعد البلوغ . ولا بد لتثقيف اخلاقهِ وتكميل رجوليتهِ من احاطتهِ صغيرًا بكل ما يسمو بالنفس الى مراتب الكمال . واحسن وسط ينشأُ فيهِ بيت اساسهُ المحبة ونورهُ الحكمة واعضاؤُهُ الطهارة والوفاق وسمو التهذيب . وذلك يتأتى متى عرف الوالدون واجباتهم وطبيعة ولدهم ليتمكنوا من القيام بحاجاتهِ البدنية والعقلية والادبية . وليس الوسط الصحيح منزلاً خيم الفقر المدقع على ساكنيهِ فقضى على ما في نفوسهم من المواهب السامية ولا هو منزلاً بسط اليسار عليهِ ظلهُ فحول قلوب ساكنيهِ عن واجبات الحياة الحقيقية الى الزهو واللهو والغرور الباطل ولا هو منزلاً يعدُّ قضاة الملذات وشهوات النفس فيهِ غاية الغايات

قال الفيلسوف سبنسر في الكلام على جهل الوالدين لواجباتهم نحو اولادهم ما يأتي وقولهُ حجة " لو ان الايام كرَّت بنا ودالت وعفت رياح الدهر كل اثر لنا ولم تبقِ منا الاَّ عرمة من الكتب التي يدرسها اولادنا في المدارس الآن لحار فيها الاثريون اللاحقون اذ لايرون هناك دليلاً يدل على ان الاولاد الذين درسوا تلك الكتب كان ينتظر ان يصيروا رجالاً ذوي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

واجبات المرأة

قال السر جون مورلي من كبار فلاسفة الانكليز ووزرائهم في خطبة القاها دفاعًا عن المرأة وتأييدًا للائحة التي عرضت على مجلس النواب حديثًا وطلب فيها حلُّ بعض القيود التي تربطها " ان قليلين يعتقدون الآن ان عمل النساء الرئيسي ادارة شؤُون المطبخ وتربية الاولاد . فان الواقع يناقض هذا الاعتقاد الدنيء " وقد كتبت سيدة انكليزية مقالة في مجلة القرن التاسع عشر استشهدت فيها بهذا القول ثم اردفتهُ بما يفهم منهُ ان الاعتقاد المذكور لا يستلزم الحطَّ من قدر المرأة . وقالت ان امبراطور المانيا حصر واجبات المرأة في ثلاث كلمات وهي " الاولاد والطبخ والكنيسة " فانكر البعض عليهِ ذلك اما انا فلست ارى فيهِ نكرًا بل اوافق عليهِ كلَّ الموافقة علمًا مني بانهُ ليس في السماء ولا في الارض ولا تحت الارض موضوع لا ينطوي تحت كلمة من هذه الكلمات الثلاث ولايضاح ذلك ابحث في كلٍّ منها على حدة فاقول

(١) الاولاد . اين تبتدئ دائرة اختصاصهم واين تنتهي . واذا عرف احد كلَّ ما يتعلق بالولد مثل ولادتهِ ونموّهِ وصحتهِ وارتقائهِ العقلي والادبي والروحاني والجثماني وعملهِ ولعبهِ وما اشبه فما هو الذي يجهلهُ ذلك الانسان واي منصب في الارض لا يصلح لهُ سواء كان ذكرًا او انثى

(٢) الطبخ . هل دائرة الطبخ محدودة . ان العقل ليقصر دون حصر العلوم التي تتعلق بطعام الانسان مثل علم المواد الطبية والنبات والحيوان والمعادن والرياضيات والطبيعيات والمواضيع المتعددة مثل التجارة والصادرات والواردات والضرائب وغيرها . وآخر ما يذكر منها وان لم يكن اقلها اهمية طبع الرجال[١]

(١) اشارة الى ما هو معروف من انهُ اذا كان الطعام انيقًا لذيذًا ظهرت على الرجال علائم الرضى والسرور والاَّ تبدَّل رضاهم سخطًا وسرورهم غمًّا

ملابسهنّ . فقامت قيامتهنّ عليهِ مدعيات انهُ بالغ في تقديرهِ ونسبة الاسراف اليهنّ . فكتب مقالة اخرى قال فيها انهُ ان كان قد اخطأ في تقديرهِ فخطاؤهُ في جانب القلة لا الكثرة . فقد قال مثلاً ان بعض نساء نيويورك يشترين جبة فرو السمور بمبلغ ١٢٠٠ جنيه وكان يظنُّ انهُ مبلغ فاحش ولكنهُ علم فيما بعد انهُ معتدل بالنسبة الى ما تباع جبة الفرو بهِ في بعض المخازن الكبيرة فان الجبة المتوسطة تباع بالفي جنيه. وسأل عن ثمن الفرو العال فقيل لهُ ان ثمنهُ قبل خياطتهِ ١١٠ جنيهات عادة اي ان ثمن البوصة المربعة جنيهان وثمن الجبة المبطنة بهِ التي لا يزيد طولها على متر ٦٦٠٠ جنيه والطويلة التي تصل الى القدمين ٨٨٠٠ جنيه

وكان قد قدَّر في مقالتهِ الاولى ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك على ملابسهنّ وزينتهنّ بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه في السنة فرأى فيما بعد ان ليس في ذلك شيءٌ من المبالغة لاسيما وقد علم ان الواحدة منهنّ تدفع عشرة آلاف جنيه ثمن فرو يلبس حول العنق وآخر لليدين

وقال ان الواحدة تنفق مئتي جنيه على مشتري ثوب خاصّ بالرقص ولكنهُ علم فيما بعد ان دنتلا ثوب للعرس اشتري بثلاث مئة جنيه وان "قماش" ثوب آخر اشتري بمبلغ ١٦٠٠ جنيه قبل خياطتهِ . وان ثمن "البياضات" بلغ ٦٦٠٠ جنيه

ثم اورد قائمة بالنفقات التي ينفقها كثير من النساء الاميركيات على ملابسهنّ وزينتهنّ في السنة فظهر منها ان متوسط ما تنفقهُ الواحدة ٧٧٠٠ جنيه

ويقال بالاختصار ان ٦٠٠٠ امرأة من نساء نيويورك الغنيات ينفقن كلّ سنة ثمانية ملايين جنيه على ملابسهنّ وزينتهنّ . وفي الولايات المتحدة عشرة آلاف امرأة من الغنيات يستطعن اقتصاد ٦ ملايين جنيه على القليل كل سنة لتنفق على الفقراء والمساكين لو خفضت كلٌّ منهنّ نفقات ملابسها الى ٦٠٠ جنيه

ومن رأي الكاتب ان النساء لا يتأنقن في الملابس ارضاءً للرجال واستجلاباً لهم بل ارضاءً لانفسهنّ . والَّا فلو كنّ يفعلن ذلك استجلاباً الازواج لما كانت المتزوجات منهنَّ اكثرهنّ اسرافًا على الملابس كما هي الحال . قال واتفق اني نزلت مرة في احد فنادق نيويورك البسيطة . فكنا اذا جلسنا لتناول الطعام جلس قربي رجل وامرأتهُ فلحظت انها كانت تبدّل كلّ يوم حلَّةً وان الحلَّة الجديدة افخر من التي قبلها حتى مضى اسبوع فقلت في نفسي لابدّ ان تكون جعبة ملابسها قد فرغت فتعود الى الاولى فالثانية وهلمّ جرًّا . ولكنها بقيت تلبس كلّ مساءٍ ثوبًا جديدًا مدة وجودي في الفندق واظنها لبست في تلك المدة ثلاثين ثوبًا من الملابس الفاخرة . انتهى

اولاد فيما بعد . ولقال اولئك الاثريون في انفسهم " لعل هذه الكتب خصت بالذين كانوا عازمين على البقاء عزباً . فاننا نرى فيها ما يدل على ما كان لهم من الاهتمام بمطالعة كتب الاولين كأن لم يكن عندهم مواضيع يهتمون بها . ولا نرى فيها اشارة الى تهذيب الاولاد وتربيتهم وذلك هو الحمق بعينهِ الاَّ ان تكون هذه الكتب مما يدرسها رهبانهم في اديرتهم "

" أليس من العجب العجاب ان لا يعلَّم الاولاد شيئاً عن التربية وهم سيصيرون رجالاً ذوي اولاد وعلى التربية يتوقف موتهم او حياتهم شقاؤُهم الادبي او سعادتهم . أَو ليس من الفظاعة ان يترك حظُّ الجيل الجديد للأقدار تتقاذفهُ التقاليد السقيمة والتصورات الصبيانية والخرافات العجائزية كيف شاءت . فاذا شرع رجل في التجارة وهو لا يعرف شيئاً من الحساب ومسك الدفاتر قلنا يا لهُ من جاهل يخرب بيتهُ بيدهِ ويسعى الى حتفهِ بظلفهِ . واذا شرع تلميذ ممن لا يزالون يدرسون التشريح في عمل العمليات الجراحية ادهشنا تهوُّرهُ ورحمنا على مرضاهُ سلفاً . اما الوالدون فانهم يشرعون في تربية اولادهم وهم لا يعلمون حرفاً من اصول تربيتهم الطبيعية والادبية والعقلية ومع ذلك لا يدهشنا عملهم هذا ولا نشفق على اولادهم

" اضف الى عشرات الالوف الذين يقتلون مئات الالوف الذين يعيشون عجافاً ضعافاً وملايين الذين ينشأُون وبنيتهم دون ما يجب ان تكون ترَ بعض ما يجرُّهُ الوالدون على اولادهم من الشقاء والبلاء لجهلهم قواعد الحياة . وفكّر ولو قليلاً في القواعد التي تسنُّ للاولاد ليجروا عليها سواءٌ كان ذلك في امر طعامهم او غيرهِ وانها كلها سائرة بهم اما في طريق السلامة او في طريق الندامة وان هناك عشرين طريقاً للشرّ مقابل طريق واحد للخير تُدرِك بعض ما تجرُّهُ النظامات الجارية من الضرر العظيم في كلّ مكان

" وقد اعتاد الوالدون الذين يولد لهم اولاد نحاف البنية ان ينسبوا ذلك الى الاقدار ويدَّعوا ان مصائبهم هذه بلا سبب او ان سببها في علم الله . وليس ذلك بصحيح . ففي بعض الحالات تكون الاسباب وراثية ولكن الغالب ان يكون السبب من سوء تصرُّف الوالدين والوالدون هم المسؤُولون غالباً عما ينال اولادهم من الأَلم والضعف والنكد والبلوى فقد تكفلوا بالقيام عليهم ولكنهم اهملوا تعلم شيءٍ عنهم وعن ابسط القواعد الصحية التي يجب ان ينشئوهم عليها ففوَّضوا بنيان ابدانهم واورثوا اعقابهم المرض والموت العاجل "

اسراف الاميركيات

كتب المستر كليفلند موفات مقالة في احدى الجرائد الانكليزية عنوانها " انفاق المال في غير موضعهِ عار " وأَطال في بيان ما ينفقهُ بعض نساء نيويورك من النفقات الباهظة على

وانواع الفصفات الطبيعي كثيرة مختلفة في مقدار النفع الناتج منها للزراعة فقد حلَّل بعضهم ثلاثة انواع من اعلي فصفات الجير فوجد ان في الطن من النوع الاول ما يساوي ٤ جنيهات ومن النوع الثاني ما يساوي اربعة جنيهات ونصف جنيه ومن النوع الثالث ما يساوي تسعة جنيهات وربع جنيه مع ان الطن من النوع الاول كان يباع بسبعة جنيهات ونصف ومن النوع الثاني بسبعة جنيهات وربع ومن النوع الثالث بثمانية جنيهات ولذلك لا يحسن باحد ان يشتري سماداً كيماوياً ما لم يتأكد ان احد الكيماويين الموثوق بعلمهم وذمتهم حللهُ وعرف مقدار ما فيهِ من النفع للمزروعات

والفصفات الاعلى يفيد زراعة النباتات ذوات الجذور خاصةً كالجزر واللفت وبعض الحبوب كالشعير ولاسيما اذا تأخرت زراعتهُ . ولا يفيد الفصفات ولا غيرهُ من الاسمدة مالم تكن الارض محتاجة اليهِ فاذا كانت غنية بهِ او بالعناصر المهمة التي فيهِ فلا فائدة لها منهُ بل تكون اضافتهُ اليها من قبيل العبث

والمقدار اللازم للفدان الواحد نحو تسعين كيلو اي ان الطن من الفصفات يكفي لتسميد عشرة افدنة او احد عشر فداناً

كبريتات الامونيا

يستخرج من السوائل الباقية بعد استخراج غاز الضوء من الفحم الحجري وهو سهل الذوبان في الماء تسمد الارض بهِ فيضاف اربعون كيلو منهُ الى الفدان وكان المستخرج منهُ من البلاد الانكليزية سنة ١٨٩٠ نحو ١٤٠٠٠٠ طن ومن المانيا ١٠٠٠٠٠ طن ومن فرنسا ١٢٥٠٠ طن ومن هولندا وبلجكا ٣٠٠٠٠ طن ومن الولايات المتحدة ١١٠٠٠ طن

نيترات الصودا

ملح يؤتى بهِ من بلاد بيرو وثمن الطن منهُ من ١٣ جنيهاً الى ١٦ جنيهاً وهو سريع الذوبان في الماء ويفيد الحبوب جدًّا كالقمح ونحوهِ والقنطار المصري منهُ يكفي الفدان وتظهر فائدتهُ حالاً بشدة اخضرار ورق النبات بعد استعمالهِ بايام قليلة والغالب ان تزيد بهِ غلة الفدان اردبين او اكثر

تربية العجول

مدة حمل البقر ٢٨٥ يوماً فان ولدت قبل ذلك فالمولود عجلة وان ولدت بعد ذلك فالمولد عجل هذا هو الغالب . واصلح الاوقات لولادة العجول بداءة فصل الربيع . ويترك العجل بعد

هذا وإسراف الاغنياء على هذه الصورة امر لا بدَّ منهُ والاَّ تجمعت الاموال عندهم ووقفت حركة التجارة . ومنشأ الضرر ليس في هذا الاسراف بل في النظام المالي المتَّبع في الدنيا اي في تقويم اعمال الناس العقلية والبدنية بالمال فيحتال سمسار حيلة لا تكلفهُ الاَّ تشغيل فكرهِ ساعة من الزمان فيكتسب بها مئة الف جنيه ويشتغل عالم عشرين سنة في تحقيق قضية علمية مفيدة فلا يكسب منها عشرة جنيهات فتكون المئة الف جنيه ثمن الساعة من شغل السمسار والعشرة الجنيهات ثمن العشرين سنة من شغل العالم. ولكن لا سبيل لابدال هذا النظام بغيرهِ



السماد الكيماوي

شاع الآن استعمال السماد الكيماوي وقد استعملهُ كثيرون من ارباب الزراعة في العامين الماضيين وزاد استعمالهُ هذا العام . ولم نرَ لغير الجمعية الزراعية الخديوية كلاماً عن نتيجة استعمالهِ لكن الذين استعملوهُ في السنة الماضية ثم استعملوهُ هذه السنة يدلُّ استعمالهم لهُ سنة بعد سنة على انهم رأوا منهُ فائدة تزيد على ثمنهِ ونفقات استعمالهِ والاَّ فلا يعقل انهم يدفعون مئات الجنيهات لكي يقال انهم استعملوا سماداً كيماوياً

والاسمدة الكيماوية التي شاع استعمالها الآن لتسميد الحنطة والقطن ثلاثة وهي اعلى فصفات الجير وكبريتات الامونيا ونيترات الصودا . ومرادنا ان نشرح كلاً منهما بالتفصيل

اعلى فصفات الجير

عُرف من قديم الزمان ان العظام تفيد الزراعة ولا سيما اذا طحنت ومزج التراب بها والمادة المهمة في العظام هي فصفات الجير لكن الفصفات عسر الذوبان جدًّا فصاروا يعالجون العظام بالوسائط الكيماوية لجعلهِ سهل الذوبان ثم اكتشفوا تراباً في الارض مؤَلفاً من الفصفات القابل الذوبان فاستعملوهُ بدل العظام ونتج منهُ نفع كبير للزراعة . وهو في الاصل حجارة بنية اللون او رمادية فيسحق حتى يصير مسحوقاً ناعماً ويرد الى هذا القطر كذلك او يسحق فيهِ من حجارة فصفاتية وجدت في هذا القطر

تكون حراجاً من شجر السنديان فيتولد بين جذور كل شجرة منها نحو عشرة كيلوغرامات من الكمأة في السنة تباع بنحو عشرين ريالاً

وفي طرابلس الغرب نوع من الكمأة يزرع فيها كالبطاطس ويكبر حتى يصير كالبرتقال حجماً فيقلع ويجفف ويستعمله الناس زاداً وهم يقطعون القفار ويمكن سلقهُ بالماء او طبخهُ بلبن النوق وهو طعام جيد

باب التقريظ والانتقاد

كتاب نجدة اليراع

للاستاذ المحقق الشيخ سعيد الشرتوني فضل كبير على طلاَّب العربية بمؤلفاتهِ الكثيرة من قاموسهِ اقرب الموارد الى المقالات التي ينشرها في المقتطف وغيرهِ من المجلات . وقد اتحفنا الآن بكتاب سماهُ "نجدة اليراع" قال في مقدمتهِ انهُ رأى الالوف من ناشئة العصر يتوردون موارد الفصاحة ويتشوَّق كلٌّ منهم ان يكون لهُ في حلبة الكتابة سبق الرجاحة وان يلبي اليراع خاطرهُ تلبية السماحة . وقام في نفوسٍ نزاع الى ركض قرائحهم في هذا المضمار وتلظَّت في افئدةٍ لواعج وجد لنيل هذه الاوطار فهالهم قصاه الطريق ووعورتهُ على ما هنالك من جذب المناجع وكدورة المصانع . فانبرت بهِ النخوة الادبية الى نشر كتاب يردهُ المعدَمَ من الادباء غنيّاً والملتاح مستوفياً ريّاً . ويفتح لمن يشتهي نشر المقالات في الجرائد ابواب البلاغه ويهيئُ للقلم في كل باب مساغه وقسمهُ الى ثلاثة اجزاء الاول يحتوي فقراً للبلغاء في اكثر ابواب الكتابة ومعظمها ممَّا جمعهُ القيرواني والثاني في المتضادات والثالث في القيود والامثال . وقد نشر الجزء الاول منهُ فاذا بهِ روضة غناء ادواحها فصول مختلفة المواضيع حافلة بعبارات منتقاة من اقوال البلغاء كأنها الدر النظيم كقولهِ في التقى والزهد فلان عذب المشرب عفُّ المطلب نقيُّ الساحة من المآثم بريءُ الذمة من الجرائم اذا رضي لم يقل غير الصدق واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق يرجع الى نفسٍ امَّارة بالخير بعيدة عن الشر مدلولة على سبيل البر . وقولهِ في طلوع الشمس بدا حاجب الشمس كشفت قناعها نشرت شعاعها ارتفع سرادقها اضاءت مشارقها . القت الغزالة لعابها وضربت الضحى اطنابها الخ

ولادتهِ ليرضع من امهِ او يفصل عنها ويسقى اللبن فاذا ترك مع امهِ فلبنها يزيد عليهِ كثيرًا اذا كانت كثيرة الدر يكفي خمسة عجول في السنة الواحدة فترضع اولاً عجلين ومتى فطما بعد ثلاثة اشهر ترضع عجلين آخرين ثم يفطمان بعد ثلاثة اشهر ويكون لبنها قد قلَّ حينئذٍ فترضع عجلاً واحدًا . او يقتصر على ارضاع عجلها فقط ويحلب بقية لبنها وهو الشائع

واذا فصل العجل عن امهِ حالاً بعد ولادتهِ يوضع على التبن الجاف ويمسح بدنهُ جيدًا حتى يجف ويسقى رطلاً من اللبن او اللبن الذي يحلب من البقرة حال ولادتها وهو كثيف نوعًا ومسهل لتفرز بهِ المواد التي تكون مجتمعة في اسفل امعاء العجل . ولا بد من ان يسقى اللبن في اليوم الاول كل اربع ساعات او خمس وفي الايام التالية يسقى ثلاث مرات كل يوم الى آخر الاسبوع الاول وبعد ذلك يصير يسقى مرتين كل يوم ويكون مقدار طعامهِ هكذا

	في الصباح	الظهر	المساء
اليوم الثاني	رطلان	رطلان	ثلاثة ارطال
" الثالث	٣ ارطال	٣ ارطال	٤ "
" الرابع	٤ "	رطلان	٤ "
" الخامس	٤ "	"	٤ "
" السادس	٥ "	"	٥ "
" السابع	٥ "	"	٥ "
" الثامن	٦ "	.	٦ "
" التاسع	٦ "	.	٦ "

ومن اليوم العاشر فصاعدًا الى آخر الشهر الاول ثمانية ارطال في الصباح وثمانية في المساء وفي الشهر الثاني ثمانية ارطال من اللبن البائت في الصباح وثمانية في المساء وكذا في الشهر الثالث ثم يفطم

زراعة الكمأة

الكمء نبات فطري لا ورق لهُ ولا ساق ولكن لهُ اصل مستدير كالقلقاس يؤكل نيئًا ومطبوخًا يتولد في الارض من نفسهِ اي من بزور تكون في الارض ويمكن ان يزرع زرعًا وقد اكتشف عالمان ايطاليان طريقة لمزج الارض بجراثيمهِ بحيث يتولد فيها من نفسهِ عامًا بعد عام من غير ان يزرع جديدًا اي انهما ماثلا الطبيعة في ذلك . والارض التي يتولد فيها كذلك

وحملهُ الى اصبهان فاقبل ادباؤُها عليهِ ورفضوا ما عداهُ من الكتب في معناهُ. ثم شاع واشتهر وقد فسرهُ جماعة فمنهم من عني بذكر اعرابهِ ومنهم من عني بالمعاني فمن شرحهُ ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفي سنة ٣٩٥ وابو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢" وهكذا الى ثمانية عشر شرحاً وفي جملتها الشرح الوافي لابي زكريا الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ وقد طبع هذا الشرح في مدينة بُن بالمانيا سنة ١٨٢٨ طبعهُ العلامة فريتغ والحق بهِ اربعة فهارس جمع في الاول منها اسماء الشعراء وغيرهم الواردة في الكتاب مرتبة على حروف المعجم واماكن ورودها في الكتاب . وفي الثاني اسماء المواضع والبقاع الواردة فيهِ وفي الثالث الالفاظ اللغوية والاعلام المفسرة في الشرح وفي الرابع قوافي الاشعار ذلك كلهُ لكي يتيسر الاهتداء الى اي شيءٍ اريد في الشرح

وقد اختصر هذا الشرح الآن حضرة الفاضل الشيخ محمد عبد القادر سعيد الرافعي مقابلاً اياهُ بشرح آخر من الشروح الكبيرة المطبوعة في بلاد الهند واضاف اليهِ مئة بيت اسقطها التبريزي من شرحهِ فرُدَّت الى نصابها وطبعهُ طبعاً متقناً جداً بالشكل الكامل فجعل الابيات متناً في اعلى الصفحة وعليها الشرح بحرف دقيق في اسفلها وقد اوجز حيث يجوز الايجاز واسهب حيث يحسن الاسهاب وايضاحاً لذلك نذكر شرح بيت للتبريزي وشرحهُ في هذا الكتاب

قال التبريزي في شرح

انَّا بني نهشلٍ لاندَّعي لابٍ عنهُ ولا هو بالابناء يشرينا

ان كان الشعر للقيسي فالرواية انَّا بني مالكٍ . وانتصاب بني على اضمار فعل كأَنهُ قال اذكر بني نهشل وهذا على الاختصاص والمدح. وخبر ان لا ندعي ولو رفع فقال انَّا بنو نهشل على ان يكون خبرًا لكان لاندعي في موضع الحال . والفصل بين ان يكون اختصاصاً وبين ان يكون خبرًا صراحًا هو انهُ لو جعلهُ خبرًا لكان قصدهُ الى تعريف نفسهِ عند المخاطب وكان لايخلو فعلهُ لذلك من خمول فيهم او جهل من عند المخاطب بشأْنهم فاذا جعل اختصاصاً فقد امن من الامرين جميعًا وانما قلت خبرًا صراحًا لان لفظ الخبر قد يستعار لمعنى الاختصاص لكنهُ يستدل على المراد منهُ بقرائنهِ وعلى هذا قولهُ انا ابو النجمي وشعري شعري . وقولهُ "لاندعي لاب عنهُ" ندَّعي نفتعل وعنهُ تعلق بهِ ويقال ادعى فلانٌ في بني فلان اذا انتسب اليهم وادعى عنهم اذا عدل بنسبهِ عنهم وهذا كقولهِ رغبتُ في كذا ورغبتُ عنهُ . وقولهُ لاب اي من اجل اب ومعناهُ انَّا لا نرغب عن ابينا فننتسب الى غيرهِ وهو لا يرغب عنا قد رضي

والكتاب كلهُ على هذا النمط وقد الحقهُ بمعجم يفسر ما فيهِ من الغريب وجعل ثمنهُ زهيدًا جدًّا تسهيلاً لاقتنائهِ على الطلاب

مدينة مصر

حاضرها ومستقبلها

كتب حضرة المسيو توسان كانيري من موظفي نظارة الاشغال سابقًا مقالة بالفرنسوية في مدينة مصر وحاضرها ومستقبلها وانشاء بلدية لها . وقد ترجمت الى العربية ونشرت هي وترجمتها في كراس واحد بالعنوان المتقدم فتصفحناهُ فاذا الكاتب يرى وجوب انشاء بلدية لمصر لما في انشاء البلدية من المنافع التي لاتنال الاَّ بها

قال " ولقد كانت المدة التي قضيتها في خدمة الحكومة بقسم المباني في ديوان نظارة الاشغال وهي اثنتان وعشرون سنة سببًا في التأكد من ان الاعمال التي تفتقر اليها مدينة كبيرة مثل مصر لا بدَّ لها من نظام يهمهُ مباشرة الصالح العام فان الحالة الجاري السير عليها الآن لاتفي بالاحتياجات العديدة الواسعة في مدينة مصر ولم تكن رومية في عهد الرومانيين الاَّ قائمة بنظام البلدية . قال جيزو ان البلدية اساس الهيئة الاجتماعية فهي الواسطة الوحيدة لافادة السكان"

ثم ابان الفوائد التي تنشأ عن البلدية مثل زيادة الاهتمام بانشاء المصارف العمومية وتنظيف الشوارع وفتح الشوارع الواسعة وما اشبه ذلك من المسائل التي تتعلق بالبلديات الى ان قال " ان كل جهة متمدنة من المعمورة يقيم فيها اهلها تراهم يتولون ادارة شؤُون انفسهم بحسب احتياجات مصالحهم . فليس من داع لترك العاصمة في حالتها الحاضرة التي لاترضي"

شرح ديوان الحماسة

ديوان الحماسة كتاب مشهور جمعهُ ابو تمام حبيب بن اوس الطائي المتوفى سنة ٢٣١ للهجرة . قال في كشف الظنون " ان ابا تمام قصد عبد الله بن طاهر بخراسان فمدحهُ فاجازهُ وعاد يريد العراق فلما دخل همذان اغتنمهُ ابو الوفاء ابن سلمة فانزلهُ واكرمهُ واصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق فغمَّ ابا تمام ذلك وسرَّ ابا الوفاء فاحضر لهُ خزانة كتبهِ فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات فبقي الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون بهِ حتى تغيرت احوالهم وورد ابو العواذل همذان من دينور فظفر بهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) واضع حروف الهجاء

عطا افندي فهمي بدائرة والدة خديوي . مَن الذي وضع الحروف العربيَّة وكيف حصل ذلك

ج لا يُعلم مَن وضع الحروف العربيَّة . وقد كان اهل حمير يكتبون لغتهم المشابهة للعربية بحروف منفصلة صورناها في الجزء الاول من المقتطف الصادر منذ ثلاثين سنة وكان عرب غسان يكتبون بحروف شبيهة بالكتابة العربية المستعملة الآن وذلك قبل التاريخ الهجري . ويظهر من بعض الروايات ان العرب ترجموا الانجيل والزبور الى العربية قبل الهجرة بسنين كثيرة فلا بدَّ من انهم كانوا يكتبون العربية . ولا يعقل ان يكون العرب اتصلوا بالسريان واليهود والروم والقبط من عهد المسيح وهؤُلاءِ كلهم يكتبون لغاتهم بحروف هجائية والعرب اهل تجارة لا يتعلمون منهم كتابة لغتهم بحروف هجائية . ومتى فتحت بلاد العرب لعلماء العاديات فلا يبعد ان يكتشفوا فيها كتابات قديمة تدلُّ على منشإِ الكتابة العربية فيها

(٢) زيادة حروف الهجاء

ومنهُ . لماذا ترى الحروف العربيَّة لا تقبل الزيادة ولا النقصان

ج انها تقبل الزيادة وقد زيدت فيها حروف الپا والڤاء والگاف والچيم للتلفظ ببعض الكلمات الاعجميَّة . ولو جارت الزمان واقتصر اصحابها على ما يلفظ منها الآن لاهملوا منها الذال والثاء

(٣) واضع الحروف في باقي اللغات

ومنهُ . مَن وضع الحروف في باقي اللغات

ج يتعذر علينا ان نجيب عن هذا السوال اما اللغات التي كتبت منذ عهد قديم فلا يُعلم مَن وضع حروفها لتوغلها في القدم ولان التاريخ لم يحفظ اسماء واضعي الحروف واما اللغات التي كُتبت حديثاً فالاوربيون والاميركيون الذين دخلوا بلاد اهلها للتبشير وضعوا لها حروفاً لتكتب بها وحروفهم رومانية

كلٌّ منا بصاحبهِ . ويقال شريت الشيء بمعنى بعتهُ واشتريتهُ جميعاً ومنهُ الشروى وهو المثل

اما الشرح الذي اكتفى بهِ حضرة الشيخ صاحب هذا الكتاب فهو

"بني نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعهُ لقال انَّا بنو نهشل . ومعنى لاندعي لاب لانتسب لاب غير ابينا . وقولهُ ولا هو بالابناء يشرينا معناهُ انهُ راضٍ بنا كما نحن راضون بهِ" وقد اسهب احياناً اكثر من ذلك ولكنهُ اقتصر على ما قلَّ ودلَّ . وحبذا لو الحق هذا الشرح بشرح لاسماء الاعلام الواردة فيهِ اتماماً للفائدة

الاجوبة المسكتة

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي صابر بديوان عموم الاوقاف كتاباً الفهُ وسماهُ " الاجوبة المسكتة " الواردة عن العرب والفلاسفة وغيرهم . قال في تعريف الاجوبة المسكتة نقلاً عن بعضهم " انها اصعب الكلام مركباً واعزهُ مطلباً لان صاحبها يجعل مناجاة الفكرة واستعمال القريحة حيث يروم في بديهتهِ نقض ما أُبرم القائل في رويتهِ " الخ . ونقل عن الامام عليّ قولهُ " نعم الناصر الجواب الحاضر "

ومما ذكرهُ من الاجوبة المسكتة اللطيفة " ان بعض الاعراب دخل على المأمون فقال يا امير المؤمنين انا رجل من الاعراب الاغراب . قال لا عجب . فقال اني اريد الحج . قال الطريق واسعة . فقال ليس معي نفقة . قال قد سقط عنك الحج . فقال ايها الامير جئتك مستجدياً لا مستفتياً "

وقد ذيَّل الكتاب بتراجم اشهر فلاسفة اليونان القدماء الذين نقل بعض الاجوبة المسكتة عنهم مثل سقراط وافلاطون وارسطو فنشكرهُ على هديتهِ ونثني على اجتهادهِ

الهدية العصرية الى الجامعة الوطنية

وقفنا على هذا الكتيب لحضرة مؤلفهِ الاديب سليمان افندي مصوبع المحامي وهو مجموع مقالات نشرها في بعض الجرائد ثم ضمها معاً فيهِ فمن مواضيع هذه المقالات العمران والمحاماة ومسأولية الانسان وادوار الحياة ومدنية البشر وما اشبه من المواضيع الادبية الاجتماعية

وجذورها ضاربة في الارض في مساحة واسعة فتمتص الغذاء منها وترسلهُ الى الاوراق والعناقيد . والغذاء اللازم للعناقيد كثير وفيهِ مواد نيتروجية لازمة للزهر والثمر . اما العقدة التي زرعتموها فالغذاء فيها قليل جدًّا والجذور الصغيرة التي نبتت منها لا تستطيع ان تمتص ما يلزم من الغذاء لنمو العنقود فجفَّ و يبس ووقع . وربما يظهر فيها عناقيد في السنة التالية فيجب قطفها منها ورميها قبلما تكبر لان قوة الكرمة غير كافية لنموها وانماء العناقيد ايضًا فاذا تركت العناقيد عليها اضعفتها وقد تيبسها . ولا تتركوا العناقيد عليها الَّا بعد السنة الرابعة اذا اردتم ان تنمو وتقوى جيدًا

(٧) النور المنعكس

قنا . احد المشتركين . كانت احدى السيدات في ليلة ١٧ ابريل الماضي واقفة في بلكون منزلها المطلّ على الخلاء فرأت على بعد شيئًا يلمع كلمعان الماس ان لم اقل اشد لمعانًا منهُ وظهر لها حجم المنظر في اولهِ اكبر من نور نجم كبير ثم اخذ نورهُ يتراوح بين ظهور وانكماش مرات متوالية الى حد انهُ صار في الصغر كراس الدبوس ثم تلاشى . ولما كان هذا المنظر غريبًا نادت سيدة اخرى كانت معها في المنزل فرأت الثانية ما رأتهُ الاولى وكانت الثانية ترى والاولى لا تنظر شيئًا . ثم اتت سيدة ثالثة فرأت المنظر والسيدتان الاوليان لا تريانهِ وكانت الساعة ١١ مساء . وغاية ما عللناهُ انهُ ضرب من دبابات الارض لهُ صدفة براقة كان نور القمر ينعكس عنها فهل هذا التعليل صحيح ولماذا كانت الواحدة تراهُ والثانية لا تعود تراهُ

ج ان تعليلكم قريب من الصحة فان اليوم كان حينئذٍ ١٢ صفر والقمر يقرب ان يكون بدرًا والظاهر ان نورهُ كان ينعكس عن قطعة زجاج او خزف مدهون فرأتهُ الاولى وكان يتغير بتحرك رأسها ثم لم تعد تراهُ من موقفها فاتت الثانية ووقفت الى جانبها فرأتهُ ولو وقفت مكان الاولى تمامًا لتعذَّرت عليها رؤيتهُ حينئذٍ ثم لم تعد تراهُ لان القمر يسير الى الغرب حسب الظاهر فلا يرى نورهُ المنعكس من مكان واحد الَّا برهة وجيزة ويتضح لكم ذلك من وضعكم مرآة صغيرة على الارض بحيث يقع نور الشمس عليها ووقوفكم في مكان ترون منهُ النور المنعكس عنها فاذا بقيتم في مكانكم دقيقة او دقيقتين لا تعودون ترون النور المنعكس ولكنكم ترونهُ اذا انحرفتم عن مكانكم الى الجهة التي ينحرف اليها النور واذا كانت المرآة صغيرة كانت رؤيتكم لنورها اقصر مدةً

(٨) الزراعة السورية

صيدا . ا . ع . ز . نراكم تكتبون في باب الزراعة عما يختص بالقطر المصري على انكم تعلمون ان القطر السوري في اشد الحاجة

(٤) بوارج الدول

مصر . احمد افندي سليم . كم عدد البوارج والطرادات عند كل دولة من الدول

ج كان عددها قبل الحرب الحاضرة كما ترون في الجدول التالي

	البوارج من الطبقة الاولى	الطرادات المدرعة
بريطانيا	٥٣	٢٤
فرنسا	٢٠	١٧
روسيا	١٤	٦
المانيا	١٦	٤
ايطاليا	١٤	٦
اميركا	١٢	٦
اليابان	٥	٨

اما بعد الحرب فسفن روسيا غرقت او تعطلت او غنمها اليابانيون وما سلم منها قليل جدًّا. وهذه الدول تبني الآن عددًا كبيرًا من البوارج والطرادات كما ترون في الجدول التالي

	البوارج التي تبني الآن	الطرادات المدرعة التي تبنى
بريطانيا	٨	٤
فرنسا	٦	٢
روسيا	٥	٤
المانيا	٦	١
ايطاليا	٤	٣
اميركا	١٢	٢
اليابان	٢	

(٥) لغة العيون

بغداد . الخواجه يوسف مسيح . وقفنا على اشتغال بعضهم بابتكار لغة تكون الفاظها حركات العيون بناء على ان حركة العين تدل على مقصد النفس كما هو معلوم فهل توصَّلوا الى طائل من ذلك

ج لم نقف على شيء من ذلك ولا نظن انهُ يسهل التعبير عن كلمات اللغة بحركات العينين ولكن لا يتعذَّر تعليم الاصم ان يفهم كلام المتكلم من رؤيتهِ حركات شفتيهِ وهو يتكلم من غير ان يسمع شيئًا وذلك جارٍ الآن فعلاً ثم يعلَّم الاصم ان ينطق فيصير يتكلم كما يتكلم سائر الناس ويفهم الكلام مثلهم ولو لم يسمع شيئًا

(٦) القطف الباكر

مصر . الخواجه ابرهيم سروسي . زرعنا عشر عقد من الكرم في شهر فبراير الماضي . وفي شهر مارس ظهر الورق في بعضها وظهر في احدى العقد قطف من العنب ثم جفَّ في شهر مايو وسقط من غير ان يمسهُ احد ولكن العقدة ما زالت تخضرُّ الى الآن فنرجو ان تخبرونا عن سبب ذلك

ج ان جرثومة الورق والقطف كانت في العقدة ولو بقيت العقد في امها ولم تقطع منها لنما القطف وصار عنقودًا من العنب لان الكرمة التي قُطعت العقدة منها تقدّم لهُ ما يكفيهِ من الغذاء اللازم لهُ لانها كبيرة

والصعوبة على ابناء العربية ويختلف الزمن اللازم لتعلم لغة منهما حسب ميل المتعلم الى تعلم اللغات ومقدار اجتهاده واسلوب المعلم الذي يعلمهُ . فقد تكفي لذلك سنتان وقد لاتكفي السنون الطوال والغالب ان اربع سنوات تكفي لاتقان لغة تكلماً وقراءةً وكتابةً اذا درست الدرس الواجب . والانكليزية انفع الآن من الفرنسوية في القطر المصري وقد زاد الاقبال عليها كثيرًا في هذه الايام ولا بدَّ من فائدة مادية من معرفة كل لغة عند من يعرف كيف يجني الفائدة

(١٢) ماء الآبار الارتوازية

ومنهُ . هل ماء الآبار الارتوازية يحتاج الى ترشيح في الزير

ج كلاَّ لانها تكون قد ترشحت في الارض

(١٣) فائدة البيض

ومنهُ . رأيت بعض الاطباء يصف مح البيض دون آحه فهل المح اشد نفعاً . وقرأت في بعض كتب الطب ان عدم مزجهما معاً مضرٌّ بالكبد فهل لذلك صحة

ج ان في بياض البيض ١٢ في المئة البيومن (زلال) و ٨٦ في المئة ماء وقليل من الاملاح القابلة الذوبان والالبيومن مادة مغذية . وفي صفاره نوع من الالبيومن اسمهُ فيتلين وزيت اصفر اللون وقليل من الحامض الفصفوريك . والفيتلين فيهِ ١٦ في المئة والمادة الدهنية ٣٠ في المئة فالمادة المغذية فيهِ ٤٦ في المئة وهي في البياض ١٢ في المئة ولكن الصفار الثلث والبياض الثلثان فاذا حسبنا وزن المادة المغذية في البيض كلهِ بياضهِ وصفارهِ ٧٠ قمحة فاربعة وعشرون منها في البياض و ٤٦ في الصفار وفي الصفار عدا ذلك حامض فصفوريك وهو لازم لبناء الدماغ . والبيض مغذٍّ كلهُ ومن اكثر الاطعمة غذاء ولا نرى وجهاً لما رأيتموهُ في كتب الطب من ان عدم مزجهما مضرٌّ بالكبد

(١٤) الاغتسال بالماء البارد

ومنهُ . هل يصلح الاغتسال بالماء البارد لكل صحيح الجسم قوي البنية وهل يحسن استعمالهُ في كل الفصول وكم هي الكمية التي يلزم استعمالها وفي اي وقت يكون اصلح وهل السباحة في البحر والنهر مضرة

ج نعم يصلح وفي كل الفصول بشرط ان لا يشعر المغتسل ببرد شديد فاذا شعر ببرد شديد فالماء البارد يضرهُ ولا ينفعهُ وكلما كان الماء كثيرًا كان اصلح وافضل الاوقات الصباح وعلى كل حال لا يحسن الاغتسال بعد الاكل مباشرة والسباحة لا تضرُّ بل تنفع بشرط ان لا يتعب السابح كثيرًا

(١٥) لبس الجوارب

ومنهُ . هل يلزم لبس الجوارب دائماً لمن اعتادها وهل لنزعها تأثير يضر بالعيون حتى لمن نزل من سريرهِ بدونها على سجادة

الى ذلك . ولماذا لا تترجمون كتاباً مفيداً في علم الزراعة وتنشرونهُ تباعاً في مقتطفكم المفيد لتعمَّ الفائدة

ج ان اكثر ما ننشرهُ الآن في باب الزراعة خاص بالقطر المصري لان مشتركي المقتطف فيهِ اضعاف مشتركيهِ في القطر السوري فمصلحتهم مقدمة طبعاً . ولما كان المقتطف ينشر من بيروت وكان مشتركو سورية اكثر من مشتركي مصر كان اكثر ما ننشرهُ في باب الزراعة خاصاً بالقطر السوري وترجمنا حينئذٍ رسائل كثيرة في علم الزراعة وتربية المواشي حتى لا نظن اننا تركنا باباً لم نكتب فيهِ كتابة مسهبة كما يظهر لكم بالمراجعة ولقد كان في نيتنا ان نجمع مما كتبناهُ هناك كتاباً وننقحهُ وننشرهُ ولكننا لم نجد الوقت اللازم لذلك حتى الآن

(٩) الماسونية

ومنهُ . تباينت الاقوال في اسرار الجمعية الماسونية فمن قائل انها لامر يختص بالدين ومن قائل بالسياسة ومن قائل ان المراد بها هدم كل سلطة فما هو غرضها الحقيقي ولماذا تبقي على امور سرية فيها

ج غرضها الحقيقي ان يساعد اعضاؤها بعضهم بعضاً ولو لم يفعلوا ذلك دائماً . ولما كان جمهور كبير منهم من المتعلمين الذين خلعوا نير التقليد في كل شيء ديناً وسياسة فالباقون يحذون حذوهم في الغالب من معاشرتهم ولكن الماسونية نفسها لا تطلب ذلك ولا تنفيهِ كما ان الجمعيات التجارية والزراعية لا تطلب من اعضائها مطالب دينية ولا سياسية . اما ابقاؤُها على بعض الاسرار فلكي يعرف اعضاؤُها بعضهم بعضاً في الغربة ويستطيعوا ان يساعد بعضهم بعضاً

(١٠) سبب ارتقاء الغرب

ومنهُ . هل ارتقاء الغرب من الحكومة او من الشعب

ج من الشعب ولكن اتفق ان الحكومة لم تحُل دون ارتقائهِ فلما ارتقى ارتقت معهُ ولو اتفق ان كان رجال الحكومة معارضين لارتقاء الشعب كما حدث في اسبانيا مثلاً لتأخر ارتقاؤُهُ الى ان يتولاهُ حكام لا يمنعون ارتقاءهُ . فالحكومة قد تفيد وقد تضر وقد لا تفيد ولا تضر فان كان الثاني فالغالب ان الشعب يعجز عن مغالبتها والسير في سبيل الارتقاء وان كان الاول اعتضد بها على الارتقاء كما حدث في بلاد اليابان وان كان الثالث فالارتقاء يجري مجراهُ ولو كان بطيئاً ثم يتغلب على الحكومة فتجري معهُ

(١١) الانكليزية والفرنسوية

ومنهُ . اي اللغتين اسهل الانكليزية او الفرنسوية وكم يقتضي لتعلم كل لغة منهما واتقانها وايهما انفع في القطر المصري وهل لمن يعرفهما او يعرف احداها فائدة مادية

ج لعلَّ اللغتين متساويتان في السهولة

فاخذت الرسوم عليهِ عند ادخالهِ اليها . فاجابتهُ الحكومة انهُ وان كان القانون يقضي باخذ الرسم عليها ثانية الآن مفعولهُ لا يسري عليها هذه المرة لان الغرض خدمة العلم

وقد حذت حكومة اسبانيا حذوها فقررت اعفاء الآلات التي يحضرها الفلكيون معهم الى اسبانيا لرصد الكسوف فيها

قطن صناعي

جُرِّب عمل القطن الصناعي في بافاريا من خشب الصنوبر ويقال ان التجارب جاءت على ما يرام . وطريقة ذلك انهم ينزعون عن الخشب قشرهُ ويقطعونهُ قدداً رقيقة جداً ثخن القدة منها ١/١٦ من البوصه او اقل ثم توضع في اسطوانة كبيرة من النحاس موضوعة افقياً ومبطنة بالرصاص ويدخل البخار اليها . وبعد ما يتمّ تحليل القدد بالبخار يضاف اليها محلول كبريتيد الصودا وتحمى الاسطوانة تحت ضغط شديد مدة ٣٦ ساعة فيبيض الخشب ثم يغسل ويضغط ويضاف اليهِ كلوريد الكلس لزيادة تبييضهِ ويعالج ايضاً بمزيج من الحامض النتريك والهيدروكلوريك وكلوريد التوتيا ومواد اخرى فتخرج الخيوط منهُ دقيقة متينة يمكن صبغها بجميع الالوان

بحيرة قارون

ظهر من الاكتشافات التي اكتشفها ستون كار في صحراء الفيوم ان بحيرة قارون القديمة كانت تتألف في زمان من الازمان السالفة من سلسلة واحات تمتد الى الشمال الغربي من البحيرة الحالية وعلى بعد نحو ١٥ ميلاً من حدّها واكتشف عدداً كبيراً من حجارة الرّحى والادوات الصوانية في تلك الناحية وارسل بعضها الى متحف القاهرة

خسارة الحروب

كتب الدكتور لويس الكند مقالة في "مجلة اميركا الشمالية" عن الحروب القديمة والحديثة اوضح فيها انهُ كلما زاد السلاح مضاء قلّ فتكهُ وقال ان حروب منشوريا بما يجري فيها من الفظائع والمجازر الآن ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة الى الحروب القديمة التي كان سلاحها السيوف والحراب . فان البندقية الحديثة تقتل على بعد نحو ميلين ولكنها اقلّ فتكاً من بندقية الزناد التي لم تكد تقتل على بعد ٣٠٠ ذراع . وفي المعارك الكبيرة التي جرت بين سنة ١٧٤١ وسنة ١٨٧٨ (ومن ضمنها حرب الدولة العثمانية وروسيا) كان يقع ٢٥ قتيلاً من كل مئة رجل يصابون ولكن يؤخذ من احصاءات الحروب الحديثة ان متوسط القتلى في ميادين القتال لم يزد على ١٨ في المئة من المصابين وكان بين ٧ و ١٥ على الغالب

والسبب في ذلك ان الرصاصة الحديثة صغيرة جداً حتى ان ٧٩ في المئة من الذين

من صوف

ج كلا لا يلزم لبسها دائمًا ولكن لبسها اقرب الى النظافة فاذا اقام الانسان في بيتهِ ورأى ان العادات لا تقضي عليهِ بلبسها فعدم لبسها اصلح لهُ ولا يضرُّ ذلك بعينيهِ سواءٌ نزل على سجادة من صوف او على الحصير او على الارض . واذا كان الفصل شتاء فبرد القدمين يتعب ويؤلم وقد يضرُّ ايضًا فيلزم اتقاؤهُ بلبس الجوارب او اعتيادهُ تدريجًا

(١٦) البراغيث

ومنهُ . عما تحدث البراغيث وما طرق استئصالها

ج تبقى بيوضها من سنة الى سنة فتتولد منها وتبيض وتخلف وهلمَّ جرًّا . والنظافة التامة في البيت وما جاورهُ تقللها او تزيلها ولكن اذا نظف الانسان بيتهُ جيدًا ولم ينظف جيرانهُ وزوَّارهُ بيوتهم وثيابهم وابدانهم اتصلت البراغيث منها اليهِ



اوجه القمر في شهر يوليو

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
الهلال	٢	٧	٥٠	مساء
الربع الاول	٩	٧	٤٦	"
البدر	١٦	٥	٣٢	"
الربع الاخير	٢٤	٣	٩	"

السيارات

عطارد لا يرى في اول الشهر ويكون نجم المساء في آخرهِ

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ

المريخ يرى من الساعة ٢/١ ٢ صباحًا في اول الشهر وبعيد نصف الليل في آخرهِ

المشتري يطلع بعيد الساعة ٢ صباحًا في اول الشهر ونصف الليل في آخرهِ

زحل يرى بعد الساعة ١٠ مساء في اول الشهر والساعة ٨ في آخرهِ

الكسوف المقبل

قررت حكومة الولايات المتحدة ان تعفي من الرسوم النظارات والمرايا والمنشورات والعدسيات وغيرها من الادوات الفلكية التي يأخذها الفلكيون معهم لرصد الكسوف المقبل عند ارجاعها معهم بعد مشاهدة الكسوف . فان القانون يقضي باخذ الرسوم عليها ولكن مدير مرصد لك كتب الى الحكومة يطلب منها اعفاءها من الرسوم لاسيما وان اكثرها صنع خارج الولايات المتحدة

وتستخدم كلاب سان برنار لرد" الاولاد الضائعين الى اهلهم . فقد علَّموها انهُ اذا وجد ولد يصرخ بين جمع مزدحم فالغالب ان يكون ضائعاً فتأخذهُ الى نقطة البوليس حيث يرد الى اهلهِ

ثوران يزوف وبيله

ثار بركان يزوف في اواخر الشهر الماضي وقذف مقداراً كبيراً من الحمم والمواد المصهورة في ٢٧ منهُ فسالت مسافة كيلو متر في ساعة واحدة

وثار جبل بيله في المارتينيك في اوائل الشهر فاضاءت قنتهُ بغتة مساء السبت في ١٠ منهُ ثم انشقت صباح الاحد فسال منها مقدار من الوحل الى الوادي وارتفع عمود دخان الى علو ١٥٠٠ ذراع

اقزام هريسن

اتفق المجمع الانثروبولوجي في انكلترا مع الكولونل هريسن على نشر تقرير علميّ مستوفٍ عن الاقزام الذين جاء بهم الى انكلترا من افريقية واوصافهم البدنية والعقلية وعين مجلس المجمع لجنة من علماء الانثروبولوجيا والاطباء لهذه الغاية وهم السر جونستن رئيساً والاستاذ ارثر طمسن والدكاترة كيث ورفرس ومري لسلي والاستاذ جولند والمستر جراي والمستر جويس اعضاء

جائزتان

عين الدكتور هنري دي رتشيلد جائزتين الواحدة وهي ٢٠٠ جنيه تعطى السنة القادمة لمن يؤلف احسن كتاب في افضل طعام يطعمهُ الطفل منذ ولادتهِ حتى يبلغ السنتين من عمره . والثانية ١٢٠ جنيهاً تعطى لمن يؤلف احسن كتاب في تقديم اللبن الى اهالي مدينة كبيرة . وتباح الكتابة في هذين الموضوعين لكلّ من شاء بلا استثناء وتقفل المناظرة في غرة يونيو سنة ١٩٠٦

الملوك والرعية امام القانون

لا يجيز القانون الانكليزي للملك اقامة دعوى مدنيَّة على احد من رعيتهِ بل يجيز لهُ اقامة الدعاوى الجنائية . فاذا اقام دعوى جنائية اخذت شهادتهُ كتابة وقرئت في المحكمة لان الملك لا يحضر المحاكم . اما الرعية فيجوز لمن شاء منها ان يقيم دعوى مدنيَّة على الملك وذلك بان يعرض على مجلس الامة ما يسمونهُ " عريضة الحقوق " فتحال العريضة على الاعيان المنوط بهم النظر في الامور القضائية في مجلس الاعيان فيقررون ما اذا كانت الدعوى تسمع او تحفظ . ولم يرفع احد من الانكليز دعوى على احد من ملوكهم منذ مئة سنة

اما امبراطور الالمان فلا يجيز لهُ القانون ان يقيم دعوى على احد من رعيتهِ

يصابون بها في ابدانهم ورؤوسهم لا يموتون وان لم تستخرج منهم كأن لم يصبهم مكروه . وكان معظم سبب الوفيات في الحروب القديمة قذر الجروح وتأخر فن الجراحة . بخلاف ما هي الحال عليهِ هذه الايام فان عناية الجراحين بالنظافة مشهورة وفن الجراحة بلغ شأواً بعيداً فالجنود اليابانية تغير قمصانها قبل المعركة منعاً لفساد الجروح مما يعلق بالاقمصة من الغبار وما يلوثها من العرق . فكان هذا بعض السبب في قلة الوفيات بين جرحاهم

وتظهر غباوة جرَّاحي الايام السالفة من الاعمال التي كانوا يعملونها لمنع فساد الجراح قال احد كبارهم ان البارود يفسد الجروح التي يحدثها لانهُ سمٌّ وان خير الطرق لمعالجة جرح مثل هذا كيُّهُ وصبُّ الزيت المغلي عليهِ . يحكى ان بعض الجراحين كانوا يعملون عمليات الكيّ فوجدوا انهُ لم يبقَ عندهم زيت فذعروا من ذلك وتوقعوا الموت العاجل لجرحاهم ولكنهم رأوا بعد ذلك ان الذين لم يعالجوهم البتة التأمت جروحهم واصبحوا احسن حالاً من الذين اوقعهم سوء الطالع تحت ايديهم

قال واطلقت الدول المتحدة (التي اتحدت على بونابرت) ١٢ مليون خرطوشة و ١٧٩ الف قنبلة في معركة لبسك فقتل وجرح من الفرنسويين ٤٨ الف رجل اي ان طلقاً واحداً من كلّ ٢٥٠ اصاب رجلاً . والمشاة يفقدون اكثر كثيراً من الفرسان ولو تعرّض الفرسان لنار حامية . وظهر من تاريخ حروب الروس انهم لم يكونوا ينكسرون حتى يفقدوا ٣٠ الى ٤٥ في المئة من مجموعهم بين قتيل وجريح وذلك دليل على استبسالهم واستقتالهم في القتال . اما في حرب الترنسفال فان الانكليز انهزموا في بعض المعارك ولم يفقدوا سوى ٢ الى ٥ في المئة من مجموعهم . ومتوسط ما يفقدهُ الروس من الضباط بالنسبة الى الجنود في المعارك ٢٨ في المئة وما يفقدهُ الانكليز ١٣ في المئة

الكلاب مكان البوليس

تستخدم ادارة بوليس فلادلفيا الكلاب للتفتيش عن السكارى كما تستخدم كلاب سان برنار للتفتيش عن الذين يهرأهم البرد في جبال الالب . فاذا اقبل الليل خرجت الكلاب الى الازقة والمنعطفات حتى اذا عثرت بسكير مطروح على الارض عادت الى اقرب بوليس وجرّتهُ الى حيث السكير ملقًى ولا تزال ملازمة لهُ حتى ينقلهُ البوليس من مكانهِ

ومن مزايا هذه الكلاب انها تعلم بشبوب النار بقوة شمها الغريبة فتنذر البوليس بالخطر قبل امتداد اللهب . وبينها كلب اهتدى الى خمس نيران قبل تصاعد الدخان منها واهتداء الخفراء اليها بهِ فسلمت بذلك الارواح والاموال من النار

ثم تلت القوارب الاخرى بين متقدم ومتأخر

ويظهر من كلام الجرائد الاميركية عن الاستعداد للسباق ان النتيجة كانت طبق المنتظر فان الاكثرين كانوا يقدرون السبق للقارب "اتلنتك" الاميركي ويحلون القارب "همبرج" محلاً ثانياً فجاء تقديرهم مطابقاً للواقع

معروضات عثمانية صناعية زراعية

جاءنا منشور بالعنوان المتقدم من الشوير في لبنان مؤرخ في ٢٥ ايار (مايو) سنة ١٩٠٥ وممضى بامضاء حضرة الوجيهين فارس افندي مشرق الرحباني رئيس شركة المعروضات وداود افندي سليمان مجاعص الكاتب . وقد وجها الخطاب فيهِ "الى ابناء الوطن الكرام" وأبانا ما المّ بجبل لبنان من الخسارة الاجتماعية اثر مهاجرة شبانه الى البلدان الاجنبية قصد الاتجار ثم قالا "ولذا فقد رأت شركة عثمانية وطنية ان تبدأ في مشروع يوقف تيار المهاجرة الهائل وذلك بان تسعى الى تحسين مصالحنا الثلث (الصناعة والزراعة والتجارة) عن طريق "محل للمعروضات العثمانية الوطنية" يجري فيهِ التنافس بالمصنوعات والمزروعات وتأتي النصائح والخطب اللازمة في الصناعة والزراعة حتى اذا تمّ ما نريد وصار في امكان صنائعنا منافسة الصنائع الاجنبية تألفت شركة تجارية لتصديرها الى الخارج فتكون الحياة الاقتصادية عن هذا الطريق اعز واوفى ولنا في همم اخواننا المهاجرين اكبر شفيع بالرواج في البلاد القاصية"

وذكرا ان صاحب الدولة مظفر باشا متصرف جبل لبنان اظهر ارتياحهُ الى هذا المشروع فحثّ مأموري الجبل على تعضيدهِ بتشويق الاهالي الى الاقبال عليهِ وعرض معروضاتهم الصناعية والزراعية في المعرض الذي يقام في محلّة "مرحاتا" بظهور الشوير في غرة شهر آب (اغسطس) المقبل . وقد خُصّص هذا المعرض لعرض المصنوعات الوطنية من جميع الاجناس والفواكه والخضر والبقول . وفي المنشور ان الشركة عينت جوائز نقدية للعارضين وان مدة المعرض لا تتجاوز ٣٠ يوماً

ولا ريب ان الفكرة حميدة يدعو لها كلُّ محبّ لوطنهِ بالنجاح فعسى ان نرى من همة اصحابها ما يحقق هذه الامنية فلا يذهب سعيهم فيها سدًى

اصلاح غلط

في الصورة الاولى من صدر الجزء السادس "ترى بعض العلماء" صوابها "ترى بعين العلماء" . "وكوكبة الجبار" صوابها "كوكبة الجاثي"

وصفحة ٧٧ من الرواية السطر ١٨ بهية صوابها حليمة

مدنية كانت او قضائية وكذلك لا يجيز القانون لاحد من الرعية ان يقيم دعوى على الملك غير دعاوي الدَّين وحينئذٍ ترفع العرائض الى ناظر الجيب الخاص

واما ملك ايطاليا فيرافع رعيتهُ وترافعهُ في محكمة خصوصية يدعى الملك نفسهُ اليها لسماع شهادتهِ ولكن يحقُّ لهُ ان يرفض الجواب على ايّ سؤَال يسألهُ وكيل المدَّعي

وكذلك قيصر روسيا فانهُ يجوز لايّ شاء من رعيتهِ ان يرافعهُ الى المحاكم ولكن لم يجسر احدٌ من الروس ان يقيم دعوى على احد القياصرة منذ زمان طويل

فصول المريخ

كان المستر لويل يرصد المريخ في ٩ ابريل الماضي في مرصد فلاجستاف بالولايات المتحدة فرأَى ما يدلُّ على تغير الفصول فيهِ واهمُّ ما رآهُ تغير لون المساحات المعروفة من اخضر مزرقٍ الى اسمر محمر. وطقس المريخ وقت الرصد يقابل طقسنا في شهر فبراير

تجارب جديدة في عمل الماس

جرَّب الاستاذ مواسان تجارب جديدة ليرى تأثير الكبريت والسلكا والفوصفور في تبلور الكربون فوضع بعض الحديد والسكَّر معاً في بوتقة وصهرها في اتون كهربائي. فلما أُشبع الحديد المصهور كربوناً من السكَّر وضع معهُ قليلاً من كبريتيد الحديد ثم برَّدت البوتقة فجأة بتغطيسها في الماء البارد فظهر ان الكربون تبلور ماساً من الداخل وان كبريتيد الحديد زاد تكوُّن البلورات. وكان لابدَّ من تغطيس المذوَّب في الماء البارد فجأة والاَّ لم يحدث تبلور. وظهر ان السلكا ساعد على التبلور ايضاً واما الفوصفور فلم يؤَثر اقلَّ تأْثير

سباق القوارب

جرى سباق القوارب في ١٧ مايو الماضي بين احد عشر قارباً منها ستة اميركية واربعة انكليزية وواحد الماني بني في انكلترا وميدان السباق من مكان اسمهُ "سندي هوك" في ساحل اميركا الشرقي الى مكان اسمهُ راس "لزرد" في ساحل انكلترا الغربي والمسافة بين المكانين ٣٠٠٠ ميل . وقد تمَّ السباق في اواخر الشهر فكان السابق القارب المسمى "اتلنتك" لرجل اميركي فانهُ قطع تلك المسافة في ١٢ يوماً و ٤ ساعات ودقيقة فبلغ راس "لزرد" في ٢٩ مايو الساعة ٩ والدقيقة ١٦ ليلاً فنال الجائزة وهي كأْس من الفضة عينها امبراطور المانيا لهذه الغاية

وتلاهُ القارب همبرج لشركة المانية فانهُ بلغ آخر السباق في ٣٠ مايو الساعة ٧ والدقيقة ٢٢ مساء ثم القارب "ڤلهلا" وصاحبهُ ارل كروفورد الانكليزي فانهُ بلغ غايتهُ في ٣١ مايو الساعة ٨ والدقيقة ٨ مساء

الفصل الرابع والعشرون

تغيّر الشؤُون

الخواجه لافي — اوحشتمونا يا حضرة الشيخ وطالت غيبتكم علينا

الشيخ احمد — نعم كنت غائباً في الصعيد ولم اعد الاَّ امس وقد قرأت وانا هناك عن النكبات العديدة التي اصابت اصحابنا كلهم هنا وفي منشوريا وعسى ان تنتهي على خير

الخواجه لافي — على خير ان شاء الله. ولكن مَن لكم من الاصحاب في منشوريا

الشيخ احمد — ليس اصحابي انا بل اصحابكم انتم. قال ذلك وتبسَّم وغمز بعينيهِ

الخواجه لافي — مكتوب عندنا في التوراة ان الامة التي تضطهدنا فالرب يجازيها

الشيخ احمد — هل تتركون المجازاة للرب او تساعدونهُ فيها

الخواجه لافي — نحن نفعل ما في يدنا مثال ذلك اننا لا نسهّل لعدونا عقد قرض واذا تيسَّر لنا ان نحرّك اعداءهُ عليهِ لا نتأخر لاننا نكون منفذين لارادة الله

الشيخ احمد — واي نفع ينالكم من ذلك اي نفع ينالكم لو تمَّ الفوز لليابان على الروس وجمهوركم يسكن بلاد الروس لا بلاد اليابان

الخواجه لافي — اذا حدث ذلك فلا بدَّ ما تُصلَح حكومة روسيا ويتولاها اناس مسؤُولون عن اعمالهم وحينئذٍ نأمن على ارواحنا ويصير لنا المقام الاول فيها لان اليهود اقدر من غيرهم على الكسب وصاحب المال سلطان. انظر انكلترا وفرنسا والنمسا فان لنا المقام الاول فيها وانظر كيف صار حالنا في هذا القطر بعد ما استتبَّ الامن فيهِ

الشيخ احمد — ولكن يبلغني ان روسيا تجند الجنود منكم فهل ذلك صحيح وهل تحاربون معها عن طيب نفس

الخواجه لافي — أمَّا انها تجند الجنود منا فهذا صحيح واما ان رجالنا يحاربون معها قلباً وقالباً فهذا لا اظنهُ بل ان اكثر جنودها مثل اليهود يفعلون ما يأمرهم بهِ ضباطهم ولكنهم يكونون اول المنهزمين اذا نودي بالهزيمة وحقًّا اني لا ادري كيف يستخلص الانسان عدوَّهُ ويعتمد عليهِ في الدفاع عن بلادهِ

الشيخ احمد — وما رأيك في مصير هذه الحرب وما رأي اخوانكم في انكلترا

الخواجه لافي — اتانا كتاب من اليابان من الخواجه هنري برون واظنك التقيت بهِ هنا في الشتاء الماضي يقول فيهِ ان اليابان مستعدَّة لهذه الحرب استعداداً لا مثيل لهُ وان

فهرس الجزء السابع من المجلد الثلاثين

لاحد رعاياهم يحرّمهُ رجال السياسة قولاً ولكنهم يحللونهُ فعلاً وقد يكون منهُ شيء من الضرر ولكن ضررهُ لايقابل بما كان يفعلهُ الملوك في الازمنة الغابرة فانهم كانوا يغزون البلدان ويستبيحون كل ما فيها لاجل الكسب يأخذون اموالها ويبيعون رجالها ونساءها عبيداً لكي يكتسبوا من ذلك واذا امكنك ان تحلل وتشرح كل ما حدث في الدنيا من الحروب منذ مئة سنة الى الآن بل منذ اقدم ازمنة التاريخ الى الآن رأيت ان للمصالح المالية الشأن الاكبر فيهِ ولكن لنرجع الى سياحتك ياشيخ كيف وجدت الصعيد

الشيخ احمد — على غاية . الارض كلها بساط من الزبرجد بل من الزمرد لشدة اخضرار زرعها وقد شرع اهالي المديريات الوسطى في زرع القطن وستكون سنة خير ان شاء الله رغماً عن انخفاض النيل لان الخزان يسدّ العجز و يزيد عليهِ وقد اذهلني ارتفاع اسعار الاطيان فان احد معارفي اشترى نحو خمس مئة فدان من شركة الدائرة السنية ولم يدفع حتى الآن الاّ نحو عشر ثمنها وقد أُعطي ربحاً عشرة آلاف جنيه فلم يقبل ولا يبعد ان يعطى خمسة عشر الفاً او عشرين الفاً . ولو ابقت الشركة على اطيانها الى الآن لتضاعف ربحها منها

الخواجه لاڤي — اصبت وهذا كان غرضنا من الاول ولكنهم الزمونا ان نجزئ الاطيان ونبيعها وما كنا نظن ان الاسعار تبلغ هذا الحد ولو ظننا ذلك لكنا اشترينا نحن انفسنا وما تركنا البيعات الكبيرة . على ان هذا الارتفاع لا يستمرّ طويلاً الاّ اذا بقيت اسعار القطن مرتفعة فاذا هبطت كثيراً اضطرّ الناس ان يبيعوا الغالي بالرخيص ففي العام الماضي بلغ ثمن القطن المصري نحو ثمانية عشر مليون جنيه وبلغت صادرات القطر كلها نحو عشرين مليون جنيه فاذا هبط ثمن قنطار القطن جنيهاً فعاد الى جنيهين ونصف مثلاً وهذا غير مستحيل قلت قيمة الصادرات ستة ملايين جنيه فيخسرها القطر ولا يقدر ان يستعيض عنها بغيرها لان قيمة وارداتهِ اكثر من ستة عشر مليونا من الجنيهات وعليهِ فوائد ديونهِ وديون الحكومة نحو خمسة ملايين من الجنيهات فاذا جمعنا ثمن صادراتهِ وما ينفقهُ السيّاح فيهِ سنويًّا لم يزد المجموع على ما يجب عليهِ ان يدفعهُ ثمن وارداتهِ وفوائد ديونهِ

الشيخ احمد — فهل رأيك اذاً ان ثمن الاطيان سيهبط

الخواجه لاڤي — هذا يتوقف على ثمن القطن او على محصول اميركا فاذا بقي ثمن القطن على حالهِ فالاسعار ترتفع ايضاً واذا هبط كثيراً فلا يبعد ان تهبط لان كثيرين يضطرون ان يبيعوا اطيانهم والمصيبة على المديون اما الذي ليس عليهِ دين فهو سلطان زمانهِ ولا خوف عليهِ لان ايراد الاطيان يكفي اصحابها مهما كان

البلاد كلها قائمة تطلب الحرب ورجال الحربية كلهم قلب واحد من اكبر قائد الى اصغر جندي والناس على غاية الرصانة والنظر في العواقب . و يظهر مما نطالعهُ في الجرائد الاوربية التي يعتمد عليها ان الفوز سيكون لليابان . وعلى كل حال نحن باذلون جهدنا حتى لا نسهّل لروسيا استدانة جنيه واحد من اوربا

الشيخ احمد — ولكنني قرأت في بعض الجرائد او المجلات ان في خزينة الحكومة الروسية اموالاً وافرة تنفق منها على هذه الحرب ولو طالت سنين

الخواجه لافي — لا تصدق كل ما تقرأ نعم عندها نحو ستين او سبعين مليونًا ولكنها لا تكفيها اكثر من سنة . أتعرف كم صرفت انكلترا على حرب الترنسفال صرفت اكثر من مئتي مليون جنيه

الشيخ احمد — ولكن ألا يخشى من نشوب حرب عمومية اذا قامت فرنسا لمساعدة روسيا

الخواجه لافي — لقد خفنا ذلك في الشهر الماضي ولكن حكمة انكلترا فضّت هذا المشكل وما دام الامر في يد الماليين فلا خوف من انهم يسمحون بشيء يعطل اعمالهم و يخسرهم اموالهم. ولا وزير في اوربا الآن الاَّ ولهُ مصالح مالية يخاف عليها و يسعى في تكثير مكاسبها فالحروب البعيدة لاضرر منها عليهِ بل منها ربح لهُ ولا سيما اذا كان لهُ اشتراك في المعامل التي تبني البوارج او تسبك المدافع او تصنع البنادق او تمتلك سفن النقل او كان عندهُ سندات من دين الدولة التي ينتظر ان يكون الفوز لها. وكل احد يسعى لمصلحتهِ والملوك انفسهم لا يأنفون الآن من الاشتراك في الاعمال التجارية التي من هذا القبيل ولا سيما بعد ان رأوا القوة للمال وان الواحد من رعاياهم يولد فقيرًا لا يملك شيئًا ثم يصير اغنى منهم و يصير دخلهُ السنوي اضعاف المال المقطوع لهم . هذا ملك الانكليز راتبهُ السنوي نحو نصف مليون جنيه وبين رعيتهِ رجل لم يكن يملك شيئًا في صباهُ فصار دخلهُ السنوي الآن نحو خمسة ملايين من الجنيهات اي عشرة اضعاف ما يأخذهُ الملك من بلادهِ .وعلى الملوك نفقات كثيرة ولهم اولاد يجب عليهم ان يهتموا بمستقبلهم ولم تعد الاحوال كما كانت من قبل حين كان الملك يضع يدهُ على اموال ايٍّ كان من رعيتهِ بل صارت الارملة تداعي الملك على غرش يأخذهُ منها من غير حق ولذلك لا عجب اذا اشترك الملوك مع ارباب الاموال وراعوا مصالحهم. وقد بلغني عن ملك من الملوك انهُ اوصى برجل اعتقد فيهِ الصدق والامانة حتى نيطت بهِ اعمال ربح منها في سنة واحدة نحو مليونين من الجنيهات فهل يعقل ان هذا الرجل ينسى مولاهُ الذي هو سبب نعمتهِ أوَ لا يقدم لهُ هدية تساوي نصف ما ربحهُ. وهذا الامر اي مساعدة الملوك

فقال هذا رأْي حسن وعاد واخبر اختهُ بذلك وكلّم امهُ فلم تسرّ بهِ لانها كانت تريد ان تزوجهُ واحدة من نسيباتها ولانها استقبحت ان يتزوج بهودية مع حبها لاستير واكرامها لها. اما حليمة فرأَت انهُ عين الصواب وبعد جدال طويل رضيت امهُ ان تترك الحكم في هذه المسالة لابيهِ فقام من ساعتهِ ومضى واخبر اباهُ فرآهُ اميل من امهِ واستحسن راي الشيخ احمد ولكنهُ رجّح ان استير لا تقبل لانها متربية تربية افرنجية محضة . وعاد حليم وطلب من اختهِ ان تفاتح استير بذلك . فلما اتت استير لعيادتها بعد الظهر واستقرّ بها الجلوس تفرست حليمة في وجهها طويلاً ثم طلبت منها ان تقترب اليها وضمتها الى صدرها وقالت لها اه يا استير لو كنتِ تعلمين مقدار محبتي لكِ وليس محبتي انا وحدي بل محبة كل اهلي هل تعدينني ان تبقي في مصر هل تعدينني ان تبقي قريبة مني لكي اراكِ كل يوم آه لو كنتِ تقبلين رجائي ورجاء كل الذين يحبونكِ من اهلي وتكونين مكاني في هذا البيت انا أُؤكد ان اخي يحبك كما احبكِ انا فهل يرضيكِ ذلك قولي لي قولي هل يمكننا ان نرجو ذلك منكِ

فتبسمت استير وقالت لها ا لا ترين اني آتي كل يوم واراك ولكن بعد ان تتزوجي ربما لا يريد زوجكِ ان ازوركِ كل يوم

حليمة — لماذا غيرتِ الموضوع لماذا لا تجيبينني صريحاً عن سؤَالي الاول

فصمتت استير ثم تبسمت ثانية وقالت لها مالنا ولهذا الموضوع الآن سنتكلم فيهِ في وقت آخر ثم قبلتها وغيرت الحديث وودعتها بعد حين وانصرفت على جاري عادتها. ورأت ان لا بدّ لها من ان تخبر اباها بخلاصة ما توقع حالاً لان ابن عمها كان مدعوًّا للعشاء عندهم تلك الليلة وكان ابوها وامها يلحّان عليها لكي تقترن بهِ وقد دعياهُ ليحضر قبيل الغروب ويخرج معها ومع امها للنزهة ويأْخذ الجواب منهم تلك الليلة. وشاع على السنة المعارف والجيران انهُ خطبها وسيقترن بها بعد قليل ولم يبلغ ذلك بيت راغب باشا لانشغال بالهم بابنتهم . ولما اخبرت اباها بما قالتهُ حليمة قال لها افعلي حسب ما يرشدكِ قلبكِ اما حليم فسيرتهُ على احسن ما يكون . فزادها ذلك قلقاً لانها كانت تفضّل ان يكون ابوها مساعداً لها في الاختيار لا ان يلقي الحمل كلهُ عليها ولم تكن تعتدّ برأْي امها كثيرًا مع احترامها لها

وجاء موسى في الوقت المعين وخرجت استير وامها معهُ للنزهة في مركبتهما الكبيرة واقاموا الى ما بعد الغروب ثم عادتا بهِ الى البيت الذي كان نازلاً فيهِ لكي يلبس للسهرة ويأْتي للعشاء وكانت الاحاديث عادية ولم يتكلم موسى مع استير على انفرادهما . وحضر وقت العشاء وجلست استير الى جانبهِ على المائدة ولم يكن طلق اللسان قويّ البداهة فكه الحديث

الشيخ احمد — صدقت صدقت

ودخلت استير حينئذٍ فسلمت على الشيخ مصافحةً وسألتهُ عن سفرو وقالت انها آتية من بيت راغب باشا وان جرح حليمة يكاد يبرأ فقال الشيخ نعم وقد ذهبت الى هنالك في الصباح وسالت عنها ورأيت حليم بك فقال ان الطبيب يطمنهم كثيرًا عنها وان جودة صحتها وسلامة جسمها من الآفات ساعدتا على شفائها لكنها لا تستطيع ان تحرك يدها حتى الآن وربما يبقى فيها شيء من اليبوسة والظاهر ان نجم الدين ادّعى الجنون او اهلهُ ادعوا انهُ مجنون وطلبوا وضعهُ في مستشفى المجاذيب فاذا ثبت ذلك خلص من العقاب

استير — مجنون هذا ولد ردي خبيث اتى متعمدًا قاصدًا قتلها واخبر كثيرين بذلك وكانت لنا ساعة يا استاذ لا ارانا الله مثلها ومن الغريب ان الرجال كلهم وقفوا كالاصنام واؤكد لك انني لو لم ارَ انهُ يجب ان اهتم بحليمة وامها لكنت لحقتهُ بنفسي وكسرت راسهُ

قالت ذلك واحمرّت وجنتاها وقرعت الارض بشمسيتها حتى كادت تكسرها . ثم دارت الى ابيها وكلمتهُ بالايطالية كلامًا لم يفهمهُ الشيخ ولكنهُ استدلّ منهُ على امر هام ثم ودعت الشيخ وعادت الى مركبتها . وتكلم الشيخ مع الخواجه لاڤي في بعض الاشغال الخصوصية ثم ودعهُ وانصرف

وجلس الخواجه لاڤي بعد انصراف الشيخ احمد يفكّر في ما قالتهُ لهُ ابنتهُ فان حليمة كانت تحب استير وقد زاد حبها لها بعد ما رأتهُ من تعلقها بها من حين رميت بالرصاص وكانت استير تعودها كل يوم وتحنو عليها حنو الوالدة على ابنتها حتى ان الاطباء والممرضات صاروا يرون انها اقدر منهم كلهم على تمريضها وتسليتها وانهاض قواها ولم يعد يهنأ لحليمة عيش الّا واستير معها . وتعلقت بها ام حليمة وابوها فصارا ينظران اليها كاكبر معزٍّ لابنتهما وكان حليم بك يدخل غرفة اختهِ مرارًا كل يوم ويرى استير و يندهش من جمالها وطلاقة وجهها والذكاء البادي من عينيها ولا سيما حينما تكلمهُ بالعربية وتستشهد لهُ احيانًا ببيت من الشعر وهي تفعل ذلك من غير دلّ كأنهُ امر اعتيادي فهام بها . ولما زارهم الشيخ احمد صباح ذلك اليوم خرج حليم معهُ واعربَ لهُ عن حبهِ لاستير وسألهُ عن رأيهِ في ذلك فقال لهُ هذا الذي ظننتهُ من اول الامر وانت تخفي عني اما انا فلا اعرف فتاة اذكى منها عقلاً واقدر على ادارة البيوت ويظهر لي ان اباها يجري على طرق الافرنج ولا يمنع ان تكاشفها انت بما في نفسك

فقال هذا امر لا استطيعهُ ولا اكاد استطيع الكلام امامها

فقال الشيخ اذًا دع حليمة تفاتحها في ذلك ولو على سبيل التمني فتقف على افكارها

مومى — انا لم انس حرها ولا اصدق متى اعود الى بلاد الانكليز فاني اتعب من الحر جدًا واظن ان مداموازل استير مثلي

استير — اما انا فلا اتعب من الحر قدر ما اتعب من البرد وافضل مصر وحرارتها على لندن وبردها

روز — ايه ايه ما هذا يا مداموازل اتفضلين مصر على لندن اسمع يا مسيو مومى

ام استير — الشتا في مصر والصيف في اوربا في بلاد الانكليز او غيرها

روز — هذا عدل ومدام لاڤي حكمت بالعدل

يوسف — ذهبت اليوم لاودع احد اصدقائي فوجدت القطار مملوًا حتى اضطرت مصلحة سكة الحديد ان تقيم قطارًا آخر بعد الاكسبرس واظن ان اللوكندات تفرغ في هذين اليومين

الخواجه لاڤي — كان عدد السياح هذه السنة كثيرًا اكثر مما كان في السنين الماضية

مدام لاڤي — ولكن اللوكندات ما وزعت علينا ربحًا حتى الآن

يوسف — ستوزع عشرة في المئة

الخواجه لاڤي — لا اظن ولكنها توزع ثمانية في المئة

روز — براڤو

استير — الظاهر ان عندك اسهمًا كثيرة منها

روز — كان عندي واشتريت الفي سهم من اول الفصل لما رأيت كثرة السياح

استير — ماذا تعملين لنا من الربح

روز — مثلما عمل لنا ابوك من اطيان الصعيد والشركة الجديدة

يوسف — ألم يعطكِ من اسهم التأسيس

روز — اعطاني نعم اعطاني ولكن من الجمل اذنهُ كما يقول اولاد العرب

الخواجه لاڤي — اذًا انتِ حاقدة علينا يا ستي روز

روز — انا لا احقد على احد ولكن اللوم على خالتي

مدام لاڤي — كتب اسمكِ في رأس القائمة ومن يستطيع ان ينسى روز

روز — مرسي مرسي

مومى — ما هي هذه الشركة الجديدة اظن اني لم اسمع عنها

فاخذ الخواجه لاڤي يشرحها لهُ وكان كلامهم باللغة الفرنسوية تتخللهُ عبارات عربية ولم

حتى يجتذب النساء بطلاقة لسانهِ وفكاهة حديثهِ ولكنهُ كان كثير المطالعة واسع الخبرة عارفاً بالاحوال المالية غير قليل الالمام بالمعارف التاريخية والطبيعية واتت معهُ السيدة روز ابنة اخت مدام لافي وهي نصف اي عمرها نحو اربعين سنة قتل خطيبها في الاسكندرية في بدء الحوادث العرابية فحزنت عليهِ حزناً مفرطاً وابت التزوج بعدهُ مع انها جميلة المنظر وعلى ثروة طائلة وحاول ذووها صرفها عن هذا العزم فلم تنصرف وكانت طلقة اللسان اذا حضرت في مجلس فيكون اكثر الحديث لها ومعها ومتى قيل في مجامعهم ستي روز عرف الكل انها هي المرادة دون غيرها. وكانت جالسة عن يمين مدام لافي امام الخواجه موسى واستير فنظرت اليهما وقالت مَن رتب مجالسنا على المائدة على هذه الصورة فقد احسن الترتيب لانهُ لو جلس المسيو موسى امام مداموازل استير لضاع عليهِ العشاء وشبع من النظر

فقالت استير اذاً سيضيع عليهِ العشاء على كل حال

روز — هذا كلام لا يسلك علينا . ما قولك يا مسيو

موسى — ان الانسان يستطيع ان يمتع حاستين في وقت واحد النظر والذوق

فسرَّت مدام لافي بجوابهِ وقالت اذاً ما عدت اخاف ان يذهب تعبي في تدبير العشاء سدًى

روز — وبترتيب المائدة ايضاً

مدام لافي — ليس لي فضل في ذلك بل الفضل كلهُ لاستير

روز — هذا اليق شيء بالمداموازل من اين هذا الورد ما اجمل منظرهُ وما اطيب رائحتهُ

استير — لم يكن الورد كثيراً هذه السنة حسب العادة لان تأخر البرد اضرَّ بهِ

روز — اين البرد في مصر البرد في بلاد الانكليز كيف وجدت الطقس عندنا يا مسيو موسى

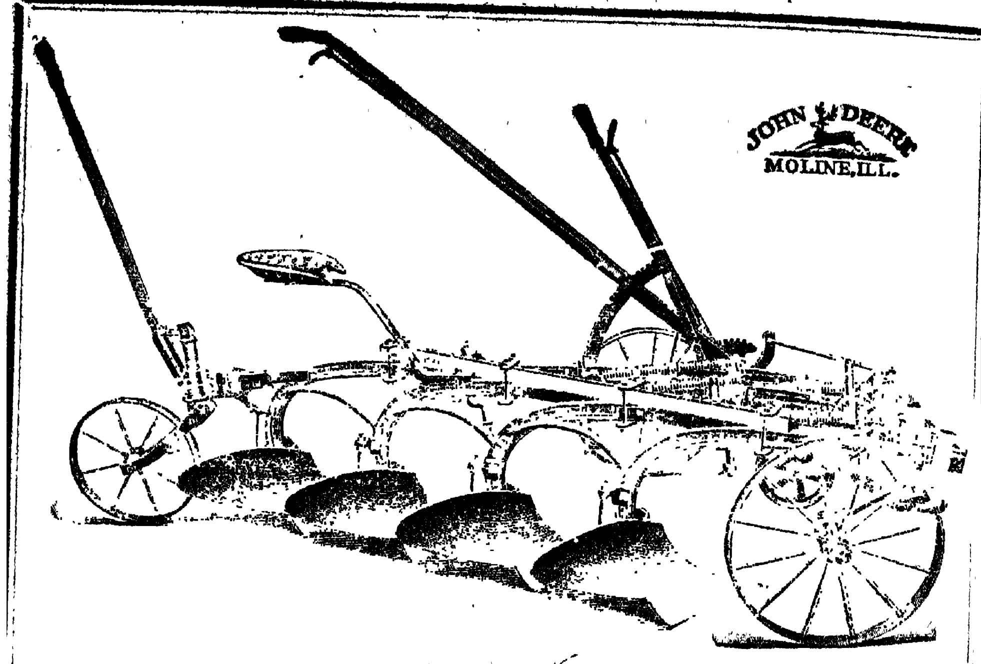
موسى — لا يمكن ان يكون اجمل من ذلك الآن اما يوم وصولي فكان البرد شديداً مثلما يكون في بلاد الانكليز

الخواجه لافي — اظن انهُ سيشتدُّ الحر غداً وقد ابتدأَت ايام الخماسين

يوسف — قرأت اليوم ان درجة الحرارة في الخرطوم خمس واربعون

موسى — خمس واربعون هذا لا يطاق فكيف يعيش الناس هناك

الخواجه لافي — الحر شديد ولكن الهواء جاف جدًّا وقد اخبرني الشيخ احمد اليوم ان درجة الحرارة بلغت في اصوان في الاسبوع الماضي ٤٢ ومع ذلك كانت محتملة جدًّا لشدة جفاف الهواء وكيفما كان الحال لا ننكر ان هذه البلاد حارَّة جدًّا



سكك الحراث البخاري

فتحنا محلاً جديدًا في شارع باب الحديد امام شركة قنال السويس جعلناه معرضًا للآلات الزراعية والصناعية كما يأتي

وابورات ثابتة . وابورات نصف ثابتة

وابورات لوكوميل . وابورات تدور بالغاز

وابورات تدور بالبترول . محاريث بخارية خصوصية

آلات تولد الكهربائية تنير عشرين لمبالى مئتي لمبا

آلات دراسة . آلات لحفر الآبار الارتوازية

طلمبات لرفع المياه . قصابيات كبيرة تجرها الآلات البخارية . قصابيات صغيرة تجرها المواشي

مطاحن غلة

وابور يدور بالبترول

وجميع هذه الآلات مصنوعة في اشهر معامل اميركا وانكلترا وفائدتها مثبتة بالامتحان وهي من احدث طرز واجوده واوفره

والمعرض مفتوح دائمًا لمن يريد مشاهدة ما فيه من الآلات والادوات التي تهم المزارعين كبارهم وصغارهم وكل زائر يقابل بالترحاب وتشرح له فائدة كل آلة ومزاياها

ومحلنا في شارع البواكي مستعد لقبول جميع الطلبات واعطاء كل الاستعلامات

نمرة التليفون ١٢٣٠ — نجيب صرّوف وشركاه

... القام لشاعتها وذهب الى بيت واصف بك ووالدته ...
... لكنها راعت خيفيهم واضطرّت الى البقاء في البيت

... قحت زين الدار بقدم خير بعدئذٍ فقالت لها
شفت الخواجا موسى وياّ ستي استير والست الكبيرة طالعين للنزهة صار ...
قدم خير — لا ابن عمهم وجاي من برّا ولكن شايفه لك انه ما عادش نصيب ...
زين الدار — في حاجه جديده
قدم خير — البارح كان الابوكاتو احمد باي عندنا وسمعه عبدو لما دخّل القهوة
... يدخلوا الخواجا عزرا في القضية ويحكموا عليه
زين الدار — اي قضيه
قدم خير — قضية الطلياني
زين الدار — يحكموا عليه عمل ايه ومالو ومال الطلياني
قدم خير — اهو اللي سمعتو بس لا تقوليش حاجه عن لساني . ولكن ستي استير
... وانا شايفة لك ان الخواجا موسى داري ان ستي استير ما تملوش كثير ولكن
... ترضي امها والسلام
زين الدار — و بتقلك ايه لما تعرّيضيلها بذكر سيدي عزرا
قدم خير — لسّاها على حالها لو شفت منها ادنى ميل كنت اقلّ لك
زين الدار — سيدي عزرا مشيع لك ها لخاتم اهو دهب وقلبه فيروز
قدم خير — قولي لو اني بخدمو بعيني" تعالي لي باكر حتى اقل لك جرى ايه
وعادت زين الدار واخبرت عزرا بما سمعته من قدم خير فزاد انشغال بالو وكان
... بعض اصدقائه ما يؤيد ذلك ولكنهُ لم يشأ ان يظهر امامها الاكتراث ...
... كانهُ لا يهتم بهِ اما هي فلم يخفَ عليها ذلك لانها كانت تراقب ...
... الاعجم بفهم ما يدور في خاطر الانسان من مراقبة وجهه ...

(٢) المدرسة الصيدلة — مدة التدريس فيها ثلاث سنوات مع الاشتغال العملي في المعمل الكيماوي والتمرين

وقد اعترفت الحكومة العثمانية بالمدرسة الطبية والمدرسة الصيدلية وهي ترسل لجنة من الاطباء لامتحان المنتهين من تلامذتهما . والتلامذة الذين يفوزون في الامتحان ينالون دبلوما المدرسة والدبلوما السلطانية التي تخولهم ممارسة صناعتهم في كل الممالك العثمانية

(٣) المدرسة الكلية العلمية — مدة التدريس فيها اربع سنوات في اللغات والآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية المؤدية الى احراز البكلوريا

(٤) مدرسة التجارة — مدة الدرس ثلاثة سنوات يُعلم فيها مسك الدفاتر واساليب التجارة وقانون التجارة والكيميا الصناعية وعلم الاقتصاد والانكليزية والعربية والتركية والفرنسوية والالمانية واليونانية ونحوها مما يؤهل التلميذ لمعاطاة الاشغال التجارية وينال رتبة البكلوريا في التجارة

(٥) القسم الاستعدادي — مدتهُ خمس سنوات ويعلَّم فيهِ التعليم الابتدائي في العربية والانكليزية والحساب والجغرافية وغير ذلك من العلوم ولا يقبل فيهِ تلميذ عمرهُ اقل من احدى عشر سنة

ولغة التعليم في هذه الاقسام كلها الانكليزية. ومن شاء زيادة الاستعلام عنها والاطلاع على كتابها السنوي فليطلب ذلك من الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت (سورية)

اعلان



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلد الثلاثون

الجزء الثاني عشر

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٥

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXX

No. 12, December 1905

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.

المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ شوال سنة ١٣٢٣

السر هنري ارفنغ

لقد يعجب المرء لاول وهلة اذا دخل كنيسة وستمنستر التي يدفن فيها ملوك الانكليز وعظماؤهم ورأى ضريح ممثل من الممثلين او شاعر من الشعراء بجانب اضرحة كبار الملوك والقوّاد والوزراء . ولكنهُ اذا نظر في الامر مليًّا لم يرَ سببًا للعجب لان النوابغ الذين يفوقون غيرهم لا ينحصرون في فئة من الناس والنابغة في الشعر او في التمثيل او في الغناء كالنابغة في سياسة الممالك او في قيادة الجيوش ولا مزية للواحد على الآخر الاَّ بمقدار ما يسترعي السمع ويحمل الامَّة على اكرامهِ فاذا نهضت الامة واكرمت شاعرًا او مغنيًا في حياتهِ وطلبت ان يكرم في مماتهِ فقولها القول الفصل وكلمتها هي المرعية . ومن هذا القبيل اكرام الامة الانكليزيَّة للسر هنري ارفنغ الممثل المشهور الذي توفي بالامس

ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٨ واسم ابيهِ صموئيل برودريب ولكن السر هنري انتحل اسم ارفنغ سنة ١٨٨٧ برخصة ملكية . وكان مولعًا منذ صغرهِ بمطالعة الاقاصيص الشعرية فحفظ منها ما راقهُ . ولما بلغ الحادية عشرة اتى مدينة لندن ودخل احدى مدارسها وكان يقضي وقتًا طويلاً في مكتبتها يقلّب الكتب القديمة وينتقي الخطب التي كان يُطلب من التلامذة حفظها فيفضّل ما كان كثير الخيال منها

وبعد ان اقام في المدرسة سنتين اخرجهُ ابوهُ منها وادخلهُ مكتبًا تجاريًّا ليكون كاتبًا فيهِ فكان يأتي كلَّ يوم بالدواوين الشعرية والروايات التمثيلية ويطالعها في ساعات الفراغ ويبذل الجهد في استظهارها حرفًا حرفًا . وكان راتبهُ ١٣ شلنًا في الاسبوع فكان يوفّر منهُ بعض دريهمات لمشترى كتب التمثيل وينهض كلَّ يوم الساعة الرابعة صباحًا فيتمشى الى النهر حيث

الكتب الآتية تطلب من ادارة المقتطف واثمانها المذكورة هنا هي بالغروش الصاغ المصري وهو جزء من مئة من الجنيه المصري والجنيه المصري يعدل ٢٦ فرنكاً

ص			
٠٥٠	المجلد الاول	من المقتطف	
٠٥٠	" الثاني	"	"
٠٥٠	" الثالث	"	"
٠٥٠	" الرابع	"	"
٠٥٠	" الخامس	"	"
١٠٥	" السادس	"	"
١٠٥	" السابع	"	"
١٠٥	" الثامن	"	"
١٠٥	" التاسع	"	"
١٠٥	" العاشر	"	"
١٠٥	" الحادي عشر	"	"
١٠٥	" الثاني عشر	"	"
١٠٥	" الثالث عشر	"	"
١٠٥	" الرابع عشر	"	"
١٠٥	" الخامس عشر	"	"
١٠٥	" السادس عشر	"	"
١٠٥	" السابع عشر	"	"
١٠٥	" الثامن عشر	"	"
١٠٥	" التاسع عشر	"	"
١٠٥	" العشرون	"	"
١٠٥	" الحادي والعشرون	"	"
١٠٥	" الثاني والعشرون	"	"
١٠٥	" الثالث والعشرون	"	"

ص			
١٠٥	المجلد ٢٤ و٢٥	من المقتطف	
١٠٥	" ٢٦	"	"
١٠٥	" ٢٧	"	"
١٠٥	" ٢٨	"	"
١٠٥	" ٢٩	"	"
٠٥٠	" الثامن صغيرًا	"	"
٥٠	المجلد الاول	من اللطائف	
٠٥	" الثاني	"	"
٠٥٠	" الثالث	"	"
٠٥٠	" الرابع	"	"
٠٥٠	" الخامس	"	"
٠٠	" السادس	"	
٠٥٠	" السابع	"	"
٠٥٠	" الثامن	"	"
٠٥٠	" التاسع	"	"
٠٦٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي		
٠٤٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي وانكليزي وعربي		
٠٢٠	حضارة الاسلام في دار السلام		
٠١٥	سر النجاح الجزء الاول		
٠١٠	تاريخ الحرب السودانيّة		
١٠	رواية الشهامة والعفاف		
٠٠٦	رواية قلب الاسد		

اما ابوهُ فكان يؤمل انهُ يرتقي في وظيفتهِ من كاتب الى شريك ولكنهُ كان ضعيف الرأي فلم يقاوم تعلّق ابنهِ بفنِ التمثيل . واما امهُ فهالها ذلك الامر ورأت في تعلّقهِ بالتمثيل ضياع آمالها فتوسلت اليهِ ان يترك التمثيل وشأنهُ وكانت مخالفتها اصعب شيء عليهِ لانهُ كان يحبها فحاول اقناعها بانهُ مصيبٌ في رأيهِ ولكن على غير طائل لان نفورها من التمثيل كان شديدًا وحبها لابنها كان اشدّ حتى انها اجتمعت مرةً بالممثلين الذين كان ابنها منتظماً في سلكهم وكلمت كلاً منهم على حدة وتوسلت اليهِ ان يقنع ابنها بالعدول عن اتخاذ التمثيل حرفة لهُ . لكنهُ لم يعبأ بذلك كلهِ بل ظلّ يواظب على الدرس والمطالعة في ساعات الفراغ نهارًا وحضور فرقة التمثيل ليلاً ولجأ الى ممثل معروف فكان يعلمهُ كيفية الالقاء وإتيان الاشارات ساعة كلّ يوم. ولم يكن قد حضر تمثيل الروايات في المشاهد العمومية بسبب ما كان يلقى من مقاومة عائلتهِ لذلك فاغتنم الفرصة ذات ليلة وخرج من المنزل سرًّا وحضر تمثيل رواية "هملت" في احد المشاهد وخرج مرة ثانية وحضر تمثيل رواية اخرى وعاد الى منزلهِ الساعة الواحدة بعد نصف الليل وكان اهلهُ قد دروا بخروجهِ فرآهم مجتمعين يندبون مستقبلهُ ويبكون ضياع آمالهم بهِ

ولم يمضِ زمان طويل على ذلك حتى ترك المكسب واعلن عزمهُ على الانتظام في سلك الممثلين جهارًا . وفي سبتمبر سنة ١٨٥٧ ظهر اول مرة في مشهد عمومي وما زال منذ ذلك الحين يواظب على التمثيل بلا كلل ولا ملل حتى طبقت شهرتهُ الآفاق وانعمت الملكة فكتوريا عليهِ بلقب سر سنة ١٨٩٥ وهو اول ممثل اعطي هذا اللقب

الاَّ ان الشهرة لا تأتي عفوا . وليس الناس بالمبذرين في اكرامهم لغيرهم حتى يكرموا مَن يستحق الاكرام ومَن لا يستحقهُ . فلم ينل ارفنغ ما نال من الشهرة الواسعة الاَّ بعد ان دفع ثمنهُ سهرًا ودرسًا واجتهادًا قلَّ ان فاقهُ احد فيها . وهذا مضافًا الى ما ميزتهُ بهِ الفطرة من المزايا اللازمة للتفوّق في فن التمثيل اكسبهُ ما اكسبهُ من المقام بين قومهِ . ولقد اجمع الباحثون في سيرتهِ على انهُ رقّى فن التمثيل في البلاد الانكليزية وجعل عقلاء الامة وعلماءها يرغبون فيهِ بعد ان رغبوا عنهُ زمانًا طويلاً . ولم يقصّر في ما يتطلبهُ اهل العواطف والازياء بل ارضى الجميع فرأى العلماء والحكماء في تمثيلهِ علمًا وحكمةً واهل الخيال ومحبو الجمال تخيُّلاً وجمالاً وطلاَّب القصوف والتسلية ما يسر ويسلّي فاجمعت الامة على الاعجاب بهِ من حين قام في مشاهد التمثيل الى ان واراهُ لحدهُ وختمت اكرامها لهُ بدفنهِ حيث يدفن اعظم عظمائها وبتأبينهِ في جرائدها كأنهُ اعظم النابغين فيها

كان يغتسل ثم يشرع في قراءة تلك الكتب وحفظ ما فيها حتى الساعة التاسعة وهو وقت فتح المكتب



السرهنري ارفنغ يقرأ اشعار تنيسن

واتفق ان بعض المولعين بفنّ التمثيل نظم فرقًا لدرس هذا الفنّ فكان تلامذة كلّ فرقة يجتمعون في مكان معيّن ويتلو كلٌّ منهم ما اختار حفظهُ ويتفنن في الالقاء والاشارات كما لو كان يمثّل على المشهد فينتقد الآخرون القاءهُ واشاراتهِ . وفي ذات مساء دخل عليهم شابٌّ حسن الطلعة طويل القامة لابس ملابس سوداء ولم يكن احد يعرفهُ . فجلس يصغي الى ما يقال حتى جاء دورهُ فوقف وجعل يلقي ما وعاهُ من غير ان يعتذر عن تطفُّلهِ عليهم فأُعجبوا بهِ غاية الاعجاب وهو هنري ارفنغ. واخيرًا عوّلوا على التمثيل في المشاهد العمومية فطرب ارفنغ لذلك وكان كلما القى شيئًا في دورهِ يصفق لهُ السامعون ويستعيدونهُ وكان يميل الى تمثيل ادوار الرجال في الروايات ولكن حال دون ذلك نحافة جسمهِ ولطافة قدّهِ فكان يعطى ادوار النساء

فالرائحة ليست ذراتٍ صغيرةً بل هي غاز منتشر من المسك . ووجد لدى الامتحان ان البخار لا يتكاثف في قنينة ملئت من رائحة المسك ولا اذا ملئت من رائحة الكافور ولا من رائحة النفثالين . وامتحن كذلك ثلاثا وعشرين مادة من المواد الجامدة ذات الرائحة القوية فوجد ان روائحها لا تتولَّد من ذرات صغيرة منتشرة منها بل من غازات صاعدة عنها . والظاهر انهُ لا دليل عندهُ على ان الرائحة غاز سوى انها يجب ان تكون مادة جامدة او سائلة او غازية وهي احوال المادة الثلاث فهي غاز لانها ليست جامدة ولا سائلة ولكننا لا نرى ما يمنع ان تكون من الحالة الرابعة من حالات المادة اي الكترونات منتشرة من المادة ذات الرائحة فدقائقها اصغر من الجواهر المادية التي تتكوَّن الغازات منها

ولو اقتصر بحث الدكتور اتكن على ما تقدَّم لاقتصرت فائدتهُ على كونها علمية نظرية . ولكن العلوم النظرية صارت الآن اساسًا للعلوم العملية فلا تكاد تكتشف حقيقة نظرية الاَّ وتكتشف لها فائدة عملية . والفائدة التي بناها الدكتور اتكن على ذلك هي ان الروائح التي تنتشر من الكنف لا يكون فيها اجسام جامدة بل هي غاز محض فليس فيها شيءٌ من جراثيم الامراض على ضد ما يتوهم جمهور الناس والاطباء ولا سيما اطباء الصحَّة الذين اذا شمُّوا رائحة كريهة منتشرة من كنيف في البيت اضطروك ان تقاومها برائحة قد لا تقل كراهة عنها وهي رائحة الحامض الكربوليك ولا مشاحة في ان الرائحة الكريهة كريهة ويجب التخلُّص منها او تجنُّبها لانها تؤَثر في الاعصاب تأْثيرًا شديدًا وقد تمرض بعض الناس ولا سيما قبل ان يعتادوها ولكن الروائح الطيبة تفعل ذلك ببعض الناس . ولا دليل ولا شبه دليل على ان الجراثيم المرضيَّة تكون منتشرة في الروائح الكريهة الاَّ اذا تحركت السوائل في الكنف ومجاريها فانتشر منها رشاش في الهواء وانتشرت معهُ بعض الجراثيم التي كانت في مواد الكنف وكان بينها جراثيم مرضيَّة وذلك نادر جدًّا كما لا يخفى . وهذا يفسّر لنا كيف عاش الناس قرونًا كثيرة قبل استنباط الاساليب الجديدة لمنع غازات الكنف من الانتشار في البيت ولم ينقرضوا بالامراض ولا كانوا يشكون الاَّ من خبث الرائحة . ويفسّر لنا ايضًا كيف ان السرَبية اتخذوا كسح الكنف حرفةً لهم ولم يصبهم ضرر الاَّ من قلة الهواء النقي . وكيف ان عيالاً كثيرة تسكن حول اسراب المدن الكبيرة ولا ينالها اذىً

وخلاصة ما تقدَّم ان الرائحة ليست ذرات جامدة منتشرة في الهواء وان الروائح الطيبة والخبيثة سواءٌ في ذلك فلا يُحتمل ان يكون في الرائحة الخبيثة جراثيم مرضية خلافًا لما هو شائع ولما يقول بهِ كثيرون من الاطبَّاء

الرائحة وسببها

والفائدة العملية من ذلك

ان الذين درسوا العلوم الطبيعيَّة رأوا فيها ان الرائحة ناتجة عن دقائق صغيرة تنتشر من الجسم ذي الرائحة وتؤَثر في اعصاب الشم . لكن الروائح العطرية ونحوها تدلُّ دلالة واضحة على ان دقائق الجسم يجب ان تكون اصغر مما يفرَض عادةً فان القمحة من المسك تنضوَّع رائحتها في غرفة توضع فيها سنين كثيرة ثم توزن في آخر المدة فاذا ثقلها على حالهِ لم ينقص شيئاً

ولبعض الحشرات قوة غريبة في الشم فانهُ اذا وُضعت فراشة من الفراش المعروف باسم ستورنيا كربيني في صندوق من الخشب ووضع الصندوق في غاب شمَّت ذكور الفراش رائحتها عن بُعد ميل واتت اليها وما ذلك الاَّ لان رائحتها انتشرت على مسافة ميل حولها مع انها ضمن الصندوق فاذا فرضنا انهُ انتشر في القدم المكعبة من الهواء عشر ذرات فقط من رائحتها وفرضنا ان سمك منطقة الهواء عشر اقدام فقط فقد انتشر فيها ثلاثة عشر الف مليون ذرة

وكان المظنون ان هذه الذرات مواد جامدة خارجة من الجسم الذي تنتشر منهُ لكن الدكتور اتكن العالم الطبيعي اثبت الآن انها ليست مواد جامدة بل هي غاز ينتشر من الجسم ذي الرائحة

وذلك انهُ اذا كان في اناء زجاجي اجسام دقيقة منتشرة فيهِ وأُدخل اليهِ قليل من البخار المائي تكاثف البخار حول الدقائق المنتشرة في الاناء وصار ضباباً منظوراً

واذا كان في الاناء هواءٌ عاديٌّ تكاثف البخار فيهِ ضباباً ولكن اذا رُشح الهواء من من الغبار والهباء بمروره في القطن المندوف لم يتكاثف البخار فيهِ بل يبقى غير منظور

وطريقة اظهار ذلك ان يوضع قليل من الماء في زجاجة وينزع بعض الهواء منها بمفرغة الهواء فللحال يستحيل بعض الماء الذي فيها بخاراً ويتكاثف فيها ضباباً حول دقائق الهباء التي في هوائها . ثم اذا زيد تفريغ الهواء منها حتى لم يعد فيها شيءٌ منهُ بطل تكوُّن الضباب فيها مع انها تكون مملوءَة بخاراً وحينئذٍ اذا أُدخل اليها قليل من الهواء العادي عاد الضباب فتكوَّن فيها ولكن اذا أُدخل اليها هواءٌ منقًّى من الهباء بمروره في القطن المندوف لم يتكون الضباب فيها

وقد وضع الدكتور اتكن في قنينة مثل هذه حبَّة من المسك وقال انهُ اذا كانت رائحة المسك تتضوَّع منها ذرات صغيرة وجب ان يتكاثف البخار حولها ويصير ضباباً واذا لم يتكاثف

ولما فرغ من الكلام دوت جوانب القاعة بالتصفيق الشديد علامة الاعجاب والاستحسان

وما كاد ينزل عن المنبر حتى استقبلتهُ فتاة خادمة وقالت لهُ "قد جئت الى هذا المكان لمساعدة المرسلين وجعلت دأْبي الصلاة لاجلهم منذ سنين . وانا لست الَّا خادمة فلا يسعني بذل الكثير فوفرت كلَّ ما استطيع لهم . ولكنني لما سمعت كلامك علمت ان الوثني على ابوابنا لا في اقاصي الصين وحدها فالتمس منك ان تقبل مني لاولادك المساكين ما جمعتهُ لمساعدة المرسلين" . ثم وضعت في يدهِ صرّة نقود وذهبت في سبيلها ولم يرها بعد ذلك . ولما وصل الى منزلهِ فكَّ الصرة فاذا فيها نحو ثلاثة غروش وكانت اول الدراهم التي جاءَتهُ من الجمهور والبذرة التي نبت منها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهو ما جمعهُ مدة خدمتهِ البالغة نحو ٤٠ سنة

ونشرت الجرائد خطبتهُ واطَّلع عليها لورد شفتسبري فاثَّرت فيهِ تأْثيرًا شديدًا فدعا برناردو للعشاء عندهُ . وبعد العشاء سألهُ وهو بين مصدّق ومكذّب هل تظنُّ اننا نرى غلمانًا نائمين في العراء هذه الليلة . فأجاب بالايجاب فانكر بعض الحاضرين قولهُ وطلبوا منهُ ان يدلَّهم على المكان الذي يظنُّ الغلمان نيامًا فيهِ فقام امامهم وتبعوهُ على الاثر واللورد معهم حتى وقفوا حيث رأَوا بعيونهم ما تحققوا بهِ صدق قولهِ . وكان ذلك بدء عمل من اعظم الاعمال الخيريَّة ومبرَّة من اشرف المبرات فجمع برناردو على اثرهِ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم ربَّى بها نحو خمسين الف يتيم ويتيمة فخرجوا من ملجاءِ شبانًا وشاباتٍ ليعضدوا المجتمع الانساني بما استفادوهُ علمًا وعملاً

واول ملجإٍ انشأَهُ كان في مكان اسمهُ ستابني بلندن وذلك سنة ١٨٦٦ ثم جعل يوسعهُ بما يضيفهُ اليهِ من المباني حتى صار دارًا كبيرة سميت ملجأ برناردو وكُني هو "بابي الذين لا اهل لهم" وعدد الذين يربون فيها الآن يزيد على ستة آلاف نفس وانشأ ملاجئَ اخرى في غير لندن من مدن انكلترا وقراها

ولم يقف عند هذا الحدّ بل شرع يفكّر في طريقة يمكّن بها الذين يخرجون من ملجاءِ من العمل خارجهُ فاهتدى اليها وهي انهُ انشأ ادارة للمهاجرة وجعل يسفّر الشبان والشابات الى كندا حيث اشترى مزارع وحقولاً تقدر مساحتها بالوف من الافدنة وترك كبار الشبان يعملون فيها واما الصغار والبنات فاعطوا اعمالاً اخرى . وكان يرسل كلَّ سنة من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ نفس من ملجاءِ الى كندا فيجدون لهم اعمالاً ويفلحون كلهم ما عدا ٢ في المئة على وجه التعديل

وفي يوليو الماضي نشرت جريدة التيمس عريضة بامضاء كثيرين من كبار رجال الدين

الدكتور برناردو المحسن الكبير

توفي بالامس رجل اقلُّ ما يقال فيهِ انهُ عظيمٌ . وقد قامت عظمتهُ باحياء النفوس المائتة وانتشالها من وهدة الفقر والبأساء

والرجل المشار اليهِ هو الدكتور برناردو الانكليزي مولدًا والاسباني اصلاً . ولد سنة ١٨٤٥ ولما ترعرع دخل احدى مدارس الطب استعدادًا للخدمة في الصين كاحد المرسلين فرأى ذات يوم غلاماً رثَّ اللباس مستفع السحنة فرقَّ لهُ وسألهُ عن حالهِ فاخبرهُ الغلام انهُ يتيم لا مأوى لهُ يأوي اليهِ ولا سند يعتمد عليهِ وان لهُ رفقاء كثيرين حالهم شرٌّ من حالهِ فطلب برناردو منهُ ان يريهُ اياهم فمشى امامهُ الى حيث كانت زمرة منهم نائمة. قال الدكتور يصف ذلك المنظر " فرأيت احد عشر غلاماً نائمين في العراء على سطح احد المنازل وقد اتخذوا الحجارة مسندًا لرؤوسهم والتحفوا السماء وادخلوا اقدامهم في الميازيب طلبًا للدفء فمنهم من اضطجع على جنبهِ وجمع رأسهُ الى رجليهِ كما تفعل الكلاب امام النار ومنهم من انضم الى رفيقهِ تخفيفاً لالم البرد كما تفعل الغنم . ولاح لي ان عمر اكبرهم نحو ١٨ سنة والبقية بين ٩ و ١٤ فراعني انهم كلهم لا مأوى لهم ولا من يعولهم وقلت في نفسي ما هؤلاء المساكين الاَّ بعضٌ من كلٍّ وشعرت كأن يد الله مدَّت وازاحت الستار من امام عينيَّ لأرى خلفهُ ما يقاسيهِ كثيرون من الاولاد في لندن من الشدة والبرحاء فعقدت النية اولاً على فعل ما استطيع فعلهُ وحدي وهو انقاذ الولد البائس الذي كان اول من رأيت من هؤلاء المساكين ثم على السعي في انقاذ امثالهِ "

وحدث بعد ذلك ما فتح الباب في وجههِ وشدَّد عزيمتهُ على السعي والعمل. وهو انهُ عُقد اجتماع للمرسلين في احد احياء لندن وغاب بعضهم فطلب رئيس الاجتماع من برناردو ان يتكلم بدلاً منهُ وكان لا يزال تلميذًا في مدرسة الطب فتمنَّع عن الكلام تهيبًا لانهُ لم يكن قد خطب في حفلة عمومية من قبل ولكن الرئيس وقف وقال انهُ نظرًا الى غياب بعض الخطباء طلبت من احد تلامذة الطب ان يقصَّ علينا شيئًا عن اشغالهِ المدرسية قبل سفرهِ الى الصين قريبًا. فصفق السامعون فلم يسع برناردو اذ ذاك الاَّ ان يمتثل فنهض وهو لا يكاد يعي مما عراهُ من الحياء وبدأ الكلام وعيناهُ مغمضتان ليستجمع شوارد الموضوع وينسى مكان وجودهِ . فجعل يتعثَّر اولاً ويتمتم حتى اذا امتلك قواهُ اخذ يندفق في الكلام تدفق السيل ويصف هول المناظر التي رآها في ايست اند احد احياء لندن ونسي نفسهُ وسامعيهِ حتى بلغ كلامهُ اعماق القلوب

قبل الولادة وبعد الموت

اين كانت نفوسنا قبلما وُلدنا واين تذهب بعد ما نموت أَوَ ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولَّد وتنمو ثم تموت وتنحلُّ وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها. هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او السنين الاّ وقف واستوقف وقال الى اين نحن مسوقون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد

الاديان المختلفة تحلُّ هذا السؤَال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدساً وتخميناً او علماً عالياً غير مبني على الحس والمشاهدة . والذين يبحثون عن ادلة علميَّة لمعرفة ما كان الانسان عليهِ قبلما وُلد وما يصير اليهِ بعد ما يموت فئتان فئة تقول ان الوصول الى ذلك ضرب من المحال لان الشعور لا يوجد قبلما توجد آلتهُ وهي الجسم الحي ولا يبقى بعد ما تزول الحياة من ذلك الجسم . وفئة تقول ان في الجسم الحي روحاً وهذه الروح تنفصل عنهُ احياناً فيبقى حيّاً وتغادرهُ عند الموت وتبقى جائلة الى ان تحلَّ في جسم آخر ويدَّعون انهم وجدوا ادلَّة تؤيد ذلك فكأنهم عادوا الى مذهب التقمص الذي قال بهِ القدماء ولا يزال الهنود يقولون بهِ الى الآن

وقد اطَّلعنا على مقالة للكولونل ده روشا نشرت في مجلّة العلوم النفسية التي يحررها جماعة من اشهر علماء العصر مثل الدكتور داريه والاستاذ ريشه والسر وليم كروكس والمسيو فلامريون والاستاذ لمبروسو والاستاذ مورسلي والدكتور اوشروتز . وفي هذه المقالة وصف فتاة نوَّمها الكولونل ده روشا على اسلوب خاصّ فتنبَّهت ذاكرتها وصارت تتذكر احوالها الماضية قبل ان ولدت ولادتها الاخيرة وقبل ان ولدت الولادة التي قبلها وهلمَّ جرّاً وتنبأَت بما ستصير اليهِ بعد بضع سنوات وها نحن موردون خلاصة ما كتبهُ في هذا الشأن لغرابتهِ لا لاننا نعتقد صحتهُ ثم نعقب عليهِ بما يبدو لنا قال

لا يخفى ان الانسان وهو في سكرات الموت قد تتنبَّه ذاكرتهُ فيتذكر امورهُ الماضية بدقة ولقد بيَّنت ان ذلك يمكن احداثهُ في بعض الناس بتنويمهم بواسطة الاشارات الطولية اي من الاعلى الى الاسفل فيصيرون يتذكرون ماضي حياتهم الى سن الصغر ثم اذا ايقظتهم بواسطة اشارات عرضية تقاطع الاشارات التي ناموا بها مرُّوا في تذكرهم من سن الصغر الى ان يبلغوا السن الذي هم فيهِ

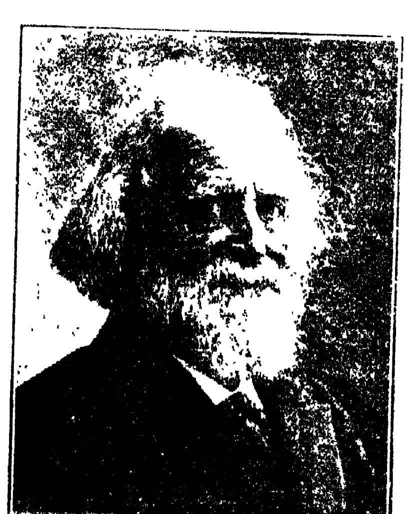
وهذا الامر على غرابتهِ لم يدرَس حتى الآن الدرس الكافي ولكنهُ ليس الاَّ توسُّعاً في

والسياسة والادب في لندن مثل اسقف لندن واسقف ستابني واللورد روبرتس والمسترستد صاحب مجلة المجلات وغيرهم وقد طلبوا فيها من الامة الانكليزية ان تقدم على الاكتتاب بالاموال لمساعدة ملاجيء برناردو تذكاراً لعيد ملادهِ وأرسلت اليهِ جلالة ملكة الانكليز رسالة برقية في يوم عيدهِ تهنئهُ بها وتدعو لعملهِ بالنجاح العاجل

وفي سبتمبر الماضي اصابتهُ نوبة قلبية ذهبت بحياتهِ فكتبت الملكة رسالة تعزية الى ارملتهِ. وعرضت جثتهُ فمرَّ من امامها الوف من عارفي فضلهِ والمعجبين بهِ . واحتفل بدفنهِ احتفال قلَّ نظيرهُ فمشى في مقدمة جنازتهِ الوف من الاولاد الذين في ملاجئهِ وقد صفوا صفوفاً عديدة على حسب سنّهم ومشى خلف نعشهِ كثيرون من علية القوم ونخبة الامة الانكليزية ودفن مأسوفاً عليهِ . فيا سعد رجل يعيش ويموت في امة تعرف اقدار الرجال

اليزه ركلي

اليزه ركلي زعيم من زعماء الفوضويين وعالم من علماء العصر الذين يشار اليهم بالبنان وهو صاحب الجغرافية العمومية الجديدة التي صدرت في تسعة عشر مجلداً كبيراً . ولد سنة ١٨٣٠ ودرس على كارل رتر الجغرافي الالماني وكان من المتطرفين في الحرية فاضطرَّ ان يخرج من فرنسا سنة ١٨٥١ واقام سبع سنوات في انكلترا واميركا حيث اتسعت معارفهُ بالاسفار ثم عاد الى فرنسا وانضمَّ الى الكومون فنفي منها بعد الحرب وعاد اليها لما صدر العفو العام سنة ١٨٧٩ وشرع في تأليف جغرافيتهِ الكبيرة وهو في المنفى. ولهُ كتب كثيرة من هذا القبيل مثل كتاب الارض في مجلدين كبيرين والظواهر الارضية وتاريخ جبل. ولهُ كتاب تركهُ من غير طبع في اربع مجلدات موضوعهُ التاريخ وتأثير الجغرافية فيهِ . وهو من نوابغ الكتاب ومن اكثرهم تدقيقاً



وقد كان كريماً جواداً تنطبق سيرتهُ على تعاليمهِ فاستعزَّ بهِ الاشتراكيون والفوضويون المعتدلون وكانت وفاتهُ في الرابع من شهر يوليو الماضي

المشي النومي تبقى تتذكر ما كانت تعلمهُ وهي مستيقظة ولكن حينما تصل الى درجة الاتصال (الربور) لا تعود ترى غيري ولا تسمع غيري وبقيت تتذكر اسمي واسمها . ثم لما بلغت درجة الشعور بالاتصال صارت تشعر بكل ما اشعر بهِ انا اذا لمستها ولكنها تنسى كل ما كانت تشعر بهِ في الحالة السابقة

الجلسة السادسة في ٩ دسمبر. صارت ترى طيفاً جليًّا قائماً بجانبها وقلتُ لها ان تتصوره بصورة امها فتصوَّرتهُ كذلك لكن لم يظهر في ذاكرتها شيء من تذكُّر الماضي

الجلسة السابعة في ١٠ دسمبر . تمَّ انفصال الطيف عنها واقام الى جانبها وقلتُ لها ان تنقلهُ من مكانهِ فنقلتهُ وقلتُ لها ان تجعلهُ يخرق سقف البيت ويخرج منهُ فلم تستطع . وكانت ترى بينها وبينهُ حبلاً من النور ممتدًّا فوق رأسها فكلما لمستهُ تألَّمت من ذلك

الجلسة التاسعة في ١٢ دسمبر . درسنا في هذه الجلسة تأثير التنويم فيها حسب الوقت وكتب المسيو لاكوست الملاحظات التالية

الساعة ١ والدقيقة ٣٠ كانت مستيقظة لم توثر الاشارات فيها

الساعة ١ والدقيقة ٣٣ امسك المسيو ده روشا بيديها واضعاً ابهاميهِ في راحتيها فشعرت كأنَّ سائلاً مرَّ في كل ذراع من ذراعيها ونامت بعد دقيقة من الزمان

الساعة ١ والدقيقة ٣٦ مرَّت من حالة السبات الى حالة المشي النومي وهي الحالة الثانية من حالات التنويم المغنطيسي على رأي المسيو ده روشا وكانت عيناها مفتوحتين وهي لا ترى ولا تشعر وبعد ثلاث دقائق ونصف دقيقة بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال (ربور) فكانت تأبى ان ترينا رجلها خجلاً ولكنها لا تأبى ان تدنو من المسيو ده روشا وتعتنقهُ

وفي الساعة ١ والدقيقة ٤٦ بلغت الدرجة الرابعة فنسيت اسمها وبقيت تخجل من اظهار رجلها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٠ بلغت الدرجة الخامسة والقت رأسها على كتف المسيو ده روشا لتستمد قوةً منهُ ونسيت اسمها ولكنها تذكرتهُ لما فرك المسيو ده روشا مارن انفها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٦ رأت طيفاً عن يسارها فيهِ شيء من الانارة

وفي الساعة ٢ والدقيقة ١ دخلت الدرجة السابعة فرأت طيفها عن يمينها وزال الطيف الذي كان عن يسارها وتذكرت انها رأت امها وهي في الدرجة السادسة ولكنها ابت ان تراها ثانية

الساعة ٢ والدقيقة ٤ . تم تكوُّن الطيف وهو المسمَّى عندهم بالجسم الاثيري وحاول المسيو ده روشا اخراجهُ من الغرفة فكان يصل الى الجدار ويقف وقال لمايو ان تمدَّ اليهِ يد

امور محققة فلا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى ما يحدث لو واصلنا الاشارات الطولية حتى يصل المنوَّم الى سن الطفولية ثم يتجاوزهُ الى ما قبل ولادتهِ وواصلنا الاشارات العرضية حتى يصل المنوَّم الى سن الشيخوخة فالهرم فالموت وما يتلوهُ فيُعرَف بالاشارات الاولى ماضي الانسان وبالاشارات الثانية مستقبلهُ . ويقال ان بعض الباحثين في هذا الموضوع في اسبانيا وليون تمكنوا من جعل بعض الناس يتذكَّرون احوال ماضيهم ويكتشفون احوال مستقبلهم ثم كرَّروا عليهم تلك الاشارات فتذكر كل منهم نفس ما تذكرهُ اولاً واكتشف نفس ما اكتشف اولاً دلالة على ان ذلك حقيقي جارٍ على نمط وحد

ولا استطيع ان اذكر كل ما ثبت لي بالعمل فاجتزي عنهُ بذكر ما رأيتهُ في فتاة عمرها ثماني عشرة سنة لم تسمع كلمة عن المغنتزم ولا عن السبرتزم واسمها ماري مايو وهي ابنة مهندس فرنسوي قضى جانباً من عمرهِ في بلاد المشرق في انشاء سكك الحديد ومات فيها فتزوجت امرأتهُ مهندساً آخر من مهندسي سكك الحديد وبقيت الابنة في مدينة بيروت الى ان صار عمرها تسع سنوات وكانت تتعلَّم في مدرسة للراهبات وتعلمت هناك مبادئ القراءة العربيَّة ثم أُتي بها الى فرنسا وكفلتها عمتها وكانت تسكن البروفنس

وبقيتُ امتحن التنويم في هذه الفتاة شهرين جارياً في ذلك على غاية الرفق والتأني وكنت انومها ومعي الدكتور برتران طبيب العائلة والمسيو لاكوست وهو مهندس صديق لزوج امها وقد فوَّضتُ اليهِ كتابة ما يراهُ ويسمعهُ ولم يكن هو والدكتور برتران رأيا احداً من هذا القبيل ولذلك كتب ما رآهُ غير ميَّال لتأييد امر راسخ في ذهنهِ . وها خلاصة ما جرى

الجلسة الاولى في ٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ . حاولتُ تنويم ماري مايو بالاشارات الطولية فشعرت بشيء من التخدُّر ثم ايقظتها باشارات عرضية مقاطعة للاشارات الاولى . وأُعدت ذلك بعد ربع ساعة فاوصلتُها الى الدرجة الاولى من درجات النوم المغنطيسي

الجلسة الثالثة في ٥ دسمبر . نوَّمتها واوصلتها الى درجة المشي النومي (سمنمبولزم) فنامت وبقيت عيناها مفتوحتين وامتحنتُ فعل الموسيقى بها فطربت بصوت الغناء ولكنها لم تطرب بصوت البيانو

الجلسة الرابعة في ٦ دسمبر . اوصلتها في التنويم الى ان صارت ترى طيفاً منيراً خارجاً منها ولكن رؤيتها لهُ لم تكن جليَّة

الجلسة الخامسة في ٧ دسمبر . نوَّمتها وجعلتها تمر في درجات التنويم المختلفة رويداً رويداً وكنت امتحن قوة شعورها وهي في كل درجة من هذه الدرجات فوجدتُ انها وهي في درجة

لها ان تدل على نقطة تراها في طيفها في جبهتهِ فدلت على نقطة في جبهتها ولكنها رأت النقطة في الطيف الى الجهة اليسرى ودلت على نقطة في الجهة اليمنى من جبهتها . فوضعت مرآة امام الطيف فرأتهُ فيها واصلحت خطأها ودلت على نقطة في الجبهة اليسرى من جبهتها . وتمَّ شكل الطيف لما بلغت الدرجة السابعة وصارت تراهُ امامها مواجهًا لها ومنحرفًا الى اليمين قليلاً وفقدت حينئذٍ كل حياءٍ وحشمة ولم تعد تتذكر احدًا وسألتها كم عمركِ فقالت ١٨ سنة فقلت لها ان ترجع الى سن ١٦ فرأت جسمها يتغير حتى صارت كما كانت وهي ابنة ١٦ سنة . ثم طلبتُ منها ان ترجع الى ما كانت عليهِ وهي ابنة اربع عشرة سنة فاثنتي عشرة سنة فعشر سنوات وسألتها حينئذٍ اين تسكن فقالت في مرسيليا . ثم طلبت منها ان ترجع الى سن ٨ سنوات وسألتها اين هي فقالت في بيروت وسألتُ ما معنى كلمة بون جور بالعربية فقالت سلام عليك . ثم قلت لها ان ترجع الى السنة الرابعة وسألتها اين هي فقالت في مرسيليا . ثم الى السنة الثانية وسألتها اين هي فقالت في كوجه وهذا صحيح ايضاً . ولما وصلت الى السنة الاولى لم تعد تتكلم بل كانت تكتفي بالنظر اليَّ وبقولها نعم او لا . ولما ارتدَّت الى ما وراء ذلك بقيت تشعر بوجودها ولكن ليس في حالة محدودة ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى وجود آخر . ووقفتُ عند هذا الحد واعدتها الى حالتها الطبيعيَّة رويدًا رويدًا الى ان صار عمرها ١٨ سنة ولم اقف عندهُ بل تماديت في الاشارات العرضية وسألتها كم صار عمركِ الآن فقالت ٢٠ سنة فقلت لها اين انتِ الآن هل انتِ في اكس فقالت كلاَّ فقلت لها هل تذكرين مسيو لاكوست ومدام لاكوست فقالت نعم وسألتها هل تتذكرين المسيو ده روشا فتبسمت وقالت نعم . واعدتها الى حالتها الطبيعية بالاشارات الطولية

الجلسة السابعة عشرة في ٢٢ دسمبر . نوَّمتها واعدتها الى سن ١٢ وقلت لها ان تكتب اسمها فكتبتهُ marie بحروف متساوية ارتفاعاً . ثم اوصلتها الى السنة الثامنة وطلبت ان تكتب اسمها فكتبت حرفين عربيين[1] ورددتها رويدًا رويدًا الى ان وصلت الى زمن ولادتها والى ما وراء ذلك ودار بيني وبينها المسائل التالية

س . من انتِ الآن

ج . امرأة اسمها لينا

س . اين تسكنين

ج . لا اعلم

(١) (المقتطف) الحرفان يشبهان شد او شهد بخط قريب من الفارسي

الطيف اليسرى فقرصهُ اي قرص الهواء فشعرت مايو بالقرصة

الساعة ٢ والدقيقة ١١ ايقظها بالاشارات العرضية المقاطعة للاولى فاستيقظت ولم تشعر بتعب وفي يمينها علامة القرصة التي قرص بها طيفها . انتهى

قال المسيو ده روشا ونوَّمتها في الثالث عشر من دسمبر وفتشت عن نقط الاستهواء في بدنها حيث يُسمح لي بالتفتيش عنها فوجدتها في رسغيها وفوق عينيها ووراء اذنيها وفوقهما وفي نحرها

ثم نوَّمتها في السادس عشر من دسمبر واوصلتها الى درجة اخراج الطيف منها فكانت ترى نصفهُ عن يمينها ونصفهُ عن يسارها ونظرتُ الى الطيف الذي عن يسارها فرأتهُ جانبيًّا وظهرهُ الينا اي انهُ مخالف لها في اتجاهها . ونوَّمتها في السابع عشر وابلغتها درجة الاتصال وكنت ادني شمعة مشتعلة من عينيها فلا تراها وادنيت من انفها قنينة مفتوحة فيها امونيا فلم يظهر انها شمَّت رائحتها ولكنني تنفست قليلاً في بخار الامونيا فشمَّت رائحتهُ حالاً . وطلبتُ منها ان تقبّلني فقبَّلتني في وجهي ولمست شفتيها قليلاً فنفرت مني مغضبةً

وتماديت في تنويمها فصارت ترى طيفها واقفًا بجانبها فقلت لها ان تجعل شكلهُ مثل شكلها وهي ابنة ١٨ سنة ثم وهي ابنة ١٤ سنة ثم وهي ابنة ١٢ سنة ثم وهي ابنة ١٠ سنوات وسألتها اين كانت حينئذٍ فقالت في مرسيليا وهذا صحيح ثم وهي ابنة ٨ سنوات وقالت انها في بيروت وصارت تتكلم عن ابيها وامها والذين تعرفهم من سكان بيروت ممن كان يتردد على بيت ابيها . وكان كل ذلك صحيحًا

ثم غيرت الاشارات وجعلتها تقاطع الاشارات الاولى فعاد طيفها اليها ولم يكن ذلك بالامر السهل . ثم ايقظتها تمامًا ولما استيقظت لم ارَ اختلافًا في قواها العقلية ولكنني خفت ان يظهر فيها اختلاف لانني اعدت طيفها اليها وهو في السنة الثامنة من عمرها فنوَّمتها ثانيةً واخرجت طيفها منها فوجدتهُ في السنة الثامنة من العمر فرددتهُ الى السنة الثامنة عشرة وارجعتهُ اليها وايقظتها

الجلسة الخامسة عشرة في ١٩ دسمبر . نومتها حسب العادة واوصلتها الى الدرجة الثالثة وادنى الدكتور برتران شمعة مشتعلة من عينيها فلم يظهر انها كانت تراها ولكنها اغمضت عينيها حالما التفتُّ الى الشمعة . وادنى زجاجة امونيا من انفها وقلتُ لها ان تشمها فشمتها ولم تشعر بشيءٍ ولكنني لمست يدهُ وللحال ابعدت رأسها عن الزجاجة كأَنها شمَّت رائحة الامونيا حينئذٍ . ولما بلغت الدرجة الرابعة نَسيتْ كل شيءٍ حتى اسمها واخذ طيفها يخرج منها . وبلغت الدرجة الخامسة فرأَت الطيف عن يسارها وفيهِ نقط سوداء تقابل نقط الاستهواء في جسمها وقلت

نفسها في البحر من رأس شاهق واكل السمك جسمها . هذا من جهة ماضيها اما مستقبلها فرأت فيهِ انها وهي في التاسعة عشرة من عمرها تسافر مع امها ونقيبان في بلاد اهاليها سود عراة ولم ترَ شيئاً وراء ذلك . وبقيت لا تنوَّم الاَّ بارادتها

الجلسة التاسعة عشرة في ٢٤ دسمبر . نوَّمتها ورددتها الى الحالة التي كانت فيها لما كان اسمها لينا ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى التيه ثم صارت رجلاً غير صالح وضربت يد طيفها بيدي حينئذٍ فاحمرَّت يدها الحقيقية

الجلسة العشرون في ٢٦ دسمبر . لا يزال الاحمرار في يدها حيث ضربتُ يد طيفها . وكانت ترى الطيف الذي الى يمينها احمر والطيف الذي الى يسارها ازرق اي انها كانت ترى طيفها نصفين احدهما الى يمينها وهو احمر والآخر الى يسارها وهو ازرق وكل نصف منها جانب واحد منها ظهرهُ الينا ووجههُ الى ما وراءها كأنهُ صورتها في مرآة جانبية

ثم جعلتها تتدرَّج في تاريخ ماضيها فكانت ترى طيفها يصغر كلما صغرت سنًّا حتى اذا صارت طفلة في بطن امها زال الطيف تماماً وامتزج بالجو . ولما صارت لينا وماتت دخلت العتمة وحاولت ان تلتقي بزوجها وولدها فلم تلتقِ بهما . وكانت في زمن لويس الثامن عشر وقبل ذلك كانت رجلاً اسمهُ شارل موفيل ابتدأ كاتباً في احدى نظارات باريس . وكان الناس حينئذٍ يقتتلون في الاسواق وقتل هو بعضهم لانهُ كان شريرًا ولما صار عمرهُ خمسين سنة مرض وترك منصبهُ ثم مات وسار طيفهُ في الجنازة وسمع الناس يقولون "لقد تمادى في الشر" وبقي في حالة غير راضية الى ان دخل جسم لينا

الجلسة الحادية والعشرون في ٢٧ دسمبر . نوَّمتها واوصلتها الى الدرجة السابعة فنسيت اسمها واسمي وصارت ترى نصف طيفها ازرق عن يسارها والنصف الآخر احمر عن يمينها واذا رفعت يدها اليمنى رأت النصف الايسر من طيفها يرفع يدهُ والضد بالضد . واوصلتها الى الدرجة الثامنة فتم الطيف وعادت ذاكرتها اليها ولما بلغت السنة الاولى من تدرجها الى الوراء سألتها عما اذا كانت تتكلم فقالت لا فقلت لها كيف قلتِ لا وانتِ لا تتكلمين فقالت ان الذي اجابك هو انا ليس الشخص الصغير الواقف بجانبي . فقلتُ لها اذًا لستِ كلكِ في هذا الشخص الصغير . فقالت لا لان حول هذا الشخص ضباباً منيرًا . فقلت لها أوَ لا يوجد شيءٌ آخر فقالت نعم يوجد شيءٌ اخر وهو نفسي التي ترى الشخص الذي عمرهُ سنة والشخص الذي هو انا الآن

س . هل انتِ حية او ميتة

ج . ميتة

س . كيف متِّ

فاجابت انها لم تمت بمرض بل بالماء غرقت واختنقت وورمت

س . هل كنتِ حاضرة في جنازتها

ج . كلاَّ لان جسمها لم يستخرج من الماء

س . هل تألمتِ من الانحلال في الماء

ج . كلاَّ لم اشعر بلذة ولا بالم

ثم رأيت ان اعيدها الى حالتها الحاضرة بالاشارات العرضية فارتدَّت رويداً رويداً الى ان دخلت جسم امها وهي حبلى وولدت ثانية ونمت حتى صار عمرها ١٩ سنة فسألتها اين هي الآن

ج . ليس هنا

س . اتعرفين في اي بلاد انتِ

ج . كلاَّ

واوصلتها الى سن ٢٠ سنة وسألتها اين انتِ الآن . فاشارت بيدها انها لا تعلم فقلت لها اين تكونين حينما يصير عمرك عشرين سنة فقالت لا اعلم ولكني اري اناساً ليسوا مثل الذين هنا

فقلت لها اني عازم ان اقدمك في السن اكثر فاكثر فاذا حدث لكِ شيءٌ مهمٌّ فاخبريني حتى اقف . صار عمركِ ٢١ سنة صار عمركِ ٢٢ سنة ألا تزالين هناك فقال لا وعادت بغتة الى سن ١٨ سنة وبقي طيفها عن يمينها فايقظتها ثم نوَّمتها وجعلتها تعود رويداً رويداً الى ما قبل ولادتها فاذا هي امرأة اسمها لينا ماتت غرقاً وصعدت في الهواء ورأت فيهِ كائنات منيرة ولكن لم يسمح لها بالتكلم معهم ولم تتألم ولا تعبت وهي في تلك الحالة ثم ارجعتها الى سنها الحالي وتقدمت بها الى ان صار عمرها ٢١ سنة فاذا هي تقطن بلاداً اهلها زنوج عراة ولم تتقدَّم عن ذلك بل عادت الى سنها الحالي

الجلسة الثامنة عشرة في ٢٣ دسمبر . نوَّمتها لاعرف ماضي حياتها بالتدقيق فعرفت منها ان المرأة لينا التي كانتها قبلما ماتت وولدت الولادة الاخيرة كانت زوجة صياد اسمهُ ايفون وكان لها ولد وحيد مات وعمرهُ سنتان وكسرت السفينة بزوجها فمات غرقاً فيئست من الحياة والقت

وسأَلها عن نفسها فقالت انها مثل لسان الشمعة بين جسمها الحالي والطيف الصغير الذي صارتهُ ثم دار بينهما الحديث التالي

هو — ارجعي الى بطن امكِ ماذا اصاب الجسم الصغير الآن

هي — اختلط

هو — اين انتِ الآن

هي — لا اعلم ولا ارى شيئاً ولكني اشعر بشيء متحرك

هو — عودي الى حالتكِ الحاضرة كيف شعرتِ لما ولدتِ

هي — تجسَّم طيفي حينما قُطع الحبل السري

هو — ارجعي الى بطن امكِ واخرجي منهُ ولا يزال حبلك السري متصلاً فهل تتنفسين

هي — كلا

هو — قُطع الحبل السري فهل تتنفسين الآن

هي — نعم

هو — عودي الآن الى العتمة

ثم قال لها يجب ان تصيري كما كنتِ وقتما غرقتِ . وللحال دارت على جانبها الايمن ووجهها بين يديها وبقيت كذلك بضع ثوانٍ . ثم دارت على جانبها الايسر وصار تنفسها صعباً وبانت على وجهها دلائل الاضطراب والخوف وصار حلقها يتحرك كمن يبلع الماء غصباً عنهُ ونطقت بالفاظ لم نفهمها وجعلت تتململ وبانت على وجهها علامات الالم الشديد فامرها ان تتقدَّم عن ذلك بضع ساعات ثم قال لها هل اتعبكِ النزع . فقالت نعم

واشار بعض الاشارات العرضية وقال لها اين انتِ الآن فقالت في العتمة ولم تعد تتذكر شيئاً مما جرى لها ولا غرقها . ووالى الاشارات العرضية فتقدَّمت الى سن ٢ و ٦ و ١٠ واخيراً بلغت سن ١٨ وهو سنها الحالي وايقظها فيهِ

الجلسة الثالثة والعشرون في ٣٠ دسمبر . مما كتبهُ الكومندور رميس رئيس الجمعية الثيوصوفية في مرسيليا

عمر الفتاة ١٨ سنة وهي متعلمة متهذبة مستكملة الصحة جسداً وعقلاً لا تتعب من التنويم . حالما اشار اليها الكولونل ده روشا بالاشارات الطولية نامت وتنقلت في درجات التنويم . وحالما نامت فقد جسمها الشعور ولم يعد يشعر الا بعد ان تجرَّد طيفها منها . والطيف يخرج منها رويداً رويداً في طبقات سائلة يمتزج بعضها ببعض على مقربة منها واذا قُرِص

واعدتها الى ما وراء ذلك وسألتها في اي وقت دخل الطيف جسمها فقالت انهُ دخلهُ قُبيل ولادتها وكان قبل ذلك حول امها ثم كان قبل ذلك في العتمة

وردها الى ان كانت لينا حينما كان عمرها ١٥ سنة وكانت مع امها وهي لا تعرف اباها ولا اسم عائلتها ووراء ذلك كانت في الظلمة وهي في حالة الألم من توبيخ الضمير وكانت قبلها رجلاً اسمهُ شارل موفيل مات من برد اصابهُ وعمرهُ خمسون سنة. وحاول ارجاعها الى ما وراء ذلك فجعلت تسعل ثم ردها الى جسم لينا وتدرَّج في عمرها الى ان حانت وفاتها فابطأ في الاشارات فانقطع نفسها وجعل جسمها يتمايل كأنها محمولة على ظهر الامواج وظهر عليها كأنها كادت تختنق فاسرع الاشارات وايقظها حالاً

الجلسة الثانية والعشرون في ٢٩ دسمبر. ووصفها منقول عن الدكتور برتران . قال ان المسيو ده روشا نوَّمها وتدرَّج الى ان بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال فلم تعد ترى غيرهُ وطلب منها ان تعود الى سن ١٦ فقالت انها عادت . ثم اوصلها الى الدرجة الرابعة ولم تعد تشعر الا في الغشاء المخاطي كما في لسانها وشفتيها وفي كتفيها . ولما وصلت الى الدرجة الخامسة ظهر طيفها كغيمتين منيرتين في شكلين جانبيين احدها ازرق وهو عن يسارها والآخر احمر وهو عن يمينها . وفي الدرجة السادسة التحم الطيفان وصارا طيفاً واحداً نصفهُ احمر ونصفهُ ازرق ووقف امامها وكانت ذاكرتها قد ضعفت فقويت بغتةً وامرها حينئذٍ ان تجعل طيفها يرتفع فارتفع ولكنها لم تستطع ان تجعلهُ يخرق السقف وكانت تشعر باقل حركة تحركها يدهُ فوق رأسها وفسر ذلك بان طيفها متصل بها بحبل اثيري ممتد فوق رأسها . ثم اعادها الى سن ١٨ واوصلها الى سن ٢٠ ودار بينهُ وبينها الحديث التالي

س . في اي بلاد انتِ

ج . لا اعلم

س . مع مَن انتِ

ج . مع زوج امي

س . وبعد ذلك

ج . مع الزنوج

ثم قال امشِ معي فاني اريد ان تصيري ابنة ٢١ سنة ثم ابنة ٢٢ سنة . فلم تتقدم عن سن ٢٠ سنة ثم قالت انها مع الزنوج في بيت بعيد عن محطة سكة الحديد . فاعادها الى سن ١٨ فسن ١٦ و١٤ و١٢ و٨ و٥ و٢ . ولما صارت في سن سنتين قالت انها لا تعرف ان تتكلم

هو — انت الآن في السنة الثلاثين من عمرك فاين انت وماذا تفعل

هي — في باريس في احد الدواوين

هو — ما هو عملك

هي — لا اعلم

هو — اكتب اسمك

فامضت اسمها شارل موڤيل

هو — من المتسلط على فرنسا الآن

هي — كثيرون

هو — انت من حزب الثورة بلا شك

فلم تجب لكنها تبسَّمت

هو — لا بدَّ من انك كنت راضياً بقتل الملك والملكة

هي — الملك نعم واما الملكة فلا

هو — انت الآن في الخمسين من عمرك وقد دنا الموت منك

فاصابها سعال وضيق نفس شديد كما يصيب المصدورين

هو — اكان وراء النعش كثيرون

هي — كلاَّ

هو — هل قالوا انك كنت رجلاً شريراً

هي — نعم (قالت ذلك بصوت منخفض بعد ان ترددت عن الجواب هنيهة)

ثم انتقلت الى الظلمة وتقمصت ثانية في بريتني ووُلدت ابنة وتقدَّمت في السن الى ان صار عمرها ١٨ سنة فتزوجت وتمخَّضت وولدت ابناً وظهرت عليها كل آلام المخاض حتى اضطرَّ الكولونل ان يجعلها تجتاز ذلك بسرعة ثم صار عمرها ٢٢ سنة فغرق زوجها ومات ابنها ويئست من الحياة فالقت نفسها في البحر ولما كان الغرق مؤلماً لها جعلها تجتازهُ بسرعة فانتقلت الى العتمة ولم تتألم فيها كما تألمت لما كانت في الظلمة بعد موتها وهي شارل موڤيل . وتقمَّصت اخيراً في جسمها الحالي فايقظها لما بلغت السن الذي هي فيهِ

وسنأتي على تتمة هذا البحث في الجزء التالي ونشفعهُ بما يبدو لنا من التعاليل

شعر جسمها بالقرص . ولم تعد ترى احداً غير الكولونل وكنت واقفاً امامها على نحو متر منها فلم ترني ولكن الكولونل لمسني فوصلني بها وللحال صارت تراني اي انها صارت تشعر بواسطته وادنيت من انفها زجاجة فيها امونيا فلم تشعر برائحتها ثم ادنيت هذه الزجاجة من انف الكولونل فشعرت هي برائحتها ونفرت كأنَّ الزجاجة امام انفها وقد شعرت برائحتها

ولما كمل تجريد طيفها منها قام وحده على نحو متر منها ورأتهُ عن يسارها ممزوجاً من لونين ازرق واحمر وهو متصل بها بحبل سائل في ثخانة الاصبع . ومددت يدي الى هذا الطيف فشعرت به بارداً . ثم امرها ان تقسم الطيف الى قسمين فقسمتهُ الى قسمين احمر وازرق واقام القسم الاحمر عن يمينها والازرق عن يسارها ثم مزجت القسمين معاً واوقفتهما عن يمينها وكان الكولونل يقرص الهواء في المكان الذي ترى فيهِ الاتصال بينها وبين طيفها فتشعر بالقرص وتبعد الى الوراء . وطلبت منها ان ترفع الطيف فارتفع الى ان وصل الى السقف ثم طلب منها الكولونل ان تنزله وتوقفهُ عن يمينها ففعلت وامرها ان تتدرَّج في ماضي حياتها فتدرَّجت رويداً الى حين ولادتها ثم الى ما وراء ذلك . ولما بلغت السنة السادسة عشرة من العمر سألها هل تعرفين الكولونل ده روشا فتبسمت وقالت لا كأنها تقول لم اكن اعرفهُ حينئذٍ . وظهرت عليها دلائل الاستحياء حين صار عمرها ست سنوات فاذا لمست ركبتها وعمرها ست سنوات خجلت ومدَّت يدها لتدفع بها اليد التي لمستها واما اذا لمست ركبتها وعمرها خمس سنوات لم تفعل ذلك . ولما كان عمرها ١٢ سنة قالت انها كانت لا تزال في بيروت ولم تكن تعرف اللغة الفرنسوية بل تعرف العربية . ولما بلغت سن الولادة فارقها طيفها لكنها رأتهُ محيطاً بامها كأنهُ سحابة من مادة سائلة وكانت قبل ذلك في العتمة لا تتألم ولا ترى شيئاً حولها ولكنها تشعر ان حولها خلائق اخرى لا تعلم ماهيتها . ثم اجتازت هذه الحالة بألم شديد (لانها ماتت غرقاً) وظهرت في بريتني امرأة اسمها لينا زوجة رجل صيَّاد

واجتازت عمر هذه المرأة وعادت الى الظلمة حيث كانت تتألم وكانت قبل ذلك رجلاً شريراً اسمهُ شارل موفيل مات وعمرهُ خمسون سنة ووصلت الى حين ولادتهِ ولم تتجاوزها فسألها الكولونل المسائل التالية

هو — اين ولدت

هي — في باريس

هو — في اي عهد

هي — في عهد الملكية

كما من مرآة فيظهر لونهُ مزرقًا . ولكن في زمن الفيضان يكثر الطمي فيهِ فيخرج لونهُ مثل القهوة . وهذا الطمي هو السبب في خصب تربة مصر الذي اشتهرت بهِ من قديم الزمان . والفرق بين مقدار الماء في البحر الازرق فائضًا وبينهُ فيهِ غائرًا عظيم جدًّا لان مقدارهُ في الحالة الاولى ستون الى سبعين ضعف مقدارهِ في الثانية

اما البحر الابيض فيختلف عن الازرق من جميع الوجوه فانهُ يجري اولاً في بلاد جميلة المناظر الطبيعية . وبحيرة فكتوريا التي يستمد ماءهُ منها يصبُّ فيها عدة انهر اهمُّها نهر كاجيرا وموقع هذا النهر في بلاد قاحلة مغطَّاة بالمواد البركانية تتخللها سلسلة براكين صغيرة منها ما هو ثائر الى الآن . وهذه البلاد يكتنفها الضباب معظم السنة وقمم البراكين الخامدة تملأُ ارضها في كل ناحية . وكلما اقتربتَ من البحيرات انقشع الضباب وصارت المناظر الطبيعية اجمل منها في البلاد الاولى . فان في بحيرة فكتوريا جزرًا عديدة يعلو النبات شواطئها وينعكس لونهُ عن وجه الماء فيزيد المنظر رونقًا وبهاء . واما بحيرتا أَلبرت ادورد وأَلبرت فتختلفان كلَّ الاختلاف عن بحيرة فكتوريا فان حولها بلادًا قفراء والجبال تكتنفهما من كل جانب وبينهما صعيد من الارض فيهِ جبال رونزوري يغطي الثلج قممها على مدار السنة وهي جبال القمر المشهورة في التواريخ وقصص الاقدمين . وفي هذا الصعيد سهول ونجود وآكام تغطيها الاشجار والانجم كأنها روضة غناء فيها مسارح الظباء ومضارب اقوام اغرب مما فيها من انواع الحيوان

وبعد ما يخرج البحر الابيض من بحيرة أَلبرت يجري في ارض كثيرة الشلالات تكسب منظرهُ جمالاً وجلالاً او ينساب بين آكام تكسوها الاشجار ويبقى كذلك مسافة تعادل ربع طولهِ ثم يتغير تغيرًا عظيمًا اذ يدخل ارض المستنقعات الكبيرة فتقلُّ سرعتهُ ويتسع مجراهُ ويقلُّ عمقهُ ويصير قاعهُ وحلاً بعد ما كان صخرًا وتكثر تعاريجهُ الى الدرجة القصوى ويتغير لون مائهِ فيصير مخضرًّا . وفي هذه المستنقعات موقع السدّ المشهور الذي عاق ماء النيل عن الجري في الزمان الماضي فأُزيل حديثًا بمساعي زمرة من الضباط الانكليز . ومساحتها الوف من الاميال المربعة يعلوها القصب والبردي في معظم نواحيها ويكثر فيها البعوض وتتخللها برك قريبة القعر يتحلب اليها ماء النهر واسم النهر هناك بحر الجبل ثم يتبخر منها بسرعة عظيمة فيفقد النهر بهذا التبخُّر وبامتصاص النباتات المائية جانبًا كبيرًا من مائهِ حتى اذا خرج من المستنقعات كان مقدارهُ حينئذٍ جزءًا من ٥٠ الى ٨٥ من مقدارهِ عند دخولهِ اليها . وضياع هذا القدر العظيم من الماء من اشهر مزايا البحر الابيض او بحر الجبل بنوع اخصّ . ومهما

الري في اعالي النيل

من مقالة للسر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية
نشرت في مجلة القرن التاسع عشر

قسمت هذا الموضوع قسمين ضمنت الاول منهما وصفاً مختصرًا لمجرى النيل من منبعهِ الى مصبهِ والثاني وصف المشروعات التي يراد عملها للتحكم بهِ وضبط مياههِ من مخرجهِ الى مصبهِ في بحر الروم . ولما كان النيل بين مخرجهِ من بحيرة فكتوريا واقترانهِ بالبحر الازرق عند الخرطوم مختلف الاسماء باختلاف شعبهِ وفروعهِ المتعددة مثل نيل فكتوريا و بحر الجبل وبحر الزراف فسأعدي عن هذه الاسماء الى اسمهِ المشهور وهو " البحر الابيض " طلباً للبسط وهربًا من الغموض والابهام

لا يخفى ان النيل شمالي الخرطوم مؤلف من فرعين كبيرين يقترنان على مسافة قصيرة منها وهما البحر الازرق والبحر الابيض والاول يجري من الجنوب الشرقي والثاني من الجنوب وكلاهما يستمدّ ماءهُ من بحيرات كبيرة واقعة في نُجُدٍ ترتفع كثيرًا عن سطح البحر. فالبحر الازرق منبعهُ بحيرة تسانا في صعيد الحبشة الشمالي والابيض بحيرة فكتوريا نيانزا في نُجُد اوغندا على خط الاستواء وبحيرتا ألبرت ادورد نيانزا والبرت نيانزا فيخرج من من الاخيرة ويجري الى الشمال نهرًا واحدًا

ويختلف البحر الازرق والبحر الابيض الواحد عن الآخر كلّ الاختلاف ولكلٍّ منهما شأن عظيم في انتظام الفيضان السنوي بين ارتفاعهِ وهبوطهِ ولكن البحر الابيض اعظم شأنًا وعليهِ يتوقف عمران البلاد التي الى واديهِ الشمالي . اما البحر الازرق فانهُ وان كان كثير الطمي الذي لا غنى عنهُ لخصب مصر فهو متقلّب في اطوارهِ فيضنّ بالماء والحاجة اليهِ شديدة ووجه الارض يُقلى بجمر الشمس صيفًا

واهمّ اوجه الفرق بين البحرين في مجراهما ان البحر الازرق ينحدر من نُجُد الحبشة الى بلاد جبلية كثيرة الغياض والسيول ويجري في وادٍ عميق لم يستطع السياح تتبعهُ من اولهِ الى آخرهِ تتخللهُ شلالات كثيرة الانحدار ذات قاع صخري . ومتى بلغ نصف الطريق انساب في بلاد سهلية جبلية . وينضم اليهِ في اثناء جريهِ انهر عديدة من صعيد الحبشة الغربي واكثرها غدران تسيل وتطمّ ثم تنضب

واذا كان واطئًا رأيت ماءهُ صافيًا نقيًّا من شوائب الاكدار ينعكس عنهُ وجه السماء

الانهر التي تصب فيهِ مثل الدبوس والدسا والرهد ودندر

هذا ولنرجع الى البحر الابيض فنقول ان مصدرهُ الحقيقي بحيرة فكتوريا نيانزا ولكن مقدار الماء الذي يخرج منها يقلُّ كثيرًا بعد مرورهِ في مستنقعات بحيرة تشوجا حتى ان ما يبلغ منهُ بحيرة ألبرت نيانزا ويصبُّ فيها يكاد يكون واحدًا على مدار السنة مهما ارتفع الماء فيها او انخفض . ولست اعني بهذا القول ان مقدار الماء الذي يجري الى بحيرة البرت في النهر الواصل بينها وبين بحيرة فكتوريا (نهر فكتوريا) واحد بل ان المقدار الذي يصل اليها من بحيرة فكتوريا فقط هو واحد تقريبًا . فان المطر يهطل غزيرًا في البلاد الواقعة شمالي بحيرة تشوجا فيزيد مقدار الماء الذي يدخل بحيرة ألبرت

وعلى علو الماء في بحيرة البرت يتوقف مقدار الماء في البحر الابيض على الغالب . فان كانت بحيرة فكتوريا مصدر النيل الحقيقي فبحيرة ألبرت خزّانهُ الحقيقي وقنطرة موازنتهِ لانها تمدّهُ بالماء وتحدد مقدار ما تمدّهُ بهِ منهُ . وهي تستمدُّ ماءها من بحيرة فكتوريا بواسطة نهر فكتوريا ومن بحيرة ألبرت ادورد بواسطة نهر سمليكي . وهذا النهر يستمد ماءهُ من بحيرة البرت ادورد ومن الثلج الذائب في قمم جبال رونزوري

وللمطر فصلان في صعيد اوغندا الاول من شهر مارس الى شهر يونيو والثاني من اكتوبر الى يناير . ويكون الماء في بحيرة فكتوريا على اكثرهِ في اواخر مايو وعلى اقلهِ في سبتمبر . وفي بحيرة البرت يرتفع تدريجًا مدة الصيف كلهِ ولكنهُ يبلغ اكثرهُ في نوفمبر او دسمبر واقلهُ في اواخر مارس . وارتفاع الماء المستمر مدة الصيف في هذه البحيرة هو الذي يؤهلها لأَن يقام فيها خزّان للماء في المستقبل

اما المطر في اعالي النيل فيغزر في اواخر الخريف ثم في يوليو واغسطس فيملأُ المسايل والغدران التي تصبُّ في النيل بعد خروجهِ من بحيرة فكتوريا . ومتى اخذ ماء بحيرة البرت ينخفض وغاض ماء الغدران ينخفض النيل ايضًا حتى يبلغ اقلهُ في مارس او ابريل . ثم يأْخذ ماء البحيرة يرتفع وماء النيل يزيد بما يقع من المطر الغزير في يوليو واوغسطس فتمتلئُ الغدران وتصبُّ فيهِ فيبلغ اكثرهُ في سبتمبر . ولكن تأْثير هذه الغدران اقلُّ كثيرًا من تأْثير البحيرة فيهِ كما يستدلُّ من الادلة الحديثة فاذا كان الماء في البحيرة عاليًا في اواخر السنة كان ماء بحر الجبل غزيرًا في صيف السنة التالية والفيضان حسنًا على الغالب . وبضدِّ ذلك اذا كان ماء البحيرة منخفضًا في دسمبر فان ماء بحر الجبل في الصيف التالي يكون دون المتوسط والفيضان رديئًا مهما امتلأَت الغدران وطمت

يكن الماء في بحيرة ألبرت عاليًا او مقدار الماء الذي ينصبُّ في بحر الجبل من الانهر الصغيرة كثيرًا فان مقدار الماء الذي يخرج من بحر الجبل بعد مروروِ في السدِّ واحد على مدار السنة وفي كلِّ الاحوال . فمنع ضياع الماء هذا هو المشكل الكبير الذي يحتاج الى الحلّ فيما يختصُّ بالنيل

هذا وان بحر الجبل او القسم المعروف منهُ بالبحر الابيض يصب فيهِ نهران كبيران عدا الانهر الصغيرة الواحد غربي واسمهُ بحر الغزال والآخر شرقي واسمهُ نهر السبَت وهما يختلفان اختلافًا عظيماً من حيث تأثيرها في الفيضان. فبحر الغزال يجري من الصعيد الواقع بين النيل واوغنده وتصبُّ فيهِ نهيرات عديدة ويمرُّ في سلسلة مستنقعات طولها مئتا ميل قبل التقائهِ ببحر الجبل فتمتصُّ ماءهُ كما تمتصُّ الاسفنجة الماء حتى اذا بلغ بحر الجبل او اوائل الابيض لم يبقَ منهُ سوى بحيرة ماء عميقة راكدة يعلوها القصب والبردي فما لا يتبخَّر منها يتحلَّب الى البحر الابيض عند انخفاض مائهِ

واما الفرع الشرقي اي نهر السُّبَت فعليهِ يتوقف معظم الفيضان في مصر فانهُ نهر جبلي ينبع من صعيد الحبشة الجنوبي وينخفض ماؤُهُ في بعض الفصول حتى يكاد يغور ويجفُّ ولكن سيلهُ يطمو نحو ستة اشهر وينحدر بشدة فاذا بلغ رباهُ بلغ مقدار الماء الذي يصبُّهُ في البحر الابيض نحو ثلاثة اضعاف الماء الذي يجري اليهِ من البحيرات الاستوائية بطريق بحر الجبل . ويكون ماؤُهُ اذ ذاك كدرًا مبيضًا ومنهُ اسم البحر الابيض

وقبل البحث في المشروعات المختلفة التي ينظر فيها للتحكم بماء النيل في اعاليهِ لا بدَّ لي من كلمة في وصف البحيرات والانهر المتعددة التي يتكوَّن النيل منها متوخيًا الايجاز ما امكن لاسباب منها اولاً ان التطويل غير مقصود في عجالة مثل هذه . وثانيًا ان المعلومات في هذا الصدد قاصرة محدودة . وكلُّ سنة تمرُّ تزيد معرفتنا من هذا القبيل وتمكننا من فهم احوال النيل شيئًا فشيئًا . اما البحيرات فكلُّ الدلائل الحديثة تدلُّ على ان فائدتها من حيث خزن الماء اقلُّ ممَّا كان يظنُّ قبلاً وان ارتفاع الماء وانخفاضهُ فيها كلَّ سنة يتوقفان في الاكثر على وقوع المطر فيها وتبخُّر الماء منها لا على الانهر التي تصبُّ فيها او الماء الذي يستمدهُ النيل منها

وعلى ذلك فان بحيرة تسانا مصدر البحر الازرق لا تؤَثر في مقدار الماء الذي يتدفق منهُ تأثيرًا كبيرًا على ما يظهر ولا يؤَثر ذلك المقدار في ارتفاع مائها وانخفاضهِ في فصل من فصول السنة لانهُ ليس شيئًا مذكورًا في جنب الماء الذي يجري الى البحر الازرق من

بمقادير متزايدة حتى اواخر السنة . وكذلك اذا قلّ الماء في نهر السبت فان الماء المخزون في البحر الابيض فوق ملتقى النهرين ينصرف شمالاً و يضاف الى الماء المخزون فيهِ فوق المقرن . وفي شهر نوفمبر يقلّ الماء في نهر السبت جدًّا فيعود البحر الابيض يستمدّ معظم مائهِ من البحيرات الاستوائية . والماء المخزون في الخزانين المشار اليهما كثير جدًّا الى حدٍ ان الماء الذي يمرّ بالخرطوم شمالاً في اشهر الشتاء الاولى اعظم مقدارًا من الماء الذي يجلب من البحيرات الى البحر الابيض مارًّا في المستنقعات الكبيرة

***

ولننتقل الآن الى الكلام على ما تحتاج مصر والسودان اليهِ من الماء فأقول : —

لا يخفى ان في القطر المصري نظامين للريّ وهما ري الحياض والري الصيفي فالاول قديم من عهد الفراعنة وطريقتهُ ان يطلق ماء الفيضان على الاطيان ثم يصرف عنها وتزرع . وطريقة الثاني ان تروى الاطيان على مدار السنة عند الحاجة الى ريها بواسطة ترع يجري الماء فيها بالقسط فيتسنّى بهذه الطريقة زرع القطن وقصب السكّر . والاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا يزيد ثمنها زيادة عظيمة على ثمن الارض التي تروى ري الحياض فقط . فبناء على ذلك وجهت مصلحة الريّ المصريّة جلّ همها واهتمامها الى تدبير الطرق اللازمة لزيادة المياه في زمن التحاريق اي في الاشهر التي قبل اشهر الفيضان لكي تزيد مساحة الاطيان التي تزرع صيفاً

اما من جهة ما يحتاج اليهِ القطر المصري من الماء فاقول انهُ يؤخذ من احدث التقديرات ان مجموع مساحة الاطيان التي يمكن زرعها في القطر المصري ثمانية ملايين فدان منها نحو مليون فدان من الاطيان البور . ونصف مليون فدان لا تصلح للزراعة . ونصف مليون اخرى على حدود الصحراء جنوبي القاهرة لا يمكن ارواؤُها الاَّ ري الحياض . فتهبط مساحة الاطيان الزراعية بذلك الى سبعة ملايين فدان منها اربعة ملايين تزرع الآن زراعة صيفيَّة وفي آخر سنة ١٩٠٨ تصير مساحتها اربعة ملايين ونصف مليون اي يبقى مليونان ونصف تحتاج الى زيادة الماء لاجل الري الصيفي . وقد ابان الاختبار ان الف مليون متر مكعب من الماء المخزون يكفي لارواء نصف مليون فدان صيفاً وعليهِ فالمليونان ونصف تحتاج الى خمسة آلاف مليون متر مكعب من الماء

ومسألتنا الآن كيف يمكن الحصول على هذا القدر من الماء . فانهُ اذا أُعلي خزان اصوان خزن من الماء ما يكفي نصف مليون فدان اخرى فتبقى ثمة حاجة الى اربعة آلاف مليون من الامتار المكعبة . ولسدّ هذه الحاجة اقترح البعض جعل وادي الريّان خزانًا . ولا يستبعد ان

واني اوجه الانظار بنوعٍ خاص الى هذا الامر اذ على بحيرة ألبرت يتوقف حل المسألة المهمة ألا وهي الحصول على قدر كافٍ من الماء كل سنة للزراعة الصيفية . ومعلوم اني اذا قلت ان الفيضان حسن او رديء فانما أشير الى مقدار الماء الذي يصل الى المستنقعات الكبيرة

***

اذا اتضح ما تقدم فقد اصبح من السهل فهم علاقة كل نهر من الانهر التي يتكون النيل منها بالفيضان كل سنة . ففي شهري ابريل ومايو يكون ماء هذه الانهر على اقلهِ فلا يتجاوز الخرطوم منهُ الا ما تحلَّب من مستنقعات البحر الابيض مضافاً اليهِ قدر صغير من ماء البحر الازرق . وفي يونيو يقع المطر في بلاد الحبشة فيفيض البحر الازرق ويتعاظم في يوليو ويبلغ معظمهُ في اغسطس ثم يهبط سريعاً في سبتمبر . ويأخذ الاتبره يرتفع في يونيو ويبلغ رباهُ في اغسطس او قبل البحر الازرق بقليل ثم يهبط سريعاً في سبتمبر ويجف في اشهر الشتاء . واما البحيرات الاستوائية فيخرج منها مقدار قليل مستمرٌ يتحلَّب من المستنقعات الكبيرة بواسطة بحر الجبل وبحر الزراف . وعليهِ فالفيضان في البحر الابيض يتوقف كلهُ على نهر السُّبت . فان هذا النهر يغزر عادةً في شهر يونيو ويأخذ يتعاظم بعد ذلك حتى يبلغ معظمهُ في سبتمبر او اكتوبر ثم يهبط سريعاً . واذا زاد مقدار الماء الذي يصبهُ في البحر الابيض توقف الماء الذي يتحلَّب اليهِ من المستنقعات عن النزول واخذ يعلو فيها حتى تبيت غامرة على مسافة طويلة ويخزن الماء فيها فلا ينصرف منها حتى يهبط نهر السبت . وماء السبت يصب في البحر الابيض من يوليو الى اكتوبر وعليهِ يتوقف ما يصل الى الخرطوم من الماء بالبحر الابيض في هذه المدة

اذاً فالماء الذي يمرُّ بالخرطوم مدة شهر يوليو ويتزايد كل يوم يجيء من البحرين الازرق والابيض وينضم اليهِ ماء الاتبره . وهذه الانهر الثلاثة سبب الفيضان السنوي في القطر المصري . وفي شهر اغسطس يزيد تأثير النهرين الشرقيين (الازرق والاتبره) زيادة ظاهرة فيبلغ مقدار الماء الذي ينصب من البحر الازرق حينئذٍ عشرة اضعاف ما ينصبُّ من البحر الابيض ويفعل البحر الازرق بالبحر الابيض ما يفعلهُ نهر السبت بهِ ايضاً كما تقدم ولكن على قدر اعظم جداً . اي انهُ اذا بلغ فيضان البحر الازرق حدّاً معلوماً عند الخرطوم أوقف ماء البحر الابيض عن الجري فيأخذ ماء البحر الابيض يعلو ويتعاظم حتى يفيض عن جانبيهِ على مسافة مئات من الاميال جنوبي المقرن ويبقى الماء مخزوناً على تلك الحال حتى يقلَّ فيضان البحر الازرق عن الحدّ المشار اليهِ وذلك يكون في سبتمبر غالباً فيأخذ ماء البحر الابيض يجري شمالاً . وكلما قلَّ الماء في البحر الازرق حلَّ ماء البحر الابيض محلهُ وبقي يجري شمالاً

ولما احتضر عمر بن الخطاب قال لولدهِ عبدالله " ضع خدّي على الأرض علّ ربي ان يتعطّف عليّ ويرحمني " ثم لفظ أنفاسهُ بعد قليل سنة ٢٤ ﻫ (٦٤٤ م)

ولما عاين عثمان بن عفان القتل وايقن بهِ كتب الى عليّ بن ابي طالب " اما بعد يا أبا الحسن فقد بلغ السيل الزُّبى[(١)] وجاوز الحزام الطبيين[(٢)] فاذا أتاك كتابي فأقبل اليّ عليّ كنت ام لي ثم تمثل ببيت العدوي وهو :

فان كنتُ مأكولاً فكن خيرآ كلٍ وإلاَّ فادركني ولمَّا أُمزَّقِ

توفي سنة ٣٥ ﻫ ٦٥٥ م

ولما احتضر سلمان الفارسيّ تحسّر عند موتهِ فقيل لهُ علامَ تأسفك يا أبا عبد الله قال ليس تأسفي على الدنيا ولكنّ رسول الله عهد الينا وقال ليكن بُلغة أحدكم كزاد الراكب وأخاف أن نكون جاوزنا أمرَهُ وحولي هذه الاشياء وأشار الى ما يليهِ واذا هو سيف ودست وجفنة ثم اسلم الروح سنة ٣٦ ﻫ (٦٥٦ م)

وروي ان الامام علي بن ابي طالب بعد ما ضربهُ ابن ملجم شهق شهقةً بعد ان أغمي عليهِ ثم افاق ودعا ولديهِ الحسن والحسين وقال : " أُوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيءٍ فاتكما منها فانكما عنها راحلان . افعلا الخير وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم عونًا " — ثم دعا محمدًا ولدهُ وقال لهُ : " اما سمعتَ ما اوصيتُ بهِ اخويك " — قال : بلى — قال " فاني أُوصيك بهِ وعليك ببرّ[(٣)] اخويك وتوفيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرًا دونهما " — ثم اقبل عليهما وقال : " أُوصيكما بهِ خيرًا فانهُ اخوكما وابن ابيكما وانتما تعلمان انّ اباهُ كان يحبهُ فاحباهُ " — ثم قال : " يا بنيّ أُوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد[(٤)] في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدوّ والعمل في النشاط والكسل والرضى عن الله في الشدَّة والرخاء

يا بنيّ ما شرٌّ بعدهُ الجنة بشرّ ولا خيرٌ بعدهُ النار بخير . وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاءٍ دون النار عافية . يا بنيّ من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ . ومن رضي بما قسم الله لهُ لم يحزن على ما فاتهُ . ومن سلّ سيف البغي قتل بهِ ومن حفر لاخيهِ بئرًا أُوقع فيها ومن هتك حجاب اخيهِ هتكت عورات بنيهِ . ومَن نسي خطيئتهُ استعظم خطيئة غيرهِ ومَن

---

(١) جمع الزبية وهي الرابية لا يعلوها ماء و يروى الربي (٢) مثنى الطبي وهي حلمات الضرع والعبارتان مثلٌ بمعنى اشتداد الامر وتفاقمهِ (٣) بمعنى اكرام من برّ والديهِ اذا اكرمها وضدّهُ عقها

(٤) بمعنى الاقتصاد والتوفير ولا تخفى بلاغة هذه الفقرات فانها من جوامع الكلم

يستخدم ذلك الوادي لهذا الغرض في المستقبل ولكن يستصوب الآن نظرًا الى موقعهِ ان يترك حتى تضطر الحال الى استحياء البحيرات التي تتاخم الدلتا شمالاً وزرعها في مستقبل الزمان والمرجح ان تبنى خزانات تسع الاربعة آلاف مليون المشار اليها في وادي النيل بين الشلال الثاني والسادس . ولا يمكن الجزم بهذا الامر قبلما يتمّ مسح الشلالات · على انهُ لو امكن بناء تلك الخزانات ما امكن ان تملأ ماء ما لم يزد الماء الذي يجري في النيل شتاء من الجنوب زيادة عظيمة . والمسأولون عن الريّ في مصر يعلمون علم اليقين انهُ اذا أُعلي الخزان كما هو في النية أمكن ان يخزن فيهِ الف مليون آخر فقط من الماء في الاحوال الحاضرة وفي سنة فيضانها قليل . واذا تمّ ذلك لحق بالملاحة بين مصر واصوان ضرر عظيم مدة الشتاء . فلا غنى اذًا لوجود الماء المطلوب عن اكتشاف طريقة لزيادة الماء في اعالي النيل مدة الشتاء والربيع واوائل الصيف

ستأتي البقية

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ولما حضرت النبي الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاهُ قولي اذا متُّ " إنَّا لله وإنَّا اليهِ راجعون فان لكل انسان مصيبةً معوَّضة " — قالت ومنك يا رسول الله · قال " ومني " ويروى انهُ لما تراكدت[1] عليهِ كُرَب الموت وفاطمة بين يديهِ رفع رأسهُ وقال " واكرباهُ " فبكت فاطمة وقالت — واكرباهُ لكربكِ يا أَبتاهُ — قال : " لا كرب على ابيكِ بعد اليوم " وتوفي سنة ١١ هـ (٦٣٢ م)

وروي أن أَبا بكر حين حضرتهُ الوفاة كتب عهدهُ وبعث بهِ مع عثمان بن عفان ورجل من الأَنصار ليقرأَهُ على الناس · فلما اجتمع الناس قاما فقالا : هذا عهد ابي بكر فان تقرُّوا بهِ نقرأهُ وان تنكروهُ نرجعهُ فقال : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد ابي بكر بن ابي قحافة عند آخر عهدهِ بالدنيا خارجًا منها واوَّل عهدهِ بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤْمن الكافر ويتقي الفاجر ويصدق الكاذب اني امرتُ عليكم عمر بن الخطَّاب فان عدل واتَّقى فذاك ظني بهِ ورجائي فيهِ وان بدَّل وغيَّر فالخيرَ اردتُ ولا يعلم الغيب الَّا الله اه " توفي سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م)

---

(١) لعلها بمعنى تتابعت او سكنت

انهُ الموت ولو كان غيرهُ لوقيناك بانفسنا " — فقال : اسندوني فاسندوهُ — ثم قال : " اللهمَّ انك امرتني فلم آتمر وزجرتني فلم ازدجر اللهمَّ لاقويَّ فانتصر ولا بريَّ فاعتذر ولا مستكبر بل مستغفر استغفرك واتوب اليك لا اله الَّا انت سبحانك اني كنتُ من الظالمين" فلم يزل يكرّرها حتى مات

ولما احتضر ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الأزدي الحافظ الكبير بكى فسئل عن ذلك فقال " ابكي على بعد سفري وقلة زادي واني اصبحتُ على مهبط جنةٍ او نار لا ادري ايهما يأخذ بي " ثم قضى نحبهُ سنة ٥٩ ه ٦٧٨ م

ولما حانت وفاة سعيد بن العاص القرشيّ الصحابيّ قال لبنيهِ : " ايكم يقبل وصيتي — قال الاكبر أنا — قال انَّ فيها وفاءَ ديني — قال وما هو . قال : ثمانون الف دينار . قال وفيمَ اخذتها . قال " في كريم سددتُ خلَّتهُ[1] وفي رجل جاءَني ودمهُ يتروَّى[2] في وجههِ من الحياء فبدأتهُ بحاجتهِ قبل سؤالهِ " ثم استأثرت بهِ رحمة ربهِ سنة ٥٩ ه ٦٧٨ م

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل لهُ في مرضهِ ان المريض يستريح الى الأنين والى شرح ما بهِ الى الطبيب فقال : " اما الأنين فهو جزع[3] وعار . والله لا يسمع مني انيناً فأكون عندهُ جزوعاً . واما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء الله امسكها وان شاء قبضها " وعُوجل الى رحمة ربهِ

ولما أُصيب الربيع بن خيثم الزاهد بالفالج قيل لهُ : لِمَ لا تتداوى فقال : قد علمت ان في الدواء شفاء ولكن عن قريب لا يبقى المداوي ولا المداوَى ثم توفي سنة ٦٧ ه ٦٨٦ م

وقال الطرمَّاح بن حكيم يرثي نفسهُ (توفي سنة ٦٨ ه ٦٨٧ م)

فيا ربِّ لا تجعل وفاتيَ إنْ أتت على شرجعٍ[4] يُعلى بدكنٍ[5] المطارفِ[6]
ولكن أُجِزْ يومي شهيدًا وعصبةً يصابون في فجٍّ من الارض خائفِ
اذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الاذى وصاروا الى موعود ما في الصحائفِ
فأُقتَل قصعاً[7] ثم يُرمى باعظمي مفرّقةً اوصالها في التنائفِ[8]
ويصبح لحمي بين طيرٍ مُعيلةٍ[9] دوين السماء في نسورٍ عواجفِ[10]

(١) فقرهُ وحاجتهُ (٢) لعلها يتراءى (٣) الجزع ضدّ الصبر (٤) نعش (٥) جمع ادكن وهو المائل الى السواد (٦) الاثواب المعلمة و يريد الاكفان والاغشية السود (٧) من قصع الجرح بالدم شرق بهِ وامتلأ اي قتلاً ولعلهُ يريد القتل السريع (٨) الفلوات جمع تنوفة (٩) مكتفية بهِ او حريصة عليهِ ومفتقرة اليهِ او ذات فراخ كثيرة (١٠) مهزولة

أُعجب برأيهِ ضلّ. ومَن استغنى بعقلهِ زلّ. ومن تكبر على الناس ذلّ. ومن خالط الانذال احتُقر. ومن دخل مداخل السوء اتُّهم. ومن جالس العلماء وقر. ومن مزح استُخفّ بهِ. ومن أكثر من شيء عُرف بهِ. ومن كثر كلامهُ كثر خطؤهُ. ومن كثر خطؤهُ قلّ حياؤهُ. ومن قلّ حياؤهُ قلّ ورعهُ. ومن قلّ ورعهُ مات قلبهُ. ومن مات قلبهُ دخل النار

يا بنيّ الادب ميزان الرجل. وحسن الخُلق خير قرين. يا بنيّ العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت إلاَّ ذكر الله تعالى وواحدٌ في ترك مجالسة السفهاء. يا بني زينة الفقر الصبر. وزينة الغنى الشكر. يا بنيّ لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى. ولا شفيع انجح من التوبة. ولا لباس اجمل من العافية. يا بنيّ الحرص مفتاح التعب ومطيّة النَّصَب[١] توفي سنة ٤٠ هـ ٦٦٠ م

ودنا اجل الحسن بن علي وهو يكثر الاسترجاع[٢] فقال لهُ ابنهُ " امثلك يسترجع على الدنيا " — قال: " يا بني ما استرجع الاَّ على نفسي التي لم أُصبْ بمثلها قط " توفي سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لهُ ابنهُ: " يا ابتاهُ انك كنتَ تقول لنا " ليتني كنتُ القى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت بهِ حتى يصف لي ما يجد " وانت ذلك الرجل فصف لي الموت فقال: " يا بنيّ واللهِ كأنّ السماء قد أُطبقت على الارض وكأنّ جنبيّ في تخت وكأني اتنفّس من سمّ[٣] إبرة وكأنّ غصن الشوك يجذَب من قدمي الى هامتي " ثم انشأ يقول:

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي   في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ويروى انهُ دعا بغلّ وقيد وقال أَلبسوني اياها فاني سمعت رسول الله يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر[٤] ابن آدم بنفسهِ ثم استقبل القبلة وقال: " اللهم انك امرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ[٥] بك فان تعفُ فانت اهل العفو وان تعاقب فيما قدّمت يداي لا إله الاَّ انت سبحانك اني كنت من الظالمين " ثم مات وهو مغلول مقيد. فبلغ ذلك الحسن ابن علي بن ابي طالب فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعهُ

ويروى انهُ جمع بنيهِ فقال " يا بنيّ ما تغنون عني من امر الله شيئاً " — قالوا: " يا أَبتي

(١) بمعنى التعب (٢) استرجع قال انا لله وانا اليهِ راجعون (٣) ثقب (٤) يغرغر يجود بنفسهِ عند الموت (٥) الملتجئ

متُّ فخذ حلّتي هذه التي في عيبتي[1] فاعزلها جانباً ثم كلَّ شيءٍ سواها لك وارحل الى رهط بني الأَحبّ من عذرة وهم رهط بثينة فاذا صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعلُ على شرف[2] وصح بهذه الابيات وخلاك ذمٌّ[3]

صدع[4] النعيُّ وما كنى بجميلِ وثوى[5] بمصر ثواءَ غير قفولِ[6]

ولقد اجرُّ الذيل في وادي القرى[7] نشوان[8] بين مزارعٍ ونخيلِ

قومي بثينةُ فاندبي بعويلِ وابكِ خليلكِ دون كلّ خليلِ

وتوفي سنة ٨٢ ه‍ ٧٠١ م وفعل صديقهُ حسب وصيتهِ

ولما احسَّ المهلَّب بن ابي صفرة الأزديّ البصريّ بساعة رحيلهِ عن الدنيا دعا بسهام فحزمت . ثم قال لبنيهِ : اترونكم كاسريها مجتمعة . قالوا : لا . قال : أَفترونكم كاسريها مفرّقةً . قالوا : نعم . قال : " هكذا الجماعة " وتوفي سنة ٨٣ ه‍ ٧٠٢ م

ولما شعر عبد الملك بن مروان بالموت قال لابنهِ الوليد : " اذا انا متُّ اياك ان تجلس وتعصر عينيك[9] كالمرأَة الوكعاء[10] . لكن ائتزر وشمّر والبس جلد النمر[11] وضعني في حفرتي وخلّني وشأني وعليك شأنك وادعُ الناس الى بيعتك . فمن قال برأسهِ هكذا[12] فقل لهُ بسيفك هكذا[13] " — ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية . فقال : " هل عندكما ندامة في بيعة الوليد " — فقالوا : " لا نعرف احداً احقّ منهُ بالخلافة . فقال " اما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيهِ اعينكما[14] " ثم رفع كنار[15] فراشهِ فاذا تحتهُ سيف مسلول تحت يمينهِ — كل هذا وروحهُ تتردَّد في حنجرتهِ وهو يقول : " الحمد لله الذي لا يبالي اصغيراً اخذ ام كبيراً . لا اله الاَّ الله محمد رسول الله . ثم بعد ساعة نفدت روحهُ سنة ٨٧ ه‍ ٧٠٥ م

وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلَّم بها عند الموت وهي " اللهمَّ ان ذنوبي وان كثرت وجلَّت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعفُ عني " اه

ويروى ايضاً انهُ في احتضارهِ في قصرهِ الذي كان يُشرف على بردى نظر فرأى غسّالاً

(١) وعاء الثياب (٢) محلّ مرتفع (٣) دعاء بمعنى لا اتيت ما يستحق الذم (٤) كشف و بين (٥) حلّ ونزل (٦) راجع (٧) اسم محلّ (٨) سكران وهائم (٩) كناية عن البكاء (١٠) الحمقاء الوجعاء (١١) كناية عن التصبر والجلد (١٢) اي اشار برأسهِ اشارة النفي (١٣) كناية عن تجريد السيف والضرب بهِ (١٤) كناية عن الرأس (١٥) حاشية الثوب فارسيّ يريد بهِ الغطاء

ولما احتضر معاوية بن ابي سفيان قال —

أَلا ليتني لم أُعنَ(١) في الملك ساعةً ولم أَكُ في اللذات أَعشى النواظرِ
وكنتُ كذي طِمْرَين(٢) عاش ببُلغةٍ(٣) لياليَ حتى زار ضنك المقابرِ

ويُروى انهُ قال —

ان تعذِّبْ يكن عذابك يا ربِّ غرامًا لا طاقة بالعذابِ
او تجاوز فانت ربٌّ عفوٌّ عن مسيءٍ ذنوبهُ كالترابِ

وقيل وفد الناس يعدودنهُ فقال لاهلهِ " مهّدوا لي فراشًا واسندوني واوسعوا رأْسي دهانًا ثم اكحلوا عينيّ بالاثمد(٤) ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلّموا علي قيامًا ولا تجلسوا عندي احدًا " ففعلوا ذلك . ولما دنا منهُ الموت تمثل بهذا البيت :

هو الموت لا منجي من الموت والذي نحاذر بعد الموت ادهى وافظعُ

ثم رفع يديهِ وقال : " اللهمّ اقل(٥) العثرة واعفُ عن الزلة وعد بحكمك على من لم يرجُ غيرك ولا يثق الاّ بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئةٍ منك مهرب " ثم اسلم الروح . توفي سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م

ولما دنت ساعة معاوية بن يزيد قيل لهُ " لو عهدت الى رجل من اهل بيتك واستخلفت خليفةً " قال " لم انتفع بها حيًّا فلا افلدها ميتًا لا يذهب بنو امية بحلاوتها واتجرّع(٦) مرارتها ولكن اذا متُّ فليصلِّ عليَّ الوليد بن عقبة . وليصلِّ بالناس الضحّاك بن قيس حتى يختار الناس لانفسهم " وتوفي سنة ٦٤ هـ ٦٨٣ م

ودخل ابو سهل الساعديّ على جميل بُثَينَة وبوجههِ آثار الموت فقال لهُ " يا ابا سهل ان رجلاً يلقى الله ولم يسفك دمًا ولم يشرب خمرًا ولم يأْتِ فاحشة أَفترجو لهُ الجنة " — قال الساعدي " اي والله فمن هو " — قال جميل " اني لأَرجو ان اكون ذلك " — فذكر الساعدي لهُ بُثَينة . فقال جميل : " اني لفي آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد ان كنتُ حدّثتُ نفسي بريبةٍ قطُّ "

ولما شعر جميل بقرب الساعة دعا صديقًا لهُ وعاهدهُ على ان يتم وصاتهُ وهي : " اذا انا

---

(١) اتعب واشقى (٢) الثوب البالي (٣) الكفاف من العيش او ما يسدّ به الرمق (٤) الكحل
(٥) اقال عثرتهُ انهضهُ من سقطتهِ (٦) اشرب واُسقى

الشيخ محمد عبده

اشتغالهُ في مجلس الشورى

وقال سعادة حسن باشا عبد الرازق واصفًا اشتغال الفقيد في مجلس الشورى

ما كان فقيدنا رحمة الله عليهِ من الرجال الذين ينبغون في كل جيل او ينشأون من كل قبيل ولكن من النوابغ الذين يأتي بهم الدهر آحادًا وتحلى بهم العصور في احقاب متفرقة فينشأون وقد عدَّهم الله لجلائل الاعمال وعظائم الامور ومنحهم فطرةً تعلو على سائر الفطر وميزهم بسداد الرأي ورجاحة العقل وبعد المرمى وسعة الصدر وقوة القلب فاذا نبت امثالُ هؤلاء في ارض صالحة ووجدوا في امم مستعدة للرقي طامحةٍ الى ادراك المعالي عرفت اقدارهم ووزنت اعمالهم واهتدت بهديهم فساروا بها في سبل السعادة ورفعوا مقامها على هام السماك لا سيما اذا طال بهم الاجل واتسعت لهم مدة العمر وكان نصيب بلادهم واهلها منهم خير نصيب . هؤلاء الرجال العاملون لخير اممهم يجدون من قومهم في البلاد الحية ما يزيدهم اقدامًا وثباتًا ويملأ صدورهم ثقة ورجاء فيعيشون ما يعيشون مؤيدةً كلمتهم مكرمةً رتبتهم محفوظًا لهم الجميل وبذلك يشتد ساعدهم وتنمو ملكة الاصلاح فيهم وكلما زادهم قومهم قبولاً واقبالاً زادوا رغبةً في العمل ولا تجد انشط للعامل من ان يرى لعملهِ عند امتهِ قبولاً

اما اذا قضى الله لأُولئك النابغين ان يكونوا بين أُمم فسدت اخلاقها وتمزقت روابطها وبعد ما بينها وبين الحياة القومية وتمكنت منها الغفلة وساد فيها الجهل فانهم يجدون من قومهم حربًا عوانًا كلما ارادوا بهم اصلاحًا لانهم يريدون ان يزحزحوا الناس عن ملكات فاسدةٍ رسخت في نفوسهم واطمأَنت لها قلوبهم ويعملون لتحويل وجوههم الى الرشاد بعد ان انصرفت الى الغي وأَنست بهِ وما اصعب نقل الطباع في الامم من الفساد الى الصلاح وما اشد مدافعة الجاهلين عن اهوائهم وشهواتهم ولكن قد يوجد في تلك الامم الميتة بعض افراد يوفقهم الله لتمييز الصواب من الخطاء ومعرفة النافع من الضار فيقبلون على اولئك المصلحين بوجوههم ويصغون لندائهم فان مد الله لهم في حبل الحياة اثمر غراسهم وتركوا من يخلفهم في اعمالهم اما اذا اسرع اليهم الحمام كان نجاح عملهم بطيئًا

ولا يخفى عليكم ايها السادة حال امتنا المصرية وما لاقى الاستاذ الفقيد رحمهُ الله منها ابتداء من مناصبتها لهُ ووضعها العقبات في سبيلهِ

يغسل الثياب فقال ليتني كنت مثل هذا الغسَّال اكتسب ما اعيش بهِ يومًا بيومٍ ولم أَلِ[1] الخلافة وتمثل بقول امية

ليتني كنتُ قبل ما قد بدالي   في رؤُوس الجبال ارعى الوعولا

ولما بلغ قولهُ ابا حازم قال "الحمد لله الذي جعلهم في وقت الموت يتمنون ما نحن فيهِ ولم يجعلنا في احتضارنا نتمنى ما هم فيهِ"

ويروى ان ابن القرّية خطيب العرب المشهور لما دعا الحجاج بن يوسف الثقفي بالسيَّاف لقطع رأسهِ استوقفهُ وقال "كلمات اصلح الله الامير كأنهنَّ ركب وقوف يكنَّ مثلاً بعدي" قال هات: قال "لكل جواد[2] كبوة[3] ولكل صارم[4] نبوة[5] ولكل حكيم هفوة[6]" قال الحجاج ليس هذا وقت المزاح ياغلام اوجب جرحهُ فضرب عنقهُ سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

ولما اشرف الاخطل الشاعر المشهور على الموت قيل لهُ: يا ابا مالك ألا توصي. قال بلى. ثم انشد يوصي الفرزدق وكان صديقهُ

أُوصّي الفرزدق عند المماتِ   بأُمّ جريرٍ وأَغيارها[7]

وزار القبور ابو مالكٍ   برغم العداة واوتارها[8]

وتوفي سنة ٩٠ هـ ٧٠٨ م

ولما احتضر ابرهيم النخعيّ الكوفي جزع جزعًا شديدًا فقيل لهُ في ذلك فقال "واي خطر اعظم مما انا فيهِ انما اتوقع[9] رسولاً يرد عليَّ من ربي اما بالجنة واما بالنار والله لوددت انها تلجلج[10] في حلقي الى يوم القيامة" وتوفي سنة ٩٦ هـ ٧١٤ م

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي عند موتهِ: "اللهمَّ اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي" وتوفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) وكان عمر بن عبد العزيز تعجبهُ هذه الكلمة منهُ ويغبطهُ عليها ولما حكى ذلك للحسن البصري قال اوَ قالها فقيل نعم فقال عسى

وانشد ابن سريج المغني المشهور لما حضرتهُ الوفاة في خلافة سليمان بن عبد الملك

كأني من تذكُّر ما أُلاقي   اذا ما اظلم الليلُ البهيم[11]

سقيمٌ ملَّ منهُ اقربوهُ   واسلمهُ المداوي والحميم[12]

ستأتي البقية

(١) املك واتولَّ (٢) حصان كريم (٣) عثرة وسقطة (٤) سيف قاطع (٥) نبا السيف عن الضريبة كلَّ عنها وارتدَّ ولم يقطع (٦) سقطة وغلطة (٧) بمعنى ضرَّاتها (٨) جمع وتر وهو بمعنى الثار (٩) انتظر (١٠) اي تتلجلج اي تتردَّد (١١) المظلم (١٢) الصديق

وكان رحمهُ الله واسع الاطلاع نير البصيرة في كل ضرب من ضروب الاصلاح فاذا عرضت المشروعات القانونية كان بها خبيرًا بصيرًا واذا قدمت اللوائح الادارية لم يكن اقلَّ من اهلها علمًا بدقائقها واسرارها واحاطةً بمنافعها ومضارها واذا جاءت المسائل المالية رأيتهُ ماهرًا باساليب الحساب عارفًا بفنون الاقتصاد فكنا نجد منهُ في سائر الابواب علمًا جمًّا ومعرفة وفهمًا ورأيًا صائبًا وذهنًا ثاقبًا ولم يزل هكذا يعمل وهكذا يجاهد حتى عجزت قواهُ عن العمل وحال بينهُ وبين مرادهِ الاجل. قضى هذا الفقيد الكريم مدتهُ بيننا وهو كالقطر حيثما وقع نفع وانا لنعلم ان البلاد ثكلت بموتهِ رجلاً لا تعوضهُ الرجال وانثلم بفقدهِ بناء الاسلام ثلمة جانبها ليس بمسدود

اخلاقهُ وفضائلهُ

وقال حضرة القاضي الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة الاستئناف

اذا أُصيبت امة من الامم الغربية بفقد رجل من رجال العلم او الادب او السياسة كانت تعتمد عليهِ في اصلاح شأن من شؤونها قال قومهُ "ليس في الوجود انسان لا يعوَّض" ووجدوا في الحال بين اهل طائفتهِ او صناعتهِ من يسدُّ الفراغ الذي تركهُ ويأخذ مكانهُ

اما الحال عندنا فليس كذلك. مهما قلبنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يعوض علينا ما خسرناهُ بفقد استاذنا الشيخ محمد عبده لا اقول ذلك محاباة لصديق كانت محبتهُ من اسباب الشرف والسعادة لي ولا موافقة للعادة المتبعة في رثاء المتوفين حيث يحسن غض النظر عن عيوبهم ومنحهم صفات وفضائل لم يعترف لهم احد بشيء منها مدة وجودهم بين الاحياء

وانما هذا هو الحق الذي يجب اعلانهُ اعترافًا بالفضل لمصري وصل الى اسمى مقام يمكن ان ينالهُ انسان في هذه الحياة. مقام لم يستمد وجودهُ من منصب عالٍ في الحكومة ولا من رتبة رفيعة ولا من ثروة طائلة ولا من نسبة الى بيت قديم ولا من شيء آخر من القاب الشرف المعروفة التي اخترعت لتحلَّ محل شرف النفس. مقام اهتدى اليهِ بشعورهِ واكتسبهُ بجدهِ وعملهِ وحافظ عليهِ بقوة ارادتهِ وحسن سياستهِ وخدم فيهِ بعلمهِ وعقلهِ. مقام مكنهُ من ان يمسك بيدهِ زمام امة باسرها ويحركها نحو الخطة التي رسمها ويسوقها الى المستقبل الذي هيأهُ لها. مقام الامامة باوسع معناها. تركهُ الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجرأ على ان يدعي فيهِ استحقاقًا بعدهُ

(وافاض الخطيب في وصف هذه العقبات وتغلب الفقيد عليها وساق الحديث الى آثارهِ في مجلس الشورى فقال)

ولكني ارى من الواجب عليَّ ايها السادة ان اذكر لكم مجملاً من مآثرهِ الغراء واعمالهِ الجليلة في مجلس شورى القوانين لانني رافقتهُ فيهِ في اغلب اوقاتهِ وشاركتهُ في معظم اعمالهِ وعرفت من حسن نيتهِ وصدق عزيمتهِ ما لا يعرفهُ كثير من الناس

اختارت الحكومة الاستاذ رحمة الله عليهِ عضوًا في المجلس وتعين بامر عالٍ في ٢٥ يونيو سنة ١٨٩٩ واول جلسة حضرها كانت في يوم الخميس ٢٩ منهُ وكان اذ ذاك بين اهل الحلّ والعقد في الحكومة وبين رجال الشورى شيءٌ اشبهُ بالخلاف في الرأي ادَّى الى ان الحكومة نفَّذت كثيرًا من المشروعات التي كان المجلس يرى الخير للامة في عدم العمل بها وصرفت النظر ايضًا عن كل او جل التعديل في المشروعات التي كان يرى ان الصلاح والنفع للامة في تعديلها فلما جاء الاستاذ الى المجلس ونظر في الامر نظرة الحكيم البصير وعرف ان ليس هناك ما يدعو الى هذا الانفراج وانما هو سوء التفاهم باعد ما بين المشارب على تقاربها سعى رحمهُ الله في ان يزيل اسباب هذا الخلاف فكان ما اراد وعرفت الحكومة ان المجلس انما يطلب ما فيهِ السعادة للامة ويبتغي الخير لها وان ليس لهُ غرض في مصادمة آراء الحكومة ومطالبها ما دامت تتفق مع مقصدهِ وعلم المجلس ايضًا ان الحكومة لا تقصد الى شيءٍ وراء ما يقصدهُ لمصلحة البلاد وبذلك اتفقت الكلمة في الغالب ولم يعد بين الهيئة الحاكمة والهيئة النيابية من الخلاف ما يتعسر حلهُ

كان الاستاذ رحمة الله عليهِ واسطة العقد في مجلس الشورى فالتفَّت حولهُ القلوب وعرف الكل مكانتهُ من قوة الحجة وسداد الرأي وطهارة النية وكان اخوانهُ من رجال الشورى يلجأُون اليهِ اذا اشتبه الامر وخفي الصواب فينطق بالحكمة وفصل الخطاب وكان مع هذا اسرع الناس قبولاً الى الحق واوسعهم لهُ صدرًا فاذا سقت اليهِ الحق هشت لهُ نفسهُ وقرَّت بهِ عينهُ ولم يصرفهُ عنهُ تمسك بالرأي ولا تعصب لمشرب

وكثيرًا ما كنا نباحثهُ في امرٍ اختلف النظر فيهِ بيننا وبينهُ فيرجع الينا ويوافق رأيهُ رأينا ولم نرَ مثلهُ في احترام الآراء ما دام مصدرها شريفًا لم يشبهُ الغرض

ولقد كنا نختلف معهُ في رأي ويجاهر كل منا برأيهِ ويدعو اليهِ اعتقادًا منهُ انهُ الحق ولا نزال بعد ذلك اخلص الناس سرًّا واصفاهم ودًّا

المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليهِ ويراسل علماء المسلمين في جميع الاقطار التي يسكنونها ويتخابر مع رجال الحكومة لتنفيذ مقاصده . وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور اصحابهُ ويشاركهم في جميع افراحهم واحزانهم

ونتعلم منها ايضاً مبلغ ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسهُ وهذبها ورباها حتى ارسلها الى اقصى ما تصل اليهِ نفس بشرية من الجمال اوالكمال

بلغت فيهِ طيبة النفس الى درجة تكاد تكون غير محدودة . كان يجذبهُ الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع اليهِ ويسعى الى كل نفع للغير عام او خاص . كان ملجأ الفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين باي مصيبة واهل الازهر الذين هم اكثر الناس احتياجاً الى المساعدة لانهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن انفسهم في ميدان حياتنا الجديدة . يبذل اليهم مالهُ ويسعى لهم عند ولاة الامور بهمة لا تعرف الملل كأنما كان يسعى لاعز انسان لديهِ يسعى مرة ومرتين وثلاثاً الى ان يقضي حاجتهم وهم جميعهم في نظره مستحقون سواءٌ كانوا كذلك في الحقيقة ام لا . بل كان يسعى الى صاحب الحاجة وهو يعلم انهُ اساء اليهِ وقدح فيهِ وتحالف مع خصومهِ واشترك في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنهُ يوماً مدة حياتهِ

لا يصل انسان الى هذا الخلق العظيم الاَّ اذا ربى نفسهُ على ان تتغلب على الغرائز القبيحة الملازمة للطبيعة البشرية وصار حاكماً عليها يحاسبها على كل عمل او نزعة او فكرة او خاطر مما يرد عليها . كان الاستاذ يرى ان الشر لا فائدة منهُ مطلقاً وان التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما احسن ما يعالج بهِ السوء ويفيد في اصلاح فاعلهِ . كان متفقاً مع فلاسفة العصر على ان الخير لا يتولد الاَّ من الخير والشر لا ينتج الاَّ من الشر

نعم كان للامام الكبير الذي فرض على نفسهِ اصلاح امتهِ خصوم واعداءٌ كثيرون وهم جيش الجهل المركب من عامة الناس الذين لم ينالوا من التربية والعقل ما يؤهلهم لان يدركوا مقاصدهُ ويفهموا مباحثهُ فيقتصروا على التمسك بما وُجد عليهِ آباؤُهم من قبل — وعلى جوانب هذا الجيش يحرض على الطعن عليهِ الحاسدون الذين يتألمون اذا ارتفع واحد من الناس عنهم فلا يجدون راحتهم الاَّ اذا انزلوهُ من مكانهِ ووضعوهُ في مستوى واحد معهم — وفي مقدمة هذا الجيش كقواد لهُ ارباب الغايات الذين يسيرون بسفينة مصالحهم من حيث تأتي الرياح . فكان الاستاذ يقاوم ويحارب هذا الجيش الطويل العريض بقوة وعزيمة يحار

لهذا رأينا مدة مرض الامام ويوم وفاتهِ حركة في شعور الامة لم يسبق لها مثيل في تاريخ حياتها

تتذكرون يوم السفر الى الاسكندرية حيث كان المئات من اصدقائهِ ومعارفهِ وزملائهِ وتلاميذهِ يودعونهُ في المحطة وجميعهم في سكون وقلق وخوف على حياتهِ. وتتذكرون اقامتهُ في الرمل والزائرون من جميع طبقات الامة ومن جميع جهات القطر يتوافدون عليهِ افواجاً في كل ساعة من النهار وهم يترددون بين الامل واليأس يسألون عن صحتهِ ويرسلون اخبارهُ الى محبيهِ الكثيرين الذين كانت تمنعهم اشغالهم عن زيارتهِ وتعلمون الاحتفال الجليل الذي قام بهِ سكان الثغر والعاصمة بعد موتهِ

رأينا كثيرًا من العلماء والذوات والامراء مرضوا وماتوا فكانوا موضوعاً للمظاهرات الرسمية ولم نشاهد ان عدداً يذكر من الامة غير اقاربهم واصحابهم اهتم لحادث من تلك الحوادث واظهر شيئاً من شعورهِ

ذلك لان اولئك العلماء والذوات والامراء انما عاشوا لانفسهم ولكن امتنا قد شعرت في هذه الدفعة بحسن غريزتها انها فقدت رجلاً كان عائشاً لها اكثر من كونهِ كان عائشاً لنفسهِ ولعائلتهِ. هذا هو سر الشعور الجديد الذي رأيناهُ لاول مرة في الامة المصرية شعور الاتحاد في الكدر والحزن لحرمانهم من امامهم المحبوب

فكان هذا الحادث العظيم مبدأ الاتحاد والتضامن بين عدد كبير من الامة المصرية جمعهم احساس واحد. وهذه خطوة في سبيل التقدم الادبي الذي هو في نهاية الامر عبارة عن ترقي الاحساس الى درجة يميل معها الى الجميل وينفر من القبيح في جميع اشكالها ومظاهرها

سادتي ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح . والكمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس الممتازة تقرب من الكمال اكثر من غيرها فتنمو زهرة الجمال فيها نموًّا عجيباً وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها

ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس امامنا العزيز . نفس خلقت على احسن شكل زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالاً في الجمال يجب ان نضعهُ دائماً امامنا لنتعلم منهُ مقدار ما يصل الجهد في العمل عند رجل اقترب من سن الستين وكان يطالع ويتعلم ويعلم ويفتي ويجلس في جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع المشروعات للازهر وللمحاكم الشرعية ويمتحن طلبة العلم وتلامذة

ان لم تسمح القدرة لامام مصر باتمام مقاصده جميعها فلا ينكر احد ان تعاليمهُ قد أثرت في عموم الامة وفي اهل الازهر على الخصوص تأثيرًا حسنًا

ولكن ينبغي ان لا يغيب عن فكرنا ان الامم التي تستفيد من الاصلاح هي التي تستحقهُ اي تدركهُ وتفهمهُ وتحبهُ وتطالب بهِ وتكرم رجالهُ وتحترمهم وتعزهم والاَّ فكل اصلاح فيها مصيرهُ الى الزوال السريع

يجب علينا ان نضع يدنا على بناء الاصلاح الذي وضع الامام اساسهُ ونحافظ عليهِ وندافع عنهُ ونضيف اليهِ ان امكننا حتى نتركهُ الى ذريتنا كميراث نفيس تنتفع منهُ وتزيد عليهِ ثم تتركهُ الى من يأتي بعدها وهكذا ينمو الاصلاح فينا كلما مرت الايام والاجيال كما هو الحال عند الامم الحية . سادتي نحن اليوم في عصر توفرت فيهِ ظروف عديدة تساعد على ارتقاء بلادنا اذا نحن عرفنا ان نستخدمها . نحن في عصر النظام والحرية التامة التي لا تقف الاَّ عند حد القانون وارى المفسدين منا تجارتهم رابحة يتكلمون بصوت عالٍ وينشرون ما يوافق مصالحهم ويختلسون ثقة الجمهور ورضاء ولاة الامور . اراهم بالاجمال ينتفعون من الحرية التي مُنحها المصريون وارى بعكس ذلك ان الطيبين منا الصادقين الذين يريدون الخير لبلادهم لا يستعملون حريتهم ولا ينتفعون منها بشيء يتكلمون بصوت منخفض او لا يتكلمون ولا ينشرون اميالهم وآراءهم ويبتعدون عن ولاة امورهم ويترفعون عن المناقشة والجدال ولا يميلون الى الجهاد في سبيل الحق والعدل والمنفعة العامة فكان ضعف هؤُلاء وجراءة اولئك من اهم العوائق التي صادفها الامام في طريق الاصلاح

اذا دام هذا الحال كان نصيب ما شيدهُ من البناء الخراب والسقوط

اما اذا عدل محبو الاصلاح منا عن خطتهم وجاهروا بافكارهم ودافعوا عن آرائهم وتركوا ما اعتادوهُ من الافراط في الحرص على راحتهم والمسالمة الزائدة عن حد المعقول وساروا في الطريق الذي رسمهُ لهم امامهم ملهمين بروحهِ مهتدين بنورهِ مقتدين بسيرتهِ معجبين بما اظهرهُ في حياتهِ من علو النفس وشهامة الخلق وشجاعة الرأي وثبات العزيمة فلا ريب ان البناء يكمل والاصلاح يتم ويحقق ما كان استاذنا وامامنا العزيز يريدهُ وما يتمناهُ كل مصري من الشرف والمجد والسعادة لامتهِ

العقل فيهما ولكنهُ كان يدافع بقدر الضرورة ولا يتعداها ويحارب حرب الشجاع الكريم الذي لا يطعن من الخلف ولا يخدع ولا يغش . وكان فضلاً عن ذلك لا يكره خصومهُ ولا يبغض اعداءهُ وانما يناقش افكارهم ويطعن على اوهامهم ويهدم معتقداتهم الباطلة ويرجو لهم الهداية ويرشدهم الى الصواب

كان الكثير من اصحابهِ ينصحونهُ ان يجتنب اسباب العناء ويترك ادارة الازهر والدروس التي كان يلقيها فيهِ ومجلس الاوقاف ومجلس الشورى والافتاء ويعود الى مركزهِ في الاستئناف براتب اعظم مما كان يكسبهُ وعمل اخف مما كان يكابدهُ فيعيش كغيرهِ خالياً مستريحاً مطمئناً . ولكنهُ لم يسمع قول نصوح . واقول انهُ كما عرفتهُ كان من المستحيل عليهِ ان يعيش عيشة اخرى

وكان الكثير من الناس يعترضون عليهِ قائلين: ما هذا الشيخ الذي يتكلم باللغة الفرنساوية ويسيح في بلاد الافرنج ويترجم مؤلفاتهم وينقل عن فلاسفتهم ويباحث علماءهم ويفتي بما لم يقل بهِ احد من المتقدمين ويشترك في الجمعيات الخيرية ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ان كان من اهل الدين فليقضِ حياتهُ بين الجامع والبيت وان كان من رجال الدنيا فانا نراهُ يعمل فيها وحدهُ اكثر من جميع الناس . كان الاستاذ يسمع ذلك ولا يلتفت الى اقوال المنتقدين حسنت نيتهم او ساءت

كان محركاً بقوة غير عادية ملآناً بالفكر الى حد انهُ ما كان يسعهُ كلهُ فكان يفيض منهُ بالرغم عنهُ . وكان قلبهُ ملتهباً بحب وطنهِ فلا يستريح الاَّ وهو مشغول بهِ وبسعادتهِ ومستقبلهِ وكان مثل جميع النوابغ لا يبالي بالالم الذي يأتيهِ بسبب امنيتهِ التي كان يعزها بل كان يجد الالم فيها لذيذاً كما يلتذ العاشق بما يقاسيهِ من العذاب في هوى من يحبهُ

كم من مرة سمعتهُ يؤكد بانهُ صمم على ان لا يتداخل في شيء من هذا القبيل ثم رأيتهُ في الغد منغمساً فيهِ اكثر مما كان بالامس

ذلك لانهُ كان بعكس ما يراهُ عموم المصريين في نفسهم عندهُ امل لا يزعزعهُ شيءٌ في اصلاح امتهِ . واعتقاد متين ان البذرة الطيبة متى القيت في ارض بلادنا الخصبة نبتت وازهرت واثمرت كما نبتت وازهرت واثمرت بذور الفساد فيها

لهذا كان يلقي بملء يديهِ كل ما جمعهُ في حياتهِ من الافكار الصالحة والعواطف الشريفة والتعاليم المفيدة — كأنهُ كان يشعر ان حياتهُ ليست طويلة وكان يعجل ببذل جميع ما كان عندهُ

وهل كان مخطئاً في آمالهِ ؟ كلاَّ . وانما يخطئ من يقنط وييأس من مستقبل امتهِ

وكان لورد بامرستون في الوزارة فامر الكولونل هدجس بما تعريبهُ

اذا قابلت محمد علي وذكرلك حقوقهُ فقل لسموهِ ان حكومتكَ امرتكَ ان تقول لهُ " ان ليس لهُ حقٌ من الحقوق الاَّ ما منحهُ اياهُ السلطان وان السلطة الشرعية الوحيدة التي لهُ هي السلطة التي خوَّلهُ اياها السلطان على جانب من سلطنتهِ وقد ائتمنهُ عليها لكي يستخدمها في طاعتهِ والعمل باوامرهِ . وان للسلطان حقًّا بان ينزع منهُ ما وهبهُ اياهُ والمرجح انهُ يفعل ذلك اذا رأى ان سلامتهُ تقتضيهِ . وانهُ اذا اراد السلطان ذلك ولم يكن عندهُ الوسائل الكافية للدفاع فلهُ حلفاء يساعدونهُ . وبيّنْ لمحمد علي ان الحامية التي تستأمن قبل ان تؤخذ حصونها تنال من التساهل في شروط التسليم اكثر مما تنالهُ الحامية التي لا تستأمن الاَّ بعد ان تخسر كل شيء "

الاَّ ان هذا الكلام الصريح لم يصرف محمد علي عن عزمهِ لان الحكومة الفرنسويَّة كانت تشد ازرهُ فان المسيو تيبرس (وكانت مهام الامور في يدهِ حينئذٍ) حسب ان مصالح انكلترا ومصالح فرنسا متضاربة في مصر فاذا ضعفت مصالح انكلترا قويت مصالح فرنسا . فأغري محمد علي بذلك وسدَّ اذنيهِ عن نصح انكلترا ووعيدها

واتفقت انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا مع الباب العالي على ان تكون ولاية مصر لمحمد علي ونسلهِ من بعدهِ وتكون لهُ ايضاً الولاية على عكاء وجنوبي سورية مدى عمرهِ على شرط ان يقبل بذلك ويخرج من بقية سورية في مدة عشرة ايام . فقبل محمد علي ولاية مصر ولكنهُ ابى ان يخرج جنودهُ من سورية حاسبًا انهُ خدم الدولة خدمًا عديدة تؤهلهُ لامتلاك سورية كلها وانتظر ان تؤيدهُ فرنسا في ذلك . ولما مضت العشرة الايام ولم يجب الدول الى ما طلبت منهُ خرج معتمدوها من الاسكندرية واعلن الباب العالي انهُ عزل محمد علي عن ولاية مصر واستعدَّت الدول لاخراجهِ من سورية بالقوة . وثار اهالي لبنان عليهِ وهاك تفصيل ذلك منقولاً عما كتبهُ الدكتور ميخائيل مشاقه في تاريخهِ قال

"شاع سنة ١٢٥٦ هـ اتفاق الانكليز والنمسويين مع الدولة العثمانية على محمد علي وحضرت مراكبهم الى بيروت مع المراكب العثمانية وحضرت ايضاً مراكب فرنسوية وهي غير متحدة معهم وكان الظاهر لمصر ان فرنسا تدافع عنها ولذلك توقف المصريون عن قبول ما عُرِض عليهم وهو ان تكون مصر لذرية محمد علي باشا يتوارثونها الارشد فالارشد مع الاستقلال بسياستها الداخلية ويُدفَع عنها للدولة العلية ستون الف كيس كل سنة ويكون عدد عساكرهِ ومراكبهِ الحربية معينًا لا يزيد عنهُ وان بر الشام يبقى في يدهِ مدة حياتهِ فقط وما عداها مما في يدهِ

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

(تابع ما قبلهُ)

ان فوز ابرهيم باشا على الجنود العثمانية لم يرضِ انكلترا لا لأَنها كانت تكره محمد علي وترغب في مناوأَتهِ بل لأَنها تحسب ان سلامة الدولة العلية لازمة لها لكي تبقى سدًّا منيعاً في سبيل الروس ولانها خشيت ان تدور الدائرة على ابرهيم باشا ولو مرةً واحدة فينحدر انحداراً يضعف مركز ابيهِ في مصر فتعزلهُ الدولة منها وتعود الفوضى الى القطر المصري وهذا لا يرضيها لانها استفادت اكثر من كل الدول الاوربية باستتباب الأَمن في الديار المصرية وتسهيل سبُل المواصلات فيها وقد اعربت عن ذلك بكلام قالهُ سفيرها في فينا للكولونل هوجس الذي جُعِل حينئذٍ وكيلاً سياسيًّا لبريطانيا في مصر وهو "قل لمحمد علي ان انكلترا لا تنوي لهُ العداء وان النظام والامن اللذين نشرهما في القطر المصري اثمن في عينيها مما هما في عيون سائر الدول لانهما سهَّلا عليها المواصلات الى الهند وان نجاح التجارة في القطر المصري نافع لنا ولذلك يهمنا و يفيدنا جدًّا ان يبقى متمتعاً بحسن الادارة التي اوجدها محمد علي فيهِ ففي افريقية نحن اصدقاء لمحمد علي ولسياستهِ ونودُّ بقاءها واذا لم نكن كذلك في اسيا فليس لاننا نكرههُ بل لان وجودهُ في اسيا يضعف سلطنة آل عثمان ويحلها وهو لا يستطيع ان ينشئَ سلطنة تقوم مقامها ونحن عازمون ان نبذل كل مرتخص وغالٍ في سبيل الاحتفاظ بتلك السلطنة

" فان كان غرض محمد علي ان يمهّد الملك لاولادهِ من بعدهِ فذلك انما يكون في افريقية هناك تساعدهُ اوربا وتصالحهُ مع الباب العالي ولهُ ان يقوي البناء الذي انشأَهُ فيها ويعززهُ بما شاء حتى يتركهُ لاولادهِ مشيد البنيان معزز الاركان . والامر على ضد ذلك في اسيا لانهُ اذا قام فيها بقي العداء بينهُ وبين الباب العالي فإما ان يَقهَر او يقهر ولكن هاتين النتيجتين غير متوازنتين فاذا قُهر في معركة واحدة اضطرَّ ان ينكص على عقبهِ الى افريقية واذا فاز فغاية ما ينالهُ ان الطريق تفتح لهُ ليزحف على الاستانة وهي امنع من ان ينالها فلا يستتبُّ لهُ الفوز التام وغاية ما يكسبهُ في اسيا انْ يحتلَّ بعض الولايات احتلالاً وقتيًّا وغاية ما يخسرهُ تُعلَم مما اصاب كلَّ فاتح اذا دُحر في بلاد غير بلادهِ "

ونقل الكولونل هوجس هذا الكلام الى محمد علي فلم يتزحزح عن عزمهِ بل قال لقد استوليتُ على هذه الولايات ولا اتخلَّى عنها ما دمت حيًّا

حالاً ويخبر بحري بك عن لساني بكل ما سمعهُ . ففعل وفي الصباح اتاني رسول يطلبني لمقابلة بحري بك فتوجهت اليهِ فقال حضر فلان واخبرني ما هو كيت وكيت فاريد ان اتحققهُ منك لئلا يكون قد وقع فيهِ زيادة او نقصان . فقصصت عليهِ واقعة الحال فقال اريد منك ان تستعلم منهُ هل هو على ثقة ان الانكليز والنمسويين يحاربون مع الدولة وتردّ عليّ الجواب باسرع ما يمكن . فقلت لهُ ان القنصل المشار اليهِ لا يسهر عندي دائمًا واذا ذهبت اليهِ بهذا السؤال فقد يفتكر افكارًا تمنعهُ عن الاخبار بالحقيقة فارجو منك ان تمهلني حتى ارى الطريق الاصلح لذلك

وفي المساء جاءني القنصل وكان حضورهُ اليّ في ليلتين متواليتين نادرًا فقلت لهُ بعد حديث طويل انني لا ازال افتكر بقولك ان عكاء تؤخذ في ست ساعات ثم هل انت واثق ان المراكب اتت بيروت لصيانة اموال الاجانب فقط او هي مأمورة بالضرب مع المراكب العثمانية كما قلت البارحة . فقال ان المراكب الانكليزية والنمسوية ما حضرت الاَّ للضرب واما الفرنسويون فيبقون على الحياد

وفي الصباح ذهبت الى بحري بك واخبرتهُ بما سمعتهُ فاكفهرّ وجههُ واستعادني الحديث فاعدتهُ فقال الله يجازي الفرنسوي اذا بقي على الحياد لانهُ بذلك يخرب بيت افندينا ولولا مواعيدهُ بالمساعدة ما كان افندينا يخالف رأي الانكليز ويجعلهم لهُ خصومًا . فقلت لهُ ان بونابرت الذي ازعج ملوك الارض عجز عن عكاء وكان لها سور واحد وكان داخلها جزار باشا وجنودهُ لا تساوي طابورًا واحدًا من العسكر المصري والآن صارت عكاء ذات سورين وزاد تحصينها عن الاول وفيها عسكر ابرهيم باشا لا عسكر الجزار الضعيف . فقال ان الذي اعجز ابرهيم باشا عن فتح عكاء ليس تحصينها بل قوة الانكليز التي اتت ضدهُ وزاد عليها انقلاب جمهورية فرنسا عليهِ وقطعها عنهُ المدد وتعمُّدها اهلاكهُ في هذه البلاد فاضطرّ ان يقوم عن عكاء والاَّ فما هي عكاء وما كان اعظم منها بالنسبة الى اقتدار الملوك العظام فلو كانت قوة الاتراك وحدها موجهة ضد افندينا ما كان يبالي بها مهما كثرت عَدَدًا وعُدَدًا وانت شاهدت بنفسك حربهُ في حمص وكيف كان الجمهور الكبير من الاتراك يهرب من وجه القليل من العسكر المصري . ثم ما كفانا مقاومة العدو القادم علينا من الخارج حتى اننا صرنا مضطرين لمقاومة موارنة شمالي لبنان الجاحدين لمعروف الدولة المصرية مع النصارى

فقلت لهُ أتسمح لي ان اتكلم بالحرية ام ابقى صامتًا فقال بل اود ان تتكلم بكل حرية عن كل ما يلوح في فكرك وبالاخص عن احوال جبل لبنان وماذا يصلح فسادها لانهُ اذا

كالحجاز وكريت يرد للدولة فاذا لم يرتضِ بذلك في مدة عشرة ايام يؤخذ بر الشام من يدهِ ونترك لهُ بلاد مصر ثم يمهل عشرة ايام اخرى فان لم يرتضِ تؤخذ منهُ بلاد مصر ايضاً . ولولا ثقة محمد علي بمواعيد فرنسا لقبل بما عرض عليهِ اولاً

"واما ابرهيم باشا فلما تحقق عصيان اهل كسروان بمساعي السنيور وود[1] قام لمحاربتهم باثني عشر الف عسكري من المشاة وابقى شريف باشا حاكماً في دمشق وارسل حنا بك بحري ليقيم عند الامير بشير رقيباً عليهِ . ولما وصل ابرهيم باشا بجنودهِ الى كسروان قاومهُ رجالها فانكسرت الجنود المصرية مراراً وارسل قنصل الانكليز في دمشق روفائيل مشاقه الى الامير بشير ليخبرهُ عن قرار الدول المتحدة وانهُ الاجدر بهِ ان يطيع الدولة . وطلب من الامير ان يرسل معتمداً الى بيروت لمواجهة الكومودور نبير[2] فارسل اليهِ ابرهيم مشاقه سرًّا عن طريق صيدا وبعد المكالمة رجع الى الامير عن طريق صيدا ايضاً وذلك خفية عن بحري بك الذي أُقيم في سراي الامير ليراقب حركاتهِ وسكناتهِ . وكان من كلام الكومودور نبير لابرهيم مشاقه ان لا بدَّ من اخراج المصريين من بلاد الشام فعلى الامير بشير ان لا يغرر بنفسهِ

ولما رفض محمد علي ما عُرض عليهِ صدر الامر باخراج المصريين من سورية بالقوة ورجع بحري بك الى دمشق قبل ضرب بيروت . وفي احدى الليالي اتى السنيور مرلاتو قنصل النمسا ليسهر عندي وسيق الكلام الى حضور المراكب الى بيروت فقلت لهُ انها فعلت عين الصواب في اخذها الاماكن الضعيفة اولاً ثم يكون لها الزمن الكافي لمحاصرة عكاء . فقال اتظن ذلك فقلت لهُ هذا ما يظنهُ الجميع . فقال ان المراكب اتت بيروت اولاً لكثرة تجارة الاجانب فيها فخافت ان يقع عليها ضرر . ثم كم تظن ان عكاء تحتمل مع الانكليز. فقلت لهُ ان ابرهيم باشا حاربها سبعة اشهر ولم يكن داخلها قويًّا كما هو الآن ثم زاد في تحصينها فيجب ان تزيد قوة الانكليز على قوتهِ حسب ما زاد في قوتها . فضحك وقال يا تعس من يقاوم الانكليز . فقلت ولكن عكاء حصينة جدًّا وقد زاد ابرهيم باشا في تحصينها . فقال نعم انا اعرفها بعد تحصينها فصارت تحتمل ضرب الانكليز ست ساعات لا غير . وكان عندي حينئذٍ رجل من انسباء بحري بك وهو صديق لي وقد سمع كل ما دار بيننا من الحديث فاوجست شرًّا وخفت من بلوغ الخبر الى الحكومة المصرية فطلبت من صديقي هذا ان يذهب

(١) هو رنشرد وود احد تراجمة سفارة الانكليز في الاستانة جاء لبنان لتعلم اللغة العربية ولاثارة اهاليهِ على الحكومة المصرية (٢) هو السر تشارلس نبير امير الاسطول الانكليزي واحد القواد المشهورين

شمسين وهو من حزب الشيخ جنبلاط . وكان الشيخ يعقوب يمضي اكثر اوقاتهِ عند اولاد باز يتذاكر مع احدهم في علوم اللغة وكان ينسب عدم نجاح دعواهُ الى رغبة الامير بشير في اذيتهِ بكلام يدل على عظم كراهتهِ لهُ وحقدهِ عليهِ . اما جنوبي لبنان فاذا لم يتدارك امرهُ امتدت الفتنة اليهِ لان الموارنة نحو نصف اهاليهِ والمشايخ الذين يربطونهم مع الدروز حتى يكونوا يدًا واحدة هم آل جنبلاط وعماد ونكد المنفيون الى مصر فاذا أُرجعوا الى اوطانهم وطُيبت خواطرهم فبواسطتهم يثبت جنوبي لبنان ويخشاهُ شماليهُ فهذا الذي اظنهُ وقد اكون غلطانًا

فقال وانا من رأيك والاجدر بنا احضار المشايخ من مصر

ثم ان المراكب ضربت بيروت واستولت عليها فورد امر من ابرهيم باشا الى شريف باشا بان يحجز على قنصلي انكلترا والنمسا في بيتيهما ويضع خفراء من العسكر على بابيهما . وبعد ايام ورد كتاب من ابرهيم باشا الى شريف باشا يقول لهُ فيهِ ان بيت قنصل الانكليز لهُ بابان فما المنفعة من وضع الخفر على واحد منهما . وكان ذلك صحيحًا . وكانت المكالمات مع دروز حوران تتم في بيتي بواسطة الترجمان وكنت افعل ما يلزم لقنصل الانكليز من المكالمات وتوزيع الاعلانات سرًّا لا كرهًا بالحكومة المصريّة ولا حبًّا بالحكومة التركية بل لانني منتمٍ الى الدولة الانكليزية وخدمتها واجبة عليَّ لانني من مأموريها فعندما كانت تساعد المصريين كنت اسير حسب رغبتها وعندما صارت تساعد الاتراك صرت اساعدهم معها وفي الحالتين ابذل جهدي لكي لا اضرَّ احدًا بل اساعد كل احد حسب طاقتي

ثم حاق الفشل بالعساكر المصريّة لان رجال كسروان اتتهم الاسلحة والمهمات الحربية والعساكر المصريّة ملّت مواصلة الحروب . ولما رأى ابرهيم باشا تأخر عساكرهِ سار بهم الى زحلة غربي البقاع حاسبًا ان خصومهُ يطمعون و يتبعونهُ وهناك سهل فسيح تسهل فيهِ الحركات العسكريّة فيفتك بهم لكن اهالي الجبل لم يتبعوهُ بل اكتفوا بخروجهِ من بلادهم

وفي غضون ذلك استولت الدولة على مدينة صيداء . وصدر الامر الى الامير بشير لينزل اليها في يوم معيَّن فيفوَّض اليهِ حكم الجبل . فارسل الى حفيدهِ الامير مجيد لكي يتخلَّص من معسكر ابرهيم باشا و يأتي اليهِ مسرعًا وطلب من اندراوس مشاقه ان يحصي ما عندهُ من النقود في دار الحريم فاحصاها فوجدها ثمانية آلاف وثلاثمائة وسبعين كيسًا وهي تساوي حينئذٍ اربعة وستين الف ليرا فرنسوية (٦٤ الف بنتو) . فامرهُ ان يضع الثمانية الآلاف في اكياس و يكتب على كل كيس مقدار ما فيهِ و يضعها في صندوق و يأتيهُ بمفتاحهِ . فعمل

كان لبنان معنا فهو الحصن لنا لا عكاء وانت تعرفهُ جيدًا فلا بدَّ من انك تعرف ما يصلحهُ وما يفسدهُ

فقلت ان من القواعد المقررة بالاختبار ان المغتصب لبلاد اذا لم يحسن سياستها واحدث فيها غير المألوف عند اهاليها فلا بدَّ ان تصير لغيرهِ كما صارت لهُ . فاولاً ان لبنان كان يدفع الى خزينة الولاية الفين وثلاثمائة كيس كل سنة فزدتم عليهِ اربعة آلاف كيس كل سنة ودائمًا تطلبون منهُ رجالاً لمعونتكم وقت الحرب بدون اجرة فيتعطلون عن اشغالهم اللازمة لمعيشة عيالهم ويُقتَل منهم كثيرون . وليس افقر من اهالي لبنان في كل بلاد الشام نعم انهُ يخرج منهُ حرير من الف الى الف وخمسمائة قنطار ولكن هذه اكثرها من املاك الامراء والمشايخ والرهبان واهالي المدن كبيروت وطرابلس فالاهالي يبقى لهم القليل من حاصلات الجبل وهم نحو ثلثمائة الف نسمة وليس عندهم ارض لزرع الحبوب فيضطرون ان يشتروها من الخارج

ثانيًا اي رئيس عشيرة ابقيتموهُ ولم تهينوهُ وتنزعوا بلادهُ من يدهِ نعم ان الامير بشيرًا بقي على لبنان كعادتهِ بامرٍ خصوصي من محمد علي باشا ولكن بعد ان رتَّبتم على فقراء بلادهِ اربعة آلاف كيس سنويًّا زيادة عن المرتَّب قبلاً حتى بلغ المطلوب ثلاثة اضعاف ما كان يطلب عادة وما كفى حتى تماديتم في اعمال تهين شرف اسمهِ بطلبكم منهُ تسليم اللاجئين اليهِ لكي يتوسط عندكم في الرأفة بهم ولما ارسلهم اليكم قطعتم رؤُوسهم بدلاً من قبول وساطتهِ

ثالثًا ان اهالي سورية لم يعتادوا العبودية كاهالي مصر الذين اعتادوها من زمن الفراعنة فقد اسرعتم الى استعبادهم باخذ اولادهم للعسكر من غير ان تعيّنوا أجلاً محدودًا لخدمتهم فالذي يؤخذ ابنهُ يعلم انهُ لا يرجع اليهِ الاَّ اذا لم يعد يصلح للحرب ولا للعمل اذا بقي سالمًا ثم انهم يأخذون الوحيد لوالديهِ ولا يراعون حالها ولا صغر اطفالهِ وشدَّة حاجتهم اليهِ فهذهِ الامور كافية لتنفير الناس منكم اما التجار واصحاب الاموال فيرغبون في بقاء الحكومة المصرية لحفظ الامن وتحصيل الحقوق . وشمالي لبنان كان من قبل استيلاء المصريين على سورية ناقمًا على الامير بشير وقدنشأت فيهِ فتنة جسيمة سنة ١٨٢١ وكان الاكليروس يعضد الاهالي والبطريرك يصمت عنهم ولا سيما البطريرك يوسف حبيش

فقال ومن اين تعلم ان البطريرك لا يميل الى الامير مع انهُ من طائفتهِ

فقلت هذا اعرفهُ من قبل انتظامهِ في سلك الكهنوت وقد كان اسمهُ الشيخ يعقوب حبيش كنت اتعلم عند اولاد فرنسيس باز في حوالي سنة ١٨١١ وكان الشيخ يعقوب هذا يقيم في دير القمر مددًا طويلة لدرس الشريعة على الشيخ شرف الدين القاضي مع خصم لهُ اسمهُ الشيخ

بك وقال لهُ اي متى يخرج عمك فردوس من الحريم · فقال الولد ان عمي سافر منذ ثمانية ايام وما تعوّق عندنا غير يومين · فقال لهُ اذًا ما صبر حتى قابل صهركم شريف باشا فقال الولد ان الباشا اتى الى هنا ثاني ليلة وسهرا وحدهما في القصر وسافر عمي في الليلة التالية · ثم صرف الولد وقال لبحري بك أبقي عندك شك · فاجاب كلاَّ ولكن ابقِ ذلك في سرك الى ان نخبر ابرهيم باشا ونجري حسب ارادتهِ

وكان بحري بك يكره الوشاية بشريف باشا لانهُ صديقهُ ولانهما تعلما وتهذبا معًا عند عبود البحري ولكنهُ كان يخشى ان يبلغ الامر مسامع ابرهيم باشا فيرى انهُ اخفى عنهُ خبرًا مثل هذا فيبطش بهِ فاجتمع بشريف باشا وقصَّ عليهِ واقعة الحال وقال لهُ صرتَ في خطر وان هربت فقد لا تسلم وتفقد جميع اموالك ومقتنياتك واذا انا كتمت الخبر عن ابرهيم باشا فلا يكتمهُ عنهُ الذي اخبرني بهِ وحينئذٍ يحسبني خائنًا ويهلكني معك · فاتفقا على ان بحري بك يكتب الى ابرهيم باشا لكي يستدعيهُ اليهِ بكتاب يرسلهُ الى شريف باشا فورد كتاب الى شريف باشا من ابرهيم باشا يقول فيهِ لا بدَّ من المذاكرة في بعض المهام والحالة الحاضرة لا تسمح بخروجكم من دمشق فارسلوا الينا بحري بك للمذاكرة معهُ · فمضى بحري بك حالاً وقصَّ على ابرهيم باشا واقعة الحال فاستشاط غيظًا وقال لا بدَّ من قتل شريف باشا فقال بحري بك نعم ولكن لا بدَّ من النظر في العواقب قبل الحكم فان اذنتموني في الكلام اتكلم فقال تكلم

فقال ان شريف باشا ليس غريبًا عنكم بل هو من انسبائكم وقد ربيتموهُ واحسنتم اليهِ ورفعتم قدرهُ وقطعتم لهُ ثلاثة آلاف كيس كل سنة حال كون السلطنة لا تعطي مَن كان في رتبتهِ غير خمسة آلاف غرش شهريًا وصار لهُ عقارات كثيرة في الاقليم المصري والشامي وزاد على ذلك انكم جعلتموهُ حكمدارًا على اقليم سورية · فهذا اذا لم يحفظ ولاءكم فهل يرجى حفظ الولاء من كل الذين دونهُ وهم ليسوا من انسبائكم ولاهم حاصلون على شيء من النعم التي حصل عليها واذا كان خصومكم قد نجحوا في اغراء اعقل من تعتمدون عليهِ من انسبائكم المغمورين بانعامكم وليس عندهُ قوة عسكرية يرجونها او يتقونها فهل يؤمن انهم لا يفلحون في اغراء رؤساء عساكرنا الذين يرجونهم و يتقونهم · فالآن اذا قتلت شريف باشا نخشى ان يكون لهُ امثال في رؤساء العساكر فينفرون ونقوم الفتنة في عسكرنا و يقوى الخصم علينا ورأيي ان تنزل الى دمشق بالعساكر وتعمل هناك ما تراهُ موافقًا

فاستحسن ابرهيم باشا رأي بحري بك ونزل الى دمشق واخذت عساكرهُ تجتمع من

كما امرهُ وقال لهُ ماذا افعل بباقي الدراهم فاجابهُ ابقها لنرسلها الى البطريرك (بطريرك الموارنة) . فقال ان سيدنا البطريرك لا يحتاج الى النقود وهي الزم لسعادتك مما هي لهُ . فتنهَّد الامير وقال ان ارسالي النقود الى البطريرك الزم لي من كل نفقاتي

ولما بلغ الامير مجيدًا امر جدهِ احتال وتخلَّص من العسكر المصري ولكنهُ لم يصل الى جدهِ الاَّ في اليوم الذي عيِّن لهُ ليصل الى صيداء بجميع اولادهِ واحفادهِ . ولما وصل صيداء خرج خالد باشا للقائهِ بالعساكر واحتفل بهِ كثيرًا وكتب الى بيروت عن وصولهِ الى صيداء فأتى الامر ان يمضي الى بيروت فمضى فلاموهُ على تأخرهِ ولم يقبلوا لهُ عذرًا وخيَّروهُ في الاقامة حيث شاء الاَّ في سوريا وفرنسا فاختار الاقامة في مالطة وامهلوهُ ليرتّب امورهُ . وارسل اليهِ البطريرك الخوري نقولا مراد ليكون معهُ لاجل الخدمة الدينية وهو في الحقيقة رقيب عليهِ . فسار الامير بكل عائلتهِ وخدمهِ الى مالطة

وبقي ابرهيم باشا في زحلة . وشاع في دمشق ان فردوس بك اتى الى اخوتهِ في دمشق وهو ابن علي آغا مملوك ناصيف باشا العظم الذي كان مع الصدر الاعظم في محاربة الفرنسوية بمصر سنة ١٨٠١ وتزوج علي آغا بابنتهِ وولد لهُ منها بنون وبنات وتزوج شريف باشا واحدة منهنَّ . وكان فردوس بك مع عساكر السلطان . وذات يوم طلبني بحري بك وسألني قائلاً هل علمتَ بقدوم فردوس بك الى دمشق فقلت سمعت بقدومهِ ورأيت اخاهُ عاكف بك في احد البيوت وسألتهُ عنهُ فاخبرني انهُ حضر الى بيروت وليس الى دمشق . فقال بلغني انهُ حضر الى دمشق وانت طبيب تدخل كل البيوت فارجو ان تحقق لي ذلك . وكنت اعلم انهُ اتى الى حاصبيا الى الامير سعد الدين وأُلبس ملابس اهل الجبل وأُوصل الى دمشق ولكنني خفت ان أُخبر بذلك فيُقبض عليهِ ويُقتَل وقلت لبحري بك ان البكوات المشار اليهم اصدقائي وانا اتردَّد عليهم ولكنني لا ادخل دور الحريم لانني لست طبيبهم . والطبيب نفسهُ لا يدخل دار الحريم الاَّ اذا طلبوهُ لذلك . فقال ومن هو طبيبهم قلت روفان صيدح الذي تقصد ان تزوج ابن اخيك بابنتهِ

وكان متسلّم دمشق حينئذٍ حافظ بك بن عبدالله باشا العظم وكان من المخلصين للحكومة المصرية وهو من اقارب فردوس بك فاخبر بحري بك ان فردوس بك اتى دمشق واجتمع في بيتهِ بشريف باشا ثم عاد الى بيروت ويجب ان تخبر ابرهيم باشا بذلك فقال بحري بك وما هو الدليل الذي نثبت بهِ قولنا لو انكروهُ فقال حافظ بك هلمَّ معي نتغدَّ سوية في بيتي وهناك ترى الدليل فمضى معهُ وبعد الطعام دخلا مخدعًا واستدعى حافظ بك ولدًا لاخي فردوس

الميكروب من المواد التي تكون قد امتزجت بها عرضاً والّفت بين العناصر الخلوية التي داخل الخلايا الآلية وخصوصاً ما كان مصدره في مركز الانسجة اللمفاوية وهي سبب ردّ الفعل الذي يحدث بعد التلقيح بلقاح كوخ من الجهة الواحدة وسبب الوقاية من التدرن من الجهة الاخرى

وقد طال بي المطال وكثرت امامي الصعوبات قبلما توصّلت الى ما تقدم في ادراك ماهية اللقاح الواقي من التدرن . ولولا اطلاعي على مباحث متشنكوف في الكريات البيضاء وفعلها في مقاومة ميكروبات الامراض ما ادركت الفرق بين الوقاية الحادثة في خلايا الجسم والوقاية الحاصلة في رطوباته

ولو شئت تفصيل الادلة على صحة قولي لقضيت في ذلك عدة ساعات . ولكني اكتفي الآن بوصف طريقة العلاج الجديدة التي توصلت اليها من درس التدرن درساً علميًّا . واعتقادي ان هذه الطريقة الجديدة تقي المعرضين للسلّ من عواقب عدواه . وقد علمني الاختبار ان امتنع عن ادخال ميكروبات التدرن الحية الى جسم الانسان مهما كانت الغاية من ذلك . وعليهِ فان علاج الناس لوقايتهم من السلّ بدأ باكتشافي علاجاً انقدم الآن لوصفهِ لكم فاقول

واضح ممَّا تقدم انني بذلت اقصى الجهد لاكفي الجسم العناء والخطر اللذين يترتبان على توليد مادة (T C) فيهِ فعملت التجارب في آنية زجاجية وفزت بالمطلوب اذ استبدلت الوقاية الحاصلة من الداخل بوقاية آتية من الخارج . ولم أُسرَّ في عمري قطُّ كما سررت ايام كنت أُراقب الحلقات السببية التي تصل ما بين التلقيح والوقاية حتى تجلّت لي باوضح مظاهرها من فضل التجارب العديدة التي جربتها في المواشي

وخلاصة ابحاثي انهُ يقتضي لتحرير مادة (T C) من المواد التي تعوق عملها الشفائي التمييز بين ثلاثة انواع من المواد الميكروبيَّة وهي

(١) مادة تذوب في الماء القراح فقط ولها خاصة اختيارية تحليلية . ومن هذه المادة تتألف عناصر لقاح كوخ السامّة (توبركولين) وأُسميها (T V) . ولادراك قوتها التلقيحية اقول ان قوة غرام جافٍ منها تفوق قوة لتر من لقاح كوخ

(٢) مادة هلامية تذوب في محلول ملح متعادل مثل محلول من الملح العادي فيهِ ١٠ في المئة ملحًا وقد سميت هذه المادة (TGL) وهي سامة مثل لقاح كوخ

(٣) مواد اخرى غير سامة تذوب في الكحول والاثير والكلوروفورم وغيرها

جميع الجهات · وأُخرج قنصل انكلترا وقنصل النمسا من دمشق وأُوصلا سالمين الى ايالة صيداء · وسارت المراكب الانكليزية والنمسوية والعثمانية الى عكاء وضربتها وامتلكتها عنوة بعد ضرب ثلاث ساعات وثلث ساعة لانهُ كان قد وصل اليها كثير من صناديق البارود من مصر وكانت ملقاة بين السورين لانهُ لم تكن المهلة كافية لتخزينها فوقعت عليها قنبلة فاشعلتها وكان لذلك فعل مدهش حمل العساكر الذين في عكاء على الهرب منها واستولت الدولة على البر المحيط بالساحل بغير حرب وكذلك استولت على البقاع حينما تركهُ ابرهيم باشا وسار الى دمشق

وسنأتي على تتمة اخبار ابرهيم باشا واخبار ابيهِ في الجزء التالي

دواء السل

من الخطبة التي القاها الدكتور بهرنغ الالماني على مؤتمر السل الذي عقد في باريس واعلن فيها اكتشافهُ دواءً للسل شافياً لهُ واقياً منهُ · قال

تحققت في السنتين الماضيتين وجود جوهر شافٍ للسل يختلف كل الاختلاف عن جوهر اللقاح الذي وصفتهُ منذ ١٥ سنة

وهذا الجوهر الجديد هو العامل الاهمُّ في اللقاح البقري الذي اكتشفتهُ وبرهنه منذ اربع سنوات الى الآن فثبتت فائدتهُ في مقاومة سل البقر

وتأثيرهُ يتوقف على اشباع الخلايا او الحويصلات الحية في جسم الحيوان مادة تستخلص من سمّ التدرن أُسميّها (T C)

ومتى صارت هذه المادة (T C) قسماً من حويصلات الحيوان الذي يعالج بها وحولتها تلك الحويصلات من حالٍ الى حال فاسميّها حينئذٍ (T X)

ومادة (T X) وبعبارة اصحّ (T C) توجد في ميكروب التدرُّن ولها خواص غريبة فتكون بمثابة شيءٍ لازم لقوام الميكروب ولحلول الاختمار فيهِ وتحليلهِ · ومن خصائصها انها تجعل بعض المواد ثابتة ولها خاصة التمثيل في بعض الحالات · ويقال بالاختصار انها الجوهر الحيُّ في الميكروب

وعندي انهُ اذا لُقحت المواشي لوقايتها من التدرُّن تحرَّرت مادة (T C) التي في

طلاق

الامبراطورة جوزفين

رأى قلبهُ من قلبها ما يكابدُ فنازعهُ فيها الهوى والمقاصدُ
رأى حبَّهُ معبودها وفؤادها يدق كما دق النواقيس عابدُ
رأى دمها وجدًا رأى وجدها دمًا فغيَّب عنهُ الرأيَ ما هو واجدُ
رأى قلبها كاللؤلوء الرطْب ناضرًا فأشفق ان تُلقى عليهِ الجلامدُ
فتًى جاهد الدنيا وجاهد اهلها وفي نفسهِ لم يدرِ كيف يجاهدُ
اقامت لهُ الايام صدر امورها وفي صدرهِ همٌّ من الحب قاعدُ
بكى وبكت "جوزفينُ" حزنا وقلبها على قدميهِ من جوى الحب ساجدُ
ولما أضا برق المنى في فؤادهِ لها ايقنت ان سوف تدوي الرواعدُ (١)

***

يقولون هذا ليثنا اين شبلهُ ألم تدرِ ان الدهر يا ليث صائدُ
فمن يرث التاج الذي انتَ تاركٌ ومن ينتضي السيف الذي انت غامدُ
ومن يلجُ الباب الذي قد فتحتهُ ومن خلفهِ الدنيا وتلك الفراقدُ
واي جبين فيهِ سماك بيننا واي فؤاد فيهِ سرُّك خالدُ
سيظلم عرش الشمس ان غاب بدرهُ ولم يكُ مولود عليهِ ووالدُ

***

اتثبت هذي الارض لا ثنين مثلهُ وقد هزَّها ما بين كفَّيهِ واحدُ
فأولى بنابليون نسلٌ من السما يجاهد في افلاكها ويجالدُ
لتنضمَّ في املاكهِ الارض كلها ونبتون في جوّ السما وعطاردُ
ويرميَ ذاك النسر ظل جناحهِ الى حيث لا يرقى من الوهم صاعدُ
كفى الارضَ ما نالتهُ من مطراتهِ لكل اوانٍ زارعون وحاصدُ

***

ويومٍ تولّى برجهُ شرُّ كوكب فدارت على اقطابهنَّ الشدائدُ

(١) يشير ببرق المنى الى رغبة نابليون في الاولاد وبالرواعد الى ما سيكون من كلمات الطلاق

وبعد ما يحرّر ميكروب التدرن من هذه الانواع الثلاثة من المواد الغريبة يبقى جسم سميتهُ " الميكروب الباقي "

وهذا الميكروب مثل ميكروب التدرن في شكلهِ وفي قابليتهِ للتلون ويمكن تغييرهُ حتى لا يبقى لهُ شكل مخصوص وحتى اذا لقّحت بهِ خنازير غينيا او الارانب او الغنم او المعزى او البقر او الخيل امتصتهُ حويصلاتها المفاوية وغيرتهُ فصارت بهِ أكسيفيلية . وفي اثناء ما يحدث من التغيير في الخلايا بفعل مادة (T C) ينال الجسم الوقاية

ومن الامور الجوهرية ان في مادة (T C) قوة لتوليد التدرن وان تكن هي نفسها لا تتوالد والدرن الذي يتولد منها لا يجبّن ولا يلين

وقد اتضح لي من تجارب عملتها في حيوانات مختلفة من ذوات الثدي ان مادة (T C) التي توجد من قبل في ميكروب التدرن يمكن تربيتها في آنية زجاجية بحيث يستخلص منها علاج يمكن استعمالهُ في الناس بلا ضرر

وأرى من اللازم ان يمتحن العلماء الذين يشتغلون بهذا الفنّ في المستوصفات الاخرى فعل علاجي في الحيوانات ويتأكدوا انهُ لم يكتشف علاج مثلهُ قبل الآن

ومعلوم عندكم ان لقاح كوخ ولقاحهُ الجديد (T R) ولقاح مراجليانو ولقاح مرمولاك وغيرها من المستحضرات لها بعض التأثير الشافي او الواقي بشهادة اصحابها . ولكن غيرهم جربوها وخصوصاً في خنازير غينيا فلم تسفر تجاربهم عن النتائج المرضية . اما انا فأومل ان يكون علاجي نافعاً وان العلماء الذين اسلمهُ اليهم ليجرّبوهُ يفوزون بنتائج حسنة مثل التي فزت بها انا او احسن

هذا واني ارجو منكم ان لا تنسوا ان اكتشافي الذي اعلنهُ اليوم يذكرنا باكتشاف علاج الدفثيريا الذي اعلنتهُ سنة ١٨٩٠ وقد أيدت التجارب فائدتهُ بما لا يترك مجالاً للريب فيهِ. وقد مضى على اكتشافي الاول نحو اربع سنوات قبلما صار موضع ثقة الاطباء ولو لم يقم صديقي الدكتور رو في بودابست ويساعدني على مقاومة الدفثيريا قاتلة الاطفال لاضطررت ان انتظر زماناً اطول حتى يتحقق الناس صحة قولي وفائدة اكتشافي

ولا ادري كم من الوقت يمضي قبلما يصبح اكتشافي الجديد موضع ثقة الناس بهِ وتحقق فوائدهُ

شمول مذهب النشوء

[وهو القسم الثاني من خطبة دارون القاه في جوهنسبرج بالترنسفال . اما القسم الاول فالقاه في مدينة الراس قبل الثاني باسبوعين وقد نشرناه في العدد الماضي]

كان مدار بحثنا فيما مرّ على الاشياء الصغيرة التي لا تكاد تتصوَّر لصغرها ومرادي الآن ان ابيّن ان ما يجري بين الدقائق والجواهر الصغيرة يجري ايضاً بين الاجسام الكبيرة . فأتقدم اولاً الى الفلك وابدأ بالاقدار الصغيرة متدرجاً منها الى الظواهر الفلكية الكبرى فاقول

وضع الفلكي الالماني بود قاعدة بسيطة للابعاد التي تفصل بين الشمس والسيارات . وقد صحت هذه القاعدة على السيارات كلها ما عدا نبتون حتى لا نرى لنا مناصاً من الاعتقاد ان السيارات كلها كانت منطبقة عليها

هذا وان الاسباب التي افضت الى هذه القاعدة البسيطة لم تعلم بعد ولكن يمكننا ادراك بعض كنهها من النظر الى ما يأتي

تصوَّروا شمساً يدور حولها سيار كبير في دائرة . واسمي هذا السيار زفس اذ يمكننا تشبيههُ بالمشتري اكبر سياراتنا . ثم افرضوا ان نيزكاً او سياراً صغيراً رمي في الفلك الذي يتحرك زفس فيهِ فكيف تكون حركتهُ . قد يظهر لاول وهلة ان هذا السؤَال مما تسهل الاجابة عنهُ والحقيقة ان حلهُ اعضل على الرياضيين فلم يهتدوا بعد اليهِ . على اننا نعلم ان النيزك المرمي يرسم دائرة كثيرة التشويش والارتباك طوعاً لجذب الشمس والسيار فتارةً يسير سيراً بطيئاً على بعد شاسع من الشمس والسيار وطوراً يمرُّ بسرعة عظيمة قرب احدهما . وعندما يمرُّ قرب احدهما فقد يتفق انهُ يدنو منهُ الى حدّ ان يكاد يصطدم بهِ ثم ينجو بنفسهِ ولكن لا بدّ ان يأتي زمان يصطدم فيهِ بالشمس او بالسيار فتكون بذلك آخرتهُ اي انهُ يتحد باحدهما والغالب ان يتحد بالشمس

ثم لنفرض بدل النيزك الواحد مئات من السيارات الصغيرة او النيازك تدور حول الشمس وزفس في جميع الجهات . ولما كانت كلها صغيرة جدًّا فان جذب بعضها لبعض لا يعتدُّ بهِ لضعفهِ وعليهِ فانها تتحرك حول الشمس وزفس كما لو كان لهما وحدهما تأثير في حركتها دون غيرها . وتكون النتيجة ان الشمس تجذب اليها معظم تلك النيازك وتبتلعها وان زفس يصطدم بالبقية القليلة ويجذبها اليهِ

ورب سائل يسأل وكم يطول عمر النيزك من ابتداء حركتهِ الى انتهائها . والجواب ان

ومدّ عليهِ النحس ظلَّ كآبةٍ تغشّتهُ حتى كلُّ ما فيهِ كامدُ
كأن خيال الموت مدَّ طرافهُ عليهِ فكلٌّ ساهم الخد جامدُ
كأنَّ لهيب الشمس في مهجة الهوى فللشمس جرمٌ اكمد اللون باردُ
اذا كان في الايام ايمانُ رحمة فيومك يا جوزفين فيهنَّ جاحدُ
صرخت فردَّ الجو انفاس اهلهِ ليصعد صوت من فؤادك شاردُ
ليصعد صوت العدل لله شاكيًا عليهِ يمينٌ من بكاكِ وشاهدُ
ليبلغ سكان السماء تنهدٌ من الارض اذ جوُّ الفضيلة راكدُ
لتضطرب الارواح من ظلم اهلها لتصرخ في سرِّ القلوب الحامدُ
فقد نزعوا قلبًا وتاجًا ونعمةً وزوجًا ولم يفقد كهاتيك فاقدُ
رموا قلبك المكسور في مَطرَح النوى يطارد من آفاتهِ ما يطاردُ
ولا نحر للانثى سوى ضبط قلبها تقرّ بهِ أنَّى تشأ وتباعدُ

***

دَوَتْ قَصفَات الدهر وانطوت المني وغطت سماء النصر تلك المكائدُ
وجاء وليُّ التاج والتاج ذاهب وحلَّت اماني الدهر والدهر زاهدُ
واصبح ركن العرش كالغصن مائلاً على كل ريح لا يرى من يُساندُ
ودارت بنابليون في النحس دورةٌ تقابل فيها حظهُ والنواكدُ
وقصوا جناحي نسرهِ بعد ان دوى لخفقهما جوُّ العلى والفدافدُ
فيا نسر ماذا يصنع الفرخ بعدها وقد حطمت ظفريهِ هذي المباردُ
تركت لهُ مُلكًا بغير رعيَّة وكفًّا ولكن ليس في الكف ساعدُ
وبوَّأتهُ عرشًا اذا ما ادَّكرتهُ لقيت كما يلقى الخيالات راقدُ
جنيت عليهِ بالسياسة قبلها بَلَى قد جنتها قبل ذاك العوائدُ
اتذكر اذ عاندت قلبك جاهدًا فهذا الذي قد كنت فيهِ تعاندُ
وكذَّبتهُ والقلب صوتٌ من السما ولولاهُ ما سدّدت إذ انت قائدُ
والزمتهُ نصح الورى وهو مبصر وللعين لا للقلب تُعطى المراودُ
فما قتلتك الحادثات وانما أُرتك دم القلب الذي انت فاصدُ

مصطفى صادق الرافعي

الخلل في اي نظام كان من نظامات الاجسام المتحركة حتى في الاجسام ذات الافلاك الثابتة وهذا بصرف النظر عن المقاومة التي تلقاها تلك الاجسام من اعتراض بقية غاز منتشرة في الفضاء ووقوفها في سبيلها . فالثبوت اذا نسبيٌّ لا مطلق وما من نظام الاَّ وفيهِ ما لا بدَّ ان يفضي الى خرابهِ ولكن لا نقلق لذلك ولا نيأَس فان في النظام الشمسي بزور خراب ودمار اخرى يرجح ان تنبت وتثمر قبل حدوث الطارئة الاولى

***

شرحت في ما تقدَّم الرأْي القائل بتكوُّن الشمس والسيارات من تجمع النيازك تدريجاً فهو يفرض وجود النيازك ولا يذهب الى ما وراء ذلك اي قبل ان وجد جسم كثيف مركزي او شمس يدور حولها جسم كثيف آخر . ولكن قام منذ اكثر من قرن من حاول الذهاب الى ما وراء ذلك وسعى في الوقوف على تاريخ الشمس والسيارات قبلما صارت اجساماً كثيفة بانياً سعيهُ على فرض غير ما تقدَّم عن تركيب النظام الشمسي الاوَّلي . ومن رأْيي ان المذهب الذي بسطتهُ آنفاً والمذهب الذي سابسطهُ الآن كليهما يتضمن حقائق جوهريَّة وان ما بينهما من التناقض الظاهر لا بدَّ ان يزول في مستقبل الايام . اما المذهب الذي ساشرحهُ فهو المذهب السديمي المشهور اول من قال بهِ كنت الفيلسوف الالماني ثم اعلنهُ لابلاس الرياضي الفرنسوي من غير ان يعلم بما قالهُ كنت وعلى صورة اوضح

ذهب لابلاس الى ان اصل النظام الشمسي سديم او سحابة من الغاز اللطيف متجمعة حول مركز كثيف هو اصل الشمس . وكان الكلُّ يدور دوراناً بطيئاً على محور مارٍ في مركزهِ حتى استدار وتسطح عند قطبيهِ بسبب دورانهِ وجذب الغاز بعضهِ لبعض . وقد ايَّدت ارصاد الفلكيين هذا الفرض فانهم اكتشفوا في السماء سحباً عديدة من السديم واثبت السبكترسكوب ان نورها مشتقٌّ من الغاز . ولا ريب ان السديم الكروي الاول جسم ثابت وعليهِ فان مذهب لابلاس يطابق الناموس العمومي الذي ذكرتهُ آنفاً

وبعد ذلك اخذ السديم يبرد تدريجاً بالاشعاع الى الفضاء ففقد الغاز جانباً من مرونتهِ ونتج عن فقدهِ لبعض مرونتهِ ان قلَّت قوة مقاومتهِ للجاذبية فاخذ يتجمع حول المركز المتكاثف ويتقلَّص وتقلُّصهُ افضى الى نتيجتين لازمتين على موجب نواميس الميكانيكيات الاولى ان حرارة المركز المتكاثف علت والثانية ان دورتهُ اسرعت . ونتج عن اسراع دورتهِ زيادة تسطحهِ من قطبيهِ فاتخذ شكل عدسية او شكل قرص اكثف في الوسط منهُ في المحيط

ومن هنا يبتدئ التعقيد والاشكال وتعرض الشكوك في هذا المذهب. فقد زعم اصحابهُ

عمرهُ يتوقف على جهة حركتهِ وسرعتهِ وانهُ يمكن اطالتهُ بتكييفهما. فاذا أطلنا عمرهُ بتأخير اوان الاصطدام الى ما لا نهاية لهُ دار حول الشمس وزفس ولم يصطدم باحدهما ابدًا

اذًا هناك أفلاك يمكن ان يدور نيزك او سيّار صغير فيها الى الابد ولا يصطدما بشيءٍ فاذا عُرف ذلك وجب علينا ان نعرف ايضًا هل اذا طرأَ على ذلك السيار الصغير طارىء يحرف بهِ اقلّ انحراف عن سيرهِ يزيد ذلك الانحراف شيئًا فشيئًا على مرّ الزمان حتى يفضي اخيرًا الى اصطدام السيار بالشمس او بزفس او انهُ يبقى يسير في خط فلكهِ الجديد ولا يحيد عنهُ الى الابد . فاذا زاد الانحراف على مرّ الزمان كان الفلك غير ثابت والاَّ فاذا كان الانحراف قليلاً غير متزايد فالفلك يبقى ثابتًا غير متغير

وعلى ذلك فالافلاك نوعان نوع ثابت وهو الاقل ونوع غير ثابت وهو الاكثر . والأُولى هي الافلاك التي تصلح للبقاء فتبقى والثانية هي التي لا تصلح لهُ فتزول . فاذا فرضنا وجود نظام مؤلف من شمس وسيار كبير وعدد من الاجسام الصغيرة السائرة في كل جهة فان الشمس والسيار يكبران بما ينضمُّ اليهما من تلك الاجسام السائرة على توالي الايام فيبقى عدد قليل من السيارات الصغيرة والاقمار يتحرك في دوائر وافلاك محدودة وتكون النتيجة نظامًا محكم الترتيب تنتظم افلاك سياراتهِ على حسب ناموس محدود

على ان مسألة هذا النظام البسيط لم تحل حتى الآن حلاًّ تامًّا فلم تكتشف بعد طريقة لمعرفة حركات الافلاك الدائمة ولا اهتدى احد الى ما يفرق بين الثابت وغير الثابت منها . ولكن العلماء شرعوا في معرفة بعض المناطق المحيطة بالشمس وزفس حيث يمكن وجود الافلاك الثابتة وحيث لا يمكن وجودها ولا يكاد يكون ثمة اقلُّ ريب في انهُ اذا حلّت مسألة نظامنا الشمسي حلاًّ تامًّا وجدنا ان افلاك السيارات والاقمار التابعة لها من الافلاك الثابتة الدائمة فنصل الى تفسير قاعدة بود تفسيرًا رياضيًّا فيما يخصُّ ابعاد السيارات

وان الانسان ليدهش ممَّا يرى من المشابهة العمومية بين المسائل المختصة بالذرات الدائرة في افلاك حول الجواهر وبين السيارات والاقمار الدائرة حول الشمس . ولعلكم تذكرون اني بحثت قبلاً في ما اذا كانت الالكترونات الدائرة في افلاك الجوهر ابدية غير متغيرة وان المشابهة بينها و بين غيرها من النظامات المتحركة تدلُّ على انها كذلك . واهمُّ نظام خطر على بالي حينئذٍ النظام الشمسي . فان الافلاك التي اشرت اليها سابقًا انما تكون دائمة حين تكون الاجسام التي تدور فيها صغيرة الى النهاية ولا تلقى مقاومة في دورانها . ولكن الاجسام الصغيرة الى النهاية غير موجودة ومن راي اللورد كلفن و بوانكاره انهُ لا بدَّ من وقوع

واقماره تدور دوراناً متقهقراً . واغرب من ذلك ما اكتشفهُ بكرنج حديثاً وهو ان القمر التاسع من اقمار زحل يدور دوراناً متقهقراً واما السيار نفسهُ وحلقتهُ واقمارهُ الثمانية فتدور دوراناً مستقيماً (اي ان القمر التاسع يدور من الشرق الى الغرب وزحل نفسهُ وسائر اقمارهُ تدور من الغرب الى الشرق) ثم اني اشك في ما اذا كان التلسكوب يؤيد مذهب لابلاس حقيقة فان ما نراهُ بهِ يدلُّ على ان السديم ينفصل على شكل لولبي لا حلقي

وليس المقام مقام افاضة وتفصيل فما نقدم يكفي لبيان ان المذهب السديمي لا يمكن ان يعوَّل عليهِ برمتهِ مهما تضمن من الحقائق الراهنة

***

قلنا في المذهب الاول الذي بسطتهُ امامكم عن اصل الشمس والسيارات انها تكوَّنت من تجمُّع النيازك الشاردة الآبدة في الفضاء وهذا يخالف مذهب لابلاس مخالفة جوهرية ولكن عنَّ لي منذ عدة سنوات رأي اوفق فيهِ بين هذين المذهبين . فان الغاز ليس مادة متصلة بل يتألف من عدد عظيم من الدقائق وهي تتحرك في كل جهة بسرعة عظيمة فتتلاحم وتتصادم . وقد قلت سابقاً انهُ اذا كثر التصادم بين مجموع من النيازك نشأ عن ذلك مادة لها كثير من صفات الغاز الميكانيكية مما يطابق الشروط التي وضعها لابلاس . وعليهِ يمكن حسبان السديم شبه غاز دقائقهُ النيازك ويكون النور الغازي الذي ينبعث من السديم ناشئاً عن اصطدام النيازك . واما النيازك نفسها فلا ترى اذ لا نور فيها . وقد حلَّل السر نورمن لكير طيف السديم بالسبكترسكوب فاستدل منذ زمن طويل على ما يشبه هذا الرأي

على انني لا اريد ان اتشبث برأيي هذا لان مجموعاً من النيازك لا يستطيع المحافظة على صفات الغاز الميكانيكية الاَّ الى زمان محدود . وزد على ذلك انهُ يصعب علينا ان ندرك كيف ان مجموعاً من النيازك المتحركة في كل جهة ظهر الى عالم الوجود كما قال الاستاذ تشمبرلن

نقدم القول انهُ اذا شئنا تفسير تكوُّن السيارات على حسب مذهب لابلاس وجب ان تكون الحلقات غير متوازنة او متقطعة . فاذا كان لا بد من ان نفرض الحلقة بعيدة عن الكمال الى حدّ ان لا تشغل سوى قوس صغيرة من الدائرة كان الأسهل لفهم الاطوار التي تقلبت السيارات واقمارها عليها ان تفرض كروية الشكل او ما يقارب الكروي منذ بداءتها . وهذا الفرض يصل بنا الى مباحث حاول الرياضيون تفسير تكوُّن السيارات واقمارها بها على طريقة تظهر لاول وهلة مناقضة لمذهب لابلاس

ولا يخفى ان حلَّ مسألة النشوء والارتقاء يتضمن البحث في الصور والاشكال الدائمة

ان السديم ما زال يرقُّ حتى لم يعد يستطيع البقاء على حالهِ فانفصلت منهُ حلقة خارجية وحينئذٍ عادت اجزاؤهُ الوسطى فاتخذت الشكل الكروي الذي كان لهُ اولاً وعادت ترقُّ ثانية بسبب اسراع دورتها حتى انفصلت حلقة اخرى . ودامت الحال على هذا المنوال حتى انقسم السديم كلهُ حلقاتٍ تحيط بالمركز المتكاثف . ولا بدَّ ان تكون حرارتهُ قد بلغت حينئذٍ درجة البياض

ثم جعلت كلُّ حلقة تجتمع حول نواة اكثف من غيرها اتفق وجودها في محيطها فتألف من ذلك سديم ثانوي مرَّ في الادوار التي مرَّ السديم الاول فيها ثم تحوَّل سيارًا تتبعهُ اقمارهُ

هذا وان التلسكوب يؤيد مذهب لا بلاس بوجه عامّ . فالسديم الكبير الذي في المراة المسلسلة انما هو مثال لنظام لا يزال في طور التكوُّن ففيهِ نرى المركز المتكاثف يحيط بهِ سديم حلقيّ وفي احدى الحلقات مركز ثانوي متكاثف او نواة ثانوية

على ان في كلّ درجة من درجات العمل صعوبة او عقبة يستحيل علينا تمهيدها فنسأَل مثلاً ايمكن كتلة غاز على غاية اللطافة والرقة ان تدور كلها كما لو كانت قطعة واحدة او ليس الارجح ان يكون هناك دردور مركزيٌّ سريع تحيط بهِ اجزاءٌ تدور دورانًا بطيئًا . وما هي الاسباب التي تؤَيد قول من يقول ان الحلقات انفصلت بفعل فواعل متقطعة او ليس المرجح انها تكونت من غاز يشعُّ من الجهات الاستوائية فيها اشعاعًا متصلاً غير متقطع

والظاهر ان حلقة زحل هي التي حملت لا بلاس على القول بالمذهب المتقدم ولكن اتخاذ تلك الحلقة قياسًا يقاس عليهِ يقودنا الى صعوبة جوهريَّة لا مخلص لنا منها . ولبيان ذلك اقول انهُ اذا اجتمعت دقائق المادة على شكل حلقة بجذب دقائقها بعضها لبعض فانما تجتمع حول مركز الثقل لتلك الحلقة كلها ثم تهبط اليهِ وتتحد بمادتهِ . وعليهِ فلا بدَّ من قوة اخرى خارجية غير جذب دقائق الحلقة بعضها لبعض ليتيسر لها التجمع وهذه القوة لا ذكر لها في مذهب لا بلاس . والطريقة الوحيدة للتخلص من هذه الصعوبة ان يفرض ان الحلقة مستطيلة او غير متوازنة اي انها اكثف واثقل في جانب منها في الجانب الآخر وحينئذٍ تجتمع الدقائق حول نقطة داخل الحلقة ولكنها ليست في السيار . ويزعم كثيرون من العلماء ان الابعاد التي بين السيارات والشمس الآن تدل على سعة الحلقات الاصلية ولكن ذلك ليس صحيحًا لان دقائق الحلقة انما تجتمع حول مركز ثقلها وهي حجة لم يقل بها احد قبلي على ما اعلم

ثم ان تجمُّع دقائق الحلقة غير المتوازنة حول نقطة داخلية يولّد ضرورة سيارًا يدور دورانًا مماثلاً لدوران الحلقة الاصلية اي في جهة دورة الارض . ولكن السيار نبتون

فهذه المباحث تبين لنا تكوُّن الاقمار على طريقة اكثر اقناعاً مما في مذهب لابلاس · ولا ينكر ان ما يترتب على ما افترضهُ لابلاس فيهِ كثير من الصحة ولكن تحوُّل الانواع على ما في المذهب الآخر اقرب الى الفهم · وعليهِ يرجح ان كلا المذهبين يتضمن حقائق لا ريب في صحتها وان كلاًّ منهما يفضل الآخر من بعض الوجوه

هذا وان جرم القمر اي مادتهُ جزء من ثمانين من جرم الارض على حين ان جرم تيتيان اكبر اقمار النظام الشمسي جزء من ٤٦٠٠ من السيار التابع لهُ وهو زحل · فبناء على هذا الفرق العظيم بين جرم قمر الارض واقمار السيارات لا يبعد ان تكون طريقة انفصال قمرنا عن الارض مختلفة عن طريقة انفصال الاقمار الاخرى عن السيارات التابعة لها · والمذهب الذي سأشرحهُ الآن يفترض وجود القمر اصلاً في مكان لا يبعد كثيرًا عن سطح الارض الحاضر ثم ابتعادهُ عنها تدريجًا · فاذا صحَّ هذا المذهب امكننا ان نفرض ان القمر انفصل عن الارض قطعةً واحدة لا حلقة غازية على ما في مذهب لابلاس فاقول

اذا كان وجه السيار مغطًّى ببحور من الماء والهواء او كان السيَّار مؤلَّفًا من مجموع مائع يقبل شكلهُ التغير من حال الى حال فلا بدَّ من تكوُّن امواج مدٍّ في اجزائهِ المتحركة طوعاً لجذب اقمارهِ والشمس لهُ · وهذه الامواج تقاوم دوران السيار بقوة الفرك حتى تعوقهُ عن الحركة رويدًا · ولما كان الفعل وردُّ الفعل متساويين ومتضادين فان فعل الاقمار في السيار وهو ما يسبّب فرك المدّ المذكور آنفًا يقابل ردَّ فعل من السيار في الاقمار فيؤثر في حركتها

واذا فرضنا النظام المؤلف من السيار والقمر التابع لهُ نوعًا ثابتًا من الحركة فان فرك المدّ يدخل قوَّات تحدث تحوُّلاً مستمرًّا بطيئًا في شكل هذا النظام · فمن المهمّ اذًا ان نعود بعين الخيال الى الماضي ونتتبع سلسلة التغيرات التي نشأت عن سبب دائم العمل مثل هذا (المدّ) لنعلم الحالة الاصلية التي انحطَّ السيار وقمرهُ عنها شيئًا فشيئًا . وان ننظر بعين الخيال ايضاً الى المستقبل لنرى الى ايّ حدٍّ يصل بنا هذا التحوُّل · فلنبحث اذًا في دوران الارض والقمر معًا حول الشمس مفترضين ان فرك المدّ في الارض هو الفاعل الوحيد الذي يحدث تغييرًا فيها

من المعلوم ان القمر يدور حول الارض على بعد ٢٤٠ الف ميل عنها ويتمُّ دورتهُ حولها في ٢٧ يومًا · ولما كانت الارض تتمُّ دورتها على محورها في ٢٤ ساعة فسرعة دورتها ٢٧ ضعف دورة القمر وفرك المدّ يبطئ حركتها . وعليهِ فلنعد بعين الخيال الى زمان كان طول اليوم فيهِ ٢٣ ساعة و٢٢ و٢١ و٢٠ وهلمَّ جرًّا الى ان نصل الى زمان كان اليوم فيهِ اقصر من ذلك ولكن ردَّ فعل القمر كان عاملاً في تلك المدة كلها فنتج عنهُ ان القمر كان يتمُّ دورتهُ حول

والثابتة التي يسميها البيولوجيون انواعاً · والانواع التي ساتكلم عنها الآن يمكن ان تدرج تحت جنس شامل يتضمن جميع الصور المتنوعة التي يمكن ان يتخذها سائل يدور وهو معرَّض لعاملين الجاذبية والدوران· فلنبدأ اذًا بسيّار كان سائلاً يدور مثل الارض ولنتصوَّر ان سرعة دورانهِ اخذت في الزيادة نجد بالحساب ان قوة مقاومتهِ لما قد يطرأ عليهِ من الاضطراب تصير اقل مما كانت عليهِ اولاً . وبعبارة اخرى ان ثبوتهُ اي بقاء شكلهِ على حالهِ يقلُّ بزيادة سرعتهِ حتى يبلغ حدًّا يزول ثبوتهُ عندهُ· ويصير شكلهُ حينئذٍ عرضةً للتغيُّر لان هذا الحدَّ بدءُ نوع جديد تختلف صفاتهُ عن صفات النوع الذي قبلهُ وتكون درجة ثبوتهِ او قدرتهِ على الاحتفاظ بشكلهِ ضعيفة جدًّا . وكلما زادت سرعتهُ يزيد ثبوتهُ اولاً حتى يبلغ معظمهُ ثم يأخذ يقلُّ حتى يدخل في دور انتقال جديد ويتحول نوعاً جديدًا · وهكذا يمرُّ من نوع الى نوع بزيادة السرعة

واول انواع السيارات مستدير عند خطهِ الاستوائي مثل الارض· والثاني بيضوي يشبه بيضة موضوعة على مائدة وهي تدور على جنبها . والثالث بيضوي ايضاً ولكن احد طرفيهِ آخذ في الانتفاخ حتى ينتأ منهُ ويصير كوصلة متصلة بهِ واخيرًا يصير النتوءُ كالبصلة ويبقى متصلاً بالجرم الاكبر من السائل بعنق مستدقة ثم تندقُّ العنق فتنفصل البصلة عن بقية الجرم فيصيران جسمين منفصلين يمكن تسميتهما بالسيار وقمرهِ· والحقُّ يقال ان هنا الانفصال خياليٌّ فرضيٌّ لان الرياضيين قصروا عن تتبُّع هذا العمل من اولهِ الى آخرهِ

هذا وان تحوُّل الانواع في الفرض الخيالي المتقدّم تمَّ بزيادة سرعة دوران السائل زيادة تدريجية · وقد يظهر ان هذه الزيادة المستمرة اعتباطية لا مثيل لها في الطبيعة ولكن الاجسام الحقيقية تبرد وكلما بردت تتقلص والتقلص يفعل في شكلها فعل زيادة السرعة وعليهِ فان ما تحدثهُ زيادة السرعة التي قد تظهر اعتباطية قد يحدث عن التبريد ايضاً· ثم ان الاشكال التي رسمتها بعد الحساب الدقيق عن حالة السيارات واقمارها في الدرجات الاخيرة من نشوئها وارتقائها تذكرنا ببروز البروتوبلازم من كتلة مادة حية ولعلنا نرى في ذلك ما يشبه شكلاً واحدًا على الاقل من اشكال تولد الكواكب المزدوجة والسيارات والاقمار

وقد كان نيوتن اول من عيَّن الشكل الاول من الاشكال المذكورة آنفاً بطريقة حسابية وتلاهُ جاكوبي فقال بالشكل الثاني ثم بوانكاره فقال بوجود شكل ثالث · وقد ظفرت انا بتعيين حدود الشكل الذي قال بوانكاره بوجودهِ تعييناً مدققاً و بالبرهان على انهُ شكل حقيقي ثابت

علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الدقيقة التي يتم فيها هذا الانقسام . وكذلك اذا تتبعنا تاريخ جسمين كانا جسماً واحداً واحدهما لا يزال قريباً من الآخر صعب علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الزمن الذي كانا فيهِ جسماً واحداً

هذا من حيث ماضي الارض والقمر اما من حيث مستقبلها فاليوم الارضي والشهر القمري يطولان الآن شيئاً فشيئاً لكن اليوم يطول اكثر مما يطول الشهر فسيأتي زمان يتساويان فيهِ كما كانا متساويين في الزمان الماضي وحينئذٍ يصير طول كل منهما ٥٥ يوماً من ايامنا ولا يرى القمر حينئذٍ الاَّ وجهاً واحداً من الارض كما كان الحال حينما انفصل عنها في سالف الزمن ولكنَّ بين الحال الاول والاخير بوناً شاسعاً لان الحال الاول كان قليل الثبوت واما الحال الاخير فيكون كثير الثبوت

ثم ان النسبة بين القمر والارض متبادلة فيصح ان تحسب الارض قمراً للقمر . واذا كان القمر يدور على محورهِ كما كان يدور اولاً على ما يرجَّح فالارض كانت تحدث فيهِ مدّاً وجزراً كما يحدث فيها الآن . وهو اصغر من الارض كثيراً ففعل الارض بهِ اشد من فعلهِ بها ولذلك تدور ادوارهُ باسرع مما تدور ادوارها فقد بلغ الحالة التي نحسب ان الارض ستبلغها في مستقبل الزمان وهو يرينا الآن وجهاً واحداً كما ستريهِ الارض في المستقبل البعيد

واذا تساوى الشهر القمري واليوم الارضي ولم يكن في الكون غير الارض والقمر بقي هذا التساوي الى ابد الآباد ولكن الشمس تغيّر هذه النتيجة وتبعد زمن التساوي ولا ابحث في ذلك لان في النظام الشمسي ما يقضي بانحلالهِ قبل ذلك الزمن على ما يرجح

هذا من حيث الارض وقمرها اما باقي السيارات واقمارها فلا يصدق عليها ما صدق على الارض وقمرها ولذلك يبقى الاعتماد على مذهب لابلاس لتعليل انفصال الاقمار الاخرى عن سياراتها

ثم ان مسألة الزمن الذي تكوَّنت فيهِ العوالم من اكثر المسائل اشكالاً فاذا اعتمدنا على مذهب لابلاس وهو المعروف بالراي السديمي لم نجد فيهِ ادنى مقياس للزمن وكذلك اذا اعتمدنا على الرأي النيزكي الذي يفرض ان الاجرام السموية تكونت من التقاء النيازك الصغيرة بعضها ببعض وتكوُّن الاجرام الكبيرة من مجموعها لان التقاءها هذا يقتضي ملايين الملايين من السنين ولمُّ ما بقي من شعثها يقتضي ملايين اخرى ولم يزل هذا اللمُّ جارياً حتى الآن كما يرى من النيازك الكثيرة التي تجذبها الارض اليها كل سنة . وغاية ما يُقال عن الزمن الذي يتطلَّبهُ هذان المذهبان انهُ طويل جدًّا جدًّا اذا قدّر بالسنين

الارض في زمان اقصر من الزمان الحاضر و بالتالي ان الشهر القمري كان اقصر منهُ الآن . وهذه النتائج حقائق رياضية لا ريب فيها وان يكن ما يطرأُ على حركة الارض والقمر من التغير يوماً بعد يوم لا يكاد يشعر بهِ ولا يقاس ولو بادقّ المقاييس الفلكية

ولنفرض ان معنى "اليوم" الوقت الذي تقضيهِ الارض في دورانها حول محورها بصرف النظر عن طولهِ . وان معنى "الشهر" الوقت الذي يقضيهِ القمر ليتمّ دورتهُ حول الارض بصرف النظر عن طولهِ ايضاً . فنقول انهُ وان تكن عدة ايام الشهر الآن ٢٧ يوماً واليوم والشهر كانا اقصر في ما مضى مما هما عليهِ الآن فليس ثمة ما يدلنا على ان ايام الشهر كانت اكثر او اقلّ من ايام الشهر الآن . لانهُ ان كان اليوم يطول الآن باسرع مما يطول الشهر فقد كانت ايام الشهر في ما مضى اكثر منها الآن وان كان الشهر يطول الآن اكثر مما يطول اليوم فقد كان عدد ايام الشهر اقل مما هو الآن

و يظهر من الحساب الدقيق ان اليوم لا بدّ وان يطول الآن اكثر من الشهر ولذلك فقد مرّ زمان كانت فيهِ ايام الشهر اكثر منها الآن اي انها كانت ٢٩ يوماً بدلاً من ٢٧ يوماً كما هي الآن . ولكن ذلك الزمان كان شبه فارق في تاريخ القمر والارض لان اليوم كان يقصر قبلهُ بابطأَ مما كان الشهر يقصر . وعليهِ فقبلما كانت ايام الشهر ٢٩ يوماً مرّ زمان كانت فيهِ مثلما هي الآن اي اقل من ٢٩ يوماً

وهذا يوصلنا الى نتيجة غريبة وهي ان معظم ما بلغتهُ ايام الشهر ٢٩ يوماً فلم تزد على ذلك البتة وان الارض والقمر جازا هذا الفارق حديثاً . ولكن الزمن الحديث في تاريخ الارض طويل جدًّا قد يكون ملايين من السنين

واذا عدنا القهقرى الى ما وراءَ ذلك وجدنا اليوم والشهر آخذين في القصر الى ان نصل الى زمان كانا فيهِ متساويين وكلٌّ منهما اربع ساعات او خمس . وحينما كانا كذلك كان القمر مواجهاً لجانب واحد من الارض دائماً فكان وجه واحد من الارض يقابلهُ دائماً كما ان وجهاً واحداً منهُ يقابلها الآن . وكان القمر حينئذٍ قريباً من الارض على بضعة الوف من الاميال عنها وهو الآن على ٢٤٠ الف ميل

ويمكن ان يُستدل من ذلك على ان القمر انفصل عن الارض قُبَيل الزمن المشار اليهِ آنفاً . وعلى هذا دليل اقوى وهو ان الحالة الابتدائية التي كان فيها القمر يجب ان تكون حركتهُ فيها غير ثابتة حتى ينتقل من حال الى حال

وقد رأينا في الكلام على حركة الجسم السائل انهُ يميل الى ان ينقسم قسمين ولو تعذَّر

الجيولوجيين اصح من تقدير الطبيعيين

والآن كُشف ما يوفق بين المذهبين وهو الراديوم الذي قوتهُ تفوق قوة الديناميت الوفًا من المرات على ما يظن فقد قدَّروا ان في الاوقية منهُ ما يرفع عشرة آلاف طن مسافة ميل فوق سطح الارض وان ٢٢ اوقية منهُ تكفي لتسيير سفينة كبيرة محمولها ١٢٠٠٠ طن مسافة ستة آلاف ميل بسرعة ١٥ ميلاً بحريًّا في الساعة. وقد اثبت المسيو كوري وزوجتهُ ان الراديوم يشع الحرارة من تلقاء نفسهِ فان كان في الشمس قليل منهُ كفى لتعليل ما يصدر منها من الحرارة. والادلة متوفرة الآن على وجود الراديوم فيها مع ان هذا البحث لا يزال في طفوليتهِ وعليهِ فليس في الدليل الطبيعي الذي ذكرهُ هلمهلتز ما ينقض ادلة الجيولوجين من حيث طول الزمن الذي مرَّ على الارض من حين تكوَّنت الى الآن



بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فتح الشبابيك ليلاً

كان الاطباء منذ عهد قريب لا يعتدُّون بتهوية المنازل في علاج الادواء بل كانوا يحمقون كلَّ طبيب يصف لمسلول فتح الطاقات والشبابيك ويتهمونهُ بقتلهِ عمدًا ولكن آراءهم تغيَّرت تغيُّرًا عظيمًا بعد ذلك فصاروا يصفون تهوية المنازل في جميع الامراض تقريبًا ويعدُّونهُ العامل الاكبر في معالجتها والشفاء منها. وقد اثبت الاختبار والفحص البكتيريولوجي ان نور الشمس والهواء النقيَّ اقتل الاشياء لجراثيم الامراض وميكروباتها

ومبدأُ علاج الامراض بالهواء النقي هو انهُ بدلاً من استعمال الوسائط الصناعية كالعقاقير الطبية لتقوية الجسم في مقاتلة الميكروبات الضارة التي تسطو عليهِ يفضل استعمال القوى الطبيعية لبلوغ تلك الغاية فيكون التأثير اشدَّ والنتيجة اثبت واذا كان استخدام القوى الطبيعية لمقاومة الامراض التي تفتك بالجسم يفيد الفائدة المطلوبة فأحرِ بها ان تستخدم لصيانتهِ منها وتحصين اسوارهِ دونها فلا تقوى على دخول ابوابهِ . فان منع الداء قبل دخولهِ ايسر من طردهِ بعد حلولهِ

ولا يقاس من كل الافعال التي فعلت في تكوُّن العوالم الاَّ الفرك الناتج عن المدّ والجزر فاذا كان هذا الفرك قد فعل منذ تولّد القمر كما يفعل الآن فالزمن الذي مرَّ من حين تولد القمر الى الآن لا يقل عن ستين مليون سنة ولا بدَّ من ان يكون اطول من ذلك كثيرًا. ولا نبالغ اذا قلنا انهُ من خمس مئة مليون الى الف مليون سنة

وهذا الزمن ليس طويلاً في عرف الجيولوجيين الذين قدَّروا عمر الارض بوسائل اخرى تقريبيَّة مثل سمك الرواسب ومقدار ما تجرفهُ الامطار والانهار من الارض سنويًّا فوصلوا الى ان الزمن الذي مرَّ على الارض طويل جدًّا يقدر بمئات الملايين من السنين وهو بين مئة مليون والفي مليون سنة

وقد قدَّر جولي عمر الارض على اسلوب ادق من غيرهِ وذلك انهُ لما بردت الارض كان الماء كلهُ بخارًا يحيط بها فلما تكاثف وصار ماء كان كلهُ عذبًا لا ملح فيهِ ثم صارت الامطار تقع على الارض وتذيب الملح من صخورها وتجري بهِ الى البحر فاخذ البحر يملح من ذلك الحين. ويسهل علينا الآن ان نعرف مقدار الملح في ماء البحر كلهِ ومقدار ما يصل اليهِ منهُ كل سنة بما ينصبُّ فيهِ من الانهار

فاذا قسم مقدار الملح الذي في ماء البحر على مقدار الملح الذي يصل اليهِ كل سنة عرف من ذلك عدد السنين وهو نحو مئة مليون سنة. فقد مرَّ مئة مليون سنة من حين شرعت الامطار تهطل على الارض. وفي هذا الاسلوب ابواب واسعة للخطإ لكنهُ لا يزال ادق من كل الاساليب الجيولوجية التي امكن الوصول فيها الى تقدير عمر الارض بالسنين. ويمكنني ان اقول بنوع عام ان الادلة الجيولوجية تجعل عمر الارض بين خمسين مليون سنة والف مليون سنة والزمن الاول اقرب الى الصحة من الزمن الاخير ولذلك لا شيءَ فيها يناقض مذهب المدّ المتقدم ذكرهُ

الاَّ ان علماء الطبيعة يقدرون عمر الارض باقل من ذلك كثيرًا فانهم يحسبون حرارة الشمس حاصلة من تقلصها ومن وقوع النيازك عليها. وجرم الشمس معلوم فيعلم منهُ مقدار الحرارة التي تشع منها مهما كان مصدرها. ويعلم ايضاً مقدار الحرارة التي تصل الى الارض كل سنة واذا قسم مقدار الحرارة التي كان يمكن ان تتولد من جرم الشمس على مقدار الحرارة التي تشعُّ منها في السنة ظهر ان السنين لا تزيد على عشرين مليون سنة وذلك يقضي بان يكون عمر النظام الشمسي نحو عشرين مليون سنة لا غير

هذا دليل هلمهلتز وهو مبطل لتقدير الجيولوجيين اما انا فكنت اعتقد دائمًا ان تقدير

واذا نقَّطت نقطةً واحدة من عطر الورد على منديل ووضعتهُ تحت المناديل انتشرت الرائحة العطريَّة فيها كلها

واذا مُلئَ حنجر واسع الفم بالقطن ونقطت فيهِ ثلاث نقط من عطر الورد بعد ان تمزجها باثنتي عشرة نقطة من الغليسرين ووضع في درج على جنبهِ تعطَّر كل ما في الدرج من الثياب

واذا مزجت الغليسرين بقليل من عطر الورد وصببتهُ على سبيخة من القطن ووضعتها في خزانة الثياب لا تلبث ان تتعطر الثياب برائحتها

وقد جرت العادة الآن ان تعطَّر الحلى بوضعها في علبة فيها حشايا معطَّرة

الشعر وماء البحر

ماء البحر يضرُّ الشعر فيجب على السيدات اللواتي يغتسلن في البحر ان يقين شعرهنَّ منهُ واذا تبلَّل الشعر بماء البحر وجب غسلهُ بالماء السخن حالاً بعد الخروج من البحر ودهنهُ بسائل يقوي الشعر . ولا بدَّ من نزع كل آثار الملح من بين الشعر والاَّ اضرَّت بهِ . واذا تشققت اطراف الشعر فاحرقها مرة كل شهرين او ثلاثة

اللبن (الحليب)

اللبن طعام يجلب السمن لشاربهِ على شرط ان يلائم مزاجهُ . فاذا شرب بارداً وجب ان يمتص شيئاً فشيئاً وذلك لانهُ متى بلغ المعدة تخثَّر بسبب حموضتها فاذا جرع كما يجرع الماء تخثَّر كتلاً كبيرة يعسر على العصارة المعدية اختراقها لهضمها . ويحسن مزج اللبن بقليل من ماء الجير

منع سقوط الشعر

من الوصفات الحسنة لمنع سقوط الشعر ان يؤْخذ ٣٠ نقطة من صبغة الذرَّاح (كنثريدس) ونصف ملعقة من الملح العادي و ٦ اواقيّ من الروم ثم تمزج معًا ويفرك بها الموضع الذي اخذ الشعر يسقط منهُ فاذا جفَّ الشعر فليدهن بقليل من زيت الخروع

فائدة الماء السخن

اذا شرب الماء السخن كلَّ ليلة قبل النوم اصلح الهضم وأبعد الأرق وحسَّن رواء الوجه واذا احسَّ احد بألم في ظهرهِ فليضع عليهِ كيساً من الماء السخن او بألم في رأسهِ فليضعهُ على قفاهُ . واذا التهبت العينان فلتغسلا بالماء السخن او تعبت القدمان فلتغطسا فيهِ

ومن الغريب ان الانسان لا يحتمل الاقامة طويلاً في غرفة قد أُغلقت شبابيكها نهاراً ومع ذلك تراهُ ينام ثماني ساعات متوالية او اكثر في غرفة أُغلقت شبابيكها ليلاً ولا يبالي ولعلَّ لذلك سببين الاول انهُ اذا فسد هواء الغرفة لم يشعر النائم باقلّ انزعاج واذا شعر بضعف وصداع نسبهما الى اسباب اخرى غير فساد الهواء . والثاني اعتقادهُ ان ما في الابواب والشبابيك من الشقوق المؤذنة للهواء يكفي لتجديد هواء الغرفة . نعم ان الهواء يتجدد بعض التجدد بواسطة الشقوق ولكن ذلك لا يكفي ولا يعتدُّ بهِ

هذا وان جسم الانسان اشبه شيء بمستنبت للميكروبات . والميكروبات منها ما هو نافع ومنها ما هو ضارٌّ . وفي الجسم خلايا خصوصية متفرقة هنا وهناك تثير على الميكروبات الضارة حرباً عواناً فهي حماة الصحة . وسلاحها الوحيد الذي تحتاج اليهِ في حربها انما هو الاكسجين ومصدرهُ الهواء النقي والغذاء الكافي فالميكروبات التي تلتقي بهذه الخلايا ينالها ما ينال البزور التي تقع في تربة صخرية

على ان كثيرين يعترضون على تهوية غرف النوم ليلاً باربعة امور الاول ان هواء الليل مضرٌّ . والثاني ان فتح الشبابيك يعرّض النائم للمجاري الهوائية . والثالث انهُ يعرّضهُ للبرد . والرابع ان هواء الليل كثير الرطوبة . وهي اعتراضات لا صحة لها فان هواء الليل ليس مضرًّا بل هو انقى من هواء النهار لقلة الغبار والدخان ليلاً . اما المجاري الهوائية فيمكن تجنبها اما بوضع حاجز بين سرير النائم والشباك المفتوح واما بفتح الشباك كلهِ فتقل سرعة الهواء الداخل منهُ . وعليهِ فكلما وسع الشباك قلَّت سرعة مرور الهواء فيهِ وقلَّت المجاري الهوائية . اما البرد فيمكن تجنبهُ بزيادة الغطاء . واما الرطوبة فخير ما يقال فيها ان الهواء في غرفة النائم المغلقة اكثر رطوبة من الهواء الخارجي لكثرة ما تفرزهُ الرئتان منها

ويقال اخيرًا انهُ ظهر من علاج السلّ في السنوات الاخيرة ان نور الشمس والهواء النقي اضمن الاسباب لحفظ الصحة ومقاومة المرض وانهما يفعلان ما لا تفعلهُ جميع العقاقير

عطر الورد

ان كثيرات يفضلنَ عطر الورد على غيرهِ من العطور وهو غالي الثمن ولكن النقطة منهُ تعطر زجاجة او خزانة فاذا وضعت ١٢ درهمًا من السبيرتو في حنجر وصبيت عليها نقطة واحدة من عطر الورد الصحيح فيكون من ذلك عطر جيد لتعطير المناديل

في هذه المسألة لانكم قلتم ان المقابلة بين القواد العظام ليست بالامر السهل بل هي تقتضي نصبًا كبيرًا للوصول الى الضالة المنشودة . فها كم بعض الوجوه التي اذا روعيت حق الرعاية دلّت دلالة صريحة على اخذ قواد الغرب كنبوليون المحل الاول واخذ غيرهم من قواد الارض المحل الثاني . ان عظمة نبوليون لم ينلها صدفة او اتفاقًا بل هي متسببة عن مواهب كانت في دماغهِ ولم تكن في دماغ غيرهِ وهو القائد الذي صادر الدول الاوربية على ما بها من فخامة الملك ونازل ملوكها في بلادهم واستطاع ان يستظهر عليهم في مواقع عدة مع انهم كانوا متعاونين عليهِ عاقدين النية على اجتياح دولتهِ واقتلاع جرثومتهِ . ويعلم الذين قرأوا تاريخ نبوليون ان الاحوال التي وجد فيها لم تساعدهُ على صيرورتهِ من اكبر القواد المعدودين في الارض انما الذي جعلهُ خليقًا بذلك هو ذكاؤُهُ وعزمهُ وحزمهُ . ثم اننا اذا نظرنا الى موسى بن نصير مثلاً ومولاهُ طارق اللذين فتحا اسبانيا نجد ان احوال زمانهما كانت لهما من المنشطات المشجعات خلافًا لنبوليون فان احوالهُ كانت من المضعفات المثبطات واليك بيان ذلك . لما عزم العرب على فتح اسبانيا كانت قد ساد فيها الفساد وانتشر الضعف حتى لما دخلها العرب لم تكن لتقوى على مقاومتهم ناهيك عما جرى من الخيانة في تسليم البلاد لخلف بين زعماء الامة ورؤَسائها وقس على ذلك كل فتوحات العرب . وقد ذهب فلاسفة العمران الى ان فلاح العرب كانت علتهُ مفاسد بين دولة الروم والفرس وضعف في الدولتين فجاءتهما الدولة العربية على حين غرة واستولت عليهما غنيمة باردة ولم تلقَ وازعًا يزع او مقاومًا يقاوم فالقائد الذي فتح اسبانيا في مثل هذه الحال ليس جديرًا ان يدعى اعظم من نبوليون . ويدهشني الغلط الذي ارتكبهُ حضرة رفيق بك في تفضيل موسى بن نصير او قتيبة على نبوليون بمجرد وقعة لا تستحق الذكر مع ما هو عليهِ من التضلع في علم العمران وسعة علمهِ بمثل هذه الاشياء . اما هنيبال القائد القرطاجني فلا يقل عظمة عن نبوليون فانهُ دخل منذ نعومة اظفارهِ في معارك الحياة وناصب دولة الرومان اعوامًا متوالية وانتصر عليها في مواقع عديدة تخلف ذكرًا لا تخلقهُ العصور بمرورها ولا تهرمهُ الدهور بكرورها . وانتصار هنيبال على دولة طار نسرها في كل جو وعقدت رايتها في كل ارض لما يوهلهُ ان يكون اعظم قائد بخلاف عبد الله الغافقي وغيرهِ من الذين لم يذكر لهم التاريخ افعالاً تجعلهم خلقاء بان يعدوا من اعاظم القواد

لما كنا نقرأ التاريخ وفلسفتهُ على العلامة الدكتور بورتر سألناهُ مرة ان يذكر لنا القواد العظام فذكر نبوليون وهنيبال والاسكندر ويوليوس قيصر ولم يذكر قتيبة ولا عبدالله بن

فائدة التربنتينا

اذا دهن مكان الحرق بزيت التربنتينا زال المهُ وسهل شفاؤُهُ . واذا دهنت بهِ البثور منع ورمها . واذا رشَّ نقط منهُ في الصناديق والادراج والخزائن سلمت الملابس التي توضع فيها من العثّ

غسل الاطفال

عند ما يغسل الطفل يجب ان تكون حرارة الماء معتدلة وواحدة وتقاس حرارتهُ بتغطيس المرفق فيهِ لا اليد . ويجب ان تكون الغرفة التي يغسل فيها حارّة غير معرَّضة للمجاري الهوائية . ويجب ان لا يغسل الطفل بعد الطعام رأساً خشية ان تنتابهُ نوب عصبية

نوم الاطفال

يجب ان ينوَّم الاطفال في غرفة فتحت نوافذها قليلاً لتهويتها وان تكون الغرفة معرضة لنور الشمس فقد ورد في بعض الامثال القديمة انهُ حيث لا تدخل الشمس يدخل الطبيب

نزهة الاطفال

يجب ان يخرج الطفل للنزهة مهما كانت عليهِ حالة الهواء الاّ اذا كان متوعك المزاج . فان اخراجهُ للنزهة في يوم دون آخر يعرّضهُ لكثير من الادواء



قواد الغرب وقواد العرب

سيدي العالمين منشئي المقتطف الفاضلين

التمس منكما ان تنشرا لي هذه الجملة على صفحات المقتطف ولكما الشكر سلفاً

بينما كنت اسرح ناظري في رياض المقتطف الزاهر عثرت على جوابكم لسؤالي في العدد الثامن عن حجة تؤيد افضلية قواد العرب كقتيبة وغيره على قواد الغرب كنبوليون وغيره كما ذهب حضرة الكاتب الفاضل رفيق بك العظم ورأيتكم تتجافون عن الحكم الفصل

وهم يستعملون في صيدهِ الحبال المصنوعة من جلدهِ لان سواها غير متين يسهل عليهِ قطعهُ والافلات منهم

اما الدينكا فالبعض منهم يصطادهُ بهذه الطريقة والبعض الآخر يغوص وراءهُ ويقتلهُ في الماء . والنوير يختبئون لهُ بين الحشائش وعند خروجهِ يضربونهُ بحربة كبيرة على قوائمهِ فتنكسر ولا يبقى لهُ قدرة على الهرب

واسلم هذه الطرق طريقة الشلوك المار ذكرها والحربة التي تستعمل تسمى عند اهالي السودان العرب "بادنجو" وباللغة الشلكاوية "لونج" . والحيوان كبير في هذه الجهات يخرج الى البر ويرعى الحشائش كالبقر وهو يقلقنا دائمًا بصوتهِ الذي يشبه قباع الخنزير ولكنهُ اعلى منهُ كثيرًا . ومن جلد هذا الحيوان تصنع الكرابيج والعصي المشهورة

كدوك في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٥ فؤاد مغبغب

باشكاتب مديرية اعالي النيل

تصحيح خطاءٍ

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

ورد اليَّ المقتطف الاخير فاستقبلتهُ بما عودتهُ من البشر وجاءني بما عودني من جزيل الفوائد . فقلبت صفحاتهِ البيضاء فوقع نظري فيهِ على آخر ما نقلتموهُ في باب التقريظ والانتقاد من كتاب "حقوق المرأة في الاسلام" وهو

" وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يخطب في الناس واظهر في خلال خطبتهِ انهُ يروم " ابطال عادة دفع المهر للزوجة " فقامت احدى النساء الحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة " يا امير المؤمنين انك لا تستطيع ان تحرمنا ما انعم بهِ علينا الله ورسولهُ . فرجع الخليفة عن عزمهِ "

فرأيت في هذه العبارة تحريفًا كبيرًا وخطأً كثيرًا لا ادري اذا كانا من المؤلف او من المعرب واحتمال كونهما من المعرب اقرب . فعدت الى الذاكرة الضعيفة فرأيتها تحفظ هذه العبارة بوجهٍ اصح . فاستمليتها فأملت عليَّ ما ارسلهُ الى المقتطف ليجود بنشرهِ كعادتهِ من الانصاف وتحرّي حقائق التاريخ

لما صعد عمر رضي الله عنهُ المنبر قال بلغني انكم تغالون في مهر الزوجة واحب ان ارجعهُ الى مثل مهر فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وهو قليل . فقامت امرأة من المسلمات فقالت ولكن

الغافقي ولا موسى بن نصير ولا خالد بن الوليد ولا سعد بن ابي وقاص ولا عبد الرحمان ولا ادري سبباً لذلك الاَّ ان اولئك القواد الذين ذكرهم راسخة اسماؤُهم وصورهم في ذهن كل مؤَرخ ومتخرج في فلسفة التاريخ لما قاموا بهِ من عظائم الافعال فتذكرهم الالسنة قبل غيرهم. وما قدَّمتهُ لا يمنع ان يكون قواد العرب من اعاظم القواد ولكنهُ يدلُّ على انهم ليسوا اعظم قواد الارض قاطبةً واعظم من نبوليون وهنيبال والاسكندر وقيصر

حمص خليل يعقوب الخوري

"مدير مدرسة انجيلية حمص"

فرس البحر

سيديَّ منشئي المقتطف الاغر

قرأت ما ذكر في باب المسائل من الجزء التاسع من المقتطف الاغر عن فرس البحر ووصفهِ وقد شاهدت هذا الحيوان عياناً ومكثت طويلاً في البلاد التي يسكنها وعاشرت القوم المولعين بصيدهِ فاتيت بهذه الرسالة لازيد القراءَ الكرام بياناً عن هذا الحيوان الغريب وعن الطرق التي يتخذها سكان هذه البلاد في صيده فاقول :

اصطدنا بالامس واحداً منهُ ثقلهُ نحو ٩٠ قنطاراً مصريًّا بعد ان أُطلق عليهِ ٢٩ رصاصة اصابتهُ كلها واستعملنا في جرهِ اقوى الحبال فتقطعت مراراً وقد بقي سكان كدوك الذين يزيد عددهم عن ١٥٠٠ نفس خمسة ايام يأكلون من لحمهِ. اما الطرق التي يتبعها الصيادون في صيدهِ فتختلف على اختلاف قبائلهم فالذين من قبيلة الشلوك يصطادونهُ بالطريقة الآتية

يذهب رجل الى المكان الذي يكثر صعود الحيوان اليهِ للرعى ويختبئُ بحيث يَرَى ولا يُرى وعند صعود الحيوان يطعنهُ بحربة ذات اسنان متعددة ومشعبة الرأس كالصنارة تدخل في جلدهِ فيصير من الصعب اخراجها وقد ربط بها بحبل مصنوع من جلد فرس البحر نفسهِ قطعة من الخشب الخفيف العوَّام تدل الصياد على محل الحيوان بعد نزولهِ واختفائهِ في الماء واذ ذاك يتبعهُ عن بعد عدد كبير من الرجال بقواربهم فيمسكون طرف الحبل المربوطة بهِ الحربة ويشدونهُ فيكثر الم الحيوان من جرحهِ ودخول المياه اليهِ ويخرج الى البر فيهجمون عليهِ ويكثرون من طعنهِ حتى يموت وان لم يمت وعاد الى الماء يكون قد زاد عدد الحراب المشعبة التي في جسمهِ وكل منها قد ربط بها حبل متين يشد بهِ فلا يعود يستطيع احتمال آلام جراحهِ والاستمرار على المقاومة فيطاوعهم ويخرج ثانية الى البر فيجهزون عليهِ

ونرى في كل فصل من فصول هذا الشرح ادلة على اعتناء الشارح ببسط الاحوال واقامة الادلة كقولهِ في الكلام على وجوب محكمة التمييز التي حُرِم منها القطر المصري قال "(٧٩١) من ابدع ما وضعهُ الشارع عند ما سن قوانين العدلية الجديدة ومن اجلّهِ نفعاً وعائدةً طريقة تمييز الحكم اذ من المعلوم انهُ لا يمكن صون الحاكم عن الخطاء في تطبيق الاحكام القانونية على الحوادث كما لا يمكن اتفاق آرائها في تفسير معاني القانون وما غمض من دقائقهِ فلو تركت المحاكم وشأنها تفسر القانون كما ترى لتشردت احكامهُ وتمزقت كل ممزق وتباينت معانيهِ وتضاربت بتضارب الآراء في تأويلها وتفسيرها فيصير ما يقضى بهِ هنا غير ما يقضى بهِ هناك واذا تمادى الامر تصدعت وحدة القانون وانقطع نظامهُ وصار كأن لكل ولاية بل لكل قضاء قانوناً مستقلاً في ذاتهِ والحال ان الركن الاساسي في العدل التسوية بين الرعية في الاحكام القانونية فلا يصح ان يعاقب الرجل هنا على عمل يعدُّ هناك مباحاً كما لا يجوز ان تكون مدة الاستئناف في هذه الولاية عشرة ايام وفي غيرها احد عشر يوماً لان هذه تطرح من المدة يوم التبليغ وتلك لا تطرحهُ الى غير ذلك من الاختلاف في الحكم بسبب تباين الآراء واختلاف المذاهب في التفسير والتأويل . ولا يمكن تلافي هذا المحذور الاَّ بوضع محكمة سامية لكل المملكة خاصتها ان تنتقد الحكم فتؤيدهُ اذا كان موافقاً للقانون وتنقضهُ اذا كان مخالفاً لهُ وانما لا يكون لها ان تحكم بالدعوى بل تعيدها الى المحكمة الَّتي حكمت بها او الى محكمة اخرى لتراها مجدداً من النقطة التي وقع فيها النقض فما يليها وبذلك تعلم المحاكم ما يقع من الخطاء والصواب في الحكم فتجتنب الاول وتعتمد الثاني وتجري كلها على مذهب واحد في التأويل والتفسير فيتوحد القانون في جميع انحاء المملكة لفظاً ومعنًى" انتهى

وغنيٌّ عن البيان ان احكام المحاكم المصرية صارت كثيرة التناقض والتضارب ولا سيما اذا قوبلت احكام المحاكم المختلطة باحكام المحاكم الاهلية فعسى ان يرى اولياء الامر ما يسهل لهم انشاء محكمة خصوصية لتمييز الاحكام لان محكمة النقض والابرام صارت عبئاً ثقيلاً على القضاة

والكتاب ضخم الحجم يزيد على الف صفحة مثل صفحات المقتطف ولهُ فهرس هجائي مسهب لتسهيل المراجعة . ولا غرابة اذا جاءَ كما وصفنا من البيان والسهولة لكثرة ما لصاحبهِ من الجولات في ميدان القضاء فقد شرح "المجلة" "وقانون الحقوق" قبلهُ وتولَّى القضاء في محاكم لبنان سابقاً وهو الآن من مشاهير المحامين فيهِ وفي بيروت

الله يقول غير ما تقول يا امير المؤمنين فاصغى اليها وقال — وما يقول الله قالت يقول الله في كتابهِ الكريم

"وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارًا فلا تأخذوا منهُ شيئًا"

فقال عمر اصابت امرأة واخطأ عمر حسين عبد الفتاح الجمل

باب التقريظ والانتقاد

شرح قانون المحاكمات الجزائية

قانون المحاكمات الجزائية في الممالك العثمانية يقابل قانون العقوبات في القطر المصري . وقد شرحهُ حضرة الاصولي الفاضل والقانوني المدقق سليم افندي رستم باز مفتش عدلية لبنان سابقًا واهدى الينا نسخة منهُ فتصفحناها بقدر ما سمح لنا الوقت فرأينا الشرح وافيًا في مقاصده لا يتردد الواقف عليهِ في الحكم بان صاحبهُ الفاضل عانى فيهِ الصعاب حتى خرج صحيح العبارة مسترسلها دقيق المعاني مبسوطها . قال في مقدمتهِ

"يراد باصول المحاكمة الجزائية طريقة تحقيق الجريمة ومحاكمة فاعلها وانفاذ الحكم فيهِ ولما كان الغرض المقصود من قانون الجزاء تحديد العقاب لكل جريمة كان مرمى ذلك الغرض من اصول المحاكمة اخراج هذا الوعيد الى حيز الفعل بطريقة تعصم من الخطإِ في كيفيتهِ وبذلك تعرف اهمية اصول المحاكمة وصعوبة مسالكها . ولقد كان هذا الامر من اهم المشاغل التي تفرغ لها في جميع الاعصار كل من عني بوضع القوانين شرقًا وغربًا حتى استفرغت آراءهم واستنفدت اعمارهم لان الخطأ في هذا الباب جسيم الغائلة وخيم العاقبة لا يقاس بهِ غيرهُ من مزلات العقل الانساني ومغالطهِ فغاية ما ينتقد بهِ على قانون الجزاء مثلاً انهُ لا يخلو عن اللين في موضع الشدة وعن الشدة في موضع اللين فالاول لا يعبأ بهِ لان الرفق بالمجرم لا يتأتى منهُ كبير ضرر اما الثاني فلا يعد جورًا ولو كان مما يؤسف لهُ لان العقوبة فيهِ واجبة وانفاذ العقاب عادل من حيث هو هو ولا يقدح فيهِ سوى الشدة لا غير وهذا مما يغتفر لهُ وخصوصًا لانهُ نادر الوقوع ولكن اين ذلك من الخطإِ الذي يقع في المحاكمة فيضل الحاكم عن سبيل الحق اذ هناك يتملص الجري من العقوبة ويقاد البريء بجريمة غيرهِ وهذا مما ترتعد لهُ فرائص العدل والانسانية"

ديوان تذكار الصبا

نظم هذا الديوان الرقيق فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد فنفدت الطبعة الاولى فطبع ثانية على نفقة جرجي افندي غرزوزي صاحب المطبعة المعروفة باسمهِ في الاسكندرية فنثني على اهتمامهِ بالآداب

مراثي الشعراء

وهي المراثي التي نظمت في رثاء فقيد السيف والقلم المرحوم محمود باشا سامي البارودي جمعها حضرة الكاتب الفاضل والشاعر المجيد خليل افندي مطران صاحب الجوائب المصرية " ذكرى خالدة للفقيد " وصدرها برسم الفقيد وترجمتهِ وبعض منتخبات من نظمهِ وفصل في اخلاقهِ وشعرهِ وآخر في مشهدهِ . ويلي ذلك المراثي التي تلاها اماجد الشعراء في حفلة الاربعين ثم المراثي التي نظمها غيرهم وبعثوا بها الى حضرة جامع الديوان

التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية

اتحفنا حضرة الاديب الياس افندي انطون الياس بنسخة من كتابهِ " التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية " بعدما نفدت طبعتهُ الاولى وطبعهُ مرة ثانية مضيفًا اليهِ زيادات كثيرة وقد ضمنهُ كثيرًا من المفردات والجمل والاصطلاحات والتصاريف والمراسلات مما لا غنى لطالبي اللغة الانكليزية عن استيعابهِ

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الرابع

يقول علماء البيان ان قول الكافر انزل السحاب المطر يطابق الاعتقاد ولكنهُ لا يطابق الواقع وقول المؤمن انزل الله المطر يطابق الاعتقاد والواقع معًا . وعلى هذا النحو جرى اكثر الاقدمين في بحثهم عن الحوادث الطبيعيَّة والتاريخية فكانوا ينسبونها الى قوة الهية لكي لا يُنسبَوا الى الكفر لكن جمهور الناس لم يجروا هذا المجرى في اعمالهم فرأوا بالاختبار ان الحرث والري ينبتان البزر والخدمة والسماد يزكيانهِ فاعتمدوا على حرث الارض وريها وخدمتها وتسميدها . وان السلاح والتمرُّن على القتال ادعى للظفر من التوكل فنظموا الجنود وسلحوها ومرَّنوها . ورأوا ان العلل

الصحة العجيبة في تطهير ابناء الشبيبة

هي رسالة في بيان فضل العفاف للقس ماير الانكليزي الخطيب الشهير ترجمها الى العربية حضرة عيسى افندي الحلو في طرابلس الشام . وقد ذكر فيها الاخطار الادبية التي تعرض للشاب في سنّ بلوغهِ وما بعده وقال انها ثلاثة الاغواء والخطيئة السرية الانفرادية ومعاشرة السفلة واردفها باربع حقائق وهي اولاً ان العفة دعامة الصحة . وثانياً ان الزواج ناموس مقدس والعفة واجبة فيهِ . وثالثاً ان لطالبي العفة وسائل تمهد لهم السبيل اليها . ورابعاً ان العفة مطلب الدين والآداب

والخلاصة ان هذه الرسالة جليلة في بابها . ولكن لمَّا كان الخطاب فيها موجهاً الى جميع الاحداث والشبان على اختلاف طبقاتهم وتفاوتهم في المعرفة والعمر فقد كان اجدر بها ان تكون اسهل مأخذاً وابسط عبارة لان معظم الذين يقصدون بها يشكل عليهم فهم كثير مما ورد فيها

كتاب الحيوان

لأبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري وهو من اوسع الكتب العربيَّة واغزرها فوائد واندرها وجوداً عندنا نسخة منهُ ليس لها الاَّ شقيقة واحدة في القطر المصري نقحها المرحوم السيد محمود الشنقيطي . وقد تولى طبعهُ الآن حضرة الحاج محمد الساسي المغربي التاجر في مصر ونشر الجزء الاول منهُ وفيهِ نحو مئتي صفحة كبيرة وسيكون الكتاب نحو سبعة اجزاء او نحو ١٤٠٠ صفحة

الجغرافية الجديدة

ألَّف هذه الجغرافية بالانكليزية حضرة الاديب احمد افندي حافظ واهداها الى سعادة سابا باشا مدير البوسطة العام ثم طبعها طبعة ثانية وهي مطابقة لبرنامج نظارة المعارف العمومية ومطبوعة طبعاً متقناً وفيها كلام ضافٍ عن مصر والسودان وسكانهما واقليمها وتجارتهما وسائر ما يتعلق بهما

قاموس انكليزي وعربي

وضعت هذا القاموس ادارة المكتبة العمومية لصاحبها الاديب سليم افندي ابرهيم صادر في بيروت ووقف على طبعهِ حضرة عزتلو الياس افندي جرجس طراد وهو يشتمل على ثلاثين الف كلمة واكثر وثمنهُ خمسة فرنكات وربع خالصة اجرة البريد

والشعوبية يقولون بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم ايضاً "اهل التسوية" ومن اقوالهم في الردّ على العرب ان النبي نفسهُ ساوى بين المسلمين على اختلاف مللهم بقولهِ "المسلمون اخوة تتكافأ دماؤُهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يدٌ على سواهم" وقولهِ في خطبة حجة الوداع "ليس لعربي على عجمي فضل الاَّ بالتقوى" وما جاء في القرآن "ان اكرمكم عند الله اتقاكم". والشعوبية ينوبون بدفاعهم عن كل امم الارض في ذلك العهد الاَّ العرب فاذا افتخروا بملوكهم ذكروا الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة وافتخروا بسليمان الحكيم والاسكندر الكبير وبملوك الهند . واذا فاخروهم بالانبياء والمرسلين ذكروا الانبياء من آدم الى ايامهم وانهم جميعًا من غير العرب الاَّ اربعة هم هود وصالح واسماعيل ومحمد . واذا فاخروهم بالعلم والصناعة والفلسفة ذكروا اختراع لعبة الشطرنج ورمانة القبان والاسطرلاب وفخروا بفلسفة اليونان واشعارهم وسائر علومهم وعلوم الهند والفرس وغيرهم . وبلغ من جسارة بعض الشعوبية في بعض ردوده ان قال "فما الذي تفخر بهِ العرب على العجم فانما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضًا ويغير بعضها على بعض فرجالها موثقون في حلق الاسر ونساؤُها سبايا مردفات على حقائب الابل"[1] واستشهدوا على ذلك بابيات من اقوال العرب تدلُّ على ضعف غيرتهم على العرض وقالوا "لا يفلح العربي ان لم يكن معهُ نبيٌّ ينصره"[2] وعيروهم باستلحاق الادعياء ونظموا الاشعار طعنًا فيهم . وممن نظم المطاعن عليهم الحسن بن هانئ وبشار بن برد وغيرهما على ان بشارًا كان تارة مع هؤُلاء وتارة مع هؤُلاء

وقام المتعصبون للعرب فألفوا الكتب في الردّ على الشعوبية . ومن اشهر ما الف في ذلك كتاب "تفضيل العرب" لابن قتيبة وقد ردّ الشعوبية عليهِ في مناظرات يطول شرحها . وفي كل حال فان السياسة وطبيعة العمران قضت بذهاب دولة العرب" انتهى

والكتاب على هذا النسق من جمع زبدة القضايا التاريخية وتبويبها حتى صار بها تاريخ العرب معقولاً على نوعٍ ما ولكن لا يزال فيهِ كثير مما لا يكاد يصدقهُ عاقل . وحبذا لو زادنا المؤلف من المقابلة بين ما فيهِ وفي تواريخ الامم المعاصرة للعرب ونبَّه على كل ما لا يحتمل وقوعهُ منهُ فان التحقيق والتمحيص لازمان كالجمع والتبويب ان لم يكونا الزم منهما ولا سيما في تاريخ نصفهُ منقول عن السنة الرواة

(١) العقد الفريد ٦٩ ج ٢ (٢) ابن الاثير ٥٧ ج ٢

المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ففسروا حوادث الماضي بادلة الحاضر واخذوا تاريخ العصور السالفة وطبقوهُ على القواعد الكلية التي استنتجوها من تاريخ العصور الحاضرة فادركوا اسبابها ومسبباتها وصار التاريخ علماً معقولاً بعد ان كان مقصوراً على سرد الحوادث من غير ارتباط بينها ومن غير نظر في صحتها

وقد اراد صديقنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشئ مجلة الهلال الجري على الخطة العلمية في تاريخ العرب لجمع كثيراً من موادهِ بعضها مما هو متداول من الكتب وبعضها مما يندر العثور عليهِ في المكاتب الشرقية او مما لم يعثر عليهِ الا الاوربيون وبوَّب ذلك وجمع منهُ كتاباً كبيراً اصدر منهُ الى الآن اربعة اجزاء ووعد باصدار الجزء الخامس وبتتمة الكتاب

وقد ذكرنا الاجزاء الثلاثة الاولى حين صدورها وامامنا الآن الجزء الرابع الذي صدر هذا الصيف وفيهِ ان اهل اللغات الاخرى في العالم الاسلامي احتفلوا بالاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب واعجب كبار العلماء المستشرقين في اوربا بموضوعها وقد اخذوا يشتغلون بنقلهِ الى السنتهم ونشرهِ بين مواطنيهم وبعض هذه الترجمات قد طبع ونشر ولا يزال البعض الآخر تحت الطبع والآخر تحت الترجمة

وموضوع الجزء الرابع سياسة الدول الاسلامية في خمسة عصور الاول العصر العربي الاول من ظهور الاسلام الى انقضاء الدولة الاموية سنة ١٣٢ هجرية والثاني العصر الفارسي الاول من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٣ والثالث العصر التركي الاول من خلافة المتوكل الى تسلُّط الديلم سنة ٣٣٤ والرابع العصر العربي الثاني من قيام الدولة الفاطمية الى انقضائها والخامس العصر المغولي من ظهور جنكيز خان الى وفاة تيمور لنك . وقسم كلاً من هذه الاعصر الى فصول وابواب ضمنها كثيراً من الفوائد التاريخية التي لا يعثر عليها الاَّ في المكاتب الحافلة فكيفما قلَّبت الكتاب تجد مباحث طلية تودُّ مطالعتها وفوائد جليلة ترغب في الاحتفاظ بها والرجوع اليها لا سيما وانها مسندة الى كبار المؤرخين مثل ابن الاثير وابن خلدون والمقريزي والمسعودي والفخري وابن خلكان

واننا نؤثر عنهُ فصلاً وجيزاً موضوعهُ الشعوبيَّة والعرب انموذجاً منهُ وهو

"وفي ايام المأمون ومن جاء بعدهُ تظاهر الشعوبية بالطعن على العرب وكان المأمون يقربهم ويجعلهم من بطانتهِ ويجيزهم ومنهم سهل بن هارون قيم بيت الحكمة وكان شديد التعصب على العرب وابو عبيدة الراوية الشهير وعلان الشعوبي . والف الشعوبية الكتب في ذكر مثالب العرب والردّ على القائلين بتفضيلهم على سواهم من الامم

ولا يجود قصب السكر الاَّ في الارض الجيدة التي احسنت خدمتها ويقلُّ السكر في القصب اذا بقي في الارض بعد بلوغهِ او اذا قُطع وترك زماناً طويلاً قبل عصرهِ

اما كيفية استخراج السكر من القصب وتكريره فمَّما لا بد لاهل الزراعة فيهِ

حياة البزور والبرد الشديد

قرأ المسيو پول بكرل رسالة في اكادمية العلوم بباريس وصف فيها فعل البرد الشديد بحياة الخلايا الاصلية . فقد قال البعض ان بزور النبات تحتمل البرد الشديد الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر وتبقى حياتها فيها فتنبت اذا زرعت دلالة على ان البرد لا يؤَثر في الخلايا الحية مهما اشتدَّ وهذا يخالف ما يعتقده علماء البيولوجيا . اما المسيو بكرل فاخذ انواعاً مختلفة من البزور وقسمها اربعة اقسام وجعل في القسم الاول منها البزور التي تكون جافة من طبعها كالقمح والذرة والفول . وفي الثاني البزور الجافة التي ينزع قشرها كالارز . وفي الثالث بزوراً جففها بمفرغة الهواء حتى لم يعد فيها شيء من الرطوبة . وفي الرابع بزوراً منقوعة في الماء . وبرَّد هذه الاقسام كلها معاً في الهواء السائل مدة ١٣٠ ساعة ثم استخرجها منهُ وزرعها فالقسم الاول نبت بعض بزورهِ ولم ينبت البعض الآخر والذي لم ينبت هو الذي فيهِ كثير من الماء . والقسم الثاني نبت ثلاثة منهُ فقط . والقسم الثالث نبتت كل بزورهِ الجافة . والقسم الرابع لم ينبت شيء من بزورهِ واتضح من ذلك ان وجود الماء في البزر يقتلهُ اذا اشتدَّ البرد عليهِ لان الماء يجلد بالبرد الشديد ويشق الحويصلات الاصلية

الموز وتجارتهُ

الموز من الذ الاثمار طعماً واكثرها غذاء واغلاها ثمناً وهو يجود في القطر المصري كما يجود في غيرهِ من الاقطار الحارَّة ولاسيما اذا كان ماؤُها غزيراً . ولقرب القطر المصري من اوربا لا يصعب نقلهُ اليها وبيعهُ فيها بعد ان تستوفي البلاد حاجتها منهُ ولكن ذلك غير مرغوب فيهِ الآن لان الموز صار رخيصاً جدًّا في اوربا ولا سيما البلاد الانكليزية حيث تباع الصباطة (القرط) منهُ بشلنين او ثلاثة

ويجنى من الفدان الواحد ستمائة صباطة من الموز الى الف صباطة فاذا بيعت الصباطة الواحدة بعشرة غروش فقط بلغ ثمن غلة الفدان الواحد ستين جنيهاً الى مئة جنيه في السنة . ولا تبلغ نفقات الزرع والخدمة اكثر من سبعة جنيهات او ثمانية في السنة وهب

باب الزراعة

السكَّر وقصب السكَّر

ان الحلاوة التي في الاثمار المختلفة سببها السكَّر ولكن السكَّر الذي في القصب لا يوجد في كل الاثمار بل في بعضها فالسكَّر الذي في المشمش من نوع السكَّر الذي في القصب ولكن السكَّر الذي في العنب من نوع آخر يسمَّى سكَّر العنب كما ان الاول يسمَّى سكَّر القصب

وسكَّر القصب موجود بكثرة في القصب والبنجر السكَّري والسرغم والاناناس والقيقب السكَّري والشليخ والمشمش ومقدارهُ فيها مختلف كما ترى في هذا الجدول

في قصب السكر	من ١٥ الى ٢٠ في المئة
وفي البنجر	من ٨ الى ١٨ "
وفي السرغم	من ٩ الى ١٤ "
وفي الاناناس	١١ "
وفي القيقب السكري	٥ "
وفي الشليخ (كبوش القش)	من ٥ الى ٦ "
وفي المشمش	من ٥ الى ٦ "

ويوجد سكر القصب على قلة في الجمَّار واصول الذرة

وقد جيءَ بالسكر الى بلاد اليونان من المشرق في عهد الاسكندر المكدوني واستعملهُ اطباءُ اليونان في علاج الامراض وكان الفرس يستخرجونهُ في القرن الثامن للميلاد . ونقل العرب زرع قصب السكر الى صقلية واسبانيا في القرن العاشر ونقلهُ الاسبانيون الى جزائر مدايرا والى برازيل والهند الغربية وانشأ الاوربيون معامل تكرير السكر في بلادهم الى ان قام بونابرت ومنع جلب السكر غير المكرر الى اوربا سنة ١٨٠٦ فضعفت صناعة تكرير السكر من القصب ونشأت صناعة استخراج السكر من البنجر

ويزرع قصب السكر الآن بكثرة في كوبا وجاوي ومنلاً وموريتيوس وجزائر الهند الغربيَّة وشمالي الهند وشمالي اميركا وبرازيل واليابان والصين ومصر وجزائر صندريج

والقصب البستاني لا بزر لهُ او يندر ان يكون لهُ بزر ولذلك يزرع من المقل

المعروف بالسي ايلند وبلغ متوسط ثمن القطن والبزرة عن كل فدان ١٤ جنيهاً ومتوسط نفقات الزرع اربعة جنيهات فيكون صافي ربح الفدان عشرة جنيهات تدفع منها الضرائب وقيمة الايجار او ربا راس المال

غلاء الحاصلات

لقد شمل الغلاء الحبوب على انواعها والتبن ايضاً فيباع حمل التبن بمئة غرش او اكثر واردب الفول بمئة وخمسين غرشاً وكذلك القمح والذرة الا ان غلاء الحبوب لا يقدم ولا يؤخر في ثروة البلاد لان الصادر منها قليل جدًّا فقد بلغ ما صدر من الفول من غرة ابريل الماضي الى ١٧ نوفمبر ٩٣٦٠٠ اردب وكان في العام الماضي الى ١٧ نوفمبر ٢٠٨٣٤٦ اردباً اما ما يباع في البلاد من الحبوب ونحوها فلا يؤثر في ثروتها سواء كان غالياً او رخيصاً لان مفاده نقل النقود من يد زيد الى يد عمرو لا غير

حالة القطر المالية

يدلُّ تقرير الجمارك المصرية على ان العسر الذي اصاب البلاد في العام الماضي لا يزال مستمرًّا ونعني بالعسر زيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات ولا عبرة بتوفُّر الاموال في القطر اذا كانت هذه الاموال قد أُرسلت اليهِ من اوربا ليستدينها اهاليهِ ثم يضطرون الى ايفائها وايفاء رباها لان الغني من كانت امواله لهُ لا لغيرهِ

وقد بلغت قيمة الواردات الى آخر اكتوبر الماضي ١٧٢٢١٤٠٩ جنيهات وكانت في العام الماضي الى آخر اكتوبر ١٥٦٩٣٧٠٩ جنيهات فزادت قيمة الواردات هذا العام عما كانت عليهِ في العام الماضي ١٥٢٧٧٠٠ جنيه اي اكثر من مليون ونصف من الجنيهات

ومما زاد الطين بلَّة ان قيمة الصادرات نقصت ٧١٧٧٣٨ جنيهاً فانها كانت في العام الماضي ١٥٥٣٤٩٨٥ جنيهاً فبلغت هذا العام ١٤٨١٧٢٤٧ جنيهاً فقط . وبلغ الفرق على القطر المصري من زيادة قيمة الوارد ونقص قيمة الصادر ٢٢٤٥٤٣٨ جنيهاً اي نحو مليونين وربع مليون من الجنيهات فان كان في القطر شيء من المال المدَّخر فلا بد من ان يستنزف قريباً الاَّ اذا رأى ارباب الزراعة سبلاً اخرى لزيادة قيمة الصادرات او اذا قلَّل الاميركيون زراعة القطن في العام المقبل كما قلَّلوها هذا العام فعاد سعر قنطار القطن الى اربعة جنيهات او خمسة فتزيد قيمة الصادرات وتنفرج الضيقة المالية

انها بلغت عشرة جنيهات فيبقى من الموز ربح وافر. ولا يزال الموز اغلى من ذلك كثيرًا في هذا القطر يبلغ ثمن الصباطة منهُ خمسين او ستين غرشًا . ولا يخفى انهُ اذا اريد نقل الموز من بلاد الى اخرى وجب ان يقطع قبلما ينضج بخمسة عشر يومًا او اكثر ويعرف ذلك بان نقطف موزةً من آخر الصباطة اي مما يلي عرقها ونقطعها من وسطها بسكين ماض قطعًا عرضيًّا ثم تنظر في مقطعها فاذا رأيت فيها اصفرارًا قليلاً حول البزور السوداء الصغيرة التي في قلبها فيكون قد حان الوقت لقطف الصباطة فتنضج من نفسها بعد خمسة عشر يومًا والاَّ فاذا وجدت داخل الموزة التي قطعتها ابيض كلهُ لا اصفرار فيهِ فلا يكون الوقت قد حان لقطف الصباطة. ولا بدَّ من قطع رأس الصباطة قبل شحنها باسابيع حتى ييبس مكان القطع والاَّ عفن واتلف الصباطة

ويبلغ وزن الصباطة من اربعين رطلاً الى مئة رطل

القطن المصري

قدِر القطن المصري هذا العام باكثر من ستة ملايين ونصف مليون قنطار ولكن الذين قدَّروا قطنهم قبل جمعهِ ثم وزنوهُ بعد جمعهِ وجدوا ان وزن المجموع لا ينطبق على التقدير الذي قدَّروهُ بهِ بل ينقص عنهُ ثلاثين او اربعين في المئة فالفدان الذي قدَّروا محصولهُ ستة قناطير لم يجمعوا منهُ خمسة والذي قدَّروا محصولهُ اربعة لم يجمعوا منهُ ثلاثة فاذا كان هذا الامر عامًّا فالمحصول اقلُّ مما قدِر بهِ وقد لا يبلغ ستة ملايين قنطار ولا نعجب اذا كان اقل من ذلك

ثم ان الجيد من القطن المصري اقل هذا العام مما كان في الاعوام السالفة ولذلك لم يكن في الحسبان ان الاسعار تهبط كما هبطت في اواسط هذا الشهر نعم ان الهبوط ابتدأ من اميركا وهي صاحبة القول الفصل في سعر القطن ولكن للقطن المصري محلاًّ لا يقوم مقامهُ فيهِ قطن آخر غير السي ايلند وهو اغلى من القطن المصري ولذلك لا تزال الآمال معقودة بارتفاع سعر القطن المصري ولو لم يكن ذلك قريبًا والاَّ فخسارة القطر عظيمة جدًّا

القطن في جزائر الهند الغربية

دعا ارتفاع ثمن القطن الى تجربة زرعهِ في جزائر الهند الغربية فزرع منهُ ٩٥ فدانًا بلغ متوسط محصول الفدان منها قنطارين وثلث قنطار من القطن الشعر وكان القطن من النوع

التلغرافات والجرائد انهُ كان لجلالة الملك اليد الطولى في جعل اليابان تقبل بهذه الشروط

ج يظهر لنا ان اليابان لم تغبن في شروط الصلح وان انكلترا ساعدتها ادبيًّا وماديًّا اكبر مساعدة ممكنة ولولاها ما استطاعت ان تقهر الروس ولا احجمت الدول الاوربية عن مساعدة الروس عليها . وقد نالت اليابان كل ما كان يمكنها ان تنالهُ من هذه الحرب وليس الخطأُ في عقد شروط الصلح بل في اعلان الحرب والاستعداد لها . واللوم في ذلك ليس على اليابانيين كافَّة ولا على الروس كافَّة بل على ارباب المال والمصالح المالية الذين امسى زمام السياسة في يدهم والكسب بأية واسطة كانت غرضهم الاول والاخير

(٣) عسر الهضم

بيروت . ج . م . شاب عمرهُ ثلاثون سنة صناعتهُ الكتابة ضعيف البنية لا يشكو من شيءٍ سوى عسر الهضم لا يستريح في نومهِ بل يشعر بتعب اثناء النوم ورائحة فمهِ كريهة ولسانهُ اغلب الاحيان ابيض فاي شيءٍ يفيدهُ

ج تقليل الطعام ولاسيما مساءً ومضغهُ جيدًا والرياضة في الهواء النقي فاذا اكتفى في الصباح بفنجان من اللبن والقهوة وكسرة من الخبز واكل الظهر طعامًا خفيفًا وقلَّل طعامهُ في المساء فاكتفى بصحن من الشوربا وقليل من الخبز والبيض او اللحم ومضغهُ جيدًا فالغالب ان يصطلح هضمهُ ويحسن نومهُ ولاسيما اذا قلَّل الشغل وروَّض جسمهُ في الخلاء ساعةً او ساعتين كل يوم

(٤) المرأة العرَّافة

مصر . كامل افندي حقي . ما قولكم في المرأة العرَّافة التي في جهة المتبولي هل علمها واستدلالها بالكف من قبيل علم الفلك

ج هي وكل العرَّافات دجَّالات على جانب من الذكاء فتتكلم كلامًا مبهمًا ولكن الذي يقصدها ويعتقد صحة قولها يفهمهُ على حسب ما قام في ضميرهِ فيرى صحتهُ . ولو قصدها واحد يعتقد كذبها لرأى انها لا تقول شيئًا محدودًا وان قالت شيئًا محدودًا فالغالب انهُ غير صحيح وان صحَّ شيءٌ مما تقولهُ فتكون صحتهُ من قبيل الممكنات فاذا قالت لامرأة انك تموتين قبل زوجك فالصحة في هذا القول خمسون في المئة اي انها اذا قالت هذا القول لمئة امرأة اصابت في خمسين على الراجح

(٥) اصل هنود اميركا

هلمور باميركا . الخواجه بشاره ابو رزق . كيف دخل الهنود الى اميركا قبل وصول البيض اليها

ج ان هذه المسألة من المشاكل التي لم تحلَّ حتى الآن حلًّا مقنعًا والرأي الراجح ان هنود اميركا دخلوها من جهات الصين واليابان اما بسفن ساقتها الرياح اليها او

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الغرامة الحربية

كدوك بالسودان. فؤاد افندي مغبغب هل لليابان حق باخذ غرامة حربيَّة من روسيا ولم تُتمكن من ذلك إما لضغط دول اوربا عليها او لسبب آخر او ليس لها حقٌّ مطلقاً وقد كان طلبها لها من قبيل تكثير الطلبات كعادة المنتصر

ج ان الغرامة ليست من قبيل الحق وما هي الاَّ فكاك يطلبهُ الغالب من المغلوب مقابل خروجهِ من بلاد احتلها او تنازلهِ عن حقوق اغتصبها او توقفهِ عن الحرب وهو قادر عليها فلو احتلت اليابان ولاية من ولايات روسيا وقالت انها لا تجلي عنها ما لم تدفع اليها روسيا كذا وكذا من المال لاضطرت روسيا اما ان تدفع المال المطلوب او تترك تلك الولاية لليابان. وقد كان في طاقة اليابان ان تبقى في جزيرة سخالين وتقول لروسيا انها لا تخرج منها ما لم تدفع اليها غرامة حربية ولكنها وجدت ان الجزيرة كلها لا تساوي قيمة تذكر فاكتفت بنصفها اما سائر البلاد التي احتلتها فليست من املاك روسيا وكذلك لم تستولِ على شيءٍ مما لروسيا وعرضت ان تردهُ لها مقابل الغرامة الحربية او مقابل ما يساويهِ منها ولو عرضت ان ترد لروسيا قلعة بورت ارثر او البوارج التي استولت عليها مقابل ما يساويها من المال لقبلت روسيا ذلك عن طيب نفس. وكذلك لو كان في طاقة اليابان ان تواصل الحرب وليس في طاقة روسيا ان تواصلها وقالت اليابان انني لا انكفُّ عن الحرب ما لم تدفع اليَّ روسيا كذا وكذا من المال لكانت روسيا تفعل ذلك ولكن الظاهر ان اليابان كانت ترغب في الكف عن الحرب مثل روسيا فلم يبقَ لها سبيل الى الاصرار على طلب الغرامة

(٢) شروط الصلح

ومنهُ. اذا كانت شروط الصلح مجحفة بحقوق اليابان فما هو قصد انكلترا السياسي من عقدهِ على هذه الصورة فقد جاء في

الذي يظهر احياناً حول الشمس وحول القمر اذا نظر اليهما من خلال الضباب الرقيق فان اشعة النور تمر في نقط الماء الصغيرة التي تكون منتشرة في الضباب وتنكسر وتنحل الى الوانها المختلفة ومن حيث ان هذه النقط منتشرة في فسحة واسعة وانكسار النور يجري على نسق واحد فما يحدث في الجهة الواحدة من القمر يحدث في كل الجهات حوله فترى الاشعة المنكسرة في شكل دائرة او اكليل حول القمر وتكون الوانها الخضراء والزرقاء الى الداخل والوانها الحمراء والصفراء الى الخارج ولا يتعذّر ايضاح ذلك بالحساب



اوجه القمر في شهر دسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٢	٨	١٨	مساءً
البدر	١٢	١	٢٦	صباحاً
الربع الاخير	١٩	٢	٩	مساءً
الهلال	٢٦	٦	٤	صباحاً

السيارات

لا يرى عطارد في اول الشهر ثم يصير نجم الصباح في اواسطهِ

الزهرة نجمة الصباح الشهر كلهُ

المريخ يغرب نحو الساعة ٩ $\frac{1}{2}$ الشهر كلهُ

المشتري يظهر الليل كلهُ

زحل يغرب بعيد الساعة العاشرة في اول الشهر وقُبيل ذلك في آخرهِ

الاسراب في فلسطين ؟

يستدل من بعض الدلائل التاريخية ان المهندسين الاسرائيليين حفروا سرباً في عهد الملك حزقيا (منذ ٢٥٠٠ سنة) على مثال سرب سمبلون الذي حفر حديثاً في جبال الالب . فقد ورد في بعض التواريخ ان حزقيا اضطرب لقلة الماء في اورشليم وكدرهِ فأمر ببناء خزّان عند ابواب المدينة يجري الماء اليهِ من عدة ينابيع خارجها . فكاد عملهُ هذا يحبط في بادىء الامر لوجود سلسلة تلال عالية تفصل بين الينابيع والخزان . وعليهِ قرّ القرار على حفر قناة للماء في الصخر الصلب . وورد في ابن سيراخ ان حزقيا حصّن مدينتهُ بجرّ الماء اليها فحفر سرباً في الصخر الصلب بآلات من البرنز وجمع الماء في خزّان

ساروا اليها برًّا في جزائر غارت في البحر وغمرتها المياه الآن لان الانسان وُجد في اميركا قبل العصر الجليدي اي منذ عشرين الف سنة او اكثر . ويظن البعض ان الانسان وجد في اميركا قبلما وجد في اسيا واوربا وان الناس انتقلوا الى العالم القديم من العالم الجديد . ولم يُقَل القول الفصل في هذه المسألة حتى الآن

(٦) كسوف الشمس والاكاليل

الفيوم . رزق الله افندي بولس . اطَّلعت على ما ذكرتموهُ عن كسوف الشمس يوم ٣٠ اغسطس الماضي وتصوير اكليلها وقد اخذت صورة كسوف الشمس وارسلتها اليكم الآن ويظهر فيها اكليل حول الشمس وهي في شكل الهلال كما ترون فهل هذا هو الاكليل الذي يرصدهُ علماء الفلك

ج وصلت الصورة الفوتوغرافية التي ارسلتموها الينا وقد ظهرت صورة الشمس فيها جيدًا وهي كالهلال ولكن الابيضاض الذي حولها ليس صورة الاكليل لأن الاكليل لا يظهر الاَّ اذا كان الكسوف تامًّا وغاية ما بلغت اليهِ السنتهُ في هذه النوبة نحو قطرين مثل قطر الشمس فاذا كان قطر الشمس نحو اربعة مليمترات كما هو في رسمكم فاطول لسان من السنة الاكليل نحو ثمانية مليمترات فقط اما قطر النور في رسمكم فنحو خمسين مليمترًا وواضح ان الابيضاض في رسمكم شامل للقمر الذي كسف الشمس فهو يقابل ما انحجب عنهُ نور الشمس بالنسبة الى الجزء الذي بقي ظاهرًا منها اي ان الهلال الذي بقي ظاهرًا من الشمس ظهر في صورتكم اسود فاحمًا لانهُ هو الجزء المنير الذي اثَّر في اللوح الفوتوغرافي وما بقي ظهر ابيض لان النور كان محجوبًا عنهُ فلم يؤثر في اللوح الفوتوغرافي

(٧) الفرح والحزن

لبنان . م . ط . ايٌّ اشدُّ تأثيرًا في النفس الفرح في اشد درجاتهِ ام الحزن في اشد درجاتهِ

ج يظهر لنا ان الحزن اشد تأثيرًا من الفرح لان الفرح يزيد شيئًا موجودًا في النفس مألوفًا لها فلا يكون تأثرها منهُ شديدًا جدًّا واما الحزن فيوجِد شيئًا غير موجود في النفس او يمنع شيئًا موجودًا فيها فيكون تأثرها منهُ شديدًا ألا ترى ان البعض يحملهم الحزن على الانتحار لكي يتخلَّصوا من وطأتهِ عليهم واما الفرح فلم يُسمع انهُ ادَّى الى ذلك

(٨) اكليل القمر

المطرية بالدقهلية . ح . ع . ج في الليلة العاشرة من شهر رمضان رأينا حول صفحة القمر البيضاء الفضيَّة هالة خضراء زبرجديَّة يحيط بها دائرة حمراء ياقوتية فما هذه الهالة وما سبب ظهورها

ج الذي رأيتموهُ ليس الهالة بل الاكليل

الارض من الحرارة بالاشعاع الى الفضاء وتبقى حرارتها على درجة واحدة زمناً طويلاً جداً

اكتشاف نجم جديد

اكتشفت مس فلمنغ الاميركية نجماً ثانيًا في النسر الطائر وهي من مساعدي مرصد هارفرد وقد اكتشفت ثمانية نجوم جديدة من الاحد عشر نجماً التي اكتشفت في العشر السنوات الماضية. وكانت تدرس الصور الفوتوغرافية التي كانت النجوم تصور بها كلّ ليلة فرأت طيفاً جديداً في الصور التي صُوّرت في ١٨ اغسطس الماضي فراجعت الصور التي صوّرت في ١٠ منهُ فلم تجد اثرًا للطيف المشار اليهِ وكان حين رأتهُ من القدر السادس اي ان نوره كان اقلّ قليلاً من نور اصغر نجم يرى بالعين المجردة. وجعلت تراقبهُ كلّ ليلة فرأت نوره يقلُّ رويداً حتى بلغ العدد الحادي عشر وهذا دليل على انهُ نجم جديد

الاحتضار والموت

كتبت كاتبة انكليزية مقالة عن الموت قالت فيها ان موت الجسد قد يتأخر عن خروج الروح مدة كما جرى لامبراطورة النمسا . ثم قصّت ما جرى لبعض المحتضرين وما فاهوا بهِ من العبارات قبيل موتهم منها ان نوتيًا شابًا احتضر فخاف من الموت اذ لم يكن يظن انهُ يموت وهو في عنفوان شبابهِ فلما اخبرهُ الطبيب بدنوّ اجلهِ صاح صيحة اليئس وكانت الكاتبة حاضرة قالت فتبدلت حالهُ ثم اخبرني انهُ وان كان قد اكتأب في بادىء الامر فهو لم يعد يبالي بالموت الآن ولكنهُ خاف لانهُ لم يعمل الصلاح دائمًا . وظهر لي انهُ كان حائرًا في ما يفعلهُ بعد مفارقة روحهِ لجسدهِ . وقبل خروج النفس الاخير سمعتهُ يقول بصوت خافت لا بأس عليَّ فقد دلَّوا اليَّ حبلاً استطيع الصعود عليهِ

والمرجح ان الروح تختبر عالمَ الارواح والجسم لا يزال أسير اوصابهِ وآلامهِ بدليل ما يستولي على المحتضر من الغيبوبة قبل انفصال روحهِ عن جسدهِ . فقد روي ان امرأة غابت عن الوجدان قبيل موتها فردَّها زوجها الى وجدانها بالمنعشات والمنبهات . فنظرت اليهِ نظرة الموبخ وقالت لمَ ارجعتني فقد كنت أصعد في اكمة صعبة المراس وكدت ابلغ قنتها فأعدتني الى حضيضها . ثم غابت ثانية واسلمت الروح

سباق البلونات

جرى سباق للبلونات في ليبج بالبلجيك بين ثلاثة بلونات فكان السابق البلون الانكليزي المسمَّى ڤيڤيان الثالث . ركبهُ رجلان انكليزيان وكانت الريح عاصفة فبلغ

وقد اكتشفوا في ضواحي القدس منذ ١٥ سنة قناة مكشوفة ولكن يظهر ان بانيها ملك من الملوك الذين تقدموا حزقيا لا حزقيا نفسهُ كما يستدل من نقوش بالعبرانية وجدت قرب القدس ونقلت الى متحف الاستانة وهذه ترجمتها "قد انتهى الحفر . وقبل ان التقى معول العامل الواحد بمعول العامل الآخر والبعد بينهما ثلاث اذرع كان العمال يسمعون نداءهم بعضهم لبعض في الجهتين المتقابلتين وفي آخر يوم من ايام الحفر لمست المعاول بعضها بعضاً . وكان علو الصخر فوق رؤُوس العمال مئة ذراع ثم جرت المياه الى الخزان على طول ١٢٠٠ ذراع"

وقد اكتشف حديثًا سرب كان الماء يجري فيهِ من عين شرقي القدس الى بركة سلوام المذكورة في التوراة وهو المعروف بقناة شيلوه واستدل من الدلائل الكثيرة انهُ هو السرب الذي حفرهُ حزقيا . وطول هذه القناة نحو ٥٠٠ ذراع وتدلُّ آثار المعاول على ان العمال كانوا يحفرونها من الجهتين المتقابلتين في وقت واحد . وقد غيرت جهت الحفر مرارًا لما ظهر للمهندسين ان العمال خرجوا عن الجهة المطلوبة . وعرض القناة يختلف بين ذراع وذراع ونصف وعلوها بين ذراع ونصف واربع ونصف حسب صلابة الصخر او ليونتهِ

ولا يعلم حتى الآن كيف كان المهندسون يعينون جهة الحفر في تلك الايام ويهتدون الى اصلاح خطائهم وما هي الادوات والآلات التي كانت تستعمل للحفر فان ذلك كلهُ لا يزال مجهولاً

٢ عمر الارض

كتب الاستاذ سولاس الجيولوجي كتابًا في عمر الارض قدَّر فيهِ الزمان اللازم لتكوُّن الصخور المنضدة بستة وعشرين مليون سنة على تقدير انهُ يقتضي قرن كامل لرسوب قدم واحدة منها . وقال ان هذا التقدير يطابق مذهب البيولوجيين

واستشهد بقول اللورد كلفن ان عمر الشمس منذ صارت منيرة اقصر من عمر اوقيانوسات الارض . اي انهُ اذا كان عمر الطبقات المنضدة ٢٦ مليون سنة كما تقدم فلا يبعد ان يكون عمر الاوقيانوسات ٥٥ مليونًا . وكانت حرارة مياهها في بادىء امرها على درجة الغليان تقريبًا ثم اخذت تبرد شيئًا فشيئًا حتى تكونت طبقة سميكة من الجليد على سطحها فلما ظهرت الشمس زال ليل الارض الطويل وخفَّ بردها الشديد واخذ الجليد يذوب والماء يجري فكان ذلك بدء تكوّن الصخور المنضدة

واستطرد الى الراديوم فقال ويؤَكد بعض العلماء انهُ اذا كان في كلّ متر مكعب من الارض جزء من خمسة ملايين جزء من الراديوم فذلك يكفي للتعويض عما تفقدهُ

الثلج في قطب المريخ الشمالي

كان بعضهم يرصد المريخ في مرصد لويل باميركا في ١٩ مايو الماضي فرأى بقعة بيضاء كبيرة الى الجنوب الغربي من مكان البقعة البيضاء التي كانت عليهِ في السنة الماضية ولم تكن ظاهرة في اليوم الذي قبلهُ وهذا الفصل في المريخ يقابل ٣٠ اوغسطس عندنا. وشوهدت البقعة في اليوم التالي ايضاً وبدأ تكونها بعد الانقلاب الصيفي في النصف الشمالي من المريخ بمئة وستة وعشرين يوماً وكان قد بدأ سنة ١٩٠٣ بعد الانقلاب الصيفي في تلك السنة بمئة وثمانية وعشرين يوماً او مئة وتسعة وعشرين مما يدلُّ على دوام المقلبات الجوية في المريخ

الكونت دي برازا

توفي من عهد قريب الكونت دي برازا السائح الفرنسوي المشهور . وهو ايطالي الاصل ولد في ريوجنيرو بالبرازيل سنة ١٨٥٢ ولكنهُ تعلَّم في المدارس الفرنسوية واستعدَّ لخدمة البحريَّة . وسنة ١٨٧٦ قصد افريقية للاكتشاف فاكتشف منابع نهر اوجوي اكبر انهار غينيا الفرنسويَّة في غربي افريقية . وفي ١٨٧٩ بلغ البقعة التي سُميت فيما بعد برازافيل باسمهِ عند بحيرة ستنلي قبلما بلغ ستنلي اعالي الكونغو . وفي سنة ١٨٨٨ عيّن حاكماً عامًّا لبلاد الكونغو الفرنسويَّة فنظم ادارتها وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٩٧ فاستعفى لاعتلال صحتهِ

قتلى الوحوش في الهند

يؤْخذ مما ورد في بعض جرائد الهند ان عدد الذين قتلتهم الوحوش في الهند كلها بلغ ٢١٥٧ نفساً سنة ١٩٠٤ يقابلهم ٢٧٤٩ سنة ١٩٠٣ منهم ٧٨٦ قتلتهم الفهود يقابلهم ٨٦٦ في السنة التي قبلها و ٢٤٤ قتلتهم الذئاب يقابلهم ٤٦٣ سنة ١٩٠٣

والذين اماتتهم الافاعي سنة ١٩٠٣ كانوا ٢١٨٢٧ نفساً فزادوا حتى بلغوا ٢١٨٨٠ سنة ١٩٠٤ . وبلغ عدد الافاعي التي قتلها الاهالي ٦٥٣٧٨

المطر في الهند

يشتدُّ وقوع المطر في بعض انحاء الهند حتى يبلغ حدًّا يبعد عن التصديق . فقد بلغ ما وقع منهُ في مدة ٢٤ ساعة في مقاطعة شيموجا نحو ٢١ بوصة وذلك في شهر يونيو الماضي على حين ان متوسط ما يقع من المطر في سواحل سورية على مدار السنة بين ٣٠ و ٤٠ بوصة . ومتوسط ما وقع منهُ في المقاطعة المذكورة مدة ٣٥ سنة الماضية لم يزد على ٣٧ بوصة

بهما علوَّ ١٦ الف قدم . ولما ركباهُ كانت سرعة الريح ٣٠ ميلاً في الساعة وكانت تهب من الشمال الشرقي فصعدا بهِ الى مافوق الغيم حيث كان العلو ٩٠٠٠ قدم وسرعة الريح ٥٠ ميلاً في الساعة وهي تهبُّ من الجنوب الغربي فلما انتقل البلون من المجرى الاول الى الثاني المضادّ لهُ مال براكبيهِ بغتة ميلاً شديداً حتى كاد ينقلب بهما ثم عاد الى موازنتهِ الاولى وهو يسير صعداً . ولما بلغ علو ١٦٠٠٠ قدم سمع راكباهُ صوت الآلات تعمل في المناجم البلجيكية والالمانية تحتهما . ثم اقبل الظلام فهبطا الى الارض بعدما اجتازا اطول مسافة في ذلك السباق

وتسابق ١٣ بلونًا في ١٥ اكتوبر وبدأ السباق من حدائق التويلري في باريس فنزل بلون منها في المانيا نحو الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي بعد ان قطع ٨١٠ كيلو مترات ووصل آخر الى حدود النمسا نحو الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فقطع ٧٨٠ كيلو مترًا في تلك المدة . ونزل آخر في باڤاريا عند نصف الليل بعدان قطع ٦١٠ كيلو مترات وقطعت البلونات الاخرى مسافات متفاوتة في اوقات متفاوتة

السر جورج داروِن

انعم ملك الانكليز بلقب سر على الاستاذ جورج داروِن بن داروِن الشهير

نقولا بك توما

خسرت صناعة المحاماة محاميًا قوي الحجَّة وخطيبًا شديد العارضة . والنزالة السورية وجيهًا يفتخر في انديتها بانهُ نشوءُ ذراعهِ ومحسنًا يفتح ابواب الرزق في وجوه طالبيهِ . ولد في مدينة صيداء وهاجر الى القطر المصري فوصلهُ وليس في يدهِ سوى ريالين فانتظم اولاً في خدمة الحكومة ثم تعاطى صناعة المحاماة فاشتهر فيها حتى صار يعدُّ من نوابغ الطبقة الاولى بين المحامين وجمع ثروة طائلة ولكن اعتلَّت صحتهُ من كثرة الشغل ومضى في الصيف الماضي الى اوربا مستشفيًا فقضى نحبهُ في اڤيان في الخامس والعشرين من شهر اغسطس الماضي ونقلت جثتهُ الى القاهرة فوصلتها في ١١ اكتوبر واحتفل احتفال عظيم بدفنهِ فيها

الدكتور بشاره زلزل

هو من اسرة لبنانية وجيهة اشتهر بعض افرادها بالعلم والفضل . درس الطب في المدرسة الكلية السوريَّة وبرع فيهِ وكان من كبار المنشئين ولهُ مقالات كثيرة في المقتطف وغيرهِ من المجلات العلمية واشتغل بعلم الحيوان وجمع فيهِ كتابًا كبيرًا شرع في طبعهِ ونشرهِ من عهد قريب فلم يمهلهُ القدر حتى يتمهُ وكانت وفاتهُ في الحادي عشر من شهر نوفمبر الماضي فخسر ابناءُ المشرق بفقدهِ رجلاً يعدُّ من اركان النهضة العلمية الحديثة



مجلّة علميّة صناعيّة زراعيّة

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد الثلاثون

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXX

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

فهرس المجلد الثلاثين



الفصل السادس والثلاثون

من مرسيليا الى مصر

اليوم صحو والبرد قارس والناس يمرون في الشوارع ذهاباً واياباً متلفعين متلثمين كأنهم في اواسط فصل الشتاء . وباعة السمك والمحار عابسون ممتقعون لم يصطادوا شيئاً في الليل الغابر لشدَّة الانواء . وقد انحلَّ عقد الاعتصاب وعاد عمَّال الرصيف الى اعمالهم بعد ان عضهم الجوع فشحنوا السفن ونقموا على رؤسائهم الذين اغروهم باعتصاب لم يجنوا منهُ غير الضرر

ركب السر ادورد برون وزوجتهُ لادي برون سفينة من السفن الانكليزية الكبيرة التي تذهب الى الشرق الاقصى وفيها عدد عديد من الركاب اكثرهم من الانكليز الموظفين في مصر والهند استأجروا اماكنهم فيها من لندن ووافوها برًّا الى مرسيليا افتداء للوقت وتخلُّصاً من انواء خليج بسكي . ولما ابعدت بهم السفينة عن البر نشر البحارة خيمة على ظهرها كالبيت المحكم وانتشر الركاب فيها زرافات ووحداناً وجلست لادي برون الى جانب زوجها ودار بينهما الحديث التالي

لادي برون — لم اتعب في حياتي كما تعبت الآن . ياحبذا لو اتينا بطريق جبل طارق

السر ادورد برون — المسافة من لندن الى مصر بطريق جبل طارق اثنا عشر يوماً وبطريق مرسيليا ستة ايام وما ادرانا انهُ لا يكون نوء في الاتلنتيكي كما يكون عادة في هذا الفصل من السنة ثم اني انا كنت معكِ ولم اتعب

لادي برون — انتم الرجال تقوّون اجسامكم بالرياضة وتنسون اننا نحن النساء لم نكن نفعل ذلك فلا نستطيع تحمل المشاق مثلكم اما بناتنا فربين على غير ما ربينا نحن ولا اظن ان هنري اقوى على تجشم المشاق من دورا . كم تظن اننا ابعدنا عن البر الآن يا ادورد

السر ادورد — لا اقل من اربعين ميلاً يا ادث لان السفينة تسير ثمانية عشر ميلاً في الساعة وقد مضى الآن اكثر من ساعتين من حين اقلعت بنا

لادي برون — ما اسرع ما يمضي الوقت مضت ساعتان كأنهما دقيقتان . اتظن يا ادورد اننا نلتقي بهنري ودورا في بورت سعيد

— كلاَّ لانهما يدخلان القطر المصري بطريق السويس وسيسبقاننا الى مصر ببضعة ايام فنجدها هناك . وقد اخبرتهما بالتغراف ان ينزلا في هوتل سافوى حيث نزلا اولاً وحيث استأجرنا شقَّة للنزول فيها

ومرَّ اليوم الاول والثاني والثالث من غير ان يحدث في الباخرة شيءٌ غير عادي فقضى

فهرس

فيها سطرين مفادها اننا نحن ركاب الباخرة الكسندرا نلتمس من قبطانها ان يمر بنا على الاسكندرية ويقف بها ولو ساعتين من الزمان . ووقّع الورقة ودار بها على الركاب في الدرجة الاولى والثانية فوقّعوها مبتهجين وكان اذا توقف احدهم عن توقيعها يبسط لهُ الذين حولهُ واقعة الحال ورفعوا الورقة الى القبطان وتناولها السر ادورد وكتب تحتها انهُ يقوم بكل النفقات التي تترتّب على تغيير خطة الباخرة فقبل القبطان طلبهُ ووجّه الباخرة الى الاسكندرية فوصلتها في اليوم التالي

ولم يكد السر ادورد يصل الى البر حتى بعث بالتلغرافات الى عدن ولندن يسأل عما حلّ بالباخرة اكاديا وعن اسماء الغرقى واسماء الناجين . وسارت لادي برون معهُ الى بيت التلغراف وجلست هناك تنتظر الجواب وهي غائصة في بحار اليأس تتصور ولديها تتقاذفهما الامواج وقد امسك هنري بذراع دورا يحاول السباحة بيمينهِ ورفع رأسها فوق الماء بيسارهِ فيصعد قلبها بصعودهما فوق الماء ويهبط بهبوطهما فيهِ ثم تتعالى اللجج وتغمرهما ويرغي البحر ويزبد حيث غاصا فيهِ فيغوص قلبها في صدرها وينقطع نفسها حتى تكاد تختنق ثم تلوح لها بارقة امل اذ ترى الزوارق مسرعة لانقاذ ولديها فتتنفس الصعداء وتشير بيديها وعينيها الى حيث غاصا في الماء وينقطع نفسها ثانيةً وتقف بين اليأس والرجاء وكأن حياتها معلقة بتلك الزوارق . وظلت على هذه الحال الى ان خارت قواها وكثر الفضول في دماغها فأُغمي عليها وتاهت في فيافي الهجران لا تعي على شيء

الفصل السابع والثلاثون

كشف المخبإ

القاهرة قائمة قاعدة ولا حديث للناس ولا بحث للجرائد الاّ في سرقة بنك الخواجه لاڤي والخواجه عزرا .وقد ثقل الرزء على الخواجه لاڤي فرزح تحتهُ مع ان ما سُرق لهُ لا يوازي جزءًا صغيرًا من ثروتهِ فكيفما التفت اليهِ رأيتهُ مبهوتًا يتمتم وينغض رأسهُ مرةً بعد اخرى كأنهُ يحسب الاموال التي فقدها ويفكر في الاساليب التي توصل الى استرجاعها ثم يرى انها عقيمة فيرفضها . وحذت زوجتهُ حذوهُ كأنها تشرّبت اخلاقهُ كلها من هذا القبيل ورزح بها الهمُّ فكانت تقضي اكثر وقتها في سريرها . اما يوسف فلم يبالِ بما حدث ولا اقتصد في نفقاتهِ بل كان يقول لمن يكلمهُ في هذا الموضوع ان ابي يريد ان يترك لي مال روشيلد وانا لا اريد ان احمل حملاً عجز هو عن القيام بهِ . ولكنهُ لم يكن يجسر ان يكلم اباهُ في هذا

الركاب هذه الايام الثلاثة في الاكل والشرب واللعب والنوم والتفكه بالحديث • ولما مروا بوغاز مسينا كان البحر هائجًا ولكن هيجانهُ لم يكن شديدًا فلم يُصَب بالدوار الاَّ بعض الركَّاب • والسفينة كبيرة ووسقها كثير وكل ما فيها نظيف جدًّا والفحم الذي يوقد فيها قليل الرائحة القطرانية فساعد كل ذلك على اراحة ركَّابها ونجاتهم من الدوار لا سيما وان الرجفان الذي ترجفهُ بعض البواخر فيقلق الركاب لم يكن في هذه الباخرة. وفي صباح اليوم الرابع كانت لادي برون تقلّب الجرائد في غرفة القراءة فوجدت في جريدة مرسيليا الصادرة يوم سفرهم منها تلغرافًا من عدن منشورًا بحروف دقيقة في مكان لا يستلفت النظر يقال فيهِ ان الباخرة اكاديا من بواخر الباسيفيكي غرقت عند ساحل سقطرى بمَن فيها • فلما وقع نظرها عليهِ ذهلت لحظة من الزمان كانها في حلم ثم صرخت صرخةً منكرةً ووقعت الجريدة من يدها وكان زوجها يكتب الى جانبها فنهض اليها مذعورًا وقال ماذا ماذا فالقت رأسها على كتفهِ وهي تقول اولادنا اولادنا الباخرة التي كان فيها اولادنا الباخرة اكاديا غرقت بهما غرقت غرقت آه يا هنري يا دورا يا ولدينا يا ربي ما هذه البلية ما هذه المصيبة انظرْ انظرْ اقرأ غرقت غرقت كان قلبي يحدثني بذلك من حين ارسلناهما الى هذه الحرب المشومة لعن الله الطمع لعن الله المال نضحي انفسنا واولادنا لاجل مصلحة الامَّة لكي تزيد الاموال في صناديق الاغنياء آه يا ربي ما هذه المصيبة • وجعلت تبكي وتنتحب . وتناول السر ادورد الجريدة ونظر فيها سريعًا الى ان وصل الى التلغراف المرسل من عدن فارتجفت يداهُ واصطكَّت ركبتاهُ وحُصر عن الكلام • واجتمع الركاب حولها هذا يقول خسر في البورصة وهذا يقول احترقت ادارتهُ • وسمعت امرأَة كلام لادي برون فقالت للذين حولها ان اولادها غرقوا في البحر الظاهر انهم نزلوا ليسبحوا فغرقوا • واسرع بعض معارفها ليسألوها عن جلية الخبر فاشار السر ادورد الى التلغراف وقال بصوت خافت ان ولدينا كانا في هذه السفينة . فوقع كلامهُ كالصاعقة على جميع الذين سمعوهُ وجعلوا يتناجون في ما بينهم قائلين ما اعظم هذه المصيبة وما افدحها . وغلب الحزن على بعض النساء ولا سيما اللواتي لهنَّ اولاد في الغربة وجعلت كلٌّ واحدة تفكّر في اولادها . ثم ان السر ادورد تجلَّد وقام وسأل القبطان عمَّا اذا كان يستطيع ان يدخل بهم مرفأً من المرافئ القريبة ليبحث عما حلَّ بركاب اكاديا فقال ان اقرب مرفإ الينا مرفأ الاسكندرية ولكن مرورنا عليها يؤخر البريد ويضرُّ بالمسافرين عدا عمَّا يلحق شركة البواخر من الخسارة . فقال السر ادورد اما خسارة الشركة فانا اتحملها مهما كانت واما البريد والركاب فلا سبيل لي لارضائهم واطرق اطراق اليئس القانط • وادرك الركاب مرادهُ وكان بينهم رجل مقدام فاخذ ورقة وكتب

لحص دفاتره انهُ لم يكتفِ بالسرقة ومشاركتهِ اللصوص بل زوَّر دفاترهُ في اماكن كثيرة فاختلس من الذين كانوا يشتغلون معهُ اموالاً طائلة

ثم وقف رئيس النيابة وجعل يبسط الادلة التي اوصلتهم الى اكتشاف السرقتين والسارقين وكان اقواها آثار انامل عزرا على الخزنتين كما ظهرت في الصور الفوتوغرافية التي صورت الخزنتان بها بُعَيْد السرقة واورد اقوال الثقات في ان آثار الانامل ادل دليل على صاحبها لان شكل الخطوط التي في انامل الشخص الواحد لا يلتبس بشكل الخطوط التي في انامل غيرهِ . واستغرقت مرافعة رئيس النيابة نحو ساعتين فلم تبقَ شبهة عند احد ان اللصين المقبوض عليهما هما اللذان سرقا السرقتين وان عزرا شاركهما في ذلك لا سيما وقد وُجدت المسروقات كلها في بيتهِ اما شريكاهُ يهوذا وحاييم فكانا غائبين

وتكلَّم بعدهُ المرافع عن اللصين فقال انهما أُغريا اغراءً اغراهما عزرا بذلك لغرض في نفسهِ لا بقصد السرقة واختلاس الاموال وطلب ان ترفق المحكمة بهما . ثم تكلَّم حنين افندي مدافعاً عن عزرا فبسط الكلام على اماني الشبيبة وكيف تحسّن للشبان عمل اعمال يتجنبونها لو قدَّروا عواقبها وما ذلك عن قصد سيءٍ بل عن خلل في قواهم العقلية سببهُ شدَّة القوة الحيويَّة فيهم وكثرة توارد الدم الى ادمغتهم فيحرف احكامهم ويحملهم على ارتكاب الموبقات وشأنهم في ذلك شأن المجانين الذين لا يطالَبون بما يفعلون . وافاض في هذا الموضوع واشار الى حب عزرا للسيدة استير واليأس الذي وقع فيهِ لما رآها تعرض عنهُ ازدراءً وتزيين الهوى لهُ ان يوقع اباها في ورطة ثم ينقذهُ منها لكي يكتسب رضاهُ ورضاها . واستشهد على صحة حجتهِ باقوال كثيرة لمشاهير الاطباء وبان عزرا احتفظ بكل ما اخذهُ من خزنة الخواجه لاڤي لم يفرط بقرش منهُ ثم طلب ان يعامل بالرحمة

اما احمد بك المطالِب بالحق المدني فلم يطلب سوى ان ترد الاموال وفوائدها ولم يعارض في طلب الرحمة للمدَّعى عليهم

وقام القضاة للمداولة فتداولوا دقائق قليلة ثم اصدروا حكمهم بنفي بني اكوليلو ورفيقهِ وبالسجن سنتين على عزرا وبرد المسروقات الى اصحابها وبان يدفع عزرا فائدة الاوراق المالية بمعدل سبعة في المئة وسائر النفقات

وكان عزرا قد استدعى حنين افندي الى السجن قبل المرافعة بيوم وانفرد بهِ ساعة من الزمان وعاد حنين افندي من عندهِ ومرَّ على مكتب احمد بك وسار بهِ الى بيت الخواجه لاڤي وقال مخاطباً الخواجه لاڤي ان عزرا ولدكم وابن امتكم وقد زيَّن لهُ الغرور انهُ اهل لان

الموضوع لان اباهُ كان ينتهرهُ ويزيد همًّا وغمًّا فترك الامور تجري مجراها

واما استير فكانت كاللبوة الثاكل فلم تترك سبيلاً للبحث الاَّ طرقتهُ لا حبًّا بالمال بل رغبةً في اكتشاف السارق · وتولَّت مقابلة المحامي ورئيس النيابة ورؤَساء البوليس الى ان انتهت التحقيقات على ما تريد · وقبل ان ترفع القضية الى المحكمة جاء خبر غرق الباخرة التي كان فيها هنري واختهُ فاسودَّت الدنيا في عينيها وطار صوابها وصار شغلها الشاغل تعزية بهيَّة

وقد تضاربت الاقوال في امر السرقتين وخاضت الجرائد فيهِ على خلاف عادتها وجعل بعضها يصدر نشرات اضافية في المساء او في الصباح لإذاعة ما ظهر من مخبآت المسألة او لايهام القراء ان آثار السرقة وجدت في اماكن بعيدة. وانتشر البوليس السري في احياء العاصمة وانحاء القطر وجعلت البنوك تفحص كل ورقة مالية تقدَّم لها واهتمت النيابة العمومية بالامر اهتمامًا غير عادي لاسيما وان رئيسها الاول استعفى من منصبهِ او أُوعز اليهِ ليستعفي منهُ . وشاع ان الحقانية اهتمت بمذكرة المحامي عن الخواجه لاڤي في مسألة السائق والايطالي حيث قال فيها ان ليس الغرض من المحاكم ان تحكم بان حجَّة زيد اقوى من حجَّة عمرو كما يفعل اهل الجدَل بل ان تكتشف الحق وتبيّنهُ · وحسبت ان ذلك مبدأ قانوني وآخذت القضاة لانهم لم يهتموا بالبحث لاكتشاف الرجل الذي اغرى ذاك الايطالي بطرح نفسهِ امام المركبة . ولما قال لها احدهم انني كنتُ اعلم ان الرجل مغرًى بهذا الفعل ولكن المحامي لم يبين مَن اغراهُ بهِ وليس من شأني ان اقوم مقام المحامي في اظهار حق موكلهِ عنَّفتهُ تعنيفًا شديدًا وخيَّرتهُ بين ان يستعفي او يُحاكَم فاختار المحاكمة اولاً ثم اختار الاستعفاء · ورسخ في الاذهان من ذلك الحين ان القضاء يطلب من القضاة ان يظهروا الحق ولو عجز المحامون عن اظهارهِ

واتفق ان حدثت هذه الامور كلها في غضون التحقيق عن السرقتين فزاد الاهتمام بهما والقى البوليس القبض على ثلاثة ترجحت التهمة عليهم وعزرا في جملتهم · أُلقي القبض عليهم كلهم في ساعة واحدة وسيقوا الى السجن وضرب اجل لمحاكمتهم بعد ستة ايام · ولما شاع ان عزرا في جملة المتهمين تضاربت الاقوال والظنون وظن الاكثرون ان النيابة مخطئة في عملها او انهُ يتعذَّر عليها ان تثبت التهمة عليهِ وغصَّت المحكمة وساحتها بالناس قبل المرافعة بساعتين وأُتي بالمتهمين ووضعوا في قفص المجرمين وذكر القاضي خلاصة التهمة وهي ان الخواجه عزرا تواطأ مع اثنين من اللصوص فقلدوا مفاتيح الخزانة التي في بنك الخواجه لاڤي وسرقوا ما فيها ثم قصدوا اخفاء فعلتهم فكسروا خزانة الحديد التي في بنك الخواجه عزرا واخذوا كل ما فيها ولاسيما دفاترهُ وان المسروقات كلها وجدت في بيت الخواجه عزرا نفسهِ وظهر من

وديعتهِ . ورعمسيس الكبير الذي ضاقت بهِ الدنيا بما رحبت احتواهُ صندوق صغير في المتحف الجديد وجلس بين آبائهِ واولادهِ وقد غارت عيناهُ ولصق جلدهُ بعظمهِ

في تلك الليلة انيرت دار واصف بك ونصب في حديقتها سرادق فخيم قُلعت لهُ الرياحين من خمائلها وأُبدلت بالبسط الوثيرة ووضعت فيهِ الكراسي والمقاعد المذهبة وعلقت فيهِ الثريات الكبيرة وأُبدلت شموعها بالكهربائية وتخلَّلت انوار الكهرباء اغصان الاشجار ونابت فيها مناب الاثمار ووقفت الموسيقى العسكرية امام الباب الكبير تحيي المدعوين وجماعةٌ من جلَّة الشبان يستقبلونهم رجالاً ونساءً وهم من كل الامم القاطنة في القطر المصري والسيَّاح الذين يفدون اليهِ كلَّ شتاء من الاقباط والعرب والشوام والاتراك والجراكسة والفرس واليونان والطليان والانكليز والفرنسويين والالمان ومن كل طبقات الناس من نظَّار الحكومة ومستشاريها وكبار الموظفين فيها ووكلاء الدول الاوربية وكبار ائمة الدين ورؤَساء التجار ومديري الشركات وارباب الاملاك واصحاب الصحف . واكثرهم بالزي الافرنجي او التركي وبعضهم بالزي البلدي وكلهم بافخر ملابسهم ولاسيما النساء الاوربيات والاميركيات فانهنَّ كنَّ بحلل المساء تتألق الجواهر في رؤُوسهنَّ ونحورهن وتتضوَّع الروائح العطريَّة من طاقات الازهار في اياديهنَّ

وفي الساعة العاشرة عزفت الموسيقى المجرية في غرفة عالية تطلُّ على الدار الداخلية وكانت هذه الدار قد أُعدت للرقص وهي من ارحب دور القاهرة واعلاها بنيانًا وقد وقف حولها مئات من الرجال والنساء في الغرف المحدقة بها متهيئين للرقص فيها ودخلها اربعة ازواج كهلان وكهلتان وفتيان وفتاتان فافتتحوا الرقص على نغم الموسيقى فاشترك فيهِ نحو اربعين او خمسين من الحضور وتناوبوا ادوارهُ الى منتصف الليل وفتحت البيفه حينئذٍ فدخلها المدعوون رجالاً ونساءً وهي حاوية افخر ما طهاهُ الطهاة واندر ما رأتهُ الموائد واعتق ما حوتهُ الدنان

ووقف الامام احمد مع حليم بك في شرفة من شرفات الدار وقال لهُ لقد صدق الشاعر حيث قال —

اذا اشتملتْ على اليأس القلوبُ وضاق بما بهِ الصدرُ الرحيبُ
واوطنتِ المكارهُ واطمأَنتْ وارستْ في مكامنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضرّ وجهًا ولا اغنى بحيلتهِ الاريبُ
اتاك على قنوط منك غوث يمنُّ بهِ اللطيف المستجيبُ
فكل الحادثات وان تناهتْ فمقرونٌ بها فرَجٌ قريبُ

مَن كان يحسب اننا في اقل من سنة ينفرط عقدنا ثم ينتظم ويتفرَّق شملنا ثم يجتمع

يفترن بابنتكم حاسباً ان البنت مهما كان ابوها ترتضي بفتى مثل اخيها ولا يقلّ سعياً عن ابيها. وعزرا كما تعلم من اكثر شبان امتكم سعياً وقد كسب ثروةً طائلة في سنتين من الزمان فلما رأى ان السيدة استير تنظر اليهِ شزرًا وان كل توددهِ اليها لم يجدهِ نفعاً طار صوابهُ وفعل فعل المجانين وانا اقدر ان اثبت لك طبيًّا يا خواجه لاڤي ان الولد جُنَّ وما هذه اول مرة جُنَّ فيها العاشق ففعل فعل المجانين واتفق مع اللصوص على سرقة مكتبك لا طمعاً بالمال بل لكي يكتشف لك السرقة اخيرًا و يقلدك منّةً وظنَّ ان يضيف امواله ايضاً الى المسروقات حتى يجد اموالك بحجة التفتيش عن اموالهِ فالقصد حسن كما ترى ولكن فعلهُ في حد الحماقة لا يفعلهُ الّا المجنون فارحم شبابهُ وارحم ذويهِ ولا تقضِ عليهِ قضاءً مبرماً

فتأثر الخواجه لاڤي من هذا الكلام وقال لا مانع عندي اذا كان احمد بك يرى وجهاً للعفو عنهُ ولكن لا بدَّ من ان يرد لي اموالي كلها مع فوائظها مدة شهر او اكثر

فقال حنين الاموال كلها في المحافظة وستتسلمها اليك بعد الحكم

الخواجه لاڤي — والفوائظ

حنين افندي — انا اتعهد لك بها على معدَّل خمسة في المئة كما تقدرها المحكمة

الخواجه لاڤي — انت تعلم ان القطع غالٍ الآن والبنوك لا تسلف الَّا بسبعة في المئة فلا اقبل الّا سبعة في المئة

فقال حنين افندي سبعة في المئة سبعة في المئة فقُلْ لاحمد بك ان لا يطالب بالحق المدني بل يؤيدنا في طلب الرحمة

فسُرَّ الخواجه لاڤي لانهُ لم يكن يشاء الانتقام من عزرا بل كان يشفق عليهِ وطلب من احمد بك ان يفعل كل ما في وسعهِ لانقاذهِ ولما بلغهُ حكم المحكمة سُرّي عنهُ وودَّ لو أُطلق سبيلهُ وودَّت استير ان يكون عقاب عزرا اشد ولكن سرورها باكتشاف اللصوص وحزنها على هنري واخيهِ صرفاها عن الاهتمام بامرهِ ولا سيما بعد ان علمت انهُ فعل ما فعل حبًّا بها

الفصل الثامن والثلاثون

الخاتمة

القمر بدرٌ والسماء صحو وجوُّ القاهرة لا ضبابَ ولا غبارَ كأنهُ تهيأ لرصد الكواكب. وابو الهول يرقب النيل جاريًا في مجراهُ ورمال الصحراء تتهيَّب حماهُ . والهرم الاكبر واقف كاسف البال كأنهُ مجرم يخشى العقاب لانهُ لم يمنع اللصوص من هتك حرمتهِ واختلاس

وما بينهم من الاختلاف ليس بضائر اذا لم يستعملوهُ وسيلة للضرر ولا سبيلاً للكسب

وبينما كانا يتكلمان دنا منهما هنري وبهية متكئة على ذراعهِ وسلّما عليهما فهنأهما الامام احمد واعاد لهما بعض حديثهِ الاخير فشكرهُ هنري على ما سمعهُ منهُ من الاقوال الفلسفية والتهانئ القلبية والتفتت بهية الى حليم بك وقالت ان جمال تلك الليلة لا ينقصهُ الآ حضور حليمة . ثم اقبل السر ادورد برون مع مدام واصف بك وواصف بك مع مدام لاڤي والخواجه لاڤي مع لادي برون وامين بك مع استير والخواجه يوسف مع دورا ووقف الكل حول هنري وبهية والامام احمد وحليم بك والتفتت بهية الى من حولها وفي لحظة من الزمان مرّ امام مخيلتها ما مرّ بها وبالذين حولها من العبر منذ التقوا في البالُو الخديوي الى تلك الساعة فجالت الدموع في عينيها دموع الشكر للعناية التي بدّلت ايام البؤس بايّام النعيم وجمعت شملها بحبيبها بعد ذاك الفراق الاليم

وعُرضت هدايا العروس وكان بينها الماسة اليتيمة المعروفة بباشا مصر وثقلها تسعة واربعون قيراطاً ويقدّر ثمنها بنحو ستة واربعين الف جنيه اهداها واصف بك الى ابنتهِ بعد ان صاغها لها في قلادة لتعلق في عنقها فدلّت على ان ثروتهُ تفوق ما قدّرهُ المقدرون

بينما كان الاحتفال قائماً في دار واصف بك باقتران ابنتهِ كان الخدَم يحتفلون باقتران آخر فقد حضر شيخ من المأذونين وكتب كتاب قدم خير جارية بيت الخواجه لاڤي على عبد الله خادم بيت واصف بك واستأذن الاثنان اسيادهما في السفر الى بلادهما واهدت اليهما بهية واستير ومدام واصف بك ومدام لاڤي هدايا كثيرة . ولم يكن سرور الخدم اقل من سرور اسيادهم اما زين الدار خادمة عزرا فلم تشاركهم في افراحهم بل ذهبت الى السجن لتخدم سيدها فيهِ وكانت اعطف الناس عليهِ واشدهم ولاءً لهُ

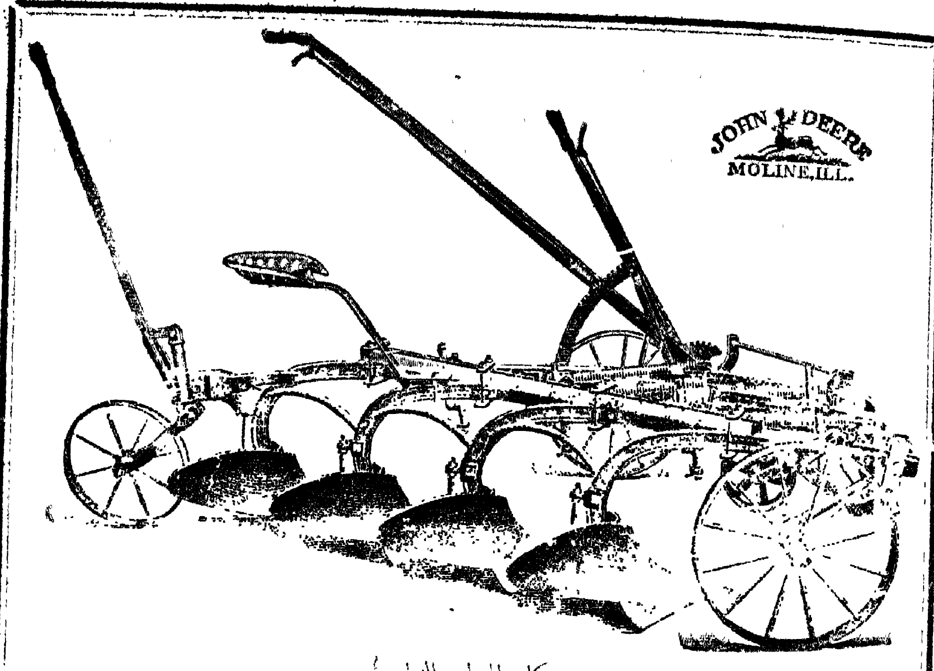
تنبيه — وقع في هذه الرواية كثير من الخطإِ المطبعي ووقع فيها ايضاً خطأٌ من قبيل السهو كذكر بهيَّة بدل حليمة في الصفحة ٧٧ والسطر ١٨ وذكر السر هنري بدل السر ادورد في الصفحة ١١٤ و١١٥ و١١٦ واستير بدل بهيَّة في السطر ٦ من الصفحة ١٤٤ وكل ذلك مَّما لا يخفى اصلاحهُ على القارىء اللبيب

وتحلُّ بنا البلايا والمحن ثم تنفرج ونعود الى احسن مما كنا . من كان يظن ان حليمة يخرق الرصاص صدرها ويتولاها المرض والنحول ويقضي الداء عليها ثم تبعث حيَّة وتسترد قواها في شهر من الزمان . ولطالما كنتُ اجهل الحكمة من غسل الموتى واقول في نفسي لا بدَّ من سبب لهُ الى ان استفاقت حليمة وهي تُغسل وتكفَّن لتدفن فرأيتُ الحكمة في ذلك واضحة كالصبح لذي عينين ولولا غسلها لوارِيناها التراب وهي في قيد الحياة . ولقد قرأتُ عن كثيرين فُتحت قبورهم فظهر انهم دُفنوا فيها احياء وهم في حالة الاغماء ثم استفاقوا وحاولوا الخروج منها فقضي عليهم بعد ان ذاقوا العذاب الوانًا

ومثل حليمة هذا الشاب الانكليزي الذي اكتنفتهُ اللجج ثم قذفت بهِ بعد ان قُطع كل رجاء من نجاتهِ ولقد سمعت بالامس قصتهُ وقصة اختهِ من بعض الذين شاهدوها من ركّاب الباخرة التي كانا فيها فلم ارَ في اقاصيص الاولين والآخرين ما هو اغرب من نجاتهِ

أَوَلا تحسب نجاة امين بك من هذا القبيل بعد ان سقط امام مركبة الترامواي وكاد عجلها يسحق رأسهُ أَضف الى ذلك النجاة من الافلاس الذي قصدهُ عزرا الخبيث لهذا البيت الكريم وبيت الخواجه لاڤي انتقامًا من استير لانها عرفت مكرهُ وابت ان تقترن بهِ . ولقد جاء الحكم عليهِ مؤدبًا لهُ ورادعًا للمحتالين عن التمادي في غيهم وسيق الى السجن عدلاً وعادت الاموال الى اصحابها والفضل في ذلك لاستير التي اكتشفت اكثر مخبآت هذه القضية بذكائها وفطنتها فعاد كل شيء الى نصابهِ وعدنا الى افضل ما كنا عليهِ بمجيء لورد بنشيلد الى هذا القطر لانهُ ابتاع من الحكومة مئة الف فدان وعقد لها شركة ووزع اكثر اسهمها على بيت الخواجه لاڤي واصدقائهِ . واني احسب اقتران هذا الفتى الانكليزي بابنة مصريَّة من تباشير اقتران الغرب بالشرق فلقد فصلت بينهما الاغراض السياسية زمانًا طويلاً من قبل عهد الاسكندر ذي القرنين وعسى ان يتصلا بعد الآن فيزول ما نراهُ من النفور بين الشرقي والغربي . وهذا العقد الشريف عقد الزيجة الذي طالما وصل بين الشعوب والقبائل من عهد المصريين القدماء والَّف بين الامم المختلفة هو الضمان الوحيد لإعادة الامتزاج بين دماء الشعوب ونزع ما تولَّد فيها من الفوارق بتوالي الازمان

ولقد حضرت الاحتفال باقترانهما في الكنيسة المرقصية الكبرى وحضرهُ غيري من ائمتنا مع نظَّار الحكومة ومستشاريهم ووكلائهم فراقني ما رأيتهُ من اجتماع المسلمين والمسيحيين والاسرائليين ومن اشتراك اساقفة المذهب الانكليزي مع اساقفة المذهب القبطي فان ذلك كلهُ من ادلَّة التقرُّب الواجب بين المذاهب والملل ولو شاء ربك لجعل الناس امةً واحدة



سكك المحرات البخارية

فتحنا محلاً جديدًا في شارع باب الحديد امام شركة قنال السويس جعلناه معرضًا للآلات الزراعية والصناعية كما يأتي

وابورات ثابتة · وابورات نصف ثابتة

وابورات لوكوميبل · وابورات تدور بالغاز

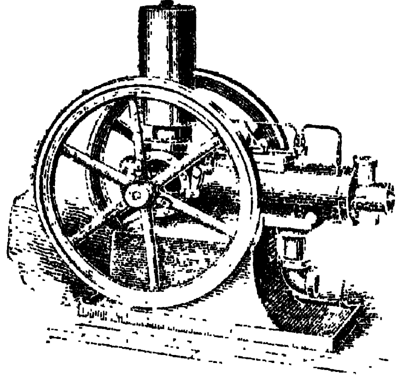
وابورات تدور بالبترول . محاريث بخارية خصوصية

آلات تولد الكهربائية تنير عشرين لمبالى مئتي لمبا

آلات دراسة . آلات لحفر الآبار الارتوازية

طلمبات لرفع المياه · قصابيات كبيرة تجرها الآلات البخارية . قصابيات صغيرة تجرها المواشي

مطاحن غلة



وابور يدور بالبترول

وجميع هذه الآلات مصنوعة في اشهر معامل اميركا وانكلترا وفائدتها مثبتة بالامتحان وهي من احدث طرز واجوده واوفره

والمعرض مفتوح دائمًا لمن يريد مشاهدة ما فيه من الآلات والادوات التي تهم المزارعين كبارهم وصغارهم وكل زائر يقابل بالترحاب وتشرح له فائدة كل آلة ومزاياها

ومحلنا في شارع البواكي مستعد لقبول جميع الطلبات واعطاء كل الاستعلامات

نمرة التليفون ١٢٣٠ نجيب صرّوف وشركاه

(٢) المدرسة الصيدلية — مدة التدريس فيها ثلاث سنوات مع الاشتغال العملي في المعمل الكيماوي والتمرين

وقد اعترفت الحكومة العثمانية بالمدرسة الطبية والمدرسة الصيدلية وهي ترسل لجنة من الاطباء لامتحان المنتهين من تلامذتهما . والتلامذة الذين يفوزون في الامتحان ينالون دبلوما المدرسة والدبلوما السلطانية التي تخولهم ممارسة صناعتهم في كل الممالك العثمانية

(٣) المدرسة الكلية العلمية — مدة التدريس فيها اربع سنوات في اللغات والآداب والفلسفة والتاريخ والرياضيات والعلوم الطبيعية المؤدية الى احراز البكالوريا

(٤) مدرسة التجارة — مدة الدرس ثلاثة سنوات يُعلم فيها مسك الدفاتر واساليب التجارة وقانون التجارة والكيميا الصناعية وعلم الاقتصاد والانكليزية والعربية والتركية والفرنسوية والالمانية واليونانية ونحوها مما يؤهل التلميذ لمعاطاة الاشغال التجارية وينال رتبة البكالوريا في التجارة

(٥) القسم الاستعدادي — مدتهُ خمس سنوات ويعلَّم فيهِ التعليم الابتدائي في العربية والانكليزية والحساب والجغرافية وغير ذلك من العلوم ولا يقبل فيهِ تلميذ عمرهُ اقل من احدى عشر سنة

ولغة التعليم في هذه الاقسام كلها الانكليزية . ومن شاء زيادة الاستعلام عنها والاطلاع على كتابها السنوي فليطلب ذلك من الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت (سورية)

قرش صاغ	
٠٦٠	المجلد الاول الاسبوعي من المقطم
٠٤٠	" الثاني " " "
٠٢٥	تاريخ سوريا لجرجي افندي ينى
٠٥٠	اصول الفسيولوجيا للدكتور ورتبات
٠٥٠	تاريخ فرنسا
٠٥٠	شرح قانون التجارة
٠٣٠	مجمع البحرين مقامات الشيخ اليازجي
٠٣٠	شرح قانون العقوبات
٠٣٠	حقوق الدول
٠٢٠	عنوان الشرف
٠٢٠	شرح بخنر على دارون
٠١٠	سفر السفر الى معرض الحضر
٠١٥	نكبات الشام
٠١٢	دليل الاحداث ترجمان عربي وفرنسوي وانكليزي
٠١٥	فضائل الماسونية
٠١٠	الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية
٠١٠	الآداب الماسونية

قرش صاغ	
٠١٠	الاسرار الخفية في الجمعية ...
٠١٠	الكنز المصون في درجات ...
٠١٠	الاميرة المصرية
٠١٠	سفر السلام في بلاد الشام
٠١٠	عمال المجمع العلمي الشرقي
٠١٠	رواية ما تفعله اليوم تلقاهُ غداً
٠١٠	الحقيقة لاثبات مذهب دارون
٠١٠	رواية الطواف حول الارض
٠٤٥	ديوان التعاويذي
٠٠٧	الحلى الفيروزية ترجمان انكليزي وعربي
٠٠٧	المبادي الاسهة ترجمان عربي وفرنسوي
٠٠٦	الاهوية والمياه والبلدان لابقراط
٠٠٥	رواية المعتمد
٠٠٣	مدخل الطلاب في علم الحساب
٠٠٣	المنتخب
٠٠١	العادة

تقرير اللورد كرومر

اصدرت ادارة المقطم تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان سنة ١٩٠٤ وهو تاريخ لهما في تلك السنة حاوٍ اصدق الوقائع واشهر الحقائق التي تدل على تقدم الاحوال فيهما وقد طبع بحرف جميل على ورق جيد فجاء اكبر من كل ما تقدمهُ من التقارير ... مطبعة المقتطف ووكلائهِ في الجهات وثمن النسخة منهُ ٨ غروش صاغ تدفع سلفاً

المقتطف

مجلّة علميّة صناعيّة زراعيّة

لمنشئَيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد الحادي والثلاثون

الجزء الاول

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٦

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

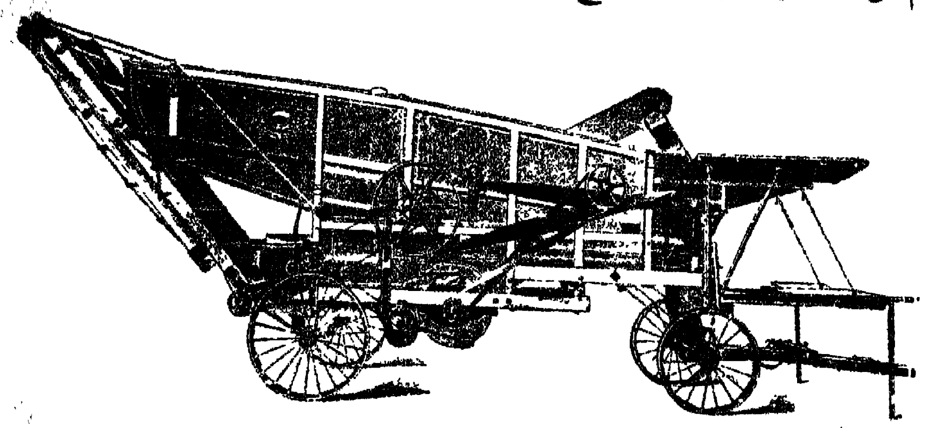
VOL. XXXI

No. 1, January 1906

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.

الوكلاء الوحيدون في القطر المصري والسودان للفاوريقات الاميركانية على انواعها وم
ـ ون لجلب وابورات الريّ والحرث والآلات والادوات الحديدية والنحاسية على اشكالها
ـها وبضائع المانيفاتورة والجلد على اشكاله وجميع ما يطلبهُ التجار واصحاب الاطيان وارباب
ـن والورش . وقد امتازت بضائعهم على غيرها بحسن صنعها ومتانتها ورخص اثمانها بالنسبة الى
ـيات الاوربية وشهد لهم الذين عاملوهم بذلك كما يرى من الرسائل والكتب المحفوظة
ـم فمن اراد شيئاً من هذه البضائع فليخابرهم رأساً



دراسة تدرس الغلة والارز وغيرهما من الحبوب درساً جيداً نظيفاً بدون تكسير وهي
ـر على وابور محراث او اي وابور غيره من قوته وتوجد عدد منها شغالة الا ن في الوجه
ـري والوجه القبلي

محراث صروف البخاري

هو ارخص المحاريث البخارية واقواها واقلها نفقة يحرث من نصف فدان في الساعة الى
ـنين او ثلاثة حسب صعوبة الارض وسهولتها وحسب كونه صغيراً او كبيراً وقد اعتمد
ـه كثيرون من ارباب الزراعة

والمحراث البخاري الصغير يمكنهُ ان يحرث الى عشرة افدنة في النهار ولا تزيد نفقاتهُ
١٦٠ غرشاً ثمن فحم وزيت وشحم واجرة مهندس ووقاد وحرّاث وسائر اللوازم . والحرثة
ـبه مثل حرثتين بالمواشي فكانهُ حرث عشرين فداناً بمئة وستين غرشاً

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الحادي والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٦ — الموافق ٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٣

معاهد الزلازل



كتب الدكتور ملت منذ مدة كتاباً في الزلازل قال فيهِ انهُ ليس في الارض بلاد الا وتنتابها الزلازل ولكنها تكون في بلاد رجفاناً خفيفاً لا يكاد يشعر بهِ وفي أُخرى هزات عنيفة تميد بها الارض وتمور فتنقد الجبال او تدكها وتخرب المنازل وتقتل ساكنيها وتترك الربوع الزاهرة اطلالاً دارسة كما جرى اخيراً في بلاد كلابريا من ايطاليا . ورسم خريطة أبان فيها ان الزلازل تكثر وتشتدُّ حيث تكثر البراكين مما يدلُّ على ان بين الزلازل والبراكين علاقة سببية . ورسم الاستاذ جورج دارون خريطة أُخرى أبان فيها المواضع التي يكثر انتياب الزلازل لها بمنطقة سوداء عريضة كما ترى في هذا الشكل وهذه المنطقة تمرُّ

الكتب الآتية تطلب من ادارة المقتطف واثمانها المذكورة هنا هي بالغرش الصاغ المصري وهو جزء من مئة من الجنيه المصري والجنيه المصري يعدل ٢٦ فرنكاً

ص			
٠٥٠	المجلد الاول	من المقتطف	
٠٥٠	" الثاني	"	"
٠٥٠	" الثالث	"	"
٠٥٠	" الرابع	"	"
٠٥٠	" الخامس	"	"
١٠٥	" السادس	"	"
١٠٥	" السابع	"	"
١٠٥	" الثامن	"	"
١٠٥	" التاسع	"	"
١٠٥	" العاشر	"	"
١٠٥	" الحادي عشر	"	"
١٠٥	" الثاني عشر	"	"
١٠٥	" الثالث عشر	"	"
١٠٥	" الرابع عشر	"	"
١٠٥	" الخامس عشر	"	"
١٠٥	" السادس عشر	"	"
١٠٥	" السابع عشر	"	"
١٠٥	" الثامن عشر	.	"
١٠٥	" التاسع عشر	"	"
١٠٥	" العشرون	"	"
١٠٥	" الحادي والعشرون	"	"
١٠٥	" الثاني والعشرون	"	"
١٠٥	" الثالث والعشرون	"	"

ص			
١٠٥	المجلد ٢٤ و٢٥		من المقتطف
١٠٥	" ٢٦	"	"
١٠٥	" ٢٧	"	"
١٠٥	" ٢٨	"	"
١٠٥	" ٢٩	"	"
٠٥٠	" الثامن صغيرًا	"	
٥٠	المجلد الاول		من اللطائف
٠٥	" الثاني	"	"
٠٥٠	" الثالث	"	"
٠٥٠	" الرابع	"	"
٠٥٠	" الخامس	"	"
٠٠	" السادس	"	
٠٥٠	" السابع	"	"
٠٥٠	" الثامن	"	"
٠٥٠	" التاسع	"	"
٠٦٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي		
٠٤٠	قاموس ورتبات عربي وانكليزي وانكليزي وعربي		
٠٢٠	حضارة الاسلام في دار السلام		
٠١٥	سرّ النجاح الجزء الاول		
٠١٠	تاريخ الحرب السودانيّة		
١٠	رواية الشهامة والعفاف		
٠٠٦	رواية قلب الاسد		

زلزلة في تركستان مثل زلزلة سان جوزي في شدتها. وسنة ١٩٠٤ حدثت زلزلة في مكدونية. وفي السنة الماضية حدثت ثلاث زلازل الواحدة في البانيا والاثنتان الاخريان في لاهور شمالي الهند وفي كلابريا جنوبي ايطاليا وكانتا شديدتين جدًّا

ولا يخفى انهُ اذا حدثت زلزلة في مكان ما نشأ على اثر حدوثها موجة ارضية تسير على شكل دائرة مثل امواج الصوت في الهواء او كالماء اذا رميت فيهِ حجرًا وتتسع شيئًا فشيئًا وتختلف سرعتها باختلاف الارض التي تمرُّ فيها فتكون على اسرعها في الصخر الصلد. فقد حسبوا انها تقطع صخر الجرانيت بسرعة ١٦٦٥ قدمًا في الثانية اي باسرع من الصوت في الهواء. وتقطع الصخور المتشققة بسرعة ١٣٠٦ اقدام. وصخر لوح الحجر بسرعة ١٠٨٩ قدمًا والرمل المبلَّل بسرعة ٨٢٥. وتقطع اقلّ من ذلك في الماء. وقد ظهر من مراقبة الامواج المائية التي تنشأ عند حدوث الزلازل ان سرعة الزلزلة تتوقف على عمق الماء اي انهُ كلما عمق الماء زادت سرعتها. وعليهِ فاذا كان شطّ البحر عميقًا فان السكن بقربهِ غير مأمون العاقبة عند حدوث الزلازل لاسيما وان الموجة المائية التي تحدث حينئذٍ قد يبلغ علوُّها ٣٠ قدمًا وسرعتها ستة اميال في الدقيقة

ومن غريب امر الزلازل ان المكان الذي فوق مركز الزلزلة قلما ينالهُ ضررٌ منها واسمهُ الاصطلاحي "ابيسنتروم". فاذا كان مركز الزلزلة على عمق ١٢ ميلاً عن سطح الارض فان المكان الذي فعل الزلزلة فيهِ على اشدّهِ يكون في دائرة تبعد ١٢ ميلاً عن الابيسنتروم اما المكان الواقع بين الابيسنتروم ومحيط الدائرة المشار اليهِ فتأثير الزلزلة فيهِ قليل. وقد قدروا ان منشأ الزلزلة قلما يكون على اعمق من ٣٠ ميلاً عن سطح الارض

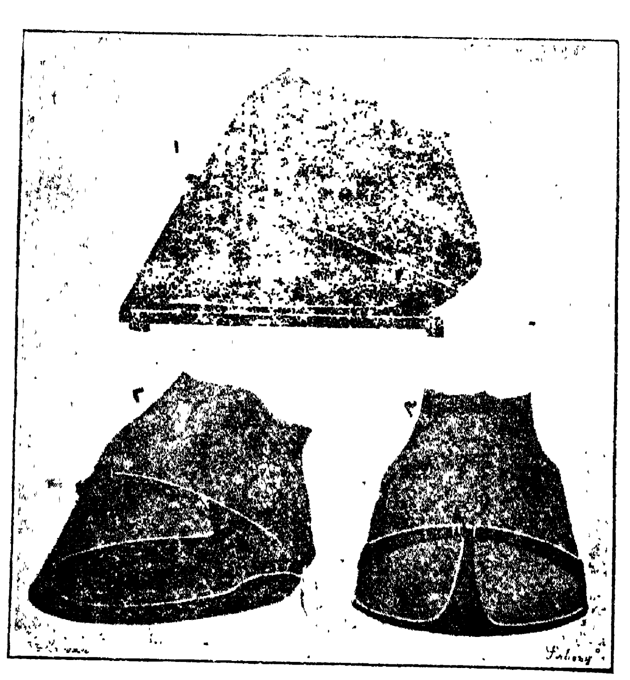
هذا ولما كانت الزلزلة اسرع مسيرًا في الصخر الصلد منها في الصخر اللين فان فعلها في الثاني اشدُّ منهُ في الاوّل لان الشقوق التي تتولد على سطح الارض عند حدوث الزلزلة تكون اوسع في الصخر اللين واكثر دوامًا منها في الصخر الصلد فيكثر الخراب والدمار في المنازل المبنيَّة على الصخر اللين بسبب ذلك. واشدُّ ما يكون الخراب اذا كان مركز الزلزلة في صخر صلب والارض التي فوقهُ مؤلفة من صخر ليّن كما جرى في كلابريا في الخريف الماضي

واذا استطاع الانسان ان يسكن حيث شاءَ واراد ان يبتعد عن الاماكن التي تنتابها الزلازل ويشتد فعلها فيها فلا يسكن قرب البراكين سواءٌ كانت ثائرة او خامدة ولا في ساحل بحر قاعهُ عميق قرب ساحلهِ ولا في بلاد طبقات صخورها السفلى لينة وهي معرضة لحدوث الزلازل

الاوقيانوس الباسيفيكي فاليابان فالصين فشمالي الهند فايران فسورية فبر الاناطول فالبحر المتوسط والبلاد المحيطة بهِ فالاوقيانوس الاتلنتيكي فاميركا الوسطى . و يتشعَّب منها شعبتان عريضتان على زاويتين قائمتين الواحدة في جهات ارخبيل ملقا والاخرى في اميركا الجنوبية كما ترى في الخريطة

هذا و يظهر من مراجعة تاريخ الزلازل التي حدثت منذ نحو ٤٠ سنة الى الآن انها حدثت كلها في البلاد الواقعة ضمن هذه المنطقة . ففي سنة ١٨٦٨ حدثت زلزلة في بلاد بيرو واكوادور غربي اميركا الجنوبية فخرب بها اربع مدن . وفي سنة ١٨٧٣ أُصيبت مدينة انطاكية بزلزال عنيف خرَّب جانبًا كبيرًا منها ومات بهِ خلق كثير . وفي سنة ١٨٧٥ حدثت زلزلة شديدة في سان كوزي بكولمبيا فلم يتمكن الاهالي من الفرار لمجيئها شديدة على غرة فقتلت الوفًا منهم . وفي سنة ١٨٧٧ زلزلت بلاد بيرو في اميركا الجنوبية زلزالاً عظيمًا خربت بهِ عشر مدن . وسنة ١٨٨١ انتابت الزلازل جزيرة اسكيا ودمرت مدينة من مدنها . وباغت الزلزال جزيرة صاقس في تلك السنة ايضا فهدم عاصمتها واكثر قراها . وسنة ١٨٨٣ عاودت الزلازل جزيرة اسكيا ودمرت مدينة كازا متشيولا وخربت كلَّ بيوتها . وزلزلت جزيرة جاوه زلزالاً شديدًا قتل نحو ٧٥ الف نسمة . وسنة ١٨٨٤ زلزلت بلاد اسبانيا فخرب نحو سبعة آلاف منزل من غرناطة ومات بهذه الزلزلة نحو الفي نفس . وسنة ١٨٨٦ زلزل القطر المصري زلزالاً خفيفًا كان مركزهُ على مقربة من جزيرة مالطة . وسنة ١٨٨٧ حدث زلزال في شمالي ايطاليا وجنوبي فرنسا دمَّر بلدانًا عديدة وأمات خلقًا كثيرًا . وسنة ١٨٩١ زلزلت بلاد اليابان زلزالاً عنيفًا دام اثنتي عشرة دقيقة وخرب بهِ ٤١ الف بيت ومات اكثر من ثمانية آلاف نفس . وسنة ١٨٩٣ زلزلت جزيرة زنتي زلزالاً خرَّب اكثر مدينة زنتي والقرى المجاورة لها . وسنة ١٨٩٤ زلزلت بلاد اليونان زلزالاً خرب مدينتي تلنتا وطيبة وكثيرًا من المدن والقرى غيرهما . وفي تلك السنة نفسها حدثت زلزلة في الاستانة قتل بها كثيرون . وحدث في السنة التالية عدة زلازل في ايران وصقلية وفلورنسا واليابان وغرق بزلزلة اليابان عدة الوف من الناس . وسنة ١٨٩٩ حدثت زلزلة في الاناطول خربت بها مدن وقرى كثيرة وقتل نحو ١٢٠٠ نفس وبات مئة الف نفس بلا مأوى . وسنة ١٩٠٢ حدثت زلزلة في مدينة اندجان من اعمال فرغانة التابعة لروسيا فخربت ١١٦ الف بيت وقتلت ١٠ آلاف نفس وزلزلتان اخريان الواحدة في كشغر من اعمال الهند قتل بها ٣٠٠ نفس والاخرى في شماخا غربي بحر قزبين قتل بها ٥٠٠٠ نفس وترك ٣٠ الفًا بلا مأوى . وسنة ١٩٠٣ حدثت

لان الذين بحثوا البحث المدقق في بناء حوافر الخيل وفي سبب ضعفها وكثرة زلقها وجدوا ان تحميلها قطعة ثقيلة من الحديد وتمكينها بالمسامير لما يضرُّ ببنائها الطبيعي فقال المسيو لافوس انهُ لا لزوم لنصف النعل ولا داعي الاَّ الى قطعة صغيرة توضع على رأس الحافر (السنبك) ولكنهُ اشار ان تمكَّن بثمانية مسامير ومساحة قطع هذه المسامير نحو بوصة مربعة ونصف بوصة ومساحة الحافر ست بوصات فاذا دخلت فيهِ ضغطتهُ حتى يصير سطحهُ خمس بوصات او اربعًا . وقد بيَّن دغلس ان الحافر مؤلف من انابيب دقيقة لاصق بعضها ببعض بمادة مثل



الغراء فاذا دخلت المسامير بينها ضيقتها او سدَّت المحاذي لها منها وضيقت البقية فزاد الضرر الناتج من النعل العادية لانهُ لا يستعمل في النعل العادية الاَّ سبعة مسامير تدخل في الحافر كلهِ لا في جزء صغير منهُ . ويتسع الحافر حينما يستقرُّ على الارض ويضيق حينما يرفع عنها ولذلك فائدتان كبيرتان الاولى زيادة ثبوت الفرس باتساع القاعدة التي يقف عليها والثانية عدم ارتطامهِ بالاوحال لان الحافر يتسع فيوسع مغرزهُ في الوحل ثم يضيق فيسهل اخراجهُ منهُ واذا نُعل بالحديد خسر الفائدتين فضلاً عما يلحقهُ من الضرر بسبب المسامير"

واسهب السر جورج كوكس في شرح المضار التي تصيب الخيل من نعلها بالحديد وبيَّن بالامثلة الكثيرة والشواهد العديدة انها اذا تركت من غير ان تنعل كان ذلك اصلح لها

الخيل وحوافرها

أحبوا الخيل واصطبروا عليها فانّ العزّ فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيّعها اناس ربطناها فاشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

وما قالهُ ابن عباس في هذه الابيات ردَّد صداهُ العرب كلهم واهل مصر وفارس واليونان والرومان فانهم كلهم احبوا الخيل واصطبروا عليها وقالوا انها علْق نفيس لا يعار ولا يباع الاَّ بالنفيس من الاموال وان حليب الشول صرفًا شرابها وصافي النصيّ رعيها لا المزارعُ

وتعلَف مبيضَّ الشعير ويُنتقى لها من نبات الارض ما هو نافعُ

لا عن هوًى في النفس بل لانها توردهم الارزاق وتنجيهم من المهالك ألا تراهم يقولون

وتحملنا غداة الروع جُرْدٌ عرفنَ لنا فقائد وافتلينا
ورثناهنَّ عن آباءِ صدقٍ ونورثها اذا متنا بنينا

ولكنهم جاروا عليها في شيءٍ واحد وهو حذوها بنعال من الحديد تسمَّر في حوافرها بالمسامير . وقد اتفق ان نشأ الفرس في بلاد صخرية وانهُ اعزل من الانياب والبراثن فاتخذ العدو سبيلاً للسعي وللنجاة فتكسَّرت اصابعهُ على توالي العصور ولم يبقَ منها الاَّ اصبع واحدة في كل قائمة من قوائمهِ وغلظ ظفرها فصار منهُ الحافر وهو صلب

يلقى الصفا الصم بوقع سنبكٍ لا يشتكي من وقعٍ ولا حفا

كما قال حازم في مقصورتهِ . وينقش اهلة في الجلمد كما قال عبد الواحد المخزومي ولكن الارض الصلبة والحزون الصخرية لا بدّ ان تحفى بها حوافر الخيل اي ترق من كثرة السير فرأى اصحابها ان يحذوها بشيءٍ يقيها ولعلهم حذوها اولاً بالقش والخشب واللبد ثم تدرجوا الى حذوها بالحديد على ما هو معلوم وكان ذلك منذ القرن الخامس للميلاد لان الرومان واليونان لم يكونوا يحذون خيلهم ولا كان حذو الخيل معروفًا عندهم على ما يظهر . وبقي اليابانيون يلبسون حوافر خيلهم احذية من القش الى عهدٍ قريب جدًّا اي الى ان اقتبسوا الاساليب الاوربية فنعلوها بنعال الحديد وابتلوها بما بليت بهِ خيول غيرهم من الامم

كتب السرجورج كوكس منذ عشرين مقالة مسهبة في حوافر الخيل ترجمناها في المجلد التاسع من المقتطف قال فيها " ان حياة الخيل صارت سلسلة من المشاق والبلايا والسبب فيها كلها صاحب الخيل وسائسها والسبب الاكبر لهذه المشاق نَعْل الخيل على الطريقة المعهودة

فيهما بل عن قصد وروية لان يقظتها هذه لازمة لها في السعي وراء رزقها وتجنُّب اعدائها فرسخت فيها جريًا على ناموس بقاء الاصلح . وحينما تنظر عيناها الى جهتين مختلفتين تؤثر فيها المؤثرات على وجهين فتضطرب حركاتها لان الجانب الواحد من جسمها يحاول ان يجري على موجب المؤثرات التي تراها بالعين الواحدة والجانب الآخر يحاول ان يجري على موجب المؤثرات التي تراها بالعين الأُخرى فتترنح في سيرها كالسكران ولذلك فهي الحيوان الوحيد الذي يعجز عن السباحة فاذا القيت في الماء لم تستطع ان تحكم حركات نصفيها بحيث يفعلان



معًا ولا يصيبها مثل ذلك وهي على الاشجار الّا اذا اضطربت شديدًا بمؤثر مفاجىء اما في احوالها العادية فالمؤثرات التي تؤثر فيها من الجانب الواحد اذا لم تتساوَ بالمؤثرات التي تؤثر من الجانب الآخر عرض فعلهما على محكمة عقلها فجرت على اشدهما تأثيرًا فيها

اذا دنوت من الحرباء وهي نائمة ليلاً وكان في يدك مصباح اثر نور المصباح في العين التي امامك ففتحتها وجعلت تنظر اليك بها وجعل لون ذلك الجانب يتغيَّر كما يتغير لون الحرباء عادة واما العين الاخرى فتبقى مغمضة والجانب الآخر يبقى نائمًا ويبقى لونهُ على حالهِ ما لم تحركها حركة عنيفة توقظ بها جانبيها معًا

والصورة المتقدمة صورة الحرباء وقد استيقظ الجانب الواحد منها واخذ يتحرك و يتلوَّن وبقي الجانب الآخر نائمًا

والظاهر ان زمن الخيل لم يعد طويلاً وخدمتها للانسان تكاد تتم ولا يبعد ان تنقضي في هذا القرن بعد ان خدمته ثلاثين قرناً او اكثر فيقوم البخار والكهربائية مقامها في كل شيء ولا يعود الانسان يراها الاَّ في معارض الحيوانات . وقبل ان تصل الى ذلك الزمن زمن العتق من الرق تنجو من تسمير حوافرها بالمسامير ان لم تنجُ من نعال الحديد . والشر كل الشر في هذه المسامير فقد استنبط بعضهم نعلاً تُربط بالحافر بسير من الفولاذ (الصلب) فلا هي تمكَّن بالمسامير ولا سيرها يشدُّ على الحافر ويؤلمهُ . وقد رسمناها في الشكل المتقدم في الصفحة السابقة فترى فيهِ من جانب ومن اسفل ومن الامام . وهي تنزع كلما بريت وتبدل بنعل جديدة تربط بالسير ايضاً فتستغني عن المسامير فلا يتلف الحافر ولا تمنع مرونتهُ . وهي لقدم الفرس خير من الحذاء لقدم الانسان واذا شاع استعمالها قضت الخيل السنين الباقية من عمرها على شيء من الراحة فتنسى ما مرَّ باسلافها من التعب والالم في القرون الماضية ويزيد نفعها لاصحابها ويطول عمرها وزمن عملها

الحرباء والحيوانات المزدوجة

تفنن العرب في وصف الحرباء فقالوا انها تستقبل الشمس نهارها كلهُ من مشرقها الى مغربها وانها حريصة حازمة وفي ذلك يقول ابو دواد الايادي

انَّى أُتيح لهُ حرباءُ تنضبةٍ لا يرسل الساقَ الاَّ ممسكاً ساقا

قالوا وهو مثَل للرجل الحازم لان الحرباء لا تفارق الغصن الواحد حتى تثبت على غصن آخر وتفننوا في ذكر اسمائها وكناها والقابها ووصف لسانها وكيفية اختطافها الحشرات بهِ ولكنهم غفلوا عن امر امتازت بهِ على سواها من انواع الحيوان وهو انها اثنان في واحد فهي الحيوان الذي

ينامُ باحدى مقلتيهِ ويتقي باخرى الاعادي فهو يقظان هاجعُ

والحرباء تمتاز على غيرها من انواع الحيوان بمزايا كثيرة فشكلها وطول لسانها وتغير لونها وحركات عينيها كل ذلك جعلها نوعاً قائماً برأسهِ لكن المزية الكبرى لها هي ان اعصاب الجانب الواحد من جسمها مستقلة عن اعصاب الجانب الآخر والشعور في الجانب الواحد منها مستقلٌ عن الشعور في الجانب الآخر وكذلك الحركة فهي حيوانان في واحد فتتحرك عيناها في جهتين مختلفتين تنظر بالعين الواحدة الى الامام وبالعين الأخرى الى الوراء لا عن حوَل

الى ماذا نحن صائرون وكيف نتلافى امرنا [1]

ايها السادة والسيدات

علم الله اني استعفيت من القيام في هذا الموقف امامكم فلم أُعفَ . وحاولت جهدي في ان اتخلَّى عنهُ لغيري ممن يتشوَّف البادي والحاضر للإِصغاءِ اليهِ فلم انل بغيتي . حاولت ان اتخلَّى لربِّ الخطابة والمقدَّم فيها العلامة الدكتور وليم فانديك ويا حبذا لو تمَّ ما حاولتهُ فانهُ لو قام مقامي هذا الفاضل على ما اشتهيتُ وسعيت لكنتم تسمعون منهُ الآن غير ما تسمعون وتمرُّ بكم الساعات لا الدقائق وانتم صاغون ومعجبون بل كنتم تودُّون لو يمدُّ الليلُ بساعات من النهار وانتم باسمون ومبتهجون لكن صدق شاعرنا المشهور حيث يقول

ما كل ما يتمنى المرءُ يدركهُ تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

فقد جرت الرياح بسفينة هذا الواقف امامكم وهو مبلبل البال مضطرب الخواطر يخشى ان لا يحسن ادارة دفتها فلا تصل بهِ الى حيث يريد وان هو احسن القصد وافرغ في سبيل ذلك غاية المستطاع ومنتهى الجهد . على اني اخلصت النصح في ان يكون غيري الخطيب ممن ترضونهُ ثم لما لم يسمع نصحي ولا سوعدتُ على اخلاصي بذلتُ غاية جهدي في ان آتي باحسن ما يؤْتى بهِ من مثلي فان جاءَ في ما ساقولهُ شيءٌ يشفع بي عندكم فذلك لفضل فيكم وجزاءٌ لي على اخلاصي والاَّ فاللوم على من اوقفوني هذا الموقف لا عليَّ لاني نصحت اولاً واجتهدت ثانياً وبذلت في هذا وذاك غاية ما في وسعي ولا تكلف نفسٌ فوق ما في وسعها

موضوعي ايها السادة والسيدات "الى ماذا نحن صائرون" وهو موضوع بعيد المسافات متوعر المسالك فان انا اخذت في جميع طرقهِ واطفتُ بهِ من جميع جهاتهِ اعوزني الوقت وحملتكم من المشقات ما لا تطيقون وهبْ ان فسح لي في الوقت فمن اين لكم الصبر اذا سلكت بكم في جميع منعرجاتهِ وطفت معكم في جميع معالمهِ ومشاهدهِ بل ارى الوقت لا يؤْذن لي بالمقدَّمات التي تقدَّم عادة بين يدي الموضوع ولا بالتمهيدات التي تمهّد قبل ان تنفض مسالكهُ ويخاض في مخاوضهِ فاعذروني اذن في اقتضاب الكلام اقتضاباً وابتداءِ الغرض منهُ ابتداهاً فاقول . انظروا الى جبالنا تعلموا الى اين نحن صائرون . هذه جبال لبنان من اولها شمالاً الى اخرها جنوباً جميع اعاليها جرداءُ قرعاءُ يسلك فيها السالك ساعاتٍ لا يرى شجرةً ترمي ظلاًّ او تمسك تربةً فاذا وقعت عليها العين من بعيد لا تستقرُّ على ما كان ينبغي ان تستقرَّ عليهِ

(1) خطبة كتبت لتتلى في جمعية تهذيب الشبيبة السورية

لا احياء في غير الارض

يقول الدكتور الفرد ولس قسيم دارون في مذهب النشوء ان الارض وحدها الجرم المسكون من اجرام السماء وحجتهُ وحجة القائلين قولهُ ان جانباً كبيراً من النجوم الكبيرة التي ترى في كبد السماء مزدوج اي كل نجم منها اثنان يدور احدهما على الآخر ومتى كانت النجوم كذلك يتعرَّض جانب من كلّ منها للحر الشديد والبرد الشديد على التوالي فيتعذَّر على الاحياء ان تعيش فيهِ ولذلك يستحيل ان تكون تلك الاجرام مسكونة بمخلوقات حية مثل المخلوقات الارضية . وليس في الكون نظام آخر مثل النظام الشمسي على ما ظهر حتى الآن في مركزهِ جرم كبير تدور حولهُ اجرام صغيرة جدًّا بالنسبة اليهِ حتى يبقى الحر والبرد على سطحها على درجات متقاربة ولا يتغير تغيرًا فجائيًا . فلا تستطيع الاحياء ان تعيش الاّ في النظام الشمسي

هذا من حيث الاجرام السموية المعروفة بالثوابت اما السيارات التي تدور حول الشمس في النظام الشمسي فليس منها ما يصلح لمعيشة الاحياء الارضيَّة الاّ المريخ فان احوالهُ الجويّة تقارب احوال الارض والمرجح انهُ اذا صعد اليهِ رجل قوي البنية صحيح الجسم استطاع ان يبقى فيهِ حيًّا مدة من الزمن فان هواءهُ لطيف مثل هواء الارض وفيهِ ماء وثلج ونهار وليل وفصول متوالية فهو كالارض من هذا القبيل ولكن الناس لا يستطيعون ان يعيشوا فيهِ طويلاً

ثم ان الشمس اكبر من الارض ومن السيارات كلها بنحو ٧٤٦ مرة . والارض من اصغر السيارات فان الشمس اكبر منها ٣٣٣ الف مرة . والشمس وسيَّاراتها لا تعدُّ شيئًا مذكورًا في هذا الكون العظيم فقد اثبت علماء الفلك بالحساب المدقق المبني على ما يُعلم من نواميس النور والجاذبية ان مادَّة الكون الذي يحيط بالشمس الى اقرب نجم من الثوابت المعروفة حركتها (وهو المعروف بعدد ١٨٣٠ في زيج غرومبردج) تزيد على مادة الشمس ثلثمئة مليون مرة وقد تقدَّم ان مادَّة الشمس تزيد على مادَّة الارض ٣٣٣٠٠٠ مرَّة فمادة هذا الجزء الصغير من الكون تزيد على مادة الارض نحو مئة مليون مرة ثم يظهر من اعتبارات أُخرى ان سرعة هذا النجم في حركتهِ مسبَّبة عن جذب مادَّة لهُ لا تقلُّ عما يفوق مادة الشمس باثنين وثلاثين مليون مليون مرة فتكون نسبة هذه المادَّة الى مادَّة الارض كنسبة واحد الى ١٠٦٥٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ وعليهِ فرأْي الدكتور ولس يستدعي ان يكون الله قد خلق عوالم اكبر من الارض بملايين ملايين الملايين من المرات وتركها قفارًا لا ساكن فيها واسكن مخلوقاتهِ الحية في هذه الكرة الصغيرة

دعونا من هذه النظرة ايها السادة وانظروا نظرة اخرى الى حالة زراعتنا . سهولنا ومزارعنا اكثرها بور والمزروع منها وهو ما قارب المدن والضياع لا يكاد يبلغ ربع الارضين. واما ما بعُد فمتروك للشوك والحسك . ويا ليت انَّ في البلاد ماشية من الغنم والبقر وسائمة الخيل تتكاثر وتنمو على هذه الارض المتروكة بورًا فكنا اذن نستوفي شيئًا من خصبها الطبيعي بصورة الماشية ولكن الحال ليست كذلك فانَّ اغنامنا قليلة جدًّا وكذلك بقية الماشية حتى تضطرّ اغلب مدننا وضياعنا الكبيرة ان تجلب اللحوم من خارج سوريّة وقد بلغ ثمن اقة اللحم في مدينتنا بيروت في غضون هذه السنة نحوًا من خمسة عشر غرشًا او يزيد وهو ثمن لو بلغتهُ اقة اللحم في لندن او باريس في غمرة الشتاء لضجَّ اهلهما من مجاوزتهِ المعتاد

انظروا الى انهارنا واعظمها العاصي شمالاً والاردن جنوبًا والليطاني ما بينهما فهذه الانهر الكثيرة المياه السريعة الجرى متروكة هملاً لا تسقي ارضًا ولا تدير آلات الَّا بعض مطاحن لطحن القمح . ولو انَّ هذه الانهار يُنتفعُ بمياهها على ما ينبغي لكانت البلاد على بعض ضفافها تفوق بلاد النيل خصبًا وكثرة حاصلات ولكانت كما يقال تفيض ذهبًا وفضةً . ولقد نُقل عن استاذنا الدكتور جورج بوست انهُ قال اعطوني نهر العاصي ووادية عن جانبيهِ والاردن ووادية وانا املأُ لك سوريّة طعامًا وكسوةً فلا يجوع رجل ولا يعرى ولدٌ

ايها السادة سهولنا واسعة ومزارعنا خصيبة ومياهنا في بعض الجهات كثيرة ولكن اين غلاتنا ؟ اين الحبوب التي كان ينبغي ان تكون مركومة امثال التلال في مزارعنا وقرانا وتُصدَّر في سفننا من ثغورنا الى مدن اوربا وبنادرها . ام اين اقطاننا التي تملأُ بيوت زارعيها وتفيض فتملأُ المستودعات الكبيرة والمخازن الواسعة في مدننا فتصدرها تجارنا وتَرُدُّ علينا اثمانها ذهبًا وهاجًا

واسفاه ليس شيءٌ من ذلك اما القطن فاظن الشبان ومن هم في اول سن الكهولة من زُرَّاعنا لا يعرفونهُ الَّا محشيًّا في فراش احدهم او لحافهِ اما كيف يزرع ويجنى ويحلج ويُغزل ثم يحاك خامًا كان يُضرَب المثل بمتانتهِ فذلك مما يسمعونهُ عن آبائهم او نقلاً عن المتقدمين سنًّا فيما بينهم

واما الحبوب فيسوءُني ان اقول على مسمع منكم ان كثيرًا من مخازن الحنطة في مدينتنا ملآن منها لكن من غير سهول حمص وحماه والشام وحوران ولو ان الحنطة والدقيق يردان الينا من اضاليا فقط لهان الامر لان اضاليا بلاد عثمانية وقمحها يستهلك في ثغرٍ عثماني ولكن سلوا العارفين فيخبروكم ان تجار الدقيق قد يستوردونهُ من روسيا وفرنسا بل من اميركا

من انيق خضرةٍ تسرُّ العيون بجمالها او غابات ادواح رائعة تتسع الصدور لاتساعها وتستشعر القلوب والنفوس اعظاماً لعظمتها وهيبةً واجلالاً لهيبتها وجلالها · نعم لو كانت كما ينبغي ان تكون لا على ما هي عليهِ الآن لكانت احسن بقاع الله ماء وهواء وجمالاً وجلالاً ولكانت جبال سويسرا على شهرتها ليست الاَّ وصيفةً من وصائفها او امة من امائها · بل لو كانت كما ينبغي ان تكون لاعتدلت فوق اعتدالها فصولنا فكان صيفنا اعلَّ هواء والطف حرًّا واقلّ جفافًا واطَّرد شتاؤُنا فكان اكثر مطرًا وجاء الباكر منهُ والمتأخر في اوانهما معتدلاً لا طوفانًا يجرف التربة جرفًا ويخرّب السواحل تخريبًا ولا رذاذًا غثًّا لا ينقع صدأ ولا يُروي لارض غليلاً . وليس الحال في بقية جبال سوريَّة وتلالها الاّ على ما وصفنا بهِ جبال لبنان فانَّ اكثرها جرداء قاحلة بعدان كانت غابًا واحدًا من ادواح الاشجار على اختلاف اجناسها وانواعها

والمترتب على هذا فضلاً عما ذكرنا من اختلال فصولنا وقلة امطارنا وعدم اطرادها شتاء وربيعًا أنْ فنيت اخشاب البناء وقلّ الوقود في البلاد واعوز وجدانهُ في المدن والقرى الكبيرة وارتفعت اسعار الفحم فيها

من اين ما نراهُ من مستودعات الحطب في جوار ميناء الحسن أَمِن غابات لبنان هو ام من حراج صنين والشعراء ؟ ولا يبعد بعد قليل ان ترى مثل هذه المستودعات او ما هو من بابها في دمشق وغيرها من مدن الداخلية كما نراها اليوم في اكثر مدن السواحل

ولو لم يكن الاَّ هذه المستودعات لهان الامر لانَّ ما فيها يردنا من بلادٍ عثمانية وفي سفن على الغالب عثمانية ولكن انظروا الى طرق لبنان المزدحمة بدواب النقل واخبروني ماذا تحمل هذه ؟ انها تحمل احجارًا سودًا مربعة الشكل يقال لها فحم حجري يردنا من انكلترا او فرنسا او بلجكا وهي بلاد اجنبيَّة وفي بواخر اجنبيَّة ايضًا ليوقد في معامل بيروت ولبنان او ليوقد في مواقد حديديَّة اجنبيَّة للدفء شتاء في كثير من بيوت بيروت وكثير من بيوت لبنان الكبيرة · بل هنالك اكثر مما ذكرنا . ادخلوا البيوت في بيروت وفي كثير غيرها من المدن والقرى الكبيرة وفتشوا في مطابخها واخبرونا ما هو نوع وقود هذه المطابخ انكم قلما تدخلون بيتًا الاّ وترون وقودهُ البترول من باطوم او الولايات المتحدة . فلماذا استبدلتم يا اصحاب البيوت مواقد مطابخكم بطباخات البترول ؟ أليس لان جبال لبنان وسورية اصبحت قرعاء جرداء فاعوزنا الحطب والفحم واضطررنا اضطرارًا الى الطبخ والغسل على البترول . هذه نظرة نظرناها الى جبالنا فقولوا لي بعدها يا من ترون معي ما ارى "الى ماذا نحن صائرون ؟ "واسفاهُ واسفاهُ اننا صائرون الى الخراب والافلاس غدًا او بعد غدٍ

ايها السادة والسيدات اني لاستحيي من نفسي واسترعيني خجلاً اذا ذكرتُ لكم ان رئيس مدرستنا هذه واعضاء عمدتها رأوا سوء الحالة التي ذكرتها لكم وحبَّبوا الينا غير مرة ان نلبس ملابس بلادنا ومنسوجات بلادنا ليقتدي بنا تلامذتنا في ذلك فيخف عن عاتق آبائهم كثير من النفقات التي احنت ظهورهم فاعرضنا عن نصحهم وادرنا اليهم ظهورنا

دعونا بعد ننظر من موقف آخر يطلُّ على حالتنا الادبية من جهة الاقتصاد في النفقات فلعلَّ هنالك ما يختلف في المغزى عما رأيناهُ . هؤلاء شباننا يسرحون ويمرحون فانظروا اليهم عن آخرهم انظروا الى ابناء المدارس والمتاجر والصناعات المختلفة وقولوا لي ماذا ترون . انهم على اختلافهم في درجات الغنى وعلى اختلاف في المهنة التي يمتهنونها والمدرسة التي يتعلمون بها وعلى اختلافهم ايضاً في الاذواق والمواهب العقلية والادبية يكادون يتفقون في المباهاة بالانفاق على غير طائل و يتنافسون في الاسراف والتبذير — الاَّ من عصمهمُ الله وقليل ماهم — يركبون العربات لا لانهم لا يستطيعون المشي ولا لان في ركوبها زيادة في المسرَّة ويركبون الدرَّاجات لا لانهم يريدون المحافظة على الوقت والاسراع في قطع المسافات الطويلة ليباشروا اشغالهم في اوقاتها باكرًا بل يركبون هذه او تلك لان في ركوبها مظهرًا من مظاهر الاسراف وإيماء الى ما يذهبون اليهِ باطنًا ويبدو في عرض احاديثهم ظاهرًا من انهم لا يحفلون بالمال ولا يقدرونهُ بقدر كأن الرجولية وآسفاهُ تتطلَّب الاسراف او الحكمة تأمر بتبذير المال . اسأل المستخدمين من هؤلاء الشبان ماذا ابقيتم في جيوبكم من رواتبكم الشهرية او السنويَّة رأس مال لكم في المستقبل يجيبوك انهم لم يبقوا شيئًا بل كثيرون منهم أبقَوا عليهم ديناً يماطلون بهِ او يتدافعونهُ عنهم الى آبائهم . اسأل ابناء المدارس فيما انفقتم النفقات الكثيرة التي يئنُّ آباؤكم من ثقلها وانتم تأكلون وتشربون من المدرسة وتنامون فيها فيسكتون او يتمتمون و يعتذرون بما لا محصَّل لهُ

دعوا الشبان جانبًا وانظروا الى البيوت الى الآباء والامهات واسأَلوا هؤلاء ماذا انفقوا في سنتهم الماضية ام اين حسابات تلك السنة ؟ ما اظنُّ احدًا من المسؤولين يقدّم لك حسابًا واكثرهم يتعللون بقولهم وما فائدة مسك الحسابات ايقلل ذلك من النفقات ام يزيد في الدخل؟ وكأني ببعض المسؤولين يتململون من هذا السؤال وينظرون ذات اليمين وذات الشمال وبعضهم ينظرون بطرف خفيٍ الى زوجتهِ وكلنا نعلم معنى هذه النظرة . وغاية ما نجدهُ هنا ان الدخل والخرج متساويان ان لم يكن الثاني يزيد على الاول . فاذا سألت اولئك الذين تساوت نفقاتهم ودخلهم ماذا تؤملون في المستقبل قالوا لك الله كريم غدًا يكبر اولادنا

وانكلترا ويجدون لهُ مشترين في بيروت وغيرها من المدن البحريَّة . وان لساني ليتلعثم في فمي حزنًا واسفًا اذا ذكرت لكم ما اراهُ وترونهُ انتم كل يومٍ من مركبات تحمل الخبز الى كثير من البيوت من افران تجلب دقيقها من فرنسا او روسيا واحيانًا من ايطاليا وفي كل يوم يزيد عدد الموزَّع عليهم من هذه الافران عن سابقهِ

دعونا الان نلفتُ نظرنا عن حالتنا الزراعيَّة الى حالتنا الصناعيَّة . وبكل اسف اقول انها اشبه بحالتنا الزراعيَّة ان لم اقل اسوأ منها عاقبةً واسرع بنا الى الخراب والافلاس مصيرًا. ادخلوا الى بيوتنا في المدن والضياع وانظروا ماذا ترون ؟ ترون أثاثنا وادوات طعامنا وشرابنا وانواع زينتنا اغلبها ان لم اقل كلها من المصنوعات الاجنبيَّة ويا للاسف حتى الزيوت والمكبوسات من البصل والخيار واشباه ذلك ولا اقول المشروبات ترد الينا في قناني من البلاد الاجنبية ونفاخر بها لانها من صنع بلاد اجنبية . استوقفوا رجالنا وشباننا برهةً وانظروا في ملابسهم من اسفل القدم الى قمة الراس فانكم ترون الاحذية من صناعة اجنبية والطرابيش كذلك وما بينهما من القميص الذي يباشر الجلد الى المنديل في الجيب كل ذلك من بلاد اجنبية وصناعة اجنبية . ويا للعجب ان القمصان ورُبط الرقاب ليستخفُّ بها اذا كانت مصنوعة بايدي صناعنا ويفاخر بها لمجرَّد انها مصنوعة في لندن او في باريس واعجب من ذلك وانهُ لعجب يستوجب البكاء ان بعضًا من شباننا يباهون في انهم يخيطون اثوابهم في باريس او في لندن يرسلون اقدارهم الى الخاطة هناك فتأتيهم الاثواب طردًا في البوستة او مع احد الركاب لا يشعرون بسوء عاقبة ما يفعلون ولا يفطنون لفضيحة ما بهِ يباهون

امور تضحك الجهَّال منها ويبكي من عواقبها الحكيمُ

استوقفوا المكاري استوقفوا الفلاح استوقفوا الفاعل من الفعلة الاعتياديين وانظروا ماذا قد يلبس كل واحدٍ من هؤلاء لا ترونهُ يلبس العباءة ولا الخام البلدي ولا الديما التي يحيكها صناع بلادنا وكان يلبسها من قبلُ انما ترونهُ يلبس الصاكو المصنوعة في المانيا والديما المنسوجة على انوال منشستر والجلد المدبوغ في مدابغ فرنسا او اميركا

يا شبان بلادنا ويا رجالها لماذا لا نلبس الانسجة التي حاكها صناعنا في بلادنا على انوال دمشق وبيروت وحمص وحماه والزوق ياسيدات بلادنا لماذا لا تلبسن الحرائر المنسوجة على هذه الانوال وتباهين كما تباهي الغربيات في منسوجات نسجتها صناعنا وخاطتها الخاطة من بيننا — واني لا اخاطب الغنيات اللواتي يملكن هنَّ او ازواجهن الالوف من الجنيهات فهولاء مستثنياتٌ في كلّ بلاد فضلاً عن انهنَّ يُعددن على الاصابع وانما اخاطب مَن سواهنَّ من الجمهور الاعظم

تاملوا ايها السادة واحكموا لانفسكم . بلاد واسعة من اخصب بلاد الله في المعمور ومن احسنها هواءً وانقاها سماءً وماءً لا يزيد اهلها على المليونين ومع ذلك فقد هاجرها نحو من خمس سكانها وفي هولاء المهاجرين كثيرون من اطبائها وصيادلتها وكتبتها ومعلميها وصناعها من اقواهم بنيةً وأحدّهم قلبًا وخاطرًا . فلماذا هذه المهاجرة وما هو سببها ? انهُ ليس لذلك من سبب الاَّ قلَّة راس المال في البلاد عمومًا واعوازهُ اولئك الذين هاجروا خصوصًا . نعم لو كان بين يدي الافراد او في البلاد راس مال ما هاجرها الطبيب ولا الصيدلي ولا الكاتب ولا المعلم . ومثل ذلك يقال في الصانع والعامل والفلاَّح والزارع ومن سواهم من اهل الحرف المختلفة . وما معنى الافلاس الاَّ ذهاب راس المال (ستأْتي البقية)

جبر ضومط

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

(تابع ما قبلهُ)

ختمنا الكلام في الجزء الاخير من السنة الماضية باخذ عكاء وقد فصَّل المستر باركر[1] ذلك في كتابهِ فقال ان الدول المحالفة بعثت ثلاث عشرة سفينة حربية واربع سفن بخارية بقيادة الكومودور نبير والاميرال ستبفرد فضربت بيروت واخذتها في السادس عشر من سبتمبر سنة ١٨٤٠ واخذت صيداء في السادس والعشرين منهُ ثم اخذت طرابلس واللاذقية وشرع الاميرال ستبفرد في ضرب عكاء في الثالث من نوفمبر من سفينتهِ المسماة فونكس والكومودور نبير من سفينتهِ المسماة بوَرْفول وأُرسلت الزوارق في الليل السابق لسبر غور البحر فوجدت انهُ يمكن ان تدنو السفن من الحصون فدنت منها اكثر مما قدَّر قائد المدفعية في عكاء فانهُ كان قد حكَّم المدافع حتى ترمي قنابلها الى ابعد من ذلك وكانت النتيجة ان قنابل عكاء كانت تخرق حبال السفن وتقع وراءها واما قنابل السفن فدخلت الحصون والاستحكامات واضرمت فيها النار . وفي الساعة الرابعة اصابت مخازن البارود فاشتعلت ويقال انهُ قتل باشتعالها الفا نفس وفي الساعة السادسة بطل اطلاق المدافع من الجانبين وعند نصف الليل خرجت الجنود المصرية من عكاء فدخلتها جنود المحالفين في الصباح ولم يقتل منهم سوى ثمانية عشر

(١) المستر باركر كان قنصلاً لانكلترا في مصر في عهد محمد علي باشا واقام في بلاد الشام زمانًا طويلاً وابتنى لهُ دارًا في السويدية قرب انطاكية زارهُ فيها ابرهيم باشا لما كان في بلاد الشام

فينفقون علينا بدلاً مما انفقنا عليهم في تعليمهم وتهذيبهم · واما اولئك الذين تزيد نفقاتهم على دخلهم فلا نعلم ماذا يقولون ولا نعلم ايضاً جواباً نعتذر بهِ عنهم · ايها السادة كأني اسمع احدكم يقول مالك ولنا نحن الذين قيل فيهم بعرق جبينك تأكل خبزك فانهُ يكفي امثالنا ان يزجوا العيش تزجية وحسبهم ان يتساوى دخلهم ونفقاتهم فاسأل اصحاب الاملاك الواسعة والمقتنيات الكثيرة ودعنا نحن وشأننا · صدقت ايها القائل اقلهُ بحسب الظاهر فلنسألكم يا اصحاب الاملاك والعقارات الذين بيننا او الغائبين عنا · ماذا وفرتم من دخلكم في السنة الماضية؟ وباسف اجيب بلسان اغلب هولاء ان نفقاتهم تستغرق دخلهم بل كثيرون منهم تبقى عليهم بقية دين من سنةٍ الى اخرى فلا تلبث هذه البقايا ان تتكاثر سنةً بعد سنةٍ وهم لا يشعرون وكثيرون منهم لا ينتبهون من غفلتهم الاَّ وقد اطاف بهم الافلاس واصبحوا في خطرٍ من ان يفقدوا املاكهم ووجاهتهم معاً

وليس التجار بيننا خيراً بكثيرٍ ممن ذكرنا من الاغنياء من اصحاب الاملاك · هؤلاء الذين يُنظر اليهم من بين جميع الطبقات ويتوقع منهم ان يحافظوا على رؤُوس الاموال ويزيدوها من سنة الى آخرى ليمدُّوا بها البلاد ويزيدوا من مرافقها ومنافعها العامة — هؤلاء اذا فتشتم عن احوالهم ترون انهم يكادون يماثلون بقية الطبقات في تعريض رؤُوس الاموال التي يتوقف عليها نجاح البلاد للخسارة والضياع . فان كثيرين من تجارنا ومَنْ هم بمثابتهم ممن جمعوا شيئاً من راس مالٍ قد استغوتهم البورصة فالقموها فضلات ما جمعوا فاطبقت عليها اشداقها وتركتهم صفر الايدي يعضون اصابعهم ندماً وحسرةً

قولوا لي ماذا اصاب بيروت في هذه السنين الاخيرة ؟ اما نقص راس مالها نقصاً فاحشاً ضعضع اركان الامنية التجارية واوقف حركة الاعمال والمتاجر · لو شئت لظللتُ أعدد حتى الصباح مظاهر واحوالاً لا تخفى على عاقل وكلها تشير الى سوء مصيرنا وتسرُّعنا افراداً واجمالاً البلاد والعباد الى شفا الافلاس والخراب · وقد بدأت الحال تنكشف عما ذكرنا فاين الاطباء والصيادلة واصحاب الشهادات العلمية الذين يخرجون من مدارسنا سنوياً؟ اين الصناع الاكفاء ؟ اين الفعلة الاقوياء ؟ اين اهل الفلاحة والزراعة ممن يستغلون الاراضي ويقومون على استثمار خيراتها ؟ اين جميع هؤلاء ؟ وماذا اصاب اكثرهم ؟ انهم يهاجرون افواجاً افواجاً لم يتوقف تيار مهاجرتهم منذ اكثر من خمس وعشرين سنة الى الآن حتى بلغ فلَّهم اطراف المعمور وما اظنُّ يقلُّ عدد هولاء المهاجرين عن الاربعمئة الف نسمة ولا يزال الكثير ممن لم يهاجر يتشوَّف الى المهاجرة ويجعلها نصب عينيهِ

باشا نعم شاع . فقال ابرهيم باشا ان عدم بحثك عن صحة الاشاعة وعدم نقلها اليّ يثبتان معرفتك بمجيئهِ الى دمشق وتعمُّدك كتمان ذلك لغاية تقصدها . فصادق المجاس على ذلك ثم قال لهُ ابرهيم باشا ان الذي يثبت اتفاقك مع الاعداء هو انك اردت ابقاء جميع نسائك في دمشق مع اني اذنت لك في ابقاء زوجتك الدمشقية عند اهلها واما سائر نسائك فمن حرم والدي فكان الواجب عليك ان تهتم بارجاعهنَّ الى مصر فاصررت على بقائهنَّ في دمشق . وكذلك قد اشتدَّت حاجتنا الى الحبوب والعلف بسبب اجتماع عساكرنا في دمشق وجميع الذين عندهم غلال من تبعتنا قدَّموها لنا واخذوا ثمنها تحاويل على خزينة مصر وصدرت الاوامر بختمك الى جميع قرى الشام لتقديم الغلال بالثمن والذي يخزن غلالهُ ويمنعها فقصاصهُ القتل وقد ذهبتُ بنفسي الى القرى ووجدتُ في بعضها مخازن غلة فشنقت اثنين من اصحابها وانت عندك مقدار كذا من الغلال مخزونة في المكان الفلاني فلم تقدمها فهل تريد ان تبقيها غنيمة لاعدائنا او انت مؤتمن جانبهم وهو الاصح

ولم يستطع شريف باشا ان يبرئ نفسهُ فأمر ابرهيم باشا بان يؤخذ سيفهُ منهُ وان يبقى تحت الحفظ في قشلة العسكر عند احد اركان حربهِ مصطفى باشا ولا يسمح ان يقابلهُ احد الاَّ بحري بك

ثم تكرَّرت الاوامر الى ابرهيم باشا من والدهِ ليعود الى مصر فلما كمل اجتماع عسكرهِ في دمشق من حلب وبر الترك وزاد عددهُ على سبعين الفًا صمم على القيام من دمشق . وحينئذٍ استدعاني بحري بك وقال لي ان اخي جرمانوس متقدم في السن ولا يستطيع مشقة السفر برًّا في هذه الايام الشديدة البرد الكثيرة الامطار فاخفهِ عندك مع ولدهِ الى ان تروق احوال البلد واحمد آغا اليوسف القادم الى دمشق حاكمًا عليها من اخص اصدقائك فلا يعسر عليك ان تحمي اخي وعائلتي بواسطتهِ . وفي السادسة من ذي القعدة سنة ١٢٥٦ احضرت الخواجه جرمانوس وولدهُ باسيلا الى بيتي وفي الصباح شرعت الجنود المصرية تخرج من دمشق بطريق حوران وظلوا النهار كلهُ الى قرب الغروب حتى لم يبقَ منهم احد ووقف ابرهيم باشا في باب السراي ووقف حولهُ اعيان دمشق يودعونهُ فالتفت اليهم واوصاهم بحفظ الامن والراحة الى ان يحضر الوالي الجديد فوعدوهُ بذلك ثم ركب جوادهُ وسار في ساقة عسكرهِ

وبقيتُ في بيتي اليوم التالي خوفًا من امر يحدث لان المدينة اصبحت من غير والٍ وعند الظهر قتل شاب مسيحي وهو ابن الصيدناوي واتهم اليهود بانهم اغروا احد شبان الميدان بقتلهِ لانهُ اذاهم في حادثة البادري توما . وفي اليوم الثالث دخل احمد آغا اليوسف وتسلَّم الاحكام

رجلاً وجرح اثنان واربعون لا غير

وقال الدكتور مشاقه في تاريخهِ انهُ لما استولت الدولة على عكاء ولّت احمد آغا اليوسف الكردي على دمشق وارسلت معهُ الجنود ليطرد ابرهيم باشا منها فجاء الى قرية سعسع غربي دمشق وبلغ ابرهيم باشا خبرهُ فنهض لقتالهِ ومعهُ مدفعان وفرقة من الجند فكان النصر لهُ وانهزم احمد اغا بجنودهِ ومضى الى قرية البطرونة في نواحي الزبداني وهي على ٢٥ ميلاً من دمشق

وعاد ابرهيم باشا الى دمشق وعقد مجلساً من امراء عساكرهِ حضرهُ شريف باشا وبحري بك ورفع ابرهيم باشا الدعوى على بحري بك انهُ خائن لانهُ كاتَب الاعداء فانكر بحري بك ذلك وطلب المجلس دليلاً على انهُ كاتَب الاعداء إما كتابة بامضائهِ او دليلاً آخر يكفي لاثبات التهمة عليهِ فقال ابرهيم باشا انهُ يستحيل ان يسلمنا الاعداء كتابةً بعث بها بحري بك اليهم ولكن الدليل على ان لهُ ضلعاً معهم انهُ استأجر بيتاً لعيالهِ في محلَّة النصارى وهذا يدلُّ على انهُ مؤتمِنٌ جانب الاعداء فاجاب بحري بك ان زوجتي حامل في الشهر الثامن وقد استأذنتُ افندينا في ابقائها عند اهلها فاذن لي في ذلك وها كم صورة الاذن منهُ . وابرز مرسوم الاذن من ابرهيم باشا ثم قال واذا شاء افندينا ان يلغي اذنهُ فاني احمل عيالي معي ولو هلكوا في الطريق . ثم انهُ لو كان لي اتصال بالاعداء ما كنت اقدّم غلالي للعسكر واحوّل بثمنها على خزينة مصر وابرز ورقة الحوالة . فحكم المجلس ببراءتهِ

قال الدكتور مشاقة والغالب على ظني ان الدعوى صورية أُقيمت على بحري بك تمهيداً لاقامة الدعوى على شريف باشا الى ان قال

ثم رفع ابرهيم باشا الدعوى على شريف باشا متهماً اياهُ بالخيانة فتكلم بحري بك مدافعاً عنهُ فانتهرهُ ابرهيم باشا قائلاً ان هذا لا يعنيك وقد حضرتَ الى هنا لتحاكم لا لتدافع عن غيرك فصمت . وانكر شريف باشا التهمة فقال ابرهيم باشا اني امرتك بوضع الخفر على قنصل الانكليز ومنع اجتماعهِ بالناس فتركت لهُ باباً يدخل منهُ من يشاء وقد بلغني خبر ذلك وانا في لبنان فكيف لم يبلغك وانت في دمشق ثم ان فردوس بك اخا زوجتك دخل دمشق من قبَل الاعداء واجتمعتَ بهِ في بيتهِ افما كان يجب عليك ان تقبض عليهِ

فقال شريف باشا ان فردوس بك لم يأتِ الى دمشق وانا كنت ازور اهل زوجتي كعادة الناس في ليالي رمضان

فقال ابرهيم باشا أشاع في دمشق مجيءُ فردوس بك اليها ام لم يشع . فاجاب شريف

الاسبرانتو

الاسبرانتو اسم يطلق الآن على لغة جديدة اذا اسعدها الحظ أجمع شعوب العالم على التكلم والكتابة بها فهي اسهل اللغات وابسطها

والدكتور زمنهوف مبتدع هذه اللغة حاز الآن شهرة واسعة في جميع العالم المتمدن حتى صار يعدُّ من الرجال الذين نفعوا البلاد باعمالهم ومؤلفاتهم . فانهُ اتحفنا بتحفة اعظم من ان تثمن . والحق يقال ان الرجل الذي اخذ على عاتقهِ وهو بعد صبيٌّ ابتداع مثل هذه اللغة بعد معاناتهِ المشاق والمتاعب الشديدة لهو من نوابغ الرجال

وهو روسي ولد بعد حرب القريم بثلاث سنوات في بيسلتوك بلدة صغيرة من مقاطعة كرودنو في بولونيا فعمرهُ الآن ست واربعون سنة ولما كان صغيرًا ارسلهُ والداهُ الى الكلية وهو يعزو ما فشا في نفسهِ من الرغبة الشديدة في تكريس حياتهِ لتأليف الاسبرانتو الى ما كان يشاهدهُ كل يوم في شوارع بلدتهِ من التنافس والتنازع بين السكان مما كان ينشأ عن سو التفاهم واختلاف اللغات فقد كان يقطن بيسلتوك الروسيون الاصليون والبولونيون واليهود والالمانيون

فافرغ جهدهُ في اصلاح الحال ولكن تعبهُ ذهب ادراج الرياح لان عمرهُ في ذلك الحين لم يكن يتجاوز الاربع عشرة سنة فما مرَّ على ذلك ايام قلائل حتى علم ان اختلاف اللغات انما هو اصل البلاء وسبب هذه المشاحنات والمنافسات ولما طرأ هذا الفكر على بالهِ ايقن بالظفر الاكيد فشمَّر عن ساعد الجد ووضع نصب عينيهِ مشروع تأليف لغة واحدة لجميع البشر ولكي يتوصَّل الى ذلك سهر الليالي الطوال في اقتباس اللغات الروسية والبولونية والفرنساوية والالمانية

قال ذات يوم لاحد اصدقائهِ الانكليز اني لا اتكلم الانكليزية ولكنني اكتبها وقد ترجمت من مدة كتابًا من الانكليزية الى الاسبرانتو ولا اخفي عليك ان اللغة الانكليزية ساعدتني اعظم مساعدة في تأليف اللغة فان بساطتها الزمتني ان اجعل الاسبرانتو بسيطة مثلها واؤكد لك ان لو نظرت الآن نحو الاسبرانتو لتولتك الدهشة فانهُ لا يحوي اكثر من خمس عشرة قاعدة

ولما اظهر هذه اللغة للعالم في الخامس من ديسمبر سنة ١٨٧٨ رنَّم مع رفقائهِ ترنيمةً بها

ونادى بالامن وقتل اثنين من اشقياء الاكراد . ورأى بعض النصارى الذين كانوا يعتمّون بالعمائم البيضاء مدة حكم المصريين قد خلعوها واعتموا بالعمائم السوداء خشية من جهلة المسلمين فقال لهم جهارًا ان يعودوا الى العمائم البيضاء وانهُ ينتقم من كل من يعارضهم. وذهبت اليهِ وباركت لهُ واخبرتهُ عن الخواجه جرمانوس وابنهِ فقال ان معروف بيت البحري معي ومع الجميع لا ينسى ابدًا وانا احتفظ بهما كما احتفظ بنفسي ثم سلمني ورقة الامان لهما . انتهى

وعاد ابرهيم باشا بجنودهِ الى مصر فوصلها في اليوم الثاني من فبراير سنة ١٨٤١ بعد ان خلَّف في بلاد الشام من الآثار والمآثر ما يذكرهُ بالشكر . ومن ذلك الوقت صرف محمد علي همهُ عن توسيع سلطتهِ الى اصلاح البلاد التي قبلت الدولة العلية والدول الاوربيَّة ان تبقى لهُ بعد ان اخذت منهُ كريت وسورية وبلاد العرب

وفي التاسع من ابريل سنة ١٨٤٧ وضع اساس القناطر الخيرية في احتفال حافل حضرهُ كبار رجال الحكومة ووكلاء الدول الاوربية ووُضع في احد حجارتهِ صندوق من الرصاص فيهِ وصف ذلك الاحتفال ونسخة من القرآن والنقود المصرية التي ضربت في عهدهِ وأُعطي ملعقة من الذهب ومطرقة من الفضة فوضع اساس البناء الذي جنت مصر منهُ اعظم الخيرات. لكن عضب دماغهِ كان قد كلَّ وتولاَّهُ الاعتلال وصار يحسب الذين حولهُ خوَنة يقصدون الايقاع بهِ فأُعطيت الولاية لابنهِ ابرهيم باشا وقضى نحبهُ في الثاني من اغسطس سنة ١٨٤٩ وعمرهُ ٨٣ سنة

وقد قابل المسيو ادون ده ليون بينهُ وبين بونابرت فقال "ان بين هذين الرجلين اتفاقًا غريبًا في السيرة والاخلاق كلاهما كان غريبًا عن البلاد التي اسَّس فيها ملكهُ . وكلاهما كان جنديًّا بالحرفة وسياسيًّا بالفطرة . كلاهما كان واسع الحيلة شديد الصرامة يسعى الى نيل غرضهِ باية واسطة كانت. وكان مطمح نظر كلٍّ منهما ان ينشئ دولة ويورث عرشها لذريتهِ فافلحا ومن الغرابة ان ما اورثهُ الجندي الشرقي وهو اضعفهما جاء اثبت مما اورثهُ الجندي الغربي الذي كانت الملوك والممالك الاعيب في يدهِ. ولكي تتم المشابهة بينهما مات احدهما كمدًا وهو مسجون في جزيرة قاحلة ومات الاخر سجينًا في قصرهِ بعد ان تولاَّهُ الخبال"

ولم تطل ولاية ابرهيم باشا سوى سبعين يومًا فتوفي قبل ابيهِ وكان قد زار ممالك اوربا قبل ولايتهِ ولقي من الاحتفال والابَّهة في ايطاليا وفرنسا وانكلترا ما لا يلقاهُ الاَّ اعاظم الملوك . وكانت وفاتهُ في العاشر من نوفمبر سنة ١٨٤٨ وهو في الستين من عمرهِ . فتوفي قبل ابيهِ بنحو تسعة اشهر والرجلان من اعاظم الرجال ونوابغ العصور

يجعل الكلمة نعتاً او نسبة فتصير ابوي والحرف e هو الظرف فتصير Patre في الاب والفعل يعرف من الحرف i مثل Patri

اما الاحرف الصوتية a, e, i, o, فاذا اضيفت الى الاصل تصير الكلمة اما نعتاً او ظرفاً او فعلاً او اسماً . والفعل يركّب هكذا : المصدر Ami (الحب) Mi Amas انا احب Mi Amis احببت Mi Amos سوف احب Mi Amus يمكن ان احب Amu أحبب (الامر)

والمشتقات هكذا Aman ta محب Amin ta كان يحب Amon ta قريباً يحب

وللفعل تصريف واحد معلوماً ومجهولاً وهو على طريقة واحدة

والاحرف c, g, k, j, لها صوتان بعلامة توضع عليها وبلا علامة اما اذا لم توجد هذه العلامة فتضاف h بدلاً منها هكذا ch gh kh jh والحرف j بدون علامة عليهِ يلفظ مثل y ومع العلامة يلفظ كالشين و h مع العلامة يلفظ مثل تش

وهاك ترجمة الصلاة الربانية بالاسبرانتو

Patro nia kiu estas en la cielo

ابانا الذي في السماوات

Sankta estu Via nomo, Venu regeco Via

ليتقدس اسمك ليأتِ ملكوتك

Estu volo Via, Kiel en la cielo, tiel ankau, sur la tero

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض

Panon nian ciu tagan donu al ni hodiaû

اعطنا اليوم خبزنا الجوهري

Kaj pardona al ni suldojn niajn

واغفر لنا خطايانا

Kiel ni ankaû pardonas al niaj suldantoj

كما نغفر نحن للذين اخطأوا الينا

Ni konduku nin en tenton

ولا تدخلنا في تجربة

Sed liberigu nin de la malbona. Amen

لكن نجنا من الشرير . آمين

بيروت رزق الله فتح الله عرمان

وها نحن نعرّب منها البيت الاول تعريباً حرفيًّا من غير ان نراعي الوزن ولا القافية

La "Espero" in Esperanto

En la mondo venis nova sento
Fra la mondo iras forta voko
Per flugiloj de facila vento
Nun de loko flugu gi al loko

" الامل " في الاسبرانتو

قد اتى الى العالم شعور جديد
في العالم تنشر دعوة قوية
على اجنحة رياح خفيفة
الآن من مكان دعها تطير الى مكان

وترك زمنهوف الكلية سنة ١٨٨٥ ودخل معترك هذه الحياة طبيباً للعيون فألَّف كتب اللغة وسعى في نشرها وبعد تعب جزيل وجد رجلاً وعده بالمساعدة ولكن اسوء حظهِ لم تمضِ اشهر حتى نكث بوعدهِ فلم ييأس وسنة ١٨٨٧ نشر اول كراس على نفقتهِ وسمّاهُ " اللغة العامة "

ولم يحالفهُ النجاح اولاً فكان يصرف كل دراهمهِ على طبع كتبهِ ونشرها فتراهُ حتى هذا اليوم يضحي اكثر اوقاتهِ لتقوية هذه اللغة

على ان اعظم مساعديهِ في ضيقهِ كان المسيو غاستون موش الذي اسَّس الآن في باريس جمعية خصوصية للاسبرانتو وهي المسماة Espérantistes Pacifiques de Paris

ومن اقوالهِ ما حدَّث بهِ احد اصدقائهِ قال " وطني العالم وانا اتكلم الاسبرانتو التي هي لغة العالم "

هذا والاسبرانتو لغة بسيطة وسهلة جدًّا حتى ان ايًّا كان يقدر ان يبرع في نحوها في اقل من ساعة وعدد كلماتها لا يتجاوز الالفين ففي اسابيع قليلة يقدر دارسها ان يكتبها ويتكلم بها جيدًا وكلماتها منتخبة من اليونانية واللاتينية والالمانية والروسية والانكليزية وليس في لفظ كلماتها شواذ وفيها ثمانية وعشرون حرفاً وكل من c, g, h, j, s, u يقوم مقام حرفين اما الاحرف q, x, y فغير موجودة فيها وكل حرف لهُ صورة خاصَّة بهِ وليس فيها احرف خرساء فالحرف h يلفظ حيثما يقع وهي خالية من الافعال الشاذَّة وال التعريف فيها واحدة وهي la فلا تتغير واقسام الكلام فيها تعرف من اواخرها مثلاً : الاب Patro فالحرف o هو الاسم . والحرف a في Patra

فقالت انهُ متكبر متجرف

فقلتُ لها هل رأيتِ المسيو ده موليير

فقالت نعم ولكنني لا استحسنهُ كثيرًا

فقلت وهل تعرفين المسيو كورنيل

فقالت نعم وهو على جانب من الخشونة

فقلت والمسيو راسين

فقالت قرأت كثيرًا مما كتبهُ وانا استحسنهُ جدًّا

فطلبتُ منها ان تتقدَّم في السن لارى ماذا يصيبها فابت ذلك وحاولتُ ان اقدِّمها في السن رغمًا عنها بالاشارات العرضية وهي تقاوم ذلك بكل جهدها الى ان ابلغتها سن الاربعين فرأيتها قد تركت بلاط الملك وأُصيبت بسعال ومرض الصدر. وجعلتها تتكلم عن نفسها فاعترفت بانها صارت تغار من النساء الجميلات. فقدَّمتها في السن الى ان بلغت الخامسة والاربعين فظهرت عليها علامات الاحتضار كمن يموت بمرض السل ثم دخلت الظلمة فايقظتها بالاشارات العرضية بسرعة

الجلسة السادسة والعشرون في ٢ يناير سنة ١٩٠٥—كتب محضر هذه الجلسة الدكتور برتران وخلاصتهُ ان الكولونل ده روشا نوم هذه الفتاة وردَّها الى الوراء تدريجًا الى الدقيقة التي تكوَّن فيها طيفها وسألها ماذا يجري لو وضعتِ اصبعكِ في الماء فقالت انهُ يذوب فيهِ. ثم ردَّها الى ان صار عمرها سنتين وسألها عن طيفها فقالت انهُ عارٍ وهو بخاري ولا ترى الَّا رأسهُ ويظهر كطفل يحيط بهِ الضباب. ويقول الكولونل ده روشا ان طيف الانسان لا يكمل قبلما يصير عمرهُ سبع سنوات. وردَّها الى ان صار عمرها يومًا واحدًا وسألها عن طيفها فقالت انهُ صار ضبابًا لا يكاد يرى وسألها عنهُ ليلة ولادتها فقالت اولاً انها لم تعد تراهُ ثم قالت انها رأتهُ ضبابًا يحيط بامها. وردَّها الى ما قبل ذلك فارتدَّت الى العتمة ثم الى المرأة لينا لما كان عمرها ٢٥ سنة حينما مات ابنها ثم ردَّها الى حين كان عمرها احدى وعشرين سنة وكانت حاملاً فقالت ان الجنين يرتكض في بطنها ثم انتقلت بغتة الى السنة الرابعة والعشرين واراد ان يعيدها الى السنة الحادية والعشرين فابت وردها الى ما قبل ولادتها فارتدت الى الظلمة ثم الى شارل موفيل وذكرت طرفًا مما جرى لهُ في حياتهِ ثم ردها الى المرأة مدلين حينما كان عمرها ٣٠ سنة وسألها عن اسم ابيها فقالت ان اسمهُ درنويل وردها الى اصغر من ذلك حينما كانت فتاة وسألها عن اسم الشاب الذي يحبها فقالت ان اسمهُ غستون ده سان مارك

قبل الولادة وبعد الموت

ذكرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية خبر فتاة فرنسوية اسمها ماري مايو تنام النوم المغنطيسي او نوم الاستهواء فتتذكر ماضي حياتها حتى الزمن الذي كانت فيهِ طفلة في مدينة بيروت ثم تدَّعي انها تتذكر ما كانت عليهِ قبل ولادتها الاخيرة وقبل الولادة التي قبلها وهلمَّ جرًّا . واوردنا خلاصة ما قالتهُ في نحو خمس عشرة جلسة من ثلاث وعشرين جلسة نومها فيها الكولونل ده روشا العالم الفرنسوي ومعهُ الدكتور برتران طبيب العائلة والمسيو لاكوست وهو مهندس صديق لزوج امها وها نحن موردون تتمة الكلام عنها على ما رواهُ الكولونل ده روشا في مجلّة العلوم النفسيَّة

الجلسة الرابعة والعشرون في ٣١ دسمبر سنة ١٩٠٤ — حاولتُ في هذه الجلسة ان استعلم منها عن الرجل شارل موفيل الذي كانتهُ قبل ان صارت المرأة المسماة لينا التي ماتت غرقًا ثم تقمصت في شخصها الحالي . فنوَّمتها واسرعت في ردها الى الوراء بالاشارات الطولية الى ان بلغت طفولية شارل موفيل حينما كان عمرهُ خمس سنوات فقالت ان اباهُ كان ناظرًا في معمل وان امهُ كانت تلبس ثيابًا سوداء . ثم رددتها الى ما قبل ولادتهِ فاذا هو في الظلمة تعذّبهُ الارواح وكان قبل ذلك سيدة زوجها من حاشية الملك واسمها مدلين ده سان مارك وكان عمرها لما شرعتُ في سؤَالها خمسًا وعشرين سنة وهي جميلة المنظر فسأَلتها عما اذا كان احد يحبها فقالت لا فقلت اني انا احبها فضربتني بيدها ضربة غنج فاظهرتُ سروري وقدَّمت لها اقمشة ثمينة قلت لها اني جلبتها باسفاري من بلاد بعيدة وطلبت منها ان تقبلها هديةً مني فشكرتني متبسمةً وقالت هذا عربون الخطبة ثم نهضت قائمة . وتكلمت معها وهي قائمة فاجابتني كأَنها لا تتذكر شيئًا مما قالتهُ وهي جالسة وسأَلتها عما اذا كانت عازمة على الخروج فقالت نعم انني ذاهبة الى الكنيسة فقلت لها هل تأْذنين لي في مرافقتك فقالت حبًّا وكرامةً واخذتْ تمشي ومشيت الى جانبها نخطت بضع خطوات ثم وقفت فوضعت كرسيًّا وراءها حاسبًا انها تريد الجلوس فلم تجلس بل ركعت على ركبتيها وجعلت تصلي وبعد بضع دقائق نهضتْ وطلبتْ مني ان اعود بها فمشيت معها قليلاً ثم اخذتُ اسألها عن نساء البلاط فقالت انها تحب مداموازل ده لا ڤاليير وقلما تعرف مدام ده منتسبان ولكنها تكره مدام ده منتنون

فقلت لها يقال ان الملك تزوَّج بهذه سرًّا فتأَففت وقالت كلاَّ بل هي خليلتهُ لا حليلتهُ فقلت لها وما رأْيكِ في الملك

التي تحدث فيها الاحلام . ثم ان العقل عقلان كما ارتأى الدكتور هدصن عقل ظاهر وعقل باطن فالعقل الظاهر هو الذي نستخدمهُ في معاملاتنا اليومية والعقل الباطن هو الذي يعي مدركاتنا . والعقل الظاهر ينام قبل الباطن او ان بين اليقظة والنوم حالة متوسطة يضعف فيها العقل الظاهر و يبقى شعور العقل الباطن او يزيد تنبهاً فتحدث الاحلام في تلك الحالة لاقلّ منبه خارجي او باطني . والظاهر ان الذي ينام النوم المغنطيسي يصل الى هذه الحالة فيصير كأَنهُ بين اليقظة والنوم

وقد ذكرت حوادث كثيرة تدلُّ على ان العقل الباطن يحفظ محفوظات كثيرة لا ينتبه لها العقل الظاهر مثال ذلك ان يسير احد اصدقائك في طريقهِ وبالهُ مشغول فيمر بك ولا يلتفت اليك كأَنهُ لم يرَك ثم اذا قلتَ لهُ انك مررت بي ولم تلتفت اليَّ انكر ذلك ولكنك تؤَكد لهُ الامر وتذكّرهُ بانك كنت لابساً الثياب الفلانية او سائرًا على الصورة الفلانية في المكان الفلاني فيتذكر ذلك رويدًا رويدًا لان صورتك ارتسمت في ذهنهِ الباطن كما ارتسمت صور كل ما وقع عليهِ نظرهُ ولكن عقلهُ الظاهر كان مشغولاً فلم تؤَثر فيهِ حينئذٍ ولم ينتبه لها . وهذا الامر يقع لكل احد وهو دليل على ان آثار المؤَثرات قد ترتسم في الذهن الباطن من غير ان ينتبه لها صاحبهُ كما ترسم صور المرئيات على الواح التصوير الشمسي وكما ترسم اثار الاصوات على اساطين الفونوغراف . ومن ادل الامثلة على ذلك ما ذكرهُ الفيلسوف كلردج في كتابهِ ترجمات العلماء قال : ان خادمة لا تقرأ ولا تكتب اصيبت بحمى عصبية وكانت اذا اصابتها النوبة تنطق بعبارات لاتينية ويونانية وعبرانية حتى زعم قسوس الكنيسة ان شيطانًا عالمًا سكنها وصار ينطق بلسانها . واهتمَّ الاطباء والفلاسفة بامرها وصاروا يكتبون ما تنطق بهِ فوجدوا فيهِ عبارات كثيرة مقتبسة من التوراة وكتب الآباء . واهتمَّ احد الاطباء بها بنوع خاص واخذ يبحث عن ماضي حياتها وعن كل البيوت التي خدمت فيها وما زال يستقصي تاريخها الى ان عرف اين كان ابواها يسكنان في طفوليتها ومضى الى هناك فوجد انهما ماتا ولكنهُ وجد عمها حيًّا وعلم منهُ انهُ لما مات والداها حنَّ عليها احد قسوس البروتستانت واخذها الى بيتهِ وعمرها تسع سنوات . فجعل الطبيب يبحث عن هذا القسيس فوجد انهُ كان عالمًا يعرف اليونانية واللاتينية والعبرانية وانهُ كان من عادتهِ ان يمشي في رواق امام بيتهِ و يصل الى باب المطبخ وهو يقرأ في كتبهِ بصوت عالٍ . وعثر على بعض هذه الكتب عند حفيدة القسيس ووجد فيها كثيرًا من العبارات التي كانت تلك الخادمة تنطق بها وهي مصابة بالنوبة العصبية حتى لم تبقَ شبهة في ان ذاكرتها او عقلها الباطن حفظ تلك العبارات من مجرَّد

وانهُ من رجال البلاط ثم اقترنت بهِ في قصر كللهما اسقف اتى من باريس لهذه الغاية لكنها لم تكن تحب زوجها وقابلت الملك في قصر فرساليا . وسألها عن اسم وزير الحربية فقالت انهُ ده لوفوى وعما اذا كانت تعرف مدام ده منتسبان ومدام ده منتنون فاجابت بالايجاب وقالت انهُ لما صار عمرها ٢٣ سنة هجرها زوجها . وقال لها الكولونل هل تعرفين الاب بوسيه فقالت لا فقال تعالي نذهب ونسمع وعظهُ فمشت معهُ الى آخر الغرفة وركعت ثم نهضت وجعلت تصغي فقال لها هل رأيتِ بوسيه الآن فقالت نعم ولكن لا ترفع صوتك . ثم عادت الى حيث كانت فجلست جلسة السيدات العظيمات . ثم ردها الى حالتها الحاضرة وكانت تبدي من الافعال والاشارات في انتقالها السريع ما ينطبق على الحالات التي تتقمص فيها فلما كانت شارل موفيل في احتضارهِ كانت تسعل سعال المسلول . ولما صارت لينا ودنا وقت ولادتها اخذت تتمخض وكبر ثدياها حقيقة وسكنت لما ولد طفلها وجعلت تبكي بعد ذلك على موت زوجها ثم جعلت تجاهد جهاد الغريق وخمدت انفاسها وانتقلت الى العتمة وما زالت تنتقل من درجة الى اخرى الى ان عادت الى حالتها الحاضرة فايقظها فاستيقظت وليس بها اقل تعب بل جعلت تتكلم وتضحك كأَنهُ لم يحدث لها شيء

الجلسة السابعة والعشرون في ٤ يناير — نومها وردها الى الوراء الى ان بلغت الرجل شارل نوفيل وسألها عن قصة العقد المشهورة وعمَّا اذا كانت الملكة اشترتهُ حقيقةً فقالت كلاَّ لم تشترهِ . وسألها عمَّا اصاب الملك (لما كان شارل نوفيل في الثانية والعشرين من عمرهِ) فقالت انهُ في السجن هو والملكة وسألها مسائل اخرى وهو ينقلها من حالة الى أُخرى فكانت تجيب كما اجابت في الجلسات السابقة

الجلسة الثامنة والعشرون في ٧ يناير — جعلها فيها تتقدم في السن الى ان صار عمرها عشرين سنة وسألها اين هي فقالت في بلاد الزنوج تلعب في مشهد

الجلسة التاسعة والعشرون — نوَّمها في هذه الجلسة وحاول ردها الى ما قبل المرأَة مدلين ده سان مارك فارتدت الى صورة ولد مات صغيرًا ولكنها تعبت كثيرًا فاضطر ان يوقظها حالاً

وقال في الختام انهُ اذا ثبت ان الاشخاص الذين كانتهم هذه الفتاة عاشوا وماتوا في الزمن الذي عينتهُ لهم فذلك دليل على التقمص وخلود النفس . والظاهر انهُ بحث ونقَّر عنهم فلم يجد لهم اصلاً

ونأتي الآن الى ما نظنهُ من التعليل لهذا الامر الغريب فاننا نعتقد صدق الكاتب والذين كانوا معهُ في ما رووهُ عن هذه الفتاة فقد كانت تنام بالاستهواء حتى تبلغ الدرجة

سمعها وبقيت محفوظة فيهِ الى ان اصابتها النوب العصبية فانتبهت لها وصارت تنطق بها كما سمعتها

هذا من قبيل ما يحفظ في العقل الباطن . ثم ان الانسان النائم في الحالة الحلمية يبقى يتأثر بالمؤثرات الخارجية ويتنوَّع شعورهُ بحسبها فاذا سخن فراشهُ قليلاً شعر كأنهُ في جهنم النار واذا انكشفت رجلهُ فبردت شعر انهُ ماشٍ على الثلج . ويحدث مثل ذلك اذا كان في حالة الاستهواء فاذا وضعت كاس ماء في يدهِ وقلت لهُ ان في الكاس شرابًا مسكرًا شربهُ مكرهًا كمن يشرب المسكر ثم مشى مترنحًا كالسكران واذا اعطيتهُ بصلة وقلت لهُ انها تفاحة اكلها بلذة كأنها تفاحة واذا اعطيتهُ تفاحة وقلت لهُ انها بصلة وامرتهُ ان يأكلها اكلها مكرهًا متأففًا كأنها بصلة . وسنبسط الكلام على هذا الموضوع الاخير في فرصة اخرى

واذا تقرَّر هذان الامران اي ان عقلنا الباطن يحفظ محفوظات كثيرة قد لا نكون شاعرين بها وان المؤثرات الخارجية تؤثر في الذهن الباطن وتولد فيهِ صورًا منطبقة على تلك المؤثرات هان تفسير ما بدا من الفتاة ماري مايو المشار اليها آنفًا وذلك ان عقلها الباطن حفظ كثيرًا مما سمعتهُ او قرأتهُ في حياتها فتذكرت بعضهُ وهي في حالة الاستهواء . ثم ان مسائل الكولونل ده روشا ولَّدت في ذهنها صورًا جديدة جرَّدتها من محفوظاتها فلما قال لها من كنتِ قبلما ولدتِ اخيرًا قالت كنت امرأَة وقصَّت قصة امرأَة تعرفها او سمعت او قرأَت عنها وابدت من الافعال والاشارات ما ينطبق على الاحوال التي صوَّرتها فيها فكانت تتألم عند المخاض وتتخبط عند الغرق ولما سألها من كنتِ قبلما صرتِ هذه المرأَة قالت كنت رجلاً وقد كان يمكن ان تقول انها كانت امرأَة اخرى ولكنها ذكرت اول خاطر اخطرهُ السؤَال في بالها . والظاهر ان هذه الخواطر التي اخطرتها مسائل الكولونل في بالها في الجلسات الاولى صارت تخطر في بالها في الجلسات التالية على ترتيبها بل صار خطورها في الجلسات التالية اسهل حدوثًا لانها ان كانت قد خطرت والمؤثر واحد وهو السؤَال فلا بدَّ ان تخطر بعد ان انضمَّ الى السؤَال مؤثر آخر وهو الصورة السابقة التي ارتسمت في الذهن على اثر السؤَال الاول فصارت كمن يتذكر في الجلسات الاخيرة ما كان يقولهُ في الجلسات الاولى . وهذا التعليل لا يزيل كل غرابة من حادثة هذه الفتاة وامثالها ولكنهُ يزيل اغرب ما فيها على ما نرى

الري في اعالي النيل

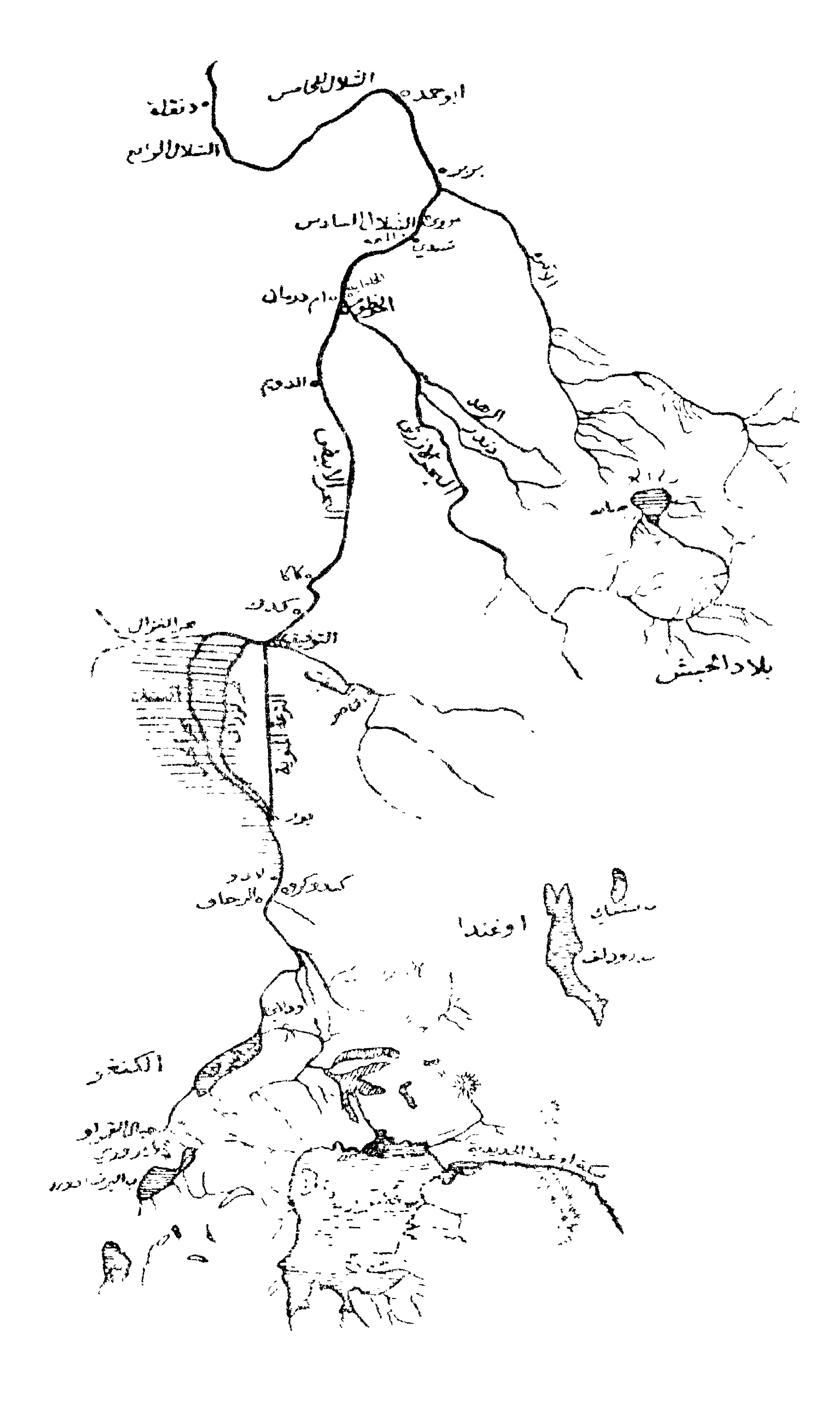
من مقالة للسروليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية
نشرت في مجلة القرن التاسع عشر

(تابع ما قبلهُ)

هذا من جهة مصر واما من جهة السودان فأقول ان مساحة الاراضي التي تصلح للزراعة فيهِ كثيرة جدًّا والاراضي التي يمكن ارواؤُها بمياه النيل ليست سوى جزء صغير في جنبها . فحدود الزراعة في السودان اذًا وجود الماء اللازم للري واحوال البلاد الطبيعية وكثرة السكان . وفي السودان مساحات واسعة تهطل الامطار فيها غزيرة ولكن سكانها قليلون فلا يحسب لهم حساب في ما نحن بصددهِ . ويكفي للحاجة الحاضرة انتقاء الاراضي التي يرجح انها تعود بنتيجة حسنة من انفاق المال عليها بسبب ملاءمة موقعها . منها الاراضي التي في الشمال الشرقي من الجزيرة بين البحرين والاراضي التي على ضفة البحر الازرق الشرقية

وقد اقترحت في تقرير كتبتهُ حديثًا عن النيل الاعلى ان يُترك ماء البحر الازرق الصيفي كلهُ لارواء السودان وحدهُ وماء البحر الابيض للقطر المصري والوادي الممتد من الخرطوم الى اصوان . واقول الآن ان هذا الاقتراح عين الصواب . فان اغنى اراضي السودان وهي التي ذكرتها آنفًا لا يمكن ارواؤُها الاَّ من البحر الازرق . اما البحر الابيض فلا يصلح لاعمال الري العظيمة بسبب قلة تحدرهِ فضلاً عن ان الاراضي المحاذية لهُ ليست غنية التربة مثل اراضي البحر الازرق . ولما كان القطر المصري لا يهمهُ من اين تأتيهِ المياه فلذلك أُرى ان يترك البحر الابيض لهُ والازرق للسودان . وعليهِ يمكن قسمة المشروعات المنوية قسمين الاول ما يخصُّ البحر الابيض لمنفعة مصر والثاني ما يخصُّ البحر الازرق لمنفعة السودان وحدهُ . وسنبدأُ بالقسم الاول لان المشروعات التي يتضمنها اعظم اتساعاً والجزم بامرها أصعب مراسًا من مشروعات البحر الازرق . ولا بدَّ من الاستعانة بالخريطة المرسومة هنا لفهم تلك المشروعات

يظهر من هذه الخريطة ان بحر الجبل او البحر الابيض يدخل المستنقعات قرب الرجاف التي تخصُّ البلجيك او كندوكرو على الحدود بين السودان واوغنده وهي تبعد عن الرجاف بضعة اميال شمالاً . ومن كندوكرو يجري الى بور على بعد ١٠٩ اميال منها بين مستنقعات



دنقلة
الشلال الخامس
ابو حمد
الشلال الرابع
بربره
الشلال السادس
ام درمان
الخرطوم
الدويم
كاكا
كودك
بحر الغزال
التوفيقية
لادو
الرجاف
اوغندا
الكنغو
بلاد الحبش

المشروعين . واول من اقترحهُ عليَّ المستر برسفورد مفتش الري العام في الهند سابقًا. وسأُعيد وصفهُ هنا فأقول

يخرف النيل في جريهِ بين بور وملتقاهُ بالسبت انحرافًا عظيمًا الى الغرب. فاذا مدَّ خطٌّ مستقيم بين المكانين قصرت المسافة بهِ جدًّا ووقع في ارض جافة بعيدة عن المستنقعات شرقًا فالمشروع اذًا ان تحفر ترعة بين بور وملتقى نهر السُّبت تسع الماء الصيفي كلهُ ليجري فيها ولكن لا تسع ماء الفيضان وذلك للسبب الآتي

لما زرت السدَّ سنة ١٩٠٠ كنت اظنُّ انهُ وان يكن الماء الذي يضيع في المستنقعات صيفًا عظيم المقدار فان معظم الماء الذي يحملهُ النهر في اوان الفيضان يمرُّ في المستنقعات الى البحر الابيض ولا يفقد منهُ سوى القليل . وعليهِ فان جميع المشروعات التي وضعتها في بادىء الامر لاصلاح النيل كانت مبنية على اعتقاد انهُ لا بدَّ من توسيع مجراهُ في المستنقعات ليسع الماء الذي يجري من كندوكرو . ولكن لما أُزيل السدُّ وتمكنت من قياس مقدار الماء الذي يدخل المستنقعات ويخرج منها مرارًا ادركت خطإي الاول وعلمت انهُ كلما كثر مقدار الماء الذي يدخل المستنقعات من الجنوب كثرت خسارة الماء الذي يخرج منها شمالاً . ولم اعثر على الحل الحقيقي لهذه المعضلة الاَّ منذ سنتين وهو ان المستنقعات خير مصرف طبيعيّ لماء الفيضان وان مساعينا يجب ان تبذل على صرفهِ اليها وانتشارهِ عليها فيضيع تبخرًا وامتصاصًا . واما الماء الصيفي اللازم لنا فيحصر في مجرى يحفر لهُ ليحمل شمالاً من غير ان يفقد منهُ شيء . وجميع المشروعات الحالية مبنية على هذا الحلّ

وفي بحر الجبل مصاعب تمنع اصلاحهُ حتى يصير كافيًا ليجري فيهِ كل الماء الصيفي ولا يمنع زيادة مياه الفيضان من الانصراف منهُ الى المستنقعات ويقال مثل ذلك عن بحر الزراف ولكن هذه المصاعب غير موجودة في الترعة التي اشير بحفرها بين بور والسبت

وكيفية العمل ان تبنى قناطر موازنة بهويس للملاحة عند رأس الترعة الجديدة وقناطر موازنة اخرى في النهر عند بور فيتحكما بماء الترعة وماء النهر حسب المرام فاذا أُريد اطلاق ماء النهر كلهِ شمالاً فتحت قناطر الترعة وسدَّت قناطر النهر فلا ينصرف شيء من الماء الى المستنقعات . وفي زمن الفيضان يفعل ضدُّ ذلك اي ان قناطر النهر تفتح فتنصرف مياه الفيضان الى المستنقعات وقناطر الترعة تسدُّ بحيث لا يمرُّ فيها من الماء الاَّ قدر مايلزم للملاحة. ولا يذهب عن البال انهُ لاحاجة في هذا الفصل الى الماء الذي يأتي من الجنوب لان ما يصبهُ نهر السبت الآن في اشهر الفيضان يحلُّ محلَّ بحر الجبل ويوقف ماءهُ عن الجري كما تقدم

واسعة ولكنهُ لا يدخل المستنقعات الكبيرة المشهورة التي يتجمع السدُّ فيها الاَّ بعد ما يتجاوز بور . فلا بدَّ اولاً من توسيع النهر وتعميقهِ بين المكانين وسد الثغور التي ينصرف ماؤُهُ فيها الى المستنقعات منعاً لضياعهِ فيها

اما شماليَّ بور فعندنا عدة مشروعات لاختيار الاصلح منها وهنا تبتدئ الصعوبة الحقيقية . وبور هذه مجتمع قرى للدنكة واهميتها في هذا العمل انها الحدُّ الذي ترتفع عندهُ ضفة النهر الشرقية وتقف في وجه النهر قبل ضياعهِ في المستنقعات . وقد قلت سابقاً ان المعوَّل في زيادة المياه المصرية على البحر الابيض . وكأن الطبيعة ندمت على ما جادت بهِ من الماء الغزير في منابع النيل وعادت تضنُّ بهِ فاقامت حاجزاً حصيناً في وجههِ وهو المستنقعات المذكورة التي يضيع فيها مسافة ٥٠٠ ميل فلا يخرج منها الاَّ وقد فقد نصفهُ . فكلُّ ما نبذل من المساعي يجب ان يوجَّه الى استنباط حيلة تمنع بها تلك الخسارة فيخرج النهر من المستنقعات ولم يفقد شيئاً وان تحصر تلك المساعي في الشقة الواقعة بين بور وملتقى نهر السُّبت بالبحر الابيض وطولها ٤٤٤ ميلاً حذاء النهر

ويظهر من النظر الى الخريطة ايضاً انهُ قبل التقاء بحر الجبل بالسبت يلتقي بحر الغزال ببحر الجبل على بعد ٣٦٦ ميلاً من بور ويتكون من التقائهما بحيرة روحاء (قريبة القعر) تسمى بحيرة نو ويسميها العرب مقرن البحور . ويخرج من بحر الجبل شماليَّ بور (انظر الخريطة) فرع يجري شرقاً ماراً في المستنقعات ويصبُّ في البحر الابيض بين بحيرة نو وملتقى السبت ببحر الجبل واسم هذا الفرع بحر الزراف وهو مبهم الشعاب في مبداءِهِ واضح المجرى فيما بعدُ

فمسألتنا اذاً ما هي الطريقة المثلى لاصلاح مجرى النهر بين بور وملتقاهُ بالسبت بحيث ان الماء الصيفيَّ الذي يمرُّ ببور قادماً من كندوكرو يلتقي بنهر السبت بعد ما يخسر اقلَّ ما يمكن من مائهِ . ويظهر لاول وهلة ان الطريقة الطبيعية لذلك ان يختار احد النهرين بحر الجبل او بحر الزراف فيوسَّع ويعمق بالكراكات وتسدَّ الشعاب التي يتحلب ماؤُهُ منها الى المستنقعات . ولكنني اقول انهُ لا بحر الجبل ولا بحر الزراف يصلح لذلك الآن لان بحر الجبل وهو اكبرهما بكثير لا يسع في الاحوال الحاضرة اكثر من ثلث المقدار المطلوب من الماء فكيف بحر الزراف . ثم انهُ لا هذا النهر ولا ذاك لهُ ضفاف تقوى على خزن الماء فاذا أُضيف اليهِ ماءٌ غير مائهِ تصدَّعت ضفافهُ فاندلق الماء على المستنقعات وضاع بالتبخر وامتصاص الاعشاب المائية لهُ

هذا وقد وصفت في تقريري الماضي مشروعاً اذا امكن العمل بهِ كان افضل من هذين

ان اختيار احد النهرين دون الآخر يتوقف على النفقة التي يقتضيها كلٌّ منهما وفيما سوى ذلك لا مزية للواحد على الآخر في رأيي . نعم ان بحر الجبل اكبر واعمق من بحر الزراف فيستلزم من النفقة اقلّ مما يستلزمهُ بحر الزراف . ولكن بحر الزراف اقصر منهُ ولهُ مزية عليهِ وهي انهُ يمكن استخدامهُ لاجراء الماء الصيفي فقط ببناء قناطر عند رأسهِ لقفل في زمن الفيضان فينصرف ماء الفيضان الى بحر الجبل ومنهُ الى المستنقعات كما يجري الآن . ومهما تكن مزية كلٍّ من المشروعين على الآخر فان المسألة مسألة نفقة لا اكثر . وسواءٌ اختير بحر الجبل او بحر الزراف فان توسيعهما وتعميقهما يقتضي عملاً عظيماً شاقًّا ونفقة باهظة جدًّا

ومزية هذين المشروعين على الاول انما هي الاقتصاد في النفقة وقصر الوقت وهي مزية تذكر . فان ما يقتصد من المال فيهما لا بدَّ ان يكون كثيرًا بالرغم من زيادة طولها على طول القناة التي يراد حفرها لان قسمًا كبيرًا منهما محفور . ثم انهُ يسهل فيهما استخدام كراكات كثيرة في وقت واحد على طول الخط واما في القناة فليس ذلك ممكنًا بل هو من المصاعب التي تقف في سبيل المشروع لحفر القناة يستلزم وقتًا طويلاً وقصر الوقت من المزايا المهمة

اما الاعتراضات على ذينك المشروعين فكثيرة منها اولاً انهُ اذا تمَّ توسيع احد النهرين وتعميقهُ يبقى نهرًا تكتنفهُ مستنقعات واسعة . وثانيًا ان ذلك يفضي الى ارتفاع سطح بحيرة نو وبالتالي الى ايقاف الفيضان في بحر الغزال اكثر مما هي الحال عليهِ الآن فيهِ فلا يبقى لماء المستنقعات مصرفٌ تنصرف فيهِ . وثالثًا اخشى ان لا يكون عندنا آلات نستطيع بها ازالة ما على ضفاف النهرين من القصب والبردي لما في ذلك من الصعوبة العظيمة وليس السماع كالعيان . ومن المؤكد ان الكراكات المعروفة لا تفي بالمرام فلا بدَّ من صنع كراكات خصوصية لذلك

واهمُّ ما عندي من الاعتراضات على اختيار بحر الجبل عدم ثبات المستنقعات التي يمرُّ بينها في سني الفيضان العالي . فانني لا انسى المنظر الذي رأيتهُ في هذا النهر ايام زرتهُ سنة ١٩٠٠ في بدء فصل الامطار . فان الرياح كانت تعصف عصفًا شديدًا فتحرّك هي والماء مئات من الافدنة المغطاة بالقصب والبردي وتنقلها الى برك على جانبي النهر ثم الى مجراهُ فتسدُّهُ وكان يجتمع منها في ساعات قليلة قطع كبيرة من النبات والتراب طولها مئات من الامتار وسمكها نحو عشرين قدمًا وتنضغط بقوة الماء المحصور فتتصلب حتى يسهل على الفيل الضخم ان يمشي عليها . على انهُ منذ أُزيل السدّ اصبحت حالة بحر الجبل اكثر ثبوتًا من ذي قبل

وعندي ان هذا المشروع اصحّ المشروعات المعروضة للنظر قصد اصلاح حالة النيل الاعلى اذا لم تثبت المباحث التالية انهُ ليس مما يستحيل العمل بهِ فان مجرى النهر الحالي على طولهِ وكثرة تعرُّجهِ في المستنقعات يستبدل بقناة مستقيمة اقصر منهُ بكثير ثم انها تمرُّ في ارض جافة ولا يضيع فيها الاَّ القليل من الماء لشدة سرعتهِ . والتراب الذي يستخرج منها يلقى على جانبيها فيكون منهُ طريقان واسعان للسير ومد خطوط التلغراف وسكة الحديد بين مصر ومستعمرة الراس . واخيرًا لا يدخل من ماء الفيضان الى الترعة الاَّ قدر ما يكفي للملاحة والباقي ينتشر في عرض المستنقعات ويضيع بالتبخر فيتم التحكم بالنيل الاعلى على مدار السنة . وطول هذه الترعة ٢١٠ اميال اما ما يقتصد بها من المسافة بين كندوكرو وملتقى السبت فيظهر من الجدول الآتي

المسافة بعد حفر الترعة	٣٢٢ ميلاً
المسافة في بحر الزراف	٤٩٨ "
المسافة في بحر الجبل	٥٥٠ "

وليس في الاعتراضات التي رأيتها على هذا المشروع ما هو وجيه يقدح بصحتهِ . على ان عندي اعتراضاً عليهِ قد يفضي الى تركهِ وهو النفقات التي يقتضيها فقد تكون باهظة الى حدّ ان تقف في سبيلهِ وتقضي عليهِ في مهدهِ . ومن المحال تقدير تلك النفقات تقديرًا مضبوطًا قبلما يتمُّ مسح تلك البقعة فقد يكون ميل الارض بين بور والسُّبت قليلاً جدًّا[1] فيضطرُّ الامر الى توسيع الترعة كثيرًا وحفر مقدار عظيم من التراب ويحتمل ان الفائدة الناتجة عن قصر المسافة تعوّض عن كثرة الحفر الذي يقتضيهِ هذا المشروع بالنسبة الى المشروعين الآخرين

وعندي اعتراض آخر على المشروع ولكنهُ ليس في قوة الاعتراض الاوَّل وهو صعوبة العمل والوقت الذي يقتضيهِ على اني اومل ان اتقان الكراكات وآلات الحفر البخارية بما أُدخل عليها من الاصلاح حديثًا يسهّل تلك الصعوبة . ولا بدَّ من استعمال تلك الآلات اذا قرَّ القرار على هذا المشروع لانهُ يتعذر الاعتماد على حفر هذه الترعة باليد

ولنعد الآن الى الكلام على المشروعين الآخرين وهما اصلاح بحر الجبل واصلاح بحر الزراف فاقول

(١) [المقتطف] المسافة بين بور والسبت اقصر من المجرى الذي يجري فيهِ ماء النيل الآن فميلها اكثر من ميلهِ حتماً ولا تعسر معرفتهُ بالتدقيق

بعض محطات لقياس منسوب الماء في النهر ومقدار المطر الذي يقع بين مخرج البحيرة وكندوكرو امكن معرفة ما يجري في تلك الاماكن تماماً للتحكم بالماء على قدر الحاجة

***

اما الآن وقد ابديت كل ما عندي عن مشروعات البحر الابيض فاني انتقل الى الكلام على البحر الازرق متوخياً الايجاز ما امكن . فان المشروعات المتعلقة بهذا البحر بسيطة بازاء المشروعات الاخرى ومحدودة نظراً الى قلة الماء فيهِ بالنسبة الى البحر الابيض . ولا يمكن الحصول على ايراد مستديم من البحر الازرق على مدار السنة لانهُ وان يكن غزيراً في اوان الفيضان يكاد يجف في اشهر الربيع . فما لم يعمل عمل يخزن بهِ ماؤُهُ لسد النقص فكلُّ المشروعات المتعلقة بهِ يجب ان تقتصر على الري الشتوي فقط . ولو لم يكن مصدر البحر الازرق في الحبشة ومعظمهُ يجري فيها لكانت مسألة خزن الماء بسيطة فان في بحيرة تسانا خزاناً طبيعياً يسع من الماء ما يكفي للزراعة الصيفية في الاراضي المحاذية للبحر الازرق بعد ان يصلح قليلاً . على ان المصاعب السياسية المتعلقة بهذه المسألة كثيرة الى حدٍ يقضي بنبذ هذا المشروع او ارجائهِ الى مستقبل بعيد

وقد يمكن تعيين مركز موافق لبناء خزان صغير بين شلالات البحر الازرق في الاراضي السودانية ولكنني اشك في ذلك . فان ميل النهر كثير جداً فاذا أُريد بناء خزان لخزن الماء وجب ان يعلَّى كثيراً . ثم انهُ لا يمكن خزن الماء في ابان الفيضان لكثرة ما يحتوي من الطمي حينئذٍ وحالما يصفو يقلُّ مقدارهُ فلا يبقى منهُ ما يستحق الخزن . فبناء على ذلك كلهِ يكاد يكون من المؤكد انهُ لا يمكن جعل الزراعة صيفية قبلي الخرطوم في الوقت الحاضر وتكون واسعة النطاق وان جميع المشروعات المستقبلة تنحصر في تحسين الزراعة التي تروى بماء الفيضان والزراعة التي تروى بماء المطر. وهذا ليس مما يستوجب الاسف الشديد اذ المرجح ان بعض المزروعات المهمة مثل القطن وقصب السكر يمكن زرعها في تلك البلاد ايام الفيضان وارواؤُها في فصل الشتاء . فاذا تسنى ذلك فقد حلَّت المسألة والاَّ زرعت الارض مزروعات موافقة للفصول التي يكون الماء غزيراً فيها . وقد طالما قلت في جميع تقاريري التي كتبتها عن السودان ان مستقبل اراضي البحر الازرق يتوقف على زرع الحبوب اكثر مما يتوقف على زرع القطن وقصب السكَّر . وكلما زدت معرفة باحوال تلك البلاد زدت اقتناعاً بصحة هذا القول فان اراضي الجزيرة والمديريات الشرقية موافقة كل الموافقة لزرع القمح على ما يظهر. فاذا ثبت ذلك وانا معتقد ثبوتهُ أُمنت تلك البلاد على مستقبلها بعد اتمام سكة الحديد بين

على ما يظهر ولكن من يعلم ان ما جرى سنة ١٩٠٠ لا يجري في المستقبل ايضاً وانهُ اذا وسّع النهر الآن لا يحدث يوماً من الايام فيضان يجرف السدّ كما جرفهُ من قبل وينقلهُ الى مجرى النهر فيسدُّهُ في مواضع شتَّى منهُ . وهذا ما حملني في تقريري الماضي ان أشير باختيار بحر الزراف دون بحر الجبل وترك بحر الجبل على حالهِ الحاضرة . على انهُ لا بدَّ من ارجاء الحكم البات في ذلك الى ان يتمّ مسح النهرين ويعلم كلُّ ما يتعلق بهما على تمامهِ فيمكن تقدير النفقات تقديرًا صحيحًا حينئذٍ

وقبل الفراغ من الكلام على البحر الابيض لا بدَّ لي من كلمة اقولها عن جزء من المشروع العام اهميتهُ عظيمة وعلاقتهُ بجميع المشروعات المستقبلة شديدة وهو التحكم بمياه بحيرة البرت بواسطة قناطر موازنة تبنى على النيل شماليها . فقد ابنت سابقًا ما لهذه البحيرة من الشان الكبير ورأيت بعد البحث الطويل ان بناء القناطر واصلاح بحر الجبل يجب ان يشرع فيهما معاً . ورأيي هذا مبنيٌّ على المعلومات التي جمعتها عن هذه البحيرة حديثاً فان بناء القناطر هو الطريقة الوحيدة للحصول على قدر كافٍ من الماء على مدار السنة

ولايضاح ذلك اقول ان بحر الجبل او البحر الابيض الاعلى يستمدُّ ماءهُ من مصدرين بحيرة البرت نيانزا والانهر التي تصبُّ فيهِ بين البحيرة المذكورة وكندوكرو . وكلُّ الدلائل تدلُّ على ان نصف الماء الذي يمرُّ بكندوكرو في اشهر الفيضان الثلاثة (من يوليو الى سبتمبر) يأتي من البحيرة نفسها والنصف الآخر من الانهر المشار اليها . فاذا بنيت القناطر فوق النهر عند مخرجهِ من البحيرة أمكن اقفالها كلها او بعضها في زمن الفيضان حتى يعتمد النهر على الجداول التي تصبُّ فيهِ دون البحيرة فيقلُّ مقدار الماء الذي يصل الى المستنقعات الى نصف ما هو عليهِ تقريباً ويقلُّ خطر تصدُّع ضفتي النهر بعد اصلاحها . وفي اثناء اقفال القناطر يزيد مقدار الماء المخزون فيها فيمكن الانتفاع بهِ بعد ما تجفُّ الجداول التي تصبُّ في النهر

وعندي ان هذه القناطر هي مفتاح المسألة كلها . فقد ألحَّ السر وليم ولكوكس في بنائها منذ زمن طويل وانا أوافقهُ على ذلك . هذا وما لم يصلح مجرى النهر في المستنقعات فمن العبث البحث في بناء القناطر عند مخرج البحيرة ولكن اذ قد قرب الوقت للاعتماد على مشروع من هذه المشروعات اللازمة لاصلاح النيل فاري ان يدرس مشروع بناء القناطر ايضاً وان يشرع في العملين في وقت واحد معاً . وهذه القناطر لازمة ولو قرَّ القرار على حفر قناة بين بور والسبت . واما اذا قرَّ القرار على اصلاح بحر الجبل او بحر الزراف فبناء القناطر امرٌ لا غنى عنهُ لخزن الماء وللتحكم بمياه الفيضان . واذا مدَّ خط تلغراف من الخرطوم الى البحيرة واقيم

سدّ في المستنقعات. فتصل مياه بحيرة البرت الى مصر بلا نقصان فتفيض جيوب المالكين نضارًا وقلوب الفلاحين حبورًا . واهمُّ من ذلك كلهِ ان زمام النيل يبيت من منبعهِ الى مصبهِ في قبضة مصر والسودان تتحكمان بمائهِ كما تشاء ان كأنهُ ترعة من الترع المصرية

وفي اعتقادي ان هذه النتائج جديرة بان ينفق المال الكثير عليها وتضحّى النفوس في سبيلها . وتضحية النفوس امر لا بدَّ منهُ مثل انفاق المال لما هو معروف عن رداءة الهواء حيث يراد عمل تلك الاعمال

واختم مقالي بعبارة قالها اللورد كرومر في تقريرهِ الاخير بهذا الصدد قال

" ان السودان ليس عديم الفائدة لمصر بل منهُ فائدة لا تقدر بمال . فان من البيّن ان الدولة التي تمتلك اعالي النيل يكون في يدها التصرف بالماء الوارد الى القطر المصري وانهُ اذا أُريد زيادة الماء الوارد الى مصر وجب ان ينقل مركز العمل من مصر نفسها الى ابعد مديريات السودان "

فاوجه انظار جميع المصريين الى هذه الكلمات

شمول مذهب النشوء

[تتمة خطبة الرئاسة التي القاها السر جورج داروين على مجمع ترقية العلوم البريطاني في اجتماعهِ الاخير في جنوبي افريقية]

فرغتُ من الكلام على النظام الشمسي فانقدّم الآن الى الكلام على ما هو اوسع من ذلك كثيرًا وهو العالم النجمي

ان العين لا ترى الَّا بضعة الوف من النجوم اذا لم تستعن بآلة من الآلات البصرية ولكن الفوتوغرافيا قد كشفت لنا عالمًا لا يُعدُّ ولا يحصى من النجوم وكلما زادت هذه الصناعة اتقانًا زاد ما يكشف بها عددًا . فمنذ عشرين سنة كان عدد النجوم التي صوّرت بالفوتوغرافيا نحو ١٧٠ مليونًا فزاد بعد عشرة سنوات حتى بلغ ٤٠٠ مليون . وهو الآن اكثر من ذلك كثيرًا ولا تزال صناعة الفوتوغرافيا آخذة في التقدُّم والاتقان ولا نعلم ما اذا كان عدد النجوم متناهيًا او غير متناهٍ لان ذلك من المسائل التي تفوق تصورنا

اذا نظرنا الى صورة فوتوغرافية من صور السماء رأيناها صفحة سوداء فيها نقط بيضاء متفرقة من غير انتظام ولكننا اذا دققنا النظر رأينا بعضها منتظمًا في خطوط وبعضها في

النيل والبحر الاحمر اذ يصبح سوق حاصلاتها على ابوابها لان بلاد الحجاز تشتري كل القمح الذي يصدرهُ السودان اليها وربما اشترت كلَّ الذرة ايضاً وسكة الحديد تنقلهُ الى الميناء الجديد في بورت سودان ومنهُ ينقل الى ثغور البحر الاحمر الشرقية باجرة تمكن السودان من مناظرة الهند وغيرها

ولا بدَّ والحالة هذه لتوسيع نطاق هذا المشروع من بناء سلسلة قناطر او اكثر على البحر الازرق بين منبعهِ والخرطوم لرفع منسوب الماء فيهِ ولا بدَّ ايضاً من حفر ترع على جانبيهِ يتوزع الماء بها . فقد يكون الري بالحياض اوفى بحاجة تلك البلاد اذ يمكن بهذه الطريقة الانتفاع بمياه الفيضان والمياه الشتوية . واذا كانت تلك الحياض تشغل مساحة واسعة استفاد القطر المصري منها باخذها قسماً كبيرًا من ماء الفيضان في ابّانهِ فيقلُّ بذلك خطر الغرق في القطر المصري

وهناك مشروعات اخرى صغيرة متعلقة بريّ السودان لا تزال في معرض البحث والنظر منها الانتفاع بمياه الفيضان في انهر القاش والرهد ودندر والاتبره وكلها غدران تجفُّ في اشهر الصيف فاقتصر على الاشارة اليها لضيق المقام . هذا وان تكن المشروعات المختصة بالبحر الازرق كبيرة القدر كثيرة النفقة فانها اسهل مراساً من المشروعات المتعلقة باصلاح البحر الابيض

وخلاصة ما تقدم ان المهمة التي امام مهندسي الريّ في مصر خطيرة الشان كلما أُدرك كنهها أُدركت عظمتها . ومهما بذل من العناء في درسها واعداد مشروعاتها فليس ذلك بالشيء الكثير بالنظر الى عظم نتائجها والخطر الذي قد ينشأُ من سوء فهمها . فمن ثمَّ يجب ألّا يقرَّ القرار على مشروع قبلما يدرس درساً دقيقاً وتعلم كل خوافيهِ . وهذا يقتضي وقتاً طويلاً ونفقة كثيرة ولكن ليس ثمة ما يستدعي العجلة . ومهما تكن تلك المشروعات كبيرة فليس بينها ما هو مستحيل بل اذا درست درساً مدققاً وبذلت الهمة والعناية عليها عند الشروع فيها بلا عجلة زائدة ولا ابطاء زائد كانت قرينة النجاح لا محالة

ولا بدَّ ان يكون المال الذي ينفق عليها كثيرًا يقدر بالملايين ولكن تاريخ اعمال الريّ في القطر المصري دلَّ دلالة واضحة على ان الانفاق على مثل تلك الاعمال يعود باعظم فائدة في القريب العاجل

اما ما تستفيدهُ مصر منها فهو توسيع نطاق الزراعة الصيفية فيها على طول وادي النيل وعرضهِ من اصوان الى البحر المتوسط . واما ما يستفيدهُ السودان فهو ان قسماً كبيرًا منهُ يصبح احسن حالاً واوفر رغدًا مما اشتهر بهِ في سالف الزمان ويمنع ضياع ماء البحر الابيض

الى غيرها من النجوم . ولكن قد ثبت الآن ان هذا الناموس يتسلَّط على بعض النجوم كما يتسلط على الشمس وسياراتها تماماً فان النجوم المزدوجة يدور بعضها حول بعض كما تدور السيارات حول الشمس جارية في ذلك حسب قواعد كبلر . وقد تحقق علماء الرصد ذلك حتى انهم لما رأوا نجوماً تدور حول لاشيء فرضوا انها تدور حول نجم مظلم لا يرى بالعين ولا بالنظارة ثم لما قويت النظارات اكتشفوا بها بعض هذه النجوم التي فرضوا وجودها فرضاً واستدلُّوا من البعض التغيرات في طيف بعض النجوم او في نورها انها مزدوجة قبل ان رأوا ازدواجها ثم اثبتت النظارات القوية انها كذلك مع انها لا ترى بالعين الاَّ مفردة . وبعض هذه النجوم يكسف البعض الآخر في دورانهِ حولهُ وقد يعلم من ذلك شكل كل نجم منها وكثافتهُ وشكل مدارهِ . ولكن ما قدمتهُ عن دوران النجوم بعضها حول بعض لا يفسّر كل ما شوهد من الاختلاف في اشراقها ولا بدَّ لهذا الاختلاف من اسباب اخرى في بناء النجم نفسهِ

وللنجوم المزدوجة ادوار مختلفة تدور فيها وقد رصد الراصدون اولاً النجوم التي ادوارها قصيرة وسيرصدون غيرها مما ادوارهُ طويلة . وهذه النجوم متَّفقة في ان كل نجمين منها متشابهان لا فرق كبير بينهما في الجرم كما بين الشمس وسياراتها

وقد ابنت في القسم الاول من خطبتي ان الجرم السائل الذي يدور على نفسهِ ينقسم قسمين حينما يبرد ولا يعلم علماء الرياضيات حتى الآن كم يكون جرم كلٍّ من القسمين بالنسبة الى جرم قسيمهِ ولكن يستنتج ان الجسم الذي ينفصل لا يكون صغيرًا جدًّا بالنسبة الى الجسم الاصلي . والظاهر من رصد العالمَين سي وروبرتس ان النجوم المزدوجة تنطبق على هذا الاستنتاج فقد تولَّد بعضها من بعض بالانفصال كما تولَّد القمر من الارض

واذا كان الامر كذلك وجب ان يكون فلك النجم الدائر على غيرهِ مستديرًا او قريباً من الاستدارة . وهذا لا ينطبق على المشاهد بل ان دوائر النجوم المزدوجة ابعد عن الاستدارة من دوائر السيارات حول الشمس . وقد ابان العالم سي سبب ذلك وهو انهُ اذا كان الجرمان اللذان يدور احدهما حول الآخر متقاربين في الجرم فالاحتكاك الناتج من فعل المدّ يطيل دائرة الجرم الذي يدور منهما ويجعلها اهليلجيَّة وعليهِ فالاحتكاك الناتج عن فعل المد سبَّب انفصال النجوم المزدوجة وجعل فلكها اهليلجيًّا

وقد اوجزت الكلام على النجوم مع ما لهذا الموضوع من الشأن الكبير لان ما يُرَى فيها من التغير غير واضح وضوحاً كافياً لاستنتاج النظريات العلمية المفيدة

سلاسل وبعضها في اقواس متوازية كأنها ترسم دوائر حول مركز مشترك مما يدلُّ على ان تلك النقط لم تتفرق في عرض السماء جزافًا فلا بدَّ من ان يكون تفرقها جاريًا على نواميس مقررة ولو لم نعلمها

وفي السماء غير النجوم لطخ ومُسح ومجاميع سديميَّة يظهر من البحث في نورها انهُ صادر من مادة غازية. وهناك بقع ساطعة النور يحيط بها جوٌّ مظلم ومجاميع من النجوم تحيط بها مادة سديمية ونجوم منفصلة مستقلة لا يدانيها شيءٌ وكل ذلك يدل على ان ما يظهر في شكل مُسح او لطخ منيرة هو اجرام سديمية في اول تكونها وما يظهر في شكل سديم قد ارتقى عن الحالة الاولى في درجات تكوُّنهِ والنجوم هي الدرجة الاخيرة من التكوُّن . وهذا ينطبق على مذهب لابلاس

واذا برد النجم تغيَّر جرمهُ وما تاريخ حياتهِ سوى مجموع التغيُّرات التي تطرأُ عليهِ فهي مماثلة لحياة الحيوان . وغرضي في هذه الخطة ان اتتبَّع تولُّد الانواع المادية بانتقالها من صورة الى صورة بنوع عام فلا يتناول البحث عن تاريخ كل نجم على حدتهِ مهما كان في ذلك من اللذة والفائدة

واذا كانت النجوم مواد تجمَّعت بعد ان كانت متفرّقة فلا بد من ان يكون حول كل نجم منها مساحة خالية من المواد التي كانت منتشرة فيها وعليهِ فالنجوم متفرقة في الفضاء وبينها مسافات شاسعة. ولقد بحث كثيرون في تعيين هذه المسافات فعرفوا بعضها معرفة تقريبيَّة. واستنتجوا من مباحث لا محلَّ لبسطها هنا اننا اذا رسمنا كرة مجوَّفة حول الشمس قطرها اربعون مليون مليون ميل لم نجد فيها نجماً غير الشمس واذا كانت هذه الكرة اكبر من ذلك كثيرًا وكان قطرها ثمانين مليون مليون ميل احتوت نجماً واحدًا غير الشمس واذا كان قطرها مئة وعشرين مليون مليون ميل احتوت اربعة نجوم . ويتضح من ذلك قلة الاجرام السموية بالنسبة الى هذا الفضاء الواسع ولكن المرجح ان بعض انحاء السماء آهل من البعض الآخر . والنجوم كلها سائرة في الفضاء بسرعة تفوق التصوُّر ولكن بُعدها الشاسع عنا يمنعنا من رؤية حركتها وقياسها الاَّ اذا راقبناها مراقبة دقيقة

والتغير مستمرٌّ في هذه الاجرام وفي مواقعها النسبية ولكننا لا نعلم مرماهُ ولذلك لا نطمع ان نجد فيها امثلة كثيرة لتأييد مذهب النشوء الذي حاولت بسطهُ فاكتفي بالقليل الذي نظن اننا نقدر ان نتتبع درجات ارتقائهِ

لم نكن نعلم منذ بضع سنين ان ناموس الجاذبيَّة الذي تخضع لهُ الشمس وسيَّاراتها يصل

وفي النوم يقلُّ الدم في الاعضاء الداخلية او الاحشاء اذ يكثر توارده الى الجلد . ويكثر عمل الغدد العرقية في الليل سواء كان الانسان نائمًا او مستيقظًا وهذا هو السبب في كثرة تعرضهِ للزكام حينئذٍ . وتبقى وظائف الجسم عاملة في الليل ومدة النوم ولكن عملها يقلُّ حينئذٍ . اما اذا نام الانسان نهارًا فقلما يطرأ عليها تغيُّر . واذا نعس الانسان او الحيوان طلب مكانًا هادئًا بعيدًا عن النور والصوت واطبق عينيهِ واستلقى حيث يستطيع ان يتمدَّد

اما الدماغ فيقلُّ توارد الدم اليهِ و يصفرُّ لونهُ فيبيت اقلَّ انفعالاً بالفواعل الخارجية من نور وصوت وكهربائية وغيرها . واما الحبل الشوكي واعصاب الحسّ فلا تنام ولكن الشعور بالالم يقلُّ اي ان الاعصاب تنقل الشعور بالالم ولكن النائم يشعر بها شعورًا ناقصًا . والعضلات الاختيارية يبطل عملها ولكنها تبقى محافظة على قوتها كما يظهر من انقلاب النائم من جنب الى جنب ومشي البعض في نومهم حتى ان من الجنود من ينام وهو ماشٍ او راكب

فالدماغ هو القسم الذي ينام ولكن عملهُ لا يبطل . فاذا حرم الانسان النوم نال الدماغ معظم الاذى . واذا حرم الاكل كان اصبر الاعضاء على ذلك واحفظ لصحة بنيانهِ ووظيفتهِ بدليل انهُ اذا أُطعمت صغار الحيوانات كثيرًا و بولغ في العناية بها ولكن حرمت النوم أُصيبت ادمغتها باذى يمتد فيها سريعًا حتى يستحيل شفاؤُهُ فيعقبهُ الموت لا محالة

ولقد ذهب الفسيولوجيون مذاهب شتى في ايضاح النوم وكيفية حدوثهِ والمرجح ان الاوعية الدموية التي قرب سطح الجسم تقل قوة مقاومتها فيقلُّ ضغط الدم و بالتالي تواردهُ الى الدماغ . وفي اوائل النوم تقل كمية الدم في اوعية الدماغ وتبقى على تلك الحال ساعة او اكثر بعد ان يستولي النوم تمام الاستيلاء على الجسم ثم تعود الى حالتها الاصلية عند اقتراب اوان اليقظة

وكثيرًا ما يعتري الارق الناس فيعمدون الى مداواتهِ بشرب الاشربة الروحية قبل النوم او بشرب بعض العقاقير التي يكثر الاعلان عنها في الجرائد وضررها اعظم من نفعها . فانهُ ليس بين الخدر الذي يعقب شرب المخدرات والنوم الطبيعي من شبهٍ سوى انقطاع الشعور في الحالين . اذًا فالتنويم او النوم الصناعي ليس نومًا حقيقيًا لانهُ لا ينعش الجسم ولا يجدد قواهُ مثل النوم الطبيعي . وكل ما يوقف عمل الدماغ ويحدث فقر دمٍ موضعيًا و بالتالي نومًا او تخديرًا لا يضر الجسم بشرط ان لايخل بعمل التغذية ولا يفضي الى نتائج اخرى وخيمة . ولكن المخدرات كلها تفضي الى تلك النتائج على درجات متفاوتة وعليهِ يجب اجتنابها الاَّ عند الضرورة القصوى و باشارة الطبيب

وخلاصة ما تقدَّم انهُ يمكن تتبُّع النظام الشمسي الى الزمن الذي كان فيهِ سديمًا منتشرًا في الفضاء وان سائر النجوم جرت هذا المجرى على ما يظن ولكن تكوُّن السديم يحتاج الى تعليل مثل تكوُّن النجوم منهُ فاذا سلَّمنا بصحة الفروض والنظريات المتقدمة نكون قد عرفنا شيئًا وغابت عنا اشياء كثيرة وما عرفناهُ لا يُعَدُّ شيئًا في جنب ما نجهلهُ . وما الانسان سوى حيوان ميكروسكوبي بالنسبة الى الاجرام السموية وهو ساكن في كرة صغيرة تدور حول نجم من اصغر النجوم افلا يبعد عن التصوُّر انهُ يكتشف اصل الكون ومصيرهُ كما يبعد عن التصوُّر ان ذبابةً تعلّمنا ماهيَّة حركة السيَّارات . ولكن ما دام الانسان في الوجود فلا ينفك عن البحث والتنقيب وسيكتشف غرائب كثيرة مما لا يزال مجهولاً . ويحق لنا ان نُعجب بما اكتشفهُ حتى الآن ولكن ما لا يزال مجهولاً اعظم مما كُشف بما لا يقدَّر فهو يحط من كبرياء الانسان . وسينظر اولاد دنا واولاد اولاد دنا الى نجوم السماء ويعجبون وتبقى حقيقتها غامضة عن عيونهم كما هي غامضة عن عيوننا

النوم

النوم عامل من اكبر العوامل في قوى الحيوان لا يقلُّ عن التنفس والهضم في اهميتهِ . والذين يراعون جانب الاعتدال في معيشتهم ينالون حظًّا كاملاً منهُ ويتمتعون بنتائجهِ الحسنة . وليس ثمة قاعدة يعرف بها ما يحتاج اليهِ كلُّ فرد منهُ ولا الناس متساوون في حاجتهم اليهِ في كلّ زمان ومكان . وغاية ما في الامر ان كلَّ انسان يحتاج الى قدر معلوم منهُ وملائم لحالتهِ كلَّ يوم لاعادة الموازنة في القوة العصبية التي فقد منها ما فقد على اثر اشغالهِ واعمالهِ اليومية والاَّ اختل الجهاز العصبي بوجه من الوجوه

ولما كان النوم اكمل شكل من اشكال الراحة كان الصغار اكثر حاجة اليهِ من الكبار والضعاف من الاقوياء . فمهما كان نوم الطفل والرجل المنهوك القوى كثيرًا فهو لا يزيد عن الحدّ اللازم . اما الرجل القوي الجسم فكثرة النوم تضرُّ بهِ غالبًا

هذا وان النوم من اللوازم التي لا غنى لاكبر الحيوانات عنها . لكن منها ما لا يحتاج الاَّ الى قليل من النوم في مدات طويلة . ومن الناس من ينام نومًا خفيفًا ويبقى لهُ معظم وجدانهِ . وكثيرًا ما سمعنا عن اناس عاشوا طويلاً بلا نوم على ما يظهر وبقوا متمتعين بالعافية وبعض الذين يصابون بالامراض العصبية يسهدون مدة طويلة

طويلاً حتى يستيقظ فجأة على اثر رجفة تعتريهِ ثم يعود فينام وقد تعاوده الرجفة مرتين او ثلاثاً . وهي عادةً نتيجة تعب عقليٍ او بدنيٍ او عصبيٍ وسوء هضم او قد تكون نذيراً بخلل جسيم بدأ في الجسم

وكلما كان النوم عميقاً قلّت الاحلام وعليهِ فان الذين يستغرقون في النوم قلما يحلمون او انهم اذا حلموا لا يتذكرون ما حلموهُ بخلاف الذين لا يستغرقون في نومهم فانهم يحلمون احلاماً كثيرة ويتذكرونها . والاحلام تكثر في اصحاب الاشغال العقلية وتقل في غيرهم او تكون اضغاثاً لا معنى لها . وهي تقل كذلك في الشيوخ . وقد شهد كثيرون من الكتاب والشعراء والعلماء والفلاسفة والموسيقيين وغيرهم بفائدة الاحلام في فتح ميادين للخيال تجول قرائحهم فيها وتصول وتبرز عرائس افكار جديدة مجلوّة تزدان بها معانيهم وتكمل تصوراتهم

والمشهور عند الاطباء وغيرهم ان كثرة نوم المريض خير لهُ ولكن جرت عادة بعض الاطباء ان يوقظوا المريض من نومهِ في ساعات معلومة ويحرموهُ النوم مدة فيلهوهُ عنهُ بالطعام او بوسائط أُخرى . وكثيراً ما عقب ذلك تهوُّر المريض من شدة الاعياء

وافضل النوم ما ران على الاجفان من نفسهِ لا بواسطة خارجية . وقد يعمد الامهات الى تنويم اطفالهنَّ بهزّ اسرتهم او وضعهم في ارجوحات او التهميم لهم ولكنهن يفرطن في ذلك الى حدّ ان تهبط حرارة الاطفال الطبيعية ويصابوا بانيميا الدماغ وباضطراب في الدورة الدمويَّة

والاعتدال في النوم نتيجة لازمة عن التوازن في القوى العقلية . وعليهِ اشتهر بين الناس في كلّ مكان وزمان ان بلداء الفهم كثيرو النوم . وقد ثبت ايضاً ان كثرة النوم تورث الجسم والعقل السقام فتضعف الكليتان بسبب تمدُّد اوعيتها . وفي الشيوخ يزيد التعرض للفالج وتغلظ الصفراء وتتعطل وظيفة عضلات الافراز فيصابون بالقبض وقد تتكون الحصى في مجرى البول . ووجد ان المصابين بفقر الدم (انيميا) ينامون كثيراً وان حالهم تصطلح بتنظيم نومهم حتى لا يزيد على القدر الطبيعي

هذا ولما كان النوم توقف الوجدان وكان الدماغ مركز ذلك الوجدان فيستنتج من ذلك ان الدورة الدموية تكون على اضعفها في الدماغ مدة النوم كما هو الواقع . فما يذهب النوم يزيد توارد الدم الى الدماغ . وعليهِ فلا بدّ للنوم الهنيء غير المتقطع من ان يكون ضغط الدم طبيعياً والاَّ فاذا زاد او قلّ عن الحدّ الطبيعي طار النوم وساد الارق . والممتلئو الاجسام ينامون احسن من الضعاف العجاف ولكن نومهم عميق يعسر ايقاظهم منهُ . واذا

وكثيرًا ما يكون الارق نذيرًا بخلل وخيم العاقبة في القلب او الشرايين او غيرها من الاعضاء . فيجب استشارة طبيب ماهر يشخص الداء ويصف الدواء قبلما يتسع الخرق ويعز الشفاء

وافضل ضجعة للنوم اقلها مساسًا بعمل الاعضاء الرئيسة كالقلب والرئتين والكبد والمعدة والشرايين الكبيرة وهي ما مال الجسم فيها على البطن قليلاً كما تفعل ذوات الاربع . وليكن الرأس على مساواة القدمين في الارتفاع ما امكن والذراعان والساقان بحيث لا تضغط الاعصاب والاوعية الدموية . اما النوم على الظهر فلا يستصوب لكي لا يقع الضغط مدة طويلة على الانسجة المجاورة للعمود الفقري التي تستمد اعصابها منهُ فيوقع الخلل والاضطراب في الاعصاب التي تحرك الاوعية الدموية . ثم ان البطن يضغط الاوعية الدموية الكبيرة فيختل سير الدم فيها ايضًا . وعليهِ فلا يجوز الاستلقاء على الظهر مدة قصيرة . وكثيرًا ما يرى المريض نائمًا على ظهرهِ في حالة الضعف الشديد فيجب على من وكل اليهم العناية بهِ ان يقلبوهُ الى جنبهِ حينًا بعد حين منعًا للضرر ولما قد ينتابهُ من الكابوس والاحلام المخيفة . وما يقال في المرضى يقال ايضًا في الاصحاء وخصوصًا اذا ناموا على ظهورهم ومعدهم ممتلئة . فان كثيرًا من الامراض المتعلقة بالجهاز الهضمي والجهاز الدموي منشؤُهُ اعتياد النوم على الظهر منذ الصغر

اما الحيوانات واعمدتها الفقرية افقية دائمًا فقلما تتغير نسبة اعضائها الرئيسة بعضها الى بعض في وضعها بخلاف الانسان فان وضع تلك الاعضاء يتغير فيهِ في اضطجاعهِ ووقوفهِ وانحنائهِ وجلوسهِ . ومن الناس من يمد ذراعيهِ فوق رأسهِ عند نومهِ وهي عادة مؤذية يجب الاقلاع عنها

ويجب ان تكون حرارة الاطراف مثل حرارة سائر الجسم عند النوم لانهُ اذا كانت القدمان باردتين تأخر النوم وكان خفيفًا . ومن الجهل ان تملأ المعدة طعامًا قبل النوم فان ذلك يقلق النائم ويؤرقهُ مثل الجوع ولكن اكل شيء قليل قبيل النوم ليس مضرًا بل مفيد على الغالب

والناس على اختلاف بالنظر الى النوم فمنهم من ينام حالاً في اول الليل ويعتريهِ الارق في اواخرهِ فيهجع قليلاً ثم يستيقظ وهذا يكون غالبًا في متوسطي السن . وقد يكون سببهُ ابتداء ضعف في الشرايين نشأ عن كثرة الهموم والمشاغل واجهاد الجسم او ضعفًا في القلب او هو عادة تولدت في الشباب فدامت الى الكهولة . ومنهم من ينام حالاً ولكنهُ لا يلبث

ومن احسن الوسائط للنوم الرياضة قبلهُ فيندفع الدم الى سطح الجسم وعضلاتهِ ويقل الضغط عن الدماغ . وقد علمت ان كثرة توارد الدم الى الدماغ مجلبة للارق . ومن تلك الوسائط ايضاً غسل القدمين بالماء الحارّ او غسل الجسم كلهِ بالماء الحارّ او البارد قبل النوم . على ان الواسطة الاولى افضل اي ترويض الجسم بتحريك اعضائهِ وخصوصاً العنق والساعدين وفرك العنق من القفا . ومنها ركب الدراجة قبل النوم مسافة قصيرة

واما الاكل قبل النوم فكثيرًا ما يفيد على شرط ان يكون الطعام خفيفاً وكميتهُ قليلة بخلاف الطعام الثقيل الكثير فانهُ يزيد حموضة المعدة ويؤرق النائم . وعلاج ذلك قليل من كربونات الصودا او مسحوق فحم الحطب

(انتهى ملخصاً من مقالة للدكتور مديسون تيلر نشرت في مجلة العلم العام الاميركيَّة)

الاحتضارات والقبريَّات

(تابع ما قبلهُ)

وقال مروان بن الحكم لما ظفر بهِ السفَّاح نحو سنة ١٣٣ هـ — ٧٥٠ م

الدهرُ يومان ذا أمن وذا حذرُ … والعيش شطران ذا صفوٌ وذا كدرُ
وكم على الارض من خضرا ويابسةٍ … وليس يرجم الَّا ما لهُ ثمرُ
قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا … هل غيَّر الدهرُ الَّا من لهُ قدرُ
اما ترى البحر تعلو فوقهُ جيفٌ … وتستقرُّ بأقصى قعرهِ الدُرَرُ
وان تكن عبثت أيدي الزمان بنا … ونالنا من تجنّي بؤسهِ ضررُ
ففي السماء نجومٌ لا عداد لها … وليس يكسفُ الَّا الشمسُ والقمرُ

وقال ابن باب الزاهد لصاحبهِ لما حضرتهُ الوفاة سنة ١٤٤ هـ — ٧٦١ م : " نزل بي الموت ولم اتأهَّب لهُ " — ثم قال : " اللهمَّ انك تعلم انهُ لم يسنح لي امران في احدهما رضًى لك وفي الآخر هوًى لي الَّا اخترتُ رضاك على هواي فاغفر لي "

ولما حجَّ ابو جعفر المنصور وانتهى الى بئر ميمون اشتدَّ بهِ الداء فاستقدم ولدهُ المهدي واوصاهُ وصية بليغة وبين يديهِ سفطٌ فيهِ دفاتر علمهِ وغلتهِ وكان لا يأمن على فتحهِ احدًا فقال : " انظر هذا السفط فاحتفظ بهِ فان فيهِ علم آبائك وانظر هذه المدينة واياك ان تستبدل بها فانها مدينتك وعزّك وقد جمعتُ لك فيها من الاموال ما لم يجمعهُ خليفة قبلي .

استيقظوا شعروا بانزعاج عامّ وصداع بخلاف الضعاف الذين ينامون نوماً خفيفاً متقطعاً فانهم يستفيدون من نومهم اكثر مما يستفيدهُ الممتلئو الاجسام

وغاية الامر انهُ لابدَّ للنوم الطبيعي الهنيء من تنظيم الدورة الدموية بحيث يكون الدم كافياً لتغذية الجسم ويكون توزيعهُ فيهِ متساوياً . واذا كانت المعيشة مرتبة وكان النوم مضطرباً قلقاً فلا بدَّ من استشارة الطبيب فقد يكون السبب في ذلك عدم تميم الجلد لوظيفتهِ او برودة الاطراف او امتلاء الامعاء وبالتالي تجمع مواد سامة فيها او ضعف القلب او انتهاك الجسم والدماغ او غير ذلك من اسباب الضعف والعلل . ومن اكثر الامور خطراً ان يتعرض الناس لما لا يعنيهم من امور صحتهم فيشربوا الادوية من تلقاء انفسهم من غير استشارة الطبيب . فان شرب المخدرات والنومات يضر الهضم ويجلب النوم ولكن ليس النوم الطبيعي

وافضل النوم ما كان ليلاً وما كان منتظماً ومتواصلاً غير متقطع على ان من الناس من ينام نوماً متقطعاً غير منتظم سواء في الليل او في النهار ولا ينالهُ اذى من ذلك كالمرضعات والممرضات . والذين يعملون اعمالاً بدنية شاقة كالبحارة ينامون كما سنحت لهم فرصة للنوم ولو قصيرة فينتعشون بها وكذلك الذين يشتغلون اشغالاً عقلية تقتضي حصر انتباههم في موضوع واحد كالاطباء والمحامين وغيرهم . ومن الناس ايضاً من ينام ساعات قليلة كل يوم ويبقى على ذلك مدة طويلة ولا يشعر باقل ضرر ولو كان يعمل اشق الاعمال

واوقات النوم مختلف فيها ولكن اتفق الناس على ان النوم الباكر والنهوض الباكر من دعائم الصحة . ومن المتفق عليهِ ايضاً ان الجسم احوج الى النوم شتاء منهُ اليهِ صيفاً . ولكن الاختلاف كثير على فتح النوافذ او اغلاقها مدة النوم في المدن الكبيرة والقرى الحقيرة وبين الاغنياء والفقراء على السواء . على ان مما لا ريب فيهِ ان النوم والشبابيك مفتوحة بحيث لا يتعرض النائم لمجرى الهواء افضل للصحة واحفظ

ويجب ان تكون ملابس النائم واسعة ولا يجوز لبس الصوف على الجلد مباشرة . ويفضل من الدثار ما كان سخيفاً على ما كان صفيقاً ومن الفراش الخشن على الناعم

والظلام يسهّل النوم فان النور ينفذ الجفون ولو كانت مطبقة ويدخل العينين بلا استئذان فيوقظ النائم لشدة احساسهما فيحسن بمن يريد النوم نهاراً ان يمنع النور عن عينيهِ اما بتعصيبهما او وضع حجاب امامهما لا ان يمنع النور من دخول الغرفة لان منع النور من دخولها يقتضي منع الهواء ايضاً على الغالب وفي هذا ما فيهِ من الضرر. واما في الليل فيستصوب اطفاء المصباح

فكفَّ عن خدمة الخليفة وعن نوبتهِ في دارهِ فقال في ذلك :

ملَّ والله طبيبي عن مقاساة الذي بي
سوف أُنعي عن قريبٍ لعـدوٍّ وحبيب

وغنى فيهِ لحنًا من الرَّمل فكان آخر شعر قالهُ وآخر لحن صنعهُ . وعادهُ الرشيد في اليوم الذي توفي فيهِ وقال لهُ كيف أنت يا ابرهيم فقال كما قال الشاعر :

سقيمٌ ملَّ منهُ اقربوهُ واسلمهُ المداوي والحميم (١)

فقال الرشيد انا لله وخرج فلم يبعد حتى سمع الناعية عليهِ وتوفي سنة ١٨٨ هـ — ٨٠٤ م

وقال الاصمعي بينما انا ذات يوم قاعد في مجلس بالبصرة فإذا انا بغلام احسن الناس وجهًا ونورًا واقف على رأسي فقال ان مولاي يريد ان يوصي اليك فقمتُ معهُ فاخذ بيدي حتى اخرجني الى الصحراء فاذا انا بالعباس بن الاحنف ملقى وهو يجود بنفسهِ و يقول :

يا بعيد الدار عن وطنه مفردًا يبكي على شجنه (٢)
كلما جدَّ النحيبُ بهِ زادت الاسقام في بدنه

ثم أُغمي عليهِ فانتبه بصوت طائر على شجرة وهو يقول :

ولقد زاد الفؤاد شجًى هاتفٌ يبكي على فننه (٣)
شاقني ما شاقهُ فبكى كلنا يبكي على سكنه (٤)

ثم أُغمي عليهِ فظننتها مثل الأُولى فتنفَّس الصعداء فاذا هو ميت وكان ذلك سنة ١٩٢ هـ — ٨٠٧ م

ولما كان هرون الرشيد في طوس مرض مرضًا شديدًا فجمع الاطباء يعالجونهُ حتى يئس فقال متمثلاً بقول ابي العتاهية شاعرهِ :

ان الطبيب بطبّهِ ودوائهِ لا يستطيع دفاع مكروهٍ اتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرئ مثلهُ في ما مضى
هلك المداوي والمداوَى والذي جاب الدواء وباعهُ ومن اشترى

ولما اشتدَّت عليهِ علتهُ واحسَّ بالموت استدعى بني هاشم وقال " اعلموا ان كلَّ مخلوق مائت وقد حلَّ بي ما ترون وانا أُوصيكم في ثلاثة : الحفظ لأمانتكم . والنصيحة لأئمتكم . واجتماع كلمتكم . وانظروا الى اولادي محمد وعبد الله فمن بغى منهما على اخيهِ ردُّوهُ عن بغيهِ وانكثوا عهدهُ (كأَنهُ كان يخشى من الفتنة بينهما) ثم توفي سنة ١٩٣ هـ — ٨١٤ م

(١) الصديق (٢) حزنهِ (٣) غصنهِ (٤) ما تسكن اليهِ وتستأنس بهِ

ان حبس عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذريّة ومصلحة الثغور . فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزًا وبيتك عامرًا وما اظنك تفعل . وأُوصيك باهل بيتك ان تظهر كرامتهم والاحسان اليهم وتوليهم المنابر وتوطئ الناس اعقابهم فان عزّهم عزك وذكرهم لك . وانظر الى مواليك فاحسن اليهم وقرّبهم واستكثر منهم فانهم مادّتك لشدّةٍ ان نزلت بك . وأُوصيك باهل خراسان فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا اموالهم ودماءهم دونك تحسن اليهم وتجاوز عن مسيئهم وتخلف من مات منهم في اهلهِ وولدهِ واياك ان تبني مدينة شرقية فانك لا تتم بناءها واياك ان تدخل النساء مشورتك وامرك . وهذا آخر كلامي بالوصية اليك " ثم تردّدت نفسهُ في صدرهِ فقال : " السلطان من لا يموت " وقبض الى رحمة باريهِ سنة ١٥٩ هـ — ٧٦٧ م

وجزع سفيان الثوري جزعًا شديدًا لما تراكدت عليهِ غصص الموت فقيل لهُ ما هذا الجزع يا ابا عبدالله أليس تذهب الى من عبدتهُ وفررت بيدنك اليهِ — فقال : " ويحكم اني اسلك طريقًا لم اعرفهُ وأُقدم على ربٍّ لم ارهُ " ولفظ انفاسهُ في سنة ١٦١ هـ — ٧٦٩ م

وقال محمد بن هرون يرثي نفسهُ :

كأني باخواني على جنب حفرتي يهيلون فوقي والعيون دمًا تجري
فيا أيها المذريُّ عليَّ دموعهُ ستعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني أنزل القبر ثاويًا أزارُ فلا أدري وأجفى فلا أدري

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمري وهو يلفظ انفاسهُ : " بنعمة ربي أحدّث لو أنَّ الدنيا اصبحت تحت قدمي لا يمنعني من اخذها الاَّ أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها " وتوفي سنة ١٨٤ هـ — ٨٠٠ م

ولما احسَّ سيبويهِ إمام النحاة بالموت وهو في ساوة تمثَّل وقال :

يؤمّل دنيا لتبقى لهُ فمات المؤمّلُ قبل الأملْ
حثيثًا يروّي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات البصل

ولما احتضر وضع رأسهُ في حجر أخيهِ فأُغمي عليهِ . فدمعت عين اخيهِ . فأفاق فرآهُ يبكي فقال :

وكنّا جميعًا فرّق الدهرُ بيننا الى الامد الاقصى فمن يأمن الدهرا

ولفظ بهذه الكلمات انفاسهُ سنة ١٨٦ هـ — ٨٠٣ م

ومرض ابرهيم الموصلي شيخ المغنين في عصرهِ بداء القولنج فلزمهُ وكان يعتادهُ احيانًا

" لا تسأل لي الصحة بل اسأل لي العفو " وقال : " اللهمَّ امرتنا فخالفناك فاعفُ لانك رحيم " فكان آخر كلام قالهُ قبل ان يفارق دنياهُ سنة ٢١٨ هـ — ٨٣٣ م

وسئل ابو العتاهية المشهور بزهدياتهِ وهو يجود بنفسهِ ماذا تشتهي - فقال " اشتهي ان يجيء مخارق المغني ويغني عند رأسي قولي

اذا ما انقضت مني من الدهر مدَّتي فانَّ عزاء الباكيات قليلُ
سيعرض عن ذكري وتنسى مودَّتي ويحدث بعدي للخليل خليلُ

وجاء في ديوانهِ المطبوع ان آخر شعر قالهُ في مرضهِ الذي مات فيهِ يستغفر الله بهِ عن ذنوبهِ هو :

الهي لا تعذّبني فاني مقرٌّ بالذي قد كان مني
ومالي حيلة الاَّ رجائي وعفوك ان عفوت وحسن ظني
فكم من زلّةٍ لي في البرايا وانت عليَّ ذو فضل ومنِّ
اذا فكَّرتُ في قدمي عليها عضضتُ انامل وقرعتُ سني
يظنّ الناس بي خيرًا واني لشرُّ الناس ان لم تعفُ عني
أُجنُّ بزهرة الدنيا جنونًا وافني العمر فيها بالتمني
وبين يديَّ محتبسٌ ثقيلٌ كأني قد دُعيتُ لهُ كأني
ولو اني صدقتُ الزهد فيها قلبتُ لاهلها ظهر المجنِّ

وتوفي سنة ٢٢١ هـ — ٨٣٥ م

ودخل عبدالله بن الفضل على ابي حفص الشطرنجيّ يعودهُ في علتهِ التي مات فيها فانشدهُ قولهُ :

نعى لك ظلّ الشباب المشيبُ ونادتك باسم سواك الخطوبُ
فكن مستعدًّا لداعي الفناء فانّ الذي هو آتٍ قريبُ
أَلسنا نرى شهوات النفوسِ تفنى وتبقى عليها الذنوبُ
وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ فعاش المريضُ ومات الطبيبُ
يخاف على نفسهِ من يتوبُ فكيف ترى حال من لا يتوبُ

ولم يلبث ان قضى نحبهُ وذلك في خلافة المعتصم

ولما احتُضر المعتصم جعلوا يهوّنون عليهِ . فقال : " هان على النظّارة ما يمرُّ بظهر المجلود "

ثم قبض سنة ٢٢٧ هـ — ٨٤١ م

وقال ابو نواس نديم هرون الرشيد وهو يجود بنفسهِ (١٩٥ هـ — ٨١٠ م)

دبَّ فيَّ الفناءُ سفلاً وعلوا وأُراني اموت عضوًا فعضوا
ذهبت شرَّتي(١) بجدَّة(٢) نفسي وتذكرتُ طاعة الله نضوا(٣)
ليس من ساعةٍ مضت ليَ الاَّ نقصتني بمرّها بيَ جزوا(٤)
لهف نفسي على ليالٍ وايامٍ تمليتهنَّ(٥) لعبًا ولهوا
قد اسأنا كلَّ الاساءة فاللهمَّ صفحًا عنا وغفرًا وعفوا

ولما قبض على الامين بن هرون الرشيد ليُقتل ودَّع اولادهُ وعيالهُ وبكى قائلاً : "هذا آخر عهدي بكم والله خليفتي عليكم" — ومن كلامهِ لما ظُفر بهِ "اذا لم تساعد التقادير ضرّت التدابير" — ولما دخلوا عليهِ ليقتلوهُ ورآهم عن بعد في منتصف الليل جعل يقول "انا لله وانا اليهِ راجعون ذهبت والله نفسي في سبيل الله أما من حيلة أما من مغيث" ولما همُّوا بقتلهِ قال : "ويحكم اني ابن عم رسول الله وابن هرون الرشيد واخو المأمون الله الله في دمي" فكان آخر العهد بهِ سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ م

وقيل لأَبي المحفوظ معروف الكرخي الزاهد وهو في النزع أوصِ : فقال "اذا متُّ فتصدَّقوا بقميصي هذا فاني أُريد أن اخرج من الدنيا عريانًا كما دخلتها عريانًا" ثم قبض سنة ٢٠٠ هـ — ٨١٦ م

وقال المزني دخلتُ على الامام الشافعيّ صباح وفاتهِ وقلتُ كيف اصبحت يا ابا عبدالله فقال : "اصبحتُ من الدنيا راحلاً ولاخواني مفارقًا وكاس المنيَّة شاربًا ولا ارى الى الجنة تصير روحي فأُهنئها ام الى النار فأُعزيها وانشأ يقول :

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ الرجا مني لعفوك سلَّما
تعظَّمني ذنبي فلما قرنتهُ بعفوك ربي كان عفوك اعظما

ثم توفي سنة ٢٠٤ هـ — ٨١٩ م

ولما حضر بشر بن المنصور الموت فرح فقيل لهُ اتفرح بالموت فقال : "اتجعلون قدومي على خالقٍ ارجوهُ كمقامي مع مخلوقٍ اخافهُ" ثم خرجت روحهُ مع كلماتهِ سنة ٢٠٩ هـ — ٨٢٥ م

ودخل الجاحظ على المأمون وهو يجود بنفسهِ فرآهُ مفترشًا جلد دابَّةٍ وباسطًا عليهِ الرماد وهو يتمرَّغ فيهِ ويقول : "يا من لا يزول ملكهُ ارحم من يزول ملكهُ . يا من لا يموت ارحم من يموت" — فقال الجاحظ عظَّم الله اجرك يا امير المؤمنين واعقبك الصحة . فقال :

(١) بمعنى النشاط (٢) السرعة (٣) مهزولاً (٤) مخفف جزء بالهمز (٥) تملى فلان عمره وايامهُ استمتع بها

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين يرثي نفسهُ (سنة ٢٥٣ هـ — ٨٦٨ م)

عناءٌ قليلٌ ان بكى لي لياليًا سيضحك من يبكي و يعرض عن ذكري
ترى صاحبي يبكي قليلاً لفرقتي ويضحك من طول الليالي على قبري
ويحدثُ اخوانًا وينسى مودَّتي وتشغلهُ الاحبابُ عني وعن ذكري

وروى المبرّد قال : دخلتُ على الجاحظ في آخر ايامهِ وهو عليلٌ فقلتُ لهُ: كيف انت فقال كيف يكون من نصفهُ مفلوج ولو نشر بالمناشير لما احسَّ بهِ ونصفهُ الآخر منقرس لو طار الذباب بقربهِ لآلمهُ وانشد

اترجو ان تكون وانت شيخٌ كما قد كنتَ ايام الشباب
لقد كذَّبت نفسك ليس ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثيابِ

واسلم الروح سنة ٢٥٥ هـ — ٨٦٩ م

ولما سُمَّ ابن الرومي الشاعر ودبَّ فيهِ السمّ واشتدَّ شربهُ الماء قال :

اشرب الماء اذا ما التهبتْ نارُ احشائي كاحشاء اللهبْ
فأراهُ زائدًا في حرقتي فكانَّ الماءَ للنار حطبْ

وروى نفطويه النحوي انهُ رأى ابن الرومي هذا يجود بنفسهِ فقال لهُ ما حالك فانشد :

غلط الطبيب عليَّ غلطة موردٍ عجزت مواردُهُ عن الإصدارِ
والناس يلحون الطبيب وانما غلطُ الطبيب اصابةُ الاقدارِ

وروى ابو عثمان الناجم الشاعر قال دخلتُ على ابن الرومي اعودُهُ فوجدتهُ يجود بنفسهِ فلما قمتُ من عندهِ قال :

ابا عثمان انت عميد قومكْ وجودُكَ للعشيرة دون لومكْ
تزوَّد من اخيك فلا اراهُ يراك ولا تراهُ بعد يومكْ

واسلم الروح سنة ٢٨٣ هـ — ٨٩٧ م

ولما حضرت الوفاة المعتضد بالله الخليفة السادس عشر العباسي قال وكأنهُ ندم على استبدادهِ

تمتعْ من الدنيا فانك لا تبقى وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرَّنقا
ولا تأمن الدهرَ الذي قد امنتهُ فلم يبقِ لي حالاً ولم يرعَ لي حقا
قتلتُ صناديد الرجال ولم ادع عدوًّا ولم امهل على طغيهِ خلقا
واخليتُ دار الملك من كل نازعٍ فشرَّدتهم غربًا ومزَّقتهم شرقا
فلما بلغتُ النجم عزًّا ورفعةً وصارت رقابُ الخلق اجمعُ لي رقا

ولما اخرج هرون الواثق بالله العباسي من التنّور وقد اسودَّ جسدُهُ احتضر وقال :

الموتُ فيهِ جميعُ الناس تشتركُ لا سوقةٌ منهمُ يبقى ولا ملكُ
ما ضرَّ اهل قليلٍ في مقابرهم وليس يغني عن الملاك ما ملكوا

ثم امر بالبسط فطويت والصق خدَّهُ بالارض وجعل يقول : " يا من لا يزول ملكهُ ارحم من قد زال ملكهُ " وتوفي سنة ٢٣٢ هـ — ٨٤٦ م

ولما وُضع عبد الملك بن الزيات وزير المعتصم الذي اعتقلهُ المتوكل في تنور من حديد طلب دواةً وبطاقة وكتب هذه الابيات وهي لابي العتاهية :

هو السبيل فمن يومٍ الى يومِ كأنهُ ما تريك العينُ في النومِ
لا تعجلنَّ رويداً انها دُولٌ دنيا تنقَّلُ من قومٍ الى قومِ
ان المنايا وان طال الزمان بها تحوم حولك حوماً ايَّما حومِ

وسيَّرها الى المتوكل فاشتغل عنها حتى الغد فقرأها وامر باخراجهِ فوُجد ميتاً وقيل ان هذه الابيات وُجدت في جيبهِ بعد موتهِ وكان سنة ٢٣٣ هـ — ٨٤٧ م

وقال المتوكل العباسي ليعقوب بن السكيت اللغوي المشهور وبحضرتهِ ولداهُ المعتزّ والمؤيد " ايما احبّ اليك ابناي هذان ام الحسن والحسين " فقال — : " والله ان قنبراً خادم عليّ ابن ابي طالب خيرٌ منك ومن ابنيك " — فامر المتوكل بان يسلَّ لسانهُ من قفاهُ ففعلوا ومات نحو سنة ٢٤٤ هـ — ٨٥٨ م

وجلس محمد المنتصر بالله العباسي يوماً على بساط ديباج فرأى في دائرة فيهِ كتابة بالفارسية — فقال ما هذه الكتابة . فقرئت فاذا هي " أنا شيرويه بن كسرى قتلتُ ابي فلم أُمتَّع بالملك بعدهُ " — فتغيَّر وجههُ وقام عن مجلسهِ فلم يبقَ بعد ذلك الَّا يسيراً وسُمَّ فأحسَّ بالوفاة فعادتهُ أمهُ وسألتهُ عن حالهِ . فقال لها . " ذهبت عني الدنيا والآخرة عاجلتُ ابي فعوجلتُ " وانشد :

فما فرحت نفسي بدنيا أصبتها ولكن الى الله الكريم اصيرُ

وقبض سنة ٢٤٨ هـ — ٨٦٢ م

ولما توفي ابن الجهم جريحاً سنة ٢٤٩ هـ — ٨٦٣ م وُجدت في ثيابهِ رقعة كتب فيها :

يا رحمتا للغريب في البلد النـا زح ماذا بنفسهِ صنعا
فارق أحبابهُ فما انتفعوا بالعيش من بعدهِ ولا انتفعا

الابن الصالح مسرّة للوالد
الحكيم يحفظ مالهُ
من يقرض صديقهُ مالاً اضاع الصديق والمال معاً
ثق بامرأتك ما دامت امك تراقبها
لا تبح باسرارك لخادمك
انما قلبك هو الدنيا
الشاعر يرى العالم اجمع وهو في بيتهِ
عرش الالهة على جبين الصدّيق

حكم من التلمود

كن المشتوم لا الشاتم وكن من الذين يجار عليهم لا من الجائرين
احمد الله على السرّاء كما على الضرّاء
اذا كانت ابواب السماء مغلقةً عن الصلاة فهي مفتوحة للدموع
اذا مات الصالح خسرتهُ الدنيا
الحياة ظل زائل لا كظل برج او شجرة يدوم برهةً بل كظل عصفور طائر يطير فلا عصفور ولا ظل
تبْ قبل موتك بيوم (ولأنك لا تعلمهُ فكن تائباً دواماً)
تب اليوم لئلاً تدعى غداً للمحاكمة
الغرض من الحكمة التوبة والعمل الصالح
اعظم الصالحين لا ينال منزلة التائب الصادق
ثواب العمل الصالح كالرطب الذي يبطؤُ حلاوةً ونضجاً
إتقِ الله كما تتقي الناس فاذا حذرت الخطاء بمشهد الناس فاحذرهُ بمشهد الرقيب
مثل من كان علمهُ اكثر من صلاحهِ مثل الشجرة التي اغصانها كثيرة وجذورها قليلة فتقتلعها اول عاصفة . واما من كان صلاحهُ اكثر من علمهِ فمثلهُ مثل الشجرة الكثيرة الجذور القليلة الاغصان لا تقتلعها جميع عواصف السماء
احبب زوجتك كما تحبّ نفسك واكرمها اكثر مما تكرم نفسك
من عاش عزباً عاش بلا فرح ولا راحة ولا بركة
انزل خطوة في اختيارك زوجةً

رماني الرَّدى سهماً فاخمد جمرتي فها انا ذا في حفرتي عاجلاً أُلقى
ولم يغنِ عني ما جمعتُ ولم أَجد لذي مللٍ منها ولا راغبٍ رِفقا
فيا ليت شعري بعد موتي ما أُلقى الى نعم الرحمن ام نارهِ أُلقى

وتوفي سنة ٢٨٩ ه — ٩٠٢ م

عيسى اسكندر المعلوف

حكم وامثال

من امثال اليابانيين

اللسان الذي طولهُ ثلاث عقد قد يقتل رجلاً طولهُ ست اقدام

اشتم جارك واحفر قبرين

الرجل الذي يماطل في امورهِ يسنّ سهامهُ بعد ما يرى الاسد

الامراض تدخل الجسم من الفم

التعليم الصالح لا يحتاج الى معجزات

تبديد الضباب بالمروحة محال

بناء جسر يصل الى السحب محال

غرْف البحر بالصدفة محال

اذا ابغضت انساناً فادعُ لهُ بطول العمر

اذا كان الكلام كثيراً كان المعنى قليلاً

الغلوّ في التلطف فظاظة

المنجّم لا يعرف بختهُ والطبيب لا يقدر على شفاء نفسهِ

لا ورد بلا شوك

ابحث سبع سنوات قبل ان تصدق خبراً

اذا اردت ان تعرف الحديث فانظر الى القديم

الكلب جسور عند باب صاحبهِ

احترم كل شيخ كما تحترم اباك

متى تقدَّم الشيوخ في السن وجب عليهم ان يطيعوا اولادهم

لا يسأَل الانسان عما يقولهُ في كآبتهِ

من كان فيهِ الحياء لا يستسهل عمل الخطاء

بين من يستحي من نفسهِ ومن يستحي من الناس فقط بون عظيم

نعمَ الاستحياء في الانسان

ان كان اسلافنا كالملائكة فنحن كالبشر وان كانوا كالبشر فنحن كالحمير

لا تسكن قرب تقيّ جاهل

اذا شئت ان تشنق نفسك فاختر شجرة كبيرة

خير لك ان تأكل البصل وتجلس في الظل من ان تأكل الدجاج والارز ولك منهُ تعب القلب

الآس آس ولو كان في القفر

اذا سقط الابريق علي الحجر فويل للابريق واذا سقط الحجر على الابريق فويل للابريق فمهما حدث فويل للابريق

الشباب اكليل من الورد والشيخوخة اكليل من الشوك

علم لسانك ان يقول لا ادري

الكلام لا ما تقولهُ في نفسك بل ما يقولهُ الناس فيك

لا يشرف المكان الانسان بل الانسان المكان

من يمشِ في حقولهِ كل يوم وجد درهمًا كل مرةٍ

من يتضع يرتفع ومن يرفع نفسهُ يتضع

من يسعَ وراء العظمة سعت عنهُ ومن يسعَ منها سعت اليهِ

من يكظم غيظهُ غفرت آثامهُ

من لا يظلم الذين يظلمونهُ ومن يصمت على الاذى ومن يعمل خيرًا لاجل الخير ومن يكن بشوشًا في الشدة اولئك هم خلاّن الله

اذا ارتكبت الاثم مرتين ظننت انهُ جائز

ليس عليك ان تكمل العمل وليس لك ان تكفّ عنهُ

اذا عملت كثيرًا كان ثوابك كثيرًا لان السيد الذي استخدمك موفٍ بما لك من الجزاء ولكن اعلم ان الجزاء الحقيقي ليس من هذه الدنيا

يوحنا ورتبات

بالمرأة تأتي بركات الله الى البيت فهي التي تربي الاولاد وتسهل العمل للزوج وترحب بهِ حينما يرجع وتجعل المنزل صالحاً نقيًّا وكلها من بركات الله

من يتزوج طمعاً بالمال كانت اولادهُ شرًّا عليهِ

البيت الذي يغلق امام الفقير يفتح امام الطبيب

البخيل محتقر حتى لدى طيور السماء

لتكن كرامة قريبك ككرامة نفسك

خير لك ان تزجّ في اتون من النار من ان تفضح احداً

الضيافة اعظم شيء في عبادة الله

تاج الاسم الصالح اعظم تيجان الدنيا

الحديد يكسر الحجر . والنار تذيب الحديد . والماء يطفئ النار . والغيوم تشرب الماء . والعاصفة تبدد الغيوم . والرجل يثبت امام العاصفة . والخوف يذل الرجل . والخمر تبعد الخوف . والنوم يطرد الخمر . والموت يجرفها جميعاً حتى النوم

اذا شئت ان تنجو من الخطية تأمل بهذه الاشياء الثلاثة من اين اتيت والى اين تذهب ولمن تعطي حساباً عن كل اعمالك وهو الله القدوس المتعالي

اربعة لا يدخلون الفردوس المستهزئ والكذّاب والمرائي والنمّام

النمّ كالقتل

اذا لم يكن للسارق سبيل للسرقة ظن نفسهُ عفيفاً

لصديقك صديق ولصديق صديقك صديق فكن على حذر

الكلب يلازمك لسبب كسر الخبز التي في جيبك

اراد الجمل ان يكون لهُ قرنان فنزعت اذناهُ

الجنود تحارب والاسم للملوك

اللص يسمي باسم الله وهو يخرق البيت

متى سقط الثور كثر الجزّارون

انزل درجة في انتخاب الزوجة واصعد درجة في انتخاب الصديق

اذا كان بك شيء رديء فقلهُ انت

لولا هوى النفس لما بنى احد بيتاً او تزوج امرأة او ولد اولاداً او عمل شيئاً .

تغرب الشمس بنفسها لا بمساعدتك

الذهب وكان اكتشاف الذهب فيهِ مقدمة لاكتشاف منجم كبير منهُ هناك

ويحكى ان رجلين خرجا معًا سنة ١٨٩٢ يطلبان الذهب في عرض احدى الصحارى الكبيرة في استراليا اسم احدهما بايلي والآخر فورد ثم افترقا وقصد كلٌّ منهما جهة معلومة ، وما زال بايلي ينقّر وينقب حتى كلَّ وملَّ وانقلب راجعًا من حيث اتى· وكان ذات ليلة نائمًا في خيمتهِ وحصانهُ مربوط خارجها فحدث للحصان ما اجفلهُ فجعل يضرب الارض بحوافرهِ ويصهل فاستفاق بايلي من نومهِ وخرج ليسكنهُ فعثر بما ظنهُ حجرًا في بادىء الامر ثم بان لهُ لدى الفحص انهُ شذرة ذهب وان هناك منجمًا منهُ ولم يمضِ على ذلك شهر حتى اجتمع عندهُ ما بلغت قيمتهُ ١٠ آلاف جنيه

وما جرى في استراليا جرى قبلهُ في كليفورنيا باميركا وحكايات اكتشاف الذهب فيها ليست باقلّ غرابة من الحكايات المتقدمة . يحكى ان صاحب مطحنة كان يحفر قناة فرأى شيئًا يلمع عن جانبيها فلم يبالِ بهِ اولاً ثم خطر لهُ ان يجمعهُ فاذا هو ذهب خالص · وكان ذلك سنة ١٨٤٨ ولم يمضِ على هذا الاكتشاف سنة حتى اصبحت كليفورنيا محطّ الانظار وكعبة القصّاد بعد ما كانت مجاهل لم توطأ بمنسم ومهالك لم تصحب بها الذئب نفسهُ · فاصاب نفر قليل منهم غنًى طائلاً في زمان قصير وكثيرون كفاية وعاد الاكثرون بخفي حنين وقد تعلموا بالخبرة بعد الخبر ان الذهب غرّار بصيصهُ مثل بصيص السراب وطالبهُ يظفر من الغنيمة بالاياب

ومن اسعد طالبي الذهب جدًّا واوفرهم حظًّا رجل اسمهُ مارتن · هذا خرج هو ورفيق لهُ اسمهُ فلور يفتشان وينقبان حتى كادا يهلكان تعبًا ولم يفوزا بطائل · وادركتهما زوبعة هائلة قتلت فلور فرأى مارتن ان عهد الامانة والوفاء يقضي عليهِ بدفن جثة صديقهِ مع ما هو عليهِ من الجوع والاعياء فاخذ يحفر لهُ قبرًا عند جذع شجرة فعثر على شذرة من الذهب بلغت زنتها ١٥١ رطلاً و ٦ اواقيّ وثمنها ٧٢٥٤ جنيهًا

ومن نوادر ما نحن بصددهِ ان رجلاً كان يتمشى على ضفة نهر من انهار غربي كندا باميركا سنة ١٨٩٦ وكان قد اضرم نارًا في الليلة السالفة فرأى خلل الرماد وميض شيءٍ اصفر فعلم ان السعد وافاهُ هو والذين كانوا معهُ وعدتهم ٢٥٠ نفسًا فجعلوا يحفرون مدة الشتاء الطويل ويجمعون التراب الذي يحفرونهُ عرمًا واكوامًا ولما شرعوا يصفونهُ وينقونهُ وجدوا الذهب فيهِ كثيرًا حتى ان منهم من جمع ذهبًا على معدّل ثلاثة جنيهات ونصف في الدقيقة وبقي كذلك مدة طويلة حتى اصبح غنيًّا · ولكن اسعد ذلك الجمع حظًّا كان اكثرهم كسلاً فان رجلاً منهم لم يشأ ان يتبعهم الى حيث يجمعون الذهب لبعد المسافة فرأى ان يتحوّل

كنوز الذهب

الكنز المال المدفون وقد اطلقناهُ توسعاً على الشذور الكبيرة من الذهب التي توجد في الارض معدناً صرفاً . فان اكثر الذهب الذي يستخرج من الارض يكون فيها ذرات صغيرة جدًّا لا تكاد العين تراها لصغرها وهي مبثوثة في الصخور الصماء فتقلع الصخور وتسحق حتى تنعم ثم تصول وينزع الذهب منها بالزئبق او بسيانيد البوتاسيوم ولكن لا يندر ان توجد شذرات كبيرة من الذهب الصرف زنة الشذرة منها من قمحة الى اواقي كثيرة وهي الكنوز التي اردناها . ولا شبهة في ان القدماء عرفوا الذهب اولاً من اكتشافهم هذه الشذرات الكبيرة فرأوها لامعة رزينة واستعملوها اولاً حلّى للزينة ثم طرّقوها او اذابوها وصاغوها . وقد عثرنا على فصل لبعضهم في مجلة ستراند الانكليز ذكر فيهِ اسماء كثيرين من الذين وجدوا كنوزاً من الذهب والفضة وغيرهما فاثروا بها فاقتطفنا منها ما يلي تفكهة للقراء لا اغراء لهم بطلب الذهب من هذا السبيل لانهُ لا يفلح واحد من الف يطلبونهُ كذلك

من اكبر الشذور التي وجدت الى الآن شذرة ثقلها ٢٢١٧ اوقية وجدت في بلارات بفكتوريا (استراليا) سنة ١٨٥٨ واخرى وجدت في دنولي بفكتوريا ايضاً سنة ١٨٦٩ وثقلها ٢٢٦٨ اوقية وثمن كل شذرة منهما نحو ٨٠٠٠ جنيه اتت صاحبها بضربة واحدة من المعول . وكان خمسة من المعدّنين يطلبون الذهب في البلاد المذكورة فحفروا ست حفر عمق كلّ منها بين ٣٠ و ٦٠ قدماً ولما لم يجدوا شيئاً عزموا ان يحفروا حفرة سابعة فاذا لم يصيبوا ذهباً انقطعوا عن العمل . فشرعوا يحفرون وما كادوا يبلغون عمق تسع اقدام حتى عثروا على شذرات من الذهب زنتها كلها ١٢٠ رطلاً . وحدث مثل ذلك في بلاد ويلس الجديدة (باستراليا) فان راعياً من الاهالي كان يتسلى بالتفتيش عن الذهب في اثناء جولانهِ من مكان الى مكان وهو يرعى غنمهُ فرأى ذات يوم شيئاً يبصُّ في صخر من الكورتز فقطع قطعة من الصخر بفأس كانت معهُ فرأى شذرة كبيرة من الذهب بلغت زنتها ١٠٠ رطل ورطلين و ٩ اواقي . فلما نقلت هذه الشذرة الى مدينة باترست هاج الاهالي وماجوا وهبوا يطلبون الذهب في كل هياء وبلغ خبرها اطراف المسكونة فاقبل الناس الى استراليا من كل فجّ عميق للتفتيش عن الاصفر الرنان

ومن اغرب ما يحكى في هذا الصدد ان غلاماً تناول عن الارض حجراً ليرمي بهِ بقرة شردت عن مرعاها فاذا الحجر ثقيل بالنسبة الى حجمهِ فقلّبهُ بين يديهِ فوجد فيهِ كثيراً من

واكثر مناجم الفحم الحجري في الولايات المتحدة الاميركية اكتشف صدفة واتفاقًا . ففي سنة ١٧٦٠ كان غلام يصطاد السمك في جدول من جداول فرجينيا فرأى في احدى ضفتي الجدول خطًّا اسود ظهر فيما بعد انهُ فحم حجر كثير القطران فكان ذلك بدء صناعة القطران في الولايات الشرقية وقد بلغت الآن مبلغًا عظيمًا . وبمثل هذه الصدفة وجدت مناجم الفحم الحجري العادي في بنسلفانيا فان صيّادًا كان عائدًا من الصيد وقد اكتنفهُ الظلام فعثر بشيء تدحرج امامهُ فتناولهُ واذا هو حجر اسود برّاق فخامرهُ ظنٌّ انهُ لا يبعد ان يكون الفحم الحجري الذي سمع الناس يتحدثون بهِ وبوجودهِ في تلك الناحية فطابق ظنهُ الواقع

واغرب من ذلك كلهِ واعجب اكتشاف مناجم البترول في الولايات المتحدة الاميركية في اواسط القرن الماضي وكان البترول اذ ذاك قليل الوجود كثير الثمن . ومن حكاياتهِ ان تاجرين من تجار بنسلفانيا استخدما مهندسًا معروفًا لحفر بئر من آبار البترول في مكان كثير الرمال والماء فكان كلما حفر قليلاً تعود الحفرة فتمتلئ رملاً وماء فرأى منعًا لذلك ان يغرز انبوبة من الحديد في الارض الى ان يبلغ الصخر ففعل وبلغ الصخر بعد ان حفر ٣٣ قدمًا في الرمل وكان قد أنفق الفي جنيه ولم يجنِ شيئًا فأُمر بدفع ديونهِ وبترك الحفر . وقبلما بلغهُ هذا الأمر يوم كان لا يزال يواظب على الحفر فهبطت الانبوبة ست عقد بغتة وامتلأت بترولاً باسرع من لمح البصر حتى سطح الارض . فركّب طلمبة وجعل يستخرج بها ١٥٠٠ جالون من البترول كل يوم ويبيع الجالون بريال فهبّ الناس الى حيث البئر من كل ناحية وجعلوا يشترون الارض حولها او يستأجرونها بمبالغ باهظة من المال . والبترول يتدفق من البئر تدفق السيل وكثير منهُ يضيع سدى لقلة الآنية اللازمة لنقلهِ . وكان ذلك بدءَ تجارة اضافت ٤٠٠ مليون جنيه الى ثروة الولايات المتحدة الاميركية

ولكن المهندس نفسهُ لم يصر غنيًّا لسببين الاول انهُ لم ينل امتيازًا بطريقة حفر الآبار المشار اليها وثانيًا ان البئر اصيبت بما خربها وخرّب الطلمبة التي اقيمت عليها فكانت النتيجة ان كثيرين حفروا الآبار قبلما اصلحت البئر الاولى فهبط ثمن البترول هبوطًا فاحشًا

وانكد من هذا المهندس طالعًا رجل فرنسوي اقام سبع سنوات يحفر ويبحث عن النحاس في منجم بتسكانيا فلا يجدهُ حتى كاد ينفق آخر فلس معهُ في ذلك السبيل واخيرًا باع المنجم بثمن بخس جدًّا . ولم يمضِ على بيعهِ الاَّ القليل حتى اصاب المشترون ضالَّة البائع فاصبحوا من ارباب الملايين لانهم كانوا يستخرجون منهُ من النحاس ما قيمتهُ ٤٠٠٠٠ جنيه كلَّ سنة وبقوا على تلك الحال سنين كثيرة

الى مكان قريب من المكان الذي يقيمون فيهِ فأصاب منجمًا بلغ ما جمع منهُ ٦٠٠ الف جنيه. وعاد كثيرون من اولئك العمال الى سان فرنسيسكو يحملون طنًّا من تبر الذهب وشذورهِ في آنية مختلفة فما كادوا يبلغونها حتى هبَّ الناس يطلبون الذهب من كل حدب وصوب وكان ذلك بدء اعادة الكرة على كلونديك في المرة الاخيرة على ما مشهور

هذه بعض حكايات الذهب والذين اغتنوا بسببهِ ولكن كثيرين جمعوا ثروة اعظم مما تقدم من السعي وراء الفضة . والفضة تختلف عن الذهب في انها توجد غالبًا متحدة اتحادًا كيماويًّا بالرصاص او الزرنيخ او الكبريت او غيرها من العناصر وقلما توجد شذورًا نقية مثل الذهب وعليهِ فلا غنى عن معالجة معدن الفضة معالجة كيماوية للحصول على النزر اليسير الذي يوجد من الفضة فيهِ متحدًا بغيرهِ من المعادن

ومن غرائب حكايات الفضة والذين اغتنوا بها ان اربعة رجال اميركيين تشاركوا وجمعوا مالاً بالاكتتاب للتفتيش عن الفضة في مكان اعتقدوا انها كثيرة فيهِ فجعلوا يحفرون في الصخور الصلبة والناس يستهزئون بهم حتى انفقوا اربعين الف جنيه على غير طائل وكادوا يفلسون ويقنطون وفيما هم على تلك الحال اصابوا صخرًا ثقيلاً اسود هو صخر الفضة فانتشلوا من وهدة الافلاس الى ذروة الغنى لانهم ظلوا ثلاث سنوات يستخرجون الفضة على معدل ٦٠٠ الف جنيه في الشهر وبلغت قيمة ما استخرجوهُ منها بين سنة ١٨٧٣ (سنة اكتشاف المعدن) وسنة ١٨٩٩ ستة وعشرين مليون جنيه ونصفًا ووزع نصف هذا المال على المساهمين

على ان اشهر البلاد بكثرة ما وجد فيها من معدن الفضة بلاد المكسيك . فقد وجد بعضهم فيها قطعة واحدة من معدن الفضة ثقلها ٢٧٠٠ رطل وذلك في اواسط القرن الثامن عشر . واشترى كاهن فقير بنزر يسير من المال امتيازًا اهملهُ اصحابهُ بعد ما اضاعوا الوقت والمال عليهِ ولم يظفروا منهُ بطائل فوجد منجمًا بلغت قيمة ما استخرجهُ من الفضة منهُ ٦٠٠٠٠٠ جنيه . ووجد زنجيٌّ في رماد نار اضرمها زرًّا من الفضة فاهتدى منهُ الى منجم كبير اصبح بهِ من ارباب الملايين . ويحكى ان مكاريًا اسبانيًا في المكسيك اصاب منجمًا جمع منهُ ثلاثة ملايين جنيه في ١٢ سنة وكان ذلك في القرن الثامن عشر

ومن البلاد التي اشتهرت بفضتها بلاد شيلي في اميركا الجنوبية. يحكى ان صيادًا ادركهُ التعب فجلس في ظل صخر يستريح فرأى قسمًا من الصخر يلمع فاقتطع منهُ قطعًا صغيرة وحللها فوجد انها فضة ممزوجة برصاص وكانت مطلع غناهُ . وعثر اخوان في شق من الارض احدثتهُ زلزلة على قطعة كبيرة من معدن الفضة استخرج منها نحو ربع مليون جنيه

حدث فيهِ بعد وقت قصير تغير لم يحدث في ذاك لان السائل الاحمر يتغير منظرهُ ويتحول من المظلم الى الشفاف ويصير لون المزيج المؤلف من المصل المحضر من دم الارنب ومن دم الكوباي كلون النبيذ الاحمر الممزوج بالماء . وسبب هذا التغير ذوبان كريات دم الكوباي الحمراء في مصل الارنب المحضَّر

فهذا المصل قد اكتسب صفة جديدة ليست بقليلة الاهميَّة لاننا اذا اضفنا اليهِ عوضاً عن دم الكوباي بكاملهِ مصل دمهِ فقط حصل اضطراب في المزيج ثم رسب راسب كثير او قليل وعلى هذا الراسب تتعلق اهمية الاكتشاف كما ترى

فاكتساب هذه الصفات الجديدة في مصل دم الارنب اي تذويب الكريات الحمراء من دم الكوباي وتوليد راسب في مصلهِ حصلت من حقن الارنب اولاً بدم الكوباي

ومن المعلوم ان مصل دم حيوانٍ حُقن قبلاً بدم حيوان من جنس آخر لهُ فعل نوعي حقيقة الّا انهُ لا يولد راسباً في مصل الجنس الذي حقن بهِ ولا يذوّب كرياتهِ الحمراء . والامتحانات اثبتت ان المصل المحضر من حيوان لا يذوب فقط الكريات الحمراء من دم الجنس الذي استعمل دمهُ للحقن بل يذوب ايضاً كريات الاجناس القريبة منهُ . مثال ذلك ان مصل دم الارنب بعد حقنهِ بضع مرات بدم دجاجة يكتسب صفة لاذابة الكريات الحمراء في دم الدجاجة والكريات الحمراء في دم الحمام ايضاً ولكن باقل درجة

وبناء عليهِ خطر لهم ان يستعملوا هذه الخاصة للمصل في الطب الشرعي لمعرفة اصل الدم لان من المهم احياناً عند وجود لطخة دم وجوب التحقيق فيما اذا كانت دم انسان او دم حيوان آخر ولم يستطيعوا الى الآن التمييز بين دم الانسان ودم بقية ذوات الثدي فلجأُوا الى هذه الطريقة

وبعد الامتحان لم يكتفوا بمشاهدة ذوبان الكريات الحمراء لانها غير وافية بالمطلوب فاعتمدوا على طريقة الحصول على الراسب في المصل ووفت بالغاية . ولا محل لا يراد ما اتوا من هذا القبيل لانهُ لا يخرج عن حد الامتحانات المذكورة ولا يهم القراء الاطلاع عليهِ فيكفي التلميح اليهِ

فللتفاعل اذاً الذي يحصل في امتزاج المصلين اهمية كبرى في كشف القرابة بين الاجناس فقد رأينا ان مصل حيوان سبق حقنهُ بدم دجاجة يولّد راسباً في مصل الدجاجة وفي مصل الحمام ايضاً ولا يتعكر اذا أُضيف اليهِ مصل ذوات الثدي فالتفاعل اذاً في مزيج من مصل الدجاج والحمام يدل على وجود قرابة بينهما . واليك مثالاً آخر يؤيد ما ذكر وهو

وقصَّ الكاتب الاميركي المشهور الملقب بمارك تواين في احدى رواياتهِ قصة جرت لهُ هو واثنين من اصحابهِ ومآلها انهم عثروا على منجم فضة في نقادا باميركا وتغيبوا عنهُ بضعة ايام لاشغال جدَّت لهم وكلٌّ منهم يحسب ان الآخرين يفعلان ما يؤيد ملكيتهم لهُ في غيابهِ فكانت النتيجة انهم غابوا عنهُ كلهم معاً ولما عادوا الى مكان المنجم وجدوا انهُ بات في قبضة غيرهم بحجة وضع اليد فخسروا ملايين كثيرة بذلك

دليل حديث على ناموس النشوء

لما كتب المقتطف المرة الاولى عن ناموس النشوء وذكر قول القائلين ان الانسان حيوان ارتقى من حيوان ادنى منهُ رتبةً وان هذا الناموس سنَّةٌ في الكون يُعلل بهِ تولُّد الاجناس والانواع النباتية والحيوانية قامت قيامة السموات والارض عليهِ لكنهُ اورد ادلة اصحاب هذا المذهب تاركاً الحكم فيها للعقلاء فظهرت واعترف بها المعارضون . والعود الى هذا الموضوع الآن ليس من قبيل البحث والمناقشة بل لايراد اكتشاف جديد جاء دعامة لمذهب النشوء اطَّلعت عليهِ في كتاب للعلامة متشنيكوف عنوانهُ دروس في طبيعة الانسان فاحببت نقلهُ تفكهةً لقراء المقتطف

والاكتشاف هو مصل دم محضر على طريقة معلومة كما سترى تُعرف بواسطتهِ القرابة بين جنسين من الحيوان فهو يفعل في دم الحيوان ذي القرابة او في مصلهِ فعلاً لا يفعلهُ في دم حيوان غير ذي قرابة واذا زادت القرابة بين الحيوانين كان اشد فعلاً منهُ لو قلَّت ويتضح ذلك مما يأتي

اذا حقنَّا حيواناً من ذوات الثدي بدم حيوان من جنس آخر فيحصل في دم الحيوان المحقون تنوعات مهمة جدًّا . مثال ذلك اذا حضَّرنا مصلاً شفافاً عديم اللون من دم ارنب واضفنا اليهِ بعض النقط من دم حيوان من جنس آخر من القوارض كالكوباي مثلاً فلا يحدث في المزيج شيءٌ غير اعتيادي بل يبقى دم الكوباي على لونهِ الاصلي وتبقى الكريات الحمراء على ما هي تماماً او تقريباً . واذا اضفنا الى مصل دم الارنب بعض النقط من مصل دم الكوباي فالمصلان الشفافان يمتزجان بدون حدوث شيء خصوصي في المزيج

اما اذا حقنا الارنب اولاً بدم الكوباي ثم حضَّرنا منهُ المصل فانهُ يكتسب خواص جديدة تستحق الاعتبار لاننا اذا اضفنا اليهِ بعض النقط من دم الكوباي كما فعلنا آنفاً

ولها من شجونها زَفراتٌ محرقاتٌ من دونها الرمضاءُ
نلطم الجيد تارةً وتدقُّ الـ صدرَ طوراً كأنها الخنساءُ
وتريقُ الدموع حمراً على الأر ضِ فتروى اعشابها الخضراءُ
فشجتْ حالها الطبيعةَ حتى ركدَ الماءُ واستكنَّ الهواءُ
وعلا ذلك المكانَ وقارٌ انزلتهُ على الضريح السماءُ

* * *

يا ضريحَ الشقيقِ حيَّتك قالت نسماتٌ في طيهنَّ الكباءُ
ولترفرفْ عليك ارواحُ موتى يعلمُ اللهُ أنهم اوفياءُ
فنفوسُ الموتى تزورك خيرٌ لك من ان يزورك الاحياءُ

* * *

لهفَ قلبي على شقيق فؤادي ذهبَ العزُّ بعدهُ والهناءُ
ليس لي بعدَ نأيهِ من معينٍ ارتجيهِ ان نابت الضرّاءُ
كان لي في الورى اعزُّ مقامٍ دونهُ الشعريانِ والجوزاءُ
عشقتني القلوبُ منهم على أنيَ في الطهر درَّةٌ عصماءُ
ورأوا انني الوسيلةُ للفخرِ — اذا ما تفاخرَ الكبراءُ
فتلقَّى الابناءُ حبيَ مما كررتهُ من مدحهِ الآباءُ
لم أجزْ قطُّ نقض عهدٍ واخفارَ ذمامٍ يبغيهما الادنياءُ
جعلتْ سطوتي الخيانةَ والغدرَ كما يجعل الطلولَ العفاءُ
وظويتُ القرون جيلاً فجيلاً ونصيبي من الانام الولاءُ
وبهذا الزمانِ بُدِّل عزي بهوانٍ وغال سعدي الشقاءُ
ملَّني اهلهُ فبتُّ ومالي من نصيرٍ بهِ يناط الرجاءُ
وجفوني ولم ازل ذات حسنٍ وبهاءٍ ولم يغثني الرُّواءُ
قذفتني نفوسهم عندما امست مقرًّا تحلُّهُ الاهـــواءُ
وتوخوا دفني وفيَّ حيوةٌ وعجيبٌ ان تدفنَ الاحياءُ
يتوارون ان ظهرت ازورارًا فكأني منيَّةٌ او وباءُ
عجبًا كيف يظهرون لي البغضَ ألم يبقَ في النفوس إباءُ

* * *

ان مصل ثورٍ حقن اولاً بدم ثورٍ آخر يكوّن مع مصل ثور مثلهِ راسباً غزيراً ولكنه لا يؤثر اقل تأثير في مصل كثير من ذوات الثدي حتى ولا في مصل الخروف والجمل والغزال وذلك لان القرابة بين البقر وهذه الحيوانات ليست قوية كما هي بين الدجاج والحمام

واذا ثبت ذلك يكون الحيوان الذي يرسب راسباً مع مصل الانسان قريبهُ ونسيبهُ والتجربة ادل دليل علي الحقيقة

اتي غرو ينبون بكمية كبيرة من دم ثلاثة قرود وهي الغوريلا والشامبنزي والارانغ اوتانج فشاهد ان مصل الحيوانات التي تحقن بدم الانسان يرسب راسباً في مصل دم الانسان وفي مصل دم القرود الثلاثة المذكورة ايضاً وقد استحال عليهِ ان يميز بين رواسب مصلها وراسب مصل الانسان سواء كان بالكيف او بالكم . ولزيادة التأكيد حقن حيوانات بدم الغوريلا والشامبنزي والارانغ اوتانج واخذ مصلها فكانت هذه الانواع الثلاثة من المصل تولد راسباً في دم القرود الثلاثة وراسباً مثلهُ في دم الانسان فتحقق ان المشابهة بين الانسان وهذه القرود ليست سطحية بل بين النوعين قرابة حقيقية دموية

هذا ما اردت نقلهُ تفكهةً للقراء واثباتاً لناموسٍ ربما كان من غير اهل العلم من لم يسلم بهِ بعد. ومثل هذا الاكتشاف لا تسبق اليهِ المعرفة من مجرد العلم النظري بل هو من توفيقات الصدف في الابحاث العلمية فهو غير مصطنع ولا ملفق ولا هو بدعوى افتراضية ولا بقضية وهمية بل هو حجة قوية لثبوت القرابة بين الانسان والقرود

امين ابو خاطر
دكتور

الامانة والوفاء

عند رمسٍ تظلهُ الافياء وعليهِ ترفرفُ الورقاء
وغصونُ الاراكِ منحنياتٌ كالبواكي والأدمعُ الانداء
ونجوم السماء تحجبُ بالسحـ ـبِ وتبدو كأنها رقباء
وقفتْ غادةٌ سماوية الوجـ ـهِ عليها من الضياء رداء
يستبي الناظرين منها جمالٌ لم تصفْ مثل بعضهِ الشعراء
إن بدا الوجهُ فالمساء صباحٌ او بدا الفرعُ فالصباحُ مساء
يحسبُ القلب حين ترنو بعينٍ أنَّ ما في عيونها كهرباء

انَّ للقبرِ في زمانٍ لئيمٍ ابَهاءً لم تحوهِ الابهاءُ

***

واكبَّت على الضريح ترويهِ بدمعٍ كما يسيلُ الغباءُ
ثم جادت بنفسها ولها نو حٌ شجيٌّ ولوعةٌ ورثاءُ

***

وهوى من ذرى السماء كسهمٍ ملكٌ نور وجهِهِ وضَّاءُ
فتح الرمسَ ثم وارى بهِ الغا دةَ والرمس منهُ يبدو الضياءُ
ودوى منهُ في المسامع صوتٌ رجَّعتهُ الجبالُ والاوداءُ
انَّ هذي هي الأمانةُ ضُمَّت في ضريحٍ بهِ اخوها الوفاءُ

كفرمتى (لبنان) امين ناصر الدين

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب وعادات

للغربيين آداب وعادات يراعيها جلتهم في الجلوس على الطعام والمشي والسلام والكلام وما سوى ذلك من الحركات والسكنات ويسقونها لاولادهم مع اللبن ويعلمونهم اياها في المدارس حتى اذا شبوا كانت لهم خلقاً لا يتبدل . فمن آدابهم على الطعام ما يأتي

آداب المائدة

اجلس على المائدة منتصباً ولا تتكئ عليها ولا على الكرسي

انشر الفوطة على حضنك . واما عادة وضع الفوطة على الصدر او ادخال طرفها في عروة من العرى فقد بطلت ولا يُفعل ذلك الاَّ مع الصغار

وشقيقي قد كان في الزمن السا لف مولًى يجلهُ العظماء
كان للناس وازعًا عن عيوبٍ ولهُ جلة الورى اصفياء
لم يضيّعْ جميلَ فردٍ من النا سِ فكوفي بعهدهِ الامناء
تثبت السلمُ في البلاد اذا شا ء وتصلى بامرهِ الهيجاء
واليهِ تُزجي المطيُّ وترتا دُ حماهُ السراةُ والشرفاء
وبهِ يُعقَد الرجاء اذا ما لعبتْ بالبرية الأرزاء
كان فخرَ الاقيال في كل عصرٍ وعلاءً لمن عداهُ العلاء
فعفا اليومَ ربعهُ فهو رسمٌ عصفتْ فيهِ للبلى نكباء
وانقضى مجدهُ القديمُ وهالتهُ من الناس غارةٌ شعواء
راوحتهُ الخطوبُ تترى وغادتهُ الرزايا اثيرها الاعداء
نقض الكلُّ عهدهُ وجفاهُ كلُّ خلٍ وخانهُ الحلفاء
جحد العالمون آلاءهُ الغرَّ — وعارٌ ان تجحدَ الآلاء
هاجموهُ فردًا فخرَّ على الأر ضِ صريعًا وليس فيهِ ذماء
وغدا رمسهُ يقول اعتبارًا كلُّ شيءٍ عليهِ يسطو الفناء

⁂

يا زمانَ الشقاء لو عاقب اللهُ زمانًا لم تبدُ فيك ذُكاء
لا يُرى في بنيكَ وافٍ بعهدٍ او صديقٌ إن يذكر الاصدقاء
ذاك يسعى في قلبهِ ارقم الحقـ ـدِ وهذا تهزُّهُ الكبرياء
حسدٌ زائدٌ وخبثٌ شديدٌ وخداعٌ وغيبةٌ ورياء
يتزيون بالنزاهةِ والصد قِ كما يستر الاناء طلاء
ويشيرون بالدواء على من حاز فضلاً كأنما الفضل داء
بك ضاع الجميل واشتهر النكـ ـثُ كثيرًا وعمّت الاسواء
والمراؤون فيك حظهمُ الودُّ — من الناس احسنوا ام اساؤا
واذا كان فيك بعض كرامٍ فالورى البحرُ والكرام الغثاء

⁂

يا شقيقي قد عيل بعدك صبري ودهتني المصائبُ الدهماء
ابتغي الموتَ وهو غاية ما يُر جى اذا ما تخاذل النصراء

لا تحدّق الى احد في الطريق ولا تتكلم بصوت عالٍ ولا تضحك القهقهة

اذا قابلك احد مواجهة في الطريق فمل الى اليمين

اذا مشيت مع سيدة فكن على يسارها واحمل عنها ما قد يكون في يدها ولا تدخن

اذا رأيت احدًا في ضيقة وفي وسعك مساعدتهُ وكنت لا تعرفهُ فلا يمنعك عدم معرفتك اياهُ عن مساعدتهِ ولا لزوم للتعارف الرسمي في مثل هذه الحال

ان عادة وضع السيدة ذراعها في ذراع الرجل وهما ماشيان في الطريق باتت من العادات المهملة

آداب الاستقبال

تستقبل ربة البيت زائريها فيحيونها اولاً عند الاستقبال وعند الوداع

اذا كان احد من الزائرين لا يعرف الآخر عرفتهُ ربة البيت بهِ

لا تدلّ باصبعك على شخص او شيء يدور الحديث عليهما

لا تقل قولاً ولا تأتِ عملاً يغيظان احدًا

كن رصينًا غير مهذار عند الكلام وتأدب في جلوسك واشاراتك ولا تكن كثير التهيج ولا كثير الحياء

آداب التحية

اذا التقى رجل كبير السن بآخر اصغر منهُ حيّا الكبير الصغير اولاً

يُقدَّم الرجال الى السيدات عند ارادة التعارف فاذا كانت السيدة جالسة لم تنهض الاَّ اذا كان الرجل المقدَّم اليها شيخًا او كبير المنصب

اذا قدّمت سيدة الى احد وكانت جالسة وجب عليها ان تنهض وتصافح الذي قدّمت اليهِ

يحسن بالسيدة ان تكون هي البادئة بمحادثة من تجتمع بهِ من معارفها الرجال ويحسن بهم ان ينتظروا حتى تحدثهم الاَّ اذا كانوا اصدقاء حميمين لها فلا فرق حينئذٍ بين ان تكون هي البادئة او يكونوا هم البادئين

اذا لقيت في الطريق احدًا تحيهِ . فاذا لقيتهُ مرة ثانية بعد المرة الاولى بقليل فيكفي ان تبتسم في وجههِ او ان تنظر اليهِ

ايلا رولس ريدر

إيلا رولس ريدر سيدة اميركية رولس اسم عائلتها وريدر اسم عائلة زوجها وهو

اشترك مع الجالسين معك في ما يتحدثون بهِ ولا تضجر او تتململ اذا ابطأ الطعام
امضغ الطعام ببطء وبلا صوت ولتكن شفتاك مطبقتين ولا تملأ فاك الى حدّ ان ينتفخ شدقاك
تناول الطعام بالشوكة او الملعقة حسب نوعهِ لا بالسكين لانها للقطع فقط
لا تنحنِ الى الامام كثيرًا وانت تأكل فان الحيوانات الدنيا تفعل كذلك
اشرب الشوربة من جانب الملعقة بلا صوت ولا تفتّ فيها خبزًا بل ضع الخبز في فيك واتبعهُ بالشوربة
اذا خيرت بين طعام وطعام فأجب حالاً
اجتنب الاحاديث المنفرة او المكدرة فان الانبساط يسهل الهضم
ضع العظام والقشور وما شاكل من النفاية في جانب الصحفة التي تأكل منها او في صحفة أخرى فارغة لا على غطاء المائدة
اقسم الخبز بيديك ولا تقطعهُ بالسكين
لا تضع اصابعك في فيك ولا تنظف اسنانك وانت على المائدة
لا تنهض عن المائدة والطعام في فيك ولا تأخذ منها شيئًا بيدك
لا تكن شرهًا مفرطًا اذ لا اسهل من ان تبيت الشراهة خلة فيك ولبئس الخلة هي
تأدب مع الخدم دائمًا ولكن لا تعتذر لهم عن ازعاجهم لان الخدمة على الطعام عملهم

آداب الشوارع

اذا التقت سيدة برجل من معارفها في الطريق حيتهُ هي اولاً باحناء الرأس فيرفع قبعتهُ عن رأسهِ احترامًا
اجتنب الوقوف في الطريق للمحادثة واذا كان لا بدّ من المحادثة فاذا كان المتحادثان سيدتين فلتقفا في مكان منفرد او رجلاً وسيدة فليمشِ معها او رجلين فليمشيا معًا
لا تنادِ صديقك عن بعد في الشارع ولا تكلمهُ بصوت عالٍ وانتما جالسان مبتعدين في مركبة عمومية
اذا مشيت مع سيدة فاجعل خطواتك موافقة لخطواتها
لا تسرع في المشي الاَّ اذا خشيت ان تتأخر عن ميعاد او ان يفوتك القطر او لما اشبه من الاسباب

وجلس ثم اشار اليها بالجلوس ايضاً . وظلت مدة تحدثهُ حتى اقتنع بكلامها واكتتب ببضعة آلاف ريال . ولم يمضِ على مقابلتها لهُ مدة قصيرة حتى اكتتب ثلاثة من الماليين بخمسة ملايين ريال ومالي آخر بالباقي اي بخمسة ملايين ريال اخرى

فألفت اذ ذاك شركة وسافرت سنة ١٨٩٩ الى انكلترا لمشترى قسم من السكة يخص بعض المساهمين الانكليز كان لا بدَّ من مشتراهُ لتتميم غرضها فعادت خائبة . وبيان الامر ان مورجان كان حينئذٍ في لندن فعلم بمقصدها وجعل يقاومها بمالهِ ونفوذهِ ولكنها لم تكلَّ ولم تملَّ حتى استمالت ٤٧ في المئة من المساهمين اليها وكان مورجان قد استمال اليهِ ٤٩ في المئة ولم يبق سوى اربعة . فبذلت اقصى مجهودها في استمالتهم اليها ليتمَّ لها النصر ففازت بامنيتها وذاقت طعم النصر هنيهة ثم انقلبت الحال وخانها السعد لان هؤُلاء الاربعة عادوا وباعوا اسهمهم لمورجان فخرجت من المعمعان مكسورة لكن سليمة الشرف الرفيع اذ لم يخسر احد من الذين اكتتبوا بالمال درهماً واحداً بل هي التي خسرت وحدها . وهكذا حبط مشروعها ولم تمد سكة حديد قصيرة بين موبيل وشيكاغو الى الآن

على ان فشلها هذا لم يقضِ على ما بقي في صدرها من الهمة والامل وسفرتها الى لندن عادت عليها بالخير كما يتبين من حكاية المشروعين الآخرين فانها تعرفت بكثيرين من العظماء والكبراء ورجال المناصب وارباب المال مثل سفير الولايات المتحدة السابق وفرنسيس بارنغ المالي الشهير والسر توماس لبتن تاجر الشاي المعروف والسر وليم ارول المهندس الكبير والشفاليه دي مارتينو صديق ملك الانكليز وامبراطور الالمان وغيرهم فكانوا يتوددون اليها ويكرمون وفادتها اين حلّت وكانت تدعى الى الولائم العظيمة التي تولم في لندن حتى اصبحت ممن يشار اليهم بالبنان في الهيئة الاجتماعية الانكليزية

وكانت لندن قائمة قاعدة حينئذٍ لامر يشغل بال اهلها ويقلق راحتهم وهو انهُ كان قد تم مدّ سكة حديد كهربائية فيها تحت الارض طولها ستة اميال بادارة السر بنيامين باكر المهندس المشهور ولكن كان ينشأُ عن سير المركبات فيها ارتجاج شديد لثقلها ازعج سكان المنازل المحاذية للسكة وضعضع منازلهم فقاموا قومة رجل واحد ورفعوا العرائض الى الحكومة يشكون ويتظلمون ويطلبون كشف ظلامتهم فعينت الحكومة لجنة من مجلسي النواب والاعيان للنظر في ذلك . واجتمع المهندسون من كلّ بلاد لابداء آرائهم وكان في جملتهم مهندس اميركي اسمهُ سبراج مشهور بمخترعاتهِ الكهربائية فيما يتعلق بالنقل فاقترح ان تستبدل قاطرات سكة الحديد المشار اليها بقاطرات أُخرى اخفَّ منها من طراز القاطرات التي

انكليزي . وفي سيرتها دليل على ان الاقدام على عظائم الاعمال ليس خلقاً محصوراً في الرجال بل ان النساء قد يكنَّ مقدامات غير نكسات ولا وكلات في اتيان جلائل الامور

ولدت صاحبة الترجمة مفطورة على السعي والهمة حتى اذا شبّت غالبت المستر مورجان الغني الاميركي الشهير في ميدان العمل وكادت تغلبهُ لو جاراها السعد خطوة واحدة . واقدمت على مشروعين عظيمين ففازت بهما وكان فوزها باهراً الى حدّ ان انساها خيبتها وفشلها في مغالبة المستر مورجان . وهاك تفصيل حكايتها

كانت في بادئ امرها تعمل على آلة الكتابة في احد محلات نيويورك التجارية وكان ابوها يهتمُّ بتقصير المسافة التي بين مدينة برمنهام في ولاية ألاباما ومدينة موبيل على ساحل خليج المكسيك وذلك بمدّ سكة حديد قصيرة بينهما بدلاً من سكة طويلة تدور حول بلاد اخرى فلم يفلح بل خسر خسارة باهظة افضت الى افلاسهِ فوعدتهُ انها تهتمُّ بالامر وتتمُّ مشروعهُ ولكنهُ مات قبلما تحقق آمالهُ . وتفرّع من هذا المشروع مشروع آخر اعظم شاناً واكثر نفقة وهو تقصير المسافة بين برمنهام وشيكاغو شمالاً . ولكن كان دون المشروع الاول مصاعب جمّة لان سكة الحديد الطويلة كانت تخصُّ مورجان وهو ممن لا يستهان بهِ لا سيما وان تقصير المسافة يحملهُ خسارة باهظة

فجالت مس رولس في طول البلاد وعرضها تحضُّ الاهالي على مساعدتها فوجدت منهم آذاناً صاغية لان ذلك المشروع يعود عليهم بالنفع العميم وكان لا بدّ لها من جمع عشرة ملايين ريال لاتمام العمل فكلمت بعض الماليين في مساعدتها فسخر بها اولاً لانها كانت لا تزال شابة في مقتبل العمر لم تعارك الدهر ولم تتمرّس بالاعمال والاشغال . ولكنها ما زالت بهِ حتى اقنعتهُ بالاكتتاب بالف ريال ثم قابلت جورج موريسن المهندس الاميركي الشهير فاعجب بها وشجعها على مشروعها فتمكنت بمساعدتهِ من عقد اتفاق مع احدى شركات الفحم والحديد الكبيرة على نقل موادها بمال يكفي وحدهُ لدفع نفقات السكة . وكان عقد هذا الاتفاق من اعظم ما هوّن عليها اطراد مشروعها لانهُ افضى الى ثقة الناس بهِ

وطلبت ذات يوم مقابلة رجل من كبار الماليين فقال لها سكرتيرهُ ان سيدي لم يقابل امرأة قطُّ في مكتبهِ ولكنها لم تعبأ بكلامهِ بل دخلت المكتب فرأت رجلاً اشيب وكأنها شعرت بالبداهة انهُ هو الرجل الذي تطلبهُ فسألتهُ قائلة أأنت فلان فنهض عن كرسيهِ واجابها بفتور نعم فاخبرتهُ بمرادها باسرع ما يمكنها لانهُ كان ينظر اليها نظرة من فرغ صبرهُ كلُّ ذلك وهما واقفان ولم يدعها للجلوس فقالت متمتمة ألا تجلس فتبسَّم مستغرباً جرأتها

يزيدون في ذلك المشروع رغبة كلما زاد السلطان رفضاً لان الذي ينال الامتياز بمد سكك الحديد ينال امتيازاً آخر بحفر مناجم القصدير التي في بلاده على الراجح . وكان السلطان تلك السنة (١٩٠١) في اوربا يصيّف في فرنكفورت بالمانيا وفيها سيدتان انكليزيتان زوجتا رجلين من كبار ماليي الانكليز الذين كانوا يشتغلون بنيل امتياز سكة الحديد من السلطان فاشترتا فرسين من كرام الخيل واهدتاهما اليهِ فقبلهما بسرور ولكنهما لم تنالا الامتياز منهُ

واتفق ان صديقاً من اصدقاء مس رولس يعرف السلطان قصّ عليها حكاية سكك الحديد المشار اليها وما جرى لكبار الماليين مع السلطان في امرها واقنعها بالدخول في هذه المسألة لما فيها من الربح لها واتفق احد كبار المهندسين الكهربائيين معها ووعدها ان يعطيها ٢٠ في المئة من الربح الصافي اذا جلبت لهُ الامتياز بمد السكك المذكورة وكان الربح الصافي يقدر بنصف مليون جنيه بقطع النظر عن مناجم القصدير ولم يكن ذلك بالقدر الذي يستخفّ بهِ

ومن حسن حظها ان السلطان زار لندن في تلك الاثناء فقابلتهُ في فندق كلاربدج وكان اول ما افتتحت بهِ الحديث معهُ قولها "اني اريد ان احدّث سموّكم عن سكك الحديد في بلادكم" فسألها كيف سمعت بخبر تلك السكك واين تسكن وكم عمرها ونحو ذلك من المسائل فاجابتهُ عليها كلها وهو يصغي اليها ثم عادت الى الكلام على سكك الحديد ففصّلت لهُ كلّ ما يتعلق بها واخيراً قالت "ولعلك تدهش من اهتمام فتاة اميركية بمدّ سكك حديديَّة في بلادك ولكن ان كنت استطيع مدَّها فماذا يهمك سواءٌ كنتُ رجلاً او امرأَة" ثم ذكرت لهُ شروطها وهي ان يكون لها الحق في اصدار سندات قيمتها خمسة ملايين ريال بفائدة ستة في المئة . وان تعطى ١٢٠ الف فدان من الارض على جانبي سكك الحديد التي يراد مدّها وطولها ١٢٠ ميلاً . وان تعطى امتيازاً بحفر مناجم القصدير واستخراجهِ منها فتردَّد في هذا الشرط الاخير ولكنها قالت لهُ "انك غنيٌّ جدًّا ولا تحتاج الى تلك المناجم ونحن نحتاج اليها" فسلّم لها عن طيب نفس . ودامت المقابلة ثلاث ساعات وكان السبب في نجاحها انها قابلت السلطان في الفرصة الملائمة وكلمتهُ بحرية وصراحة فلم تخفِ عليهِ شيئاً ولم تترك لهُ سبيلاً الى الارتياب في حسن نيتها وصدق طويتها والظن انها تحاول اختلاس المنافع منهُ اختلاساً . وقال لها في ختام المقابلة "واذا جئت بنفسك الينا للمساعدة على بناء سكك الحديد فان سلطتنا تكون طوع اشارتك" فشكرت لهُ هذا التعطُّف وخرجت من لدنهُ وهي تثني على ما لقيتهُ من كرمهِ واكرامهِ

تعرف باسمهِ في اميركا فانها كانت قد جرَّبت في ثلاثة خطوط مشهورة نجاءت وافية بالمرام ولم يحدث عن سيرها اقلُّ ارتجاج

وكانت لجنة مجلسي النواب والاعيان تبحث في استبدال نظام السكة المشار اليها بنظام جديد اشار بهِ مهندسوها واسمهُ نظام جانز فرأى سبراج ان يعجّل في الامر والاَّ فاتتهُ الفرصة وكان قد سمع بمس رولس وما جرى لها مع مورجان فقصدها عن يد صديق لهُ عالماً بنفوذها وواثقاً بحسن المآل اذا اخذت بيدهِ في مشروعهِ . وقصَّ عليها حكايتهُ وأبان لها مركزهُ والصعوبة التي تحول دون ايصال حجتهِ الى المراجع المسموعة الكلمة فوعدتهُ بالمساعدة ولم تلبث ان عقدت شركة معهُ ومع مهندس كهربائي مشهور في لندن واثقة بالظفر وجعلت تولم الولائم وتدعو اليها كلَّ كبير وعظيم من رجال الامة الانكليزية مثل اعضاء مجلسي النواب والاعيان ومديري الشركات وارباب الصحف وتحدثهم عن الكهربائية وعلاقتها بالنقل. وكان في جملة تلك الولائم وليمة اولمتها في فندق سافوى اكراماً للسر بنيامين باكر لما لهُ من النفوذ العظيم في هذه المسألة فانهُ صاحب القول الفصل فيها . ولبست حينئذٍ افخر ملابسها لكنها لم تكلمهُ في امر سكة الحديد واستغرب الذين يعلمون غرضها من المدعوين سكوتها عن موضوعها وقالوا لها في ذلك فقالت لا استطيع ان اتكلم في الاشغال ما دمت في هذه الثياب لئلا يقال اني غلبتكم بالحلى والحلل ولكني غداً البس ثياباً عادية وادعو السر بنيامين باركر للغداء واكلمهُ في هذا الموضوع. ولما جاءَ في اليوم التالي لقيت منهُ معارضة شديدة ولكنها ما زالت تتبع الدليل بالدليل وتورد الحجة اثر الحجة حتى اقتنع بكلامها ولما انتهى الغداء كان في طليعة مؤيديها

هذه كانت الخطوة الاولى واما الخطوة الثانية فهي انها طفقت تنشر الرسائل في الجرائد المشهورة كالتيمس وغيرها مبينة فيها فضل مشروع سبراج باسطةً شكوى الاهالي من سكة الحديد المشار اليها حتى لم يكد يبقى قارئ الاَّ عرف بذلك المشروع . وكانت النتيجة ان الحكومة قرَّت عليهِ فخرجت مس رولس ظافرة

اما المشروع الثاني الذي اقدمت عليهِ وظفرت بهِ فتفصيلهُ كما يأتي

في جزائر الهند الشرقية بلاد مستقلة في شؤُونها الداخلية عن الحكومة الانكليزية اسمها بلاد جوهور وهي غنية بتربتها ومعادنها ولم يكن فيها الى تاريخ عهد هذه الحكاية سكك حديد تربط ولاياتها بعضها ببعض ولا بالبلاد الخارجية . وسعى كبار ماليي لندن في الاتفاق مع سلطان جوهور على مد سكك حديدية في بلادهِ فلم يفلحوا . وكان الماليون

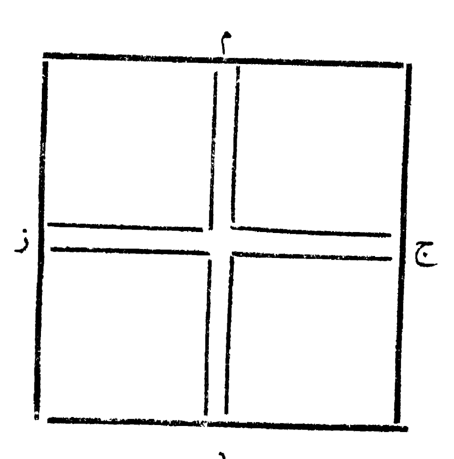
اسباب المد والجزر ومبادرة الاعتدالين والكبو

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

بما ان سطح الارض ليس على علو واحد بل يختلف علوًّا كاختلاف البر والبحر ولا قشرتها على كثافة واحدة بل تختلف كثافةً باختلاف الماء واليبس فيقتضي ان لا تكون جميع اجزائها المتقابلة متوازنة ثقلاً . ويقتضي اذ ذاك ان لا يكون مركز ثقل الارض في مركزها الهندسي بل منحرفًا عنهُ الى جهة الجانب الاثقل من قشرتها فهو في جهة طول ١٤° ٢٣َ شرقًا كما يستنتج مما يأتي . والارض في دورانها علي محورها يجب ان تتبع مركز ثقلها فتدور عليهِ لا على مركزها الهندسي فالمحور الحقيقي اي الذي يجب ان تدور عليهِ يقتضي ان يكون مارًّا بمركز ثقلها لا بمركزها الهندسي

ثم ان علاقة الارض بالقمر من جهة التجاذب يقتضي ان تكون منوطة بمركز ثقلها ايضاً لا بمركزها الهندسي فمركز ثقلها يجب ان يكون محفوظًا بقوة التجاذب بين الارض والقمر على بعدٍ واحد من القمر ابدًا . فاذا دارت الارض ومحورها المار بمركز ثقلها مربوط على بعد واحد من القمر اقتضى ان محورها الهندسي يدور حولهُ لكن بحيث لا يرسم احد المحورين او كلٌّ منهما اسطوانة حول الاخر بل يتحرك كل منهما في خطٍّ مستقيم كما ترى في الرسم الآتي

سمّر اربع قطع خشب مربعة على قطعة اخرى كبيرة في هيئة مربع بحيث يكون بين القطع بعد قليل يتكون منهُ شكل صليب فارغ يسع مسمارًا يمر فيهِ بسهولة كما يظهر من الشكل



ثم خذ قرصاً مستديرًا من خشب او غيرهِ ودقَّ في مركزهِ مسمارًا لينفذ من الجانب الآخر

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نظرة في المؤَلف الغريب

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

رأيتُ في المقتطف السابق ما اتحف بهِ القراء مما ذكرهُ عن ذلك "المؤَلف الغريب" للكاتبة الانكليزية في حقيقة الرجل . فقرأْتهُ بلذة واستئناس . فليس الذ للانسان من النظر في عقول الناس . وانَّ لي كلمة على زعم المؤَلفة ان المرأَة تستغني عن الرجل وتطيب لها الحياة بغير حبهِ والقرب منهُ

انها شبهت المرأَة بالكلب وشبهت الرجل بالهر ثم قالت "ومما يؤَيد حجتي (في هذا التشبيه) ولعنا نحن النساء بالهرَرَة (جمع هرة) والاَّ فما يحملنا على الولع بها لو لم تكن تمثل الرجال" . واراها نقضت بهذه الحجة ما ابرمتهُ من القول باستغنائها عن الرجل فاذا كانت تميل الى من يمثلهُ (على بعد التمثيل) فكيف لا تميل اليهِ هو . ولقد اثبتت بهذا ما لا خلاف فيهِ من ان المرأَة مفطورة على حب الرجل وان الرجل مفطور على الميل اليها والرغبة فيها وهذه من سنن البقاء التي لا تعارضها الاهواء وقد قلت فيها ختام قصيدة

ان من كان همهُ نقض شيءٍ يقتضيهِ الوجود حلفُ عناء
يرجع الراغب الجهدُ كئيباً ان تصدى لسنَّة للبقاء

حسين عبد الفتاح الجمل

الارض والقمر فابتعدت الارض قليلاً حفظاً للموازنة واذا ابتعد مركز ثقل الارض عن الشمس لجهة دجذبت المركز المشترك فاقتربت الارض اليها فهذه الحركة المترددة من الشمس واليها تؤثر قليلاً في المد والجزر عكس تأثير القمر لانها عمودية على جهتهِ فتضعفهُ

النتيجة الثانية بيضية خط الاستواء

اذا فرضت خطاً في قلب الارض يمرُّ بالمحورين الهندمي والحقيقي وينتهي طرفاهُ عند خط الاستواء فكلٌّ من نقطتي ملتقاهُ بخط الاستواء ترسم دائرة كلما دارت الارض على ذاتها دورة كاملة لكن النقطة التي الى جانب المحور الحقيقي وهي في طول ١٤° ٢٣َ شرقاً ترسم دائرة صغيرة اما النقطة المقابلة لها وهي في طول ١٩٤° ٢٣َ شرقاً فترسم دائرة اكبر بحيث ان نصف قطرها يزيد عن نصف قطر الأُولى مضاعف البعد بين المحورين وكلتاهما تتمان دورتهما في وقت واحد فالثانية اذاً تكون اسرع وتكون قوة التباعد عن المركز عندها اشد وبما ان هذه النقطة واقعة في اواسط الباسيفيكي حيث الجانب الاخف من الارض وهو ماءٌ سهل الحركة فبزيادة قوة التباعد عن المركز يمتد الماء ميلين عن مساواة سطح الارض فالخط الموصل بين هاتين النقطتين اطول من العمودي عليهِ بميلين كما وجد علماء الفلك . لكن خط الاستواء على هذا الرأي يقتضي ان يكون بيضياً لا اهليلجياً رأسهُ في طول ١٩٤° ٢٣َ شرقاً وعقبهُ في طول ١٤° ٢٣َ شرقاً

ملاحظة مناسبة . اذا شئت ان تخمن على موقع مركز ثقل الارض بملاحظة رسم البرين العظيمين الشماليين فلا اظنك تضعهُ الاَّ في نحو الهاجرة الواقعة في ١٤° طول شرقي من كرينويج والى شمالي خط الاستواء فالنظر يوافق على الاحوال

النتيجة الثالثة اختلاف مواقع الاجرام السموية

بما ان دوران الارض على هذه الكيفية يجعل اي نقطة من سطحها تدور من الغرب الى الشرق بسرعة غير متساوية في كل اجزاء الدورة الواحدة لانها تدور في اهليلجي طويل وبحركة مضطربة فيقع اختلاف في مواقع النجوم يتغير بتغيير جهة القمر من الارض ونسبة موقعهِ الى السطح المار بمحوري الارض . فدرس هذا الامر يعين على تعيين مواقع النجوم

ثم ان نتيجة أُخرى مهمة في علم الفلك نتجت من تولد مركز ثقل جديد للارض وهي مبادرة الاعتدالين والكبو

لما كانت الارض سائلة وقبل ان يتجمَّد سطحها كان مركز ثقلها في مركزها الهندسي فكانت تدور بحركة منتظمة على محور ثابت لا يتحرك ولا يميل . فالمد والجزر ومبادرة

بقدر سمك الاخشاب او اقل قليلاً . ودق مسماراً آخر بين مركز القرص ومحيطهِ اينما شئت . ثم اطبق القرص على الصليب بحيث يدخل المسمار المركزي في مركز الصليب والمسمار الجانبي في احد اذرعهِ . ثم ارسم حول القرص وهو على هذا الوضع مربعاً يمرُّ على اربع اذرع الصليب . ثم دور القرص كالرحى فيتحرك كلٌّ من المسمارين في خط مستقيم من الصليب ويخرج القرص من المربع مرتين كلما دار دورة كاملة

افرض القرص مقطوع الارض على خط الاستواء والمسمار المركزي محورها الهندسي والمسمار الجانبي محورها المار بمركز ثقلها وقد سميتهُ المحور الحقيقي تمييزاً لهُ عن الاول . وافرض القمر فوق ج وادر القرص بحيث يتحرك المسمار الجانبي اي محور الارض الحقيقي في م د لكي يكون على بعد واحد من القمر كما تقتضي الجاذبية فيتحرك المحور الهندسي في ج ز وتخرج الارض من المربع عند ج وعند ز اي مرتين في كل دورة فتقرب الى القمر تارةً وتبعد عنهُ أُخرى والفرق بين قربها الاقرب منهُ وبعدها الابعد عنهُ يعدل مضاعف البعد بين المحورين . فالارض اذاً في تردد دائم من القمر واليهِ كالمكوك

النتيجة الأُولى من هذه الحركة المد والجزر

عند ما تكون الارض متحركة لنحو القمر فالماء الذي تحتهُ لا يوافقها في هذه الحركة محافظةً على السكون فينزلق الى الوراء فيصبح تحت القمر جزر وعند ما تكون ذاهبةً عنهُ ينزلق كذلك الماء من الجهة المقابلة الى الوراء فيصبح جزر ايضاً في الجهة المقابلة للقمر والماء المنزلق من هنا ومن هناك يتراكم عند م و د فيكون منهُ المد على البعد المتوسط بين النقطة التي تحت القمر والنقطة التي تقابلها فالمد اذاً يكون منطقة محيطة بالارض انما لا يعلو في كل اجزائها على التساوي كما عند القطبين مثلاً فانهُ يكون واطئاً بسبب قوة التباعد عن المركز

والمد يكون عالياً متى كان السطح الذي يمر بمحوري الارض عمودياً على جهة القمر كما اذا كان القمر في طول نحو ١٤° شرقاً وطول نحو ٧٦° غرباً من هاجرة كرينويج فيعلو المد في طول نحو ١٤° شرقاً حيث مركز ثقل الارض كما سيجيء وفي طول نحو ١٩٤° شرقاً ايضاً لان الارض حينئذٍ تكون على اسرع حركتها في التقرب الى القمر والتباعد عنهُ . والمد الاعلى يحصل متى كان القمر في الاقتران والاستقبال لان الشمس لا تعارضهُ حينئذٍ . اما متى كان في احد التربيعين كما اذا كان فوق ج والشمس فوق م فمركز ثقل الارض يكون متحركاً ايضاً من الشمس واليها كما يكون المركز الهندسي متحركاً من القمر واليهِ وعلى جهة عمودية من حركة الثاني فاذا اقترب الى الشمس اي لجهة م قلت الشمس جذبها لمركز الثقل المشترك بين

قتلهِ آمنت بهِ قبائل تلك النواحي وبنت على قبرهِ قبة عظيمة وكانوا يأتون من جميع النواحي لاجل زيارتهِ وكانوا في هذه الزيارات ينشدون المراثي ويلبسون الثياب السوداء ويبكون عليهِ وغالبًا لا تكون هذه الزيارات الاَّ في شهر تموز . اما اتباعهُ فقليلون الآن البعض منهم في سوك شيخ والآخر في البصرة واسمهم الآن الصابئون واكثر عملهم في الصياغة ولا يزالون للآن يجرون شعائرهم الدينية بالتطواف حول كربلاء ولبس الثياب السوداء وانشاد المراثي ويظن بعض الشيعيين انهم يبكون على الحسين (رضه) . وذلك من الاتفاقات الغريبة اي ان يكون مشهد الامام الحسين هو ذات مشهد تموز وهذا ما قدرت على جمعهِ من هذا القبيل ودمتم

جميل ايراني

مدرسة الفنون بصيدا في ٢ ك ١ سنة ١٩٠٥



خصب التربة

من اهمّ المسائل الزراعية التي تهمُّ الفلاَّح المحافظة على خصب التربة والضنّ بها فلا تضيع سدًى ويعرَّف الخصب بانهُ الحالة التي اذا وجدت التربة عليها امدَّت النبات بمعظم ما يحتاج اليهِ من المواد اللازمة لنموّهِ وزكائهِ . ولا يعلم تمامًا بما يقوم الخصب . فقد ظنَّ بعضهم ان معرفة تركيب التربة الكيماويّ تكفي لحلّ هذه المسألة ولكن لم يقرَّ القرار بعد على ماهية التربة اللازمة للحصول على احسن النتائج اذ لا تعلم حاجات النبات تمامًا ولا تحليل النبات تحليلاً كيماويًا يفي بالغاية . فان هناك عناصر لازمة لنموّ النبات ولكن تحليل النبات والتربة لمعرفة تركيبهما لا يكفي لتعيين الشروط اللازمة لوجود هذه المادة او تلك في التربة نعم ان تحليل التربة والمواد التي تساعد على زيادة خصبها كثير الاهمية في نفسهِ ولكنهُ لا يعدُّ شيئًا مذكورًا في جنب الاحوال الطبيعية والبكتيريولوجية . وقد قلَّت ثقة الفلاَّح بالاسمدة التي تباع لتحسين خصب التربة لانها لم تأتِ بالنتائج المنتظرة دائمًا

هذا وربما كانت احوال التربة الطبيعية اهمَّ في عين الفلاَّح من كلّ امر آخر لوقوعها تحت سلطتهِ ولكن لا الفلاَّح ولا العالم الزراعي عرفا كلَّ ما ينبغي ان يُعرف عنها . فان

الاعتدالين والكبو لم تكن موجودة وخطها الاستوائي كان دائرة تامَّة · هذا مقتضى الطبيعة فلما تجمَّدت وتغير نظام قشرتها فتغيرت ميزانيتها تولد مركز ثقل جديد منحرف عن خط الاستواء وعن محورها الهندسي فصدمها وهي تدور واما لها عن وضعها كأنها أُصيبت بدفعة فصار قطبها يدور من الغرب الى الشرق طبقاً لدورانها على ذاتها فيرسم دوائر في الفضاء وكلما دار دورة واحدة تكون قد دارت على ذاتها الوفاً بل ملايين من الدورات كما ان البلبل الذي يديرهُ الاولاد اذا فُتل فدار وهو منتصب مستقيماً فاذا دفع بلطف من احد جوانبهِ مال فصار قطبهُ يرسم دوائر في الهواء وكلما رسم دائرة منها يكون قد دار على ذاتهِ دورات كثيرة وبما ان محور الارض مائل على محور دائرة البروج فقطبهُ يدور حول قطبها من الغرب الى الشرق وخط الاستواء مائل عليها فيدور معهُ من الغرب الى الشرق فيلاقي الشمس ويصل اليها قبل ميعادهِ فتحصل مبادرة الاعتدالين المعروفة

ثم ان القمر اذا كان على خط الاستواء او الى جنوبيهِ يكون مركز ثقل الارض الى شماليهِ فيجذبهُ هو الى جهة خط الاستواء لكي يدور كأنهُ في سطح يمر بالقمر فيقترب خط الاستواء الى دائرة البروج ويقترب قطب الارض الى قطب دائرة البروج واذا انتقل القمر الى نهاية بعدهِ الشمالي عن خط الاستواء اصبح مركز الثقل بينهُ وبين خط الاستواء فيجذبهُ هو اليهِ فيبتعد خط الاستواء عن دائرة البروج ويبتعد قطب الارض عن قطب دائرة البروج وهذا هو الكبو · وحلقة الارض الاستوائية تفعل ضد الكبو على ما ارى بسبب استمرارها على الحركة في جهة واحدة ولولاها ربما كان الكبو اعظم مما هو والله اعلم

السلط الدكتور ابرهيم الصليبي

اصل لفظة كعبة

سيدي منشئي المقتطف الاغر

سألتكما في الجزء السادس من مقتطف هذه السنة عن اصل كعبة ومكة فاجبتم ان الاسم كعبة معرَّف من الكلمة كابلا التي معناها مسجد فارى انكم مصيبون لان كلمة كابلا كانت تطلق على بعض المعابد المسيحية ككعبة نجران وبعد البحث وجدت ان الكلمة كابلا مشتقة من كاربالا اي العمل الصلوي وكاربالا كانت اسم لمعبد عظيم وهو مشهد النبي تموز المذكور في التوراة في سفر حزقيال ص ٨ : ١٤ . والمذكور في تواريخ الشرق عن النبي تموز هو انهُ ولد في مدينة الاهواز وهجر الاهواز الى كربلاء وهناك قتل هو وبنوهُ وانصارهُ وبعد

تلقيح التربة بها . ويعرف ما اذا كانت التربة تحتوي على تلك الميكروبات او لا من تدرن الجذور فاذا تدرنت كان ذلك دليلاً على وجود الميكروبات فيها والاَّ فلا

ومن المشهور ان بعض النباتات لا يزكو تحت الاشجار وليس الظلُّ السبب الوحيد في ذلك بل يظهر ان الاشجار تؤثر في تلك النباتات تأثيرًا يمنع نموَّها وزكاءها . ومتى عرف تأثير النباتات بعضها في بعض اذا زرعت في تربة واحدة وتأثيرها في التربة وفي ما يزرع فيها بعد ذلك افضى الامر الى تحسن الزراعة عموماً

فيظهر مما تقدم ان خصب التربة امر طبيعيٌّ بكتيريولوجيٌّ اكثر مما هو كيماويٌّ واحتواء التربة على الفصفور والنتروجين والكبريت والبوتاس لا يهمُّ مثل معرفة نسبة الواحد من هذه المواد الى الآخر في التربة وعلاقتها بالماء والهواء ودقائق التراب التي تتكوَّن التربة منها والميكروبات التي توجد فيها

القطن والسماد

جُرّبت تجارب كثيرة في تسميد القطن بجزائر الهند الغربيَّة رأينا ان ننشر خلاصتها لعلَّ فيها فائدة للقراء . فجزئت الارض اجزاءً متساوية كل جزء منها $\frac{1}{4}$ من الفدان وترك جزء منها من غير سماد وسمد الجزء الثاني بالسباخ البلدي اي بزبل المواشي . والثالث بثلاثين رطلاً من البوتاس واربعين من الفصفات . والرابع بعشرين من كبريتات الامونيا و ٣٠ من البوتاس واربعين من الفصفات وهلمَّ جرًّا وهاك نتيجة محصول القطن محسوبة ارطالاً للفدان والسماد فيها محسوبًا ارطالاً للفدان

	المحصول
(١) من غير سماد	٨١٢
(٢) سباخ بلدي	٨٤٥
(٣) ١٢٠٠ رطلاً كبريتات البوتاسا و ١٦٠٠ فصفات الصودا	٨٤٣
(٤) ٨٠٠ كبريتات الامونيا و ١٢٠٠ بوتاس و ١٦٠٠ فصفات	٨٣٨
(٥) ١٢٠٠ " " و ١٢٠٠ " و ١٦٠٠ "	٨٢٥
(٦) ٨٠٠ نيترات الصودا و ١٢٠٠ " و ١٦٠٠ "	٨٤٩
(٧) ١٢٠٠ " " و ١٢٠٠ " و ١٦٠٠ "	٧٨٢

الهواء والرطوبة اهمُّ المواد التي في التربة وعليهِ كان الاحتفاظ بهما وايصالهما الى جذور النبات من المسائل الرئيسة التي نحن بصددها . ولما كانا موجودين في التربة دائمًا فلم يبقَ على الفلاَّح سوى تدبيرهما والتحكم بهما . وعليهِ فمن اهم الامور للزراعة حرث التربة حرثًا جيدًا في الاوان الملائم لذلك . وليس الحرث في الحقيقة سوى واسطة لاعداد الرطوبة وجعل التربة بحيث تستطيع استمداد ما تحتاج اليهِ منها ومن الهواء . ولما كان مسألة الخصب مسألة طبيعيةً على الاكثر فان الاسمدة الصناعية التي تسمَّد بها التربة ليست بذات نفع عظيم في تحسينها وزيادة خصبها بل ان من احوال التربة ما لهُ علاقة رأسًا بالهواء والرطوبة اللازمين لها مثل حجم ذرات التراب وشكلها وترتيبها مما هو تحت سلطة الفلاَّح فيجب ان ينتبه اليهِ

وهناك قوة اخرى مهمة لانها هي التي تمكّن النباتات من امتصاص الجوامد الذائبة في التربة بتداخلها في المواد المتنوعة التي تتألف التربة منها وهذه القوة هي ما يسمَّى بالالفة الطبيعية وبموجبها تتفاعل المواد التي تتركب التربة منها ويؤثر بعضها في بعض . فاذا أُضيف الى التربة مادة ليست فيها فقد تضطرب موازنتها لما بين المادة المضافة والمواد الاخرى من الالفة وهذا الاضطراب في موازنة التربة لا يظهر بالتحليل الكيماوي لان مسألة الخصب مسألة طبيعيةٌ وكيماويةٌ معًا كما تقدم

ولا يخفى انهُ اذا حرثت الارض وتركت بلا زرع سنة ثم زرعت زكا زرعها واخصبت مع انهُ لم يضف اليها شيءٌ من السماد والسبب في ذلك ان حرثها يفتّت التراب الذي فيها فيتخللهُ الهواء ويمكنهُ من حفظ الرطوبة فيستطيع الفلاح بذلك ان يزيد خصبها من غير ان يضيف اليها سمادًا

ومن الامور المهمة في الزراعة ان لا يترك سطح التربة حتى يتصلَّب فيمنع الهواء من الوصول الى جذور الزرع بل ان يحرث على الدوام كلما سنحت الفرصة

ومما لهُ علاقة شديدة بخصب الارض وجود بعض انواع البكتيريا فيها ولا يعلم الاَّ القليل عن علاقة انواع البكتيريا المختلفة بعضها ببعض وعلاقتها بالنباتات ولا تحليل التربة الكيماوي يفيد شيئًا في ذلك . وانما يعلم ان بعض انواع النباتات يتكوَّن درن في جذورهِ والميكروبات التي تحدث الدرن لها قدرة على اخذ النتروجين من الهواء واعطائهِ للنبات الذي يكون الدرن في جذورهِ . وهذا الدرن يتكوَّن على جذور كثير من النباتات التي من فصيلة الفول وعليهِ فان زرع هذه النباتات يزيد خصب التربة التي تزرع فيها ولكن لا بدَّ للتربة اولاً ان تحتوي الميكروبات التي تنمو على النباتات المشار اليها وان لم توجد فيها وجب

محصول القطن هذا العام

القطن المصري

قدّرت شركة المحاصيل المصرية محصول القطن المصري هذا العام بستة ملايين قنطار وثلاثة ارباع المليون على الاكثر . والظاهر من تقديرها في السنين الماضية ان المحصول كان يأتي غالباً باكثر مما قدّرت له كما ترى من هذا الجدول

السنة	التقدير	المحصول
١٨٨٦	٣٠٠٠٠٠٠ الى ٣١٠٠٠٠٠	٢٨٧٢٠٠٠
١٨٨٧	٢٨٥٠٠٠٠	٢٩٩٦٠٠٠
١٨٨٨	٢٥٠٠٠٠٠ الى ٢٧٥٠٠٠٠	٢٧٢٧٠٠٠
١٨٨٩	٣٢٥٠٠٠٠	٣٢٣٧٠٠٠
١٨٩٠	٣٦٥٠٠٠٠ الى ٣٧٥٠٠٠٠	٤١٥٩٠٠٠
١٨٩١	٤٢١٠٠٠٠ الى ٤٥٠٠٠٠٠	٤٧٦٥٠٠٠
١٨٩٢	٥٠٠٠٠٠٠	٥٢٢٠٠٠٠
١٨٩٣	٤٧٥٠٠٠٠	٥٠٣٣٠٠٠
١٨٩٤	٥٠٠٠٠٠٠	٤٦١٩٠٠٠
١٨٩٥	٥٢٥٠٠٠٠	٥٢٧٦٠٠٠
١٨٩٦	٥٥٠٠٠٠٠	٥٨٨٠٠٠٠
١٨٩٧	٦٢٥٠٠٠٠ الى ٦٥٠٠٠٠٠	٦٥٤٣٠٠٠
١٨٩٨	٥٥٥٠٠٠٠	٥٥٨٨٠٠٠
١٨٩٩	٦٥٠٠٠٠٠	٦٥٠٩٠٠٠
١٩٠٠	٥٢٥٠٠٠	٥٤٣٥٠٠٠
١٩٠١	٦٢٥٠٠٠٠	٦٣٦٩٠٠٠
١٩٠٢	٥٧٥٠٠٠٠	٥٨٥٨٠٠٠
١٩٠٣	٦٥٠٠٠٠٠	٦٥٠٨٠٠٠
١٩٠٤	٦٠٠٠٠٠٠	٦٣١٣٠٠٠
١٩٠٥	٦٧٥٠٠٠٠	

ولكن اهل الزراعة يقولون كلهم ان المحصول هذه السنة لا يزيد عن محصول السنة الماضية وان زاد فالزيادة قليلة جدًّا وقد لا يبلغ المحصول ستة ملايين ونصف مليون

	المحصول
(٨) ١٢٠٠ كبريتات الامونيا و١٢٠٠ بوتاس	٧٦٦
(٩) ٨٠٠ " "	٨٢٠
(١٠) ١٢٠٠ " "	٨٧٨
(١١) ٨٠٠ نيترات الصودا	٨٨٢
(١٢) ١٢٠٠ " "	٨٤٨
(١٣) ١٢٠٠ نيترات الصودا و١٢٠٠ كبريتات البوتاسا	٧٤٣
(١٤) ٢٤٠٠ فصفات الصودا و١٢٠٠ كبريتات الامونيا و١٢٠٠ كبريتات البوتاسا	٨٦٦
(١٥) ٣٢٠٠ " " و١٢٠٠ " " و١٢٠٠	٨٩٠

فيظهر من ذلك ان الفرق بين محصول الارض المسمَّدة بالسماد الكيماوي والمسمدة بالسماد البلدي اي بزبل المواشي قليل جدًّا بل ان محصول المسمدة بالسماد البلدي قد يكون اكثر من المسمدة بالسماد الكيماوي في كثير من الاحوال

وقد ظهر لنا نحن من امتحان السماد الكيماوي في مديرية الغربية في نحو مئة فدان زرعت قطنًا ان محصول القطن لا يزيد قدر ثمن السماد واجرة استعمالهِ والراجح عندنا انهُ لم يزد شيئًا نعم ان شجيرات القطن المسمد نمت اكثر من شجيرات القطن غير المسمد وطال اخضرار ورقها اكثر مما طال اخضرار ورقهِ حتى ظننا ان محصولها يكون اكثر من محصول القطن غير المسمد نحو قنطار في كل فدان ولكن لم يتحقق هذا الظن

والمؤكد لنا الآن ان الاحوال الجوية تؤثر اكثر من السماد وتأتي بعدها الخدمة ثم السماد ونتجت هذه النتائج عينها في جزائر الهند الغربية كما تقدَّم . اما في اميركا الشمالية حيث يزرع القطن الاميركاني فاهل الزراعة يعتمدون على السماد كثيرًا ولكنهم يعتمدون على الخدمة ايضًا ومع ذلك قلما يزيد متوسط الفدان على قنطارين اي نحو ٦٢٠ رطلاً ولا يبعد انهم لو اقتصروا على الخدمة وحدها لبلغوا هذه النتيجة . ثم ان الاحوال الجوية تؤثر كما تؤثر عندنا وهي التي زادت محصولهم في العام الماضي حتى ابلغتهُ اكثر من ثلاثة عشر مليونًا ونصف مليون بالة

ومما ثبت لنا ان زيادة البعد بين الخطوط لا تفيد القطن لان القطن الذي خطوطهُ بعيدة لم يأتِ بمحصول اكثر من الذي خطوطهُ قريبة وذلك في الحوض الواحد . ومتى اخذ قلم الاحصاء الزراعي في عملهِ تتضح امور كثيرة من هذا القبيل

سنة	انكلترا	بقية اوربا	اميركا
١٩٠٣	٣١٨٥٠٠٠	٥١٨٤٠٠٠	٤٠١٥٠٠٠
١٩٠٤	٣٠١٧٠٠٠	٥٠٤٨٠٠٠	٣٩٠٩٠٠٠
١٩٠٥	٣٦٠٢٠٠٠	٥٢٠٠٠٠٠	٤٥٥٠٠٠٠

يضاف على ذلك مقطوعية الهند وهي ١٣٥٠٠٠٠ بالة

عدد المغازل	في انكلترا	عدد الانوال للنسيج
١٨٣١	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٨٠ ٠٠٠
١٨٥١	١٨ ٠٠٠ ٠٠٠	
١٨٦٧	٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠	
١٨٨٤	٤٢ ٧٥٠ ٠٠٠	٥٦١ ٠٠٠
١٨٩٤	٤٥ ٢٧٠ ٠٠٠	
١٩٠١	٤٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٧٠٠ ٠٠٠
١٩٠٢	٤٧ ٠٠٠ ٠٠٠	
١٩٠٤	٤٩ ٧٥٠ ٠٠٠	٧٠٤ ٠٠٠
١٩٠٥	٥٠ ٩٦٥ ٠٠٠	٧١٩ ٠٠٠

عدد مغازل القطن في ممالك اوربا	سنة ١٨٩٨	سنة ١٩٠٥
في المانيا	٧٨٨٤٠٠٠	٨٨٣٢٠٠٠
« النمسا	٣١٤٠٠٠٠	٣٣٨٣٠٠٠
« بولندا الروسية	٠٩٥٦٠٠٠	١٢٦٩٠٠٠
« سويسرا	١٧٠٩٠٠٠	١٥٣٨٠٠٠
« هولندا	٢٧٠ ٠٠٠	٣٦٥ ٠٠٠
« بلجيكا	٨٨٠ ٠٠٠	١٢٢٢ ٠٠٠
« الدنمارك		٠٦٠ ٠٠٠
« اسوج		٣٧٧ ٠٠٠
« نروج		٠٧٥ ٠٠٠
والجملة	١٤٨٢٩ ٠٠٠	١٧ ١٢١ ٠٠٠

القطن الاميركاني

اما محصول القطن الاميركاني فقدَّرهُ قلم الزراعة في اميركا بعشرة ملايين و ١٦٧ الف بالة · وهاك تقديرهُ للمحصول في السبع السنوات الاخيرة

سنة	التقدير	المحصول
١٨٩٨	١٠٠٠٠٠٠٠ بالة	١١٢٣٥٠٠٠
١٨٩٩	٨٩٠٠٠٠٠ "	٩٤٣٩٠٠٠
١٩٠٠	١٠١٠٠٠٠٠ "	١٠٤٢٥٠٠٠
١٩٠١	٩٦٧٤٠٠٠ "	١٠٧٠١٠٠٠
١٩٠٢	١٠٤١٧٠٠٠ "	١٠٧٥٨٠٠٠
١٩ ٣	٩٩٦٦٠٠٠ "	١٠١٢٤٠٠٠
١٩٠٤	١٢١٦٣٠٠٠ "	١٣٥٦٦٠٠٠
١٩٠٥	١٠١٦٧٠٠٠ "	

مقطوعية القطن

المقطوعية المذكورة هنا هي بالبالات الاميركيَّة التي وزن البالة منها ٥٠٠ ليبرة

سنة	انكلترا	بقية اوربا	اميركا
١٨٤٢	١٣٧٢٠٠٠	٣١٦٠٠٠	٣٢٦٠٠٠
١٨٥٢	١٨٧٨٠٠٠	١١٨٩٠٠٠	٧٨٢٠٠٠
١٨٦٢	١٣٣٢٠٠٠	٨١٤٠٠٠	٤٠٠٠٠
١٨٧٢	٣٣٣٥٠٠٠	٢٠٩٩٠٠٠	١٢١٤٠٠٠
١٨٨٢	٣٤٢٦٠٠٠	٣٤٤٧٠٠٠	٢٣٥٨٠٠٠
١٨٩٢	٢٨٥٣٠٠٠	٣٨٨٥٠٠٠	٢٥٩٦٠٠٠
١٨٩٨	٣٣٨٠٠٠٠	٤٥٧٦٠٠٠	٢٩٢٢٠٠٠
١٨٩٩	٣٥١٩٠٠٠	٤٨٣٦٠٠٠	٣٥٨٢٠٠٠
١٩٠٠	٣٣٣٤٠٠٠	٤٥٧٦٠٠٠	٣٧٨٧٠٠٠
١٩٠١	٣٢٦٩٠٠٠	٤٥٧٦٠٠٠	٣٤٣٥٠٠٠
١٩٠٢	٣٢٥٣٠٠٠	٤٧٨٤٠٠٠	٣٩٠٨٠٠٠

وتحفّظ من ان توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك حتى ربما اضرَّ ذلك بك وربما قتلك". وقوله" ثق بالمتديّن وان كان على غير دينك ولا تثق بالمستخف وان اظهر انهُ على دينك". وقوله" لا تنقل الى صديقك ما يؤلم نفسهُ ولا ينتفع بمعرفتهِ فهذا فعل الارذال ولا تكتمهُ ما يستضرُّ بجهلهِ فهذا فعل الشر". وفي باب تدبير الصحة شرح اسلوب الانكليز في الاكثار من طعام الصباح وحث بعض الفرنسويين قومهم على اقتفاء آثار الانكليز في ذلك لكن علماء الصحة من الانكليز يخطّئون قومهم ويقولون ان الاكثار من الطعام في الصباح ضرر محض ولنجاح الانكليز اسباب اخرى ولا علاقة لطعام الصباح بهِ. وكل ما في الابواب المتقدمة حافل بالفوائد العلمية والادبيَّة

واما ما ذكرهُ في باب مقالات المجلات الذي قال انهُ زبدة ما وقع عليهِ اختيارهُ من اهم ابحاثها فيدلُّ على ان مقام المجلات العربيَّة ليس في عينيهِ على ما يرام. وهو اسمح من ذلك واكرم

هذا والمقتطف يرحّب بالمقتبس ويرجو ان يكون خير رصيف لهُ واكبر ذريعة لنشر المعارف بين الناطقين بالضاد

تاريخ المورو وشرائعهم وديانتهم

Studies in the Moro History, Law, and Religion.

كيفما ذهب ابناء سورية رأيت آثارهم العلمية والادبيَّة كأنَّ نفوسهم كبيرة فلا تكاد تشعر بزوال الضغط الذي يلاقونهُ في بلادهم حتى تتسع صدورهم وتنتشر نفثات اقلامهم. كنا نتحدث بالامس مع الرحَّالة الانكليزي المشهور سقج لندر فقصَّ علينا ما لقيهُ في جزائر فيلبين التي كانت لاسبانيا فاخذتها منها الولايات المتحدة الاميركية فقلنا لهُ ان فيها شابًّا من ابناء وطننا فقال لعلهُ الدكتور نجيب صليبي وهو من اعز اصدقائي ومن الذين لهم اليد الطولى في درس اخلاق الاهلين والبحث عن آثارهم. ولم نكد نتم هذا الحديث حتى جاءنا البريد بكتاب وضعهُ الدكتور صليبي في تاريخ المورو سكان جزائر فيلبين وشرائعهم وديانتهم وضعهُ باللغة الانكليزية وطبعتهُ الحكومة الاميركية في تلك الجزائر على نفقتها جاعلة اياهُ الجزء الاول من المجلد الرابع من الكتب التي الفت عن المباحث العلمية في فيلبين

وقد قال المؤلف في مقدمة هذا الكتاب ان تاريخ مسلمي فيلبين (واسمهم المورو والجندناو) قبل اعتناقهم الاسلام خرافي تناقلوهُ خلفًا عن سلف ولم يعنَ احد بتدوينهِ ولكن لما جاء الاسلام الى تلك الجزائر جاء معهُ العلم والعمران فانتظمت الاحكام ودونت التواريخ ووضعت التراسيل وهي عندهم كشجرات الانساب عندنا

باب التقريظ والانتقاد

المقتبس

يعلم القراء الكرام اسم المنشىء البليغ محمد افندي كرد علي من المقالات الكثيرة التي طوّق بها جيد المقتطف . ولقد كان يتحفنا بما يضيق نطاق المقتطف عن نشرهِ فرأى ان لا يقيد قلمهُ بما تنشرهُ لهُ المجلات لا سيما وان البلاد قد نهضت نهضةً تذكر لطلب المعارف فانشأ جريدة سماها المقتبس لنشر المقالات العلمية والادبيَّة والاجتماعية في عشرة ابواب الاول ترجمات من اثروا بعض الاثر في المجتمع الانساني . والثاني مقالات في الآداب والعلم وفن الاجتماع والتاريخ . والثالث في التربية والتعليم . والرابع واسمهُ صحف منسيَّة يدرج فيهِ ما طوي ذكرهُ من منثور العربية ومنظومها . والخامس في تدبير الصحة . والسادس في تدبير المنزل . والسابع في المطبوعات والمخطوطات . والثامن في مقالات المجلات وينشر فيهِ زبدة ما يقع عليهِ الاختيار من اهم ابحاث المجلات العربيَّة والافرنجية . والتاسع في سير العلم . والعاشر واسمهُ نفاضة الجراب تنشر فيهِ النكات الادبية الفكاهية

وقد صدر الجزء الاول من هذه المجلة وفيهِ مقدمة وجيزة وترجمة ابن حزم الاندلسي في باب الترجمات . وفي باب المقالات خمس مقالات في الاميَّة وسيئات القرن الماضي وتعليم اللغات والتمثيل في الاسلام والتناسل الغريب . ومقالة تعليم اللغات مفيدة جدًّا لانهُ شرح فيها طريقة برليتز الاميركي التي يتعلم بها المرء لغة اجنبية كما يتعلم الطفل لغة ابيهِ وامهِ . وفي باب الصحف المنسية نصائح كثيرة لابن حزم الاندلسي ملأَت اربع صفحات ومنها قولهُ «مَن حقق النظر وراض نفسهُ على السكون الى الحقائق وان المهافي اول صدمة كان اغتباطهُ بذم الناس اياهُ اشد واكثر من اغتباطهِ بمدحهم اياهُ لان مدحهم اياهُ ان كان بحق وبلغهُ مدحهم لهُ اسرى ذلك فيهِ العجب فافسد بذلك فضائلهُ وان كان بباطل فبلغهُ فسرَّ فقد صار مسرورًا بالكذب وهذا نقص شديد واما ذم الناس اياهُ فان كان بحق فبلغهُ فربما كان ذلك سبباً الى تجنبهِ ما يعاب عليهِ وهذا حظ عظيم لا يزهد فيهِ الاَّ ناقص وان كان بباطل فصبر اكتسب فضلاً زائدًا بالحلم والصبر». وقولهُ " احرص على ان توصف بسلامة الجانب

حالها الى ان نقحها الوزير الحالي الحاج بونو عبد الباقي . ثم اوردها كلها مترجمًا اياها الى اللغة الانكليزية . والعقاب فيها الغرامة غالبًا او الغرامة والجلد وهي بسيطة جدًّا يسهل العمل بها ليس منها ضرر على الجاني ولا على المجني عليهِ كشرائعنا التي تقضي على الجاني بالسجن فتظلم عائلتهُ وتحرم البلاد نفعهُ ولا يستفيد المجني عليهِ شيئًا

فنهنئ حضرة المؤلف ونقترح عليهِ ان يتحف ابناء العربية برسالة مسهبة في وصف جزائر فيلبين واحوال اهلها

رفيق التلميذ

وضع حضرة الاديب نسيم افندي الحلو احد اساتذة مدرسة الفنون في صيدا كتابًا سماهُ "رفيق التلميذ" وهو خاص بتلامذة المدارس . والغاية منهُ ارشاد التلميذ الى كيفية السلوك في المدرسة حين يدخلها جديدًا . قال في مقدمتهِ "وبعد فان كثيرين من التلامذة يأتون المدارس اغرارًا لا يعرفون كيف يتصرفون في دروسهم وسلوكهم ومعاملاتهم وسائر واجباتهم ولو كانوا من ذوي النباهة والذكاء . فتراهم يدخلون البيوت من غير ابوابها لعدم اختبارهم كيفية السلوك المدرسي" ... الى ان قال "وبناء عليهِ رأيتُ ان الحاجة ماسّة الى تأليف كتاب يتضمن بعض ما ينشرهُ الرؤساء والاساتذة الافاضل على مدار السنة ووضعهِ بين ايدي الطلبة ليروا فيها كلَّ ما يحتاجون اليهِ صبرة واحدة"

والكتاب يتضمن ثلاثة عشر بابًا تحتها فصول مختلفة ومذيلة بخاتمة . ولغتهُ سهلة ومادتهُ غزيرة مفيدة للتلميذ من حين دخولهِ المدرسة الى خروجهِ منها . وقد اهداهُ مؤلفهُ الى حضرة السيدة الفاضلة والمحسنة العاملة مسز وود الاميركية المقيمة في صيداء لما لها من المساعي الخيرية والمبرات الجزيلة في تسهيل اجتناء العلم على طالبيهِ من ابناء سورية وخصوصًا تلامذة مدرسة صيداء . فنمحض المؤلف خالص الشكر والثناء

رواية سقوط نابوليون الثالث

اسم هذه الرواية بالفرنسوية La Dégringolade وتعريبهُ الدحرجة والمراد سقوط نابوليون الثالث وضعها اميل جابوريو الكاتب الفرنسوي المعروف وعرّبها حضرة الشاعر الاديب نقولا افندي رزق الله مدير جريدة الاهرام ومطبعتها . وهي رواية تاريخية اجتماعية ادبية غرامية عصرية صدر المجلد الاول منها وسيليهِ مجلدان آخران . قال المعرّب في مقدمتهِ

والتراسيل بلغة مجندناو لكنها مكتوبة بحروف عربية . ومعنى مجندناو البلاد المروية لان فيها نهرًا يفيض عليها ويرويها فاطلق هذا الاسم على البلاد وعلى سكانها . وكان بدء دخول الاسلام اليها في نحو سنة ١٤٧٥ للميلاد اي منذ اربع مئة وثلاثين سنة . وكلام المؤلف في هذا الصدد بليغ يشهد لهُ بامتلاك ناصية الانشاء في اللغة الانكليزية قال ما ترجمتهُ "قبلما احتفل بالقدَّاس الاول في شمالي مندناو بنيت المساجد على ضفاف بولنجي الخصيبة . وقبلما نزل لغاسبي في سبو نودي بكبونسوان ملكاً على مجندناو . ولم يكن فاتح مندناو امير بحر ولا قائد جيش ولا كان وراءهُ دولة تنصرهُ وتشد ازرهُ ولا كان مدفوعاً بحب الشهرة ولا كان يفتش عن بلاد غنية ولا عن مناجم الذهب والفضة وانما كان يقصد ان يفتح بلادًا يعيش فيها معتمدًا على شجاعة البحارة الذين معهُ وعلى مهارتهِ في السحر والطلاسم

"وكان في عروقهِ من دم الملقيين والعرب ما يكفي لاعلاء همتهِ وتشديد عزيمتهِ فاتى وغلب فتمهدت البلاد لهُ في مندناو كما تمهَّدت في جوهور ورأى لغة اهلها قريبة من لغتهِ ولم يرَ فيهم انفة جنسيَّة تقصيهِ عنهم . وكان شديد التديُّن فلم يقبل ان يخضع لهُ السكان ما لم يعتنقوا دينهُ ولا هادنهم وهم على كفرهم . ثم تزوج بينهم فاشتدت روابط الدين بروابط القرابة ولم يمضِ الجيل الاول والثاني حتى صار الغالبون والمغلوبون شعباً واحدًا وقلباً واحدًا ولهم دين واحد وغرض واحد وقامت في البلاد دولة اسلامية تعزز الحضارة والعمران حيث كانت الامم وثنية همجية . والمورو الموصوفون بالقساوة والشمم ارقى جدًّا من الوثنيين الذين يسكنون سائر البلاد مع انهم جميعهم من اصل واحد لكن الاسلام علَّمهم وهذبهم واوصل بينهم وبين غيرهم من الامم"

وفي هذا الكتاب صحائف كثيرة منقولة عن تراسيل المورو باللغة الملقية وبعضها عن خطبهم بالعربية ومن ذلك خطبة تليت سنة ١٣٢١ وهذا نصها

سبحان الله والحمد لله ولا اله الاَّ الله . الله اكبر اهل الكبر وولي الامر . ملَك البرايا بالقوة القاهرة واحتجب عن الابصار بالقدرة الظاهرة ذو العز والسلطان والمن والاحسان والجود والامتنان الذي تفرَّد بالجبروت وتوحَّد بالملكوت وهو حي دائم لا يموت لا اله الاَّ هو كل شيء هالك الاَّ وجه الله الحكيم واليهِ ترجعون . الله اكبر تصاغرت لهُ الكبراء وتواضعت لهُ العلماء وتذللت لهُ الاعزاء ونطقت بربوبيتهِ الانبياء وشهدت بوحدانيتهِ الاولياء وفاهت بازليتهِ الفهماء وعيَّت عن تكييفهِ الحكماء واعترف بعبوديتهِ من في الارض والسماء . الخ

وقال المؤلف في الكلام على شرائعهم المدنية ان شرائع سلطانهم جمال العالم بقيت على

في الصيف الماضي كما ذكرناهُ في حينهِ وهو يحتوي نتائج ابحاث اللجنة الخاصة بالمعرض وتقاريرها واسماء العارضين والممتازين وغير ذلك من الفوائد المتعلقة بالمعرض ويدلُّ على الهمة العالية التي ابدتها لجنة المعرض ولاسيما حضرة رئيسها الوجيه الغيور فارس افندي مشرق والذين ساعدوها من وجوه البلاد

رسائل ارشاد الافكار

هي رسائل للشريف منصور افندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي "في بيان امر المهدوية وسياسة الراعي بالرعية وحقائق علم الدين الاسلامي على غير مثال سابق يجدد مركزهُ منهُ وينهض بهِ في نشأَة اخرى لاعادة قوتهِ الكبرى" وهي مثل سائر ما انشأَهُ طافحة بالفوائد الدينية والادبية

الاساس بالمقياس

كتيب وضعهُ حضرة الاديب عطا افندي فهمي مترجم دائرة والدة الجناب الخديوي في بيان المقاييس المصرية والانجليزية والفرنسوية محولاً بعضها الى بعض ونقود كل مملكة في العالم وهو يطابق بروجرام نظارة المعارف العمومية للقسمين الابتدائي والثانوي وفيهِ كثير من المسائل المحلولة حتى يسهل على اصغر الطلاب الاستفادة منهُ

لجنة حفظ الآثار العربية

أُهديت الينا المجموعة الثامنة عشرة من محاضر جلسات هذه اللجنة وتقارير قسمها الهندسي عن سنة ١٩٠١ ترجمها من الفرنسوية الى العربية حضرة الاديب الياس افندي اسكندر حكيم رئيس تحريرات اللجنة في ديوان الاوقاف . وفيها محاضر ٩ جلسات وصورة ٢٠ تقريراً من تقارير القسم الهندسي مذيلة بملحق من قلم حضرة مكس هرتس بك باشمهندس اللجنة

البائنة

كراس يبحث بحثاً قانونياً في البائنة (الدوطة) منذ عهد اليونان القدماء الى عهدنا الحاضر بقلم حضرة الاديب سليم افندي عوّاد من ادباء الاسكندرية

"وقد ادمج المؤلف الرواية في سلك حوادث غريبة ومواقف ادبية مختلفة يتعشقها الكاتب لانها تمثل العواطف الكريمة وتحبب الى النفوس الشجاعة والاجتهاد والفضيلة والترفع عن الدنايا وتقبح لها الجبن والخيانة والاسراف والجهل وسائر الآفات التي كادت تؤدي بالشرق واهلهِ". وقد عرّبها اجابة لاقتراح حضرة الاديب خليل بك صادق صاحب مكتبة الشعب افادة للناشئة الشرقية وصاغها في قالب عربي متين وعبارة قريبة المأخذ يفهمها العامة ويرضى بها الخاصة

مرشد الراغبين في اسعاف المصابين

الف هذا الكتاب حضرة الكاتب الفاضل يوسف افندي بشتلي من موظفي نظارة الداخلية والغرض منهُ اسعاف الذين يصابون بحوادث فجائية بالعلاج الموقت ريثما يدركهم الطبيب بالعلاج الشافي . وهو يحتوي على فصول عديدة مفيدة في وصف جسد الانسان وكيفية ابداء المساعدة الوقتية عند طروء الآفات والعوارض الفجائية من جرح وكسر عظم وخلعهِ واغماء وهستيريا وسمٍّ وغرق واختناق بالغازات وعض حيوانات ولدغ حشرات وما شاكل ذلك من الطوارئ . وفيهِ كثير من الرسوم التشريحية . وقد عرضهُ على بعض نطس الاطباء لتنقيحهِ وضبط الاصطلاحات الطبية باللغة العربية

ولا ريب ان هذا الكتاب لازم كلَّ اللزوم للعائلات تداركاً لما قد يطرأُ على اعضائها من الطوارئ غير المنتظرة فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً لما اتحف بهِ ابناء العربية من الكتب المفيدة

انفس الآثار في اشهر الامصار

كتاب مقتطف من رسائل كتبها حضرة يوسف بن اليان سركيس الدمشقي الى اخيهِ ميخائيل في بيروت إثرَ رحلتهِ من الاستانة الى رومية سنة ١٩٠٣ . وفيهِ وصف ما مرَّ بهِ من البلدان وما اشتهر فيها من الآثار وما زارهُ من المعابد والقصور ووصف حفلة التتويج البابوي عند ارتقاء حضرة البابا بيوس العاشر الحالي الى الكرسي البابوي

المعرض الوطني العثماني اللبناني

وقفنا على تقويم المعرض الوطني العثماني اللبناني الذي عقد في ضواحي الشوير (لبنان)

مايو

يوم

١ عيد شم النسيم

١٣ احتفل بعيد محمد علي المئوي و باستقبال المحمل

٢٥ سافر الخديوي من الاسكندرية الي اوربا

٢٦و٢٧ فاز الاسطول الياباني على الاسطول الروسي فوزًا مبينًا في بوغاز كوريا

يونيو

٦ استعفى المسيو دلكاسه ناظر الخارجية الفرنسوية بسبب مسألة المغرب الاقصى

٧ اقرّ مجلس نواب نروج على الانفصال عن اسوج

١٣ قتل دِيلي ينِي وزير اليونان

١٣ تزوج البرنس جستاف ادولف ابن وليعهد اسوج البرنسس مرغريت اوف كنوت

٢٨ بدأ الهياج في اودسًا

يوليو

١١ توفي الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصريّة

١٧ توفي شريف مكة

٢١ حاول بعضهم قتل السلطان عبد الحميد بالقاء قنبلة

اوغسطس

٧ زار الاسطول الفرنسوي انكلترا

٩ عقدت الجلسة الاولى من جلسات مؤتمر الصلح بين الروس واليابانيين

١٥ افتتح مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة الراس وخطب السرجورج داورن رئيسهُ

١٩ استعفى اللورد كرزن والي الهند وعيّن اللورد منتو مكانهُ

٢٦ احتفل بفتح الخليج في مصر

٢٩ عقد الصلح بين روسيا واليابان

٣٠ كسفت الشمس كسوفًا ظهر تامًّا في اصوان

سبتمبر

٥ امضى البارون كومورا والمسيو ويت معاهدة الصلح

٨ حدثت زلزلة شديدة في كلابريا بايطاليا

١٠ احترقت ميكاسا بارجة الاميرال توجو وغرقت

تاريخ العام الماضي

يناير

يوم

١ سقطت بورت آرثر

١٠ وصل اسطول البلطيق الى بورت سعيد

١٦ وصل البرنس غستاف ادولف نجل ولي عهد اسوج ونروج الى مصر

٢٠ أُحييت الليلة الراقصة في سراي عابدين

٢٦ وصل دوق كنوت الى مصر

٢٧ وجدت اكبر ماسة في مناجم جوهنسبرج

وفي هذا الشهر بدأَ الاعتصاب والهيجان في روسيا

فبراير

١٤ عيد الاضحى

١٤ وصل الجنرال ستوسل الى السويس عائداً الى روسيا

١٧ قتل الغراندوق سرجيوس عم القيصر

٢٢ تمَّ فتح سرب سمبلون بين سويسرا وايطاليا

وفي هذا الشهر تجددت ثورة اليمن

مارس

٣ بدأَت معركة شاهو من اكبر معارك الحرب الروسية اليابانية

٧ رأْس السنة الهجريَّة

١٠ احتلَّ اليابانيون مكدن

١٧ فصل كوروبتكين عن منصب القائد العام

وفي هذا الشهر بدأَ حديث الصلح وسار امبراطور الالمان لزيارة طنجة

ابريل

٤ حدثت زلزلة شديدة في الهند

٢٧ وهب المستر كارنجي مليوني جنيه تعطى منها معاشات لمعلمي المدارس في اميركا وكندا

٢٩ وصل ملك الانكليز الى باريس

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) الري بالماء الملح

تونس . الشاذلي بن فرحات عامل الجريد . لما حللت بعمل الجريد وجدت ان واحاته واقعة على الشاطئ الايمن الشرقي من البحيرة المسماة بشط الجريد وفي هذه الواحات مياه دافقة واشجار باسقة اهمها النخيل بل لا يعتدُّ بدونهِ . وقد جرت عادة القوم هنا في ري تلك الاشجار ان يفرطوا في ريها فيسقوها سحاً حتى يحتاجوا الى حفر خنادق يجعلونها الحدود الفاصلة بين ملك وغيرهِ وهي لهم شغل شاغل بتعهُّد تطهيرها مما ينهال فيها من الرمال . والمراد من تلك الخنادق ان يستحلب فيها الماء الزائد على ري الشجر بل الذي عجزت عروقهُ عن امتصاصهِ وبعد تحلُّبهِ من بين تلك العروق بل مما يخرج من رؤُوس الجذور بحفر تلك الخنادق يصير ماء ملحاً قليلاً قد يمكن شربهُ للظمآن بعد ان كان عذباً . وهذا الماء لا يستعملونهُ لشيء ويقولون انهُ غير صالح لسقي النخيل . وحيث ان الماء لهُ ثمن هنا وهو حياة الواحات فهل يمكن الانتفاع بهِ في زراعة اخرى مثل زراعة الرز والقطف او غير ذلك من الحبوب والاشجار اذ حوالي الواحة ارض لا تقلُّ شيئًا عن طبيعة ارضها الاَّ وجدان الماء لتسقى بهِ فلو انتفع بهذا الماء لكان منهُ ينبوع ثروة كبيرة

ج اذا كان في الماء شيء من الملوحة كما ذكرتم فلا يصلح لري المزروعات لا لان النبات لا يعيش في الماء الملح اذا كانت ملوحتهُ قليلة جدًّا بل لان الماء يتبخَّر من الارض ويبقى الملح فيتراكم فيها سنة بعد اخرى ولا تعود صالحة لزرع

(٢) كثرة ري النخيل

ومنهُ . يظهر لي ان الاهالي مفرطون في سقي نخيلهم ولو اقتصدوا في الماء لضاعفوا مساحة واحتهم فهل ذلك كذلك او ان النخيل يحتاج الى هذا التبذير في الماء بما ينشأ من الاستحلاب المشار اليهِ . على اني اعرف بغير الجريد نخيلاً لا يقل ينوعًا عن هذا النخيل ولا يسقى كما هو جارٍ هنا بل يسقى كسائر الاشجار المسقية او لا يسقى بالمرَّة نعم ان الفرق بين

١٥ توفي دي برازا السائح الفرنسوي المشهور
٢٠ توفي الدكتور برناردو المحسن الكبير
٢٦ نشرت صورة المعاهدة المعقودة بين انكلترا واليابان
٢٧ نسفت الباخرة شاتام التي غرقت في ترعة السويس
٢٨ عاد الخديوي الى الاسكندرية

اكتوبر

٢ فتح مؤتمر السل في باريس
١٣ وافق مجلسا النواب في اسوج ونروج على انفصال المملكتين
١٣ توفي السر هنري ارفنغ الممثل الشهير
١٦ نشرت صورة معاهدة الصلح بين روسيا واليابان على تمامها
٢١ احتفل في انكلترا بمرور مئة سنة على وفاة نلسن ومعركة طرف الغار
٢٦ عاد الخديوي الى العاصمة
٢٧ أُمضيت معاهدة الانفصال بين اسوج ونروج

نوفمبر

١ عين الشيخ الرافعي مفتياً للديار المصريَّة
٣ توفي الشيخ الرافعي
٥ عين الشيخ بكري الصدفي مفتياً للديار المصريَّة
٧ عين الكونت وت رئيساً للوزارة الروسية
١٨ انتخب مجلس نواب نروج البرنس كارل الدنمركي ملكاً لنروج وسمي هاكون السابع

دیسمبر

٤ استعفت وزارة المحافظين الانكليزية
٥ نشر الامر العالي بالغاء احتكار الملح والنطرون في مصر
٥ خفضت رسوم البوستة على المراسلات العادية بين مصر والسلطنة الانكليزية من غرش صاغ الى نصف غرش
٥ سلم السلطان بمشروع المراقبة المالية على مكدونية
٧ قتل الجنرال مخاروف ناظر حربية روسيا السابق

وفي هذا الشهر اشتدت الثورة في موسكو وبطرسبرج

(٥) الفرق بين السنة الشمسية والقمرية

الخرطوم . محمد افندي صادق ما مقدار الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية

ج ١٠ ايام و٢١ ساعة و١٤٢/٥ دقيقة

(٦) التقويم الغريغوري

ومنهُ . ما هو التقويم الغريغوري ولماذا سمي كذلك

ج كان القدماء يحسبون السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وربع يوم فيضيفون يوماً الى كل سنة رابعة وهي سنة الكبيس لكن السنة اقل من ٣٦٥ يوماً وربع يوم لانها تعدل ٣٦٥٫٢٤٢٢٤ فاذا اضيف يوم الى كل سنة رابعة زادت الايام يوماً كاملاً كل ١٢٩ سنة . وفي سنة ١٥٨٢ رأى البابا غريغوريوس الثالث عشر ان يصلح الحساب وكان الاعتدال الربيعي قد وقع حينئذٍ في ١١ مارس فاسقط عشرة ايام من شهر نوفمبر فحسب اليوم الخامس منهُ اليوم الخامس عشر ولئلاَّ يعود الخطأُ اعتمدوا على هذه القاعدة وهي ان كل سنة لا تقسم على ٤ بدون باقٍ تحسب ٣٦٥ يوماً وكل سنة تقسم على ٤ ولا تقسم على ١٠٠ بدون باقٍ تحسب ٣٦٦ يوماً وكل سنة تقسم على ١٠٠ ولا تقسم على ٤٠٠ تحسب ٣٦٥ يوماً وسمي ذلك بالتقويم الغريغوري نسبة الى البابا غريغوريوس وعليهِ حسبت سنة ١٩٠٠ اعتيادية عند الذين يجرون على الحساب الغريغوري لانها تقسم على ١٠٠ من غير باقٍ مع انها تقسم على ٤ من غير باقٍ واما الذين يجرون على الحساب اليوليوسي السابق لهُ فعدوها كبيسة فزاد الفرق بين الطوائف الشرقية والغربية يوماً عما كان قبلها

(٧) السنون الميلادية والهجرية

ومنهُ . رجل عمرهُ ٤٠ سنة هجرية ولد في ٢٩ رمضان سنة ١٢٨٢ فما يوم ميلادهِ في الحساب الميلادي وكم سنة شمسية عمرهُ

ج ان ٢٩ رمضان سنة ١٢٨٢ يقابل ١٥ فبراير سنة ١٨٦٦ ميلادية . وقد اتمَّ الاربعين سنة هجرية في ٢٨ رمضان سنة ١٣٢٢ وذلك يقابل ٦ دسمبر سنة ١٩٠٤ . ومن ١٥ فبراير سنة ١٨٦٦ الى ٦ دسمبر سنة ١٩٠٤ ثمانٍ وثلاثون سنة وتسعة اشهر وعشرون يوماً

(٨) الصابون في الحلاقة

الزيتون . محمد افندي الجزائرلي . من استنبط الصابون في الحلاقة فان الحلاقة قديمة والصابون حديث

ج ان الحلاقة قديمة كما ذكرتم ولكن عمل الصابون غير حديث فقد كان معروفاً منذ نحو الفي سنة ووجدت مصبنة كاملة في خرائب بمباي وكان الرومانيون يستعملون الصابون لغسل الشعر وتمليعهِ وكانوا يحلقون لحاهم فلا يبعد ان يكونوا قد اهتدوا الى بلها بالصابون ليسهل حلقها

تمر النخلين كثير ولا اظن ان لغير طبيعة الارض وهواء المكان دخلاً في ذلك

ج ان ملوحة الماء المتحلب تدل على ان ارض هذه الواحات سبخة ملحة فلا بدَّ من غسل الملح منها بالماء الكثير ولكننا نستغرب كيف انها زرعت منذ عهد طويل وجرى الزارعون على غسلها هذه السنين الكثيرة ولم يزل الملح فيها ونظن انهُ يتطرَّق اليها مما حولها فلو حُفر حول الواحة مصرف عميق تتحلَّب المياه اليهِ مما حول الواحة كما تتحلب من الواحة نفسها وأُجري ماؤُهُ الى البحر اذا كان منخفضاً عنهُ لحلت تربة الواحة بعد زمن غير طويل وصار يمكن الاستغناء عن بعض الماء الذي تروى بهِ الآن . اما النخيل الذي رأيتموهُ في غير الجريد ولا يسقى كثيراً كما يسقى نخيل الجريد فلا يبعد ان تكون الطبقات السفلى من ارضهِ ندية فلا يحتاج الى كثرة السقي او لا يحتاج اليهِ ابدًا

(٣) الفصفات والنخيل

ومنهُ . على مقربة من هذه البلاد مقاطع الفصفات فهل التسميد بهِ نافع للنخيل وان كان نافعاً فهل انهُ لا يكون استعمالهُ الا بعد تصفيتهِ ومعالجتهِ معالجة خاصَّة او يكفي بمجرد طحنهِ دقيقاً للانتفاع بهِ

ج لا يحتاج النخيل الى سماد فصفوري والفصفات الطبيعي قلما يستعمل سماداً ما لم يعالج بالحامض الكبريتيك حتى يصير سهل الذوبان الاَّ اذا كان من الفصفات الاعلى من اصلهِ

(٤) اختيار الزوجة

اسكلة طرابلس الشام . الخواجه جرجي الياس جاماتي . كيف يجب ان يكون اختيار الزوجة أَبطريق العقل ام بطريق القلب وايهما يجب ان يكون مرشداً في اختيارها أَالعقل ام القلب او يجب الجمع بين الاثنين

ج لا بدَّ من الاعتماد على ارشاد العقل المستنير في كل شيء ولا سيما في عمل تتوقَّف عليهِ سعادة المرء وسعادة نسلهِ لانهُ إما ان تكون زوجتهُ نعيم حياتهِ وإما ان تكون شقاءها . وكلامنا على اختيار الزوج للزوجة يتناول ايضاً اختيار الزوجة للزوج لان الاختيار يجب ان يكون متبادلاً ولا يصلح قولهم زوج من عود خير من القعود . واذا كانت العقول رزينة مثقفة والاخلاق كريمة رضيَّة والزوجان في السن المناسب للزواج فقلما يتعذَّر التوفيق بين قلبيهما . ولا يخفى ان الحكم في ان العقل رزين مثقف والخلق كريم رضي لا يكون الاَّ بطريق العقل سواءٌ كان من قبَل الطالب او من قبَل ذويهِ والغالب ان العواطف تتبع حكم العقل . اما الفتى والفتاة اللذان لم يُقسم لهما نصيب وافٍ من رزانة العقل وكرم الاخلاق فامتناعهما عن التزوج خير لهما ولنوع الانسان لئلاَّ تزيد فيهِ السخافة والشقاء

الى الوانها السبعة وتنظمها في شكل دوائر متراكزة بعضها داخل بعض وقد شرحنا ذلك شرحاً مسهباً في المجلد السابع من المقتطف والصفحة ٤٥٨ وما بعدها . ومما ذكرناهُ هناك ان ارسطو كبير فلاسفة اليونان قال ان قوس قزح تحدث من فعل نقط المطر المستديرة بنور الشمس بناء على ما لاحظهُ من فعل كرات الزجاج المستديرة المملوءة ماء بالنور. وتابع ارسطو كل الفلاسفة الذين جاؤوا بعدهُ ومنهم فلاسفة العرب كما يظهر مما قالهُ الشيخ الرئيس ابن سينا في طبيعياتهِ. والظاهر ان القدماء حسبوا ان قوس قزح تتكوَّن من انعكاس النور من نقط المطر والحقيقة انها تتكوَّن من دخول شعاع النور في نقط المطر وانعكاسهِ عن باطنها وانحلالهِ حينما ينفذ منها ثانيةً آتياً الى عين الرائي . والمقالة التي نشرناها هناك توضح ذلك جليًّا

(١٢) تأثير نور القمر

ومنهُ . أَصحيح ان نور القمر يؤَثر في جسم الانسان والاشجار

ج ان التأْثير الذي يزعمهُ العامة غير صحيح ولا بدَّ من تأْثير نور القمر في كل ما يقع عليهِ ولكنهُ طفيف جدًّا لانهُ خفيف جدًّا وحرارتهُ لا تكاد تدرك بادق ميازين الحرارة كما ابنَّا مرارًا

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في يناير ١٩٠٦

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٢	٤	٥٢ مساء
البدر	١٠	٦	٣٧ "
الربع الاخير	١٧	١٠	٤٩ "
الهلال	٢٤	٧	٩ "

السيارات في يناير

عطارد نجم الصباح يرى ساعة ونصف ساعة قبل شروق الشمس

الزهرة نجم الصباح في الايام الاولى من الشهر

المريخ نجم المساء ويغرب نحو الساعة ٩ مساء

المشتري يرى من غروب الشمس الى الساعة ٣ صباحاً

زحل نجم المساء يرى مدة ثلاث ساعات في اول الشهر وساعةً في آخرهِ

(٩) الاصابة بالعين

مصر . امين افندي هاشم . من الناس مَن يقول ان لبعض الاعين تأثيرًا في الاشياء وبعضهم يتوقّى شرها بقولهِ اعوذ بالله من عين كل حاسد . فهل للعين مادة تنفصل منها وتصل الى المنظور فتؤثر فيهِ ام كيف ذلك

ج كان القدماء يظنون ان الإبصار يتم بخروج شيء من العين ووصولهِ الى المبصَر وعليهِ بنوا اعتقادهم بتأثير العين في المرئيات لكن هذا الظن بطل الآن وثبت ان النور ينعكس عن الجسم المرئي ويقع على العين فيؤثر فيها ويجعلها تشعر بهِ فالمبصَر يؤثر في العين لا العين في المبصَر . وهذا لا ينفي ما يشاهد احيانًا من تأثير بعض الناس في غيرهم بمجرد نظرهم اليهم فان الذي يعتاد تنويم شخص بالاستهواء قد يستهويهِ حسب الظاهر بمجرد نظرهِ اليهِ لكن الذي يفعل بالمستهوى هو اعتقادهُ ان المستهوي نظر اليهِ لينومهُ لانهُ ينام ايضًا اذا قيل لهُ ان المستهوي واقف في الغرفة التالية وهو ينظر اليك ليجعلك تنام ولو لم يكن المستهوي في تلك الغرفة

(١٠) وقوف الشمس والقمر

شيكاغو. الخواجه اليان بطرس حلوه . لما كان يشوع بن نون يحارب سكان اريحا رأى ان الليل قرب ان يدهمهُ قبل ان يتغلَّب على اعدائهِ فامر الشمس والقمر بالوقوف فوقفا وهذا دليل صريح على ان ذلك النهار قد طال وان الشمس تدور حول الارض فكيف توفقون بينهُ وبين قولكم ان الارض تدور حول الشمس

ج يقول مفسرو التوراة ان هذه العبارة "يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي ايلون" الخ شعر اقتبسهُ كاتب سفر يشوع بن نون من قصيدة تاريخية . ومعلوم ان الشعراء يبالغون في وصف المعارك الحربيَّة ويعبرون عنها على اساليب شعرية بالكنايات والاستعارات فيقولون خاض بحر الردى وجعل الجماجم نعالاً للجياد وهم اسود آجامها الصوارم والقنا ولا يعنون ان الموت بحر وان الجماجم تصلح ان تكون نعالاً ولا ان الرجال صاروا اسودًا . هذا ويحتمل ان يكون النور زاد اشراقًا بعد مغيب الشمس بالانعكاس كما يحدث كثيرًا في بلاد الشام فاخذ الشاعر هذه الحادثة الطبيعية وبالغ فيها على عادة الشعراء وقال ان الله اوقف الشمس والقمر لكي يتغلَّب شعبهُ على اعدائهِ

(١١) قوس قزح والمطر

الاسكندرية . بدران افندي احمد . من اي شيء تتكوَّن قوس قزح وما علاقتها بالمطر

ج تتكوَّن من فعل نقط المطر باشعة الشمس فان نقط المطر تحل اشعة الشمس

بعضهم منذ اربع سنوات الى نوع من القهوة ينمو في مدغسكر وليس فيهِ كافيين بل فيهِ بدلاً منهُ مادة مرّة سماها كافا مارين . ووجد بعد ذلك انواعاً اخرى منها ما فيهِ نزر يسير من الكافيين ومنها ما هو خالٍ منهُ تماماً

سافدج لندر

انسنا بلقاء الرحالة المشهور المستر سافدج لندر الذي كان لهُ الشأن الاكبر في الحملة الانكليزية على بلاد تبت اتى القطر المصري وسار منهُ الى بلاد الحبشة قاصدًا اختراق افريقية من شرقيها الى غربيها في طريق لم يسلكهُ احد قبلهُ وقد ارسل البعوث امامهُ لتنتظرهُ بالزاد والميرة في محطات يبعد كلٌّ منها عن الآخر اربعمائة ميل . وقد ساح قبل الآن في القطر المصري واليابان والصين وكوريا وجنوبي منغوليا وتبت والهند ونبال ويازو وجزائر كوريل وبلاد فارس وافغانستان وبلوخستان وجزائر فيلبين واميركا واستراليا وازورس وشمالي افريقية . ولعلهُ اوسع الناس رحلات واكثرهم ملاحظة وتدقيقاً كما يظهر من كتبهِ الكثيرة لا سيما وانهُ ماهر في صناعة التصوير فصوَّر كل ما رآهُ ونشر صورهُ في كتبهِ . ومن النوادر التي قصها علينا انهُ صوَّر مرَّة ولي عهد كوريا صورة جانبية يرى فيها جانب واحد من وجههِ فلما رآها ولي العهد تشاءم منها وقال أمرادك ان تجعلني بعين واحدة واذن واحدة ووجه واحد ثم عبس واخذتهُ العبرات . فطيب خاطرهُ واعتذر اليهِ ورفع الصورة من امام عينيهِ ثم صوَّرهُ صورة أُخرى مواجهة وابرز فيها عينيهِ واذنيهِ حتى كأَن الناظر اليها ينظر اليهِ من الجهتين معاً فسرَّ وليُّ العهد بهذه الصورة كما استاء من تلك . ومن رأْيهِ ان بلاد كوريا فقيرة واهاليها كسالى فلا تستحق هذه العناية بها والاختصام عليها. وكذلك بلاد تبت لا معادن فيها تستحق الذكر ولا هي اصلح من غيرها للزراعة واهاليها فقراء كسالى وقد عجزوا عن منعهِ من دخول بلادهم والتوغل فيها ولم يستطيعوا ان يقبضوا عليهِ الاَّ بحيلة فانهم لاطفوهُ بعد ان شاكسوهُ وقدموا لهُ كل ما يحتاج اليهِ من طعام وشراب ثم اراد ان يشتري منهم فرساً من خيلهم وهي صغيرة القد جدًّا وانحنى لكي يرى قوائم الفرس فهجموا عليهِ واوقعوهُ على الارض وربطوهُ بالحبال وعذبوهُ عذاباً لم يُعذَّبهُ احد من قبلُ فابقوهُ من غير طعام ونزعوا اظافر يديهِ وكووا وجههُ بالحديد المحمى ووضعوهُ على الدهق لكي يخلعوا مفاصلهُ ولما لم يمت جاء السيَّاف لكي يقطع رأْسهُ فلما رأى السيف في يدهِ ضحك واغرب في الضحك فكفوا عن قتلهِ وكانوا يعتقدون انهُ ساحر لان الاعمال التي كان يعملها في النجاة منهم غريبة لم يستطيعوا ادراكها واتفق ان

كسوفات سنة ١٩٠٦

تكسف الشمس ثلاث مرات في هذه السنة الاولى في ٢٣ فبراير والثانية في ٢١ يوليو والثالثة في ١٩ اغسطس . ويخسف القمر مرتين الاولى في ٩ فبراير والثانية في ٣ اغسطس. ولا يرى شيء من ذلك في القاهرة

دفائن قديمة

كانت احدى الشركات السويسرية تصرف مياه بحيرة شالان في سويسره لتخفيض منسوبها ٣٠ قدماً . فما كاد الماء ينخفض ٩ اقدام فيها حتى عثر رجال الشركة على اوتاد خشبية مغروزة في الارض يدلُّ وضعها على انهُ كان فوقها قرية كبيرة بشوارعها وسائر ما يتعلق بها على عادة اهل سويسره القدماء في بناء المنازل . واستمروا يحفرون وينقبون فوجدوا عظام حيوانات وبقايا خضر واشياء أُخرى وشعيرًا وجوزًا وتفاحًا وكتانًا وفحمًا وابرًا وفخارًا وادوات مختلفة مصنوعة من القرن والعظم والخشب والحجر

واهمُّ ما توجهت الانظار اليهِ ثلاثة قوارب غير متقنة الصنع اكبرها صنع من شجرة كستنا كبيرة طولهُ ٢٧ قدماً وعرضهُ بين قدمين وقدمين ونصف ومقدمهُ على شكل مهماز ومؤَخرهُ على شكل مؤَخر القوارب الحديثة

ووجدت آنية خشبية متقنة الصنع مثل الصحون والملاعق وغيرها . وادوات من الصوَّان وجمجمة دب وعظام غزلان وكلاب وخيل وبقر واقسام من هيا كل بشرية

ووجد بعضهم قطعة من الحديد قرب مدينة نسي في فرنسا على عمق ٤ امتار ونصف عن سطح الارض ثقلها ٣٠٠ كيلو غرام وهي من قبل زمن التاريخ ووجد بجانبها قطع من فحم الحطب وخبث الحديد او نفاية الكور . والظاهر انها كانت في موقد قديم . وقد حلل بعضها فوجد انها تحتوي غير الحديد على كربون وجرافيت وسلكا وكبريت وفصفور ومغنيسيا اي انها تشبه في تركيبها تركيب الفولاذ العادي الاَّ انها اكثر سلكا منهُ

ووجد آخر كرة مدفع في خندق الباستيل القديم وقد علاها الصدأ حتى اكل قسماً كبيرًا من حديدها فصار ثقلها النوعي ٤٫٨٥٤ بدلاً من ٧٫٦ كما هو الثقل النوعي للحديد الزهر وقد حللت ايضاً فوجد فيها ٧٢ في المئة حديدًا و١٧٫٤٥ في المئة اكسجيناً والباقي ماء وكربون وسلكا ومغنيسيا

قهوة بلا كافيين

الكافيين في القهوة والشاي هو الجوهر المنبّه فيهما وفي الشاي ٣ او ٤ في المئة منهُ وفي القهوة نحو ١ ١/٢ في المئة . وقد اهتدى

حولي وتخنقني ناسياً ان حولي درعاً تقيني منها ثم ارى اوطأ منها اسراباً من السمك الصغير تبرق وتلمع كأنها قطع نحاس صقيل . وعلى عمق ١٦٢ قدماً كنت ارى اعشاباً بحرية كثيفة وطويلة جدًّا تلتفُّ حول الاجسام التي تمرُّ بها وتثقلها وهنا وجه الخطر اذ كثيرًا ما ينقطع الحبل بالغائص فيهبط الى الاعماق . واعمق من ذلك كنت ارى سمكًا طويلاً دقيقًا على شكل الافاعي طول كلٍّ منها نحو ٣ اقدام وحيوانات اخرى تشبه الدلفين فتصادمني من كل جهة وكنت اخشى كثيرًا ان تنكسر زجاجة الخوذة وسمكها اربع بوصات فان انكسارها يعقبهُ الموت لا محالة

وافظع منظرًا منها الاخطبوط فانهُ يلفُّ اصابعهُ على الغوّاص اولاً ثم يتعلق باذيال الفرار جبناً لانهُ لم يعتد لمس الدرع قبلاً . ورأَيت من انواع السرطان الهائلة ما قطرهُ ثلاث اقدام ولهُ ظهور صلبة واظافر قوية

وعلى عمق ٩٦ قدماً كنت أرى الشمس مثل قرص محمر مظلم . ومما اذكرهُ مستغرباً اني حين كنت استظلُّ من اشعة الشمس في ظلال صخر او غيرهِ كنت أرى النجوم ولو في رائعة النهار . وفي احد الايام رأيت عند الظهيرة منظرًا لا انساهُ ما دمت حيًّا . ذلك اني كنت واقفاً على رمل ابيض ناعم انعكست اشعة النور عنهُ فخيل لي اني امرح في سهل من الذهب الذائب وكنت على عمق ١٢٩ قدماً

وعلى عمق ٢٢٦ قدماً يستولي الظلام الدامس فكيف على عمق ٣٣٦ قدماً وهو آخر ما بلغت . فكنت استضيءُ بمصابيح كهربائية قوتها عشرة آلاف شمعة ولكن نورها لم يكن يصل الى ابعد من ٩٠ قدماً . ومنظر حطام البواخر والسفن والقوارب هناك مما يملأُ النفس كآبة

وقد طلب مني مرة ان اغوص وراء سفينة غرقت في جوار مدينة اوستند فلما بلغت القاع رأَيت سرباً من السراطين الذي تقدمت الاشارة اليها وهي تلتهم جثث البحارة الذين غرقوا مع السفينة فلما رأَتني هاجمتني وامسكني احدها برجلي ولولا الدرع لسحقها سحقاً . وكان بيدي آلة حادة كالسيف فقتلت اثنين منها ولا يزال هيكلاها عندي . ورأَيتُ هناك العظام منثورة في كل جهة وبينها عظام بشرية . ومما لحظتهُ ان الجثث تبقى محفوظة في قعر البحر مدة طويلة قبلما يدبُّ الفساد اليها . فقد غصت مرة في اثر سفينة غرقت بكلِّ من فيها وكان البحارة نياماً في غرفهم عندما غرقت وابواب الغرف مغلقة فلم تتمكن الحيوانات من الدخول اليها . فرأَيت البحارة كأَنهم نيام فدنوت من جثة احدهم ولمستها بيدي فانحلَّ اللحم والجلد عنها وتناثر في كل جهة فلم

كان بين امتعتهِ لما قبضوا عليهِ صندوق فيهِ كثير من الواح الزجاج التي صوّر عليها صوراً فوتوغرافية وكان تحتها اسفنجة كبيرة لكي تقيها من الانكسار وقد انضغطت من ثقل الالواح عليها حتى صارت كالقرص فنزعوها من الصندوق وقلّبوها فلم يعلموا ما هي فرموهُ بها فاندفعت عنهُ بمرونتها ووقعت في بركة من الماء امامهُ فاغتنم هذه الفرصة لكي يرسّخ في اذهانهم انهُ ساحر لا يقدرون عليهِ وجعل ينظر الى الاسفنجة ويتمتم وهي تمتص الماء وتكبر وهو يزيد تمتمةً ويرفع صوتهُ رويداً رويداً حتى صارت كرة كبيرة فذعروا منها وخافوا ان تصير جبلاً يملأ بلادهم واشاروا اليهِ ان يوقف نموها فاشار اليها لكي تقف فوقفت وكانت قد بلغت حدها

وبلغ خبر اسرهِ بلاد الانكليز فارسلت الحملة من الهند لانقاذهِ فانقذتهُ وهو على آخر رمق بل ان الذين اسروهُ اطلقوهُ وحثوهُ على الخروج من بلادهم لانهُ جلب عليهم محنةً لم يكونوا ينتظرونها فلما وصل معسكر الانكليز ورآهُ احد الضباط وكان يعرفهُ من قبل لم يتمالك نفسهُ عن البكاء عليهِ لانهُ كان جلداً وعظماً من الجوع وقد اسودَّ وجههُ من آثار النار فيهِ

وهو اول رجل ابيض وصل الى منبعي نهر البراهمابوترا واول من اثبت انهُ لا يوجد شمالي البراهمابوترا جبال اعلى من جبال حمالايا واول رجل ابيض طاف في اواسط جزيرة مندناو وقد بلغ من التصعيد في الجبال حدًّا لم يبلغهُ غيرهُ فوصل الى ما ارتفاعهُ ٢٣٤٩٠ قدماً وقاس الارتفاع هناك بدرجة غليان الماء . وقد رافق الحملة على بكين سنة ١٩٠٠ وهو اول من دخلها مع الجنرال لينفتش واخترق مرةً اسيا من الشمال الى الجنوب راكباً مسافة ٣٨٠٠ ميل ولهُ كتاب الاينو او الشعب الاشعر. وكتاب عن كوريا وكتاب الصين والدول المتحالفة وكتاب جواهر المشرق وكتاب تبت ونبال ونحو ذلك من الكتب

غرائب البحار

غرقت باخرة فرنسوية في اواخر الخريف الماضي قرب سايغون في بلاد تنكين الفرنسويَّة فعينت لجنة من الغوَّاصين للغوص في اثرها. واخترع احدهم واسمهُ دي بلوري آلة للغوص تمكن بها من الوصول الى عمق مئة متر وهو عمق لم يبلغهُ احد قبلهُ . والآلة درع من المعدن تصون لابسها من الطوارىء وداخلها مركَّب كيماويٌّ لتدبير تنفسهِ. وقد غاص دي بلوري بها ١١٥ مرة وخرج سالمًا لم يمسَّ باذًى فرأى من عجائب قلب البحر وغرائبهِ ما لم ترهُ عين انسان قبلهُ. وهاك بعض ما قالهُ لاحد محدّثيهِ في وصف غوصانهِ قال : كنت ارى على عمق ٩ اقدام كثيراً من الحيوانات المسماة بالمدوزا اينما التفتُّ حتى كنت اخشى ان تلتفَّ

السابلة يطعنهُ بحربة ظنًّا منهُ انهُ غزال فيخرجون من مخبإهم ويتظاهرون باستعظام ما حدث ويبدون الاسف ولكنهم يهنئون انفسهم باطنًا بالتخلص منهُ

القمر والزرع

جرَّب المسيو فلامريون الفلكي الفرنسوي المشهور عدة تجارب في ضواحي باريس ليتحقق ما اذا كان للقمر تأثير في المزروعات كما يعتقد العامة. فزرع بعض الخضر كالبنجر والفول والجزر والبطاطس في اوقات مختلفة تطابق اوجه القمر الاربعة فلم يرَ للقمر ادنى تأثير في نموّها . وسيوالي تجاربهُ حتى يصل الى نتيجة ثابتة من هذا القبيل

الرصاص من الراديوم

ذهب الاستاذ رذرفُرد الى ان الراديوم يصير رصاصاً اذا طارت منهُ كل دقائق الهاليوم فان وزن الراديوم الجوهري ٢٢٥ فاذا طارت منهُ خمس دقائق من الهاليوم وزن كلٍّ منها ٤ بقي ما وزنهُ الجوهري ٢٠٥ وهذا الوزن يقارب وزن الرصاص . وذكر اثباتاً لذلك وجود الرصاص في كل المعادن التي يوجد فيها الراديوم . والهاليوم هناك على النسبة التي تقتضي لتكوُّن الراديوم منهما اي ان الراديوم مركَّب من عنصرين وهما الرصاص والهاليوم

عمر الطيور

يعمّر بعض انواع الطيور طويلاً حتى يبلغ عمرهُ حدًّا لا يصدق فقد ذكر همبلت انهُ شاهد في اميركا الجنوبية ببغاء تنطق بلغة قبيلة من الهنود كانت قد انقرضت منذ زمن طويل . وذكر ويسمان ان عقاباً ابيض الرأس مات في جنائن الحيوانات في فينا سنة ١٨٢٤ بعد ان عاش فيها ١١٨ سنة. ويقال ان بعض الغربان عاش مئة سنة في الاسر وان الكناري قد يعيش ٢٠ سنة

بُعد نبتون

قدَّر بعضهم بعد نبتون احد السيارات عن الارض بقولهِ انهُ اذا مدت سكة حديد اليهِ وسارت القطرات بسرعة قطار الاكسبرس بلغتهُ في مدة ٥٠٠٠ سنة وبلغت اجرة السفر اليهِ ٥٦٠٠٠٠٠ جنيه على حساب ان اجرة الميل مليمان

اكتشاف القطب بالبلون

عزم المسيو مارسيلاك الفرنسوي على السفر الى القطب الشمالي بالبلون كما فعل اندره قبلهُ ولئلا يصيبهُ ما اصاب اندره سيأخذ معهُ آلة للتلغراف الذي بلا سلك ويخاطب بهِ المحطة التي يسافر منها وهي سبتز برجن التي سافر اندره منها ايضاً . وتقدر نفقات هذه الرحلة بتسعين الف فرنك اما رحلة اندرة فبلغت نفقاتها ضعف هذا المبلغ

يبقَ الّا العظام . وفي البحر اموال لا تحصى فقد رأَيت بعيني السفينة التي كانت تحمل اموال نبوليون الاول الى هولندا سنة ١٨٠٨ فغرقت في اثناء الطريق وفيها مئة مليون من الذهب أُخرج منها ما قيمتهُ ٥٦ مليونًا والباقي لم يستخرج . وقد اخبر برنس موناكو انهُ وجد قرب قبرس سفينة ملآنة ذخائر ثمينة

الحبر الخفيُّ

الحبر الخفيُّ سائل لا لون لهُ يكتب بهِ على الورق فلا تظهر الكتابة الّا اذا عرض الورق للحرارة . وهو يستخرج من نباتات متعددة فقد ذكر بلينيوس المؤَرخ الروماني الشهير اسماء نباتات كانت تستعمل في زمانهِ لهذه الغاية . وذكر آخرون اللبن كان يكتب بهِ في عهدهِ ثم يحمى فتظهر الكتابة . وكتب بروسونيوس مقالة طبية في اوائل القرن السابع عشر وصف فيها " سائلاً مغنطيسيًّا يستحضر من الزرنيخ المكبرت فلا يرى الّا بعين الحبّ " . والظاهر ان هذا السائل هو محلول خلاَّت الرصاص يكتب بهِ فتظهر الكتابة بتعريضها للهيدروجين المكبرت . ووصف هذا السائل كتاب آخرون اخصهم كاتب عاش في اواخر القرن السابع عشر فقال عنهُ ان ليس فيهِ شيءٌ مغنطيسيٌّ ولا خارق العادة . وسماهُ كاتب فرنسوي اسمهُ ليمور بالحبر الخفي واطلق هذا الاسم على غيرهِ من السوائل التي لا تظهر الكتابة بها الّا بعد احمائها

ومن المواد التي يصنع الحبر الخفي منها املاح الكوبلت . فان بلورات كلوريد الكوبلت مثلاً حمراء فاذا أُحميت فقدت ما فيها من الماء وصار لون ما بقي ازرق فاذا كتب بمحلولهِ على ورق ابيض لم تظهر الكتابة فاذا احمي الورق يتحول لون الكتابة ازرق ثم يحمر بامتصاص الرطوبة من الهواء ويعود فيختفي . ومن السوائل المشهورة في الكتابة الخفية محلول نترات الفضة فان الكتابة بهِ تسود بتعريضها للنور وعصير البصل فاذا احميت الكتابة التي تكتب بهِ اصفرَّ لونها فظهرت

عادة غريبة

سافر الماجور بول كتن في السنة الماضية للسياحة في الاراضي الواقعة بين النيل والزمبيسي فتوغل في بلاد الكنغو ودرس اخلاق اهلها وعاداتهم . ومن غريب ما رواهُ عن بعض قبائلهم كيفية معاملتهم للعجزة والشيوخ منهم وذلك انهُ اذا تقدم احدهم في السنّ او عجز عن العمل يسقونهُ مخدّرًا ثم يلفونهُ وهو فاقد الشعور بجلد غزال سلخ جديدًا ويحملونهُ الى مكان بعيد في ضواحي قريتهم ويتركونهُ بين الاعشاب في مكان قريب من الطريق ويختبئون . واول من يراهُ من

الحرارة والثقل

اراد احد العلماء الطبيعيين ان يعرف ما اذا كانت المواد تثقل او تخفّ بزيادة درجة حرارتها فوزن قطعة من الحديد ثقلها ٢٠٨ غرامات على درجة ١٥ سنتغراد ثم احماها حتى صارت على درجة ١٠٠ ووزنها فوجد انها نقصت ٠٠٨ من الميلغرام وهو نقص قليل جدًّا ولكنهُ موجود . وعندهُ ان الاجسام تخف اذا احميت ولكن جمهور العلماء يرتاب في صحة عمله

قدام العمران في اليابان

في المكتبة الانكليزية في مدينة طوكيو الفا مجلد في العلوم الرياضيَّة (الحسابيَّة) تمتدُّ في تاريخها الى نحو ١٦٠٠ سنة — اي ان عمران اليابانيين اقدم من عمران العرب بنحو ستمائة سنة — وكان علماء اليابان يحسبون نسبة المحيط الى القطر سنة ١٦٢٧ كنسبة ٧٩ الى ٢٥ ثم قالوا انها كنسبة ٣٥٥ الى ١١٣ وذلك سنة ١٧٠٩ واوصلوا الكسر العشري في نسبة المحيط الى القطر الى ٥١ منزلة . واشتغل احد علمائهم بتربيع الدائرة في اواخر القرن السابع عشر وكانوا يعرفون كثيرًا من القواعد الجبرية وعلم المثلثات الكروية . والخلاصة ان العلم قديم في اليابان ولكن لا يعلم كم اقتبسوا من اوربا وكم استنبطوا من تلقاء انفسهم

السرجون بردن سندرسن

توفي السرجون بردن سندرسن الطبيب الفسيولوجي في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر الماضي وهو من كبار العلماء العاملين ولد سنة ١٨٢٨ وكان من سنة ١٨٨٢ الى ١٨٨٥ استاذ الفسيولوجيا في اكسفرد ثم جُعل استاذًا للطب الباطني فيها من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٤ ولهُ مباحث جليلة في الدورة الدموية والتنفُّس والمجموع العصبي والانسجة القابلة التأثر في الحيوانات والنباتات ولا سيما اذا اصابها المجرى الكهربائي

اختلاف الرجال والنساء في النظر والسمع

ظهر بعد التجارب الكثيرة ان الرجال اقدر من النساء على رؤية اللون الازرق والنساء اقدر من الرجال على رؤية اللون الاصفر وان الرجال احدُّ سمعًا من النساء والاذن اليمنى احد سمعًا من اليسرى في الرجال والنساء معًا

رواية المقتطف

سنبدأ بنشرها في الجزء التالي ولنا الامل انها تكون افيد من الرواية السابقة وافكه

غشّ المأكولات في اميركا

من اهمّ الاعمال الصحية التي عملتها حكومة الولايات المتحدة الاميركية انشاءه مكتب لفحص المأكولات التي ترد عليها من الخارج . فقد كان جانب كبير من الشاي الذي يرد عليها من البلدان الاجنبية مغشوشاً ومن نفاية اسواق الدنيا فوضعت عليهِ المراقبة منذ عدة سنين فصار لا يرد عليها الآن الاَّ احسن انواعهِ لشدَّة التدقيق في الفحص والمراقبة . ولما رأت فضل هذه الطريقة وحسن عائدتها انشأت المكتب المشار اليهِ لفحص المأكولات والمشروبات التي ترد من الخارج . فعسى ان تقتدي الحكومة المصرية بها في مراقبة المأكولات والمشروبات التي تغشُّ داخل القطر من سمن ولحم وزيت واشربة على انواعها فلا اقلَّ من ان يمنع الغشُّ في ما هو عندنا ان لم يمكن منع الغش في ما يرد علينا من الخارج

بوارج يابانية

اوصت اليابان بعض المعامل الانكليزية حديثاً بصنع بارجتين تفريغ كلٍّ منهما نحو ١٩٠٠٠ طنٍ وهما اكبر بارجتين صنعتا الى الآن وعدد السفن التي تبني لليابان الآن خمس بوارج تفريغها ٨٨٣٥٠ طناً وطرادان تفريغهما ٢٧٠٠٠ طنٍ ما عدا سفناً اخرى صغيرة

فائدة السرير للاطفال

كتب احد الاطباء الاميركيين رسالة الى مجلة طبية يعترض فيها على اهمال الامهات لعادة وضع الاطفال في الاسرة ويحضهنَّ على العود الى استعمال السرير . وايد كلامهُ باقوال كثيرين من كبار الاطباء حيث قالوا ان هزَّ السرير مفيد للاطفال ولا سيما اذا كانوا عصبيي المزاج كثيري القلق ضعاف البنية

عيدان الكبريت

تصنع عيدان الكبريت في بعض المعامل من الورق بدلاً من الخشب وذلك بان يلفَّ الورق على شكل لولبي ويغمس في الشمع او الشحم منعاً لانحلالهِ ثم يقطع قطعاً صغيرة ويغمس رأس كلٍّ منها في مركب من الفصفور . وانما عمدوا الى الورق بدلاً من الخشب لان الخشب اخذ يقلُّ لكثرة استعمالهِ ففعلوا ذلك توفيراً لهُ

معرض بحري

سيقام معرض دولي للاسماك ومصايدها وسائر ما يتعلق بالبحار في مرسيليا من ابريل القادم الى اكتوبر . ويكون المعرض برعاية الحكومة الفرنسوية وتشترك فيهِ فرنسا والمانيا والبرتوغال وهولندا ونروج واسوج واميركا واليابان وانكلترا

فهرس الجزء الاول من المجلد الحادي والثلاثين